

تراث الإسلام

نفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

٢

راجعه وخرجه أحاديثه

أحمد محمد شاكر

حقيقه وعلق حواشيه

محمود محمد شاكر

الطبعة الثانية

الناشر

مكتبة ابن تيمية

القاهرة ت ٨٦٤٢٤٠

تفسير الطبري

الجزء الثاني

فيه

تفسير سورة البقرة

من ٤٣-١٢٣

والآثار من ٨٤٠ - ٩٠٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده لا شريك له في سلطانه ، مُذِلَّ الجبابرة ، ومُذِلَّ الفتنه
المؤمنه من الفتنه الكافره ، أحده رضى بقضائه وقدره ، وأسبَّحه كما
سَبَّحت له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، ﴿ قَتَعَآلَى اللَّهِ الْمَلِكُ
الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ۝ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ۝
وَقُلْ رَبُّ أَعْتَزُّ وَأَرْحَمُ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾
وصَلَّى الله على محمد وعلى آل محمد كما صَلَّى على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ،
وبارك على محمد وعلى آل محمد كما بارك على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في
العالمين إنه حميدٌ مجيدٌ .

• • •

وبعدُ فقد منَّ الله بالمعونة على الفراغ من الجزء الثاني من تفسير
أبي جعفر رضى الله عنه ، فما كان فيه من إحسان فمن الله ، وما كان
فيه من زللٍ فتنى . وأسأل الله أن يتغمَّد ما أخطأتُ فيه ، وأن يكتب لنا
من السداد في أعمالنا ما هو له أهلُّ من تفضُّله على خلقه ، ومنه على عباده .
هذا وقد فاتنى أن أذكر في مقدمة الجزء الأوَّل أنى وضعت على هامش
هذه الطبعة من التفسير ، ما يقابلها من مطبوعة بولاق ، فأثبت الجزء والصفحة
معاً ، لطول ما تداول الناس مطبوعة بولاق ، ولكثرة الإشارة إليها في

الكتب . هذا ، وقد حرصت أيضاً كلَّ الحرص على أن أثبت في التعليق
كلَّ ما أحال عليه الطبري من سالف كلامه ، حتى يسهل على الباحث
والقارئ أن يتابع ما قاله أبو جعفر ، فلا يسقط عليه شيء من معانيه .
فإن الكتابَ يطول ، وأبو جعفر يختصر ، والإحالةُ تكثر ، ومن الصعب
أن يستدلَّ قارئ كتابه على المواضع التي يحيل عليها .

° ° °

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَوْنًا لَا يَنْقَطِعُ ، وَسَدَادًا لَا يُمْنُ ، وَتَوْفِيقًا لَا يَحْبَسُ
عَنِّي خَيْرُهُ ، بَرْتُ إِلَيْكَ رَبِّي مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ ، كَمَا بَرْتُ مِنَ الشُّرَكَاءِ
وَالْأَنْدَادِ ، فَاعْفُ رُبِّي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ؟

محمود محمد شاكر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في معنى « البر » الذي كان المخاطبون بهذه الآية يأمرون الناس به وينسون أنفسهم ، بعد إجماع جميعهم على أن كل طاعة لله فهي تسمى « برّاً » ، فروى عن ابن عباس ما :-

٨٤٠ - حدثنا به ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » ، أي نهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم ، ^(١) أي وأنتم تكفرون ٢٠٤/١ بما فيها من عهدى إليكم في تصديق رسولى ، وتنقضون ميثاقى ، وتجحدون ما تعلمون من كتابى .

٨٤١ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر ابن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، في قوله : « أتأمرون الناس بالبر » ، يقول : أتأمرون الناس بالدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم ، وغير ذلك مما أُمِرتم به من إقام الصلاة ، وتنسوا أنفسكم .

• • •

(١) في المطبوعة ، وفي المراجع : « والعهد من التوراة » . والعهد والمهددة واحد .

وقال آخرون بما : —

٨٤٢ — حدثني به موسى بن هرون قال ، حدثني عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم » ، قال : كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه ، وهم يعصونه .

٨٤٣ — وحدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم » ، قال : كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وبالبر ، ويخالفون ، فعيّرهم الله .

٨٤٤ — وحدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا الحجاج ، قال قال ابن جريج : « أتأمرون الناس بالبر » ، أهل الكتاب والمنافقون ، كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة ، ويدعون العمل بما يأمرون به الناس ، فعيّرهم الله بذلك . فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة .

وقال آخرون بما : —

٨٤٥ — حدثني به يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : هؤلاء اليهود . كان إذا جاء الرجل يسألهم ما ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء ، أمروه بالحق . فقال الله لهم : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » .^(١)

٨٤٦ — وحدثني علي بن الحسن قال ، حدثنا مسلم الجرمي قال ، حدثنا محمد بن الحسين ، عن أيوب السختياني ، عن أبي قلابة ، في قول الله : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب » ، قال قال أبو الدرداء : لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله ، ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتاً .^(٢)

(١) الأثر : ٨٤٥ — في ابن كثير ١ : ١٥٤ ، وفيه « إذا جاء الرجل سألهم عن الشيء ليس فيه . . . » . وفي المخطوطة : « يسألهم ليس فيه » .

(٢) الخبر : ٨٤٦ — نقله ابن كثير ١ : ١٥٤ عن هذا الموضع . وذكره السيوطي ١ : ٦٤ ، ونسبه أيضاً لعبد الرزاق ، وابن أبي شيبة ، والبيهقي في الأسماء والصفات ، ونقله الشوكاني ١ : ٦٥ . وقد

* * *

قال أبو جعفر : وجميعُ الذي قال — في تأويل هذه الآية — من ذكرنا قوله ، متقاربُ المعنى . لأنهم وإن اختلفوا في صفة « البر » الذي كان القوم يأمرُون به غيرهم ، الذين وصفهم الله بما وصفهم به ، فهم متفقون في أنهم كانوا يأمرُون الناس بما لله فيه رضا من القول أو العمل ، ويخالفون ما أمروهم به من ذلك إلى غيره بأفعالهم .

فالتأويل الذي يدلُّ على صحته ظاهر التلاوة إذا : أتأمرون الناس بطاعة الله وتتركون أنفسكم تعصيه ؟ فهلا تأمرونها بما تأمرُون به الناس من طاعة ربكم ؟ مُعِيرَهُم بذلك ، ومقبِحاً لهم قبيح ما أتوا به .^(١)

* * *

ومعنى « نَسِيَانِهِمْ أَنْفُسَهُمْ » في هذا الموضع ، نظيرُ « النسيان » الذي قال جل ثناؤه ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٦٧] بمعنى : تركوا طاعة الله ، فتركهم الله من ثوابه .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « تتلون » ، تدرسون وتقرأون . كما : —

٨٤٧ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، « وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ » ،

رواه البيهقي ص : ٢١٠ ، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ، به نحوه .

و « مسلم الجرمي » : وقع في ابن كثير في هذا الموضع « أسلم » ، وهو خطأ مطبعي . ووقع فيه وفي نسخ الطبري « الحرمي » ، بالخاء . وقد رجحنا في ترجمته — فيما مضى : ١٥٤ — أنه بالجم . وذكرنا مصادر ترجمته هناك ، ونزيد هنا أنه ترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٤ / ١ / ١٨٨ ، ووصفه بأنه « من القزاة » . وشيخه « محمد بن الحسين » — بفتح الميم واللام بينهما خاء معجمة ساكنة : ثقة معروف ، قال ابن سعد : « كان ثقة فاضلاً » وقال أبو داود : « كان أعقل أهل زمانه » . وأبو قلابة : هو عبد الله ابن زيد الجرمي ، أحد الأعلام من ثقات التابعين ، وأرى أن روايته عن أبي الدرداء مرسلة ، فإن أبا الدرداء مات سنة ٢٢ ، وأبو قلابة متأخر الوفاة ، مات سنة ١٠٤ ، وقيل : ١٠٧ .

(١) في المطبوعة : « ومقبِحاً إليهم » .

يقول : تدرسون الكتاب بذلك . ويعنى : « الكتاب » ، التوراة .^(١)

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾^(٢)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « أفلا تعقلون » ،^(٣) أفلا تفقهون وتفهمون قبح ما تأتون من معصيتكم ربكم التى تأمرون الناس بخلافها ، وتنهونهم عن ركبها وأنتم راکبوها ، وأنتم تعلمون أن الذى عليكم من حق الله وطاعته ، واتباع محمد والإيمان به وبما جاء به ،^(٤) مثل الذى على من تأمرونه باتباعه ؟ كما : —

٨٤٨ — حدثنا به محمد بن العلاء قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاک ، عن ابن عباس : « أفلا تعقلون » ، يقول : أفلا تفهمون؟ ينهاهم عن هذا الخلق القبيح .^(٥)

• • •

قال أبو جعفر : هذا يدل على صحة ما قلنا ، من أمر أحبار يهود بنى إسرائيل غيرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنهم كانوا يقولون : هو مبعوث إلى غيرنا ! كما ذكر قبل .^(٥)

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « واستعينوا بالصبر » ، استعينوا على الوفاء بعهدى الذى عاهدتمونى فى كتابكم — من طاعنى واتباع أمرى ، وترك ما نهونته

- (١) الخبر : ٨٤٧ — فى الدر المنثور ١ : ٦٤ ، وتنتمى فى الخبر الآتى إلا قوله : « ويعنى بالكتاب التوراة » وأخشى أن تكون من كلام الطبرى .
 (٢) فى المخطوطة : « يعنى بذلك أفلا تفقهون »
 (٣) فى المطبوعة : « فى اتباع محمد »
 (٤) الخبر : ٨٤٨ — من تنمة الأثر السالف . وفى المطبوعة : « فنهاهم » .
 (٥) انظر ما مضى من : ١ : ٥٦٧ — ٥٦٨ .

من الرياسة وحبّ الدنيا ، إلى ما تكرهونه من التسليم لأمرى واتباع رسول محمد صلى الله عليه وسلم — بالصبر عليه والصلاة .

• • •

وقد قيل : إن معنى «الصبر» في هذا الموضع الصّوم ، و«الصوم» بعض معاني «الصبر» . وتأويل من تأوّل ذلك عندنا^(١) : أن الله تعالى ذكره أمرهم بالصبر على كل ما كرهته نفوسهم من طاعة الله ، وترك معاصيه . وأصل «الصبر» : منع النفس محابّتها ، وكفّتها عن هواها ، ولذلك قيل للصابر على المصيبة : «صابرٌ» ، لكفّته نفسه عن الجزع . وقيل لشهر رمضان «شهر الصبر» ، لصبر صائميّه عن المطاعم والمشارب نهاراً ،^(٢) وصبره إياهم عن ذلك ،^(٣) حبسه لهم وكفّته إياهم عنه ، كما تصبر الرجل المسيء للقتل فتحبسه عليه حتى تقتله .^(٤) ولذلك قيل : «قتل فلانٌ فلاناً صبراً» ، يعنى به : حبسه عليه حتى قتله ، فالقتول «مصبور» والقاتل «صابر» .

• • •

وأما «الصلاة» ، فقد ذكرنا معناها فيما مضى .^(٥)

• • •

فإن قال لنا قائل : قد علمنا معنى الأمر بالاستعانة بالصبر على الوفاء بالعهد والمحافظة على الطاعة ، فما معنى الأمر بالاستعانة بالصلاة على طاعة الله وترك معاصيه ، والتعزّي عن الرياسة وترك الدنيا ؟

قيل : إن الصلاة فيها تلاوة كتاب الله الداعية آياته إلى رفض الدنيا وهجر

(١) في المطبوعة : «... بعض معاني الصبر عندنا بل تأويل ذلك عندنا ...» ، وفي المخطوطة : «... بعض معاني الصبر عند تأويل من تأوّل ذلك عندنا ...» ، وكأن الصواب ما أثبتته .
(٢) في المطبوعة والمخطوطة : «لصبره صائمه ...» ، ولكن الكلام لا يستقيم لاختلال الضمائر في الجملة التالية .

(٣) الضمير في قوله «وصبره» إلى شهر رمضان .

(٤) في المخطوطة والمطبوعة : «كما يصبر ... فيحبسه ... حتى يقتله» كله بالياء ، والصواب ما أثبتته .

(٥) انظر ما مضى : ١ : ٢٤٢ - ٢٤٣ .

نعيمها، المسلية النفوس عن زينتها وُغرورها، المذكورة الآخرة وما أعدَّ الله فيها لأهلها، ففي الاعتبار بها المعونة لأهل طاعة الله على الجِدَّة فيها، كما روى عن نبيِّنا صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا حَزَبَهُ أمر فَرَعَ إلى الصلاة.

٨٤٩- حدثني بذلك إسماعيل بن موسى الفزاري قال، حدثنا الحسين ابن رفاق الهمداني، عن ابن جريج، عن عكرمة بن عمار، عن محمد بن عبيد أبي قدامة، عن عبد العزيز بن اليمان، عن حذيفة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حَزَبَهُ أمر فَرَعَ إلى الصلاة. (١)

٨٥٠- وحدثني سليمان بن عبد الجبار قال، حدثنا خلف بن الوليد الأزدي قال، حدثنا يحيى بن زكريا، عن عكرمة بن عمار، عن محمد بن عبد الله الدؤلي، قال، قال عبد العزيز أخو حذيفة، قال حذيفة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حَزَبَهُ أمر صَلَّى. (٢)

(١) الحديث : ٨٤٩- «الحسين بن رفاق الهمداني»: هكذا ثبت في المطبوعة. ولم أجد رايًا بهذا الاسم ولا ما يشبهه، فبما لدى من المراجع، وفي المخطوطة «الحسين بن زياد الهمداني» - ولم أجد في الرواة من يسمى «الحسين بن زياد» إلا اثنين، لم ينسب واحد منهما همدانيًا، ولا يصلح واحد منهما في هذا الإسناد: أحدهما: «حسين بن زياد»، دون وصف آخر، ترجمه البخاري في الكبير ١ / ٢ / ٣٨٧ برقم: ٢٨٨١، وذكر أنه يروى عن عكرمة، ويروى عنه جرير بن حازم، وجرير مات سنة ١٧٥ فهذا قديم جداً، لا يدركه إسماعيل بن موسى الفزاري المتوفى سنة ٢٤٥. والثاني «حسين ابن زياد أبو علي المروزي» ترجمه البخاري عقب ذاك، وذكر أنه مات سنة ٢٢٠. فهذا متأخر عن أن يدرك الرواية عن ابن جريج المتوفى سنة ١٥٠. وعكرمة بن عمار: هو المجلد الإمامي. وفي المخطوطة «عكرمة عن عمار». وهو خطأ. والحديث سيأتي عقب هذا بإسناد آخر صحيح.

(٢) الحديث : ٨٥٠- هو الذي قبله بمعناه: «خلف بن الوليد»: هو أبو الوليد العتكي الجوهري، و «العتكي»: نسبة إلى «العتيك»، بطن من الأزد. وهو من شيوخ أحمد الثقات. يحيى ابن زكريا: هو ابن أبي زائدة. محمد بن عبد الله الدؤلي: هو «محمد بن عبيد أبو قدامة» الذي في الإسناد السابق. ووقع في الأصول هنا «محمد بن عبيد بن أبي قدامة». وهو خطأ. بل «أبو قدامة» كنية «محمد بن عبيد». وقد حققنا ترجمته في شرح حديث آخر في المسند: ٦٥٤٨، ورجحنا أن ابن أبي زائدة أخطأ في اسمه، فسماه «محمد بن عبد الله».

والحديث رواه أحمد في المسند ٥: ٣٨٨ (حلي) عن إسماعيل بن عمر، وخلف بن الوليد، كلاهما عن يحيى بن زكريا. ورواه أبو داود: ١٣١٩، عن محمد بن عيسى، عن يحيى بن زكريا - بهذا الإسناد. وأشار إليه البخاري في الكبير ١ / ١ / ١٧٢، في ترجمة «محمد بن عبيد أبي قدامة الحنفي»،

٨٥١- وكذلك روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى أبا هريرة مُنْبَطِحاً على بطنه فقال له : اشْكَنْبْ دَرْدَ . قال : نعم . قال : قم فصلٌ ، فإن في الصلاة شفاءً . (١)

قال : « وقال النضر عن عكرمة ، عن محمد بن عبيد أبي قدامة ، سمع عبد العزيز أخا حذيفة ، عن حذيفة : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى . وقال ابن أبي زائدة : عن عكرمة عن محمد ابن عبد الله المؤل . و « النضر » الذي يشير إليه البخاري : هو النضر بن محمد الجريشي اليماني . و « عبد العزيز بن اليمان » : هو أخو حذيفة بن اليمان ، كما صرح بنسبه في الرواية السابقة ، وكما وصف بذلك في هذه الرواية ، وفي روائقي المسند والبخاري في الكبير . وأما رواية أبي داود ففيها « عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة » . وكذلك في رواية ابن مندة ، التي أشار إليها الحافظ في الإصابة ٥ : ١٥٩ . ورجح الحافظ في ذلك الموضوع ، وفي التهذيب ٦ : ٣٦٤-٣٦٥ أنه ابن أخي حذيفة ، لا أخوه . ولكن أكثر الرواة ذكروا أنه أخوه ، كما أشرنا ، لم يخالفهم إلا « محمد بن عيسى » شيخ أبي داود - فيما رأيت . فلا أدري م هذا الترجيح ؟ بل الذي أراه ترجيح رواية الأكثر ، ومنهم « النضر ابن محمد » ، وكان مكثرًا للرواية عن عكرمة بن عمار .

وبذلك جزم ابن أبي حاتم في ترجمة « عبد العزيز بن اليمان » في كتاب الجرح والتعديل ٢ / ٢ / ٣٩٩ ، لم يذكر خلافاً ولا قولاً آخر .

والحديث ذكره أيضاً ابن كثير ١ : ١٥٧-١٥٨ من روايات المسند وأبي داود والطبري . ثم ذكر نحوه مطولاً ، من رواية محمد نصر المروزي في كتاب الصلاة .

(١) الحديث : ٨٥١- هكذا ذكره الطبري معلقاً ، دون إسناد . وقد رواه أحد في المسند : ٩٠٥٤ (٢ : ٣٩٠ حلي) ، عن أسود بن عامر ، عن ذواد أبي المنذر ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن أبي هريرة . ثم رواه مرة أخرى : ٩٢٢٩ (٢ : ٤٠٣ حلي) ، عن موسى بن داود ، عن ذواد . وكذلك رواه ابن ماجة : ٣٤٥٨ ، بإسنادين عن ذواد .

و « ذواد » : بفتح الذال المعجمة وتشديد الواو وآخره دال مهملة . وضبطه صاحب الخلاصة « ذؤاد » بضم المعجمة وبعدها همزة مفتوحة ، وهو خطأ . وذواد : هو ابن علبة الحارثي ، وكان شيخاً صالحاً صلواً ، وضمه ابن ميين ، فقال : « ليس بشيء » . وترجمه البخاري في الكبير ٢ / ١ / ٢٤١ ، والصغير ، ص : ٢١٤ ، وقال : « يخالف في بعض حديثه » . وروى هذا الحديث في الصغير عن ابن الأصهباني ، عن الحارثي ، عن ليث ، عن مجاهد : « قال لي أبو هريرة : يا فارسي ، شكك درد » ثم قال البخاري : « قال ابن الأصهباني : ورفع ذواد ، وليس له أصل ، أبو هريرة لم يكن فارسياً ، إنما مجاهد فارسي » . فهذا تعليل دقيق من ابن الأصهباني ، ثم من البخاري ، يقضي بضعف إسناد الحديث مرفوعاً .

وقوله في متن الرواية « اشْكَنْبْ دَرْدَ » : كتب عليها في طبعة بولاق ما نصه : « يعني : تشتكي بطنك ، بالفارسية . كذا هامش الأصل » . وكذلك ثبت هذا اللفظ في المسند ، إلا أن الموضوع الأول فيه كتب « ذرد » بنقطة فوق الدال الأولى ، وهو تصحيف . وثبت هذا اللفظ في رواية البخاري في التاريخ الصغير ، ص : ٢١٤ : « شكك درد » . وفي رواية ابن ماجة « اشكت درد » . وكتب الأستاذ ذواد عبد الباقي شارحاً له : « بالفارسية : اشكم ، أي بطن . ودرد ، أي وجع . والتاء للخطاب . والهمزة همزة

فأمر الله جل ثناؤه الذين وصف أمرهم من أحبار بني إسرائيل ، أن يجعلوا مفرعهم - في الوفاء بعهد الله الذي عاهدوه - إلى الاستعانة بالصبر والصلاة ، كما أمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له : ﴿ فَأَصْبِرْ ﴾ يا محمد ﴿ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ [سورة ن : ١٣٠] . فأمره جل ثناؤه في نوائبه بالفزع إلى الصبر والصلاة . وقد : -

٨٥٢ - حدثنا محمد بن العلاء ، ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : حدثنا ابن علية ، قال : حدثنا عيينة بن عبد الرحمن ، عن أبيه : أن ابن عباس نعى إليه أخوه قُتَيْبٌ ، وهو في سفر ، فاسترجع . ثم تنحى عن الطريق ، فأناخ فصلتي ركعتين أطال فيها الجلوس ، ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول : « واستعينوا بالصبر والصلاة - وإنما لكبيرةٌ إلا على الخاشعين » .^(١)

وأما أبو العالية فإنه كان يقول بما : -

٨٥٣ - حدثني به المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « واستعينوا بالصبر والصلاة » ، قال يقول : استعينوا

وصل . كذا حققه الدكتور حسين الهمداني . ومعناه : أتشتكى بطنك ؟ ولكن جاء في تكملة مجمع بحار الأنوار ، ص ٧ (أشكيب ددم) . وفي رواية يسكون الباء . وأنا أرى أن النقل الأخير فيه خطأ . لأنني نقلت في أوراق على المسند قديماً أن صوابها « أشكيب ددرم » . وأكبر ظني الآن أني نقلت ذلك عن تكملة مجمع بحار الأنوار ، وهو ليس في متناول يدي حين أكتب هذا .
(١) الخبر : ٨٥٢ - إسناده صحيح . عيينة بن عبد الرحمن : ثقة . وأبوه عبد الرحمن بن جرش بن العطفاني : تابعي ثقة .

والأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور ١ : ٦٨ ، ونسبه أيضاً لسميد بن منصور ، وابن المنذر ، والبيهقي في الشعب .

ثم بن العباس بن عبد المطلب ، أخو عبد الله بن العباس . وأمه أم الفضل . كان يشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يصح سماعه عنه ، فإنه كان في آخر عهد النبي صلى الله عليه وسلم . وخرج مع سعيد بن عثمان زمن معاوية إلى خمرقند ، فاستشهد بها . استرجع : قال : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

بالصبر والصلاة على مرضاة الله ، واعلموا أنهما من طاعة الله .

• • •

وقال ابن جريج بما : —

٨٥٤ — حدثنا به القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال : ابن جريج في قوله : « واستعينوا بالصبر والصلاة » ، قال : إنهما معونتان على رحمة الله .^(١)

٨٥٥ — وحدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله : « واستعينوا بالصبر والصلاة » الآية ، قال : قال المشركون : والله يا محمد إنك لتدعونا إلى أمر كبير ! قال : إلى الصلاة والإيمان بالله جل ثناؤه .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِنهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ (٥)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وإنها » ، وإن الصلاة . « الهاء والألف » ٢٠٦/١ في « وإنها » عائدتان على الصلاة . وقد قال بعضهم : إن قوله : « وإنها » بمعنى : إن إجابة محمد صلى الله عليه وسلم . ولم يجر لذلك بلفظ الإجابة ذكر ، فتجعل « الهاء والألف » كناية عنه . وغير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام ، إلى باطن لا دلالة على صحته .^(٢)

• • •

ويعنى بقوله : « لكبيرة » ، لشديدة ثقيلة ، كما : —

٨٥٦ — حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا ابن يزيد قال ، أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله : « وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين » ، قال : إنها لثقيلة .^(٣)

(١) الأثر : ٨٥٤ — الحسين : هو سديد بن داود المصيصي . و « سديد » لقب له ، كما مضى : ١٤٤ .

(٢) الظاهر : هو ما تعرفه العرب من كلامها . والباطن : ما يأتي بالاستنباط من الظاهر على طريق العرب في بيانها . وانظر ما مضى ١ : ٧٢ تعليق : ٢ .

(٣) الأثر : ٨٥٦ — في المطبوعة « أخبرنا ابن زيد » ، والصواب « يزيد » من المخطوطة . وهو

• • •

ويعنى بقوله : « إلا على الخاشعين » ، إلا على الخاضعين لطاعته . الخاشعين سطواته ، المصدقين بوعده ووعيده . كما : -

٨٥٦ - حدثني المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « إلا على الخاشعين » ، يعنى : المصدقين بما أنزل الله .

٨٥٧ - حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم العسقلاني قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : « إلا على الخاشعين » ، قال : يعنى الخاضعين .
٨٥٨ - وحدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد : « إلا على الخاشعين » ، قال : المؤمنين حقاً .^(١)
٨٥٩ - وحدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد ، مثله .

٨٦٠ - وحدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : الخشوع : الخوف والخشية لله ، وقرأ قول الله : ﴿ خَاشِعِينَ مِنَ الدَّلِّ ﴾ [سورة الشورى : ٤٥] . قال : قد أظلم الخوف الذى نزل بهم ، وخشعوا له

« يزيد بن هرون » وقد مضى مثل هذا الإسناد على الصواب : ٢٨٤ .
ومن الرواة عن جوير : « حماد بن زيد » ، ولا يحتمل أن يكون مراداً في هذا الإسناد ، لأن حماد ابن زيد مات سنة ١٧٩ . فلا يحتمل أن يروى عنه يحيى بن أبى طالب ، لأنه ولد سنة ١٨٢ ، كما في ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب ١٤ : ٢٢٠ - ٢٢١ .
(١) الأثر ٨٥٨ - محمد بن عمرو . هو : محمد بن عمرو بن العباس ، أبو بكر الباهل ، وهو من شيوخ الطبري الثقات . أكثر من الرواية عنه . مات سنة ٢٤٩ . وله ترجمة في تاريخ بغداد ٣ : ١٢٧ . و « أبو عاصم » هو النبيل ، الضحاك بن مخلد . و « سفيان » : هو الثوري . و « جابر » : هو ابن يزيد الحمصي .

وهكذا جاء هذا الإسناد في هذا الموضع في المخطوطة . ووقع في المطبوعة « محمد بن جعفر » بدل « محمد بن عمرو » ، وهو خطأ لا شك فيه .

إنما الشبهة هنا : أن هذا الإسناد « أبو عاصم ، عن سفيان ، عن جابر » - يرويه الطبري في أكثر المواضع « عن محمد بن بشار » ، عن أبي عاصم . وأما روايته عن « محمد بن عمرو » ، فإنما هي لإسناد « أبو عاصم ، عن عيسى بن ميمون ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد » . والأمر قريب ، ولعله روى هذا وذاك .

• • •

وأصل « الخشوع » : التواضع والتذلل والاستكانة ، ومنه قول الشاعر ^(١) .

لَمَّا أَتَى خَبَرَ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُشَعُ ^(٢)

يعنى : والجبال خُشَعٌ متذللة لعظم المصيبة بفقدته .

• • •

فعنى الآية : واستعينوا ، أيها الأحبار من أهل الكتاب ، بحبس أنفسكم على طاعة الله ، وكفها عن معاصي الله ، وبإقامة الصلاة المانعة من الفحشاء والمنكر ، المقربة من مراضى الله ، العظيمة إقامتها إلا على المتواضعين لله ، المستكينين لطاعته ، المتذللين من مخافته .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ ﴾

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل : وكيف أخبر الله جل ثناؤه عمن قد وصّعه بالخشوع له بالطاعة ، أنه « يظن » أنه ملاقيه ، والظن شك ، والشاك في لقاء الله عندك بالله كافر ؟

قيل له : إن العرب قد تسمى اليقين « ظناً » ، والشك « ظناً » ، نظير تسميتهم الظلمة

(١) الشعر لجرير .

(٢) ديوان جرير : ٣٤٥ ، والنقائض : ٩٦٩ ، وقد جاء منسوباً له في تفسيره (١ : ٧/٢٨٩ : ١٥٧ بولاق) وطبقات ابن سعد : ٣ / ١ / ٧٩ ، وسيبويه : ١ : ٢٥ ، والأضداد لابن الأنباري : ٢٥٨ ، والخزانة : ٢ : ١٦٦ . استشهد به سيبويه على أن تاء التأنيث جاءت للفعل ، لما أضاف « سور » إلى مؤنث وهو « المدينة » ، وهو بعض منها . قال سيبويه : « وربما قالوا في بعض الكلام : ذهبت بعض أصابعه » ، وإنما أنث البعض ، لأنه أضافه إلى مؤنث هو منه ، ولو لم يكن منه لم يؤنثه . لأنه لو قال : « ذهبت عبد أمك » لم يحسن . (١ : ٢٥) .

وهذا البيت يعبر به الفرزدق بالغدر وهجوه ، فإن الزبير بن العوام رضى الله عنه حين انصرف يوم الجمل ، عرض له رجل من بني مجاشع رهط الفرزدق ، فرماه فقتله غيلة . ووصف الجبال بأنها « خشع » . يريد عند موته ، خشمت وطأطأت من هول المصيبة في حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن قبح ما لقي من غدر بني مجاشع .

«سُدْفَةٌ»، والضياء «سُدْفَةٌ»؛ والمغيث «صارخاً»، والمستغيث «صارخاً»، وما أشبه ذلك من الأسماء التي تسمى بها الشيء وضدّه . وما يدل على أنه يسمى به اليقين ، قول دُرَيْد بن الصَّمَّة :

فَقُلْتُ لَمْ ظَنُّوا بِاللَّيِّ مُدَجِّجٍ سَرَاتِهِمْ فِي الْقَارِسِيِّ الْمُسَرِّدِ^(١)

يعني بذلك : تيقنوا ألقي مدجج تأنيكم . وقول عَمِيْرَة بن طارق :

بَأَنْ تَنْزَرُوا قَوْمِي وَأَقْعَدَ فَيْكُمُ وَأَجْمَلَ مِنِّي الظَّنَّ غَيِّباً مَرَجِّمًا^(٢)

يعني : وأجعل مني اليقين غيباً مرجماً . والشواهد من أشعار العرب وكلامها

(١) الأسمعيات : ٢٣ ، وشرح الحاشية ٢ : ١٥٦ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة : ٤٠ ، وسيأتي غير منسوب في ٢٥ : ٨٣ ، وغير منسوب في ١٣ : ٥٨ برواية أخرى : «ظننوا بأنني فارس متلب» ، وقبل البيت في رواية الأسمي :

وَقُلْتُ لِعَارِضٍ ، وَأَصْحَابِ عَارِضٍ وَرَهْطِ بَنِي السُّودَاءِ ، وَالْقَوْمِ شُهَدَى
عَلَانِيَةً ظَنُّوا

ورواية أبي تمام : «نصحت لعارض» . . . «فقلت لم ظننوا» . . . وهذا الشعر قاله في رثاء أخيه عبد الله بن الصمة ، وهو عارض ، المذكور في شعره . المدحج : الفارس الذي قد تدجج في شكته ، أي دخل في سلاحه ، كأنه تغلغل به . والسارة جمع سري : وهم خيار القوم من فرسانهم . والفارسي المسرد : يعني الدروع الفارسية ، قال عمرو بن أمري القيس الخزرجي :

إِذَا مَشَيْنَا فِي الْقَارِسِيِّ كَمَا يَمْشِي جَهْلٌ مَصَاعِبٌ قُطِفُ

السرد : إدخال حلق الدرع بعضها في بعض . والمسرد : المهبوك النسيج المتداخل الحلق . ينثر أخاه وقومه أنهم سوف يلقون عدواً من ذوى البأس قد استكمل أداة قتاله .

(٢) نقائض جرير والفرزدق : ٥٣ ، ٧٨٥ ، والأضداد لابن الأنباري . ١٢ . وهو عميرة بن طارق بن ديسق اليربوعي ، قالها في خبر له مع الحوفزان ، ورواية النقائض : «وأجلس فيكم» . . . ، و «وأجعل على ظن غيب مرجماً» . وقبل البيت :

فَلَا تَأْمُرْنِي يَا ابْنَ أُمَمَاءَ بِاللَّيِّ تَجَرُّهُ النَّفْيُ ذَا الطَّعْمِ أَنْ يَتَكَلَّمَا

ذو الطعم : ذو الحزم . وتجرجر ، من الإجرار : وهو أن يشق لسان الفصيل ، إذا أرادوا فطامه ، لتلا يرضع . يعني يحول بينه وبين الكلام .

وغزا الأمر واغترزه : قصده ، ومنه الغزو : وهو السير إلى قتال العدو وانتهابه . والمرجم : الذي لا يوقف على حقيقة أمره ، لأنه يقذف به على غير يقين ، من الرجم : وهو القذف . هذا ، والبيت ، كما رواه في النقائض ، ليس بشاهد على أن الظن هو اليقين . ورواية الطبري هي التي تصلح شاهداً على هذا المعنى

على أن «الظن» في معنى اليقين، أكثر من أن تحصى، وفيما ذكرنا لمن وُفق لفهمه ٢٠٧/١ كفاية. ومنه قول الله جل ثناؤه: ﴿وَرَأَى الْمَجْرُمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾ [سورة الكهف : ٥٣] . وبمثل الذي قلنا في ذلك جاء تفسيرُ المفسرين .

٨٦١- حدثني المثنى بن إبراهيم، قال: حدثنا آدم، قال: حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية في قوله: «يظنون أنهم مُلاقو رَبِّهِمْ» قال: إن الظن ههنا يقين .

٨٦٢- حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا سفيان، عن جابر، عن مجاهد قال: كل ظنٌّ في القرآن يقين، «إني ظننتُ»، «وظنُّوا» .
٨٦٣- حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحق، قال: حدثنا أبو داود الحفري، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: كل ظنٌّ في القرآن فهو عِلْمٌ^(١) .

٨٦٤- حدثني موسى بن هرون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: «الذين يُظنون أنهم مُلاقو رَبِّهِمْ»، أما «يظنون» فيستيقنون .

٨٦٥- حدثني القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، قال: قال ابن جريج: «الذين يظنون أنهم مُلاقو رَبِّهِمْ»، علموا أنهم مُلاقو ربهم، هي كقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ [سورة الحاقة : ٢٠] يقول: علمت .

٨٦٦- وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال قال ابن زيد في قوله: «الذين يظنون أنهم مُلاقو رَبِّهِمْ»، قال: لأنهم لم يعاينوا، فكان ظنُّهم يقيناً ،

(١) الأثر : ٨٦٣ - إسحق : هو ابن راهويه الإمام الحافظ . أبو داود الحفري - البخاء المهمل والفاء المفتوحين - هو : عمر بن سعد بن عبيد . ووقع في تفسير ابن كثير ١ : ١٥٩ «أبو داود الجبى» ، وهو تصحيف . وسفيان : هو الثوري .

وليس ظناً في شك ، وقرأ : « إني ظننتُ أني مُلاقٍ حسابيَّه » .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل : وكيف قيل إنهم ملاقوا ربهم ، فأضيف « الملاقون » إلى الرب تبارك وتعالى ، وقد علمت أن معناه : الذين يظنون أنهم يلقون ربهم ؟ وإذ كان المعنى كذلك ، فن كلام العرب ترك الإضافة وإثبات النون ، وإنما تُسقط النون وتضيف ، في الأسماء المبنية من الأفعال ، إذا كانت بمعنى « فعل » ، فأما إذا كانت بمعنى « يفعل وفاعل » ، فشأنها إثبات النون وترك الإضافة .

قيل : لا تدافع بين جميع أهل المعرفة بلغات العرب وألسنها ، في إجازة إضافة الاسم المبني من « فعل ويفعل » وإسقاط النون ، وهو بمعنى « يفعل وفاعل » ، أعنى بمعنى الاستقبال وحال الفعل ولما ينقض . فلا وجه لمسئلة السائل عن ذلك : لم قيل ؟ وإنما اختلف أهل العربية في السبب الذي من أجله أضيف وأسقطت النون .

فقال نحويو البصرة ، أسقطت النون من « ملاقوا ربهم » ، وما أشبهه من الأفعال التي في لفظ الأسماء ، وهي في معنى « يفعل » ، وفي معنى ما لم ينقض ، استقبالا لها وهي مرادة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٨٥ / سورة الأنبياء : ٣٥ / سورة المتكوت : ٥٧] ، وكما قال ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ ﴾ [سورة القمر : ٢٧] ، ولما يرسلها^(١) ، وكما قال الشاعر :

(١) في المطبعة : « ولما يرسلها بهد » .

هل أنت باعثُ دينارٍ لحاجتنا أو عبدَ ربٍّ أخاعونِ بنِ خِرَاقٍ؟^(١)
 فأضاف « باعثاً » إلى « الدينار » ، ولما بيعت ، ونصب « عبدَ ربٍّ » . عطفاً
 على موضع دينار ، لأنه في موضع نصب وإن « خفيض » ، وكما قال الآخر^(٢) : .
 الحافظُ عوزةَ المشيرة ، لا يأتِيهمُ من ورأيهم نطف^(٣)
 بنصب « العورة » وخفضها ، فالحذفُ على الإضافة ، والنصب على حذف
 النون استقلالاً وهي مرادة . وهذا قول نحوي البصرة^(٤) .

• • •

وأما نحويو الكوفة فلأنهم قالوا : جائرٌ في « ملاقو » الإضافة ، وهو في معنى « يلقون » ،
 وإسقاط النون منه ، لأنه في لفظ الأسماء ، فله في الإضافة إلى الأسماء حظ الأسماء .
 وكذلك حكم كل اسم كان له نظيراً . قالوا : وإذا أثبت في شيء من ذلك النون
 وترك الإضافة ، فلنما تفعل ذلك به ، لأن له معنى « يفعل » ، الذي لم يكن ٢٠٨/١
 ولم يجب بعد . قالوا : فالإضافة فيه للفظ ، وترك الإضافة للمعنى .

(١) سيبويه ١ : ٨٧ ، والخازنة ٣ : ٤٧٦ ، والمعنى ٣ : ٥٦٣ . قال صاحب الخازنة :
 « البيت من أبيات سيبويه التي لم يعرف قائلها . وقال ابن خلف : قيل هو لجابر بن رألان السبسي ،
 وسبى أبو حى من طيء . ونسبه غير خلسة سيبويه إلى جرير ، وإلى تأبط شراً ، وإلى أنه مصنوع ،
 والله أعلم بالحال ! » . دينار وعبد رب ، وجلان . والشاهد فيه نصب « عبد رب » على موضع « دينار » ،
 لأن المعنى : هل أنت باعث ديناراً أو عبد رب .

(٢) هو عمرو بن امرئ القيس ، من بني الحارث بن الخزرج ، وهو جد عبد الله بن رواحة
 رضي الله عنه ، جاهل قديم .

(٣) جهرة أشعار العرب : ١٢٧ ، سيبويه ١ : ٩٥ ، واللسان (وكف) والخازنة ٢ :
 ١٨٨ ، ٣٣٧ ، ٤٨٣ / ٣ : ٤٠٠ ، ٤٧٣ . وهو من قصيدة يقولها لماك بن العجلان النجاري في خبر
 مذكور . والعورة : المكان الذي يخاف منه مأتى العدو . والتطف : العيب والريبة ، يقال : هم أهل
 الريب والتطف . وهذه رواية سيبويه والطبري ، وأما رواية غيره فهي : « من ورائنا وكف » ، والوكف :
 العيب والتقص .

(٤) قال سيبويه ١ : ٩٥ : « لم يحذف النون للإضافة ، ولا ليماقب الاسم النون ، ولكن
 حلفها كما حلفها من اللين واللين ، حين طال الكلام ، وكان الاسم الأول متناه الاسم الآخر » .

* * *

فتأويل الآية إذا : واستعينوا على الوفاء بعهدي بالصبر عليه والصلاة ، وإن الصلاة لكبيرة إلا على الخائفين عقابي ، المتواضعين لأمرى ، الموقنين بلفأى والرجوع إلى بعد عماهم .

وإنما أخبر الله جل ثناؤه أن الصلاة كبيرة إلا على من هذه صفته ، لأن من كان غير موقن بمعاد ، ولا مصدق بمرجع ولا ثواب ولا عقاب ، فالصلاة عنده عناء وضلال ، لأنه لا يرجو بإقامتها إدراك نفع ولا دفع ضرر . وحق لمن كانت هذه الصفة صفته أن تكون الصلاة عليه كبيرة ، وإقامتها عليه ثقيلة وله فادحة . وإنما خفت على المؤمنين المصدقين بقاء الله ، الراجين عليها جزيل ثوابه ، الخائفين بتضييعها أليم عقابه ، ليمّا يرجون بإقامتها في معادهم من الوصول إلى ما وعد الله عليها أهلها ، ولما يحلرون بتضييعها ما أوعده مضيعتها . فأمر الله جل ثناؤه أحبار بني إسرائيل الذين خاطبهم بهذه الآيات ، أن يكونوا من مقيمها الراجين ثوابها ، إذا كانوا أهل يقين بأنهم إلى الله راجعون ، وإياه في القيامة ملاقون .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (٤٦)

قال أبو جعفر : و «الماء والميم» اللتان في قوله : «وأنهم» ، من ذكر الخاشعين ، و «الماء» في «إليه» ، من ذكر الرب تعالى ذكره في قوله : «ملاقو ربهم» . فتأويل الكلمة ، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الموقنين أنهم إلى ربهم راجعون .

* * *

ثم اختلف في تأويل «الرجوع» الذي في قوله : «وأنهم إليه راجعون» . فقال بعضهم ، بما : —

٨٦٧ - حدثني به المنفي بن إبراهيم ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : « وأنهم إليه راجعون » ، قال : يستيقنون أنهم يرجعون إليه يوم القيامة .

• • •

وقال آخرون : معنى ذلك : أنهم إليه يرجعون بموتهم .

• • •

وأولى التأويلين بالآية ، القول الذي قاله أبو العالية . لأن الله تعالى ذكره قال في الآية التي قبلها : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون » . فأخبر جل ثناؤه أن مرجعهم إليه بعد نشرهم وإحيائهم من مماتهم ، وذلك لاشك يوم القيامة . فكذاك تأويل قوله : « وأنهم إليه راجعون » .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يٰٓيٰٓسٰٓرُٓوٓيٰٓلَ اذْكُرُوْا نِعْمَتِي الَّتِي اٰنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : وتأويل ذلك في هذه الآية ، نظيرُ تأويله في التي قبلها في قوله : « اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي » . وقد ذكرته هنالك ^(١) .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَاٰنِي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعٰلَمِيْنَ ﴾ ^(١٧)

قال أبو جعفر : وهذا أيضاً مما ذكرهم جل ثناؤه من آلائه ونعمه عندهم . ويعني بقوله : « وائي فضلتكم على العالمين » ، أني فضلت أسلافكم ، فنسب نعيمه على آبائهم وأسلافهم ، إلى أنها نعم منه عليهم ، إذ كانت مآثر الآباء مآثر للأبناء ،

والنعم عند الآباء نعماً عند الأبناء ، لكون الأبناء من الآباء . وأخرج جل ذكره قوله : « وأنى فضلتكم على العالمين » مُخْرِجَ العموم ، وهو يريد به خصوصاً ، لأن المعنى : « وأنى فضلتكم على عَالَمٍ من كنتم بين ظَهْرِيهِ فِي زمانه ^(١) . كالذى : -

٨٦٨ - حدثنا به محمد بن عبد الأعلى الصنعاني قال ، حدثنا محمد بن ثور ،

عن معمر - وحدثنا الحسن بن يحيى قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر -

عن قتادة ، « وأنى فضلتكم على العالمين » ، قال : فضلهم على عالم ذلك الزمان .

٨٦٩ - حدثني الثني قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ،

عن أبي العالية : « وأنى فضلتكم على العالمين » قال : بما أعطوا من الملك والرُّسل

٢٠٩/١ والكعب ، على عالم من كان في ذلك الزمان ، فإن لكل زمان عالماً .

٨٧٠ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

ابن جريج قال ، قال مجاهد في قوله : « وأنى فضلتكم على العالمين » ، قال : على من هم بين ظهرانيه

٨٧١ - وحدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ،

عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد قال : على من هم بين ظهرانيه .

٨٧٢ - وحدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ،

سألت ابن زيد عن قول الله : « وأنى فضلتكم على العالمين » ، قال : عالم أهل ذلك

الزمان . وقرأ قول الله ﴿ وَلَقَدْ اخْتَرْنَاكُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴾ ، [سورة الدخان : ٣٢]

قال : هذه لمن أطاعه واتبع أمره ، وقد كان فيهم القردة ، وهم أبغض خلقه إليه ، وقال

لهذه الأمة : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ، [سورة آل عمران : ١١٠] قال :

(١) انظر ١ : ١٤٣ - ١٤٦ ، ثم ١٥١ - ١٥٢ . يقال لكل ما كان في وسط شيء ومعظمه :

« هو بين ظهرينا وظهرانيه » على تقدير أنه مقيم بين ظهر من ورائه وظهر من أمامه ، فهو مكتوف من جانبيه ، ثم كثر حتى استعمل في الإقامة بين القوم مطلقاً . ويقال أيضاً : « هو بين أظهرهم مقيم » بهذا المعنى . ويقال أيضاً : « لقيته بين ظهراني الليل » ، أي بين العشاء والفجر ، وعلى هذا فقس استعمال هذه الكلمة .

هذه لمن أطاع الله ، واتبع أمره ، واجتنب محارمه .

• • •

قال أبو جعفر : والدليل على صحة ما قلنا من أن تأويل ذلك على الخصوص

الذى وصفنا ما :-

٨٧٣- حدثني به يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن علية - وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر - جميعاً ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا إنكم وقَّيْتُمْ سبعين أمة - قال يعقوب في حديثه : أنتم آخرها - وقال الحسن : أنتم خيرُها وأكرمُها على الله ^(١) .

• • •

فقد أنبأ هذا الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن بني إسرائيل لم يكونوا مفضلين على أمة محمد عليه السلام ، وأن معنى قوله : ﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ، [سورة الباقية : ١٦ ، وقوله : « وأنى فضَّلْتُكم على العالمين » ، على ما بيننا من تأويله .

(١) الحديث : ٨٧٣ - بهز ، بفتح الباء وسكون الهاء : هو ابن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري . وهو ثقة ، وثقه ابن معين وابن المديني وغيرهما ، ولا حجة لمن تكلم فيه ، وقد ترجمه البخاري في الكبير ١ / ٢ / ١٤٢ - ١٤٣ ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١ / ١ / ٤٣٠ - ٤٣١ . بل أخرج له البخاري في الصحيح تعليقاً ، كما ذكر الحافظ في الإصابة ٦ : ١١٢ ، في ترجمة جده . أبوه حكيم بن معاوية : تابعي ثقة ، ترجمه البخاري ٢ / ١ / ١٢ ، وابن أبي حاتم ٢ / ١ / ٢٠٧ . وجده معاوية بن حيدة : صحابي ثابت الصحة ، قال ابن سعد في الطبقات ٧ / ١ / ٢٢ : « وقد على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلم وصحبه ، وسأله عن أشياء ، وروى عنه أحاديث » . وترجمه البخاري ٤ / ١ / ٣٢٩ ، وقال : « سمع النبي صلى الله عليه وسلم » .

وهذا الحديث رواه الطبري هنا بإسنادين : من طريق ابن علية عن بهز ، ومن طريق معمر بن راشد عن بهز . وسيأتي بهذين الإسنادين منفصلين (٤ : ٣٠ بولاق) .

ورواه الترمذي ٤ : ٨٢ - ٨٣ ، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن بهز ، عن أبيه ، عن جده : « أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ، في قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ، قال : أنتم تسمون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله » . ثم قال الترمذي : « هذا حديث حسن . وقد روى غير واحد هذا الحديث عن بهز بن حكيم ، نحو هذا ، ولم يذكروا فيه (كنتم خير أمة أخرجت للناس) » .

وقد أتينا على بيان تأويل قوله : « العالمين » بما فيه الكفاية في غير هذا الموضع ،
فأغنى ذلك عن إعادته (١) .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾

قال أبو جعفر : وتأويل قوله : « واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً » :
واتقوا يوماً لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئاً . وجائز أيضاً أن يكون تأويله ، واتقوا
يوماً لا تجزيه نفس عن نفس شيئاً ، كما قال الراجز :

قَدْ صَبَّحْتُ ، صَبَحَهَا السَّلَامُ ، بِكَيْدٍ خَالَطَهَا سَنَامُ
فِي سَاعَةٍ يُحِبُّهَا الطَّعَامُ (٢)

وهو يعني : يُحب فيها الطعام . فحذفت « الهاء » الراجعة على اليوم ، إذ فيه اجتراء

ورواه ابن ماجة : ٤٢٨٨ ، من طريق ابن علية ، عن هز .

ورواه الإمام أحمد في المسند (٥ : ٣ حلي) ، عن يزيد بن هرون ، عن هز . ورواه (٥ : ٥) ،
عن يحيى القطان ، عن هز .

ورواه الدارمي ٢ : ٣١٣ ، عن النضر بن شميل ، عن هز .

ورواه ابن ماجة أيضاً : ٤٢٨٧ ، من طريق ابن شاذب ، عن هز .

ثم لم ينفرد به هز عن أبيه حكيم ، إذ رواه أيضاً سعيد بن إلياس الجريدي : فرواه الإمام أحمد
(٤ : ٤٤٧) ، عن عفان ، عن حماد بن سلمة ، عن الجريدي ، عن حكيم بن مياوية ، عن أبيه ،
بنحوه . ورواه أيضاً مطولاً (٥ : ٣) ، عن حسن بن موسى ، عن حماد بن سلمة ، عن الجريدي .
والحديث ذكره ابن كثير ١ : ١٦٠ ، نسبه إلى « المسانيد والسنن » . ثم ذكره مرة أخرى ٢ :
٢١٤ ، عن « مسند الإمام أحمد ، وجامع الترمذي ، وسنن ابن ماجة ، ومستدرک الحاكم » . ثم قال عقبه :
« وهو حديث مشهور . وقد حسنه الترمذي » .

(١) انظر ما سلف ١ : ١٤٣ - ١٤٦ .

(٢) الكامل ١ : ٢٢ ، وأمال ابن الشجري ١ : ٦ ، ١٨٦ وغيرهما . صبح القوم : سقام
الصبح ، وهو ما يشرب صباحاً من لبن أو خر . يدهو لها بالخير من حسن ما أطعمته حل مستبدة كابدتها .

— بما ظهر من قوله : « واتقوا يوماً لا تجزى نفس » ، الدال على المحذوف منه — عما حذف . إذ كان معلوماً معناه .

وقد زعم قوم من أهل العربية أنه لا يجوز أن يكون المحذوف في هذا الموضع إلا « الماء » . وقال آخرون لا يجوز أن يكون المحذوف إلا « فيه » . وقد دللنا فيما مضى على جواز حذف كل ما دل الظاهر عليه ^(١) .

• • •

وأما المعنى في قوله : « واتقوا يوماً لا تجزى نفس » عن نفس شيئاً ، فإنه تحذير من الله تعالى ذكره عباده الذين خاطبهم بهذه الآية — عقوبته أن تحل بهم يوم القيامة ، وهو اليوم الذى لا تجزى فيه نفس عن نفس شيئاً ، ولا يجزى فيه والد عن ولده ولا مولود عن والده شيئاً ^(٢) .

• • •

وأما تأويل قوله : « لا تجزى نفس » ، فإنه يعنى : لا تغنى كما : — ٨٧٤ — حدثني به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى : « واتقوا يوماً لا تجزى نفس » : أما « تجزى » ، فتغنى .

• • •

وأصل «الجزاء» — في كلام العرب — : القضاء والتعويض . يقال : «جزيت» قرضه ودينه أجزيه «جزاء» ، بمعنى قضيته دينه . ومن ذلك قيل : «جزى الله فلاناً عني خيراً أو شراً» ، بمعنى أثابه عني ، وقضاه عني ما لزمي له بفعله الذى سلف منه إلى . وقد قال قوم من أهل العلم بلغة العرب : «يقال أجزيت عنه كذا» ٢١٠/١ إذا أعتته عليه ، و«جزيت عنك فلاناً» إذا كافأته .

وقال آخرون منهم : بل «جزيت عنك» ، قضيت عنك . و«أجزيت» ، كفيت .

(١) انظر ١ : ١٣٩ - ١٤١ ، ١٧٩ ، وانظر لسان العرب (جزى) .

(٢) تفسين من آية سورة لقمان : ٣٣ .

وقال آخرون منهم : بل هما بمعنى واحد ، يقال : «جزت عنك شاة» وأجزت ،
 وجزى عنك درهم» وأجزى ، ولا تجزى عنك شاة ولا تجزى ، بمعنى واحد . إلا
 أنهم ذكروا أن «جزت عنك ، ولا تجزى عنك» من لغة أهل الحجاز ، وأن
 «أجزأ وتجزى» من لغة غيرهم . وزعموا أن تيمناً خاصة من بين قبائل العرب
 تقول : «أجزأت عنك شاة ، وهي تجزى عنك» .
 وزعم آخرون أن «جزى» بلا همز ، قضى . «وأجزأ» بالهمز ، كافاً^(١) .

* * *

فمضى الكلام إذًا : واتقوا يوماً لا تقضى نفس عن نفس شيئاً ولا تغنى عنها غنى.

* * *

فلن قال لنا قائل : وما معنى : لا تقضى نفس عن نفس ولا تغنى عنها غنى؟
 قيل : هو أن أحدنا اليوم ربماً قضى عن ولده أو والده أو ذى الصداقة
 والقرابة - دینه . وأما فى الآخرة فإنه - فيما أتتنا به الأخبار عنها - يسر الرجل
 أن يبرّد له على ولده أو والده حتى^(٢) . وذلك أن قضاء الحقوق فى القيامة من
 الحسنات والسيئات ، كما :

٨٧٥ - حدثنا أبو كريب ونصر بن عبد الرحمن الأزدي قالا ، حدثنا المحاربى ،
 عن أبي خالد الدالانى يزيد بن عبد الرحمن ، عن زيد بن أبى أنيسة ، عن سعيد
 ابن أبى سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم
 الله عبداً كانت عنده لأخيه مظلمة فى عرض - قال أبو كريب فى حديثه : أو مال ،
 أو جاه - فاستحلّه قبل أن يؤخذ منه ، وليس ثم دينار ولا درهم ، فإن كانت
 له حسنات أدخلوا من حسناته ، وإن لم تكن له حسنات حملوا عليه من
 سيئاتهم^(٣) .

(١) انظر ما جاء فى ذلك فى لسان العرب (جزى) ، والذى جاء به الطبرى أم وأبين .

(٢) برد عليه حتى : وجب ولزم . وبرد لى عليه كذا وكذا : أى ثبت . ويقال : لى عليه
 ألف بارد ، أى ثابت .

(٣) الحديث : ٨٧٥ - هذا إسناد صحيح . نصر بن عبد الرحمن الأزدي : سبق فى : ٤٢٣ ،

٨٧٦ - حدثنا أبو عثمان المقدسي قال ، حدثنا القسري ، قال حدثنا مالك ، عن

المقبري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه^(١) .

٨٧٧ - حدثنا خلاد بن أسلم قال ، حدثنا أبو همام الأهوازي قال ، أخبرنا عبد الله

بن سعيد ، عن سعيد ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه^(٢) .

وأثبت في الشرح هناك « التاجي » ، وهو سهو ، صوابه « التاجي » بالنون . و « الأزدى » بالزاي ، وفي المطبوعة هنا « الأودي » بالواو ، وهو خطأ . المحاربي : هو عبد الرحمن بن محمد ، سبق في : ٢٢١ . أبو خالدة الدالاني ، يزيد بن عبد الرحمن : تكلموا فيه ، والحق أنه ثقة ، وثقه أبو حاتم وغيره ، وترجمه البخاري في الكبير ٤ / ٢ / ٣٤٦ - ٣٤٧ ، وابن أبي حاتم ٤ / ٢ / ٢٧٧ ، فلم يذكر في جرحاً . وهو مترجم في التهذيب في الكنى ، لخلاف في اسم أبيه ، ولكن رجح الترمذي والطبري ما ذكرنا ، وكذلك رجح البخاري وابن أبي حاتم . « الدالاني » في المطبوعة هنا « الدولاني » ، وهو خطأ ، مصحناه من المخطوطة .

والحديث رواه الترمذي ٣ : ٢٩٢ ، عن هناد ، ونصر بن عبد الرحمن ، كلاهما عن المحاربي ، بهذا الإسناد . ثم قال : « هذا حديث حسن صحيح . وقد روى مالك بن انس ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه » . وقوله أثناء الحديث « قال أبو كريب » ، في المطبوعة « قال أبو بكر » ، وهو خطأ واضح ، صحته من المخطوطة .

(١) الحديث : ٨٧٦ - هو الحديث السابق ، بمعناه ، ولكن من رواية مالك . وهي الرواية التي نقلنا إشارة الترمذي إليها .

أبو عثمان المقدسي - بضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال المهملة المفتوحة : وهو أحمد بن محمد بن أبي بكر ، نسب إلى « مقدم » أحد أجداده . وهو ثقة ، ترجمه ابن أبي حاتم ١ / ١ / ٧٣ ، وقال : « سمعت منه بحكمة ، وهو صدوق » ، وترجمه السمعاني في الأنساب ، في الورقة : ٥٣٩ ، والخطيب في تاريخ بغداد ٤ : ٣٩٨ - ٣٩٩ ، مات سنة ٢٦٤ . الفروي : بفتح الفاء وسكون الراء ، نسبة إلى أحد أجداده ، وفي المطبوعة بالقاف بدل الفاء ، وهو تصحيف . وهو : إسحق بن محمد بن أبي فروة ، أحد الرواة عن مالك ، وأحد شيوخ البخاري ، وهو ثقة ، تكلم فيه بعضهم بغير حجة . وقد رجحنا توثيقه في شرح المسند : ٧٤٢٥ .

والحديث من طريق مالك : رواه البخاري ١١ : ٣٤٣ - ٣٤٤ (فتح الباري) ، عن إسماعيل - وهو ابن أبي أويس ، ابن أخت مالك ونسيبه - عن مالك . ورواه أحمد في المسند : ٩٦١٣ (٢ : ٤٣٥ حلبي) ، من طريق مالك وابن أبي ذئب ، كلاهما عن المقبري . ثم رواه أيضاً : ١٠٥٨٠ (٢ : ٥٠٦) ، من طريق ابن أبي ذئب . ورواه البخاري أيضاً ٥ : ٧٣ ، من طريق ابن أبي ذئب . وأوله في هذه الروايات : « من كانت عنده مظلمة . . . » ، فذكر نحوه ، بمعناه .

(٢) الحديث : ٨٧٧ - هو الحديث السابق ، بنحوه ، من طريق أخرى . أبو همام الأهوازي : هو محمد بن الزبيرقان ، وهو ثقة ، وترجمه البخاري في الكبير ١ / ١ / ٨٧ ، وقال : « معروف الحديث » ، ابن أبي حاتم ٣ / ٢ / ٢٦٠ ، وأخرج له الشيوخان في الصحيحين .

٨٧٨ - حدثني موسى بن سهل الرملي قال ، حدثنا نعيم بن حماد قال ، حدثنا عبد العزيز الدراوردي ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يموتن أحدكم وعليه دين ، فإنه ليس هناك دينار ولا درهم ، إنما يفتسمون هنالك الحسنات والسيئات . وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده يمينا وشمالا^(١) .

٨٧٩ - وحدثني محمد بن إسحق قال ، حدثنا سلم بن قادم ، قال حدثنا أبو معاوية هاشم بن عيسى ، قال أخبرني الحارث بن مسلم ، عن الزهري ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحو حديث أبي هريرة^(٢) .

• • •

قال أبو جعفر : فذلك معنى قوله جل ثناؤه : « لا تجزى نفس عن نفس شيئا » .

عبد الله بن سعيد : أنا أرجح أنه « عبد الله بن سعيد بن أبي هند » ، وهو ثقة . وبميد أن يكون « عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري » ، إذ ياباه سباق الإسناد ، لو كان إياه لكان « عبد الله بن سعيد عن أبيه » . أما وهو « عبد الله بن سعيد عن سعيد » - فالظاهر أنه غير ابن سعيد المقبري . والحديث صحيح بكل حال ، بالأسانيद السابقة .

(١) الحديث : ٨٧٨ - هذا إسناد صحيح متصل عن ابن عباس ، ولم أجده في مسند الإمام أحمد ، ولا في الكتب الستة ، ولا في مجمع الزوائد ، ولا أشار إليه الترمذي في قوله « وفي الباب » . فهو فائدة زائدة ، يستفاد من رواية أبي جعفر رحمه الله .

(٢) الحديث : ٨٧٩ - هذا إسناد فيه إشكال لم أستطع تحقيقه .

أما « سلم بن قادم » : فإنه « سلم » بفتح السين وسكون اللام . وفي المطبوعة هنا « سالم » بالالف بعد السين ، وهو خطأ . وسلم هذا : بغدادى ثقة ، يروى عن سفيان بن عيينة ، وبقيّة بن الوليد ، وغيرهما . ترجمه ابن أبي حاتم ٢ / ١ / ٢٦٨ ، والخطيب في تاريخ بغداد ٩ : ١٤٥ - ١٤٦ . وله ترجمة موجزة في لسان الميزان ٣ : ٦٥ .

وأبو معاوية هاشم بن عيسى : هو هاشم بن أبي هريرة الحمصي ، اشتهر بالانتساب إلى كنية أبيه ، أخى « هاشم بن أبي هريرة » . ترجمه ابن أبي حاتم ٤ / ٢ / ١٥٥ ، ولم يذكر فيه جرحاً . وله ترجمة غير محررة في لسان الميزان ٦ : ١٨٤ ، ذكر فيها اسم الراوى عنه « مسلم بن قادم » ، وهو تحريف . وأما الإشكال في الإسناد ، ففي « الحارث بن مسلم » ، الراوى هنا عن الزهري . فما أدري من ذا ؟ ولا ما صحته ؟ ولعل فيه تحريفاً لم أستطع إدراكه . ثم لم أجده في الحديث من حديث أنس قط ، بعد طول البحث والتنقيب . وهناك في المستدرک للحاكم ٤ : ٥٧٦ ، حديث آخر لأنس ، من وجه آخر ، فيه بعض هذا المعنى . إسناده ضعيف .

يعنى : أنها لا تقضى عنها شيئاً لزمها لغيرها ، لأن القضاء هنالك من الحسنات والسيئات على ما وصفنا . وكيف يقضى عن غيره ما لزمه ، مَنْ كان يسره أن يثبت له على ولده أو والده حق ، فيؤخذ منه ولا يُتجافى له عنه ؟ (١)

* * *

وقد زعم بعض نحويي البصرة أن معنى قوله : « لا تجزى نفس* عن نفس شيئاً » : لا تجزى منها أن تكون مكانها .

وهذا قولٌ يشهد ظاهر القرآن على فسادهِ (٢) . وذلك أنه غير معقول في كلام العرب أن يقول القائل : « ما أغنيت عنى شيئاً » ، بمعنى ما أغنيت منى أن تكون مكانى . بل إذا أرادوا الخبر عن شيء أنه لا يجزى من شيء قالوا : « لا يجزى هذا من هذا » ، ولا يستجيزون أن يقولوا : « لا يجزى هذا من هذا شيئاً » . فلو كان تأويل قوله : « لا تجزى نفس* عن نفس شيئاً » ما قاله من حكينا قوله ، لقال : واتقوا يوماً لا تجزى نفس* عن نفس ، كما يقال : لا تجزى نفس* من ٢١١/١ نفس ، ولم يقل : « لا تجزى نفس* عن نفس شيئاً » . وفي صحة التزيل بقوله : « لا تجزى نفس عن نفس شيئاً » ، أوضح الدلالة على صحة ما قلنا ، وفساد قول من ذكرنا قوله في ذلك (٣) .

* * *

القول في تأويل قوله عز وجل ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ ﴾

قال أبو جعفر : و« الشفاعة » مصدر من قول الرجل : « شفع لى فلان » إلى فلان شفاعة (٤) ، وهو طلبه إليه في قضاء حاجته . وإنما قيل للشفيع « شفيع » و« شافع » ، لأنه (١) في المطبوعة : « فيأخذه منه » ، والذي في المخطوطة أرب . تجافى له عن الشيء : أعرض عنه ولم يلزمه بطلبه ، وتجاوز له عنه .

(٢) انظر ما مضى في معنى « ظاهر » ١ ، ٧٢ ، تمليق : ٢ ، وهذا الجزء ٢ : ١٥ .

(٣) هذا من جيد البيان عن معاني اللغة ، وهو منهج من النظر سبق به الطبري كل من تكلم في الفصل بين معاني الكلام العربي .

(٤) في المخطوطة : « شفع لى فلان شفاعة » بال حذف .

ثَنَّى الْمُسْتَشْفِعَ بِهِ فَصَارَ بِهِ شَفَعًا^(١) ، فَكَانَ ذُو الْحَاجَةِ - قَبْلَ اسْتِشْفَاعِهِ بِهِ فِي حَاجَتِهِ - قَرْدًا ، فَصَارَ صَاحِبُهُ لَهُ فِيهَا شَافِعًا ، وَطَلَبُهُ فِيهِ وَفِي حَاجَتِهِ شَفَاعَةٌ . وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الشَّفِيعُ فِي الدَّارِ وَفِي الْأَرْضِ «شَفِيعًا» ، لِمَصِيرِ الْبَائِعِ بِهِ شَفَعًا^(٢) .

* * *

فَتَأْوِيلُ الْآيَةِ إِذَا : وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَقْضِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ حَقًّا لَزِمَهَا اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَلَا لغيره ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهَا شَفَاعَةَ شَافِعٍ ، فَيَتْرَكُ لَهَا مَا لَزِمَهَا مِنْ حَقٍّ .

وَقِيلَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَاطَبُ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ بِمَا خَاطَبَهُمْ بِهِ فِيهَا ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ : نَحْنُ أَوْلَادُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ وَأَوْلَادُ أَنْبِيَائِهِ ، وَسَيُشْفَعُ لَنَا عِنْدَهُ آبَاؤُنَا . فَأَخْبَرَهُمُ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ أَنَّ نَفْسًا لَا تَجْزِي عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا فِي الْقِيَامَةِ ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ أَحَدٌ فِيهَا ، حَتَّى يُسْتَوْفَى لِكُلِّ ذِي حَقٍّ مِنْهَا حَقُّهُ . كَمَا :-

٨٨٠ - حَدَّثَنِي عَبَّاسُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَالَ ، حَدَّثَنَا حِجَّاجُ بْنُ نَصِيرٍ ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ الْعَوَامِ بْنِ مَرَجٍ - رَجُلٍ مِنْ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ - ، عَنْ أَبِي عُمَانَ النَّهْدِيِّ ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْجَمَاءَ لَتَقْتَصَّ مِنْ الْقِرْنَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَتَصْعُقُ الْمُؤَاذِينَ الْقِسْطَ لَيَوْمٍ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنْفَى بَنَى حَاسِبِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٤٧] ^(٣)

(١) فِي الْمَطْبُوعَةِ : « الْمُسْتَشْفِعَ لَهُ » ، وَهُوَ خَطَأٌ ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ تَمَامُ الْكَلَامِ .
(٢) قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ فِي تَفْسِيرِ « الشَّفْعَةِ » : « كَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، إِذَا أَرَادَ بَيْعَ مَنْزِلٍ ، أَتَاهُ رَجُلٌ شَفَّعَ إِلَيْهِ فِيمَا بَاعَ ، فَشَفَّعَهُ وَجَعَلَهُ أَوَّلَ بِالْبَيْعِ مِنْ بَعْدِ سَبَبِهِ . فَسَمِيَتْ شَفْعَةً ، وَسُمِّيَ طَالِبُهَا شَفِيعًا » . وَالشَّفْعَةُ فِي الدَّارِ وَالْأَرْضِ : الْقَفْضُ بِهَا لِصَاحِبِهَا (اللسان : شَفْعٌ) .

(٣) الْحَدِيثُ : ٨٨٠ - عَبَّاسُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : هُوَ عَبَّاسُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبُرْقَانَ الْبَغْدَادِيُّ ، وَهُوَ ثِقَةٌ ، مُتَرَجِّمٌ فِي التَّهْذِيبِ ، تَرَجَمَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ٣ / ١ / ٢١٥ ، وَالْخَطِيبُ فِي تَارِيخِ بَغْدَادٍ ١٢ : ٤١١ - ١٤٢ . « الْعَوَامُ بْنُ مَرَجٍ » : بِالرَّاءِ وَالْجِيمِ ، ثَبَتَ فِي الْأَصُولِ « مَرَّاحِمُ » بِالزَّيِّ وَالْحَاءِ ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ . وَالْحَدِيثُ ضَعِيفُ الْإِسْنَادِ ، مِنْ أَجْلِ حِجَّاجِ بْنِ نَصِيرٍ الْفَسَاطِطِيِّ . وَقَدْ رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ ، فِي الزَّوَائِدِ عَلَى الْمُسْنَدِ : ٥٢٠ ، عَنْ عَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَأَبِي يَحْيَى الْبَزَارِ ، كِلَاهُمَا عَنْ حِجَّاجِ بْنِ نَصِيرٍ . وَقَدْ فَصَّلْنَا الْقَوْلَ فِي ضَمْنِهِ هُنَاكَ

فآيسهم جل ثناؤه مما كانوا أطعموا فيه أنفسهم ، من النجاة من عذاب الله — مع تكذيبهم بما عرفوا من الحق ، وخلافهم أمر الله في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من عنده — بشفاعة آبائهم وغيرهم من الناس كلهم ، وأخبرهم أنه غير نافعهم عنده إلا التوبة إليه من كفرهم ، والإنابة من ضلالهم . وجعل ما سن فيهم من ذلك إماماً لكل من كان على مثل منهاجهم ، لتلاطم ذو الحاد في رحمته ^(١) . وهذه الآية ، وإن كان مخرجها عاماً في التلاوة ، فإن المراد بها خاص في التأويل ، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « شفاعة لأهل الكبائر من أمي » وأنه قال : « ليس من نبي إلا وقد أعطى دعوة » ، وإن اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي ، وهي نائلة إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئاً ^(٢) . فقد تبين بذلك أن الله جل ثناؤه قد يصفح لعباده المؤمنين — بشفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لهم — عن كثير من عقوبة إجرامهم بينهم وبينه ، وأن قوله : « ولا يقبل منها شفاعة » ، إنما هي لمن مات على كفره غير تائب إلى الله عز وجل . وليس هذا من مواضع الإطالة في القول في الشفاعة والوعد والوعيد ، فنستقصي الحجاج في ذلك . وسنأتي على ما فيه الكفاية في مواضعه إن شاء الله .

• • •

وأما معناه فصحيح ثابت ، من حديث أبي هريرة ، رواه أحمد في المسند : ٧٢٠٣ . ورواه مسلم ، والترمذي ، وصححه .

والجاء : لا قرن لها . و « القرناء » : ذات القرن .

(١) في المطبوعة : « في رحمة الله » ، وليست بجيدة .

(٢) حديث : « شفاعة لأهل الكبائر من أمي » : هكذا ذكره الطبري دون إسناد . وهو حديث صحيح ، ذكره السيوطي في الجامع الصغير ، ونسبه لأحمد ، وأبي داود ، والترمذي ، وابن حبان ، والحاكم — عن أنس . والترمذي ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم — عن جابر . انظر شرح المنار الكبير ، رقم ٤٨٩٢ (ج ٤ ص ١٦٣) .

وحديث « ليس من نبي » إلخ : كذلك جاء به الطبري دون إسناد . ومعناه ثابت صحيح ، من حديث أنس بن مالك ، رواه البخاري ، ومسلم . انظر الترغيب والترهيب ٤ : ٢١٣ .

(٣) في المطبوعة : « إجرامهم بينه وبينهم » ، والتي في المخطوطة هو الصواب الجيد .

ج ٢ (٣)

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾

قال أبو جعفر : و«العَدْل» - في كلام العرب ، بفتح العين - الفدية ، كما :-

٨٨١ - حدثنا به المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ،

عن الربيع ، عن أبي العالية : « ولا يؤخذ منها عدل » ، قال : يعني فداء .

٨٨٢ - حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا

أسباط بن نصر ، عن السدي : « ولا يؤخذ منها عدل » ، « آما عدل » : فيعلمها ،

من العدل : يقول لو جاءت بملء الأرض ذهباً تفتدي به ما تقبل منها .

٨٨٣ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن

٢١٢/١

قتادة ، في قوله : « ولا يؤخذ منها عدل » ، قال : لو جاءت بكل شيء لم يقبل منها .

٨٨٤ - حدثنا القاسم بن الحسن قال ، حدثنا حسين ، قال حدثني حجاج ، عن

ابن جريج قال ، قال مجاهد : قال ابن عباس : « ولا يؤخذ منها عدل » ، قال : بذلك ،

والبدل : الفدية .

٨٨٥ - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن

زيد : « ولا يؤخذ منها عدل » ، قال : لو أن لها ملء الأرض ذهباً لم يقبل منها فداء .

قال : ولو جاءت بكل شيء لم يقبل منها .

٨٨٦ - حدثني نجيع بن إبراهيم قال ، حدثنا علي بن حكيم قال ، حدثنا

حميد بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن عمرو بن قيس الملائي ، عن رجل من بني

أمية - من أهل الشام أحسن عليه الثناء - قال : قيل يا رسول الله : ما العدل ؟

قال : العدلُ القدية^(١) .

(١) الحديث : ٨٨٦ - نجيع بن إبراهيم : لم أجد في كل المراجع التي بين يدي ، غير ترجمة

« نجيع بن إبراهيم بن محمد الكرماني » ، في لسان الميزان ٦ : ١٤٩ ، وأنه كوفي ثقة ، يروي عن أبي نعيم فهو من طبقة شيوخ الطبري . فالراجع أنه هو ، حل بن حكيم - بفتح الحاء - هو الأودي الكوفي ، وهو

وإنما قيل للفدية من الشيء والبدل منه : « عدل » ، لمعادلته إياه وهو من غير جنسه ، ومصيره له مثلاً ، من وجه الجزاء ، لا من وجه المشابهة في الصورة والحلقة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا ﴾ [سورة الأنعام : ٧٠] ، بمعنى : وإن تعد كل فدية لا يؤخذ منها ^(١) .

يقال منه : « هذا عدله وعديله » . وأما « العدل » - بكسر العين - فهو مثل الحمل المحمول على الظهر . يقال من ذلك : « عندى غلام عدل » ، غلامك ، وشاة عدل شاتك - بكسر العين - إذا كان غلامٌ يعدلُ غلاماً ، وشاة تعدل شاة ^(٢) . وكذلك ذلك في كل مثل للشيء من جنسه . فإذا أريد أن عنده قيمته من غير جنسه ، نُصبت العين ، فقيل : « عندى عدل شاتيك » من الدراهم . وقد ذكر عن بعض العرب أنه يكسر العين من « العدل » الذى هو بمعنى الفدية ، لمعادلة ما عادله من جهة الجزاء ، وذلك لتقارب معنى العدل والعدل عندهم . فأما واحد « الأعدال » ، فلم يسمع فيه إلا « عدل » بكسر العين ^(٣) .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ (٤٨)

وتأويل قوله : « ولا هم يُنصرون » ، يعنى أنهم يومئذ لا ينصرهم ناصر ، كما لا يشفع لهم شافع ، ولا يُقبل منهم عدلٌ ولا فدية . بطلت هنالك المحاباة ،

ثقة من شيوخ البخارى ومسلم . حميد بن عبد الرحمن بن حيد الرواسى ، وأبوه : ثقتان . عمرو بن قيس الملائي - بضم الميم وتخفيف اللام - الكوفى : ثقة من أتباع التابعين . وقد روى هذا الحديث مرفوعاً ، عن رجل أبهم اسمه وأقنى عليه ، والراجح أنه تابعى . فيكون الإسناد مرسلأ أو منقطعاً ، فهو ضعيف . ولم أجده عن غير الطبرى ، فقله عنه ابن كثير ١ : ١٦١ ، والسيوطى ١ : ٦٨ .

(١) الجملة في تفسير الآية ، ساقط من المخطوطة .

(٢) وهذه الجملة في المخطوطة جاءت هكذا : « يقال من ذلك : عندى غلام عدل غلاماً ، وشاة عدل شاة » ، واكتفى بهذا القدر منها ، مع الخطأ البين فيها .

(٣) وهذا أيضاً بيان جيد ، قلما تصيبه في كتاب من كتب اللغة .

واضمحلت الرُشَى والشفاعات ، وارتفع بين القوم التعاون والتناصر^(١) ، وصار الحكم إلى العدل الجبار الذى لا ينفع لديه الشفعاء والنُصراء ، فيجزى بالسيئة مثلها وبالحسنة أضعافها ، وذلك نظير قوله جل ثناؤه : ﴿ وَفَوْهُمُ إِنَّهُمْ مُسْتَوْلُونَ ﴾ . مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ . بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ [سورة الصافات : ٢٤ - ٢٦] وكان ابن عباس يقول فى معنى « لا تناصرون » ، ما :-

٨٨٧ - حدثت به عن المنجاب قال ، حدثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « ما لكم لا تناصرون » ، ما لكم لا تمانعون منا ؟ هيات ليس ذلك لكم اليوم !^(٢)

• • •

وقد قال بعضهم فى معنى قوله : « ولا هُم يُنصرون » ، وليس لهم من الله يومئذ نصيرٌ ينتصر لهم من الله إذا عاقبهم . وقد قيل : « ولا هم ينصرون » ، بالطلب فيهم والشفاعة والفدية .

• • •

قال أبو جعفر : والقول الأول أولى بتأويل الآية ، لما وصفنا من أن الله جل ثناؤه إنما أعلم المخاطبين بهذه الآية ، أن يوم القيامة يومٌ لا فدية - لمن استحق من خلقه عقوبته - ولا شفاعة فيه ، ولا ناصر له . وذلك أن ذلك قد كان لهم فى الدنيا ، فأخبر أن ذلك يوم القيامة معدومٌ لا سبيل لهم إليه .

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾

أما تأويل قوله : « وإذ نجيناكم » ، فإنه عطف على قوله : « يا بني إسرائيل اذكروا نعمتى » . فكأنه قال : اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ، واذكروا

(١) فى المطبوعة : « وارتفع من القوم » ، وهو خطأ . وارتفع هنا : بمعنى ذهب وانقضى ، مجاز من الارتفاع ، وهو الملو .

(٢) الأثر : ٨٨٧ - لم يذكره فى تفسير الآية من سورة الصافات ، انظر (٢٣ : ٣٢ بولاق)

إِنْعَامَنَا عَلَيْكُمْ — إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ — يَلْجَأُنَاكُمْ مِنْهُمْ ^(١) .

• • •

وأما «آل فرعون» ، فإنهم أهلُ دينه وقومه وأشياعه .

وأصل «آل» ، أهل ، أبْدَلَتِ الماءَ همزةً ، كما قالوا «ماء» ^(٢) فأبدلوا الماءَ همزةً ،

فلَإِذَا صَغَّرُوهُ قَالُوا : «مُوَيْه» فردوا الماءَ في التصغير . وأخرجوه على أصله . وكذلك ٢١٢/١

إِذَا صَغَّرُوا «آل» ، قالوا «أهْيَل» . وقد حكى سماعاً من العرب في تصغير

«آل» «أويل» ^(٣) . وقد قيل : «فلان من آل النساء» ^(٤) ، يراد به أنه منهن

خلق . ويقال ذلك أيضاً بمعنى أنه يريدُهنَّ ويهواهنَّ ، كما قال الشاعر .

فَإِنَّكَ مِنْ آلِ النِّسَاءِ ، وَإِنَّمَا يَكُنْ لِأُذُنِي؛ لَا وَصَالَ لِعَائِبِ ^(٥)

وأحسن أماكن «آل» أن يُنطقَ به مع الأسماء المشهورة ، مثل قولهم :

آل النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وآل علي ، وآل عباس ، وآل عَقِيل . وغيرُ مستحسن

استعماله مع المجهول وفي أسماء الأرضين وما أشبه ذلك . غيرُ حسن عند أهل العلم

بلسان العرب أن يقال : رَأَيْتُ آلَ الرَّجُلِ ورَأَيْتُ آلَ الْمَرْأَةِ — ولا — : رَأَيْتُ

آلَ الْبَصْرَةِ وآلَ الْكُوفَةِ . وقد ذُكرَ عن بعض العرب سماعاً أنها تقول : «رَأَيْتُ

آلَ مَكَّةَ ، وآلَ الْمَدِينَةِ» . وليس ذلك في كلامهم بالفصحى المستعمل ^(٦) .

• • •

(١) في المطبوعة : «يَلْجَأُنَاكُمْ لَكُمْ مِنْهُمْ» ، غير أنه يستقيم وما ألفوه من دارج الكلام .

(٢) في المطبوعة : «كما قالوا : ماء» ، وهو خطأ بين .

(٣) انظر مادة (أهل) و (أول) في لسان العرب .

(٤) في المطبوعة : «وقد يقال : فلان . . .» .

(٥) لم أجِدَ البيت ولم أحرف قائله ، وقوله : «يَكُنْ لِأُذُنِي» ، يعني للداني القريب الحاضر ،

يصلن حباله بالمودة ، أما العائِب فقد تقطعت حباله . وتلك شيمتين ، استغفر الله بل شيمة أبناء أبيتنا آدم .

(٦) في المطبوعة : «بالمستعمل الفصحى» .

وأما « فرعون » فإنه يقال إنه اسمٌ كانت مُلوك العماليقة بمصر تسمّى به ، كما كانت مُلوك الروم يسمّى بعضهم « قيصر » ، وبعضهم « هِرَقْل » ، وكما كانت ملوك فارس تسمّى « الأكاسرة » واحدهم « كسرى » ، وملوك اليمن تسمّى « التبابعة » ، واحدهم « تُبَع » .

وأما « فرعونُ موسى » الذى أخبر الله تعالى عَنْ بنى إسرائيل أنه نجّاهم منه ، فإنه يقال إن اسمه « الوليد بن مُصعب بن الرِّيّان » ، وكذلك ذكر محمد بن إسحق أنه بلغه عن اسمه .

٨٨٨ — حدثنا بذلك محمد بن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : أن اسمه الوليد بن مُصعب بن الرِّيّان ^(١) .

* * *

ولأنما جاز أن يقال : « وإذ نجيناكم من آل فرعون » ، والخطابُ به لمن لم يدرك فرعونَ ولا المنجيين منه ، لأن المخاطبين بذلك كانوا أبناءَ من نجّاهم من فرعون وقومه ، فأضافَ ما كان من نعمه على آبائهم إليهم ، وكذلك ما كان من كفران آبائهم على وجه الإضافة ، كما يقول القائل لآخر : « فعلنا بكم كذا وفعلنا بكم كذا ، وقتلناكم وسيبناكم » ، والخبير إما أن يكون يعنى قومه وعشيرته بذلك ، أو أهل بلده ووطنه — كانَ المقولُ له ذلك أدركَ ما فَعِلَ بهم من ذلك أو لم يدركه ، كما قال الأخطلُ يهاجى جرير بن عطية :

وَلَقَدْ سَمَّا لَكُمْ الْهُذَيْلُ فَنَالَكُمْ بِإِرَابٍ ، حَيْثُ يُقَسَّمُ الْأَنْفَالُ ^(٢)

(١) انظر تاريخ الطبرى ١ : ١٩٩ .

(٢) ديوانه : ٤٨ ، وقفاض جرير والأخطل : ٧٧ — ٧٨ . قال الطبرى فيما مضى ١ : ٣٦٦ : « سما فلان لفلان : إذا أشرف عليه وقصد نحوه عالياً عليه » . والهذيل ، هو الهذيل بن هيرة التغلبى غزا بنى يربوع بإرَاب (وهو ماء لبنى رياح بن يربوع) فقتل منهم قتلاً ذريعاً . وأصاب نعماً كثيراً ، وسبى سبياً كثيراً ، منهم « المظلى » جد جرير ، فسبى الهذيل « مجدعا » ، وصارت بنو تميم تفرغ أولادها

فِي قَيْلٍ، يَدْعُوا الْأَرَاقِمَ، لَمْ تَكُنْ فُرْسَانُهُ عَزْلًا وَلَا أَكْفَالًا^(١)

ولم يلحق جريرٌ هذيلًا ولا أدركه ، ولا أدرك إرآبَ ولا شَهدَه^(٢) . ولكنه لما كان يوماً من أيام قوم الأخطل على قوم جرير ، أضاف الخطابَ إليه وإلى قومه . فكذلك خطاب الله عز وجل من خاطبه بقوله : « وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ » ، لما كان فعله ما فعل من ذلك بقوم من خاطبه بالآية وآبائهم ، أضاف فعله ذلك الذي فعله بآبائهم ، إلى المخاطبين بالآية وقومهم^(٣) .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنْ سُوءِ الْعَذَابِ ﴾

وفي قوله : « يسألونكم » وجهان من التأويل . أحدهما ، أن يكون خبراً مستأنفاً عن فعل فرعونَ بنى إسرائيل ، فيكون معناه حيثئذ : واذكروا نعمتي عليكم إذ نجَّيْتُكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ^(٤) ، وكانوا من قبل يسألونكم سُوءَ الْعَذَابِ . وإذ كان ذلك تأويله ، كان موضع « يسألونكم » رفعاً .

والوجه الثاني : أن يكون يسألونكم حالاً ، فيكون تأويله حيثئذ : وإذ نجَّيْنَاكُمْ

باسمه . (انظر خبر ذلك في النقائض ٤٧٣ ، ونقائض جرير والأخطل : ٧٨) نالكم : أدرككم وأصاب منكم ما أصاب . والأنفال جمع نفل (بفتحين) : وهى الفنائم . وفى المطبوعة : « تقسم » وهى صراب لا بأس بها .

(١) القيلق : الكتبية العظيمة . وقوله : « يدعوا » الضمير للهذيل . والأراقم : هم جشم ومالك والحارث وعلبة ومعاوية وعمر - أبناء بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، رهط الهذيل . وإنما سوا الأراقم لأن كاهنتهم نظرت إليهم وهم صبيان ، وكانوا تحت دثار لهم ، فكشفت الدثار ، فلما رأتهم قالت : « كأنهم نظروا إلى بيمون الأراقم » ، والأراقم جمع أرقم : وهو أعجب الحيات ، وأشدّها ترقداً وطلباً للناس . والمزل جمع أعزل : وهو الذى لا سلاح معه ، والأكفال جمع كفل (بكسر فسكون) : وهو الذى لا يثبت على متن فرسه ، ولا يحسن الركوب .

(٢) فى المطبوعة : « ولم يلق جرير . . . » .

(٣) انظر ما سلف قريباً ، ٢٣ - ٢٤

(٤) فى المطبوعة : « إذ نجيناكم . . . » على سياق الآية ، وهذه أجرد .

من آل فرعون سَأْتِيكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ، فيكون حالاً من آل فرعون .

• • •

وأما تأويل قوله : « يَسْؤُونَكُمْ » فإنه : يوردونكم ، ويُذيقونكم ، ويُولونكم .
٢١٤/١ يقال منه : « سامه مُخْطَءٌ ضَمِيمٌ » ، إذا أولاه ذلك وأذاقه ، كما قال الشاعر :
• إِنَّ سِيمَ خَسْفًا ، وَجْهَهُ تُرَبِّدًا ^(١) •

• • •

فأما تأويل قوله : « سُوءَ الْعَذَابِ » ، فإنه يعنى ما ساءَهم من العذاب .
وقد قال بعضهم : أشدَّ العذاب . ولو كان ذلك معناه ل قيل : أسوأ العذاب .

• • •

فإن قال لنا قائل : وما ذلك العذاب الذى كانوا يُسْؤُونهم ، الذى كان يسوءهم؟ ^(٢)

قيل : هو ما وصفه الله تعالى فى كتابه فقال : « يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَ كُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كُمْ » ، وقد قال محمد بن إسماعيل فى ذلك ما :-

٨٨٩ - حدثنا به ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، أخبرنا ابن إسماعيل قال :
كان فرعون يعذب بنى إسرائيل ، فيجعلهم خدماً وخولاً ، وصنّفهم فى أعماله ،
فصنّف بينون ، [وصنّف يجرئون] ، وصنّف يزرعون له ، فهم فى أعماله . ومن
لم يكن منهم فى صنعة [له] من عمله : فعليه الجزية - فسامهم - كما قال الله عز
وجل . سوءَ العذاب ^(٣) .

(١) لم أجد الرجز . الخسف : الظلم والإذلال والخوان ، وهى شر ما ينزل بالإنسان ، وأقبح ما ينزله أخ بأخيه الإنسان . وتربد وجهه : تلون من الغضب وتغير ، كأنما تسود منه مواضع . وقوله : « وجهه » فاعل مقدم ، أى تربد وجهه .

(٢) قوله : « الذى كان يسوءهم » ، ليس فى المخطوطة ، سقط منها .

(٣) الأثر : ٨٨٩ - من خبر طويل فى تاريخ الطبرى ١ : ١٩٩ ، والزيادة بين الأقواس من موضعها هناك ويقال : هؤلاء حول فلان : إذا اتخذهم عبيداً .

وقال السدى : جعلهم فى الأعمال القذرة ، وجعلَ يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم :

٨٩٠ - حدثني بذلك موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى (١) .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : وأضاف الله جل ثناؤه ما كان من فعل آل فرعون بنى إسرائيل = من سؤمهم إياهم سوء العذاب ، وذبحهم أبناءهم ، واستحيائهم نساءهم = إليهم ، دون فرعون - وإن كان فعلهم ما فعلوا من ذلك كان بقوة فرعون ، وعن أمره - لمباشرتهم ذلك بأنفسهم . فبين بذلك أن كل مباشر قتل نفس أو تعذيب حتى بنفسه ، وإن كان عن أمر غيره ، ففاعله المتولى ذلك هو المستحق لإضافة ذلك إليه ، وإن كان الأمر قاهراً الفاعل المأمور بذلك - سلطاناً كان الأمر ، أو لصاً خارباً ، أو متغلباً فاجراً (٢) . كما وأضاف جل ثناؤه ذبح أبناء بنى إسرائيل واستحياء نساءهم ، إلى آل فرعون دون فرعون ، وإن كانوا بقوة فرعون وأمره إياهم بذلك ، فعلوا ما فعلوا ، مع غلبته إياهم وقهره لهم . فكذلك كل قاتل نفساً بأمر غيره ظلماً ، فهو المقتول عندنا به قصاصاً ، وإن كان قتله إياها يكرهه غيره له على قتله (٣) .

* * *

(١) الأثر : ٨٩٠ - من خبر طویل فى تاریخ الطبری ١ : ٢٠٠ ، وانظر ما سبق رقم : ٨٩٥ .
(٢) الخارب : اللص الشديد الفساد ، من قولهم : فلان صاحب خربة (بضم فسكون) أى فساد وريبة ، ومنه الخارب : من شائد الدهر . وأما أصحاب اللغة فيقولون : الخارب : سارق الإبل خاصة ، ثم نقل إلى غيره من اللصوص اتساعاً .
(٣) فى المطبوعة : « وإن كان قتله إياه » ، وهو تصرف لا خير فيه .

وأما تأويل ذبحهم أبناء بنى إسرائيل واستحيائهم نساءهم^(١) ، فإنه كان فيما ذكر لنا عن ابن عباس وغيره ، كالذى : -

٨٩١- حدثنا به العباس بن الوليد الآملى ، وتميم المنتصر الواسطى قالا ، حدثنا يزيد بن هرون قال ، أخبرنا الأصمغ بن زيد [الجهنى] قال ، حدثنا القاسم ابن أبى أيوب قال ، حدثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم خليله - : أن يجعل فى ذريته أنبياء وملوكاً ؛ واثمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالاً معهم الشفّار^(٢) ، يطوفون فى بنى إسرائيل ، فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه . ففعلوا . فلما رأوا أن الكبار من بنى إسرائيل يموتون بأجلهم ، وأن الصغار يُذبحون ، قال : توشكون أن تفنوا بنى إسرائيل ، فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة ما كانوا يكفونكم ! فاقتلوا عاماً كل مولود ذكر ، فقتل أبناءهم ؛ ودعوا عاماً . فحملت أم موسى بهارون فى العام الذى لا يُذبح فيه الغلمان ، فولدته علانية آمنة ، حتى إذا كان القابل حملت بموسى^(٣) .

٨٩٢- وقد حدثنا عبد الكريم بن الهيثم قال ، حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادى

(١) فى المطبوعة : « ذبح » ، مكان « ذبحهم » ، وسقط من المخطوطة قوله : « أبناء » .

(٢) الشفّار جمع شفرة : وهى السكين المريضة العظيمة الحديدية ، تَمْتَن فى قطع اللحم وغيره .

(٣) الأثر : ٨٩١- هذا موقوف ، وإسناده صحيح إلى ابن عباس . أما مصحح المتن ، فلا نستطيع

أن نجزم بها ، لعله لما كان يتحدث به الصحابة عن التاريخ القديم نقلاً عن أهل الكتاب .

العباس بن الوليد بن مزيد الآملى البيروقي : ثقة ، مترجم فى التهذيب ، وترجمه ابن أبى حاتم ١/٣ /

٢١٤- ٢١٥ . وتميم بن المنتصر بن تميم الواسطى : ثقة ، مترجم فى التهذيب ، وترجمه ابن أبى حاتم

١/١- ٤٤٤- ٤٤٥ . والأصمغ بن زيد بن عل الجهنى الواسطى الوراق : ثقة ، وثقه ابن معين وغيره ،

مترجم فى التهذيب ، وترجمه البخارى فى الكبير ١/٢ / ٣٦ ، وابن أبى حاتم ١/١- ٣٢٠- ٣٢١ .

القاسم بن أبى أيوب الأسدى الواسطى : ثقة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير البخارى ١/٤- ١٦٨- ١٦٩ ،

وابن أبى حاتم ٢/٣- ١٠٧ . ووقع فى المطبوعة هنا « القاسم بن أيوب » ، وهو خطأ .

وهو فى تاريخ الطبري بتمامه ١ : ٢٠٢ ، مع اختلاف يسير فى اللفظ . وفى المخطوطة فى هذا الموضع

أخطاء من الناسخ تجافينا عن ذكرها . وفى المطبوعة والمخطوطة : « فولدته علانية أمه » ، والصواب من

التاريخ .

قال ، حدثنا سفيان بن عيينة قال ، حدثنا أبو سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قالت الكهنة لفرعون : إنه يولد في هذا العام مولودٌ يذهبُ بملكك ، قال : فجعل فرعونُ على كل ألف امرأةً مئة رجل ، وعلى كل مئة عشرة ، وعلى كل عشرة رجلاً ، فقال : انظروا كل امرأة حامل في المدينة ، فإذا وضعت حملها ٢١٥/١ فانظروا إليه ، فإن كان ذكراً فاذبحوه ، وإن كان أنثى فخلوها عنها . وذلك قوله : « يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاءٌ من ربكم عظيمٌ »^(١).

٨٩٣- حدثني المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : « وإذ نجيناكم من آل فرعونَ يسوؤمونكم سوءَ العذاب » ، قال : إن فرعونَ ملكهم أربعمئة سنة ، فقالت الكهنة إنه سيولد العام بمصر غلامٌ يكون هلاكك على يديه . فبعث في أهل مصر نساءً قوابل^(٢) ، فإذا ولدت امرأة غلاماً ، أتى به فرعون فقتله ، ويستحي الجوارى .

٨٩٤- حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق بن الحجاج قال ، حدثنا عبد الله ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، في قوله : « وإذ نجيناكم من آل فرعون » الآية ، قال : إن فرعونَ ملكهم أربعمئة سنة ، وإنه أتاه آتٍ فقال : إنه سينشأ في مصر غلامٌ من بني إسرائيل ، فيظهر عليك ، ويكون هلاكك على يديه . فبعث في مصر نساء . فذكر نحو حديث آدم .

٨٩٥- وحدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا

(١) الأثر : ٨٩٢- بهذا كالتى قبله ، موقوف ، إسناده إلى ابن عباس صحيح . وقد رواه الطبري بهذا الإسناد ، في التاريخ أيضاً ١ : ٢٢٥ .
عبد الكريم بن المهيم بن زياد القطان : ثقة مأمون ، مات سنة ٢٧٨ . ترجمه الخطيب في تاريخ بغداد ١١ : ٧٨- ٧٩ ، وياقوت في معجم الأديباء ٤ : ١٥٤ . إبراهيم بن بشار الرمادى : ثقة ، يسم في الشيء بعد الشيء . مترجم في التهذيب ، وفي الكبير ١/١ : ٢٧٧ ، وابن أبي حاتم ١/١ : ٨٩- ٩٠ .
أبو سعيد - الراوى عن عكرمة : هو عبد الكريم بن مالك البلزرى .
ولم أجده الأثر في مكانه من تاريخ الطبري .

(٢) قوابل جمع قابلة : وهى المرأة التى تتلقى الولد عند الولادة .

أسباط بن نصر ، عن السدى ، قال : كان من شأن فرعون أنه رأى في منامه أن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر ، فأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل ، وأخربت بيوت مصر . فدعا السحرة والكهنة والعافة والثقافة والحازة فسألهم عن رؤياه ^(١) ، فقالوا له : يخرج من هذا البلد الذى جاء بنو إسرائيل منه - يعنون بيت المقدس - رجل يكون على وجهه هلاك مصر . فأمر بنى إسرائيل أن لا يولد لهم غلام إلا ذبحوه ، ولا تولد لهم جارية إلا تركت ، وقال للقبط : انظروا تملوكيكم الذين يعملون خارجاً فأدخلوهم ، واجعلوا بنى إسرائيل يلبسون تلك الأعمال القنرة . فجعل بنى إسرائيل فى أعمال غلمانهم ، وأدخلوا غلمانهم . فذلك حين يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ - يقول : تجبر فى الأرض - ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ - يعنى بنى إسرائيل ، حين جعلهم فى الأعمال القنرة - ﴿ يَسْتَضِيفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَذَّيْحُ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ [سورة القصص : ٤] . فجعل لا يولد لبني إسرائيل مولود إلا ذبح ، فلا يكبر الصغير . وقذف الله فى مشيخة بنى إسرائيل الموت ، فأسرع فيهم . فدخل رؤوس القبط على فرعون فكلموه ، فقالوا : إن هؤلاء قد وقع فيهم الموت ، فيوشك أن يقع العمل على غلماننا ! نذبح أبناءهم ، فلا تبلغ الصغار وتنفى الكبار ! ^(٢) فلو أنك كنت تبنى من أولادهم ! فأمر أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة . فلما كان فى السنة التى لا يذبحون

(١) الكهنة جمع كاهن : وهو الذى يتماطى الخبر عن الكائنات فى مستقبل الزمان . والعافة جمع عائف : وهو الذى يتماطى العيافة ، وهو تكهن كان فى الجاهلية ، ذكروا أنها زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها . وفى اللسان (حزا) : العائف : العالم بالأمور ، ولا يستعاف إلا من علم ويعرب وعرف . فلعل الذى وصفه أصحاب كتب اللغة إنما هو ضرب واحد من ضروب العيافة . والعافة جمع قائف : وهو الذى يتبع الآثار ويعرفها ، ويعرف شبه الرجل بأغيبه وأبيه ، وليست من السحر والكهانة ولا الجبت . ولعل زيادة ذكرها هنا زيادة من النسخ ، فإن الذى جاء فى رواية التاريخ : « الثقافة » ، ولم يذكر « العافة » ، فلعل الذى فى التاريخ تصحيف صوابه « العافة » ، والحازة جمع حاز ، والحازى : هو الذى ينظر فى النجوم وأحكامها بظنه وتقديره ، وربما أصاب ، وهو الحزاء (بتشديد الزاى) .

(٢) فى المطبوعة : « يذبح أبناءهم » ، والصواب من التاريخ .

فيها ، ولد هارون فترك . فلما كان في السنة التي يذبحون فيها ، حملت بموسى ^(١) .

٨٩٦ — حدثنا محمد بن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : ذكر

لي أنه لما تقارب زمان موسى ، أتى منجمو فرعون وحزاته إليه ^(٢) ، فقالوا له : تعلم

أننا نجد في علمنا أن مولوداً من بني إسرائيل قد أظلك زمانه الذي يولد فيه ^(٣) ،

يسلبك ملكك ، ويغلبك على سلطانك ، ويخرجك من أرضك ، ويبدل دينك .

فلما قالوا له ذلك ، أمر بقتل كل مولود يولد من بني إسرائيل من الغلمان ، وأمر

بالنساء يستحيين . فجمع القوابل من نساء [أهل] مملكته ، فقال هن : لا يسقطن

على أيديكن غلام من بني إسرائيل إلا قتلنّه . فكنّ يفعلن ذلك . وكان يذبح

من فوق ذلك من الغلمان ، ويأمر بالحبال فيعد بن حتى يطرحن ما في بطونهن ^(٤)

٨٩٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن ٢١٦/١

عبد الله بن أبي نجيج ، عن مجاهد قال : لقد ذكر [لي] أنه كان ليأمر بالقصب

فيشق حتى يجعل أمثال الشفار ، ثم يصف بعضه إلى بعض ، ثم يأتي بالحبال

من بني إسرائيل فيوققهن عليه ^(٥) ، فيحز أقلامهن . حتى إن المرأة منهن لتمصع

بوكدها فيقع من بين رجلها ^(٦) ، فتظل تطؤه تتقي به أحد القصب عن رجلها ،

لما بلغ من جهدها ، حتى أسرف في ذلك وكاد يفتنهم . فقيل له : أفنيت الناس

(١) الأثر : ٨٩٥ — في تاريخ الطبري ١ : ٢٠٠ ، وإسناده هناك هو الإسناد الذي يدور في

في التفسير وتماحه : « . . . عن السدي في خبره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الحمداي ، عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . » .

(٢) في المطبوعة : « فرعون وأحزابه » ، وهو خطأ محض ، صوابه في المخطوطة وتاريخ الطبري .

والحزاة جمع حاز أيضاً ، كقاض وقضاة . والحازي : سلف شرجه في ص : ٤٤ ، تعليق : ٢ .

(٣) في المطبوعة : « نعم ، إنا نجد في علمنا » ، وهو خطأ معرق . وتعلم (بتشديد اللام) :

بمعنى : أعلم ، وهي فاشية في سيرة ابن إسحق وغيره . وانظر تعليقتنا فيما مضى ١ : ٢١٧ . وأظلك : صار كالظلم ، أي قارب ودنا دنواً شديداً .

(٤) الأثر : ٨٩٦ — في تاريخ الطبري ١ : ١٩٩ ، والزيادة بين القوسين ، والتصحيح منه .

(٥) في المطبوعة : « ثم يوقق » . فيوققن « ، بالبناء للمجهول . وذلك نص التاريخ والمخطوطة .

(٦) صامت المرأة بولدها : زحرت زهرة واحدة فروته من بطنها وألقته .

وقطعت النسل ! وإنهم خولك وعمالك ! فأمر أن يُقتل الغلمانُ عاماً ويُستحيوا عاماً. فولد هارون في السنة التي يُستحيى فيها الغلمان ، وولد موسى في السنة التي فيها يُقتلون^(١)

* * *

قال أبو جعفر : والذي قاله من ذكرنا قوله من أهل العلم : كان ذبيح آلِ فرعون أبناءَ بنى إسرائيل واستحيائهم نساءهم^(٢) ، فتأويل قوله إذاً — على ما تأوله الذين ذكرنا قولهم — : « وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ » ، يَسْتَبْقُونَهَا فلا يَقْتُلُونَهَا . وقد يجبُ — على تأويل من قال بالقول الذى ذكرنا عن ابن عباس وأبي العالية والربيع بن أنس والسدى فى تأويل قوله : « وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ » ، أنه تركهمُ الإناثَ من القتل عند ولادتهن لِيَاْهَنَ — أن يكون جائزاً أن يُسمى الطفلُ من الإناث فى حال صباها وبعد ولادها : « امرأة »^(٣) ، والصبايا الصغارُ وهن أطفال : « نساء » . لأنهم تأولوا قول الله عز وجل : « وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ » ، يستبقون الإناث من الولدان عند الولادة فلا يقتلونهن .

وقد أنكر ذلك من قولهم ابنُ جريج ، فقال بما : —

٨٩٨ — حدثنا به القاسم بن الحسن قال ، حدثنا الحسين بن داود قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ » قال : يَسْتَرْقُونُ نِسَاءَكُمْ .

(١) الأثر : ٨٩٧ — فى تاريخ الطبرى ١ : ١٩٩ — ٢٠٠ .

(٢) هذه جملة سقط منها خبر « كان » ، وهى هكذا فى الأصول ، وأظن أن صوابها : كان ذبيح آل فرعون أبناء بنى إسرائيل واستحيائهم نساءهم ، أن فرعون أمر ، بقتل كل مولود يولد من أبناء بنى إسرائيل ، وباستحياء نساءهم . كما فى الأثرين : ٨٩١ ، ٨٩٦ ، فكان سطرًا سقط من النسخ .

(٣) فى المطبوعة : « الطفلة من الإناث » . والمرب تقول : جارية طفل وطفلة ، وجاريقان طفل ، وجوار طفل ، قال تعالى : « ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً » ، وقال : « أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ » .

فحادث ابن جريج ، بقوله هذا ، عما قاله من ذكرنا قوله في قوله : « ويستحيون نساءكم » : إنه استحياء الصبايا الأطفال ، إذ لم يجدهن يلزمهن اسم « نساء »^(١) ، ثم دخل فيها هو أعظم مما أنكر ، بتأويله « ويستحيون » ، يسترقون . وذلك تأويل غير موجود في لغة عربية ولا أعجمية^(٢) . وذلك أن « الاستحياء » ، استفعال ، من الحياة^(٣) ، نظير « الاستبقاء » من « البقاء » ، و « الاستسقاء » من « السقي » . وهو من معنى الاسترقاق بمعزل .

* * *

وقد تأول آخرون قوله^(٤) : « يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ » ، بمعنى ، يذبحون رجالكم آباء آبائكم ، وأنكروا أن يكون المذبحون الأطفال ، وقد قرّن بهم النساء . فقالوا : في إخبار الله جل ثناؤه أن المستحيين هم النساء ، الدلالة الواضحة على أن الذين كانوا يُذَبِّحُونَ هم الرجال دون الصبيان ، لأن المذبحين لو كانوا هم الأطفال ، لوجب أن يكون المستحيون هم الصبايا . قالوا : وفي إخبار الله تعالى ذكره أنهم النساء ، ما يبين أن المذبحين هم الرجال^(٥) .

قال أبو جعفر : وقد أغفل قائلو هذه المقالة — مع خروجهم من تأويل أهل التأويل من الصحابة والتابعين — موضع الصواب . وذلك أن الله جل ثناؤه قد أخبر عن وحيه إلى أم موسى أنه أمرها أن ترضع موسى ، فإذا خافت عليه أن تلقيه في التابوت ، ثم تلقيه في اليم . فعلوم بذلك أن القوم لو كانوا إنما كانوا يقتلون الرجال ويتركون النساء ، لم يكن بأم موسى حاجة إلى إلقاء موسى في اليم ؛ أو لو أن موسى كان رجلا لم تجعله أمه في التابوت .

(١) في المطبوعة : « قال : إذ لم يجدهن » بزيادة « قال » ، وهو فساد .

(٢) في المطبوعة : « عجمية » .

(٣) في المطبوعة : « إنما هو الاستفعال من الحياة » ، وليس بشئ .

(٤) في المطبوعة : « وقد قال آخرون . . . » ، وليست بشئ .

(٥) في المطبوعة : « ما يبين أن المذبحين . . . » .

ولكن ذلك عندنا على ما تأوله ابن عباس ومن حكيما قوله قبل : من ذبح آل فرعون الصبيان وتركهم من القتل الصبايا . وإنما قيل : « ويستحيون نساءكم » ، إذ كان الصبايا داخلات مع أمهاتهن — وأمهاتهن لا شك نساء — في الاستحياء ، لأنهم لم يكونوا يقتلون صغار النساء ولا كبارهن ، فقيل : « ويستحيون نساءكم » ، ٢١٧/١ يعنى بذلك الوالدات والمولودات ، كما يقال : « قد أقبل الرجال » ، وإن كان فيهم صبيان . فكذلك قوله : « ويستحيون نساءكم » . وأما من الذكور ، فإنه لما لم يكن يذبح إلا المولودون ، قيل : « يذبحون أبناءكم » ، ولم يقل : يذبحون رجالكم .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (١٩)

أما قوله : « وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم » ، فإنه يعنى : وفي الذى فعلنا بكم ، من إنجائناكم ^(١) — مما كنتم فيه من عذاب آل فرعون إياكم ، على ما وصفت — بلاء لكم من ربكم عظيم .

• • •

ويعنى بقوله « بلاء » : نعمة ، كما :-

٨٩٩ - حدثني المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله : « بلاء من ربكم عظيم » ، قال : نعمة .

٩٠٠ - وحدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي في قوله : « وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم » ، أما البلاء فالنعمة .

(١) في المطبوعة : « من إنجائنا إياكم » ، بدلوه ليجرى على دارج كلامهم

- ٩٠١ - وحدثننا سفيان قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد : « وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم » ، قال : نعمة من ربكم عظيمة .
- ٩٠٢ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد ، مثل حديث سفيان .
- ٩٠٣ - حدثني القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « وفي ذلكم من ربكم عظيم » ، قال : نعمة عظيمة ^(١) .

• • •

وأصل « البلاء » - في كلام العرب - الاختبارُ والامتحان ، ثم يستعمل في الخير والشر . لأن الامتحان والاختبار قد يكون بالخير كما يكون بالشر ، كما قال ربُّنا جل ثناؤه : ﴿ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٨] ، يقول : اختبارناهم ، وكما قال جل ذكره : ﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [سورة الأنبياء : ٣٥] . ثم تسمى العربُ الخيرَ « بلاءً » والشرَ « بلاءً » . غير أن الأكثر في الشر أن يقال : « بلوته أبلوه بلاءً » ، وفي الخير : « أبليته أبلية بلاءً وبلاءً » ، ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى :

جَزَى اللَّهُ بِالْإِحْسَانِ مَا فَعَلَا بِكُمْ وَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو ^(٢)
فجمع بين اللغتين ، لأنه أراد : فأنعم الله عليهما خير النعم التي يختبرُ بهما عباده .

• • •

(١) الأثر : ٩٠٣ - مقدم في المخطوطة على الذي قبله .

(٢) ديوانه : ١٠٩ ، وروايته « رأى الله . . . فأبلاهما » . وهذا بيت من قصيدة من جيد شعر

زهير وخالصه .

القول في تأويل قوله : ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾

أما تأويلُ قوله : « وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ » ، فإنه عطفٌ على « وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ » ، بمعنى : واذكروا نعمتي التي أنعمتُ عليكم ، واذكروا إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ، وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ .

ومعنى قوله : « فَرَقْنَا بِكُمْ » ، فَصَلْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ . لأنهم كانوا اثنتي عشرة سِبْطاً ، ففَرَّقَ الْبَحْرَ اثني عشر طريقاً ، فسلك كل سِبْطٌ مِنْهُمْ طريقاً منها . فذلك فَرَقُ اللَّهِ بِهِمْ عِزَّ وَجَلَّ الْبَحْرَ وَفَضْلُهُ بِهِمْ ، بتفريقهم في طرقه الاثني عشر ، كما : —

٩٠٤ — حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط بن نصر ، عن السدي : لما أتى موسى البحر كَتَّاهُ «أبا خالد» ، وضربه فانفلق ، فكان كل فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ، فدخلت بنو إسرائيل . وكان في البحر اثنا عشر طريقاً ، في كل طريق سِبْطٌ ^(١) .

• • •

وقد قال بعض نحوي البصرة : معنى قوله : « وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ » ، فَرَقْنَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمَاءِ . يريد بذلك : فَصَلْنَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ ، وحجزناه حيث مرزتم به . وذلك خلاف ما في ظاهر التلاوة ، ^(٢) لأن الله جل ثناؤه إنما أخبر أنه فَرَّقَ الْبَحْرَ بِالْقَوْمِ ، ولم يحبر أنه فَرَّقَ بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ الْبَحْرِ ، فيكون التأويلُ ما قاله قائلو هذه المقالة . وقرَّه البحر بالقوم ، إنما هو تفريقه البحرَ بِهِمْ ، على ما وصفنا من افتراق سبيله بهم ، على ما جاءت به الآثار

• • •

(١) الأثر ٩٠٤ — من خبر طويل في تاريخ الطبري ، وهذه الفقرة منه في ١ : ٢١٤ ، وانظر أيضاً رقم ٩١٠

(٢) انظر تفسير « الظاهر » فيما مضى : ١٥ : ٢ ، والمراجع

القول في تأويل قوله ﴿ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ (٥٠)

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل وكيف غرق الله جل ثناؤه آلَ فرعون ونجى بنى إسرائيل ؟
قيل له ، كما : —

٩٠٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن كعب القرظي ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال : لقد ذكر لي أنه خرج فرعون في طلب موسى على سبعين ألفاً من دهم الخيل ، سوى ما في جنده من شهب الخيل . (١) وخرج موسى ، حتى إذا قابله البحر ولم يكن له عنه مُنصرف ، طلع فرعون في جنده من خلفهم . ﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۖ قَالَ ۖ — موسى — ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [سورة الشعراء : ٦١ ، ٦٢] أى للنجاة ، وقد وعدني ذلك ، ولا تخلف لوعده . (٢)

٩٠٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحق قال : أوحى الله إلى البحر — فيما ذكر لي : إذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له . قال : فبات البحر يضرب بعضه بعضاً فرقاً من الله وانتظاره أمره . (٣) فأوحى الله عز وجل إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ، فضربه بها ، وفيها سلطان الله الذي أعطاه ، فانفلق فكان كل فريق كالطود العظيم ، أى كالجبل على تشبيه من الأرض . (٤)

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « من شية الخيل » ، وشية الفرس : لونه ، فكان الأجود أن يقول : « من شيات الخيل » . وفي التاريخ . « من شهب الخيل » ، كما أثبتناه . والشهب جمع أشهب ، والشهية في ألوان الخيل : أن تشق معظم لونه شعرة أو شعرات بيض ، كيتاً كان الفرس أو أشقر أو أدهم . (٢) الأثر : ٩٠٥ — في تاريخ الطبري ١ : ٢١٧ ، وفيه « ولا خلف لموعده » . والموعود كالوعد ، وهو من المصادر التي جاءت على مفعول .

(٣) في المطبوعة : « فثاب البحر . . . » ، وهو تصحيف ، والصواب في المخطوطة والتاريخ . وفي المطبوعة : « وانتظار أمره » ، وفي التاريخ « وانتظاراً لأمره » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو جيد . (٤) في المطبوعة : « على يس من الأرض » ، وأثبت ما في المخطوطة والتاريخ . والنشر : المتن المرتفع من الأرض — أو ما ارتفع عن الوادي إلى الأرض ، وليس باللفظ .

يقول الله لموسى : ﴿ فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾ [سورة طه : ٧٧] . فلما استقر له البحر على طريق قائمة يَبَسٍ ، ^(١) سلك فيه موسى ببني إسرائيل وأتبعه فرعون يمجوده . ^(٢)

٩٠٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني محمد بن إسحق ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي قال : حدثت أنه لما دخلت بنو إسرائيل البحر فلم يبق منهم أحد ، أقبل فرعون وهو على حصان له من الخيل ، حتى وقف على شفير البحر ، وهو قائم على حاله ، فهاب الحصان أن ينفذ . ^(٣) فعرض له جبريل على فرس أنثى وديق ، ^(٤) فقرَّبَهَا منه ، فشمَّهَا الفحل ، فلما شمَّهَا قدَّمَهَا ، ^(٥) فتقدَّم معها الحصان عليه فرعون . فلما رأى جند فرعون فرعون قد دخل ، دخلوا معه وجبريل أمامه ، وهم يتبعون فرعون ، وميكائيل على فرس من خلف القوم يسوقهم ، يقول : « الحقُّوا بصاحبكم » . حتى إذا فصل جبريل من البحر ليس أمامه أحد ، ووقف ميكائيل على ناحيته الأخرى ، وليس خلفه أحد ، طبق عليهم البحر ، ونادى فرعون — حين رأى من سلطان الله عز وجل وقدرته ما رأى ، وعرف ذلك ، وخذلته نفسه ^(٦) — : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ^(٧) [سورة يونس : ٩٠]

(١) في المطبوعة : « فلما استقر لهم . . . » .

(٢) الأثر : ٩٠٦ — في تاريخ الطبري ١ : ٢١٧ .

(٣) هكذا في المخطوطة والمطبوعة « أن ينفذ » ، وفي التاريخ : « أن يتقدم » ، وكأنها الصواب ، والآخر تحريف ، سقط الميم من آخره .

(٤) فرس وديق : ريدة للفحل تشبيه .

(٥) في المطبوعة : « فلما شمَّهَا تبهما » ، وهو خطأ وغلط . والصواب ما في المخطوطة والتاريخ . وقوله : « قدَّمَهَا » أى زجرها ، بقولهم للفرس : « أقدم » أى امض قدماً إلى أمام .

(٦) في المطبوعة وحدها : « ذلته » .

(٧) الأثر : ٩٠٧ — في تاريخ الطبري ١ : ٢١٧ . وفي المطبوعة : « آمنت أنه لا إله إلا الذى . . . » وفي التاريخ : « نادى أن لا إله إلا الذى . . . » . وأثبت ما في المخطوطة .

٩٠٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن أبي إسحق الممداني، عن عمرو بن ميمون الأودي في قوله : « وإذ فرقنا بكم البحرَ فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعونَ وأنتم تنظرون »، قال : لما خرج موسى ببني إسرائيل، بلغ ذلك فرعونَ فقال : لا تتبعوهم حتى يصيح الديك . قال : فوالله ما صاح ليلتئذٍ ديك حتى أصبحوا : فدعا بشاة فذُبِحت، ثم قال : لا أفرُغ من كبدها حتى يجتمع إلى ستمئة ألف من القبيط . فلم يفرُغ من كبدها حتى اجتمع إليه ستمئة ألف من القبط . ثم سار ، فلما أتى موسى البحرَ، قال له رجل من أصحابه يقال له يوشع بن نون : أين أمرك ربك يا موسى ؟ قال : أملك . يشير إلى البحر . فأقحم يوشع فرسه في البحر حتى بلغ الغمرَ ، فذهب به ، ثم رجع .^(١) فقال أين أمرك ربك يا موسى ؟ فوالله ما كذبت ولا كُذبت : ففعل ذلك ثلاث مرات . ثم أوحى الله جل ثناؤه إلى موسى : ﴿ أَنْ أُضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ [سورة الشعراء : ٦٣] — يقول : مثل جبل — قال : ثم سار موسى ومن معه وأتبعهم فرعونُ في طريقهم ، حتى إذا اتَّامُوا فيه أطبقه الله عليهم . فلذلك قال : « وأغرقنا آل فرعونَ وأنتم تنظرون » . قال معمر ، قال قتادة : كان مع موسى ستمئة ألف ، وأتبعه فرعونُ على ألفٍ ومئة ألف حصان .

٩٠٩ — حدثني عبد الكريم بن الهيثم قال ، حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادي ، قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبو سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أوحى الله جل وعز إلى موسى أن أسربعادي ليلا إنكم مُتَّبَعُونَ . قال : فسرى موسى ببني إسرائيل ليلاً ، فاتبعهم فرعونُ في ألف ألف حصان سوى الإناث ، وكان موسى في ستمئة ألف . فلما عاينهم فرعونُ قال : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ . وَأَنْهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ . وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ ﴾ [سورة الشعراء : ٥٤-٥٦] فسرى موسى ببني إسرائيل حتى هجموا على البحر ، فالتفتوا فإذا هم برهج دواب فرعون ، فقالوا : يا موسى ،

(١) في ابن كثير ١ : ١٦٥ « فذهب به النمر ، ثم رجع » .

أَوْذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمَنْ يَعْلَمَ جِثَّتْنَا ! هَذَا الْبَحْرُ أَمَامَنَا ، وَهَذَا فِرْعَوْنُ قَدْ رَهَقَنَا بِمَنْ مَعَهُ ! ^(١) قَالَ : عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ .
 قَالَ : فَأَوْحَى اللَّهُ جَلْ ثَنَاؤُهُ إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ، وَأَوْحَى إِلَى الْبَحْرِ أَنْ اسْمَعْ لِمُوسَى وَأَطِيعْ إِذَا ضَرَبَكَ . قَالَ : فَبَاتَ الْبَحْرُ لَهُ أَفْكَلَ ^(٢) - يَعْنِي : لَهُ رِعْدَةٌ - لَا يَدْرِي مِنْ أَيِّ جَوَانِبِهِ يَضْرِبُهُ . قَالَ : فَقَالَ يَوْشَعَ لِمُوسَى : بِمَاذَا أَمِرتَ ؟
 قَالَ : أَمِرتَ أَنْ اضْرِبَ الْبَحْرَ . قَالَ : فَاضْرِبْهُ . قَالَ : فَضْرَبَ مُوسَى الْبَحْرَ بِعَصَاهُ ، فَانْفَلَقَ فَكَانَ فِيهِ اثْنَا عَشَرَ طَرِيقًا ، كُلُّ طَرِيقٍ كَالطُّوْدِ الْعَظِيمِ ؛ فَكَانَ لِكُلِّ سِبْطٍ مِنْهُمْ طَرِيقٌ يَأْخُذُونَ فِيهِ . فَلَمَّا أَخَذُوا فِي الطَّرِيقِ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مَا لَنَا لَا نَرَى أَصْحَابَنَا ؟ قَالُوا لِمُوسَى : أَيْنَ أَصْحَابُنَا لَا نَرَاهُمْ ؟ قَالَ : سِيرُوا فَلْيُنْفِثْهُمْ عَلَى طَرِيقٍ مِثْلَ طَرِيقِكُمْ . قَالُوا : لَا نَرْضَى حَتَّى نَرَاهُمْ .

قَالَ سَفِيانٌ ، قَالَ عِمَارُ الدُّهْنِيُّ : قَالَ مُوسَى : اللَّهُمَّ أَعْنِنِي عَلَى اخْتِلَافِهِمُ السَّيْئَةِ . قَالَ : فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ قُلْ بِعَصَاكَ هَكَذَا . وَأَوْمَأَ إِبْرَاهِيمُ بِيَدِهِ يُدِيرُهَا عَلَى الْبَحْرِ . قَالَ مُوسَى بِعَصَاهُ عَلَى الْحَيِّطَانِ هَكَذَا ، ^(٣) فَصَارَ فِيهَا كَوُيٌّ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ .

قَالَ سَفِيانٌ : قَالَ أَبُو سَعِيدٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : فَسَارُوا حَتَّى خَرَجُوا مِنَ الْبَحْرِ . فَلَمَّا جَازَ آخِرَ قَوْمِ مُوسَى ، هَجَمَ فِرْعَوْنُ عَلَى الْبَحْرِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، وَكَانَ فِرْعَوْنُ عَلَى فَرَسٍ أَدَمَ ذَنْوَبُ حِصَانٍ ^(٤) . فَلَمَّا هَجَمَ عَلَى الْبَحْرِ ، هَابَ الْحِصَانُ أَنْ يَقْتَحِمَ فِي الْبَحْرِ ، فَتَمَثَّلَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَى فَرَسٍ أَنْثَى وَدَيْقٍ ، ^(٥)

(١) رَهَقَهُ : غَشِيَهُ وَأَوْشَكَ أَنْ يَدْرِكَهُ .

(٢) فِي الْمَطْبُوعَةِ : « فَثَابَ لَهُ » ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ مَضَى مِثْلُهُ فِي : ٥١ ، تَعَالَيْقُ : ٣

(٣) قَالَ بِعَصَاهُ أَوْ بِيَدِهِ : أَشَارَ بِهَا . وَالْإِشَارَةُ ضَرْبٌ مِنَ التَّعْيِيرِ وَالْبَيَانِ ، فَكَانَ بِجَازِ الْقُرْلِ إِلَى مَعْنَى الْإِشَارَةِ جَيِّدًا .

(٤) الْأَدَمُ : الْأَسْوَدُ . وَالذَّنُوبُ : الْفَرَسُ الْوَافِرُ الذَّنْبُ الطَّوِيلُ . وَقَوْلُهُ : « حِصَانٌ هُنَا : أَيُّ فَعْلٍ ، قَدْ ضَمَّ جَمَاعَتَهُ فَلَمْ يَنْزِ عَلَى أَنْثَى .

(٥) الْوَدَيْقُ : مَضَى تَفْسِيرُهَا فِي ص : ٥٢ تَعَالَيْقُ : ٤

فلما رآها الحصان تفحّم خلفها. وقيل لموسى : اترك البحر رهوًا — قال : طرّقًا على حاله ^(١) — قال : ودخل فرعون وقومه في البحر ، فلما دخل آخر قوم فرعون ، وجاز آخر قوم موسى ، أطبق البحر على فرعون وقومه ، فأغرّقوا. ^(٢)

٩١٠ — حدثنا موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط بن نصر ، عن السدي : أن الله أمر موسى أن يخرج بيني إسرائيل ، فقال : أمر بعبادي ليلاً إنكم متّبِعُونَ . فخرج موسى وهرون في قومه ، وألقى على القبط الموت ، فمات كل بكر رجل ، فأصبحوا يدفنونهم ، فشغلوا عن طلبهم حتى طلعت الشمس . فذلك حين يقول الله جل ثناؤه : ﴿ فَاتَّبِعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴾ [سورة الشعراء : ٦٠] فكان موسى على ساقية بنى إسرائيل وكان هرون أمامهم يقدمهم ^(٣) : فقال المؤمن لموسى : يا نبي الله ، أين أمرت ؟ قال : البحر . فأراد أن يقتحم فتعمه موسى ، وخرج موسى في سبائة ألف وعشرين ألف مقاتل — لا يعدّون ابن العشرين لصغره ، ولا ابن الستين لكبره ، وإنما عدّوا ما بين ذلك ، سوى النرية . وتبعهم فرعون ، وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمئة ألف حصان ، ليس فيها

ما ذبيانة ^(٤) — يعني الأثني — وذلك حين يقول الله جل ثناؤه : ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۚ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ [سورة الشعراء : ٥٣ ، ٥٤] يعني بنى إسرائيل . فتقدم هرون فضرّب البحر ، فأبى البحر أن ينفتح ، وقال : من هذا الجبار الذي يضربني ؟ حتى أتاه موسى فكناّه «أبا خالد» وضربه فانفلق ،

(١) في المخطوطة : « عل حياه » ، وهو خطأ ، وانظر ما مضى ص : ٥٢ ، وانظر أيضاً تفسير : « رهوًا » في ٢٥ : ٧٣ (بولاق) .

(٢) الأثر : ٩٠٩ — هو كالأثر الماضي : ٨٩٢ ، وبالإسناد نفسه . انظر تمام هذا الأثر في رقم : ٩١٨ . وأتم سفيان روايته عن عمار الدهني ، في روايته عن أبي سعيد . وعمار ، هو عمار بن معاوية الدهني (يضم الدال وسكون الهاء) ، وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم والنسائي ، وذكره ابن حبان في الثقات (تهذيب التهذيب) .

(٣) ساقية الجيش ، وساقية الحاج : هم الذين يكونون في مؤخره يسوقونه ويحفظونه من ورائه .

(٤) في المطبوعة : « ما ذبانة » ، وفي المخطوطة : « ما دنانة » بالدال المهملة . ولم أجد الكلمة

فيما بين يدي من الكتب .

فكان كل فيرق كالطود العظيم - يقول : كالجبل العظيم - ، فدخلت بنو إسرائيل . وكان في البحر اثنا عشر طريقاً ، في كل طريق سببط - وكانت الطرق انفلقت بجدران^(١) - فقال كل سببط : قد قُتل أصحابنا ! فلما رأى ذلك موسى ، دعا الله فجعلها لهم قناطر كهيئة الطيِّقان ،^(٢) فنظر آخرهم إلى أولهم ، حتى خرجوا جميعاً . ثم دنا فرعون وأصحابه ، فلما نظر فرعون إلى البحر مُنفلقاً قال : ألا ترون البحر فَرِقَ مني؟^(٣) قد انفتح لي حتى أدرك أعدائي فأقتلهم ! فذلك حين يقول الله جل ثناؤه : ﴿ وَأَزْلَفْنَا نَمَّ الْآخِرِينَ ﴾ [سورة الشعراء : ٦٤] يقول : قربنا نَمَّ الْآخِرِينَ ، يعني آل فرعون . فلما قام فرعون على أفواه الطرُّق ، أبت خيله أن تفتحهم ، فنزل جبريل على مَازِيَانة ، فشامت الحِصْن رِيح المَازِيَانة ، فافتحم في أثرها ،^(٤) حتى إذا هم أولهم أن يخرج ودخل آخرهم ، أمير البحر أن يأخذهم ، فالتطم عليهم^(٥) .

٩١١ - حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال قال ابن زيد : لما أخذ عليهم فرعون الأرض إلى البحر ، قال لهم فرعون : قولوا لهم يدخلون البحر إن كانوا صادقين ! فلما رأهم أصحاب موسى قالوا : إنا لمدركون ! قال : كلا إن معي ربي سيهدين . فقال موسى للبحر : ألسنت تعلم أنني رسول الله ؟ قال : بلى ! قال : وتعلم أن هؤلاء عباد من عباد الله أمرني أن آتي بهم ؟ قال : بلى .

(١) في تاريخ الطبري : « وكان الطرق إذا انفلقت بجدران » .

(٢) الطيِّقان والأطواق ، جمع طاق : وهو عقد البناء حيث كان .

(٣) فرق يفرق فرقاً (بفتحين) : فرع أشد الفرع .

(٤) في المطبوعة : « مَازِيَانة . . . المَازِيَانة » ، وانظر ما سلف : ٥٤ تعليق : ٤ ، وفي

المطبوعة « فشام الحصان » بالإنفراد ، وهو غير جيد في سياق الكلام . الصواب من المخطوطة وتاريخ الطبري . وشام الشيء : تشمه . والحصن ، جمع حصان .

(٥) الأثر : ٩١٠ - في تاريخ الطبري ١ : ٢١٣ - ٢١٤ ، ومضت فقرة منه برقم : ٩٠٤ .

والتطم البحر عليهم : أطبق عليهم وختم وهو يتلاطم موجه . ولم أجدها في كتب اللغة . ولكنهم يقولون : التطمط الأمواج وتلاطمت ، ضرب بعضها بعضاً . ويقولون : لطم الكتاب : أى ختمه . فالذى جاء في الخبر عربي معرق في مجازه .

قال : أتعلم أن هذا عدو الله ؟ قال : بلى . قال : فافرق لى طريقاً ولمن معى .^(١)
 قال : يا موسى إنما أنا عبد مملوك ، ليس لى أمرٌ إلا أن يأمرنى الله تعالى . فأوحى
 الله عز وجل إلى البحر : إذا ضَرَبَكَ موسى بعصاه فانفرك . وأوحى إلى موسى
 أن يضرب البحر ، وقرأ قول الله تعالى : ﴿ فَأَضْرِبْ لَهُمُ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً
 لَا تَخَافُ دَرْكاً وَلَا تَخْشَى ﴾ [سورة طه : ٧٧] وقرأ قوله : ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهَوًّا ﴾
 [سورة الدخان : ٢٤] — سهلاً ليس فيه نُقْرَ^(٢) — فانفرك اثنتى عشرة فرقة ، فسلك
 كل سبِطٍ فى طريق . قال : فقالوا لفرعون : لأنهم قد دخلوا البحر ! قال : ادخلوا
 عليهم . قال : وجبريل فى آخر بنى إسرائيل يقول لهم : ليلحقْ آخرُكم أولَكم .
 — وفى أوّل آل فرعون يقول لهم : رُويداً يلحقْ آخرُكم أولَكم . فجعل كلَّ
 سبِطٍ فى البحر يقولون للسبِط الذين دخلوا قبلهم : قد هلكوا ! فلما دخل ذلك
 قلوبهم أوحى الله جل وعزّ إلى البحر فجعلَ لهم قناطر ، ينظر هؤلاء إلى هؤلاء ،
 حتى إذا خرج آخرُ هؤلاء ودخل آخرُ هؤلاء ، أمر الله البحر فأطبقَ على هؤلاء .

* * *

ويعنى بقوله : « وأنتم تنظرون » ، أى تنظرون إلى فرق الله لكم البحر ،
 وإهلاكه آل فرعون فى الموضع الذى نجّاكم فيه ، وإلى عظيم سلطانه — فى الذى
 أراكم من طاعة البحر إياه ، من مصيره رُكاماً فليقاً كهيئة الأطواد الشاخنة ،^(٣)
 غير زائل عن حدّه ، انقياداً لأمر الله وإذعاناً لطاعته ، وهو سائل ذائبٌ قبل ذلك .

يوقفهم بذلك جل ذكره على موضع حُججه عليهم ، ويذكّرهم آلاءه عند
 أوائلهم ، ويحدّثهم — فى تكذيبهم نبيّنا محمداً صلى الله عليه وسلم — أن يحلّ

(١) فى المطبوعة « فافرق لى طريقاً . . . » وهو خطأ .

(٢) فى المطبوعة : « ليس فيه تمد » ، وفى المخطوطة : « نفد » والبدال تشبه أن تكون راء .
 فاستظهرت أن تكون ما أثبت . والنقر جمع نفرة : وهى الوهدة المستديرة فى الأرض ، أو الحفرة صغيرة
 ليست بكبيرة . وهذا أشبه بالكلام والمعنى .

(٣) فى المطبوعة : « ركاماً فرقاً » ، وهو تغيير بلا سبب . ركام : مجتمع بعضه فوق بعض .
 والفلق جمع فلقة (بكسر فسكون) : وهى الشق .

بهم ما حلّ بفرعون وآله ، في تكذيبهم موسى صلى الله عليه وسلم .

• • •

وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى قوله : « وأنتم تنظرون » ، كعنى قول القائل : « ضُربَتْ وأهلك ينظرون » ، فإتوك ولا أعانوك » ، بمعنى : وهم قريبٌ بمراى ٢٢١/١ ومسمع ، وكقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ [سورة الفرقان : ٤٥] ، وليس هناك رؤية ، إنما هو علم .

قال أبو جعفر : والذي دعاه إلى هذا التأويل ، أنه وجه قوله : « وأنتم تنظرون » ، أى وأنتم تنظرون إلى غرق فرعون ، فقال : قد كانوا في شغل من أن ينظروا — مما اكتنفهم من البحر — إلى فرعون وغرقه . وليس التأويل الذى تأوله تأويل الكلام ، إنما التأويل : وأنتم تنظرون إلى فرق الله البحر لكم — على ما قد وصفنا آنفاً — والتظام أمواج البحر بآل فرعون ، في الموضع الذى صير لكم في البحر طريقاً ييسراً . وذلك كان ، لاشك ، نظراً عياناً لا نظراً علم ، كما ظنه قائل القول الذى حكينا قوله .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا ﴾

اختلفت القرآءة في قراءة ذلك ، ^(١) فقرأ بعضهم : « وَعَدْنَا » بمعنى أن الله تعالى واعد موسى موافاة الطور لمناجاته ، ^(٢) فكانت المواعدة من الله لموسى ، ومن موسى لربه . وكان من حججهم على اختيارهم قراءة « وَعَدْنَا » على « وَعَدْنَا » أن قالوا : كل اتّعادٍ كان بين اثنين للالتقاء والاجتماع ، ^(٣) فكل واحد منهما

(١) في المطبوعة في الموضعين : « القراء » ، كما فعل كثيراً فيما مضى . والقرآء جمع قارئ .

(٢) في المطبوعة : « ملاقات الطور » ، ولا أدرى لم غيره من غيره !

(٣) في المطبوعة : « كل إيمان . . . أو الاجتماع » ، ولا أدرى لم فعل ذلك ! واتمد اعتماداً

أفضل ، من الوجد .

مواعدٌ صاحبَه ذلك. فلذلك — زعموا — ^(١) وَجِبَ أَنْ يُقْضَىَ لقراءة من قرأ « واعدنا » ،
بالاختيار على قراءة من قرأ « واعدنا » .

وقرأ بعضهم : « واعدنا » ، بمعنى أن الله الواعدُ والمنفردُ بالوعدِ دونه . وكان
من حجتهُم في اختيارهم ذلك أن قالوا : إنما تكون المواعدة بين البشر ، فأما الله
جل ثناؤه ، فإنه المنفردُ بالوعد والوعيد في كل خير وشر . قالوا : وبذلك جاء التنزيل
في القرآن كله ، فقال جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ ﴾ [سورة
إبراهيم : ٢٢] وقال : ﴿ وَإِذْ يَعِدْكُمْ اللَّهُ إِخْدَى الطَّاغُوتَيْنِ أَنَّهُمَا لَكُمْ ﴾
[سورة الأنفال : ٧] . قالوا : فكذلك الواجب أن يكون هو المنفرد بالوعد في
قوله : « وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى »

• • •

والصواب عندنا في ذلك من القول : أنهما قراءتان قد جاءت بهما الأمة وقرأت
بهما القراء ، وليس في القراءة بإحدهما إبطال معنى الأخرى ، وإن كان في
إحدهما زيادةٌ معنى على الأخرى من جهة الظاهر والتلاوة ، ^(٢) فأما من جهة
المفهوم بهما ، فهما متفقتان . وذلك أن من أخبر عن شخص أنه وعد غيره اللقاء
بموضع من المواضع ، فمعلوم أن الموعدَ ذلك واعدَ صاحبه من لقائه بذلك المكان ،
مثل الذي وعده من ذلك صاحبه ، إذا كان وعده ما وعده إياه من ذلك عن
اتفاق منهما عليه . ومعلوم أن موسى صلوات الله عليه لم يعدّه ربّه الطورَ إلا عن
رضا موسى بذلك ، إذ كان موسى غير مشكوكٍ فيه أنه كان بكل ما أمر الله به
راضياً ، وإلى محبته فيه مسارعاً . ومعقول أن الله تعالى لم يعد موسى ذلك ، إلا
وموسى إليه مستجيب . وإذا كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن الله عز ذكره كان
وعد موسى الطورَ ، ووعدّه موسى اللقاء . فكان الله عز ذكره لموسى واعداً مواعداً

(١) في المطبوعة : « فلذلك رموا أنه وجب » بزيادة « أنه » ، وهي زيادة مفسدة للمعنى .

(٢) انظر ما مضى في تفسير « الظاهر » : ٥٠ ، والمراجع

له المناجاة على الطور ، ^(١) وكان موسى «واعداً لربه مواعداً له اللقاء» . فبأى القراءتين من «وعد» و «واعد» قرأ القارئ ، فهو للحق في ذلك — من جهة التأويل واللغة — مصيبٌ ، لما وصفنا من العِلَل قبل ^(٢) .

ولا معنى لقول القائل : إنما تكون المواعدة بين البشر ، وأن الله بالوعد والوعيد منفرد في كل خير وشر . وذلك أن انفراد الله بالوعد والوعيد في الثواب والعقاب ، والخير والشر ، والنفع والضرر الذي هو بيده وإليه دون سائر خلقه — لا يُحيل الكلامَ الجارى بين الناس في استعمالهم إياه عن وجوهه ، ولا يغيّره عن معانيه . والجارى بين الناس من الكلام المفهوم ما وصفنا : من أن كل اتّعداد كان بين اثنين ، ^(٣) فهو وعدٌ من كل واحد منهما صاحبه ، ومواعدةٌ بينهما ، وأن كل واحد منهما واعدٌ صاحبه ^{٢٢٢/١} مواعدٌ . وأن الوعد الذي يكون به الانفراد من الواعد دون الموعود ، إنما هو ما كان بمعنى «الوعد» الذى هو خلاف «الوَعيد» .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿مُوسَى﴾

«وموسى» — فيما بلغنا — بالقبطية كلمتان ، يُعنى بهما : ماء وشجر . «فمو» ، هو الماء ، و «شا» هو الشجر . ^(٤) وإنما سمي بذلك — فيما بلغنا — لأن أمه لما جعلته في التابوت — حين خافت عليه من فرعون وألقته في اليم ، كما أوحى الله إليها ، وقيل : إن اليم الذى ألقته فيه هو النيل — دفعته أمواج اليم حتى أدخلته بين أشجار عند بيت فرعون ، فخرج جوارى آسية امرأة فرعون يغتسلن ، فوجدن

(١) في المطبوعة : «قد كان وعد موسى» بزيادة «قد» ، وفيها أيضاً «وكان الله عز وجل لموسى واعد ومواعداً» ، والواو هنا ليست بشيء في قوله «وكان» ، و «ومواعداً» .

(٢) في المطبوعة : «فهو الحق في ذلك . . .» ، وهو خطأ .

(٣) في المطبوعة هنا أيضاً كما سلف : «كل إبعاد» ، وهو فساد وخطأ .

(٤) في المطبوعة والمخطوطة : «سا» وأثبت ما في التاريخ .

التابوت فأخذنه . فسمى باسم المكان الذى أصيب فيه ، ، وكان ذلك بمكان فيه ماء وشجر ، ^(١) فقيل : موسى ، ماء وشجر . كذلك : —

٩١٢ — حدثني موسى بن هرون ، قال حدثنا عمرو بن حماد ، عن أسباط بن نصر ، عن السدى . ^(٢)

* * *

وقال أبو جعفر : وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب لإسرائيل الله بن إسحق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله ، فيما زعم ابن إسحق .

٩١٣ — حدثني بذلك ابن حميد قال ، حدثنا سلمة بن الفضل ، عنه . ^(٣)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾

ومعنى ذلك : وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة بتمامها . فالأربعون ليلة كلها داخلة فى الميعاد .

وقد زعم بعض نحويتى البصرة أن معناه : وإذ واعدنا موسى انقضاء أربعين ليلة ، أى رأس الأربعين . ومثّل ذلك بقوله : ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾ [سورة يوسف : ٨٢] ويقولهم : « اليوم أربعون منذ خرج فلان » ، « واليوم يومان » . أى اليوم تمام يومين ، وتمام أربعين .

قال أبو جعفر : وذلك خلاف ما جاءت به الرواية عن أهل التأويل ، وخلاف ظاهر التلاوة . فأما ظاهر التلاوة ، فإن الله جل ثناؤه قد أخبر أنه واعد موسى أربعين ليلة ، فليس لأحد إحالة ظاهر خبره إلى باطن ، ^(٤) بغير برهان دال على صحته .

(١) فى المطبوعة : « وكان ذلك المكان فيه » وليست بشئ .

(٢) الأثر : ٩١٢ تاريخ الطبرى ١ : ٢٠١ فى خبر طويل .

(٣) الأثر : ٩١٣ — مختصر من خبر نسبه فى تاريخ الطبرى ١ : ١٩٨ .

(٤) انظر تفسير « ظاهر » و « باطن » فيما سلف ص : ٥٠ ، والمراجع قبلها .

وأما أهل التأويل فلأنهم قالوا في ذلك ما أنا ذاكره ، وهو ما : —

٩١٤ — حدثني به المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قوله : « وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة » ، قال : يعني ذا القعدة وعشرًا من ذى الحجة . وذلك حين خلف موسى أصحابه واستخلف عليهم هرون ، فكث على الطور أربعين ليلة ، وأنزل عليه التوراة في الألواح — وكانت الألواح من برَد^(١) — فقربه الرب إليه نجياً وكلمه ، وسمع صريف القلم . وبلغنا أنه لم يحدث حدثاً في الأربعين ليلة حتى هبط من الطور^(٢) .

٩١٥ — وحدثت عن عمار بن الحسن ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بنحوه .

٩١٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة بن الفضل ، عن ابن إسحق قال : وعد الله موسى — حين أهلك فوعون وقومه . ونجّاه وقومه — ثلاثين ليلة ثم أتمّها بعشر ، فتمّ ميقات ربّه أربعين ليلة ، يلقيه ربه فيها ما شاء .^(٣) واستخلف موسى هرون على بني إسرائيل ، وقال : إني متعجل إلى ربّي ، فاخلطني في قومي ولا تتبع سبيل المفسدين . فخرج موسى إلى ربه متعجلاً ليلقيّه شوقاً إليه ،^(٤) وأقام هرون في بني إسرائيل ومعه السامري ، يسير بهم على أثر موسى ليلحقهم به .^(٥)

٩١٧ — حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا

(١) في المطبوعة : « وكانت الألواح من زبرجد » ، والصواب ما أثبتته من المخطوطة ، وما جاء عن أبي العالية ، في صفة الألواح ٩ : ٤٦ (بولاق) .

(٢) صريف الأقلام : صوتها وصريها وهي تجري بما تكتبه الملائكة . وقوله : « لم يحدث حدثاً » ، أي لم يكره ما يكره الناس من قضاء الحاجة .

(٣) في المطبوعة : « ثناه ربه فيها بما شاء » .

(٤) في المطبوعة : « لثاته » ، وهما سواء في المعنى .

(٥) الأثر : ٩١٦ — صدر هذا الأثر في تاريخ الطبري ١ : ٢١٧ - ٢١٨ ، ولكن قطعه

الطبري ، وأتمه من خبر السدي .

أسباط ، عن السدى ، قال : انطلق موسى ، واستخلف هرون على بنى إسرائيل ،
وواعدهم ثلاثين ليلة ، وأتمها الله بعشر .^(١)

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾

وتأويل قوله : « ثم اتخذتم العجلَ من بعده » ، ثم اتخذتم فى أيام مُوَاعِدَةِ
موسى العجلَ إلهاً ، من بعد أن فارقكم موسى متوجّها إلى الموعد . و « الهاء » فى قوله :
« من بعده » عائدة على ذكر موسى .

فأخبر جل ثناؤه المخالفين نبينا صلى الله عليه وسلم من يهود بنى إسرائيل ،
المكذّبين ، المخاطبين بهذه الآية — عن فعل آبائهم وأسلافهم ، وتكذيبهم رُسُلهم ، ٢٢٣/١
وخلافهم أنبياءهم ، مع تنازع نعمة عليهم ، وشيوع آلائه لديهم ،^(٢)
معرفهم بذلك أنهم — من خلاف محمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم به ، وجحودهم
لرسالته ، مع علمهم بصدقه^(٣) — على مثل منهاج آبائهم وأسلافهم ، ومحدّرهم
من نزول سبطوته بهم = بمقامهم على ذلك من تكذيبهم = ما نزل بأوائلهم المكذّبين
بالرسل : من المسخ واللعن وأنواع النقيمات .
وكان سبب اتخاذهم العجل ، ما : —

٩١٨ — حدثني به عبد الكريم بن الهيثم قال ، حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادى
قال ، حدثنا سفيان بن عيينة قال ، حدثنا أبو سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن
عباس قال : لما هجم فرعون على البحر هو وأصحابه ، وكان فرعون على فرس أدّهم

(١) الأثر : ٩١٧ — فى تاريخ الطبرى فى خبر طويل ١ : ٢١٨ ، وسيأتى تمامه فى رقم : ٩١٩ .

(٢) فى المطبوعة : « سبوغ آلائه » . وشيوع آلائه : ظهورها وعمومها حتى استوى فيها جميعهم .

وانظر ما سيأتى بعد ص : ٨١ ، تعليق : ٣ .

(٣) فى المطبوعة : « من خلافهم محمداً . . . »

ذُنُوبَ حِصَّانٍ ، فلما هجم على البحر ، هَابَ الحِصَّانُ أَنْ يَفْتَحَ فِي الْبَحْرِ ، فتمثل له جبريل على فرس أنثى ودقيق ، فلما رآها الحصان تقحَّم خلفها. ^(١) قال : وعرف السامريُّ جبريلَ - ، لأنَّ أمه حين خافت أن يُذبحَ خَلَفَتْهُ فِي غَارٍ وَأُطْبِقَتْ عَلَيْهِ ، فكان جبريل يأتيه فيغذُّوه بأصابعه ، فيجد في بعض أصابعه لبناً ، وفي الأخرى عسلاً ، وفي الأخرى سمناً ، فلم يزل يغذوه حتى نشأ . فلما عاينه في البحرَ عَرَفَهُ ، فقبض قبضةً من أثرِ قَرَسِهِ ، قال : أخذ من تحت الحافر قبضةً . — قال سفيان : فكان ابن مسعود يقرأها : ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ قَرَسٍ الرَّسُولِ﴾ [سورة طه : ٩٦] -

قال أبو سعيد قال ، عكرمة ، عن ابن عباس : وألقى في رُوعِ السامريِّ : ^(٢) إنك لا تلقىها على شيء فتقول : وكن كذا وكذا ، إلا كان . فلم تزل القبضة معه في يده حتى جاوز البحرَ . فلما جاوز موسى وبنو إسرائيل البحرَ ، وأغرق الله آل فرعون ، قال موسى لأخيه هرون : اخلُفني في قومي وأصلح . ومضى موسى لموعده ربِّه . قال : وكان مع بني إسرائيل حَلْيٌ من حلْيِ آل فرعون قد تورَّوه ، ^(٣) فكأنهم تأثَّموا منه ، فأخرجوه لتنزل النارُ فتأكله . فلما جمعه ، قال السامريُّ بالقبضة التي كانت في يده هكذا ، ^(٤) فقدفها فيه — وأوماً ابن إسحق بيده هكذا — وقال : كن عِجْلاً جَسداً له خُوارٌ . فصار عِجْلاً جَسداً له خُوارٌ ، وكان تدخل الريح في دُبُرِهِ وتخرج من فيه ، يسمع له صوت ، فقال : هذا إلهكم وإله موسى . فعكفوا على العجل يعبدونه ، فقال هرون : يَا قَوْمَ ، إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ، وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ! قالوا : لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى .

٩١٩ — حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا

(١) انظر آخر الأثر رقم : ٩٠٩ فهو هذا بنصه ، ثم يأتي تمامه .

(٢) الروع (بضم الراء) : القلب والعقل . وقع ذلك في روعي : أي في نفسي وغلدي وبالي .

(٣) تور الشيء واستماره : أخذه عارية ، كما تقول : تعجب واستعجب .

(٤) قال بالقبضة : رفعها مشيراً بيده ليلقيها . وقد مضى تفسير ذلك في ص : ٥٤ تعليق : ٣

أسباط بن نصر ، عن السدى : لما أمر الله موسى أن يخرج بني إسرائيل - يعنى من أرض مصر - أمر موسى بني إسرائيل أن يخرجوا ، وأمرهم أن يستعبروا الحلى من القبط . فلما نجى الله موسى ومن معه من بني إسرائيل من البحر ، وغرق آل فرعون ، أتى جبريلُ إلى موسى يذهب به إلى الله . فأقبل على فرس ، فرآه السامرى فأنكره وقال : إنه فرسُ الحياة ! فقال حين رآه : إن لهذا لشأناً ! فأخذ من تربة الحافر - حافر الفرس - فانطلق موسى ، واستخلف هرون على بني إسرائيل ، وواعدهم ثلاثين ليلة ، وأتمها الله بعشر . فقال لهم هرون : يا بني إسرائيل ، إن الغنيمة لا تحلُّ لكم ، وإن حلى القبط إنما هو غنيمة ، فاجمعوها جميعاً واحفروا لها حفرة فادفنوها ، فلما جاء موسى فأحلَّها أخذتموها ، وإلاَّ كان شيئاً لم تأكلوه . فجمعوا ذلك الحلى فى تلك الحفرة ، وجاء السامرى بتلك القبضة فقدَّفها ، فأخرج الله من الحلى عجلاً جسداً له خوار . وعدت بنو إسرائيل موعِدَ موسى ، فعُدُّوا الليلة يوماً واليوم يوماً . فلما كان تمام العشرين ، خرج لهم ٢٢٤/١ العجلُ . فلما رآه قال لهم السامرى : هذا إلهكم وإله موسى كَفَسِي - يقول ترك موسى إلهه ههنا وذهب يطلبه . فعكفوا عليه يعبدونه ، وكان يخور ويمشى . فقال لهم هرون : يا بني إسرائيل إنما فُتِنْتُمْ به - يقول : إنما ابتليتم به ، يقول : بالعجل - وإن ربكم الرحمن . فأقام هرون ومن معه من بني إسرائيل لا يقاتلونهم ، وانطلق موسى إلى إلهه يكلمه ، فلما كلمه قال له : ما أعجلك عن قومك يا موسى ؟ قال : هم أولاء على أترى وعجلتُ إليك رب لترضى . قال : فلما قد فتنَّا قومك من بعدك وأضلَّهُم السامرى : فأخبره خبرهم . قال موسى : يارب ، هذا السامرى أمرهم أن يتخذوا العجل ، أرايت الروح من نفخها فيه ؟ قال الرب : أنا . قال : رب أنت إذا أضلَّكتهم (١) .

٩٢٠ - حدثنا ابن حديد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : كان

(١) الأثر : ٩١٩ - مضى صدره فى رقم : ٩١٧ . وفى التاريخ ١ : ٢١٨ .

— فيما ذكر لى — أن موسى قال لبنى إسرائيلَ فيما أمره الله به : استعبروا منهم — يعنى من آل فرعون — الأمتعة والحلى والثياب ، فلانى مُنفلَكُم أموالهم مع هلاكهم . فلما أذن فرعون فى الناس ، كان مما يحرض به على بنى إسرائيل أن قال : حين ساروا لم يرضوا أن يخرجوا بأنفسهم ، حتى ذهبوا بأموالكم معهم^(١)

٩٢١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني محمد بن إسحق عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان السامرى رجلاً من أهل باجرَمَا ، وكان من قوم يعبدون البقر ، وكان حُبَّ عبادةِ البقر فى نفسه ، وكان قد أظهر الإسلام فى بنى إسرائيل . فلما فصل هرون فى بنى إسرائيل ، وفصل موسى إلى ربه ،^(٢) قال لهم هرون : أنتم قد حملتم أوزاراً من زينة القوم — آل فرعون — وأمتعةً ، وحلياً ، فتطهروا منها فلنْها تَجَسَّسُ . وأوقد لهم ناراً فقال : اقدِفوا ما كان معكم من ذلك فيها . قالوا : نعم . فجعلوا يأتون بما كان فيهم من تلك الأمتعة وذلك الحلى ،^(٣) فيقذفون به فيها . حتى إذا تكسّر الحلى فيها ، ورأى السامرى أثر فرس جبريل ، فأخذ تراباً من أثر حافره ،^(٤) ثم أقبل إلى النار فقال لهرون :^(٥) يا بنى الله ، ألقى ما فى يدي؟ قال : نعم . ولا يظن هرون إلا أنه كبعض ما جاء به غيره من ذلك الحلى والأمتعة ، فقفذه فيها وقال : « كن عجلاً جسداً له خوار » ، فكان ، للبلاء والفتنة . فقال : هذا إلهكم وإله موسى . فعكفوا عليه ، وأحبوه حباً لم يحبوا مثله شيئاً قط . يقول الله عز وجل : ﴿ فَتَنَّا ﴾ ، [سورة : طه ٨٨] أى ترك ما كان عليه من الإسلام — يعنى السامرى — ﴿ أَفَلَا

(١) الأثر : ٩٢٠ — فى تاريخ الطبرى ١ : ٢١٦ . وفى المطبعة « أن يخرجوا بأنفسهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ . ففله الشيء : جملة نفلا ، أى غنيمة مستباحة .

(٢) فصل فلان عن البلد يفصل فصولاً : إذا خرج وفارقها .

(٣) فى المطبعة : « بما كان معهم » ، غيره ليستقيم حل دارج ما ألفره .

(٤) فى المطبعة : « أخذ تراباً » ، حذفوا الفاء ليستقيم عر . بينهم ، فيما زعموا .

(٥) فى تاريخ الطبرى : « ثم أقبل إلى الحفرة . . . »

يَرَوْنَ أَنْ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا [سورة طه : ٨٩] وكان اسم السامريّ . موسى بن ظفّر - وقع في أرض مصر فدخل في بني إسرائيل .^(١) فلما رأى هرون ما وقعوا فيه قال : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ . قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى [سورة طه : ٩٠ - ٩١] . فأقام هرون فيمن معه من المسلمين ممن لم يُفْتَنَ ، وأقام من يعبد العجل على عبادة العجل ، وتخوف هرون ، إن سار بمن معه من المسلمين ، أن يقول له موسى : فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي . وكان له هائباً مطيعاً^(٢) .

٩٢٢ - حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب ، قال ، قال ابن زيد : لما أنجى الله عز وجل بني إسرائيل من فرعون ، وأغرق فرعون ومن معه ، قال موسى لأخيه هرون : اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين . قال : لما خرج موسى وأمر هرون بما أمره^(٣) ، وخرج موسى متعجلاً مسروراً إلى الله ، قد عرف موسى أن المرء إذا أنجح في حاجة سيده ، كان يسره أن يتعجل إليه^(٤) . قال : وكان حين خرجوا استعاروا حلياً وثياباً من آل فرعون ، فقال لهم هرون : ٢٢٥/١ « إِنَّ هَذِهِ ثِيَابُ وَالْحُلِيِّ لَا تَحِلُّ لَكُمْ ، فَاجْمَعُوا نَاراً فَأَلْقُوهُ فِيهَا فَأَحْرِقُوهُ . قال : فجمعوا ناراً . قال : وكان السامريُّ قد نظر إلى أثر دابة جبريل ، وكان على فرس أنثى - وكان السامري في قوم موسى - قال : فنظر إلى أثره فقبض منه قبضة ، فبيست عليها يده . فلما ألقى قوم موسى الحل في النار ، وألقى السامري

(١) هو كما ذكر في أول الخبر من أهل « باجرما » ، و باجرما : قرية من أعمال البليخ قرب الرقة ، من أرض الجزيرة ، (ياقوت) . ويقال : موضع قبل نصيبين (معجم ما استعجم) . وقال الميداني في شرح المثل : [خطب يسير في خطب كبير] أن الزباء كانت من أهل باجرما وتتكلم العربية .

(٢) الأثر : ٩٢١ - في تاريخ الطبري ١ : ٢١٩ - ٢٢٠ .

(٣) في المطبوعة : « بما أمره به » .

(٤) في المطبوعة : « نجح » ، وأنجح : أدرك طلبته وبلغ النجاح . وإن كنت أخشى أن يكون في الكلمة تصحيف غنى عل .

مَعَهُمُ الْقَبْضَةُ ، صَوَّرَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ ذَلِكَ لَهُمْ عَحْلاً ذَهَباً ، فدخلته الريحُ فكان له خَوَارٌ . فقالوا : ما هذا ؟ فقال السامريُّ الحبيث : ﴿ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴾ ، الآية - إلى قوله ﴿ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾ [سورة طه : ٨٨ - ٩١] قال : حتى إذا أتى موسى الموعدَ قال الله : ﴿ مَا أَغْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى قَالَ هُمْ أَوْلَانِي عَلَى أَنْزَرِي ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿ أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ ﴾ [سورة طه : ٨٤ - ٨٦]

٩٢٣ - حدثنا القاسم بن الحسن قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله : « ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ » . قال : العجل : حَسِيلُ الْبَقَرَةِ^(١) . قال : حلى استعاروه من آل فرعون ، فقال لهم هرون : أخرجوه فتطهروا منه وأحرقوه . وكان السامري أخذ قبضة من أثر فرس جبريل فطرحه فيه ، فانسبك ، فكان له كالخوف تهوى فيه الرياح .

٩٢٤ - حدثني المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية قال : إنما سُمِّيَ الْعِجْلُ ، لأنهم عَجِلُوا فاتخذوه قبل أن يأتيهم موسى .

٩٢٥ - حدثني محمد بن عمرو الباهلي قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثني عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحو حديث القاسم عن الحسن .

٩٢٦ - حدثني المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه^(٢)

• • •

(١) الحسيل (بفتح فكسر) : ولد البقرة .

(٢) الأثران : ٩٢٥ ، ٩٢٦ - في المخطوطة ساق إسناد الأثرين جميعاً في موضع واحد قال : « قال حدثنا عيسى - وحدثني المثنى بن إبراهيم ، قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل - جميعاً عن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ » قال : العجل : حسيل البقرة . . . » ثم ساق نص ما في الأثر : ٩٢٤ . فأثرت ترك ما في المطبوعة على حاله .

تأويل قوله ﴿وَأَنْتُمْ ظَلِمُونَ﴾ (٥١)

يعنى : وأنتم واضعو العباداة فى غير موضعها ، لأن العباداة لا تنبغى إلا لله عز وجل ، وعبدتم أنتم العجل ظلماً منكم ، ووضعاً للعبادة فى غير موضعها . وقد دللنا - فى غير هذا الموضع مما مضى من كتابنا - أن أصل كل ظلم ، وضع الشيء فى غير موضعه . فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع (١) .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٥٢)

قال أبو جعفر : وتأويل قوله : « ثم عفونا عنكم من بعد ذلك » ، يقول : تركنا معاجلتكم بالعقوبة ، « من بعد ذلك » ، أى من بعد اتخاذكم العجل إلهاً ، كما :-
٩٢٧ - حدثني به المنى بن إبراهيم قال ، حدثنا آدم العسقلاني قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « ثم عفونا عنكم من بعد ذلك » ، يعنى : من بعد ما اتخذتم العجل .

• • •

وأما تأويل قوله : « لعلكم تشكرون » ، فإنه يعنى به : لتشكروا . ومعنى « لعل » فى هذا الموضع معنى « كى » . وقد بينت فيما مضى قبل أن أحد معانى « لعل » ، كى ، بما فيه الكفاية عن إعادته فى هذا الموضع (٢) .

• • •

فعنى الكلام إذا : ثم عفونا عنكم من بعد اتخاذكم العجل إلهاً ، لتشكرونى على عفوى عنكم ، إذ كان العفو يوجب الشكر على أهل اللب والعقل .

• • •

(١) انظر ما مضى ١ : ٥٢٣ - ٥٢٤ .

(٢) انظر ما مضى ١ : ٣٦٤ - ٣٦٥ .

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٥٢)

قال أبو جعفر: يعنى بقوله : « وإذ آتينا موسى الكتاب » : واذكروا أيضاً إذ آتينا موسى الكتاب والفرقان. ويعنى : « الكتاب » : التوراة ، و« الفرقان » : الفصل بين الحق والباطل ، كما : —

٩٢٨ — حدثني المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية في قوله : « وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ » ، قال : فرّق به بين الحق والباطل .

٩٢٩ — حدثني محمد بن عمرو الباهلي قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ » ، قال : الكتاب : هو الفرقان ، « فرقان » بين الحق والباطل (١) .

٩٣٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٩٣١ — وحدثني القاسم بن الحسن قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله : « وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ » ، قال : الكتاب هو الفرقان ، فرّق بين الحق والباطل .

٩٣٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال ، وقال ابن عباس : « الفرقان » : جماع اسم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان .

وقال ابن زيد في ذلك بما : —

٩٣٣ — حدثني به يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب . قال ،

(١) في المخطوطة : « هو الفرقان بين الحق والباطل » ، والى في المطبوعة أجود .

سألته - يعنى ابن زيد - عن قول الله عز وجل : « وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ » فقال : أما « الْفُرْقَان » الذى قال الله جل وعز : « ﴿ يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّنَاقُ الْجَمْعَانِ ﴾ [سورة الأنفال : ٤١] ، فذلك يومٌ بدر ، يومَ فَرَقَ اللهُ بين الحق والباطل ، والقضاء الذى فرق به بين الحق والباطل . قال : فكذلك أعطى الله موسى الْفُرْقَانَ ، فرق الله بينهم ، وسلَّمه وأنجاه ، فرقَ بينهم بالنصر . فكما جعل الله ذلك بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين المشركين ، فكذلك جعله بين موسى وفرعون. ^(١)

قال أبو جعفر : وأولى هذه التأويلات بتأويل الآية ، ^(٢) ما روى عن ابن عباس وأبى العالية ومجاهد : من أن « الفرقان » ، الذى ذكر الله أنه آتاه موسى في هذا الموضع ، هو الكتاب الذى فرق به بين الحق والباطل ، وهو نعتٌ للتوراة وصفة لها . فيكون تأويل الآية حينئذ : وإذ آتينا موسى التوراة التى كتبناها له في الألواح وَفَرَقْنَا بها بين الحق والباطل .

فيكون « الكتاب » نعتاً للتوراة أقيم مقامها ، استغناء به عن ذكر التوراة ، ثم عطف عليه بـ « الفرقان » ، إذ كان من نعتها .

وقد بينا معنى « الكتاب » فيما مضى من كتابنا هذا ، وأنه بمعنى المكتوب . ^(٣)

وإنما قلنا هذا التأويل أولى بالآية ، وإن كان محتملاً غيره من التأويل ، لأن الذى قبله من ذكر « الكتاب » ، وأن معنى « الفرقان » الفصل ^(٤) - وقد دللنا على ذلك فيما مضى من كتابنا هذا ^(٥) - ، فإلحاقه ، إذ كان كذلك ، بصفة ما وكيه ، أولى من إلحاقه بصفة ما بعد منه .

(١) في المطبوعة : « بين محمد والمشركين » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : « فأول هذين التأويلين . . . » .

(٣) انظر ما مضى ١ : ٩٧ - ٩٩ .

(٤) في المطبوعة : « لأن الذى قبله ذكر الكتاب » بإسقاط « من » .

(٥) انظر ما مضى ١ : ٩٨ - ٩٩ .

وأما تأويل قوله : « لعلكم تهتلون » ، فنظير تأويل قوله : « لعلكم تشكرون » ، ومعناه تهتلوا ^(١) .

وكأنه قال : واذكروا أيضاً إذ آتينا موسى التوراة التي تفرق بين الحق والباطل تهتلوا بها ، وتتبعوا الحق الذي فيها ، لأنني جعلتها كذلك هدى لمن اهتدى بها ، واتبع ما فيها .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ
يَقَوْمِ إِنكُمْ تَظْلِمُونَ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا
إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ
فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ٥٢ ﴾

وتأويل ذلك : واذكروا أيضاً إذ قال موسى لقومه من بني إسرائيل : يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم . وظلمهم إياها ، كان فعلهم بها ما لم يكن لهم أن يفعلوه بها ، مما أوجب لهم العقوبة من الله تعالى . وكذلك كل فاعل فعلاً يستوجب به العقوبة من الله تعالى ، فهو ظالم لنفسه بإيجابه العقوبة لها من الله تعالى . وكان الفعل الذي فعلوه فظلموا به أنفسهم ، هو ما أخبر الله عنهم : من ارتدادهم باتخاذهم العجل رباً بعد فراق موسى لإياهم .

ثم أمرهم موسى بالمراجعة من ذنبهم ، والإنابة إلى الله من ردتهم ، بالتوبة ٢٢٧/١ إليه ، والتسليم لطاعته فيما أمرهم به . وأخبرهم أن توبتهم من الذنب الذي ركبوه قتلهم أنفسهم .

• • •

وقد دللنا فيما مضى على أن معنى « التوبة » : الأوبة مما يكرهه الله إلى ما يرضاه

(١) انظر ما مضى ٢ : ٦٩ .

من طاعته . (١)

* * *

فاستجاب القوم لما أمرهم به موسى من التوبة مما ركبوا من ذنوبهم إلى ربهم ، على ما أمرهم به ، كما : -

٩٣٤ - حدثنا محمد بن المنثي قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة بن الحجاج ، عن أبي إسحق ، عن أبي عبد الرحمن أنه قال في هذه الآية : « فاقتلوا أنفسكم » ، قال : عمّدوا إلى الخناجر فجعل يطعن بعضهم بعضاً .

٩٣٥ - حدثني عباس بن محمد قال ، حدثنا حجاج بن محمد ، قال ابن جريج ، أخبرني القاسم بن أبي بزة أنه سمع سعيد بن جبير ومجاهداً قالا : قام بعضهم إلى بعض بالخناجر يقتل بعضهم بعضاً ، لا يحزن رجلٌ على رجل قريب ولا بعيد ، (٢) حتى ألقى موسى بثوبه ، (٣) فطرحوا ما بأيديهم ، فتكشّف عن سبعين ألف قتيل . وإن الله أوحى إلى موسى : أنْ حَسْبِيَ ، فقد اكتفيت ! فذلك حين ألقى بثوبه . (٤)

٩٣٦ - حدثني عبد الكريم بن الهيثم قال ، حدثنا إبراهيم بن بشار قال ، حدثنا سفیان بن عيينة قال ، قال أبو سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال موسى لقومه : « تَوْبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » . قال : أمر موسى قومه - عن أمر ربه عز وجل - أن يقتلوا أنفسهم ، قال : فاحتبي الذين عكفوا على العجل فجلسوا ، (٥)

(١) انظر ما سلف ١ : ٥٤٧ .

(٢) سن عليه : عطف عليه . وفي ابن كثير ١ : ١٦٩ « لا يحزنو » ، وهو مثله في المعنى .

(٣) ألقى بثوبه : لمح به وأشار . يأمرهم موسى بالكف عما هم فيه .

(٤) في المطبوعة : « قد اكتفيت ، فذلك حين ألقى . . . » . وفي المخطوطة « بذلك » ، واخترت

ما نقله ابن كثير ١ : ١٦٩ .

(٥) في المخطوطة : « فاحتبى الذين عكفوا . . . » ، وفي ابن كثير ١ : ١٦٩ : « فأخبر » ،

وهو خطأ محض . واحتبى بثوبه : ضم رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ، يشده عليها ، وقد يكون الاحتباء باليدين عرض الثوب . وانظر البغوي ١ : ١٦٩ ، فهو دال على صواب ما استظهرته في قراءة الكلمة .

وَقَامَ الَّذِينَ لَمْ يَعْكَفُوا عَلَى الْعَجَل ، وَأَخَذُوا الْخَنَاجِرَ بِأَيْدِيهِمْ ، وَأَصَابَتْهُمْ ظَلْمَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَجَعَلَ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَانْجَلَتِ الظُّلْمَةُ عَنْهُمْ وَقَدْ أَجْلَتُوا عَنْ سَبْعِينَ أَلْفَ قَتِيلٍ ، ^(١) كُلٌّ مِنْ قُتِلَ مِنْهُمْ كَانَتْ لَهُ تَوْبَةٌ ، وَكُلٌّ مِنْ بَقِيَ كَانَتْ لَهُ تَوْبَةٌ .

٩٣٧ - حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَرُونَ قَالَ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ قَالَ ، حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّيِّدِ قَالَ : لَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ قَالَ : ﴿ يَقَوْمُ أَلَمْ يَعْذِبْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَذَابًا حَسَنًا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ فَكَذَلِكَ أَتَى السَّامِرِيُّ ﴾ [سورة طه : ٨٦-٨٧] . فَأَتَى مُوسَى الْأُلُوحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجْرِي إِلَيْهِ ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ [سورة طه : ٩٤] . فَفَرَّقَ هَرُونَ وَمَالٌ إِلَى السَّامِرِيِّ ، فَقَالَ : ﴿ مَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ [سورة طه : ٩٥-٩٧] . ثُمَّ أَخَذَهُ فَذَبَحَهُ ، ثُمَّ حَرَقَهُ بِالْمِبْرَدِ ، ^(٢) ثُمَّ خَرَّاهُ فِي الْيَمِّ ، فَلَمْ يَبْقَ بِحَجَرٍ يَجْرِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا وَقَعَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْهُ . ثُمَّ قَالَ لَهُمُ مُوسَى : اشْرَبُوا مِنْهُ . فَشَرَبُوا ، فَفَنَ كَانَ يَجِبُهُ خُرُوجٌ عَلَى شَارِبِيهِ الذَّهَبِ . فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [سورة البقرة : ٩٢] . فَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِي بَنِي إِسْرَائِيلَ حِينَ جَاءَ مُوسَى ، وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا : « لَنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ » . فَأَبَى اللَّهُ أَنْ يَقْبَلَ تَوْبَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، إِلَّا بِالْحَالِ الَّتِي كَرِهُوا أَنْ يِقَاتِلَهُمْ حِينَ عَبَدُوا الْعِجْلَ ، ^(٣) فَقَالَ لَهُمُ مُوسَى : « يَا قَوْمِ إِنكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ » . قَالَ : فَصَفَّقُوا صَفْقَيْنِ ، ثُمَّ اجْتَلَدُوا بِالسُّيُوفِ . فَاجْتَلَدَ الَّذِينَ عَبَدُوا

(١) أَجَلَ عَنْ كَذَا : انْكَشَفَ عَنْهُ .

(٢) حَرَقَ الْحَدِيدَ بِالْمِبْرَدِ حَرَقًا ، وَحَرَقَهُ (بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ) : بَرَدَهُ وَحَكَّ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ . وَكَذَلِكَ جَاءَ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ١ : ٢٢٠ قَالَ : « سَمِعْتُ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُ : إِنَّمَا كَانَ إِحْرَاقُهُ مَحَلًّا » . وَالسَّحْلُ : السَّحْقُ وَالْحَكُّ بِالْمِبْرَدِ .

(٣) فِي الْمَطْبُوعَةِ : « أَنْ يِقَاتِلُوهُمْ » ، وَأَثْبَتَ مَا فِي الْمَخْطُوطَةِ ، وَتَارِيخِ الطَّبَرِيِّ .

والذين لم يعبدوه بالسيوف ، فكان من قتل من الفريقين شهيداً ، حتى كثر القتل ، حتى كادوا أن يهلكوا ، حتى قُتل بينهم سبعون ألفاً ، حتى دعا موسى وهرون^(١) : ربَّنَا هَلَكْتَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ! رَبَّنَا الْبَقِيَّةُ الْبَقِيَّةُ !^(٢) فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَضَعُوا السِّلَاحَ وَتَابَ عَلَيْهِمْ . فكان من قتل شهيداً ، ومن بقى كان مكفراً عنه . فذلك قوله : « فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم » .^(٣)

٩٣٨ - حدثني محمد بن عمرو الباهلي قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى : « باتخاذكم العجل » ، ٢٢٨/١ قال : كان موسى أمر قومه - عن أمر ربه - أن يقتل بعضهم بعضاً بالخناجر ، فجعل الرجل يقتل أباه ويقتل ولده ، فتاب الله عليهم .

٩٣٩ - وحدثني المنثني قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « باتخاذكم العجل » ، قال : كان أمر موسى قومه - عن أمر ربه - أن يقتل بعضهم بعضاً ، ولا يقتل الرجل أباه ولا أخاه . فبلغ ذلك في ساعة من نهار سبعين ألفاً .^(٤)

٩٤٠ - حدثني المنثني قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : « وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم » الآية ، قال : فصاروا صفين ، فجعل يقتل بعضهم بعضاً ، فبلغ القتل ما شاء الله . ثم قيل لهم : قد تيب على القاتل والمقتول .

٩٤١ - حدثنا المنثني قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني الليث قال ، حدثني عقيل ، عن ابن شهاب قال : لما أمرت بنو إسرائيل يقتل أنفسهم ، برزوا

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « وحتى دعا موسى » ، وأثبت ما في التاريخ بحذف واو العطف

(٢) البقية : الإبقاء عليهم ، يدعوان ربهما أن يبقى بقية ، فلا يستأصلهم بقتل أنفسهم .

(٣) الأثر : ٩٣٧ - في تاريخ الطبري ١ : ٢١٩ .

(٤) الأثر : ٩٣٩ - سقط هذا الأثر كله من المطبوعة .

ومعهم موسى ، فاضطربوا بالسيوف ، ^(١) وتطاعنوا بالخناجر ، وموسى رافع يديه . حتى إذا كفر ، أتاه بعضهم فقالوا : يا نبي الله ، ادعُ الله لنا . وأخذوا بعضديه يستنلون يديه . ^(٢) فلم يزل أمرهم على ذلك ، حتى إذا قبل الله توبتهم قبض أيدي بعضهم عن بعض ، فألقوا السلاح . وحزن موسى وبنو إسرائيل للذي كان من القتل فيهم ، فأوحى الله جل ثناؤه إلى موسى : ما يحزنك ؟ ^(٣) أما من قتل منكم ، فحىً عندى يرزق ، وأما من بقى ، فقد قبلت توبته ! فبشر بذلك موسى بنى إسرائيل ^(٤) .

٩٤٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهري وقتادة في قوله : « فاقتلوا أنفسكم » ، قال : قاموا صفين يقتل بعضهم بعضاً ، ^(٥) حتى قيل لهم : كفوا ! قال قتادة : كانت شهادةً للمقتول وتوبة للحى .

٩٤٣ — حدثنا القاسم بن الحسن قال ، حدثنا الحسين بن داود قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال لى عطاء : سمعت عبيد بن عمير يقول : قام بعضهم إلى بعض ، يقتل بعضهم بعضاً ، ما يتراباً الرجل أخاه ولا أباه ولا ابنه ولا أحداً ، حتى نزلت التوبة . ^(٦)

قال ابن جريج ، وقال ابن عباس : بلغ قتلاهم سبعين ألفاً ، ثم رفع الله جل وعز عنهم القتل وتاب عليهم .

(١) في المطبوعة : « فتضاربوا » وأثبت ما في المخطوطة وابن كثير ١ : ١٧٠ . وتضارب الرجلان يسفيهما واضطربا : تجالدا بالسيف ، بمعنى واحد .

(٢) في المطبوعة : « يشدون » ، والصواب من المخطوطة وابن كثير . يريد : يستنلون يديه وموسى رافع يديه يدعو الله .

(٣) في المطبوعة : « لا يحزنك » ، والصواب من المخطوطة وابن كثير .

(٤) في المطبوعة وابن كثير : « فسر بذلك موسى وبنو إسرائيل » .

(٥) في المطبوعة : « فقتل بعضهم بعضاً » ، ليست بشيء .

(٦) في المطبوعة « ما يتوق الرجل » ، وفي المخطوطة « ما يترابا » . ورأيت فلاناً : اتقيته واتقافى . ومن مادته : « أربأ بك عن كذا » . أى أرفكك عنه ولا أرضاه لك . ويقال : « ما عبات به ولا رأيت » : أى ما باليت به ولا حفلت . فقرله : « ما يتراباً » أى ما يبال الرجل أن يقتل أخاه .

قال ابن جريج : قاموا صَفَّينَ فاقتلوا بينهم ، فجعل الله القتل لمن قُتل منهم شهادةً ، وكانت توبةً لمن بقي . وكان قتلُ بعضهم بعضاً : أن الله علم أن ناساً منهم علموا أن العجلَ باطل ، فلم يمنعمهم أن ينكروا عليهم إلا مخافة القتال ، فلذلك أمر أن يقتل بعضهم بعضاً .

٩٤٤ - حدثنا ابن حديد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : لما رجع موسى إلى قومه - وأحرق العجل وذراه في اليم^(١) ، وخرج إلى ربه بمن اختار من قومه ، فأخذتهم الصاعقة ، ثم بعثوا - سأل موسى ربه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل ، فقال : لا ، إلا أن يقتلوا أنفسهم . قال : فبلغني أنهم قالوا لموسى : نصبر لأمر الله ! فأمر موسى من لم يكن عبد العجل أن يقتل من عبده . فجلسوا بالأفنية ، وأصلت عليهم القوم السيوف ،^(٢) فجعلوا يقتلونهم . وبكى موسى ، وبهش إليه النساء والصبيان يطلبون العفو عنهم ،^(٣) فتاب عليهم وعفا عنهم ، وأمر موسى أن ترفع عنهم السيوف .^(٤)

٩٤٥ - حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : لما رجع موسى إلى قومه وكان سبعون رجلاً قد اعتزلوا مع هرون العجل لم يعبدوه ، فقال لهم موسى : انطلقوا إلى موعد ربكم . فقالوا : يا موسى ، أمّا من توبة ؟ قال : بلى ! « اقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم »

(١) في صدر هذا الخبر من التاريخ ١ : ٢٢٠ أن إحراق العجل : بحله ، كما مضى في ص : ٧٤

تعليق : ٢

(٢) في المطبوعة : « وسلت القوم عليهم السيوف » . وأثبت ما في تاريخ الطبري وابن كثير ١ : ١٧٠ . وأصل السيف : جرده من غمده .

(٣) بهش إليه : أقبل عليه وأسرع إليه ، وتهياً للبكاء .

(٤) الأثر : ٩٤٤ - في تاريخ الطبري ١ : ٢٢١ ، وابن كثير ١ : ١٧٠ ، وفي التاريخ

وحده : « أن يرفع عنهم السيف » .

هذا ، وفي النسخة المخطوطة التي اعتمدناها ، غرم من عند قوله في هذا الأثر : « سأل ربه التوبة لبني إسرائيل من عبادة » - إلى أن يأتي قوله : « القول في تأويل قوله تعالى : « ثم بعثناكم من بعد موتكم » . وهو أول المجلد الثاني من هذه النسخة ، وتدل وثيقة الوقف التي كتبت على ظهر هذا المجلد ، أن هذه النسخة مجزأة في اثنين وعشرين جزءاً .

الآية . فَاخْتَرَطُوا السِّيفَ وَالْجِرَّةَ وَالْخَنَاجِرَ وَالسَّكَائِينَ .^(١) قال : وبعث عليهم ضبابة . قال : فجعلوا يتلأمسون بالأيدي ، ويقتل بعضهم بعضاً . قال : ويلقى الرجل أباه وأخاه فيقتله ولا يلدري ، ويتنادون فيها : رحم الله عبداً صبر نفسه حتى يبلغ الله رضاه .^(٢) وقرأ قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَآتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة الدخان : ٣٣] . قال : فقتلهم شهداء ، وتيبّ عل أحيائهم ، وقرأ : « فتاب عليكم لأنه هو التواب الرحيم » .^(٣)

فالذي ذكرنا — عن رويناه عنه الأخبار التي رويناهها — كان توبة القوم من الذنب الذي أتوه فيما بينهم وبين ربهم ، بعبادتهم العجل ، مع ندمهم على ما سلف منهم من ذلك .

وأما معنى قوله : « فتوبوا إلى بآرائكم » ، فإنه يعني به : ارجعوا إلى طاعة خالقكم ، وإلى ما يرضيه عنكم ، كما : —

٩٤٦ — حدثني به المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « فتوبوا إلى بآرائكم » ، أي : إلى خالقكم .

وهو من « برأ الله الخلق يبرؤه فهو بارئ » . و« البرية » : الخلق . وهي « فعيلة » بمعنى « مفعولة » ، غير أنها لا تُهْمَز . كما لا يهْمَز « مَلَك » وهو من « لَأَك » ، لكنه جرى بترك الهمز كذلك .^(٤) قال نابغة بنى ذبيان :

إِلَّا سَلِيمَانَ إِذْ قَالَ الْمَلِكُ لَهُ : قُمْ فِي الْبَرِيَّةِ فَاحْذُذْهَا عَنِ الْفَنَدِ^(٥)

(١) اختلط السيف : سله . والجِرَّة (بكسر الجيم وفتح الزاي) جمع جرز (بضم فسكون) ، وهو عمود من الحديد ، سلاح يقاتل به .

(٢) في المطبوعة : « صبر حتى يبلغ » بحذف « نفسه » . والزيادة من ابن كثير ١ : ١٧٠ .

(٣) الأثر : ٩٤٥ — في ابن كثير ١ : ١٧٠ .

(٤) انظر ما مضى ١ : ٤٤٤ — ٤٤٧ .

(٥) ديوانه : ٢٩ ، من قصيدته التي قالها يذكر النعمان ويعتذر إليه ، وقبل البيت :

وقد قيل : إن « البرية » إنما لم تُهَمْز ، لأنها « فعيلة » من « البرى » ، والبرى : التراب .
فكان تأويله على قول من تأوله كذلك : أنه مخلوق من التراب .

وقال بعضهم : إنما أخذت « البرية » من قولك : « برئتُ العود » . فلذلك لم يُهَمْز .

قال أبو جعفر : وترك الهمز من « بارئكم » جائر ، والإبدال منها جائز .
فإذ كان ذلك جائزاً في « بارئكم » ، فغير مستنكر أن تكون « البرية » من : « برى
الله الخلق » ، بترك الهمزة .

وأما قوله : « ذلكم خيرٌ لكم عند بارئكم » ، فإنه يعنى بذلك : توبتكم بقتلكم
أنفسكم ، وطاعتكم ربكم ، خير لكم عند بارئكم ، لأنكم تنجون بذلك من عقاب
الله في الآخرة على ذنبكم ، وتستوجبون به الثواب منه .

وقوله : « فتاب عليكم » ، أى : بما فعلتم مما أمركم به من قتل بعضكم بعضاً .
وهذا من المحذوف الذى استغنى بالظاهر منه عن المتروك . لأن معنى الكلام :
فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ، ذلكم خير لكم عند بارئكم ، فتاب عليكم .
فترك ذكر قوله : « فتابم » ، إذ كان في قوله : « فتاب عليكم » دلالةً بينة على اقتضاء
الكلام « فتابم » .

ويعنى بقوله : « فتاب عليكم » ، رجع لكم ربكم إلى ما أحببتم : من العفو عن
ذنوبكم وعظيم ماركبتكم ، والصفح عن جرمكم ، « لأنه هو التواب الرحيم » يعنى :
الراجع لمن أناب إليه بطاعته إلى ما يحب من العفو عنه .
ويعنى بـ « الرحيم » ، العائد إليه برحمته المنجية من عقوبته .

وَلَا أَرَى فَاِعِلَّآ فِي النَّاسِ يُشْبِهُهُ وَلَا أَحَاسِي مِنْ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدٍ

حددت فلان عن الشر : منعته وحبسته . والفند : الخطأ في الرأي وفي القول .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾

قال أبو جعفر : وتأويل ذلك : واذكروا أيضاً إذ قلتم يا موسى لن نصدقك ولن نُقِرَّ بما جئتنا به ، حتى نرى الله جَهْرَةً — عياناً برفع الساتر بيننا وبينه ، وكشف الغطاء دوننا ودونه ، حتى ننظر إليه بأبصارنا ، كما تُجهر الرَكِيَّةُ . وذلك إذا كان ماؤها قد غطَّاهُ الطين ، فنُقِيَ ما قد غطاه حتى ظهر الماء وصفاً . يقال منه : (١) « قد جهرت الركبة أجهرها جَهْرًا وَجَهْرَةً » . (٢) ولذلك قيل : « قد جاهر فلان بهذا الأمر مُجَاهَرَةً وَجِهَارًا » ، (٣) إذا أظهره لرأى العين وأعلنه ، كما قال الفرزدق بن غالب :

مِنَ اللَّائِي يَظَلُّ الْآلِفُ مِنْهُ مُنِيحًا مِنْ مَخَافَتِهِ جِهَارًا (٤)

(١) هذا نص كلام الأخفش (اللسان جهر) . وفي المطبوعة « فنق ما قد غطاه » ، ولا بأس بها ، ولكن أثبت ما في اللسان .

(٢) قوله « وجهرة » ، مصدر لم أجده في اللسان ولا في غيره .

(٣) في المطبوعة : « جهر فلان بهذا الأمر مجاهرة وجهاراً » ، وليس حسناً أن يقال كذلك . فإن « مجاهرة » لا تكون مصدر « جهر » ، ألينة ، وإن جاز أن يكون « جهار » مصدرًا له كما في اللسان : « جهر بكلامه بجهر وجهاراً » . فن أجل ذلك آثرت أن أضع مكان « جهر » « جاهر » ، حتى يستقيم على الجادة .

(٤) ديوانه : ٤٤٣ ، والنقائض : ٢٥٥ ، هجو جريراً ، وقبل البيت :

عَوَى ، فَأَنَارَ أَغْلَبَ ضَنِيفِيًّا فَوَيْلَ ابْنِ الْمَرَاغَةِ ! مَا أَسْتَنَارَا ؟

وقوله « عوى » يعنى جريراً . وقوله « من اللائي » ، أصله : من اللاتين . و « اللاتون » جمع « الذى » من غير لفظه ، بمعنى « الذين » . وفيه لغات : اللاتون ، فى الرفع ، واللاتين ، فى الخفض والنصب . واللاتو ، بلا فون ، واللائي ، بإثبات الياء فى كل حال . يستوى فيه الرجال والنساء ، ومثله قول عباد بن طهفة ، وهو أبو الربيع ، شاعر أموى :

مِنَ النَّفَرِ اللَّائِي الَّذِينَ إِذَا هُمُ يَهَابُ الثَّامُ حَلَقَةَ الْبَابِ قَفَقَعُوا

وأجاز أبو الربيع أن يجمع بين « اللائي » و « الذين » ، لاختلاف اللفظين ، أو على إلغاء أحدهما .

٩٤٧- وكما حدثنا به القاسم بن الحسن قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، قال ابن عباس: « حتى نرى الله جهرة » ، قال: علانية .

٩٤٨- وحدثت عن عمار بن الحسن قال، ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن

أبيه، عن الربيع: « حتى نرى الله جهرة » ، يقول: عياناً . ٢٣٠/١

٩٤٩- وحدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال

ابن زيد: « حتى نرى الله جهرة » ، حتى يطلع إلينا .

٩٥٠- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة:

« حتى نرى الله جهرة » ، أى عياناً .

فذكرهم بذلك جل ذكره اختلاف آبائهم، وسوء استقامة أسلافهم لأنبيائهم،

مع كثرة معانيهم من آيات الله جل وعز وعيبره ما تشلج بأقلها الصدور،^(١)

وتطمئن بالتصديق معها النفوس . وذلك مع تنابع الحجج عليهم ، وسبوغ النعم

من الله لديهم،^(٢) وهم مع ذلك مرة يسألون نبيهم أن يجعل لهم إلهاً غير الله . ومرة

يعبدون العجل من دون الله . ومرة يقولون: لا نصدقك حتى نرى الله جهرة .

وأخرى يقولون له ، إذا دعوا إلى القتال : اذهب أنت وربك فقاتل إنا ههنا

فقول الفرزدق : « من اللائي » ، يعنى : من الذين . ثم قطع القول وحذف ، لدلالة الكلام على ما أراد ، كأنه قال : هو من الذين عرفت يا جرير . ثم استأنف فقال : يظل الألف منه . . . ، والضمير فى « منه » عائد إلى قوله: « أغلب ضيفاً » ، هو الأسد، ويعنى نفسه . والألف : يعنى ألف رجل . وقوله : « منيخاً » : أى قد أناخ « الألف » ركا بهم من مخافته ، وقد قطع عليهم الطريق .

هذا ، ورواية النقائض والديوان : « « نهاراً » مكان « جهاراً » جاء تفسيرها فى النقائض : « قال : نهاراً ، ولم يقل : ليلاً ، لأن الأسد أكثر شجاعته وقوته بالليل . فيقول : هذا الأسد يظل الألف منه منيخاً بالنهار ، فكيف بالليل ! » .

ورواية الطبرى : « جهاراً » قريبة المعنى من رواية من روى « نهاراً » . وهم يقولون : لقيته جهاراً نهاراً . لأن النهار يكشف كل شيء ويعلنه ويجهره . أى أناخوا وهم يرونه رأى العين ، وذلك فى النهار . (١) ثلجت نفسه بالشيء (بكسر اللام) تشلج وتشلج (بفتح اللام وضمها) ثلوجاً : اشتقت واطمأنت وسكنت إليه ، وثقت به .

(٢) مضى فى ص : ٦٣ التعليق على مثل هذه الكلمة ، وكانت فى المخطوطة : « شيوع آلانه لديهم » . وسبوغ النعمة : كالمها وتعامها واتساعها . ولا أزال أستحسن أن تكون هنا « شيوع » ، لقوله « لديهم » ، فأما إن قال « وسبوغ النعم عليهم » ، كما سيأتى فى آخر هذه الفقرة ، فهى « سبوغ » ولا شك .

قاعدون . ومرة يقال لهم : **قُولُوا حِطَّةٌ** وادخلوا الباب مُسَجِّدًا نغفر لكم خطاياكم . فيقولون : **حِطَّةٌ** في شعيرة ! ويدخلون الباب من قبل أستاذهم ، مع غير ذلك من أفعالهم التي آذوا بها نبيهم عليه السلام ، التي يكثر إحصاؤها .

فأعلم رَبُّنَا تبارك وتعالى ذكره الذين خاطبهم بهذه الآيات من يهود بني إسرائيل ، الذين كانوا بين ظَهْرَانِي مُهاجِر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنهم لن يَعدُّوا أن يكونوا — في تكذيبهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، وجحودهم نبوته ، وتركهم الإقرار به وبما جاء به ، مع علمهم به ، ومعرفتهم بحقيقة أمره — كأَسْلَافهم وآبائهم الذين فصلَّ عليهم قَصَصُهم ، في ارتدادهم عن دينهم مرةً بعد أخرى ، وتوثُّبهم على نبيهم موسى صلوات الله وسلامه عليه تارة بعد أخرى ، مع عظيم بلاء الله جل وعزَّ عندهم ، وُسْبُوح آلائه عليهم .^(١)

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّيْقَةُ وَأَنتُمْ

تَنْظُرُونَ ﴾ (٥٥)

اختلف أهل التأويل في صفة الصاعقة التي أخذتهم . فقال بعضهم بما : —

٩٥١ — حدثنا به الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

معمر ، عن قتادة في قوله : « فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ » ، قال : ماتوا .

٩٥٢ — وحدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ،

عن أبيه ، عن الربيع : « فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ » ، قال : سمعوا صوتاً فصعقوا ، يقول : فاتوا .

• • •

وقال آخرون بما : —

٩٥٣ — حدثني موسى بن هرون الهمداني قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ،

حدثنا أسباط ، عن البدي : « فأخذتكم الصاعقة » ، والصاعقة نارٌ .

* * *

وقال آخرون بما : —

٩٥٤ — حدثنا به ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : أخذتهم

الرجفة ، وهى الصاعقة ، فماتوا جميعاً .

* * *

وأصل « الصاعقة » ، كل أمر هائل رآه [المرء] أو عاينه أو أصابه — ^(١) حتى يصير من هوله وعظيم شأنه إلى هلاك وعطب ، وإلى ذهاب عقل وغمر فهم ، ^(٢) أو فقد بعض آلات الجسم — صوتاً كان ذلك أو ناراً أو زلزلة أو رجفاً . وما يدل على أنه قد يكون مصعوقاً وهو حي غير ميت ، قول الله عز وجل : ﴿ وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾ [سورة الأعراف : ١٤٣] ، يعنى : مغشياً عليه ، ومنه قول جرير بن عطية :

وَهَلْ كَانَ الْفَرَزْدَقُ غَيْرَ قَرْدٍ أَصَابَتْهُ الصَّوَاعِقُ فَاسْتَدَارَ؟ ^(٣)
فقد علم أن موسى لم يكن — حين غشي عليه وصعق — ميتاً ، لأن الله

(١) الزيادة بين القوسين من عندى . ليستقيم بها الكلام .

(٢) قوله « غمر فهم » لم أجد هذا المصدر في كتب اللغة . وكأنه مصدر غمر عليه (بالبناء للجهول) : أغشى عليه . وفي الحديث أنه أول ما اشتكى بآبى وأمى صلى الله عليه وسلم — في بيت ميمونة ، اشتد مرضه حتى غمر عليه — أى : أغشى عليه ، حتى كأنه غطى على عقله وستر ، من قولهم : غمرت الشيء : إذا سترته ، وغشى عاينه وأغشى عليه من معنى الستر أيضاً (اللسان ، الفائق) .

(٣) ديوانه : ٢٨١ ، والنقائض : ٢٥١ وبعده في هجاء الفرزدق ، وهو من أشده :

وَكُنْتُ إِذَا حَلَلْتُ بِدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتُ بِمِخْرَافَةٍ وَتَرَكْتُ عَارًا

وما أشد ما قال ! وقال في النقائض في شرح البيت : « ولفته — يعنى جريراً — الصواقع . فاستدار : أى استدار إنساناً بعد أن كان قرداً » . وكأنه أخطأ المعنى ، فإنه أراد أنه مسخ قرداً حل هيئته التي كان عليها قبل أن يكون إنساناً . فقلوه : « استدار » : عاد إلى الموضع الذى ابتداء منه ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » أى عاد كما بدأ . فهو يقول : كان الفرزدق في أصل نشأته قرداً ، ثم تحول إنساناً . فلما أصابته صواعق شرى عاد كما كان في أصل نشأته قرداً صريحاً .

جل وعز أخبر عنه أنه لما أفاق قال : ﴿ تَبْتُ إِلَيْكَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٤٣] -
ولا شبهة جريروا الفرزدق وهو حي بالقرء ميتاً . ولكن معنى ذلك ما وصفنا .

ويعنى . بقوله : « وأنتم تنظرون » ، وأنتم تنظرون إلى الصاعقة التي أصابتكم ، يقول :
أخذتكم الصاعقة عياناً جهاراً وأنتم تنظرون إليها .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ^(١) ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ^(٥٦)

يعنى بقوله : « ثم بعثناكم » ، ثم أحييناكم .

وأصل « البعث » إثارة الشيء من محله . ومنه قيل : « بعث فلان راحلته » .
٢٣١/١ إذا أثارها من مبركها للسير ، كما قال الشاعر :

فَأَبْعَثْنَاهَا وَهِيَ صَنِيعُ حَوْلٍ كَرُّ كُنِ الرَّغْنِ ، ذِعْلِبَةُ وَقَاحَا ^(٢)

(١) عند هذا انتهى الحرم الذي ذكرناه في ص : ٧٧ وبدأت المخطوطة .

(٢) لم أجد البيت في مكان . وقوله : « هي » بتشديد الياء ، وهي لغة همدان ، يشددون الواو من « هو » كقول القائل .

وإنَّ لِسَانِي شُهْدَةٌ يُشْتَقَى بِهَا وَهُوَ ، عَلَى مَنْ صَبَّ اللَّهُ ، عَلَقَمُ

ويشدد الياء من « هي » كقول القائل :

وَالنَّفْسُ مَا أُمِرَتْ بِالْمُنْفِ آيَةً وَهِيَ - - - - - إِنَّ أُمِرَتْ بِاللُّطْفِ تَأْتِمِرُ

والضمير في « أبعثها » إلى ناقته . وقوله : « صنع حول » أى قد رعت حولاً - عاماً - حتى سمعت وقويت . يقال صنع فرسه صنماً وصنمة ، فهو فرس صنع ، والأنثى بنير هاء : إذا أحسن القيام عليه فغذاه وعلفه وسمته . وكل ما تمهدته حتى جاد فهو صنع . والرغن : الأنف العظيم من الجبل تراه متقدماً . شبه ناقته في جلالها وقوتها بركن الجبل . ذعلبة : ناقة سريعة باقية على السير . وقاح : صلبة صبور ، الذكر والأنثى سواء .

و«الرَّعْنُ»: منقطع أنف الجبل ، و«الذَّعْلِبَةُ»: الخفيفة. و«الوَاقِحُ»: شديدة الحافر أو الخف . ومن ذلك قيل : «بعثت فلاناً لحاجتى» ، إذا أقمته من مكانه الذى هو فيه للتوجه فيها . ومن ذلك قيل ليوم القيامة : «يوم البعث» ، لأنه يوم يثار الناس فيه من قبورهم لموقف الحساب .

• • •

ويعنى بقوله : «من بعد موتكم» ، من بعد موتكم بالصاعقة التى أهلكتكم .

• • •

وقوله : «لعلكم تشكرون» ، يقول : فعلنا بكم ذلك لتشكرونى على ما أوليتكم من نعمتى عليكم ، بإحيائى إياكم ، استبقاءً منى لكم ، لتراجعوا التوبة من عظيم ذنبكم ، بعد إحلال العقوبة بكم بالصاعقة التى أحلتها بكم ، فأما تتكم بعظيم خطئكم الذى كان منكم فيما بينكم وبين ربكم .

وهذا القول على تأويل من تأول قوله : «ثم بعثناكم» ، ثم أحييناكم .

• • •

وقال آخرون : معنى قوله «ثم بعثناكم» ، أى بعثناكم أنبياء .

٩٥٥ - حدثنى بذلك موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا

أسباط عن السدى .

• • •

قال أبو جعفر : وتأويل الكلام على ما تأوله السدى : فأخذتكم الصاعقة ، ثم أحييناكم من بعد موتكم ، وأنتم تنظرون إلى إحيائنا إياكم من بعد موتكم ، ثم بعثناكم أنبياء لعلكم تشكرون .

وزعم السدى أن ذلك من المقدم الذى معناه التأخير ، والمؤخر الذى معناه التقديم .

٩٥٦ - حدثنا بذلك موسى قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى .

وهذا تأويل يدل ظاهره التلاوة على خلافه ، مع إجماع أهل التأويل على تخطئته .

والواجب على تأويل السدى ، الذى حكيناه عنه ، أن يكون معنى قوله : «لعلكم تشكرون» ، تشكرونى على تصييرى إياكم أنبياء .

• • •

وكان سببُ قيلهم لموسى ما أخبر الله جل وعز عنهم أنهم قالوه له ، من قولهم : « لن نُؤمن لك حتى نرى الله جَهْرَةً » ، ما : —

٩٥٧ — حدثنا به محمد بن حميد قال ، حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق قال : لما رجع موسى إلى قومه ، ورأى ما هم فيه من عبادة العجل ، وقال لأخيه وللسامريّ ما قال ، وحرّق العجل وذراه في اليمّ ،^(١) اختار موسى منهم سبعين رجلاً ، الخيّرَ فالخيّرَ ، وقال : انطلقوا إلى الله عز وجل فتوبوا إليه مما صنعتم ، وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم ، صُومُوا وتطهّروا وطهّروا ثيابكم . فخرج بهم إلى طور سيناء لميقاتٍ وقّته له ربه ، وكان لا يأتيه إلاّ بإذن منه وعلم . فقال له السبعون — فيما ذُكر لي — حين صنعوا ما أمرهم به ، وخرجوا للقاء ربه :^(٢) يا موسى ، اطلب لنا إلى ربك نسْمِعَ كلام ربنا ،^(٣) قال : أفعل . فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه غمودٌ غمامٍ حتى تغشى الجبل كله ،^(٤) ودنا موسى فدخل فيه ، وقال للقوم : ادنوا . وكان موسى ، إذا كلمه ربه ، وقع على جبهته نور ساطعٌ لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه . فضرب دونه الحجاب ، ودنا القوم ، حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً ، فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه : افعل ، ولا تفعل . فلما فرغ إليه من أمره ، انكشف عن موسى الغمام.^(٥) فأقبل إليهم ، فقالوا لموسى : « لن نُؤمن لك حتى نرى الله جَهْرَةً » ، فأخذتهم

(١) في المخطوطة : « وذراه في البحر » .

(٢) في المطبوعة : « للقاء الله » ، وأثبت ما في المخطوطة وتاريخ الطبري . وفي المخطوطة بعد قوله : « ربه » : « لموسى » ، وأما التاريخ ، فلم يذكر « يا موسى » ، ولا « لموسى » .

(٣) في المطبوعة : « لنسمع كلام . . . » وفي التاريخ : « اطلب لنا نسمع كلام ربنا » بحذف « إلى ربك » .

(٤) في المطبوعة : « وقع عليه الغمام » ، وفي التاريخ : « وقع عليه عمود الغمام » .

(٥) في المطبوعة : « فلما فرغ من أمره » ، وأثبت ما في المخطوطة والتاريخ . وفيها أيضاً : « وانكشف » بزيادة الواو ، وهو خطأ .

الرَّجْفَةَ - وهي الصاعقة - [فَاثْلَيْتَ أَرْوَاحَهُمْ] فَا تَوَّاجِعًا^(١) وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ويقول : رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَايْ ! قد سَفَّهُوا ، أَفْهَكَ مَنْ وَرَأَى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا تَفْعَلُ السُّفَهَاءُ مِنَّا؟^(٢) - أَيْ : إِنْ هَذَا لَهُمْ هَلَاكٌ - اخْتَرْتُ مِنْهُمْ سَبْعِينَ رَجُلًا ، الْخَيْرَ فَالْخَيْرَ ، أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ وَلَيْسَ مَعِيَ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ ! فَا الَّذِي يَصْدُقُونِي بِهِ أَوْ يَأْمَنُونِي عَلَيْهِ بَعْدَ هَذَا ؟ « إِنَا هُذُنَا ٢٣٢/١ إِلَيْكَ » . فلم يزل موسى يناشد ربه ويسأله ويطلب إليه ،^(٣) حتى رَدَّ إِلَيْهِمْ أَرْوَاحَهُمْ ، فطلب إليه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل ، فقال : لا ، إِنْ أَنْ يَقْتُلُوا أَنْفُسَهُمْ .^(٤)

٩٥٨ - حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد ، حدثنا أسباط بن نصر ، عن السدي : لما تاب بنو إسرائيل من عبادة العجل ، وتاب الله عليهم بقتل بعضهم بعضاً كما أمرهم به ، أمر الله تعالى موسى أن يأتيه في ناسٍ من بني إسرائيل ، يعتزلون إليه من عبادة العجل ، ووعدهم موعداً . فاختر موسى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا عَلَى عَيْنِهِ ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِمْ لِيَعْتَذِرُوا . فلما أتوا ذلك المكان قالوا : « لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً » ، فإِنَّكَ قَدْ كَلِمْتَهُ فَأَرِنَاهُ : فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةُ فَاتُوا . فقام موسى يبكي ويدعوا الله ويقول : رَبِّ مَاذَا أَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا أُتِيَتْهُمْ وَقَدْ أَهْلَكْتَ خِيَارَهُمْ ؟ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَايْ ، أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى : إِنَّ هَؤُلَاءِ السَّبْعِينَ مِمَّنْ اتَّخَذَ الْعَجْلَ . فذلِكَ حِينَ يَقُولُ مُوسَى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ﴾ [إِلَى قَوْلِهِ]

(١) الذي بين القوسين زيادة من تاريخ الطبري ، وهي هناك : « فَاثْلَيْتَ أَرْوَاحَهُمْ » ، والصواب ما أثبتته . يقال : « اثْلَيْتَ نَفْسَهُ » (بالبناء للمجهول) ، مات فلتة ، أَيْ بفتة ، وفي الحديث : أَنْ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إِنْ أُمِّي أَثْلَيْتَ نَفْسَهَا ، فَاتَتْ وَلَمْ تَرَوْسَ ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ .

(٢) في التاريخ : « قد سَفَّهُوا ، فإِليك من ورأى . . . إِنْ هَذَا لَهُمْ هَلَاكٌ » ، بخلاف « أَيْ » .

(٣) قوله : « ويسأله » ليست في المطبوعة .

(٤) الأثر : ٩٥٧ - في تاريخ الطبري ١ : ٢٢٠ - ٢٢١ .

﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٥-١٥٦] . [يقول تُبْنَا إِلَيْكَ]^(١) . وذلك قوله : « وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذْنَاكُمُ الصَّاعِقَ » . ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَحْيَاهُمْ فَقَامُوا وَعَاشُوا رِجَالًا رِجَالًا ، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ كَيْفَ يَحْيَوْنَ ، فَقَالُوا : يَا مُوسَى أَنْتَ تَدْعُو اللَّهَ فَلَا تَسْأَلْهُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاكَ ، فَادْعُهُ يَجْعَلْنَا أَنْبِيَاءَ . فَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى فَجَعَلَهُمْ أَنْبِيَاءَ . فَذَلِكَ قَوْلُهُ : « ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ » ، وَلَكِنَّهُ قَدَّمَ حَرْفًا وَأَخَّرَ حَرْفًا^(٢) .

٩٥٩ - حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : قَالَ لَمْ يَمُوتْ مُوسَى - لَمَّا رَجَعَ مِنْ عِنْدَ رَبِّهِ بِالْأَلْوَحِ ، قَدْ كَتَبَ فِيهَا التَّوْرَةَ ، فَوَجَدَهُمْ يَعْبُدُونَ الْعِجْلَ ، فَأَمَرَهُمْ بِقَتْلِ أَنْفُسِهِمْ ، ففَعَلُوا فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ - :^(٣) إِنَّ هَذِهِ الْأَلْوَحَ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ ، فِيهِ أَمْرُهُ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ ، وَنَهْيُهُ الَّذِي نَهَاكُمْ عَنْهُ . فَقَالُوا : وَمَنْ يَأْخُذُهُ بِقَوْلِكَ أَنْتَ ! لَا وَاللَّهِ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ، حَتَّى يَطْلُعَ اللَّهُ إِلَيْنَا^(٤) فيقول : هَذَا كِتَابِي فَخُذُوهُ ، فَمَا لَهُ لَا يَكَلِّمُنَا كَمَا كَلَّمَكَ أَنْتَ يَا مُوسَى ،^(٥) فيقول : هَذَا كِتَابِي فَخُذُوهُ ؟ وَقَرَأْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : « لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً » ، قَالَ : فَجَاءَتْ غَضَبَةٌ مِنَ اللَّهِ ، فَجَاءَتْهُمْ صَاعِقَةٌ بَعْدَ التَّوْبَةِ ، فَصَعَقَتْهُمْ فَاتُوا أَجْمَعُونَ . قَالَ : ثُمَّ أَحْيَاهُمُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمْ ، وَقَرَأْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : « ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » . فَقَالَ لَمْ يَمُوتْ مُوسَى : خُلِدُوا كِتَابَ اللَّهِ . فَقَالُوا : لَا . فَقَالَ : أَيْ شَيْءٌ أَصَابَكُمْ ؟ قَالُوا : أَصَابَنَا أَنْتَ مِتْنَا ثُمَّ حَيَّيْنَا ! قَالَ : خُلِدُوا كِتَابَ اللَّهِ . قَالُوا : لَا . فَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى مَلَائِكَةً فَتَنَّتْ الْجِبِلَّ

(١) الزيادة التي بين الأقواس من تاريخ الطبري ، والأول منها زيادة لا بد منها .

(٢) الأثر : ٩٥٨ في تاريخ الطبري ١ : ٢٢١ . وقوله : « قدم حرفاً وأخر حرفاً » ، هو ما ذكره في تأويل الآية حل ما ذهب إليه السدي (ص: ٨٥) « فأخذتكم الصاعقة ، ثم أحييناكم . . . » .

(٣) في المطبوعة : « فقال : إن هذه الألواح . . . » .

(٤) في المطبوعة : « يطلع الله علينا » .

(٥) في المطبوعة : « كما يكلمك أنت » . وسيأتي حل الصواب في رقم : ١١١٥ .

(١١). فوقهم .

٩٦٠ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون . ثم بعثناكم من بعد موتكم » ، قال : أخذتهم الصاعقة ، ثم بعثهم الله تعالى ليكملوا بقية آجالهم .

٩٦١ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس في قوله : « فأخذتكم الصاعقة » ، قال : هم السبعون الذين اختارهم موسى فساروا معه ، قال : فسمعوا كلاماً ، فقالوا : « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » . قال : فسمعوا صوتاً فصعقوا - يقول : ماتوا - فذلك قوله : « ثم بعثناكم من بعد موتكم » ، فبعثوا من بعد موتهم ، لأن موتهم ذاك كان عقوبة لهم ، فبعثوا لبقية آجالهم .

* * *

فهذا ما روى في السبب الذي من أجله قالوا لموسى : « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » . ولا خبر عندنا بصحة شيء مما قاله من ذكرنا قوله في سبب قبيلهم ذلك لموسى ، تقومُ به حجة فيُسَلِّمُ له .^(٢) وجائز أن يكون ذلك بعض ٢٣٣/١ ما قالوه . فإذا كان لا تخبر بذلك تقوم به حجة ، فالصوابُ من القول فيه أن يقال : إن الله جل ثناؤه قد أخبر عن قوم موسى أنهم قالوا له : « يا موسى لن لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » ، كما أخبر عنهم أنهم قالوه . وإنما أخبر الله عز وجل بذلك عنهم الذين خوطبوا بهذه الآيات ، توبيخاً لهم في كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقد قامت حجته على من احتجَّ به عليه ، ولا حاجة لمن

(١) الأثر : ٩٥٩ - سيأتي أيضاً رقم : ١١١٥ ، وفيه تمام الخبر نتقوا الجبل : اقتلوه من أصله ورفعوه فوقهم .

(٢) في المطبوعة : « فسلم لهم » ، وهو خطأ وتعبير فاسد . وإنما أراد التسليم للخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا الذي قاله الطبري دليل على صحة ما ذكرنا من أنه لم يستدل بهذه الأخبار إلا للبيان عن بعض المعاني ، وإن كانت لا تقوم بها الحجة في التفسير ، كما قلنا في التذكرة التي كتبناها في الجزء الأول : ٤٥٣ - ٤٥٤ . وانظر بقية كلام الطبري في هذه الفقرة . فإنه كلام بليغ بالدلالة ، مفيد في معرفة أسلوب الطبري في تفسيره .

انتهت إليه إلى معرفة السبب الداعي لهم إلى قيل ذلك . وقد قال الذين أخبرنا عنهم الأقوال التي ذكرناها ، وجائز أن يكون بعضها حقاً كما قال .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ﴾

« وظللنا عليكم الغمام » عطف على قوله : « ثم بعثناكم من بعد موتكم » . فتأويل الآية : ثم بعثناكم من بعد موتكم وظللنا عليكم الغمام - وعدد عليهم سائر ما أنعم به عليهم - لعلكم تشكرون .

• • •

و « الغمام » جمع « غمامة » ، كما السحاب جمع سحابة . و « الغمام » هو ما غمَّ السماء فألبسها من سحاب وقتام ، وغير ذلك مما يسترها عن أعين الناظرين . وكل مغطى فالعرب تسميه مغموماً . (١)

• • •

وقد قيل إن الغمام التي ظللها الله على بني إسرائيل لم تكن سحابة .

٩٦٢ - حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « وظللنا عليكم الغمام » ، قال : ليس بالسحاب .
٩٦٣ - حدثني الثني بن إبراهيم قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « وظللنا عليكم الغمام » ، قال : ليس بالسحاب ، هو الغمام الذي يأتي الله فيه يوم القيامة ، لم يكن إلاّ لهم . (٢)

٩٦٤ - حدثني محمد بن عمرو الباهلي قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله جل ثناؤه : « وظللنا عليكم

(١) في المطبوعة : « فإن العرب تسمية » .

(٢) الأثر ٩٦٣ - في المخطوطة ، ساق هذا الأثر إلى قوله « قال : ليس بالسحاب » ثم قال بملء ما نصه : « وبإسناده عن مجاهد قال : ليس بالسحاب ، هو الغمام الذي . . . إلى آخر الخبر .

الغمام » ، قال : هو بمنزلة السحاب .

٩٦٥ - حدثني القاسم بن الحسن قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : قال ابن عباس : « وظللنا عليكم الغمام » ، قال : هو غمامٌ أبردُ من هذا وأطيبُ ، وهو الذى يأتى الله عز وجل فيه يوم القيامة فى قوله : (١) ﴿ فى ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ [سورة البقرة : ٢١٠] ، وهو الذى جاءت فيه الملائكة يوم بدر . قال ابن عباس : وكان معهم فى التَّيِّه . (٢)

* * *

وإذا كان معنى الغمام ما وصفنا ، مما غَمَّ السماء من شيء يُغْطى وجهها عن الناظر إليها ، (٣) فليس الذى ظله الله عز وجل على نبي إسرائيل - فوصفه بأنه كان غماماً - بأولى ، بوصفه إياه بذلك أن يكون سحاباً ، منه بأن يكون غير ذلك مما ألبس وجه السماء من شيء .

* * *

وقد قيل : إنه ما ابيضَّ من السحاب .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ ﴾

اختلف أهل التأويل فى صفة « المنّ » . فقال بعضهم بما : -

٩٦٦ - حدثني به محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : « وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ » ، قال : المن صمغة .

٩٦٧ - حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن

(١) فى المخطوطة : « فيه فى قوله » بحذف « يوم القيامة » .

(٢) الضمير فى قوله : « وكان » ، للهام .

(٣) فى المطبوعة : « غطى وجهها » ، وتلك أجرد .

أبي نجیح ، عن مجاهد مثله .

٩٦٨ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « وأنزلنا عليكم المن والسلوى » ، يقول : كان المن يتزل عليهم مثل الثلج .

* * *

وقال آخرون : هو شرابٌ . * ذكر من قال ذلك :

٩٦٩ - حدثني المنثي قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس قال : المن ، شراب كان ينزل عليهم مثل العسل ، فيمزجونه بالماء ثم يشربونه .

* * *

وقال آخرون : « المن » ، عسلٌ . * ذكر من قال ذلك :

٩٧٠ - حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : المن ، عسل كان ينزل لهم من السماء . ٢٣٤/١

٩٧١ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر قال : عسلُكم هذا جزءٌ من سبعين جزءاً من المن .

* * *

وقال آخرون : « المن » الخبز الرقاق . (١) * ذكر من قال ذلك :

٩٧٢ - حدثني المنثي قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم قال ، حدثني عبد الصمد قال : سمعت وهباً - وسئل : ما المن ؟ - قال : خبز الرقاق ، مثل الذرة ومثل النقي . (٢)

* * *

وقال آخرون : « المن » ، الزنجبيل . (٣) * ذكر من قال ذلك :

(١) في المطبوعة : « خبز الرقاق » . خبز رقاق ورقيق ، كطويل وطوال ، صفة . وهو خبز منبسط رقيق .

(٢) الأثر : ٩٧٢ - بعض أثر سيأتي برقم : ٩٩٥ . وفي المخطوطة : « من الذرة » ، وفي ابن كثير كتاب المطبوعة ، وسيأتي كذلك في رقم : ٩٩٥ .

(٣) في المطبوعة « الترنجيبين » ، وكذلك في البغوى « الترنجيبين » . وفي تاج العروس : « الترنجيبين »

٩٧٣ - حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : المن كان يسقط على شجر الزنجبيل .^(١)

* * *

وقال آخرون : « المن » ، هو الذي يسقط على الشجر ، الذي يأكله الناس .
ذكر من قال ذلك :

٩٧٤ - حدثني القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : كان المن ينزل على شجرهم ، فيغدون عليه ، فيأكلون منه ما شاؤوا .^(٢)

٩٧٥ - حدثني الثني قال ، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن مجالد ، عن عامر في قوله : « وأنزلنا عليكم المن » ، قال : المن الذي يقع على الشجر .

٩٧٦ - حدثت عن المنجاب بن الحارث قال ، حدثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : « المن » ، قال : المن الذي يسقط من السماء على الشجر فتأكله الناس .

٩٧٧ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، قال حدثنا شريك ، عن مجالد ، عن عامر قال : المن ، هذا الذي يقع على الشجر .

* * *

وقد قيل : إن « المن » ، هو الترنجيبين .

* * *

وقال بعضهم : « المن » ، هو الذي يسقط على الثمام والعُشَر ، وهو حلوكا العسل ، وإياه عَنَى الأعشى - ميمون بن قيس - بقوله :

بالضم ، هو المن المذكور في القرآن . وسيأتي ذلك بعد رقم : ٩٧٧ ، وهو هنا « الزنجبيل » كما في ابن كثير ، والمخطوطة . وانظر لسان العرب : (من) .

(١) في المطبوعة : « شجر الترنجيبين » .

(٢) الأثر : ٩٧٤ - هو في المخطوطة بعد رقم : ٩٧٦ .

لَوْ أَطْعِمُوا الْمَنَّ وَالسَّلْوَى مَكَانَهُمْ مَا أَبْصَرَ النَّاسُ طُعْمًا فِيهِمْ نَجْمًا^(١)

وتظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« الكأمة من المن ، وماؤها شفاء للعين »^(٢) .

وقال بعضهم : « المن » ، شرابٌ حلو كانوا يطبخونه فيشربونه .

وأما أمية بن أبي الصلت ، فإنه جعله في شعره عسلاً ، فقال يصف أمرهم
في التَّيِّه وما رزقوا فيه :

فَرَأَى اللَّهُ أَنَّهُمْ بِمَضِيعٍ لَا يَذِي مَزْرَعٍ وَلَا مَعْمُورًا^(٣)

(١) ديوانه : ٨٧ من قصيدة طويلة ، يذكر فيها ذا التاج هذفة بن علي الحنفي صاحب الإمامة .
وكانت بنو تميم قد وثبت على مال وطرف كانت تساق إلى كسرى ، فأوقع بهم المكعب الفارسي ، والى
كسرى على البحرين ، وأدخلهم المشقر - وهو حصن بالبحرين - بتجديمة خدعهم بها ، فقتل رجالهم
واستبقى الغلمان . وكلم هذفة بن علي الحنفي المكعب يومئذ في مئة من أسرى بني تميم ، فوجههم له يوم الفصح ،
فأعتنهم ، فقال الأعشى ، يذكر ما كان من فعل هذفة في بني تميم :

سَائِلٌ تَيْمًا بِهِ أَبَا مَصْفَقَتِهِمْ لَمَّا أَتَوْهُ أُسَارَى كُلُّهُمْ ضَرَعًا
وَسَطَ الْمَشْقَرِ فِي عَيْطَاءِ مُظْلَمَةٍ لَا يَسْتَطِيعُونَ فِيهَا ثَمَّ مُتَمَنِّعًا
لَوْ أَطْعَمُوا الْمَنَّ

فوصف بني تميم بالكفر لنعمته (تاريخ الطبري ٢ : ١٣٢ - ١٣٤) . والطعم : ما أكل من
الطعام . ونجم الطعام في الإنسان : هنا آكله وتبينت تمنيعته ، واستمرأه وصلح عليه .

(٢) الحديث : ٩٧٨ - هكذا رواه الطبري دون إسناد . وقد صدق في أنه تظاهرت به الأخبار .
فقد رواه أحد والشيخان والترمذي ، من حديث سعيد بن زيد . ورواه أيضاً أحد والشيخان وابن ماجه ، من
حديث أبي سعيد وجابر . ورواه أبو نعيم في الطب ، من حديث ابن عباس وعائشة . انظر مثلاً ، المسند :
١٦٢٥ ، ١٦٢٦ . والجامع الصغير : ٦٤٦٣ . وزاد المعاد لابن القيم ٣ : ٣٨٣ . وتفسير ابن
كثير ١ : ١٧٤ - ١٧٦ ، وقد ساق كثيراً من طرقه .

(٣) ديوانه : ٣٤ - ٣٥ . في الأصول والديوان . « ولا مشوراً » . مضيع : بموضع ضياع
وهوان وهلاك . يقال : هو بدار مضيعه (بفتح الميم وكسر الصاد) ، كأنه فيها ضائع . وهو مفعلة ،
وطرح التاء منها كما يقولون : المنزل والمنزلة . ومزرع : مصدر ميمي من « زرع » يعني ليس يذو
زرع ، ومعمور : أي أهلاً ذهب خرابه . ونصب « ولا معموراً » ، عطفًا على محل « يذو مزرع » ،
وهو نصب . وآثرت هذه الكلمة ، لأنها هي التي تتفق مع سياقة الشعر ، ولأن التحريف في « معمور »
و« مشور » سهل ، ولما سترى في شرح البيت الثالث .

فَنَسَاها عَلَيْهِمْ غَادِيَاتٍ ، وَمَرَى مَرْهَمٌ خَلَايَا وَخُورًا^(١)
عَسَلًا نَاطِفًا ، وَمَاءَ فُرَاتًا ، وَحَلِيًّا ذَا بَهْجَةٍ مَشْمُورًا^(٢)

المشمر : الصافي من اللبن^(٣) . فجعل المن الذي كان يتزل عليهم
عسلاً ناطفاً ، والناطف : هو القاطر^(٤) .

• • •

(١) في المطبوعة : « فغفاها » وفي المخطوطة : « ففساها » ، وفي الديوان « فغفاها » ولا معنى لشيء منها ، فاستظهرت أن أقرأها من المخطوط « ففساها » ، أصلها « ففساها » مهموزة ، كما قالوا : برأ الله الخلق وبراهم بطرح الهزمة . ونسأ الدابة راإبل ينسؤها نساً : زجرها وساقها . يقول : ساق عليهم السحاب . غاديات جمع غادية : وهي السحابة التي تنشأ غدوة . ومرى الناقة مرياً : مسح ضرعها لتدر . والمنز جمع مزقة : وهي السحابة ذات الماء . وخلايا جمع خلية : وهي الناقة التي خلعت للحلب لكرمها وغزارة لبنها . الخور : إبل حر إلى الغبرة ، رقيقات الجلود ، طوال الأوبار ، لها شعر ينغذ وبرها ، وهي أطول من سائر الوبر ، فإذا كانت كذلك فهي غزار كثيرة اللبن . شبه السحاب الغزير الماء بهذين الضربين من النوق الغزيرة اللبن ، يحلب مطرها عليهم حلباً ، ثم فصل في البيت التالي أنواع ما نزل عليهم من السماء .

(٢) ناطف ، من نطف ينطف : قطر . وهو مشروح بعد - أي يقطر من السماء . والفترات : أشد الماء غلوبة . ووصف اللبن بأنه ذو بهجة . وهي الحسن والنفاسة ، لأنه لم يؤخذ زبد ، فيرق ، وتذهب لمعة الزبد منه ، فاستعار البهجة لذلك . أما قوله : « مشموراً » ، فهي في المطبوعة : « مموراً » ، وفي المخطوطة في الصلب كانت تقرأ « مشموراً » ، ثم لعب فيها قلم الناسخ في الشاء والميم ، ثم كتب هو نفسه في الهامش : « مزموراً » ، ثم شرح في طرف الصفحة فقال : « المزمور : الصافي من اللبن » . وذلك شيء لا وجود له في كتب اللغة ، وقد رأيت أنه كتب في البيت الأول « مشموراً » ، ورجعت أن صوابها « مموراً » ، ورجعت في هذا البيت أن يكون اختلط عليه حين كتب « مشموراً » فعاد فجعلها « مزموراً » .

ولم أجد « مشموراً » في كتب اللغة ، ولكن يقال : الثمر والثمرة : اللبن الذي ظهر زبدته وتحجب . قال ابن شميل : إذا غُض روى عليه أمثال الحصف في الجلد ، ثم يجتمع فيصير زبدًا ، وما دامت صفراء فهو ثمر . ويقولون : إن لبنك لحسن الثمر ، وقد أثمر نخاضك . فكأنه قال : « مشموراً » ويعني « ثميراً » ، لأن فعلاً بمعنى مفعول هنا .

(٣) كانت في المطبوعة « الممرور » ، وقد ذكرت في التعليق السالفة ، أنها بهامش المخطوطة « المزمور » .

(٤) قوله : « فجعل المن . . . » إلى آخر الجملة ليس في المخطوطة .

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿وَالسَّلَوَىٰ﴾

قال أبو جعفر : «والسلوى» اسم طائر يشبه السمانى ، واحده وجياعه بلفظ واحد ، كذلك السمانى لفظ جماعها وواحدها سواء . وقد قيل : إن واحدة السلوى ، سلواة .
 • ذكر من قال ذلك :

- ٩٧٩ - حدثني موسى بن هرون قال ، حدثني عمرو بن حماد قال ، حدثنا
 أسباط ، عن السدى ، في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن
 عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله
 عليه وسلم : السلوى ، طيرٌ يشبه السمانى .^(١)
- ٩٨٠ - حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ،
 عن السدى قال : كان طيراً أكبر من السمانى .
- ٩٨١ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ،
 عن قتادة قال : السلوى طائر كانت تحشُرُها عليهم الريح الجنوب .
- ٩٨٢ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ،
 عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد قال : السلوى طائر .
- ٩٨٣ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن
 ابن أبي نجيع ، عن مجاهد : السلوى طير .
- ٩٨٤ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم
 قال ، حدثني عبد الصمد قال : سمعت وهباً - وسئل : ما السلوى ؟ فقال - : طير
 سمين مثل الحمام^(٢) .

(١) الأثر : ٩٧٨ - امتصر في المخطوطة على بعض هذا الإسناد ، إلى قوله : عن السدى ،
 وأسقط الباقي ، وهو الإسناد الدائر في تفسيره ، فكان كل إسناد وقف على السدى ، هو هذا الإسناد ،
 ثم اجتزأ ببعضه عن جميعه ، كما مضى آنفاً ، وكما سيأتى بعد .

(٢) الأثر : ٩٨٤ - بعض أثر سيأتى بـ : ٩٩٥ .

- ٩٨٥ - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : السلوى طير .
- ٩٨٦ - حدثنا المنثي قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : السلوى كان طيراً يأتيهم مثل السَّمَانِي .
- ٩٨٧ - حدثني المنثي ، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن مجالد ، عن عامر قال : السلوى السَّمَانِي .
- ٩٨٨ - حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : السلوى ، هو السَّمَانِي .
- ٩٨٩ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، أخبرنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك ، عن مجالد ، عن عامر قال : السلوى السَّمَانِي .
- ٩٩٠ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو عامر قال ، حدثنا مُقَرَّة ، عن الضحاك ، قال : السَّمَانِي هو السلوى .

* * *

فإن قال قائل : وما سببُ تظليل الله جل ثناؤه الغمامَ ، وإنزاله المنَّ والسلوى على هؤلاء القوم ؟

قيل : قد اختلف أهل العلم في ذلك . ونحن ذاكرون ما حضرنا منه : -

٩٩١ - فحدثنا موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط بن نصر ، عن السدي : لما تاب الله على قوم موسى ^(١) ، وأحيى السبعين الذين اختارهم موسى بعد ما أماتهم ، أمرهم الله بالسير إلى أريحا ، ^(٢) وهي أرض بيت المقدس . فساروا ، حتى إذا كانوا قريباً منهم ، بعث موسى اثني عشر نقيباً . فكان من أمرهم وأمر الجبارين وأمر قوم موسى ، ما قد قص الله في كتابه . ^(٣)

(١) في المخطوطة : « على موسى » بحذف « قوم » .

(٢) في المطبوعة : « بالسير » ، وهما سواء .

(٣) هذا اختصار ، وتفصيله في التاريخ في موضعه ، كما سيأتي في موضعه من ذكر مراجعه .

فقال قوم موسى لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون » . فغضب موسى فدعا عليهم فقال : « رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين » . فكانت عجلة من موسى عجلها ، فقال الله تعالى : « إنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض » . فلما ضرب عليهم التَّيِّه ، ندم موسى ، وأتاه قومه الذين كانوا معه يطيعونه فقالوا له : ما صنعت بنا يا موسى ؟ فلما ندم ، أوحى الله إليه : أن لا تأس على القوم الفاسقين — أى لا تحزن على القوم الذين سميتهم فاسقين — فلم يحزن ، فقالوا : يا موسى كيف لنا بماء ههنا ؟ أين الطعام ؟ فأنزل الله عليهم المن — فكان يسقط على شجر الترنجيبين^(١) — والسلوى = وهو طير يشبه السمانى = فكان يأتي أحدهم فينظر إلى الطير ، إن كان سمياً ذبحه وإلا أرسله ، فإذا سمن أتاه . فقالوا : هذا الطعام ، فأين الشراب ؟ فأمر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، فشرب كل سبيط من عين . فقالوا : هذا الطعام والشراب ؟ فأين الظل ؟ فظلل عليهم الغمام . فقالوا : هذا الظل ، فأين اللباس ؟ فكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصبيان ، ولا يتخرق لهم ثوب ، فذلك قوله : « وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى » وقوله : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِمَصَّكَ الْحَجَرَ فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ﴾ . [سورة البقرة : ٦٠]^(٢)

٩٩٢ — حدثنا ابن حيد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : لما تاب الله عز وجل على بني إسرائيل ، وأمر موسى أن يرفع عنهم السيف من عبادة العجل ، أمر موسى أن يسير بهم إلى الأرض المقدسة ،^(٣) وقال : إني قد كتبتها لكم داراً وقراراً ومنزلاً ، فاخرج إليها ، وجاهد من فيها من العدو ، فإني ناصركم

(١) في المخطوطة وحدها : « الزنجيبيل » . وانظر ما مضى : ٩٢

(٢) الأثر : ٩٩١ — في تاريخ الطبري ١ : ٢٢١ — ٢٢٢

(٣) في المخطوطة : « أن يسبق بهم » ، وأراد النسخ أن يصححها في الهامش ، فكتب : « — »

عليهم . فسار بهم موسى إلى الأرض المقدسة بأمر الله عز وجل . حتى إذا نزل التّيه - بين مصر والشام ، وهى أرض ليس فيها حمر ولا ظل^(١) - دعا موسى ربّه حين آذاهم الحرّ ، فظللّ عليهم بالغمام ؛ ودعا لهم بالرزق ، فأنزل الله لهم المنّ والسلوى .

٩٩٣ - حدثنى المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ،

عن أبيه ، عن الربيع بن أنس -

٩٩٤ - وحدثت عن عمار بن الحسن ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ،

عن الربيع^(٢) قوله : « وظللنا عليكم الغمام » ، قال : ظلل عليهم الغمام فى التّيه ، ما هو فى قدر خمسة فراسخ أو ستة ،^(٣) كلما أصبحوا ساروا غادين ، فأمسوا فإذا هم فى مكانهم الذى ارتحلوا منه . فكانوا كذلك حتى مرّت أربعون سنة .^(٤) قال : وهم فى ذلك ينزل عليهم المنّ والسلوى ، ولا تبلى ثيابهم . ومعهم حجر من حجارة الطّور يحملونه معهم ، فإذا نزلوا ضربه موسى بعصاه ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً .

٩٩٥ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم

قال ، حدثنى عبد الصمد قال ، سمعت وهباً يقول : إن بنى إسرائيل - لما حرم الله عليهم أن يدخلوا الأرض المقدسة أربعين سنة - يتيهون فى الأرض - شكوا إلى موسى فقالوا : ما نأكل ؟ فقال : إن الله سيأتىكم بما تأكلون . قالوا : من أين لنا ؟ إلا أن يُمطر علينا خُبْزاً ! قال : إن الله عز وجل سينزل عليكم خُبْزاً مخبوزاً . فكان يتزل عليهم المنّ - سئل وهب : ما المنّ ؟ قال : خُبْز الرقاق مثل الذرة أو

(١) الحمر (بفتحين) : كل ما سترك من شجر أو بناء أو غيره .

(٢) هذا الإسناد الثانى ساقط من المخطوطة .

(٣) فى المخطوطة : « فإذا هو فى قدر » مصحفة ، وانظر تفسير الطبرى ٦ : ١١٦ - ١١٧ ،

١١٩ (بولاق) وقوله : « قدر » ليست فى المطبوعة .

(٤) فى المخطوطة : « حتى قمرت أربعين سنة » محرفاً .

مثل النقيّ - ^(١) قالوا . وما نأتدّم ؟ وهل بُدّ لنا من لحم ؟ قال : فإن الله يأتيكم به . فقالوا : من أين لنا ؟ إلا أن تأتينا به الريح ! قال : فإن الريح تأتيكم به . فكانت الريح تأتيهم بالسّلوى - فسئل وهب : ما السّلوى ؟ قال : طيرٌ سمين مثل الحمام ، ^(٢) كانت تأتيهم فيأخذون منه من سبت إلى سبت - ^(٣) قالوا : فما نلبس ؟ قال : لا يخلّقُ لأحد منكم ثوبٌ أربعين سنة . قالوا : فما نحتذى ؟ قال : لا ينقطع لأحدكم شِسْعٌ أربعين سنة . ^(٤) قالوا : فإن يولد فينا أولاد ، فما نكسوهم ؟ ^(٥) قال : ثوبُ الصغير يشبُّ معه . قالوا : فن أين لنا الماء ؟ قال : يأتيكم به الله . قالوا : فن أين ؟ إلا أن يخرج لنا من الحجر ! فأمر الله تبارك وتعالى موسى أن يضرب بعصاه الحجر . قالوا : فما نبصر ! تغشانا الظلمة ! ^(٦) فضرَبَ لهم عموداً من نور في وسط عسكرهم ، أضاء عسكرهم كله . قالوا : فمَن نستظلُّ ؟ فإن الشمس علينا شديدة ! قال : يُظِلّكم الله بالغمام . ^(٧)

٩٩٦ - حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب ، قال ابن زيد ، فذكر نحو حديث موسى بن هرون ، عن عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدّتي .

٩٩٧ - حدثني القاسم بن الحسن قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حمّاج قال ، قال ابن جريج : قال عبد الله بن عباس : مُخلّق لهم في الثّيه ثيابٌ لا تخلّق

(١) هذه الجملة سلفت في الأثر رقم : ٩٧٢

(٢) هذه الجملة سلفت في الأثر رقم : ٩٨٤

(٣) في المطبوعة : « من السبت إلى السبت » .

(٤) الشّع : أحد سيور النعل الذي يدخل بين الإصبعين .

(٥) في المطبوعة : « فإن فينا أولاداً » .

(٦) في المطبوعة : « فمَن نبصر » ، خطأ .

(٧) الأثر : ٩٩٥ - إسحق : هو ابن راهويه الإمام الكبير . إسماعيل بن عبد الكريم بن معقل ابن منبه الصنعاني ثقة ، مترجم في التهذيب ، ترجمه البخاري ٣٦٧/١/١ ، وابن أبي حاتم ١٨٧/١/١ . وهو مروي هنا عن عمه : عبد الصمد بن معقل بن منبه ، وهو ثقة أيضاً ، مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٥٠/١/٣ . وعبد الصمد يروي عن عمه : وهب بن منبه ، هذا الأثر .

وَلَا تَدْرَنَ^(١) قَالَ ، وقال ابن جريج : إن أخذ الرجل من المن والسلوى فوق طعام يوم ٢٣٧/١ ففسد ، إلا أنهم كانوا يأخذون في يوم الجمعة طعام يوم السبت ، فلا يصبح فاسداً .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾

وهذا مما استغنى بدلالة ظاهره على ما ترك منه . وذلك أن تأويل الآية : وظلنا عليكم الغمام ، وأنزلنا عليكم المن والسلوى ، وقلنا لكم : كلوا من طيبات ما رزقناكم . فترك ذكر قوله : « وقلنا لكم » ، لما بيّنا من دلالة الظاهر في الخطاب عليه . وعنى جلّ ذكره بقوله « كلوا من طيبات ما رزقناكم » : كلوا من شهيّات رزقنا الذي رزقناكموه .^(٢)

وقد قيل : عنى بقوله : « من طيبات ما رزقناكم » ، من حلاله الذي أبجناه لكم فجعلناه لكم رزقاً .

والأول من القولين أولى بالتأويل ، لأنه وصف ما كان القوم فيه من هنى العيش الذى أعطاهم ، فوصف ذلك بـ « الطيب » ، الذى هو بمعنى اللذة ، أخرى من وصفه بأنه حلال مباح .

و « ما » التى مع « رزقناكم » ، بمعنى « الذى » . كأنه قيل : كلوا من طيبات الرزق الذى رزقناكموه .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾^(٥٧)

وهذا أيضاً من الذى استغنى بدلالة ظاهره على ما ترك منه . وذلك أن معنى

(١) درن الثوب يدرن درناً فهو درن وأدرن : تطلع بالوسخ .

(٢) في المطبوعة : « من مشهيّات » ، ليست بشئ .

الكلام : كلوا من طيبات ما رزقناكم . فخالقوا ما أمرناهم به وعصوا ربه ، ثم رسولنا إليهم ، و « ما ظلمونا » ، فاكثرت بما ظهر عما ترك .

وقوله : « وما ظلمونا » يقول : وما ظلمونا بفعلهم ذلك ومعصيتهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

ويعنى بقوله : « وما ظلمونا » ، وما وضعوا فعلهم ذلك وعصيانهم إيانا ، موضع مضرّة علينا ومنقصة لنا ، ولكنهم وضعوه من أنفسهم موضع مضرّة عليها ومنقصة لها . كما : —

٩٩٨ — حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ،

عن ابن عباس : « وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » ، قال : يضرّون .

وقد دللنا فيما مضى ، على أن أصل « الظلم » : وضع الشيء في غير موضعه — بما فيه الكفاية ، فأغنى ذلك عن إعادته . (١)

وكذلك ربنا جل ذكره ، لا تضرّه معصية عاص ، ولا يتحيّف خزائنه ظلم ظالم ، ولا تنفعه طاعة مطيع ، ولا يزيد في ملكه عدل عادل ، بل نفسه يظلم الظالم ، وحظّها يبخس العاصي ، وإياها ينفع المطيع ، وحظّها يُصيب العادل .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾

و « القرية » — التي أمرهم الله جل ثناؤه أن يدخلوها ، فإكلوا منها رغداً حيث

شاؤا — فيما ذكر لنا : بيت المقدس * ذكر الرواية بذلك :

٩٩٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبدالرزاق . قال ، أخبرنا معمر ،

عن قتادة في قوله : « ادخلوا هذه القرية » ، قال : بيت المقدس .

١٠٠٠ — حدثني موسى بن هرون قال ، حدثني عمرو بن حماد قال ، حدثنا

(١) انظر ما مضى ١ : ٥٢٣ — ٥٢٤ ، وهذا الجزء ٢ : ٦٩

أسباط ، عن السدي : « وإذ قُلْنَا ادخلوا هذه القرية » ، أما القرية ، فقرية بيت المقدس .
 ١٠٠١ - حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ،
 عن أبيه ، عن الربيع : « وإذ قُلْنَا ادخلوا هذه القرية » ، يعنى بيت المقدس .
 ١٠٠٢ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب ، قال : سألته - يعنى ابن
 زيد - عن قوله : « ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم » ، قال : هى أريحا ،
 وهى قرية من بيت المقدس .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾

يعنى بذلك : فكلوا من هذه القرية حيث شئتم عيشاً هنيئاً واسعاً بغير حساب .
 وقد بينا معنى « الرغد » فيما مضى من كتابنا ، وذكرنا أقوال أهل التأويل فيه .^(١)

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾

أما « الباب » الذى أمروا أن يدخلوه ، فإنه قيل : هو باب الحطّة من بيت المقدس .
 • ذكر من قال ذلك :

١٠٠٣ - حدثني محمد بن عمرو الباهلى قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا
 عيسى ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد : « ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا » ، قال : باب ٢٣٨/١
 الحطّة ، من باب إيلياء ، من بيت المقدس .
 ١٠٠٤ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن
 ابن أبي نجيع ، عن مجاهد مثله .

١٠٠٥ - حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وادخلوا البابَ مُجَبِّدًا » ، أما الباب ، فباب من أبواب بيت المقدس .
 ١٠٠٦ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وادخلوا البابَ مُجَبِّدًا » أنه أحد أبواب بيت المقدس ، وهو يدعى باب حِطَّة . وأما قوله : « مُجَبِّدًا » ، فإن ابن عباس كان يتأوله بمعنى الرُّكْع .

١٠٠٧ - حدثني محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد الزيري قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : « ادخلوا البابَ مُجَبِّدًا » ، قال : رُكْعًا من باب صغير .
 ١٠٠٨ - حدثنا الحسن بن الزبرقان النخعي قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد ، عن ابن عباس في قوله : « ادخلوا البابَ مُجَبِّدًا » ، قال : أمروا أن يدخلوا رُكْعًا .

* * *

قال أبو جعفر : وأصل « السجود » الانحناء لمن مُجَبِّدَ له معظماً بذلك . فكل مُنْحَنٍ لشيء تعظيماً له فهو « ساجد » . ومنه قول الشاعر : (١)
 يَجْمَعُ تَضِلُّ الْبُلُقُ فِي حَجَرَاتِهِ تَرَى الْأَكْمَ مِنْهُ سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ (٢)

(١) هو زيد الخيل بن هلهل الطائي ، الفارس المشهور .
 (٢) سيأتي بعد في هذا الجزء ١ : ٢٨٩ (يولاق) والكامل ١ : ٢٥٨ ، والمعاني الكبير : ٨٩٠ ، والأضداد لابن الأنباري : ٢٥٦ ، وحاسة ابن الشجري : ١٩ ، ومجموعة المعاني : ١٩٢ ، وغيرها .
 والباء في قوله « يجمع » متعلقة ببيت سالف هو :

بَنِي عَامِرٍ ، هَلْ تَرَفُونَ إِذَا غَدَا أَبُو مِكَنَفٍ قَدْ شَدَّ عَقْدَ النَوَابِرِ ؟

والبلق جمع أبلق وبلقاء : الفرس يرتفع تحجبها إلى الفخذين . والحجرات جمع حجرة (يفتح فسكون) : الناحية . والأكم (بضم فسكون ، وأصلها بضمين) جمع إكام ، جمع أكمة : وهي تل يكون أشد ارتفاعاً مما حوله ، دون الجبل ، غليظ فيه حجارة . قال ابن قتيبة في المعاني الكبير : « يقول : إذا ضلت البلق فيه مع شهرتها فلم تعرف ، ففيها أخرى أن يضل . يصف كثرة الجيش ، ويريد أن الأكم قد خشمت من وقع الحوافر » . وفي المطبوعة هنا « فيه » ، والجيد ما أثبتته ، والضمير في « منه » الجيش أو الجمع .

يعنى بقوله : « سَجِّدْ » خاشعة خاضعة . ومن ذلك قول أعشى

بنى قيس بن ثعلبة .

يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِكِ ، طَوْرًا سَجُودًا وَطَوْرًا جُورًا^(١)

فذلك تأويل ابن عباس قوله : « سَجِّدْ » ركعاً . لأن الراكع مُنْحَنٍ ،

وإن كان الساجد أشدَّ انحناءً منه .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَقُولُوا حِطَّةً ﴾

وتأويل قوله : « حِطَّةً » ، فِعْلَةٌ ، من قول « القائل : حَطَّ الله عنك خطاياك

فهو يَحُطُّهَا حِطَّةً » ، بمنزلة الردة والحدثة والمِدة ، من حَدَدْتَ وَمَدَدْتَ .

• • •

واختلف أهل التأويل فى تأويله . فقال بعضهم بنحو الذى قلنا فى ذلك .

ذكر من قال ذلك :^(٢)

١٠٠٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر :

« وَقُولُوا حِطَّةً » ، قال قال : الحسن وقتادة : أى احطُطْ عنا خطايانا .

١٠١٠ — حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وَقُولُوا

(١) ديوانه : ٤١ ، وسيأتى فى ١٨ : ٢٨ (بولاق) ، ومعه بيت آخر فى ١٤ : ٨٢ (بولاق)

راوح يراوح مراوحة : عمل عَمِلَين فى عمل ، يعمل ذامرة وذا مرة ، قال لبيد يصف فرساً .

وَوَلَّى عَامِدًا لِحِلْيَاتٍ فَلَجَّ يُرَاوِحُ بَيْنَ صَوْنٍ وَابْتِدَالٍ

وقوله : « من صلوات » « من » هنا لبيان الجنس ، مثل قوله تعالى : « يحاون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق » . وحذف « بين » التى تقتضيه « يراوح » ، لدلالة ما يأتى عليها ، وهو قوله : « طوراً . . . وطوراً » . والجار : رفع الصوت بالدعاء مع تفرع واستغاثة وجرع . جَارَ إِلَى رَبِّهِ يَجَارُ جَوَارًا .

(٢) فى المطبوعة : « ذلك منهم » بالزيادة .

حِطَّةٌ ، يحط الله بها عنكم ذنبكم وخطيئتكم .^(١)

- ١٠١١ - حدثنا القاسم بن الحسن قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : « قولوا حِطَّةٌ » قال : يُحِطُّ عنكم خطاياكم .
- ١٠١٢ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قوله : « حِطَّةٌ » ، مغفرة .
- ١٠١٣ - حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله : « حِطَّةٌ » ، قال : يحط عنكم خطاياكم .
- ١٠١٤ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، أخبرني حجاج ، عن ابن جريج قال : قال لي عطاء في قوله : « وقولوا حِطَّةٌ » ، قال : سمعنا أنه : يحط عنهم خطاياهم .

• • •

- وقال آخرون : معنى ذلك : قولوا « لا إله إلا الله » ، كأنهم وجهوا تأويله : قولوا الذى يحط عنكم خطاياكم ، وهو قول لا إله إلا الله . • ذكر من قال ذلك :
- ١٠١٥ - حدثني المنثى بن إبراهيم وسعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى قال ، أخبرنا حفص بن عمر ، قال حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة : « وقولوا حِطَّةٌ » ، قال : قولوا ، « لا إله إلا الله »

• • •

- وقال آخرون بمثل معنى قول عكرمة ، إلا أنهم جعلوا القول الذى أمروا بقليله : الاستغفار . • ذكر من قال ذلك :
- ١٠١٦ - حدثنا الحسن بن الزبرقان النخعي ، حدثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وقولوا حِطَّةٌ » ، قال : أميراً أن يستغفروا .

• • •

وقال آخرون نظير قول عكرمة ، إلا أنهم قالوا : القول الذي أمروا أن يقولوه ، ٢٣٩/١ هو أن يقولوا : هذا الأمر حق^١ كما قيل لكم . * ذكر من قال ذلك :

١٠١٧ - حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : « وقولوا حِطَّةً » ، قال : قولوا : هذا الأمر حق^٢ كما قيل لكم .

* * *

واختلف أهل العربية في المعنى الذي من أجله رُفعت « الحطة » . فقال بعض نحويي البصرة : رفعت « الحطة » بمعنى « قولوا » ، ليكون منك حِطَّةً^٣ لذنوبنا ، كما يقول للرجل : سَمِعْتُكَ . وقال آخرون منهم : هي كلمة أمرهم الله أن يقولوها مرفوعة^٤ ، وفرض عليهم قبلها كذلك .

وقال بعض نحويي الكوفيين : رُفعت « الحطة » بضمير « هذه » ، كأنه قال : وقولوا : « هذه » حطة .^(١) وقال آخرون منهم : هي مرفوعة بضمير معناه الخبر ، كأنه قال : قولوا ما هو حطة^٥ . فتكون « حطة » حيثنذ خبراً لـ « ما »

* * *

قال أبو جعفر : والذي هو أقرب عندي في ذلك إلى الصواب ، وأشبه بظاهر الكتاب : أن يكون رفع « حطة » بنية خبر محذوف قد دل عليه ظاهر التلاوة ، وهو : دخولنا الباب مُسَجِّداً حطة^٦ ، فكفى من تكريره بهذا اللفظ ، ما دل عليه الظاهر من التنزيل ، وهو قوله : « وادخلوا الباب مُسَجِّداً » ، كما قال جل ثناؤه :

(١) الضمير : المضمر أو الإضمار ، كما سلف في ١ : ٢٧ تعليق : ١ ، وقد رأيتها أيضاً في كلام نقله الشريف المرتضى في أماليه ١ : ٣٣٤ عن أبي بكر بن الأنباري قال : « كاد ، لا تضمر ، ولا بد من أن يكون منظوقاً بها ، ولو جاز ضميرها لحاز : قام عبد الله ، بمعنى كاد عبد الله يقوم . . . » ، وهي هنا بمعنى الإضمار لا شك . وسيأتي في الفقرة التالية أيضاً ، بمعنى المضمر .

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةَ إِلَى رَبِّكُمْ ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٤] ، ^(١) يعنى : موعظتنا لإياهم معذرة إلى ربكم . فكذاك عندى فى تأويل قوله : « وقولوا حطة » ، يعنى بذلك : وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية ، وادخلوا الباب مُسَجِّدًا ، وقولوا : دخولنا ذلك مُسَجِّدًا حطةً لذنوبنا . وهذا القول على نحو تأويل الربيع بن أنس وابن جريج وابن زيد ، الذى ذكرناه آنفاً .

^(٢) قال أبو جعفر : وأما على تأويل قول عكرمة ، فإن الواجب أن تكون القراءة بالنصب فى « حطة » ، لأن القومَ إن كانوا أمروا أن يقولوا : « لا إله إلا الله » ، أو أن يقولوا : « نستغفر الله » ، فقد قيل لهم : قولوا هذا القول ، ف « قولوا » واقع حيثلذ على « الحطة » ، لأن « الحطة » على قول عكرمة — هى قول « لا إله إلا الله » . وإذا كانت هى قول « لا إله إلا الله » ، فالقول عليها واقع ، كما لو أمر رجل رجلاً بقول الخير فقال له : « قل خيراً » نصباً ، ولم يكن صواباً أن يقول له : « قل خير » ، إلا على استكراه شديد .

وفى إجماع القراءة على رفع « الحطة » ^(٣) بيان واضح على خلاف الذى قاله عكرمة من التأويل فى قوله : « وقولوا حطة » . وكذلك الواجب على التأويل الذى رويناه عن الحسن وقتادة فى قوله : « وقولوا حطة » ، ^(٤) أن تكون القراءة فى « حطة » نصباً . لأن من شأن العرب — إذا وضعوا المصادر مواضع الأفعال ، وحذفوا الأفعال — أن ينصبوا المصادر . كما قال الشاعر : ^(٥)

(١) قراءتنا : « معذرة » بالنصب فى مصاحفنا . وقد ذكر الطبرى فى تفسير الآية ٩ : ٦٣ (بولاق) أن الرفع قراءة عامة قراء الحجاز والكوفة والبصرة ، وقرأ بعض أهل الكوفة « معذرة » بالنصب .
(٢) من هنا أول جزء فى التجزئة القديمة التى نقل عنها كاتب مخطوطتنا . وأولها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ رَبِّ يَسِّرْ لِي رَحْمَتَكَ

(٣) فى المطبعة « القراء » ، كما جرت عليه فى كل ما مضى .

(٤) انظر رقم ١٠١٠ فيما سلف .

(٥) هو للفرزدق .

أَيِّدُوا بِأَيْدِي عُصْبَةٍ ، وَسُيُوفُهُمْ عَلَى أُمِّهَاتِ الْهَامِ ضَرْبًا شَامِيًا^(١)

وكقول القائل للرجل : «سمعاً وطاعة» بمعنى : أسمعُ سمعاً وأطيع طاعة ، وكما قال جل ثناؤه : ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ [سورة يوسف : ٢٣ ، ٧٩] ، بمعنى : نعوذ بالله .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿تَغْفِرْ لَكُمْ﴾

يعني بقوله «نغفر لكم» نتغمّد لكم بالرحمة خطاياكم ، ونسترها عليكم ، فلا نفضحكم بالعقوبة عليها .

* * *

وأصل «الغفر» التغطية والستر ، فكل ساتر شيئاً فهو غافره . ومن ذلك قيل للبيضة من الحديد التي تتخذُ جنةً للرأس : «مِغْفَر» ، لأنها تغطي الرأس وتُجِنُّه . ومثله «غِمْدُ السيف» ، وهو ما تغمّده فواراه .^(٢) ولذلك قيل لزئير الثوب : «غَفْرَة» ، لتغطيته الثوب ،^(٣) وَحَوْلِهِ بين الناظر والنظر إليه . ومنه قول أوس بن حجر :

(١) ديوانه : ٨٩٠ في قصيدة يمدح فيها - يزيد بن عبد الملك ، ويذكر لإيقاعه بيزيد بن المهلب في سنة ١٠٢ (انظر خبره في تاريخ الطبري ٨ : ١٥١ - ١٦٠) . ورواية ديوانه :

«أَنَاخُوا بِأَيْدِي طَاعَةٍ ، وَسُيُوفُهُمْ»

وقوله : «أناخوا» ، أى ذلوا وخضعوا ، أو صرعوا فأتوا ، كأنهم إبل أناخت واستقرت . وقوله : «أيدى طاعة» ، أى أهل طاعة .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : «ومنه غمد السيف» ، وهذا يجعل الكلام مضطرباً مقحماً ، فرجح عندي أن تكون «ومنه» ، و «مثله» لأنه فسر «نغفر» بقوله «نتغمّد» . وفي المطبوعة : «ما يغمده فيواريه» ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) في المطبوعة : «غفر» . والغفر جمع غفرة ، وزئير الثوب : هو ما يعلو الثوب الجديد من مائه ، كالذى يعلو القטיפه والخز ، ويسمونه «درز الثوب» أيضاً . وفي المطبوعة : «لتغطيته المورة» . . . والنظر إليها» ، وهى عبارة غريبة فاسدة ، والذى فى المخطوطة «لتغطيته الثوب» كما أثبتناها ، يعنى الزئير كما

فَلَا أُعْتَبُ ابْنُ التَّمِّ إِنْ كَانَ جَاهِلًا وَأَغْفِرُ عَنْهُ الْجَهْلَ إِنْ كَانَ أَجْمَلًا^(١)

يعنى بقوله : « وأغفرُ عنه الجهلَ » ، أسترُ عليه جَهْلَهُ بجملى عنه . ٢٤٠/١

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ خَطَايَكُمْ ﴾

« والخطايا » جمع « خطية » ، بغير همز ، كما « المطايا » جمع « مطية » ، و« الخشايا » جمع « حشيشية » . وإنما تُترك جمع « الخطايا » بالهمز ، لأن ترك الهمز فى « خطيئة » أكثر من الهمز ، فجمع على « خطايا » ، على أن واحدتها غير مهموزة . ولو كانت « الخطايا » مجموعة على « خطيئة » بالهمز : لقليل : خطائى ، على مثل قبيلة وقبائل ، وصحيفة وصحائف . وقد تجمع « خطيئة » بالتاء ، فيهمز فيقال « خطيئات » . و « الخطيئة » فعيلة ، من « خطى » الرجل يخطأ خطأً ، وذلك إذا عدل عن سبيل الحق . ومنه قول الشاعر :^(٢)

وإنَّ مهْجَرَيْنِ تَكَنَّفَاهُ لَعَمْرُ اللَّهِ قَدْ خَطَا وَخَابَا^(٣)

يعنى : أضلَّ الحق وأثما .

• • •

وصفنا . ويقال غفر الثوب : إذا أثار زئيره ، يكون كالمنتفش على وجه الثوب . هذا ، وقد انتهت المخطوطة التى اعتمدنا عند قوله : « لتفطيته الثوب » . ويأتى بعدها خرم طويل سيستفرق أجزاء برمتها ، كما سنبينه فى مواضعه .

(١) ديوانه ، قصيدة : ٣١ . وهذه الرواية جاءت فى شرح شواهد المفنى : ١٣٧ ، وأما فى سائر الكتب : « إن كان ظالماً » ، وهى أجود . وقوله : « أجهل » بمعنى جاهل ، كما قالوا « أوجل » بمعنى وجل ، وأميل بمعنى مائل ، وأوحد بمعنى واحد ، وغيرها . ورواية صدر البيت على الصواب : « ألا أعتب » كما فى المفضليات ٥٩٠ وغيره ، أو « وقد أعتب » كما فى القرطين ٢ : ٦٩ . ويروى « ولا أشم ابن التميم » . يقول : أبانغ رضاه إذا ظلم أو جهل ، فأترك له ما لا يحب إلى ما يرضاه .

(٢) هو أمية بن الأسكر (طبقات فحول الشعراء : ١٥٩ - ١٦٠)

(٣) أمالى القملى ٣ : ١٠٩ ، وكتاب المعمرين : ٦٨ والخزانة ٢ : ٤٠٥ ، ويروى صدره

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٨)

وتأويل ذلك ما روى لنا عن ابن عباس ، وهو ما :-

١٠١٨ - حدثنا به القاسم بن الحسن قال : حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : « وسنزيد المحسنين » ، من كان منكم مُحسناً زيدَ في إحسانه ، ومن كان مخطئاً نغفر له خطيئته .

* * *

فتأويل الآية : وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية مُباحاً لكم كل ما فيها من الطيبات ، مُوسعاً عليكم بغير حساب ؛ وادخلوا الباب مُجمّداً ، وقولوا : سجدنا هذا لله حِطَّةً من ربنا لذنوبنا يُحطُّ به آثامنا ، نتغمّدُ لكم ذنوبَ المذنب منكم فنسترها عليه ، ونحط أوزارَه عنه ، وسنزيد المحسن منكم - إلى إحساننا السالف عنده - إحساناً . ثم أخبر الله جل ثناؤه عن عظيم جهالتهم ، وسوء طاعتهم ربّهم ، وعِصيانهم لأنبيائهم ، واستهزائهم برُسله - مع عظيم آلاء الله عز وجل عندهم ، وعجائب ما أراهم من آياته وعِبره ، موبّخاً بذلك أبناءهم الذين خوطبوا بهذه الآيات ، ومعلّمهم أنهم إن تعدّوا^(١) - في تكذيبهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، وجحودهم نبوته ، مع عظيم إحسان الله بمبعثه فيهم لإيهم ، وعجائب ما أظهر على يديه من الحجج بين أظهرهم - أن يكونوا كأسلافهم الذين وصف صفتهم ، وقص علينا أنباءهم في

« أتاه مهاجران تكتفاه » . وأما عجزه فاختلفت رواياته : « بترك كبيره خطئاً ... » و « ليترك شيخه خطئاً ... » ، « ففارق شيخه ، ... » وكان أمية قد أسن ، عمر في الجاهلية عمراً طويلاً ، وألفاه الإسلام هرباً . ثم جاء زمن عمر ، فخرج ابنه كلاب غازياً ، وتركه هامة اليوم أو غد . فقال أبياتا منها هذا البيت ، فلما سمعها عمر ، كتب إلى سعد بن أبي وقاص : أن رحل كلاب بن أمية بن الأسكر ، فرحله . وله مع عمر في هذه الحادثة قصة جيدة (في القالي ١ : ١٠٩)

(١) سياق الجملة : « ... إن تعدوا ... أن يكونوا » ، و « إن » هنا ، نافية بمعنى « ما » ، كالتي في قوله تعالى : « قل إن أدري أقريب ما توعدون » ، وقوله : « إن أدري لعله فتنة لكم » .

هذه الآيات ، فقال جل ثناؤه : « فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْزًا مِنَ السَّمَاءِ » الآية .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾

وتأويل قوله : « فَبَدَّلَ » ، فغيّر . ويعنى بقوله : « الَّذِينَ ظَلَمُوا » ، الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله . ويعنى بقوله : « قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ » ، بدّلوا قَوْلًا غير الذي أمروا أن يقولوه ، فقالوا خلافه . وذلك هو التبديل والتغيير الذي كان منهم . وكان تبديلهم — بالقول الذي أمروا أن يقولوا — قَوْلًا غيره ، ^(١) ما : —

١٠١٩ — حدثنا به الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن همام بن منبه ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله لبنى إسرائيل : « ادخلوا الباب مُسَجِّدًا » وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ » ، فَبَدَّلُوا ودخلوا الباب يَزْحَفُونَ على أستاههم ، وقالوا : حَبَّةٌ في شعيرة . ^(٢)

١٠٢٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة وعلى بن مجاهد قالا ، حدثنا محمد بن إسحق ، عن صالح بن كيسان ، عن صالح مولى التوأمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : —

١٠٢١ — وحدثت عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن سعيد

(١) قوله : « قَوْلًا » مفعول « تبديلهم » . وأما خبر « كان » فهو قوله : « ما حدثنا به الحسن . . . »

(٢) الحديث : ١٠١٩ — رواه أحمد في المسند : ٨٢١٣ (ج ٢ ص ٣١٨ ح ٦) ، عن عبد الرزاق ، بهذا الإسناد ، لكن بلفظ « حبة في شعرة » . وكذلك رواه البخاري ٦ : ٣١٢ ، و ٨ : ٢٢٨ — ٢٢٩ (فتح الباري) ، من طريق عبد الرزاق . وذكر الحافظ (٨ : ٢٢٩) أن لفظ « شعرة » رواية أكثر رواة البخاري ، وأن رواية الكشميني « شعيرة » . وذكره ابن كثير ١ : ١٨٠ ، ونسبه أيضاً لمسلم والترمذي ، من رواية عبد الرزاق .

ابن جبير ، أو عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم — قال : دخلوا الباب — الذى أمروا أن يدخلوا منه سُجَّداً — يَرْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِمُ ، يقولون : حنطة فى شعيرة .^(١)

١٠٢٢ — حدثني محمد بن عبد الله المحاربى قال ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله : « حطة » ، قال : بدلوا فقالوا : حبة .^(٢)

١٠٢٣ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ، حدثنا ٢٤١/١ سفيان ، عن السدى ، عن أبي سعيد ، عن أبي الكنود ، عن عبد الله : « ادخلوا البابُ سُجَّداً وقولوا حِطَّةً » ، قالوا : حنطة حمراء فيها شعيرة . فأنزل الله : « فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذى قيل لهم » .

١٠٢٤ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : « ادخلوا البابَ سُجَّداً » — قال : ركوعاً — من باب صغير ، فجعلوا يدخلون من قبل أستاذهم ويقولون : حنطة . فذلك قوله : « فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذى قيل لهم » .

١٠٢٥ — حدثنا الحسن بن الزبرقان النخعى قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد ، عن ابن عباس قال : أمروا

(١) الحديث : ١٠٢٠ ، ١٠٢١ — وهو الحديث السابق ، ولكن رواية الطبري هنا بإسنادين : أحدهما صحيح متصل ، والآخر ضعيف فيه راو مبهم بين ابن إسحق ومحمد بن أبي محمد .
صالح بن كيسان المدنى : تابعى ثقة . وصالح مولى التوأمة : هو ابن نهبان ، وهو ثقة أيضاً ، إلا أنه تغير بأخرة ، فن روى عنه قديماً فحديثه صحيح . وصالح بن كيسان قديم ، وهو بليدي ، فالراجع أن يكون من سمع منه قبل تغيره .

(٢) الحديث : ١٠٢٢ — هو مختصر من الحديث : ١٠١٩ . وقد رواه أحمد فى المسند : ٨٠٩٥ (ج ٢ ص ٣١٢ حلى) عن يحيى بن آدم ، عن ابن المبارك ، بهذا الإسناد ، مطولا . وكذلك رواه البخارى ٨ : ١٢٥ (فتح البارى) ، مطولا ، من طريق عبد الرحمن بن مهدي . عن ابن المبارك .

أن يدخلوا رُكْعاً ويقولوا : حِطَّةٌ . قال : أمروا أن يستغفروا ، قال : فجعلوا يدخلون من قبل أستاذهم من باب صغير ويقولون : حِئْطَةٌ — يستهزئون . فذلك قوله : « فبدّل الذين ظلموا قولاً غيرَ الذى قيل لهم » .

١٠٢٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أنبأنا عبد الرزاق قال ، أنبأنا معمر ، عن قتادة والحسن : « ادخلوا البابَ سجّداً » قالوا : دَخَلوها على غير الجهة التى أمروا بها ، فدخلوها مترَحِّفين على أوْرَاكهم ، وبدّلوا قولاً غير الذى قيل لهم ، فقالوا : حِبةٌ فى شعيرة .

١٠٢٧ — حدثني محمد بن عمرو الباهلى . قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن نجيح ، عن مجاهد قال : أمر موسى قومه أن يدخلوا البابَ سجّداً ويقولوا : حِطَّةٌ ، وطُوطِيء لهم الباب ليسجدوا ، فلم يسجدوا ، ودخلوا على أديبارهم ، وقالوا : حِئْطَةٌ .^(١)

١٠٢٨ — حدثني المنثى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : أمر موسى قومه أن يدخلوا المسجد ويقولوا : حطة . وطُوطِيء لهم الباب ليخفضوا رؤسهم ، فلم يسجدوا ودخلوا على أستاذهم إلى الجبل — وهو الجبل الذى تجلّى له رُبُّهُ — وقالوا : حِئْطَةٌ . فذلك التبديل الذى قال الله عز وجل : « فبدّل الذين ظلموا قولاً غيرَ الذى قيل لهم » .^(٢)

١٠٢٩ — حدثني موسى بن هرون الهمداني [قال ، حدثني عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، عن مرّة الهمداني] ، عن ابن مسعود أنه قال : إنهم قالوا : « هطى سمقا يا اذبة هزبا » ، وهو بالعربية : حبة حنطة حمراء مثقوبة فيها شعيرة سوداء . فذلك قوله : « فبدّل الذين ظلموا قولاً غيرَ الذى قيل لهم » .

١٠٣٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن الأعمش ،

(١) الأثر : ١٠٢٧ . سيأتي تمامه فى رقم : ١١١٦ .

(٢) الأثر : ١٠٢٨ — انظر ما سيأتى رقم : ١١١٧ ، فهو منه .

عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وادخلوا الباب مُجَدَّأ » قال : فدخلوا على أستاذهم مُقْنَعِي رُؤُسِهِمْ .

١٠٣١ - حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن النضر بن عدى ، عن عكرمة : « وادخلوا الباب مُجَدَّأ » ، فدخلوا مُقْنَعِي رُؤُسِهِمْ - « وقولوا حِطَّة » فقالوا : حنطة حمراء فيها شعيرة . فذلك قوله : « فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذى قيل لهم » .

١٠٣٢ - حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « وادخلوا الباب مُجَدَّأ وقولوا حِطَّة » ، قال : فكان يهود أحدهم على آخذه . و « قولوا حطة » نحت عنكم خطاياكم ، فقالوا : حنطة . وقال بعضهم : حبة فى شعيرة ، « فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذى قيل لهم » .

١٠٣٣ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب . قال ، قال ابن زيد : « وادخلوا الباب مُجَدَّأ وقولوا حطة » ، يحط الله بها عنكم ذنوبكم وخطيئاتكم ، قال : فاستهزأوا به - يعنى بموسى - وقالوا : ما يشاء موسى أن يلعب بنا إلا لعب بنا ، حِطَّةٌ حِطَّةٌ !! أى شىء حطة ؟ وقال بعضهم لبعض : حنطة .

١٠٣٤ - حدثنا القاسم بن الحسن قال ، حدثني الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، وقال ابن عباس : لما دخلوا قالوا : حبة فى شعيرة .

١٠٣٥ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي سعد بن محمد بن ٢٤٢/١ الحسن قال ، أخبرني عمى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما دخلوا الباب قالوا : حبة فى شعيرة ، « فبدلوا قولاً غير الذى قيل لهم » .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾

يعنى بقوله : « فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا » ، = على الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله ، من تبديلهم القول - الذى أمرهم الله جل وعز أن يقولوه - قولاً غيره ، ومعصيتهم إياه فيما أمرهم به ، وبركوبهم ما قد نهاهم عن ركوبه ، = « رِجْزاً من السماء بما كانوا يفسقون » .

• • •

و « الرِّجْز » ، فى لغة العرب ، العذاب . وهو غير « الرُّجْز » . ^(١) وذلك أن « الرُّجْز » : البَشْر ، ^(٢) ومنه الخبر الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الطاعون أنه قال : إنه رِجْزٌ عُدْبٌ به بعضُ الأئمة الذين قبلكم .

١٠٣٦ - حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب قال ، أخبرنى عامر بن سعد بن أبى وقاص ، عن أسامة ابن زيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا الوجع - أو السُّقم - رِجْزٌ عُدْبٌ به بعضُ الأئمة قبلكم . ^(٣)

١٠٣٧ - وحدثنى أبو شيبه بن أبى بكر بن أبى شيبه قال ، حدثنا عمر بن حفص قال ، حدثنا أبى ، عن الشيبانى ، عن رياح بن عبيدة ، عن عامر بن سعد قال : شهدتُ أسامة بن زيد عند سعد بن مالك يقول : قال رسول الله صلى

(١) الرجز (بضم فسكون) ، وهو الذى جاء فى قوله تعالى فى سورة المدثر : « والرجز فاهجر » . وذكر الطبرى فرق ما بينهما فى ٢٩ : ٩٢ (بولاقي) فقال : « الرجز بضم الراء . . . الأوثان »

(٢) البثر : خراج صفار ، كالكلى يكون من الطاعون والجذري .

(٣) الحديث : ١٠٣٦ - إسناده صحيح . وقد ذكره ابن كثير ١ : ١٨٢ ، وقال : « وهذا

الحديث أصله مخرج فى الصحيحين ، من حديث الزهرى ، ومن حديث مالك عن محمد بن المنكدر وسالم أبى النضر - عن عامر بن سعد ، بنحوه . ورواه أحمد فى المسند ، من طريق الزهرى (٥ : ٢٠٧ - ٢٠٨ حلى) . ورواه أيضاً (٥ : ٢٠٩) ، من طريق حبيب بن أبى ثابت ، عن إبراهيم بن سعد ، عن أسامة بن زيد ، مطولاً .

الله عليه وسلم : إن الطاعون رِجْزٌ أنزل على من كان قبلكم - أو على بني إسرائيل .^(١)

* * *

ومثل الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك :

١٠٣٨ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

معمر ، عن قتادة فى قوله : « رِجْزاً » ، قال : عذاباً .

١٠٣٩ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم العسقلانى قال ، حدثنا أبو جعفر ،

عن الربيع ، عن أبي العالية فى قوله : « فأنزلنا على الذين ظلموا رِجْزاً من السماء » ، قال : الرجز ، الغضب .

١٠٤٠ - حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : لما

قيل لبني إسرائيل : - ادخلوا الباب سجداً ، وقولوا : حطة ، فبدّل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذى قيل لهم - بعث الله جل وعزّ عليهم الطاعون ، فلم يُبق منهم أحداً . وقرأ : « فأنزلنا على الذين ظلموا رِجْزاً من السماء بما كانوا يفسقون » ، قال : وبقي الأبناء = ففهم الفضلُ والعبادةُ - التى توصف فى بني إسرائيل - والخيرُ = وهلك الآباء كلُّهم ، أهلكهم الطاعون .

١٠٤١ - حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد :

الرجز ، العذاب . وكل شيء فى القرآن « رِجْزٌ » ، فهو عذاب .

(١) الحديث ١٠٣٧ - وهذا إسناد آخر صحيح ، للحديث السابق . أبو شيبه بن أبي بكر بن أبي شيبة : هو « إبراهيم بن عبد الله بن محمد » ، وهو ثقة ، روى عنه أيضاً النسائى وأبو زرعة وأبو حاتم ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبي حاتم ١١٠/١/١ . عمر بن حفص بن غياث : ثقة ، روى عنه البخارى ومسلم فى الصحيحين . أبو حفص بن غياث : ثقة أمين ، معروف ، أخرج له الجماعة . الشيبانى : هو أبو إسحق ، سليمان بن أبي سليمان ، ثقة حجة . رياح بن عبيدة : هو بكسر الراء وفتح الياء التحتية المخففة ، ووقع فى المطبوعة « رياح » بالموحدة ، وهو تصحيف . و « عبيدة » بفتح العين وكسر الياء الموحدة ، ورياح هذا بصرى ثقة ، وثقه ابن معين وأبو زرعة ، وهو مترجم فى التهذيب ٣ : ٢٩٩ - ٣٠٠ ، والكبير البخارى ١٢/١/٣٠٠ ، وابن أبي حاتم ١١١/٢/١ ، والمشتبه للذهبي ، ص : ٢١٢ . وهو غير « رياح بن عبيدة السلى الكوفى » ، فرق بينهما المزى فى التهذيب . والذهبي فى المشتبه . وأنكر الحفاظ ابن حجر ذلك عل المزى ، ولكنه تبع الذهبي فى تبصير المنتبه ، ولم يعقب عليه ، وهو الصواب ، إن شاء الله .

١٠٤٢ - حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : « رَجَزًا » ، قال : كل شيء في كتاب الله من « الرجز » ، يعنى به العذاب .

• • •

وقد دللنا على أن تأويل « الرجز » العذاب . وعذابُ الله جل ثناؤه أصناف مختلفة . وقد أخبر الله جل ثناؤه أنه أنزل على الذين وصفنا أمرهم الرجز من السماء . وجائز أن يكون ذلك طاعوناً ، وجائز أن يكون غيره . ولا دلالة في ظاهر القرآن ولا في أثر عن الرسول ثابت ، ^(١) أى أصناف ذلك كان .

فالصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله عز وجل : فَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ رَجْزًا من السماء بفسقهم .

غير أنه يغلب على النفس صحة ما قاله ابن زيد ، للخبر الذى ذكرتُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في إخباره عن الطاعون أنه رَجَزٌ ، وأنه مُعَذَّبٌ به قوم قبلنا . وإن كنتُ لا أقول إن ذلك كذلك يقيناً ، لأن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بيان فيه أى أمةٌ عذبت بذلك . وقد يجوز أن يكون الذين عذبوا به ، كانوا غير الذين وصف الله صفتهم في قوله : « فبدّل الذين ظلموا قولاً غير الذى قيل لهم » . ٢٤٣/١

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾

وقد دللنا - فيما مضى من كتابنا هذا - على أن معنى « الفسق » ، الخروج من الشيء . ^(٢)

(١) انظر تفسير قوله « ظاهر القرآن » فيما مضى : ٢ : ١٥ والمراجع .

(٢) انظر ما سلف : ١ : ٤٠٩ - ٤١٠ ، وقد ذكر الآية هناك في أثر عن ابن عباس ، فيه : « أى بما فعلوا من أمرى » ، (ص ٤١٠) .

فتأويل قوله : « بما كانوا يفسقون » إذاً : بما كانوا يتركون طاعة الله عز وجل ، فيخترجون عنها إلى معصيته وخلاف أمره .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ ﴾

يعنى بقوله : « وإذ استسقى موسى لقومه » ، وإذ استسقانا موسى لقومه ، أى سألنا أن نسقى قومه ماءً . فترك ذكر المستول ذلك ، والمعنى الذى سأل موسى ، (١) إذ كان فيما ذكر من الكلام الظاهر دلالة على معنى ما ترك . وكذلك قوله « فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشر عيناً » ، مما استغنى بدلالة الظاهر على المتروك منه . وذلك أن معنى الكلام : فقلنا اضرب بعصاك الحجر ، فضربه ، فانفجرت . فترك ذكر الخبر عن ضرب موسى الحجر ، إذ كان فيما ذكر دلالة على المراد منه .

وكذلك قوله : « قد علم كل أناس مشربهم » ، إنما معناه : قد علم كل أناس منهم مشربهم . فترك ذكر « منهم » للدلالة الكلام عليه .

* * *

وقد دللنا فيما مضى على أن « أناس » جمع لا واحد له من لفظه ، (٢) وأن « الإنسان » لو جمع على لفظه ل قيل : أناسى وأناسية . (٣)

* * *

(١) قوله « والمعنى الذى سأل موسى » ، يعنى « والثى » وهو الماء .

(٢) فى المطبوعة : « أن الناس جمع لا واحد له » ، وقد مضى ذلك ، ولكنه هنا أراد « أناس » المذكور فى الآية ، وهو أيضاً جمع لا واحد له من لفظه ، وإن قال بعضهم إنه جمع إنس .

(٣) انظر ما سلف ١ : ٢٦٨ .

وقومُ موسى ، هم بنو إسرائيل ، الذين قصَّ الله عز وجل قصصهم في هذه الآيات . وإنما استسقى لهم ربُّه الماءَ في الحال التي تاهوا فيها في التَّيه ، كما :-

١٠٤٣ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ابن أبي عروبة ، عن قتادة قوله : « وإذ استسقى موسى لقومه » الآية ، قال : كان هذا إذ هم في البرِّيَّة ، اشتكوا إلى نبيهم الظمأ ، فأَمروا بحجر طُورى - أى من الطور - أن يضربه موسى بعصاه . فكانوا يحملونه معهم ، فإذا نزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، لكل سبَّط عينٌ معلومة مستفيضٌ ماؤها لهم .

١٠٤٤ - حدثني تميم بن المنتصر قال ، حدثنا يزيد بن هرون قال ، حدثنا

أصبع بن زيد ، عن القاسم بن أبي أيوب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ذلك في التيه ؛ ظلَّل عليهم الغمام ، وأنزل عليهم المنَّ والسلوى ، وجعل لهم ثياباً لا تبلى ولا تتسخ ، وجعل بين ظهرانيهم حجرَ مربَّع ، وأمَّر موسى فصرَب بعصاه الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، في كل ناحيةٍ منه ثلاثُ عيون ، لكل سبَّط عينٌ ؛ ولا يَرْتحلون منقلةً إلا وجدوا ذلك الحجر معهم بالمكان الذي كان به معهم في المنزل الأول .^(١)

١٠٤٥ - حدثني عبد الكريم قال ، أخبرنا إبراهيم بن بشار قال ، حدثنا سفیان ، عن أبي سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ذلك في التيه . ضربَ لهم موسى الحجرَ فصار فيه اثنتا عشرة عينا من ماء ، لكل سبَّطٍ منهم عينٌ يشربون منها .

١٠٤٦ - وحدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا » ، لكل سبَّطٍ منهم عين . كل ذلك كان في تيه حين تاهوا .

١٠٤٧ - حدثنا القاسم بن الحسن قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ،

(١) المنقلة : المرحلة من مراحل السفر ، والجمع مناقل .

عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « وإذ استسقى موسى لقومه » ، قال : خافوا الظماً في نبيهم حين تاهوا ، فانفجر لهم الحجر اثنتي عشرة عيناً ، ضرب به موسى . قال ابن جريج : قال ابن عباس : « الأسباط » بنو يعقوب ، كانوا اثني عشر رجلاً ، كل واحد منهم ولد سبطاً ، أمة من الناس .^(١)

١٠٤٨ - حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : استسقى لهم موسى في التيه ، فسقوا في حجر مثل رأس الشاة ، قال : يُلقونه في جانب الجوّالتي إذا ارتحلوا ،^(٢) ويقرعه موسى بالعصا إذ نزل ، فتنفجر ٢٤٤/١ منه اثنتا عشرة عيناً ، لكل سبط منهم عين ، فكان بنو إسرائيل يشربون منه ، حتى إذا كان الرحيل استمسكت العيون ، وقيل به فألقى في جانب الجوّالتي^(٣) . فإذا نزل رمى به ، فقرعه بالعصا ، فتفجرت عين من كل ناحية مثل البحر .

١٠٤٩ - حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثني أسباط ، عن السدي قال : كان ذلك في التيه .

* * *

وأما قوله : « قد علم كل أناس مشربهم » ، فلانما أخبر الله عنهم بذلك . لأن معنهم - في الذي أخرج الله عز وجل لهم من الحجر ، الذي وصف جل ذكره في هذه الآية صفتَه -^(٤) من الشرب ، كان مخالفاً معاني سائر الخلق فيما أخرج الله لهم من المياه من الجبال والأرضين ، التي لا مالك لها سوى الله عز وجل . وذلك

(١) في المطبوعة : « ولد سبطاً وأمة من الناس » ، والصواب حذف واو العطف فإن قوله : « أمة من الناس » تفسير قوله « سبطاً » .

(٢) الجوالق : وعاء كبير منسوج من صوف أو شعر ، تحمل فيه الأطعمة ، وهو الذي نسميه في بلادنا « الشوال » محرفة من « الجوالق » .

(٣) « قيل به » مبنى للجهول من « قال به » . وقال بالشيء : رفعه أو حمله . والعرب تجمل القول عبارة عن جميع الأفعال وتطلقه على غير الكلام واللسان . يقولون : قال برجله : إذا بدأ يتقدم ومشى ، أو إذا أشار بها للركل . ويقولون : قال بالماء على يده أى قلبه وصبه . وما أشبه ذلك . وقد مضى مثل ذلك آنفاً ص ٥٤ تعليق : ٣ ، ص : ٦٤ تعليق : ٤

(٤) سياق الجملة « لأن معنهم ... من الشرب » كان مخالفاً معاني « ، وفصل كمادته فيما بينا مراراً . يعنى لأن شرابهم كان مخالفاً شرب سائر الناس ... »

أن الله كان جعل لكل سبب من الأسباط الاثني عشر ، عيناً من الحجر الذى وصف صفته فى هذه الآية ، يشرب منها دون سائر الأسباط غيره ، لا يدخل سبب منهم فى شرب سبط غيره . وكان مع ذلك لكل عين من تلك العيون الاثني عشرة ، موضع من الحجر قد عرفه السبب الذى منه شربه . فلذلك خصّ جل ثناؤه هؤلاء بالخبر عنهم : أن كل أناس منهم كانوا عالمين بمشربهم دون غيرهم من الناس . إذ كان غيرهم — فى الماء الذى لا يملكه أحد — شركاء فى منابه ومسايله . وكان كل سبب من هؤلاء مفرداً بشرب منبع من منابع الحجر — دون سائر منابه — خاص لهم دون سائر الأسباط غيرهم . فلذلك خصوا بالخبر عنهم : أن كل أناس منهم قد علموا مشربهم .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ ﴾

وهذا أيضاً مما استغنى بذكر ما هو ظاهر منه ، عن ذكره ما ترك ذكره . وذلك أن تأويل الكلام : فقلنا اضرب بعصاك الحجر ، فضربه ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، قد علم كل أناس مشربهم ، ف قيل لهم : كلوا واشربوا من رزق الله . أخبر الله جل ثناؤه أنه أمرهم بأكل ما رزقهم فى التيه من المن والسلوى ، وبشرب ما فجّر لهم فيه من الماء من الحجر المتعاور ، ^(١) الذى لا قرار له فى الأرض ، ولا سبيل إليه [إلا] للملكيه ، ^(٢) يتدفق بعيون الماء ، ويزخر بينابيع العذب الفرات ، بقدرة ذى الجلال والإكرام .

ثم تقدم جل ذكره إليهم ^(٣) — مع إباحتهم ما أباح ، وإنعامه عليهم بما

(١) الحجر المتعاور : الحجر المتبادل ، ينتقل من يد إلى يد . من تعاوروا الشيء : إذا تبادلوه ، ولا يتعاور شيء حتى يكون متقولا ، أما الثابت فلا يتعاوره الناس ولا يتبادلونه .

(٢) فى المطبوعة : « لا سبيل إليه للملكيه » ، وهو كلام بلا معنى . والصواب ما أثبتناه بزيادة « إلا » ويدل على صواب ذلك ما مضى منذ قليل فى تفسير ما سبق من الآية .

(٣) تقدم إليه بكذا : إذا أمره .

أنعم به عليهم من العيش الهنيء — بالنهي عن السعي في الأرض فساداً ، والعثا فيها استكباراً ، ^(١) فقال جل ثناؤه لهم : « وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ » .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ^(٦٠)

يعنى بقوله : « لَا تَعَثُّوا » لا تطغوا ، ولا تسعوا في الأرض مفسدين . كما : —
١٠٥٠ — حدثني به المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ » ، يقول : لا تسعوا في الأرض فساداً .

١٠٥١ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ » ، لا تعث ، لا تطغ .

١٠٥٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ » ، أى لا تسيرُوا في الأرض مفسدين .

١٠٥٣ — حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ » ، لا تسعوا في الأرض .

• • •

وأصل « العثا » شدة الإفساد ، بل هو أشد الإفساد . ^(١) يقال منه : « عَثِيَ فلانٌ في الأرض » — إذا تجاوز في الإفساد إلى غايته — « يَعَثِي عَثًا » ، مقصور ^(١) ، وللجماعة : هم يَعَثُونَ . وفيه لغتان آخريان ، إحداهما : « عَثَا يَعَثُو عَثًا » . ومن قرأها بهذه اللغة ، فإنه ينبغي له أن يضمَّ اللام من « يعثو » ، ولا أعلم قارئاً يُقتدى بقراءته ٢٤٥/١

(١) العثا : مصدر : عثى يعثى ، كرضى يرضى ، وهى لغة الحجاز . ولم أجدها هذا المصدر إلا في تاج العروس . ولست أعلم أهو بفتح العين أم بكسرهما . ولكنى أستظهر أن يكون فتح العين هو الأرجح .

قرأ به .^(١) ومن نطق بهذه اللغة مخبراً عن نفسه قال : « عَشَوْتُ أُعْثُو » ، ومن نطق باللغة الأولى قال : « عَثَيْتُ أُعْثَى » .

والأخرى منهما : « عَاثَ يَعِثُ عَيْثًا وَعِيُوثًا وَعَيْثَانًا » ، كل ذلك بمعنى واحد . ومن « العيث » ، قول رؤبة بن العجاج :

وَعَاثَ فِينَا مُسْتَحِلٌ عَاثٌ : مُصَدِّقٌ ، أو تاجرٌ مُقَاعِثٌ^(٢)

يعنى بقوله : « عاث فينا » ، أفسد فينا .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ ، فَاذْعُ لَنَا رَبُّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾

قد دللنا - فيما مضى قبل - على معنى « الصبر » وأنه كَفُّ النفس وحبسها عن الشيء .^(٣) فإذا كان ذلك كذلك ، فعنى الآية إذاً : واذكروا إذ قلتم - يا معشر بني إسرائيل - : لن نطيق حبس أنفسنا على طعام واحد - وذلك « الطعام الواحد » ، هو ما أخبر الله جل ثناؤه أنه أطعمهموه في تبعهم ، وهو « السلوى »

(١) « القراءة سنة ، ولا يقرأ إلا بما قرأ به القراء » . لسان العرب (حى) .

(٢) ديوانه : ٣٠ . مستحل : قد استحل أموالهم واستباحها . والمصدق : هو العامل الذى يقبض زكاة أموال الناس ، وهو وكيل الفقراء فى القبض ، وله أن يتصرف لهم بما يؤديه إليه اجتهاده ، فر بما جاز إذا لم يكن من أهل الورع . قث الشيء يقمثه : استأصله واستوعبه . وقمته فانقمث : إذا قلعه من أصله فانقلع . ولم تذكر معاجم اللغة : « قاعث فهو مقاعث » ، ولكنه لما أراد أن التاجر يأق بظلمه وجوره وإغلاته السحر ، فيستأصل أموال الناس ويقتلعها ، والناس يدافعونه عن أموالهم - اشتق له من المفاعلة التى تكون بين اثنين : « قاعث فهو مقاعث » ، أى يحاول استئصال أموال الناس ، والناس يدافعونه عن أموالهم .

(٣) انظر ما مضى فى هذا الجزء ٢ : ١١

في قول بعض أهل التأويل ، وفي قول وهب بن منبه هو « الخبز النقيّ مع اللحم » -
فاسأل لنا ربك يُخرج لنا مما تنبت الأرض من البقل والقِثَاء ، وما سمى الله مع ذلك ،
وذكر أنهم سألوه موسى .

* * *

وكان سبب مسألتهم موسى ذلك فيما بلغنا ، ما : -

١٠٥٤ - حدثنا به بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا
سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد » قال :
كان القوم في البرية قد ظلل عليهم الغمام ، وأنزل عليهم المن والسلوى ، فقلوا
ذلك ، وذكروا عيشاً كان لهم بمصر ، فسألوه موسى . فقال الله تعالى : « اهبطوا
مصرًا فإن لكم ما سألتم » .

١٠٥٥ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبدالرزاق قال ، أخبرنا معمر ،
عن قتادة في قوله : « لن نصبر على طعام واحد » ، قال : ملأوا طعامهم ، وذكروا
عيشهم الذي كانوا فيه قبل ذلك ، قالوا : « ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض
من بقلها وقثائها وفومها » الآية .

١٠٥٦ - حدثني المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ،
عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : « وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام
واحد » ، قال : كان طعامهم السلوى وشرابهم المن ، فسألوا ما ذكر ، فقل لهم :
« اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم » .

* * *

قال أبو جعفر : وقال قتادة : إنهم لما قدموا الشام فقدوا أطعمتهم التي كانوا
يأكلونها ، فقالوا : « ادع لنا ربك يُخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها
وفومها وعدسها وبصلها » ، وكانوا قد ظلل عليهم الغمام ، وأنزل عليهم المن
والسلوى ، فقلوا ذلك ، وذكروا عيشاً كانوا فيه بمصر .

١٠٥٧ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى

قال ، سمعت ابن أبي نجيج في قوله عز وجل : « لن نصبر على طعام واحد » ، المن والسلوى ، فاستبدلوا به البقل وما ذُكر معه .

١٠٥٨ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد بمثله سواء .

١٠٥٩ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بمثله .

١٠٦٠ - حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : أعطوا في التَّيِّه ما أعطوا ، فقلُّوا ذلك وقالوا : « يا موسى كن نصبر على طعام واحد فادعُ لنا ربك فيخرجُ لنا مما تُنبِت الأرض من بقلها وقثائها وقومها وعدسها وبصلها » .

١٠٦١ - حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أنبأنا ابن زيد قال : كان طعامُ بني إسرائيل في التَّيِّه واحدًا ، وشرابهم واحدًا . كان ٢٤٦/١ شرابهم عسلًا ينزل لهم من السماء يقال له المن ، وطعامهم طيرٌ يقال له السلوى ، يأكلون الطير ويشربون العسل ، لم يكونوا يعرفون خبزًا ولا غيره . فقالوا : « يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادعُ لنا ربك فيخرجُ لنا مما تُنبِت الأرض من بقلها » ، فقرأ حتى بلغ : « اهبطوا مصرًا فإنَّ لكم ما سألتم » .

* * *

وإنما قال جل ذكره : « يُخرجُ لنا مما تُنبِت الأرض » - ولم يذكر الذي سأله أن يدعو ربه ليخرجَ لهم من الأرض ، فيقول : قالوا ادع لنا ربك فيخرج لنا كذا وكذا مما تنبته الأرض من بقلها وقثائها - لأن « من » تأتي بمعنى التبويض لما بعدها ، فاكتفى بها عن ذكر التبويض ، إذ كان معلومًا بدخولها معنى ما أريد بالكلام الذي هي فيه . كقول القائل : « أصبح اليوم عند فلان من الطعام » ، يريد شيئاً منه . وقد قال بعضهم : « من » ههنا بمعنى الإلغاء والإسقاط . كأن معنى الكلام

عندَه : يُخرج لنا مَا تنبت الأرض من بقلها . واستشهد على ذلك بقول العرب :
 « ما رأيت من أحدٍ » بمعنى : ما رأيت أحداً ، وبقول الله : « وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ
 مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ » [سورة البقرة : ٢٧١] ، وبقولهم : « قد كان من حديثٍ ، ففعلٌ
 عني حتى أذهب » ، يريدون : قد كان حديث .

وقد أنكر من أهل العربية جماعة أن تكون « من » بمعنى الإلغاء في شيء من
 الكلام ، وادَّعوا أن دخولها في كل موضع دخلت فيه ، مُؤذِنٌ أن المتكلم مُريد
 لبعض ما أدخلت فيه لا جميعه ، وأنها لا تدخل في موضع إلا لمعنى مفهوم .

* * *

فتأويل الكلام إذاً — على ما وصفنا من أمر « من » ^(١) — : فادع لنا ربك
 يخرج لنا بعض ما تنبت الأرض من بقلها وقنائها .

* * *

و « البَقْل » و « القِثَاء » و « العَدَس » و « البَصَل » ، هو ما قد عرفه الناس
 بينهم من نبات الأرض وحَبُّها .

* * *

وأما « الفُوم » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فيه . فقال بعضهم : هو الحنطة
 والخبز . ذكر من قال ذلك :

١٠٦٢ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد ومؤمل قالا ، حدثنا
 سيفان ، عن ابن أبي نجيع ، عن عطاء قال : الفُومُ ، الخبز .

١٠٦٣ — حدثني أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد ، حدثنا سيفان ،
 عن ابن جريج ، عن عطاء ومجاهد قوله : « وفُومها » ، قالا : خبزها .

١٠٦٤ — حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ومحمد بن عمرو قالا ، حدثنا
 أبو عاصم ، عن عيسى بن ميمون ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد : « وفُومها » ،
 قال : الخبز .

(١) في المطبوعة : « عل ما وصفنا من أمر من ذكرنا » ، و « ذكرنا » زائدة ولا شك ، كما تبين
 من سياق كلامه السالف والآتي .

١٠٦٥ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة والحسن : القوم ، هو الحب الذي تختبزه الناس .

١٠٦٦ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة والحسن ، بمثله .

١٠٦٧ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم . قال ، أخبرنا حصين ، عن أبي مالك في قوله : « وقومها » ، قال : الحنطة .

١٠٦٨ - حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط بن نصر ، عن السدي : « وقومها » ، الحنطة .

١٠٦٩ - حدثني الثني قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن وحصين ، عن أبي مالك في قوله : « وقومها » ، الحنطة .

١٠٧٠ - حدثني الثني قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر الرازي ، عن قتادة قال : القوم ، الحب الذي يختبئ الناس منه .

١٠٧١ - حدثني القاسم قال ، حدثنا الحسين ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : قال لي عطاء بن أبي رباح : قوله : « وقومها » ، قال : خبزها ، قالها مجاهد .
١٠٧٢ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال لي ابن زيد : القوم ، الخبز .

١٠٧٣ - حدثني يحيى بن عثمان السهمي قال ، حدثنا عبد الله بن صالح ٢٤٧/١ قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : « وقومها » يقول : الحنطة والخبز .

١٠٧٤ - حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : « وقومها » قال : هو البُرُّ بعينه ، الحنطة .

١٠٧٥ - حدثنا علي بن الحسن قال ، ثنا مسلم الجرمي قال ، حدثنا عيسى ابن يونس ، عن رشدين بن كريب ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قول الله عز

وجل : « وثُمُومِها » قال : القوم ، الحنطة بلسان بني هاشم .^(١)
 ١٠٧٦ - حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا
 عبد العزيز بن منصور ، عن نافع بن أبي نعيم ، أن عبد الله بن عباس سئل عن
 قول الله : « وثُمُومِها » ، قال : الحنطة ، أما سمعت قول أحيحة بن الجلاح وهو يقول :
 قَدْ كُنْتُ أَغْنَى النَّاسِ شَخْصًا وَاحِدًا وَرَدَّ الْمَدِينَةَ عَنْ زِرَاعَةِ قَوْمٍ .^(٢)

وقال آخرون : هو الثوم . . ذكر من قال ذلك :

١٠٧٧ - حدثني أحمد بن إسحق الأهوازي قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا
 شريك ، عن ليث ، عن مجاهد قال : هو هذا الثوم .
 ١٠٧٨ - حدثني المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن
 أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : القوم ، الثوم .

وهو في بعض القراءات « وثُمُومِها » .

(١) الحديث : ١٠٧٥ - مسلم الجرمي : سبق أن رجحنا في : ١٥٤ ، ٦٤٩ ، ٨٤٦ أنه
 « الجرمي » بالجم . وقد ثبت هنا في المطبوعة بالجم على ما رجحنا . رشدين - بكسر الراء وسكون الشين
 المعجمة وكسر الدال المهملة - بن كريب : ضعيف ، بينا القول في ضعفه في شرح المسند : ٢٥٧١ .
 وأبوه ، كريب بن أبي مسلم : تابعي ثقة .

(٢) الحديث : ١٠٧٦ - عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصري : ثقة ، كان من أهل الحديث
 عالماً بالتواريخ ، صنف تاريخ مصر وغيره ، كما في التهذيب ، مات سنة ٢٥٧ . وهو مؤلف كتاب
 (فتوح مصر) المطبوع في أوربة ، شيخه ، عبد العزيز بن منصور : لم أجد له ذكرًا فيما بين يدي
 من المراجع ، إلا في فتوح مصر ، ص ٤٠ س ٧ - ٨ ، قال ابن عبد الحكم هناك : « حدثنا عبد العزيز
 بن منصور اليحصبي ، عن عاصم بن حكيم . . . » . وشيخه ، نافع : هو نافع بن عبد الرحمن بن
 أبي نعيم المدني ، أحد القراء السبعة المعروفين . وهو لم يدرك ابن عباس ، إنما يروى عن التابعين . وله
 ترجمة في التهذيب ، والكبير للبخاري ٨ / ٢ / ٤ ، وابن أبي حاتم ٤٥٦ / ١ / ٤ - ٤٥٧ ، وتاريخ
 إصبهان لأبي نعيم ٢ : ٣٢٦ - ٣٢٧ .

والبيت في البسان (قوم) ، ونسبه لأبي محجن الثقفي ، أنشده الأخفش له ، وروايته :

قَدْ كُنْتُ أَخْصَبُ بَنِي كَأَغْنَى وَاحِدٍ نَزَلَ الْمَدِينَةَ

وفي الروض الأنف ٢ : ٤٥ نسبة لأحيحة ، أو لأبي محجن ، ورواه « سكن المدينة »

وقد ذكر أن تسمية الحنطة والحيز جميعاً « فوماً » من اللغة القديمة . حكى
سماعاً من أهل هذه اللغة : « فوموا لنا » ، بمعنى : اختبروا لنا .

وذكر أن ذلك قراءة عبد الله بن مسعود : « ثومها » بالثاء .^(١) فإن كان ذلك
صحيحاً ، فإنه من الحروف المبدلة كقولهم : « وقعوا في عاثور شرّ » : وعافور شرّ
وكقولهم : « للأثافي ، أثافي » ، وللمغافير ، مغافير » ، وما أشبه ذلك مما تقلب الـ
فاء والقاء ثاء ، لتقارب مخرج القاء من مخرج الـ ثاء . و « المغافير » شبيه بالشيء
الحلو ، يُشبهه بالعسل ، ينزل من السماء حلواً ، يقع على الشجر ونحوها .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ
بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾

يعنى بقوله : « قال أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ » ، قال : لهم
موسى : أأتأخذون الذى هو أخسُّ خطراً وقيمةً وقدرًا من العيش ، بدلاً بالذى
هو خير منه خطراً وقيمةً وقدرًا ؟ وذلك كان استبدالهم .

وأصل « الاستبدال » : هو ترك شيء لآخر غيره مكان المتروك .

ومعنى قوله : « أدنى » أخس وأضع وأصغرُ قدرًا وخطراً . وأصله من قولهم :
« هذا رجل دَنِيٌّ بين الدَّناءة » و « إنه ليدُنِيَّ في الأمور » بغير همز ، إذا كان يتبع
خسيسها . وقد ذكر الهمزُ عن بعض العرب في ذلك ، سماعاً منهم . يقولون :
« ما كنت دَانِئاً ، ولقد دَانَتْ » ،^(٢) وأشدنى بعض أصحابنا عن غيره ، أنه سمع
بعض بني كلاب يُنشد بيت الأعشى^(٣) :

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤١

(٢) هذا كله من قول الفراء في معاني القرآن ١ : ٤٢ . وكان في المطبعة « ما كنت دنيئاً » ، والصواب
ما أثبتته من كتاب الفراء .

(٣) الذى سمع هذا هو الفراء . انظر معاني القرآن له ١ : ٤٢ ، والطبرى يجهله دائماً .

بِاسْمَةِ الْوَقْعِ سَرَابِيلُهَا يَبِضُّ إِلَى دَانِيهَا الظَّاهِرِ^(١)

بهمز الداني ، وأنه سمعهم يقولون : « إنه لداني خبيث » بالهمز. ^(٢) فإن كان ذلك عنهم صحيحاً ، فالهمز فيه لغة ، وتركه أخرى .

ولاشك أن من استبدل بالمن والسلوى البقل والقنأ والعَدَس والبصل والثوم ، فقد استبدل الوَضِيع من العيش بالرفيع منه .

وقد تأول بعضهم قوله : « الذي هو أدنى » بمعنى : الذي هو أقرب . ووجه قوله : « أدنى » ، إلى أنه أفعل من « الدنو » ، الذي هو بمعنى القرب .

وينحو الذي قلنا في معنى قوله « الذي هو أدنى » ، قاله عددٌ من أهل التأويل في تأويله . . ذكر من قال ذلك :

١٠٧٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة قال : « أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير » ، يقول : أتستبدلون الذي هو شرٌّ بالذي هو خير منه .

١٠٨٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ،

(١) ديوانه : ١٠٨ ، وروايته « إلى جانبه الظاهر » . يصف حصناً . قال قبله :

فِي مَجْدَلٍ شَيْدٍ بُنْيَانُهُ يَزِلُّ عَنْهُ ظُمْرُ الطَّائِرِ
يَجْمَعُ خَضْرَاءَ هَذَا سُورَةٍ تَعْصِفُ بِالْدَّارِعِ وَالْحَاسِرِ
باسمَةِ الْوَقْعِ

والضمير في قوله : « سرابيلها » راجع إلى « خضراء » يقال : كتيبة خضراء ، وهي التي غلب عليها لبس الحديد وعلاها سواده ، والخضرة سواد عندهم . والسرابيل هنا : الدروع ، جمع سرايل : وهو كل ما لبس كالدرع وغيره . وقال الفراء : « يعنى الدروع على خاصتها - يعنى الكتيبة - إلى الخسيس منها » . كأنه أراد : يلبسون الدروع من شريف إلى خسيس . وأما رواية الديوان : فالضمير في « جانبه » ، راجع إلى « المجدل » ، وهي آيين الرايتين معنى وأصهما .

(٢) في معاني الفراء زيادة بين قوسين من بعض النسخ : [إذا كان ماجنا] .

٢٤٨/١ عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « الذى هو أدنى » ، قال : أرذأ .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴾

وتأويل ذلك : فدعا موسى ، فاستجبنا له ، فقلنا لهم : « اهبطوا مصرًا » ، وهو من المحذوف الذى اجتزئ بدلالة ظاهره على ذكر ما حذف وترك منه .

وقد دللنا — فيما مضى — على أن معنى « الهَبُوط » إلى المكان ، إنما هو النزول إليه والحلول به . (١)

• • •

فتأويل الآية إذا : وإذا قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد ، فادع لنا ربك فيخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها . قال لهم موسى : أتستبدلون الذى هو أخس وأردأ من العيش ، بالذى هو خير منه . فدعا لهم موسى ربه أن يعطيهم ما سألوه ، فاستجاب الله له دعاءه ، فأعطاهم ما طلبوا ، وقال الله لهم : اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم .

ثم اختلف القراءة فى قراءة قوله (٢) : « مصرًا » فقرأه عامة القراء « مصرًا » بتنوين « المِصر » وإجرائه . وقرأه بعضهم بترك التنوين وحذف الألف منه . فأما الذين تَوَنَوْهُ وأجروه ، فلأنهم عنوا به مصرًا من الأمصار ، لا مصرًا بعينه . فتأويله — على قراءتهم — : اهبطوا مصرًا من الأمصار ، لأنكم فى البدو ، والذى طلبتم لا يكون فى البَوَادى والقيافي ، وإنما يكون فى القرى والأمصار ، فإن لكم — إذا هبطتموه — ما سألتم من العيش . وقد يجوز أن يكون بعض من قرأ ذلك بالإجراء

(١) انظر ما مضى ١ : ٥٣٤

(٢) فى المطبوعة : « القراء » ، ورددناها إلى الذى جرى عليه لفظ الطبرى فيما سلف ، فى كل المواضع التى جروا على تبديلها من « قراءة » ، إلى « قراء » .

والتنوين ، كان تأويل الكلام عنده : « اهبطوا مصرًا » ، البلدة التي تُعرف بهذه الاسم ، وهي مصر التي أخرجوا عنها . غير أنه أجراها وتوَنَّها اتباعاً منه خطأ المصحف ، لأن في المصحف ألفاً ثابتة في « مصر » ، فيكون سبيل قراءته ذلك بالإجراء والتنوين ، سبيل من قرأ « قَوَارِيراً قَوَارِيراً مِنْ فِضَّةٍ » [سورة الإنسان : ١٥ ، ١٦] منونةً ، اتباعاً منه خطأ المصحف . وأما الذي لم ينون «مصر» فإنه لا شك أنه عني «مصر» التي تعرف بهذا الاسم بعينها دون سائر البلدان غيرها. (١)

• • •

وقد اختلف أهل التأويل في ذلك ، نظير اختلاف القراءة في قراءته .

١٠٨١ - فحدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ،

عن قتادة : « اهبطوا مصرًا » ، أى مِصرًا من الأمصار ، فإن لكم ما سألتكم .

١٠٨٢ - حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا

أسباط ، عن السدي : « اهبطوا مصرًا » من الأمصار ، فإن لكم ما سألتكم . فلما خرجوا من التيه ، رُفِعَ المن والسلوى وأكلوا البقول .

١٠٨٣ - حدثني المثنى قال ، حدثني آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن

قتادة في قوله : « اهبطوا مِصرًا » قال : يعنى مصرًا من الأمصار .

١٠٨٤ - حدثنا القاسم بن الحسن قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني

حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « اهبطوا مصرًا » قال : مِصرًا من الأمصار . زعموا أنهم لم يرجعوا إلى مصر .

١٠٨٥ - حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال

ابن زيد : « اهبطوا مصرًا » ، قال : مصرًا من الأمصار . و « مصر » لا تُجرى في الكلام . فقيل : أى مِصر . فقال : الأرض المقدسة التي كتب الله لهم ، وقرأ قول الله جل ثناؤه : ﴿ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [سورة المائدة : ٢١]

• • •

وقال آخرون : هي مصر التي كان فيها فرعون . ذكر من قال ذلك :
 ١٠٨٦ - حدثني المثنى ، حدثنا آدم ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن
 أبي العالبة في قوله : « اهبطوا مصرًا » ، قال : يعني به مصر فرعون .
 ١٠٨٧ - حدثت عن عمار بن الحسن ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ،
 عن الربيع مثله .

ومن حجة من قال إن الله جل ثناؤه إنما عني بقوله : « اهبطوا مصرًا » ،
 مصرًا من الأمصار دون « مصر » فرعون بعينها - : أن الله جعل أرض الشام لبني
 إسرائيل مساكن بعد أن أخرجهم من مصر . وإنما ابتلاهم بالتيه ، بامتناعهم
 ٢٤٩/١ على موسى في حرب الجبابة ، إذ قال لهم : ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ
 الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ . قَالُوا يَا مُوسَى
 إِنَّا فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا
 دَاخِلُونَ . قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَمْرَ اللَّهِ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا
 دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . قَالُوا يَا مُوسَى
 إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾
 [سورة المائدة : ٢١ - ٢٤] ، فحرم الله جل وعز على قاتلي ذلك - فيما ذكر
 لنا - دخولها حتى هلكوا في التيه . وابتلاهم بالتبتهان في الأرض أربعين سنة ،
 ثم أبط ذريتهم الشام ، فأسكنهم الأرض المقدسة ، وجعل هلاك الجبابة على
 أيديهم مع يوشع بن نون - بعد وفاة موسى بن عمران . فرأينا الله جل وعز
 قد أخبر عنهم أنه كتب لهم الأرض المقدسة ، ولم يخبرنا عنهم أنه ردهم إلى
 مصر بعد إخراجهم إياهم منها ، فيجوز لنا أن نقرأ : « اهبطوا مصرًا » ، وتأوله
 أنه ردهم إليها .

قالوا: فلان احتج محتج بقول الله جل ثناؤه : ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [سورة الشعراء : ٥٧ - ٥٩]

قيل له : ^(١) فلان الله جل ثناؤه إنما أورثهم ذلك ، فلتكهم إياها ولم يردّهم إليها ، وجعل مساكنهم الشام .

* * *

وأما الذين قالوا : إن الله إنما عني بقوله جل وعز : « اهبطوا مصر » مصر ، فلان من حجتهم التي احتجوا بها الآية التي قال فيها : ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [سورة الشعراء : ٥٧ - ٥٩] ، وقوله : ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاعْيَبُوا . كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [سورة الدخان : ٢٥ - ٢٨] ، قالوا : فأخبر الله جل ثناؤه أنه قد ورثهم ذلك وجعلها لهم ، فلم يكونوا يبرئونها ثم لا ينتفعون بها . قالوا : ولا يكونون متفعين بها إلا بمصير بعضهم إليها ، وإلا فلا وجه للانتفاع بها ، إن لم يصيروا ، أو يصير بعضهم ، إليها . قالوا : ^(٢) وأخرى ، أنها في قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود : « اهبطوا مصر » بغير ألف . قالوا : ففي ذلك الدلالة البينة أنها « مصر » بعينها .

* * *

قال أبو جعفر : والذي نقول به في ذلك ، أنه لا دلالة في كتاب الله على الصواب من هذين التأويلين ، ولا خبر به عن الرسول صلى الله عليه وسلم يقطع مجيئه العذر . وأهل التأويل متنازعون تأويله ، فأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال : ^(٣) إن موسى سأل ربه أن يعطى قومه ما سألوه من نبات الأرض - على ما بينه الله جل وعز في كتابه - وهم في الأرض تاشهون ، فاستجاب الله لموسى دعاءه ، وأمره أن يهبط بمن معه من قومه

(١) في المطبوعة : « قيل لهم » ، وهو خطأ . والضمير في « له » راجع إلى قوله : « فلان احتج محتج » .

(٢) قوله : « وأخرى » ، أي وحجة أخرى . وانظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٣ .

(٣) في المطبوعة : « عندنا والصواب » ، وهو سهو ناسخ .

قراراً من الأرض التي تُنبت لهم ما سأل لهم من ذلك . إذ كان الذي سألوه لا تُنبت له إلا القُرَى والأَمْصَار ، وأنه قد أعطاهم ذلك إذ صاروا إليه . وجائز أن يكون ذلك القرار « مصر » ، وجائز أن يكون « الشام » .

فأما القراءة ، فإنها بالألف والتنوين : « اهبطوا مصرًا » . وهي القراءة التي لا يجوز عندى غيرها ، لاجتماع خطوط مصاحف المسلمين ، واتفاق قراءة القراءة على ذلك . ولم يقرأ بترك التنوين فيه وإسقاط الألف منه ، إلا من لا يجوز الاعتراض به على الحجة ، ^(١) فيما جاءت به من القراءة مستفيضاً بينها .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « وضُرِبَتْ » . أى فُرِضَتْ ووُضِعَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالزَّمُوهَا . من قول القائل : « ضَرَبَ الإمامُ الجزيةَ على أهل الذمة » و« ضَرَبَ الرجلُ على عبده الحراج » ، يعنى بذلك وضعه فألزمه إياه ، ومن قولهم : « ضَرَبَ الأميرُ على الجيشَ البعثَ » ، يراد به : ألزَمَهُمْ ^(٢) .

وأما « الذَّلَّةُ » فهي « الفِخْلَةُ » من قول القائل : « كَلَّ فلانٌ بَدَلَ ذَلٍّ وَذِلَّةٍ » ،

ك « الصُّغْرَةُ » من « صَغُرَ الأمرُ » ، و « القِعْدَةُ » من « قَعَدَ » ^(٣) .

و « الذَّلَّةُ » هي الصَّغَارُ الذي أمر الله جل ثناؤه عباده المؤمنين أن لا يُضْطَوْهُمُ ٢٥٠/١

أماناً - على القرار على ما هم عليه من كفرهم به ورسوله - إلا أن يبذلوا الجزية عليه لهم ، فقال جل وعز : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾

(١) الحجة هنا : الذين يخرج بهم .

(٢) البعث : بعث الجند إلى الغزو .

(٣) لم أجده فيما بين يدي من الكتب من نص على أن « ضَرَبَ » مصدر على فعلة مثل :

نشد الغابة نفقة ، ليس للهبة ، وإن وافقها في الوزن .

وَلَا يَحْرَمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ [سورة التوبة : ٢٩] كما : -
١٠٨٨ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ،
عن الحسن وقتادة في قوله : « وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ » ، قالوا : يُعْطُونَ الْجِزْيَةَ
عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ .

وأما « الْمَسْكَنَةُ » فلإنها مصدر « الْمَسْكِينِ » . يقال : « ما فيهم أسكنٌ من
فلان » ، ^(١) و« ما كان مسكيناً » و« لقد تمسكن مسكنة » . ومن العرب من يقول :
« تمسكن تمسكناً » . و« المسكنة » في هذا الموضع مسكنة الفاقة والحاجة ، وهي
تُحْشَرُوعِهَا وَذَلْهَا ، كما : -

١٠٨٩ - حدثني به المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو
جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : « والمسكنة » قال : الفاقة .
١٠٩٠ - حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ،
عن السدي قوله : « وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ » ، قال : الفقر .

١٠٩١ - وحدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في
قوله : « وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ » ، قال : هؤلاء يهود بنى إسرائيل . قلت
له : هم قبط مصر ؟ قال : وما لِقِبط مصر وهذا ، لا والله ما هم هم ، ولكنهم
اليهود يهود بنى إسرائيل .

فأخبرهم الله جل ثناؤه أنه يُبْسِلُهُم بِالْعَزِّ ذُلًّا ، وبالنعمة بؤساً ، وبالرضا عنهم
غضباً ، جزاءً لمنهم لم على كفرهم بآياته ، وقتلهم أنبياءه ورسله ، اعتداءً وظلماً
منهم بغير حق ، وعصيانهم له ، وخلافاً عليه .

(١) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن : ٤٢ ، وفسره فقال : « أى أفقر منه » .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَبَاؤُوا بَغْضَ اللَّهِ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله : « وَبَاؤُوا بَغْضَ اللَّهِ » ، انصرفوا وَرَجَعُوا . ولا يقال « باؤوا » إلا موصولاً : إما بخير ، وإما بشر . يقال منه : « باءُ فلان بذنبه يَبْوءُ به بَؤاً وبِؤاً » . ومنه قول الله عز وجل ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوءَ بِأِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ [سورة المائدة : ٢٩] ، يعني : تنصرف متحملهما وترجع بهما ، قد صاراً عليك دُونِي .

فغنى الكلام إذا : ورجعوا منصرفين متحملين غَضَبَ اللَّهِ ، قد صار عليهم من الله غَضَبٌ ، وَوَجِبَ عليهم منه نُحْط . كما : —

١٠٩٢ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « وَبَاؤُوا بَغْضَ اللَّهِ » فحدث عليهم غَضَبٌ من الله .

١٠٩٣ — حدثنا يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله : « وَبَاؤُوا بَغْضَ اللَّهِ » قال : استحقوا الغَضَبَ من الله .

وقد متنا معنى غَضَبَ اللَّهِ على عبده فيما مضى من كتابنا هذا ، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع .^(١)

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ذلك » ، ضرب الذلة والمسكنة عليهم ، وإحلاله غضبه بهم . فدلّ بقوله « ذلك » — وهو يعنى به ما وصفنا — على أن قول القائل : « ذلك » ، يشمل المعاني الكثيرة إذا أشير به إليها .

ويعنى بقوله : « بأنهم كانوا يكفرون » ، من أجل أنهم كانوا يكفرون . يقول : فعلنا بهم — من إحلال الذلّ والمسكنة والسخط بهم — من أجل أنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ، كما قال أعشى بنى ثعلبة :

مَلِكِيَّةٌ جَاوَرَتْ بِالْحِجَا زِ قَوْمًا عُدَاةً وَأَرْضًا شَطِيرًا^(١)
يَمَا قَدْ تَرَبَّعُ رَوْضَ الْقَطَا وَرَوْضَ التَّنَاضِبِ حَتَّى تَصِيرَا^(٢)

يعنى بذلك : جاوَرَتْ بهذا المكان ، هذه المرأة ، قَوْمًا عُدَاةً وَأَرْضًا بعيدةً ٢٥١/١
من أهله — لمكان قُرْبِهَا كَانَ مِنْهُ وَمِنْ قَوْمِهِ وَبَلَدِهِ —^(٣) من تَرَبُّعِهَا رَوْضَ الْقَطَا وَرَوْضَ التَّنَاضِبِ .

(١) ديوانه : ٦٧ . ملكية ، منسوبة إلى « المليك » : وهو الملك ، يعنى من بنات الملوك . العداة ، جمع عاد ، وهو العدو . الشطير : البعيد ، والغريب ، أراد أنها في أرض مجهولة . وذكره الأرض في هذا البيت . يعنى أنها نزلت ديار قوم نشبت العداوة بيننا وبينهم ، في غربة بعيدة . فصرت لا أقدر عليها .

(٢) قوله « يَمَا » بمعنى يسبب تربعها . وترجع القوم المكان وأرتبعوه : أقاموا فيه فيه زمن الربيع . وروض القطا ، من أشهر رياض العرب ، في أرض الحجاز . وروض التناضب أيضاً بالحجاز عند سرف . وقوله : « حَتَّى تَصِيرَا » ، من قولهم صار الرجل يصير فهو صائر : إذا حضر الماء ، والقوم الذين يحضرون الماء يقال لهم : الصائرة . والصير (بكسر الصاد) الماء الذى يحضره الناس . ينزل : اغتربت في غير قوتها ، لما دفعها إلى ذلك طلب الربيع والخصب وساقط الماء في البلاد .

(٣) كانت هذه الجملة في المخطوطات والمطبوعة هكذا : « وَأَرْضًا بعيدة من أهله بمكان قريبها كان منه ومن قومه وبدلاً من تربعها . . . » ، وهو كلام لا معنى له . وقد جعلت « بمكان » ، « لمكان » و « بدلاً » ، « بلدة » . فصار لها معنى تعلّقن إليه النفس والجملة بين الخطين اعتراض ، وتفسير لقوله : « أرضاً بعيدة من أهله » .

فكذلك قوله : « وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاؤُوا بغَضَبِ اللَّهِ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله » ، يقول : كان ذلك منّا بكفرهم بآياتنا ، وجزاء لهم بقتلهم أنبياءنا .

وقد بينا فيما مضى من كتابنا أن معنى « الكفر » : تغطية الشيء وستره ، (١) وأن « آيات الله » حُججه وأعلامه وأدلته على توحيده وصدق رسله . (٢) فغنى الكلام إذاً . فعلنا بهم ذلك ، من أجل أنهم كانوا يحجلون حُجج الله على توحيده وتصديق رسله ، ويدفعون حقيتها ، ويكذبون بها .

ويعنى بقوله : « وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ » : ويقتلون رسل الله الذين ابتغتهم — لإنباء ما أرسلهم به عنه — لمن أرسلوا إليه .

وهم جماعٌ ، واحدٌ « نبي » ، غير مهموز ، وأصله الهمز ، لأنه من « أنبا » عن الله فهو يُنبى عنه إنباءً ، وإنما الاسم منه : « مُنبى » ، ولكنه صُرف وهو « مُفعل » إلى « فاعيل » ، كما صرف « سميع » إلى « فاعيل » من « مُسمع » ، و « بصير » من « مُبصر » ، وأشبه ذلك . (٣) وأبدل مكان الهمزة من « النبي » الياء ، ففعل : « نبي » . هذا ويجمع « النبي » أيضاً على « أنبياء » ، وإنما جمعه كذلك ، لإلحاقهم « النبي » ، بإبدال الهمزة منه ياء ، بالنعوت التي تأتي على تقدير « فاعيل » من ذوات الياء والواو . وذلك أنهم إذا جمعوا ما كان من النعوت على تقدير « فاعيل » من ذوات الياء والواو ، جمعوه على « أفعلاء » كقولهم : « ولى وأولياء » ، و « وصى وأوصياء » ،

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٥٥ .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٥٥٢ .

(٣) كان في المطبوعة : « مُفعل » مكان « سميع » . وليس يعنى بقوله « سميع » ، صفة الله عز وجل ، بل يعنى ما جاء في شعر عمرو بن معد يكرب .

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ ؟ يُؤَزِّقُنِي ، وَأَصْحَابِي مُجُوعُ

أى الداعي السميع . وانظر ما سلف ١ : ٢٨٣ .

و «دَعِيَ» وأدعياء». ولو جمعوه على أصله الذي هو أصله ، وعلى أن الواحد « نبيء » مهموز ، لجمعوه على «فُعَلَاء» ، فقليل لهم «النبأ» ، على مثال «النبهاء» ، ^(١) لأن ذلك جمع ما كان على «فعليل» من ذوات الياء والواو من النعوت ، كجمعهم : الشريك شركاء . والعليم علماء ، والحكيم حكماء ، وما أشبه ذلك . وقد حكي سماعاً من العرب في جمع «النبي» «النبأ» ، وذلك من لغة الذين يهزون «النبيء» ، ثم يجمعونه على «النبأ» — على ما قد بينت . ومن ذلك قول عباس بن ميرداس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم .

يَا خَاتَمَ النَّبَاءِ إِنَّكَ مُرْسَلٌ بِالْخَيْرِ كُلِّ هُدَى السَّبِيلِ هَذَا كَا ^(٢)

فقال : « يا خاتم النبأ » ، على أن واحدهم « نبيء » مهموز . وقد قال بعضهم : ^(٣) « النبي » و « النبوة » غير مهموز ، لأنهما مأخوذان من « النبوة » ، وهي مثل « النجوة » ، وهو المكان المرتفع ، وكان يقول : إن أصل « النبي » الطريق ، ويستشهد على ذلك بيت القطامي :

لَمَّا وَرَدَنَ نَبِيًّا وَاسْتَنْبَ بِهَا مُسْتَحْفِرٌ كَخُطُوطِ السَّيِّحِ مُنْسَحِلٌ ^(٤)

(١) في المطبعة : « النبأ » وفي المخطوطات « النبأ » .

(٢) من أبيات له في سيرة ابن هشام ٤ : ١٠٣ وغيرها . والضمير الفاعل في قوله « هذا كَا » ، لله سبحانه وتعالى ، دل عليه ما في قوله « إنك مرسل بالخير » ، فإن الله هو الذي أرسله . وهو مضبوط في أكثر الكتب « كل » بالرفع ، و « هدى » ، و « هذا كَا » بضم الهاء .

(٣) كأنه يريد الكسائي (البحر المحيط ١ : ٢٢٠) . وجدت في معجم البلدان ٨ : ٢٤٩ « وقال أبو بكر بن الأنباري في « الزاهر » في قول القطامي . . . إن النبي في هذا البيت هو الطريق » ، وليس يعنيه أبو جعفر ، فإن أبا بكر قد ولد سنة ٢٧١ وتوفي ٣٢٨ . وقد رد هذا القول أبو القاسم الزجاج — فيما نقل ياقوت — فقال : « كيف يكون ذلك من أسماء الطريق ، وهو يقول : « لما وردن نبياً » ، وقد كانت قبل وروده على الطريق ؟ فكأنه قال : « لما وردن طريقاً » ، وهذا لا معنى له ، إلا أن يكون أراد طريقاً بعينه في مكان مخصوص ، فيرجع إلى أنه اسم مكان بعينه ، قيل : هو رمل بعينه ، وقيل : هو اسم جبل . وانظر تحقيق ذلك في معجم البلدان ، ومعجم ما استعجم ، وغيرها .

(٤) ديوان : ٤ ، في قصيدته الجيدة المشهورة ، والضمير في « وردن » للإبل ذكرها قبل . وروايته « واستتب بنا » . نبي : كتيب رمل مرتفع في ديار بني تغلب ، ذكره القطامي في كثير من شعره . واستتب الأمر والطريق : انتهى واستقام وتبين واطرد وامتد . مسحفر ، صفة للطريق : واسع

يقول : إنما سمي الطريق « نبيياً » ، لأنه ظاهر مستبين ، من « النبوة » .
ويقول : لم أسمع أحداً يهزم « النبي » . قال : وقد ذكرنا ما في ذلك ، وبيننا ما فيه
الكفاية إن شاء الله .

• • •

ويعنى بقوله : « ويقتلون النبيين بغير الحق » ، أنهم كانوا يقتلون رُسُل الله ، بغير
إذن الله لهم بقتلهم ، منكرين رسالتهم ، جاحدين نبوتهم .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا

يَعْتَدُونَ ﴾ (٦١)

وقوله : « ذلك » ، رد على « ذلك » الأولى . ومعنى الكلام : وضربت عليهم الذلة
والمسكنة ، وباؤوا بغضب من الله من أجل كفرهم بآيات الله وقتلهم النبيين بغير
الحق ، من أجل عصيانهم رَبَّهُم واعتدائهم حدوده ، فقال جل ثناؤه . « ذلك بما
عَصَوْا » ، والمعنى : ذلك بعصيانهم وكفرهم مُعْتَدِينَ .

• • •

و « الاعتداء » ، تجاوز الحد الذي حدّه الله لعباده إلى غيره . وكل متجاوز
حدّ شيء إلى غيره ، فقد تعدّاه إلى ما جاوزَ إليه .

٢٥٢/١

• • •

ومعنى الكلام : فعلت بهم ما فعلتُ من ذلك ، بما عَصَوْا أمرى ، وتجاوزوا
حدّى إلى ما نهيتهم عنه .

• • •

معدّ ذاهب بين . والسيح : ضرب من البرود أو العباء مخطط ، يلبس ، أو يستتر به ويفرش . شبه
آثار السير عليها بمخطوط البرد . وسحلت الريح الأرض فانسحلت : كسحطت ما عليها . ووصف الطريق
بذلك ، لأنه قد استتب بالسير وصار لاحقاً واضحاً .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾

قال أبو جعفر : أمّا « الذين آمنوا » ، فهم المصدّقون رسول الله فيما أتاهم به من الحقّ من عند الله . وإيمانهم بذلك ، تصديقهم به — على ما قد بيّناه فيما مضى من كتابنا هذا .^(١)

* * *

وأما « الذين هادوا » ، فهم اليهود . ومعنى : « هادوا » ، تابوا . يقال منه : « هادَ القومَ يَهْدُونَهُ هَدَاً وَهَادَةً » .^(٢) وقيل : إنما سُميت اليهودُ « يهودَ » ، من أجل قولهم : ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٦]

١٠٩٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : إنما سُميت اليهودُ من أجل أنهم قالوا : « إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ »

* * *

القول في تأويل قوله عز وجل ﴿وَالنَّصْرَى﴾

قال أبو جعفر : و « النصارى » جمع ، واحدهم نصران ، كما واحد السكاري سكران ، وواحد النشأوى نشوان . وكذلك جمع كل نعت كان واحده على « فعّلان » فإن جمعه على « فعلى » . إلا أن المستفيض من كلام العرب في واحد « النصارى » « نصراني » . وقد حكي عنهم سماعاً « نصران » بطرح الياء ، ومنه قول الشاعر :

تَرَاهُ إِذَا زَارَ الْعَشِيَّ مُحَنَّفًا وَيُضْحِي لَدَيْهِ وَهُوَ نَصْرَانُ شَامِسٍ^(٣)

(١) انظر ما سلف : ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٢) قوله « هادة » ، مصدر لم أجده في كتب اللغة .

(٣) لم أعرف قائله . الأضداد لابن الأنباري : ١٥٥ ، ورواه : « تراه ويضحى وهو . . » ونقله أبو حيان في البحر المحيط ١ : ٢٣٨ عن الطبري ، وفيهما « إذا دار العشي » وأخطأ القرطبي (تفسيره ١ : ٣٦٩) فقال : « وأنشد سيبويه » وذكر البيت ، ولم ينشده سيبويه . وروى صدره .

وَسَمِعَ مِنْهُمْ فِي الْأَثْنِ : « نصرانة » ، قال الشاعر :^(١)

فَكِلْتَاهُمَا خَرَّتْ وَأَسْجَدَ رَأْسُهَا كَمَا سَجَدَتْ نَصْرَانَةٌ لَمْ تَحْنَفِ^(٢)

يقال : أسجد ، إذا مال .^(٣) وقد سُمع في جمعهم « أنصار » ، بمعنى النصارى .
قال الشاعر :

لَمَّا رَأَيْتُ نَبَطًا أَنْصَارًا شَمَرْتُ عَنْ رُكْبَتِي الْإِزَارَا
كُنْتُ لَهُمْ مِنَ النَّصَارَى جَارًا^(٤)

وهذه الأبيات التي ذكرتها ، تدلّ على أنهم سُموا « نصارى » لنصرة بعضهم بعضاً ، وتناصرهم بينهم . وقد قيل إنهم سمو « نصارى » ، من أجل أنهم نزلوا أرضاً يقال لها « ناصرة » .

﴿ تراه إذا دار العشا متحنفاً ﴾

والبيت في صفة الحرباء . و « محنفاً » : قد تحنف ، أو صار إلى الخنيقية . ويعنى أنه مستقبل القبلة . وقوله : « لديه » ، أى لدى العشى ، ويريد قبل أن يستوى العشى أو لدى الضحى ، ويكون قد ذكره في بيت قبله . وقوله : « شامس » ، يريد مستقبل الشمس ، قبل المشرق . يقول يستقبل الشمس كأنه نصراني ، وهو كقول ذى الرمة في صفة الحرباء أيضاً :

إِذَا حَوَّلَ الظِّلُّ الْعَشِيَّ رَأْيَتَهُ حَنِيفًا ، وَفِي قَرْنِ الضُّحَى يَتَنَصَّرُ

(١) هو أبو الأخضر الحناني .

(٢) سيبويه ٢ : ٢٩ ، ١٠٤ ، واللان (حنف) ، يصف ناقتين ، طاطأتا رؤوسهما من الإعياء ، فشبه رأس الناقة في طاطأتها ، برأس النصرانية إذا طاطأتها في صلاتها . وأسجد الرجل : طأطأ رأسه وخفضه وانحنى . قال حميد بن ثور ، يصف نوقاً :

فَلَمَّا لَوَيْنَ عَلَى مِعْصِمٍ وَكَفَّ خَضِيبٍ وَأَسْوَارَهَا
فُضُولَ أَرِمَّتِهَا أَسْجَدَتْ سُجُودَ النَّصَارَى لِأَحْبَارِهَا

(٣) بيان الطبرى عن معنى « أسجد » ليس بجيد .

(٤) لم أعرف صاحب الرجز . والأبيات ، في معاني القرآن للفراء ١ : ٤٤ أمال ابن الشجري ١ : ٣٧١ ، ٧٩ ، أنشده شاهداً على حذف واو العطف : أى « وكنت لهم من النصارى جاراً » ، ثم أنشده في الموضع الآخر شاهداً على حذف الفاء العاطفة أى « فكنت لهم . . . »

١٠٩٥ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « النصارى » ، إنما سُموا نصارى من أجل أنهم نزلوا أرضاً يقال لها « ناصرة » .

ويقول آخرون لقوله : ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [سورة الصف : ١٤]

وقد ذكر عن ابن عباس من طريق غير مرتضى ، أنه كان يقول : إنما سُميت النصارى نصارى ، لأن قرية عيسى بن مريم كانت تسمى « ناصرة » ، وكان أصحابه يسمون النَّاصِرِيِّينَ ، وكان يقال لعيسى « الناصري » .

١٠٩٦ - حدثت بذلك عن هشام بن محمد ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس .

١٠٩٧ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : إنما سُموا نصارى ، لأنهم كانوا بقرية يقال لها ناصرة ينزلها عيسى بن مريم ، فهو اسم تسموا به ، ولم يؤمروا به .

١٠٩٨ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ﴾ [سورة المائدة : ٢٢] قال : تسموا بقرية يقال لها « ناصرة » ، كان عيسى بن مريم ينزلها .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَالصَّالِّينَ ﴾

قال أبو جعفر : و « الصابئون » جمع « صابئ » . وهو المستحدث سيوى دينه ديناً . كالمرتد من أهل السلام عن دينه . وكل خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره ، تسميه العرب : « صابئاً » . يقال منه : « صاباً فلان يصبأ صبأً » . ويقال : صبأت النجوم : إذا طلعت . « وصبأ علينا فلان موضع كذا وكذا » . يعنى به : طلع . ج ٢ (١٠)

* * *

واختلف أهل التأويل فيمن يلزمه هذا الاسم من أهل الملل . فقال بعضهم :
 ٢٥٣/١ يلزم ذلك كل من خرج من دين إلى غير دين . وقالوا : الذين عني الله بهذا
 الاسم ، قوم لا دين لهم . ذكر من قال ذلك :

١٠٩٩ - حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي
 ١١٠٠ - وحدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق - جميعاً ، عن
 سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد قال : الصابئون ليسوا بيهود ولا نصارى ، ولا دين لهم .
 ١١٠١ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ،
 عن الحجاج بن أرطاة ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد مثله .
 ١١٠٢ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن الحجاج ،
 عن مجاهد قال : الصابئون بين المجوس واليهود ، لا تؤكل ذبائحهم ، ولا تنكح نسائهم .
 ١١٠٣ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن حجاج ،
 عن قتادة ، عن الحسن مثل ذلك .

١١٠٤ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ،
 عن ابن أبي نجيح : « الصابئين » بين اليهود والمجوس ، لا دين لهم
 ١١٠٥ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن
 ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

١١٠٦ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين . قال ، حدثني حجاج ، قال
 قال ابن جريج : قال مجاهد : « الصابئين » بين المجوس واليهود ، لا دين لهم . قال
 ابن جريج : قلت لعطاء : « الصابئين » ، زعموا أنها قبيلة من نحو السواد ، ^(١) ليسوا
 بمجوس ولا يهود ولا نصارى . قال : قد سمعنا ذلك ، وقد قال المشركون للنبي
 صلى الله عليه وسلم : قد صبأ .

(١) يعني سواد العراق .

١١٠٧ - وحديثي يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد في قوله : «والصابئين» قال : الصابئون ، [أهل] دين من الأديان كانوا يجزيرة الموصل ^(١) ، يقولون : لا إله إلا الله ، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي ، إلا قول لا إله إلا الله . قال : ولم يؤمنوا برسول الله ، فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه : « هؤلاء الصابئون » ، يشبهونهم بهم .

* * *

وقال آخرون هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون إلى القبلة * ذكر من قال ذلك : ١١٠٨ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى . قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الحسن قال حدثني زياد ^(٢) : أن الصابئين يصلون إلى القبلة ، ويصلون الخمس . قال : فأراد أن يضع عنهم الجزية . قال : فخبّر بعد أنهم يعبدون الملائكة .

١١٠٩ - وحدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : «والصابئين» قال : الصابئون قوم يعبدون الملائكة ، يصلون إلى القبلة ، ويقرأون الزبور .

١١١٠ - حدثني المثني قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية قال : الصابئون فرقة من أهل الكتاب يقرأون الزبور . قال أبو جعفر الرازي : وبلغني أيضاً أن الصابئين قوم يعبدون الملائكة ، ويقرأون الزبور ، ويصلون إلى القبلة .

* * *

وقال آخرون : بل هم طائفة من أهل الكتاب * ذكر من قال ذلك : ١١١١ - حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، قال : سئل السدي عن الصابئين ، فقال : هم طائفة من أهل الكتاب .

* * *

(١) في المطبوعة «الصابئون دين من الأديان» ، والزيادة بين القوسين لا بد منها .

(٢) زياد ، هو زياد بن أبيه ، والى العراق في زمن معاوية رضى الله عنه .

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » ، من صدَّق
وأقر بالبعث بعد الممات يوم القيامة ، وعمل صالحاً فأطاع الله ، فلهم أجرهم عند
ربهم . يعنى بقوله : « فلهم أجرهم عند ربهم » ، فلهم ثوابُ عملهم الصالح عند ربهم .

* * *

فإن قال لنا قائل : فأين تمام قوله : « إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى
والصابئين » ؟

قيل : تمامه جملة قوله : « مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » . لأن معناه : من
٢٥٤/١ آمن منهم بالله واليوم الآخر ، فترك ذكر « منهم » لدلالة الكلام عليه ، استغناءً
بما ذكر عما ترك ذكره .

فإن قال : وما معنى هذا الكلام ؟

قيل : إن معناه : إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ، مَنْ
يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلهم أجرهم عند ربهم .

فإن قال : وكيف يؤمن المؤمن ؟

قيل : ليس المعنى في المؤمن المعنى الذى ظننته ، من انتقال من دين إلى
دين ، كانتقال اليهودى والنصرانى إلى الإيمان = وإن كان قد قيل إنَّ الذين عُتُوا
بذلك ، من كان من أهل الكتاب على إيمانه يعيسى وبما جاء به ، حتى أدرك
محمدًا صلى الله عليه وسلم فآمن به وصدقته ، فقبل لأولئك الذين كانوا مؤمنين
بعيسى وبما جاء به ، إذ أدركوا محمدًا صلى الله عليه وسلم : آمنوا بمحمد وبما
جاء به = ولكن معنى إيمان المؤمن في هذا الموضع ، ثباته على إيمانه وتركه تبدلته .
وأما إيمان اليهود والنصارى والصابئين ، فالتصديقُ بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما

جاء به ، فمن يؤمن منهم بمحمدٍ وبما جاء به واليوم الآخر ، ويعمل صالحاً ، فلم يبدل ولم يغير حتى توفي على ذلك ، فله ثواب عمله وأجره عند ربه ، كما وصف جل ثناؤه .

فلان قال قائل : وكيف قال : « فلهم أجرهم عند ربهم » ، وإنما لفظ « مَنْ » لفظ واحد ، والفعل معه موحد ؟

قيل : « مَنْ » ، وإن كان الذى يليه من الفعل موحد ، فإن له معنى الواحد والاثنتين والجمع ، والتذكير والتأنيث ، لأنه فى كل هذه الأحوال على هيئة واحدة وصورة واحدة لا يتغير . فالعرب توحد معه الفعل — وإن كان فى معنى جمع — للفظه ، وتجمع أخرى معه الفعل لمعناه ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [سورة يونس : ٤٢ ، ٤٣] . فجمع مرة مع « مَنْ » الفعل لمعناه ، ووحّد أخرى معه الفعل لأنه فى لفظ الواحد ، كما قال الشاعر :

أَلَمَّا بَسَلْنِي عَنْكُمَا إِنِّ عَرَضْتُمَا ، وَقَوْلَا لَهَا : عُوْجِي عَلَى مَنْ تَخَلَّفُوا^(١)

(١) فى ديوان لامية القيس ، منسوب إليه من قصيدة عدتها ٢٣ بيتاً ، وفيه : « ويقال إنها لرجل من كندة » وأولها :

دِيَارُ بِهَا الظُّلْمَانُ وَالْعَيْنُ تُعْكَفُ وَقَفْتُ بِهَا تَبْكِي وَدَمْعُكَ يَذْرِفُ

والأضداد لابن الأنبارى : ٢٨٨ ، قال أنشده الفراء ، وروايته صدره :

﴿ أَلَمَّا بَسَلْنِي لَمَّةً إِذْ وَقَفْتُمَا ﴾

والذى فى رواية الطبرى من قوله : « عنكما » زائدة فى الكلام ، والعرب تقول : « سر عنك » ، و « انفض عنك » أى امض ، وجز — لا معنى لـ « عنك » . وفى حديث عمر رضى الله عنه : أنه طاف بالبيت مع يعلى بن أمية ، فلما انتهى إلى الركن الغربى الذى يلى الأسود ، قال له : ألا تستلم ؟ فقال : انفض عنك ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم لم يستلمه . وفى الحديث تفسيره : أى دعه وتجاوزه . وقوله « عرضتاً » من قولهم : عرض الرجل : إذا أتى العروض (يفتح العين) ، وهى مكة والمدينة وما حولهما .

فقال : « تخلفوا » ، وجعل « مَنْ » بمنزلة « الذين » ، وقال الفرزدق :

تَمَالَ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونَنِي تَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَأْذُبُ يَصْطَحِبَانِ^(١)

فثنى « يصطحبان » لمعنى « مَنْ » . فكذاك قوله : « من آمن بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم عند ربهم » ، وحّد « آمن وعمل صالحاً » للفظ « مَنْ » ، وجع ذكرهم فى قوله : « فلهم أجرهم » ، لمعناه ، لأنه فى معنى جمع .

* * *

وأما قوله ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾^(١٢)

فإنه يعنى به جل ذكره : ولا خوف عليهم فيما قدّموا عليه من أهوال القيامة ، ولا هم يحزنون على ما خلّفوا وراءهم من الدنيا وعيشها ، عند معاينتهم ما أعدّ الله لهم من الثواب والنعيم المقيم عنده .

* * *

• ذكر من قال : « مَنْ آمن بالله » ، مؤمنو أهل الكتاب

الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١١١٢ - حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط

ابن نصر ، عن السدى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا » الآية ، قال : نزلت

هذه الآية فى أصحاب سلمان الفارسى . وكان سلمان من جند يسابور ، وكان

من أشرفهم ، وكان ابن الملك صديقاً له مؤخياً ، لا يقضى واحد منهما أمراً

دون صاحبه ، وكانا يركبان إلى الصيد جميعاً . فبينما هما فى الصيد ، إذ رُفع لهما

بيت من عباء ،^(٢) فأتياه ، فإذا هما فيه برجل بين يديه مصحف يقرأ فيه

(١) ديوانه : ٨٧٠ ، وسيبويه ١ : ٤٠٤ ، والكمال ١ : ٢١٦ ، وطبقات فحول الشعراء :

٣١٠ ، والأضداد : ٢٨٨ ، وأمالى ابن السجى ٢ : ٣١١ . ورواية ديوانه « تمش فإن واثنى » .

وهو بيت من قصيدته الجيدة التى قالها حين نزل به ذنب فأضافه .

(٢) رفع له الشيء (بالبناء المجهول) : أبصره من بعد . وفى المطبوعة : « بيت من عباء »

وهو يبكى . فسألاه : ما هذا ؟ فقال : الذى يُريد أن يعلم هذا لا يقف موقفكما ، فلما كنتم تريدان أن تعلمما ما فيه فانزلا حتى أعلمكما . فترلا إليه ، فقال لهما : ٢٥٥/١ هذا كتابٌ جاء من عند الله أمرَ فيه بطاعته ونهى عن معصيته ، فيه : أن لا تزنى ، ولا تسرق ، ولا تأخذَ أموالَ الناس بالباطل . فقص عليهما ما فيه ، وهو الإنجيل الذى أنزله الله على عيسى . فوقع فى قلوبهما ، وتابعا فأسلما . وقال لهما : إن ذبيحة قومكما عليكما حرامٌ .

فلم يزالا معه كذلك يتعلمان منه ، حتى كان عيدٌ للملك ، فجعل طعاماً ،^(١) ثم جمع الناس والأشرافَ ، وأرسل إلى ابن الملك فدعاه إلى صتيّعه ليأكل مع الناس . فأبى الفتى ، وقال : إني عنك مشغول ، فكل أنت وأصحابك . فلما أكثر عليه من الرُّسل ، أخبرهم أنه لا يأكل من طعامهم . فبعث الملك إلى ابنه فدعاه . وقال : ما أمرك هذا ؟ قال : إنا لا نأكل من ذبائحكم ، إنكم كفّار ، ليس تحل ذبائحكم . فقال الملك : من أمرك بهذا ؟ فأخبره أن الراهب أمره بذلك . فدعا الراهب فقال : ماذا يقولُ ابنى ؟ قال : صدّق ابنك . قال له : لولا أن الدّمَ فينا عظيمٌ لقتلتك ، ولكن اخرج من أرضنا . فأجّله أجلاً . فقال سلمان : فقمنا نبكى عليه ، فقال لهما : إن كنتم صادقين ، فلنأتا في بيعة بالموصل مع ستين رجلاً نعبُد الله فيها ، فأتونا فيها .

فخرج الراهبُ ، وبقي سلمان وابن الملك ، فجعل يقول لابن الملك : انطلق بنا ! وابن الملك يقول : نعم . وجعل ابن الملك يبيع متاعه يُريد الجهاز . فلما أبطأ على سلمان ، خرج سلمان حتى أتاهم ، فنزل على صاحبه ، وهو ربُّ البيعة .

والخباء بيت من وبر أو صوف . فهو كلام لا معنى له . وفى الدر المنثور ١ : ٧٣ وروى الخبر بطوله : « من عبادة » . والصواب ما أثبتته . والعباء ضرب من الأكسية فيه خطوط سود كبار ، وهو هنا مفرد ، وجمعه أعبية . والعباء أيضاً جمع عبادة .

(١) فى الدر المنثور : « فجمع طعاماً » ، وأظن أن الصواب : « فصنع طعاماً » ، ويدل على صواب ذلك قوله بعد : « فدعاه إلى صتيّعه » . يقال : صنع لم طعاماً ، وكنت فى صنيح فلان : أى مادّيته ومدعاته .

وكان أهل تلك البيعة من أفضل الرهبان ، ^(١) فكان سلمان معهم يجتهد في العبادة ويتعب نفسه ، فقال له الشيخ : إنك غلام حَدَثَتْ تتكَلَّف من العبادة ما لا تُطيق ، وأنا خائف أن تفر وتعجز : فارتفق بنفسك وخفف عليها . فقال سلمان : أرايت الذى تأمرنى به ، أهو أفضل أو الذى أصنع ؟ قال : بل الذى تصنع . قال : فخلّ عني .

ثم إن صاحب البيعة دَعَاه فقال : أتعلم أن هذه البيعة لى ، وأنا أحقُّ الناس بها ، ولو شئت أن أخرج هؤلاء منها لفعلتُ ! ولكنى رجل أضعف عن عبادة هؤلاء ، وأنا أريد أن أتحوّل من هذه البيعة إلى بيعة أخرى هم أهونُ عبادة من هؤلاء ، فإن شئت أن تُقيم ههنا فأقم ، وإن شئت أن تنطلق معى فانطلق . قال له سلمان : أىّ البيعتين أفضل أهلاً ؟ قال : هذه . قال سلمان : فأنا أكون فى هذه . فأقام سلمان بها وأوصى صاحبُ البيعة عالمَ البيعة بسلمان ، فكان سلمان يتعبّد معهم .

ثم إن الشيخ العالم أراد أن يأتى بيت المقدس ، فقال لسلمان : إن أردت أن تنطلق معى فانطلق ، وإن شئت أن تقيم فأقم . فقال له سلمان : أيهما أفضل ، أنطلقُ معك أم أقيم ؟ قال : لا ، بل تنطلق معى . فانطلق معه . ففروا بمُقعدي على ظهر الطريق ملقى ، فلما رآهما نادى : يا سيد الرهبان ، ارجنى يرحمك الله ! فلم يكلمه ولم ينظر إليه . وانطلقا حتى أتيا بيت المقدس ، فقال الشيخ لسلمان : اخرج فاطلب العلم ، فإنه يحضر هذا المسجد علماء أهل الأرض . فخرج سلمان يسمع منهم ، فرجع يوماً حزيناً ، فقال له الشيخ : مالك يا سلمان ؟ قال : أرى الخير كله قد ذهب به من كان قبلنا من الأنبياء وأتباعهم ! فقال له الشيخ : يا سلمان لا تحزن ، فإنه قد بقى نبيّ ليس من نبيّ بأفضل تبعاً منه ، وهذا زمانه الذى يخرج فيه ، ولا أراى أدركه ، وأما أنت فشاب لعلك أن تدركه ، وهو

(١) فى الدر المنثور : « فكان أهل تلك البيعة ، أفضل مرتبة من الرهبان »

يخرج في أرض العرب فإن أدركته فأمن به واتبعه . فقال له سلمان : فأخبرني عن علامته بشيء . قال : نعم ، هو مختوم في ظهره بخاتم النبوة ، وهو يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة .

ثم رجعا حتى بلغا مكان المُقْعَدَ ، فناداهما فقال : يا سيّد الرهبان ، ارحمني ٢٥٦/١
يرحمك الله ! فعطف إليه حمارَه ، فأخذ بيده فرفعه ، فضرب به الأرض ، ودعا له وقال : قُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ! فقام صحيحاً يشتدّ .^(١) فجعل سلمان يتعجب وهو ينظر إليه يشتدّ . وسار الراهب فتغيب عن سلمان ، ولا يعلم سلمان .
ثم إن سلمان فرع فطلب الراهب . فلقيه رجلان من العرب من كلب ، فسألهما : هل رأيتما الراهب ؟ فأناخ أحدهما راحلته ، قال : نِعِمَّ رَأَى الصُّرْمَةَ هَذَا !^(٢)
فحملة فانطلق به إلى المدينة .

قال سلمان : فأصَابَنِي مِنَ الْحُزَنِ شَيْءٌ لَمْ يَصْنِي مِثْلَهُ قَطْ . فاشتريته امرأة من جُهَيْنَةَ ، فكان يرعى عليها هو و غلام لها يراو حان الغنم ، هذا يوماً وهذا يوماً . فكان سلمان يجمع الدراهم ينتظر خروج محمد صلى الله عليه وسلم . فبينما هو يوماً يرعى ، إذ أتاه صاحبه الذي يعقبه ،^(٣) فقال : أَشْعَرْتُ أَنَّهُ قَدْ قَدِمَ الْيَوْمَ الْمَدِينَةَ رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ؟^(٤) فقال له سلمان : أقم في الغنم حتى آتيك .

فهبط سلمان إلى المدينة . فنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ودار حوله . فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم عرف ما يريد ، فأرسل ثوبه حتى خرج خاتمه ، فلما رآه أتاه وكلمه . ثم انطلق فاشترى بدينار ، ببعضه شاةً وبعضه خبزاً ، ثم أتاه به . فقال : ما هذا ؟ قال سلمان : هذه صدقة . قال : لا حاجة لي بها ،

(١) اشتد : عدا وأسرع .

(٢) الصرمة : القطيع من الإبل والغنم .

(٣) عقبه يعقبه : جاء بعده في نوبته ، ومنه التعاقب : أن يأتي هذا ويذهب ذاك .

(٤) أشعرت : علمت .

فأخرجها فليأكلها المسلمون . ثم انطلق فاشترى بدينار آخر خبزاً ولحماً ، فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما هذا ؟ قال : هذه هديّة . قال : فاقعد [فكل] . (١) فقعد فأكلا جميعاً منها . فبينما هو يتحدث ، إذ ذكر أصحابه فأخبره خبرهم فقال : كانوا يصومون ويصلّون ويؤمنون بك ، ويشهدون أنك ستبعث نبياً . فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم ، قال له نبي الله صلى الله عليه وسلم : يا سلمان ، هم من أهل النار . فاشتدّ ذلك على سلمان ، وقد كان قال له سلمان : لو أدركوك صدّقوك واتّبعوك . فأنزل الله هذه الآية : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر » . (٢)

فكان إيمان اليهود : أنه من تمسك بالتوراة وسنة موسى ، حتى جاء عيسى . فلما جاء عيسى كان من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى — فلم يدعها ولم يتبع عيسى — كان هالكا . وإيمان النصارى : أنه من تمسك بالإنجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمناً مقبولاً منه ، حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن لم يتبع محمداً صلى الله عليه وسلم منهم ويدّع ما كان عليه من سنة عيسى والإنجيل — كان هالكا .

* * *

١١١٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « إن الذين آمنوا والذين هادوا » الآية ، قال : (٣)

(١) الزيادة من الدر المنثور ١ : ٧٤ .

(٢) الحديث : ١١١٢ — هذا حديث منقطع ، في شأن إسلام « سلمان الفارسي » . وقال الحافظ في الإصابة ٣ : ١١٣ : « ورويت قصته من طرق كثيرة ، من أصحاب ما أخرجه أحد من حديثه نفسه . وأخرجها الحاكم من وجه آخر عنه أيضاً . وأخرجه الحاكم من حديث بريدة . وعلق البخاري طرفاً منها . وفي سياق قصته في إسلامه اختلاف يتمسّر الجمع فيه » . وإشارته إلى رواية أحمد ، هي في المسند ٥ : ٤٤١ — ٤٤٤ (حلي) ، وهي بالإسناد نفسه في ابن سعد ٤ : ٥٣ — ٥٧ . وانظر المستدرک للحاكم ٣ : ٥٩٩ — ٦٠٤ . وتاريخ إصبيان لأبي نعيم ١ : ٤٨ — ٥٧ ، والحلية لأبي نعيم ١ : ١٩٠ — ١٩٥ .

(٣) في المطبوعة : « قال سلمان الفارسي للنبي صلى الله عليه وسلم » ، بحذف « سأل » . والصواب من الدر المنثور ١ : ٧٤ .

سأل سلمانُ الفارسيّ النبيّ صلى الله عليه وسلم عن أولئك النصاريّ وما رأى من أعمالهم ، قال : لم يموتوا على الإسلام . قال سلمان : فأظلمت على الأرض ، وذكرت اجتهدهم ، ^(١) فنزلت هذه الآية : « إن الذين آمنوا والذين هادوا » . ^(٢) فدعا سلمان فقال : نزلت هذه الآية في أصحابك . ثم قال النبيّ صلى الله عليه وسلم من مات على دين عيسى ومات على الإسلام قبل أن يسمع بي ، فهو على خير ؛ ومن سمع بي اليوم ولم يؤمن بي فقد هلك . ^(٣)

* * *

وقال ابن عباس بما : —

١١١٤ — حدثني المنفي قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين » إلى قوله : « ولا هم يحزنون » . فأنزل الله تعالى بعد هذا « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » [سورة آل عمران : ٨٥]

وهذا الخبر يدل على أن ابن عباس كان يرى أن الله جل ثناؤه كان قد وعد من عمل صالحاً — من اليهود والنصارى والصابئين — على عمله ، في الآخرة ٢٥٧/١ الجنة ، ثم نسخ ذلك بقوله : « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ » .

* * *

فتأويل الآية إذاً ، على ما ذكرنا عن مجاهد والسدي : إن الذين آمنوا من هذه الأمة ، والذين هادوا ، والنصارى ، والصابئين — من آمن من اليهود والنصارى والصابئين بالله واليوم الآخر — فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .
والذي قلنا من التأويل الأول ، أشبه بظاهر التنزيل . لأن الله جل ثناؤه لم

(١) في المطبوعة : « وذكر اجتهدهم » ، والصواب من الدر المنثور .

(٢) الآية لم ترد في المطبوعة ، ووردت في نص الدر المنثور .

(٣) الحديث : ١١١٣ — وهذا منقطع أيضاً .

يُخَصَّصُ - بِالْأَجْرِ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ مَعَ الْإِيمَانِ - بَعْضُ خَلْقِهِ دُونَ بَعْضٍ مِنْهُمْ ، وَالْخَبْرُ بِقَوْلِهِ : « مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » ، عَنْ جَمِيعِ مَا ذَكَرَ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾

قال أبو جعفر : « الميثاق » ، « المفعال » ، من « الوثيقة » ، إما يمين ، وإما بعهد ، أو غير ذلك من الوثائق .^(١)

ويعنى بقوله : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ » ، الميثاق الذى أخبرَ جَل ثناؤه أنه أَخَذَ مِنْهُمْ فى قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة البقرة : ٨٣ - ٨٥] ، الآيات التى ذكر معها . وكان سببُ أَخَذِ الميثاق عليهم - فيما ذكره ابن زيد - ما : -

١١١٥ - حدثني به يونس بن عبد الأعلى قال : أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : لما رَجَعَ مُوسَى من عند ربه بالألواح . قال لقومه بنى إسرائيل : إن هذه الألواح فيها كتاب الله ، فيه أمره الذى أمركم به ونهيه الذى نهاكم عنه .^(٢) فقالوا : ومن يأخذه بقولك أنت ؟ لا والله حتى نَرَى الله جَهْرَةً ، حتى يطلع الله إلينا فيقول : هذا كتابي فخلوه ! فإله لا يكلمنا كما كلمك أنت يا موسى ، فيقول : هذا كتابي فخلوه ؟ قال : فجاءت غضبة من الله ، فجاءتهم صاعقة فصعقتهم ، فاتوا أجمعون . قال : ثم أحياهم الله بعد موتهم ، فقال لهم موسى : خلوا كتاب الله . فقالوا : لا . قال : أى شيء أصابكم ؟ قالوا : ميتنا ثم حيينا !^(٣) قال : خلوا

(١) انظر ما سلف ١ : ٤١٤ ، فى قوله تعالى : « من بعد ميثاقه » [سورة البقرة : ٢٧] .

(٢) فى المطبوعة : « وأمره الذى أمركم » ، والتصحيح من روايته فى رقم : ٩٥٩ .

(٣) فى رقم : ٩٥٩ : « قالوا أصابنا أنا ميتنا . . . » .

كتاب الله . قالوا : لا . فبعث ملائكته ففتت الجبل فوقهم ، فقبل لهم : أتعرفون هذا ؟ قالوا : نعم ، هذا الطور ! قال : 'خذوا الكتاب وإلا طرحناه عليكم . قال : فأخذوه بالميثاق ، وقرأ قول الله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ حتى بلغ ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٨٣ - ٨٥] ، قال : ولو كانوا أخذوه أول مرة ، لأخذوه بغير ميثاق .^(١)

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾

قال أبو جعفر : وأما « الطور » فإنه الجبل في كلام العرب ، ومنه قول العجاج :

دَانِي جَنَاحِيهِ مِنَ الطُّورِ فَمَرَّ تَقْصَى التَّبَازِي إِذَا التَّبَازِي كَسَرَ^(٢)

وقيل : إنه اسم جبل بعينه . وذكر أنه الجبل الذي ناجى الله عليه موسى .

وقيل : إنه من الجبال ما أنبت دون ما لم يُنبت .^(٣)

(١) الأثر رقم : ١١١٥ - مضى أكثره في رقم : ٩٥٩ .

(٢) ديوانه : ١٧ ، وهو من قصيدة جيدة يذكر فيها ما أثر عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي ، وقد ولي الولايات العظيمة ، وفتح الفتوح الكثيرة ، وقاتل الخوارج . والضمير في قوله : « داني » يعود إلى متأخر ، وهو « البازي » المذكور في البيت بعده . فإن قبله ، ذكر عمر بن عبيد الله وكتابه من حوله :

حَوْلَ ابْنِ غَرَاءَ حَصَانٍ إِنْ وَتَرَ فَاتَ ، وَإِنْ طَالَبَ بِالْوَعْمِ اقْتَدَرَ
إِذَا الْكَرَامُ ابْتَدَرُوا الْبَاعَ ابْتَدَرَ دَانِي جَنَاحِيهِ

يريد : « ابتدر متفضاً انقضاخ البازي من الطور ، داني جناحيه ... فر » . فقدم وأخر . وهو من جيد التقديم والتأخير . وقوله : « داني » أي ضم جناحيه وقرهما وضيق ما بينهما تأهباً للانقضاض من ذروة الجبل . ومر : أسرع إسرعاً شديداً . وقوله : « تقصى » أصلها « تقفض » ، فقلب الضاد الأخيرة ياء ، استثقل ثلاث ضادات ، كما فعلوا في « تظنن » و« تظني » على التحويل . وتقفض الطائر : هوى في طيرانه يريد الوقوع . والبازي : ضرب من الصقور ، شديد . وكسر الطائر جناحيه : ضم منها شيئاً - أي قليلاً - وهو يريد السقوط .

(٣) هذا قول لم أجده في كتب اللغة في مادته .

* * *

• ذكر من قال : هو الجبلُ كائناً ما كان :

١١١٦ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : أمر موسى قومَه أن يدْخلوا البابُ مُسجداً ويقولوا : « حِطَّةٌ » ، وطُوطى لهم البابُ ليسجدوا ، فلم يسجدوا ودخلوا على أدبارهم ، وقالوا : حِنِطَةٌ . فَتَنَقَّ فَوْقَهُمُ الْجَبَلُ - يقول : أَخْرَجَ أَصْلَ الْجَبَلِ مِنَ الْأَرْضِ فَرَفَعَهُ فَوْقَهُمُ كَالظِّلَّةِ = و « الطور » ، بالسريانية ، الجبل = تخويفاً ، أو خوفاً ، شكَّ أبو عاصم ، فدْخلوا سجداً على خَوْفٍ ، وأعينهم إلى الجبل . هو الجبل الذي تجلَّى كَلِمَ رَبِّهِ . (١)

١١١٧ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : رفع الجبل فَوْقَهُمُ كَالسَّحَابَةِ ، فَقِيلَ لَهُمْ : لَتُؤْمِنُنَّ أَوْ لَيَقَعَنَّ عَلَيْكُمْ . فَأَمَنُوا . وَالْجَبَلُ بِالسَّريانية « الطور » .

١١١٨ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ » قال : الطور الجبلُ ؛ كانوا بأصله ، فَرَفَعَ عَلَيْهِمْ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ ، فَقَالَ : لَتَأْخُذُنَّ أَمْرِي ، أَوْ لَأَرْمِيَنَّكُمْ بِهِ .

١١١٩ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ » ، قال : الطورُ الجبلُ . اقْتَلَعَهُ اللَّهُ فَرَفَعَهُ فَوْقَهُمْ ، فَقَالَ : « تُخَذُّوا مَا أَتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ » فَأَقْرَؤْا بِذَلِكَ .

١١٢٠ - حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ » قال : رفع فَوْقَهُمُ الْجَبَلُ ، يُخَوِّفُهُمْ بِهِ .

١١٢١ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن النضر، عن عكرمة قال : الطُّور الجبلُ .

١١٢٢ - وحدثنا موسى قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: لما قال الله لهم: ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة . فأبوا أن يسجدوا، أمر الله الجبل أن يقع عليهم، فنظروا إليه وقد غشيهم، فسقطوا سجداً على شق، ونظروا بالشق الآخر، فرحمهم الله فكشفه عنهم فذلك قوله : ﴿ وَإِذْ نَفَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾ [سورة الأعراف : ١٧١] ، وقوله : « وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ » .

١١٢٣ - وحدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد : الجبل بالسريانية الطُّور .

* * *

وقال آخرون : « الطور » اسم للجبل الذي نَجَّى الله موسى عليه . ذكر من قال ذلك :

١١٢٤ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال: قال ابن عباس : الطُّور، الجبل الذي أنزلت عليه التوراة - يعنى على موسى - ، وكانت بنو إسرائيل أسفلَ منه . قال ابن جريج : وقال لى عطاء : رُفِعَ الجبل على بنى إسرائيل، فقال : لتؤمنُنَّ به أوليَقَعَنَّ عليكم . فذلك قوله : « كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ » .

* * *

وقال آخرون : الطُّور، من الجبال، ما أُنبت خاصَّةً . ذكر من قال قال ذلك :

١١٢٥ - حدثت عن المنجاب قال، حدثنا بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس فى قوله : « الطور » قال: الطور من الجبال ما أُنبِتَ، وما لم يُنبِت فليس بطُّور .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل العربية في تأويل ذلك . فقال بعض نحوي أهل البصرة : هو مما استغنى بدلالة الظاهر المذكور عما ترك ذكره له . وذلك أن معنى الكلام : ورفعنا فوقكم الطور ، وقلنا لكم : خذوا ما آتيناكم بقوة ، وإلا قد فناه عليكم .

وقال بعض نحوي أهل الكوفة : أخذ الميثاق قول ، فلا حاجة بالكلام إلى إضمار قول فيه ، فيكون من كلامين ، غير أنه ينبغي لكل ما خالف القول من الكلام - الذي هو بمعنى القول - أن يكون معه « أن » ، كما قال الله جل ثناؤه ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ ﴾ [سورة نوح : ١] قال : ويجوز أن تحذف « أن » .

والضواب في ذلك عندنا : أن كل كلام يُنطق به - مفهوم به معنى ما أريد - ففيه الكفاية من غيره .

ويعنى بقوله : « خذوا ما آتيناكم » ، ما أمرناكم به في التوراة .

وأصل « الإيتاء » ، الإعطاء .^(١)

ويعنى بقوله : « بقوة » ، بجدة في تأدية ما أمركم فيه وافترض عليكم ، كما :-

١١٢٦ - حدثت عن إبراهيم بن بشار قال : ، حدثنا ابن عيينة ، قال ،

حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « خذوا ما آتيناكم بقوة » . قال : تعملوا بما فيه .

١١٢٧ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

١١٢٨ - حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن

الربيع ، عن أبي العالية : « خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ » ، قال : بطاعة .

١١٢٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ،

عن قتادة : « خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ » . قال : « القوة » الجِدَّة ، وإلا كَذَفْتُهُ عَلَيْكُمْ .

٢٥٩/١

قال : فَأَقْرُوا بِذَلِكَ : أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ مَا أُوتُوا بِقُوَّةٍ .

١١٣٠ — حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ،

عن السدي : « بِقُوَّةٍ » ، يعنى : بِجِدَّةٍ وَاجْتِهَادٍ .

١١٣١ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال

ابن زيد — وسألته عن قول الله « خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ » — قال : خُذُوا الْكِتَابَ

الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى بِصَدَقٍ وَبِحَقٍّ .

فتأويل الآية إذا : خُذُوا مَا افترضناه عليكم في كتابنا من الفرائض ، فاقبلوه ،

واعملوا باجتهادٍ منكم في أدائه ، من غير تقصير ولا توانٍ . وذلك هو معنى أخذهم

إياه بِقُوَّةٍ ، بِجِدَّةٍ .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ ﴾ (٦٣)

قال أبو جعفر : يعنى : واذكروا ما فيها آتيناكم من كتابنا من وعد ووعيد

شديد ، وترغيب وترهيب ، فاتلوه ، واعتبروا به ، وتدبروه إذا فعلتم ذلك ، كي

تتقوا وتخافوا عقابي ، ^(١) بإصراركم على ضلالكم ، فتنهوا إلى طاعتي ، وتترعوا

عما أنتم عليه من معصيتي . كما : —

١١٣٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحق ، عن

(١) انظر ما مضى في بيان « لعل » بمعنى « كي » ١ : ٣٦٤ - ٣٦٥ ، وهذا الجزء

داود بن الحصين ، عن حكيمه ، عن ابن عباس : « لعلمكم كتفون » ، قال : تترعون كما أنتم عليه .

والذى آتاهم الله ، هو التوراة . كما : —

١١٣٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « واذكروا ما فيه » ، يقول : اذكروا ما في التوراة .
١١٣٤ — كما حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « واذكروا ما فيه » يقول : أمروا بما في التوراة .

١١٣٥ — وحدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سألت ابن زيد عن قول الله : « واذكروا ما فيه » ، قال : اعملوا بما فيه بطاعة لله وصدق^(١) . قال : وقال : اذكروا ما فيه ، لا تنسوه ولا تغفلوه .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ تُمِمْ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « تُمِمْ تَوَلَّيْتُمْ » : ثم أعرضتم . وإنما هو « تفعلتم » من قولهم : « ولأني فلان دُبره » إذا استدبر عنه وخلفه خلف ظهره . ثم يستعمل ذلك في كل تارك طاعة أمير بها ، ومعرض بوجهه^(٢) . يقال : « قد تولى فلان عن طاعة فلان » وتولى عن مواسلته ، ومنه قول الله جل ثناؤه ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [سورة التوبة : ٧٦] ، يعني بذلك : خالفوا ما كانوا وعدوا الله من قولهم : ﴿ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ »

(١) في المطبعة : « بطاعة الله وصدق » خطأ .

(٢) في المطبعة : « طاعة أمر : أعر وجعل » ، بزيادة الشاء على ربنا سبحانه ، وعلى أن « أمر » مبنى للمعلوم . وهذا مخالف للسياق ، وسهو من النساخ .

﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة التوبة : ٧٥] ، ونبدلوا ذلك وراء ظهورهم .

ومن شأن العرب استعارة الكلمة ووضعها مكان نظيرها ، كما قال أبو خراش

الهلدي : ^(١)

فَلَيْسَ كَهَذَا الدَّارِ يَا أُمَّ مَلَكٍ وَلَكِنْ أَحَاطَتْ بِالرَّقَابِ السَّلَاسِلِ ^(٢)
وَعَادَ الْفَتَى كَالْكَهْلِ لَيْسَ بِقَاتِلٍ سِوَى الْحَقِّ شَيْئًا ، وَاسْتَرَّاحَ الْعَوَازِلُ ^(٣)

يعني بقوله : « أَحَاطَتْ بِالرَّقَابِ السَّلَاسِلِ » ، أن الإسلام صار - في منعه
إيانا ما كنا نأثبه في الجاهلية ، مما حرّمه الله علينا في الإسلام - بمنزلة السلاسل
الحيطة برقابنا ، التي تحول بين من كانت في رقبته ، مع الغل الذي في يده ،
وبين ما حاول أن يتناوله .

ونظائر ذلك في كلام العرب أكثر من أن نتحصي . فكذاك قوله : « ثم توليتم

(١) كان في المطبوعة : « قال أبو ذؤيب الهلدي » ، وهو خطأ فاضح ، لا يقع في مثله مثل
أبي جعفر .

(٢) ديوان الهلدي : ٢ : ١٥٠ ، وسيرة ابن هشام : ٤ : ١١٨ ، والأغاني : ٢١ : ٤١ ، والكمال
: ٢٦٧ . وهي أبيات جواد بن رثاء صديق . وذلك أن زهير بن العجوة الهلدي من بني عمرو بن الحارث -
وكان ابن عم أبي خراش ، وله صديقاً - خرج يطلب الغنائم يوم حنين فأُسر ، وكشف في أفاص أخذهم
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرآهم جميل بن معمر المحمدي - وكانت بينهما إحنة في الجاهلية -
فقال له : أنت الماشي لنا بالمغايظ ؟ فغضب عنقه ، فقال أبو خراش يرثيه . وقال لجميل بن معمر :

وَإِنَّكَ لَوْ وَاجَهْتَهُ إِذْ لَقِيتَهُ فَنَازَلْتَهُ ، أَوْ كُنْتَ مِمَّنْ يُنَازِلُ
لَظَلَّ جَمِيلٌ أَسْوَأَ الْقَوْمِ نَلَةً وَلَكِنْ قَرْنَ الظَّهْرَ لِلْعَرَةِ شَاغِلٌ
فَلَيْسَ كَهَذَا

وفي المطبوعة : « فليس لعهد الدار » خطأ . ويعني بقوله : « الدار » : مكة وما حوّلها وما جاورها .
يقول : ليس الأمر كما عهدت بها وهذا هو الحال في الإسلام فهذه مكة كاهل .

(٣) يقول : فارق الفتى أخلاق فتوته وعراشه ، وصار كالكهل في أفاثه وتبشّته ، فإن الدين قد
وقد الفتيان ذوى البأس وسكنهم من مخافة عقاب ربهم في القتل من غير قتال ومعركة . فاستراحت العوازل
لأنهن أصبحن لا يجدن ما يمدن فيه أزواجهن من التمرض للهلاك .

من بعد ذلك « ، يعنى بذلك : أنكم تركتم العمل بما آخذنا ميثاقكم وعُهودكم على العمل به بجدّ واجتهاد ، بعد إعطائكم ربكم الموائيقَ على العمل به ، والقيام بما أمركم به فى كتابكم ، فنبذتموه وبراء ظهوركم .
وكنتى بقوله جل ذكره : « ذلك » ، عن جميع ما قبله فى الآية المتقدمة ، أعنى قوله : « وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور » .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

وَرَحْمَتُهُ ﴾

٢٦٠/١ قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ذكره : « فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ » ، فلولا أن الله تفضل عليكم بالتوبة = بعد نكثكم الميثاق الذى واثقتكموه - إذ رفع فوقكم الطور - بأنكم تجتهدون فى طاعته ، وأداء فرائضه ، والقيام بما أمركم به ، والانتفاء عما نهاكم عنه فى الكتاب الذى آتاكم ، فأنعم عليكم بالإسلام ورحمته التى رَحِمكم بها - وتجاوز عنكم خطيئكم التى ركبتموها - بمراجعتكم طاعة ربكم = لكنكم من الخاسرين .

وهذا ، وإن كان خطاباً لمن كان بين ظهرائى مُهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلأنما هو خبر عن أسلافهم - فأخرج الخبرُ المخرجُ المخبر عنهم - على نحو ما قد بينا فيما مضى ، من أن القبيلة من العرب تخاطب القبيلة عند الفخار أو غيره ، بما مضى من فعل أسلاف المخاطب بأسلاف المخاطب ، فتضيف فعل أسلاف المخاطب إلى نفسها فتقول : فعلنا بكم وفعلنا بكم . وقد ذكرنا بعض الشواهد فى ذلك من شعرهم فيما مضى .^(١)

• • •

وقد زعم بعضهم أن الخطاب في هذه الآيات ، إنما أخرج بإضافة الفعل إلى المخاطبين به ، والفعلُ لغيرهم ، لأن المخاطبين بذلك كانوا يتولون من كان فعل ذلك من أوائل بني إسرائيل ، فصيرهم الله منهم من أجل ولايتهم لهم .

وقال بعضهم : إنما قيل ذلك كذلك ، لأن سامعيه كانوا عالمين — وإن كان الخطابُ مخرج خطاباً للأحياء من بني إسرائيل وأهل الكتاب — (١) أن المعنى في ذلك إنما هو خبر عما قص الله من أنباء أسلافهم . فاستغنى بعلم السامعين بذلك ، عن ذكر أسلافهم بأعيانهم . ومثل ذلك يقول الشاعر : (٢)

إِذَا مَا أَنْتَسَبْنَا لَمْ تَلِدْنِي لَثِيمَةً ، وَلَمْ تَجِدِي مِنِّي أَنْ تُقَرِّي بِهِ بُدًّا (٣)
فقال : « إذا ما انتسبنا » ، و « إذا » تقتضي من الفعل مُستقبلاً ، ثم قال : « لم تَلِدْنِي لَثِيمَةً » ، فأخبر عن ماضٍ من الفعل . وذلك أن الولادة قد مَضَتْ وتقدّمت . وإنما فعل ذلك — عند المحتج به — لأن السامع قد فهم معناه . فجعل ما ذكرنا — من خطاب الله أهل الكتاب الذين كانوا بين ظهرائي مُهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بإضافة أفعال أسلافهم إليهم — نظير ذلك .

والأول الذي قلنا ، هو المستفيض من كلام العرب وخطابها .

(١) في المطبوعة : « إذ المعنى في ذلك ... » ، وهو كلام لا يستقيم . وسياق الجسلة يقتضي أن توضع « أن » مكان « إذ » أى : « لأن سامعيه كانوا عالمين ... أن المعنى في ذلك ... » ، وما بينهما فصل واعتراض .

(٢) في حاشية الأمير على معنى اللبيب ١ : ٢٥ ، قال : « في حاشية السيوطي : قائله زائدة ابن صمصمة الفقمسي ، يمرض بزوجته ، وكانت أمها سرية » ، ولم ينسب السيوطي في شرحه على شواهد المعنى : ٣٣ .

(٣) سيأتى في هذا الجزء ١ : ٣٣٣ (بولاق) ، وفي ٣ : ٤٩ (بولاق) ، ومعاني الفراء : ١٧٨ ، ٦١ . وقبل البيت يقول لامرأته :

رَمَتْنِي عَنْ قَوْمِ الْعَدُوِّ ، وَبَاعَدَتْ عِبِيدَهُ ، زَادَ اللَّهُ مَا بَيْنَنَا بَعْدًا

وكان أبو العالية يقول في قوله : « فلولاً فضلُ الله عليكم ورحمته » - فيما ذكر لنا - نحو القول الذي قلناه :

١١٣٦ - حدثني المنفي بن إبراهيم قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو النضر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « فلولاً فضلُ الله عليكم ورحمته » ، قال : « فضل الله » ، الإسلام ، « ورحمته » ، القرآن .
١١٣٧ - وحدثت عن عمار ، قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، [عن أبيه] ، عن الربيع بمثله .^(١)

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٦٤)

قال أبو جعفر : فلولاً فضل الله عليكم ورحمته إياكم - بإنقاذه إياكم بالتوبة عليكم من خطيئتكم وجُرْمكم - لكنتم الباكسين أنفسكم حُظوظها دائماً ، المالكين بما اجترمتم من نقض ميثاقكم ، وخلافكم أمره وطاعته .
وقد تقدم بياننا قبلُ بالشواهد ، عن معنى « الخسار » ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .^(٢)

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ

فِي السَّبْتِ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله : « وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ » ، ولقد عرّفتم .^(٣) كقولك :

(١) ما بين القوسين زيادة لا بد منها ، وانظر آخر إسناد من عمار بن الحسن رقم : ١١٣٤ .

(٢) انظر ما مضى ١ : ٤١٧ .

(٣) سيأت دليل هذا من تفسير ابن عباس في رقم : ١١٣٨

« قَدْ عَلِمْتُ أَخَاكَ، وَلَمْ أَكُنْ أَعْلَمُهُ » ، يعنى عرفته، ولم أكن أعرفه، كما قال جل ثناؤه : ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَأَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٦٠] ، يعنى : لا تعرفونهم الله يعرفهم .

* * *

وقوله : « الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ » ، أى الذين تجاوزوا حُدَى ، وركبوا ما نهيتهم عنه فى يوم السبت ، وَعَصَوْا أَمْرِي .

وقد دلت - فيما مضى - على أن « الاعتداء » ، أصله تجاوز الحدّ فى كل ٢٦١/١ شىء . بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .^(١)

* * *

قال أبو جعفر : وهذه الآية وآيات بعدها تتلوها ، مما عدّد جل ثناؤه فيها على بنى إسرائيل - الذين كانوا بين خِلال دور الأنصار زمانَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الذين ابتدأ بذكرهم فى أول هذه السورة من نكث أسلافهم عهد الله وميثاقه -^(٢) ما كانوا يُبرمون من العقود ، وَحَذَرَ المخاطبين بها أن يحل بهم - بإصرارهم على كفرهم ، ومُقامهم على جحود نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وتركهم اتباعه والتصديق بما جاءهم به من عند ربّه - مثلُ الذى حلّ بأوائلهم من المسخ والرجف والصق ، وما لا قبيل لهم به من غَضَبِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ . كالذى : - ١١٣٨ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا

بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ » يقول : ولقد عرّفتم . وهذا تحذير لهم من المعصية . يقول : احذروا أن يصيبكم ما أصاب أصحاب السبت ، إذ عصوني ، اعتلوا - يقول : اجترأوا - فى السبت . قال : لم يبعث الله نبيّاً إلا أمره بالجمعة ،

(١) انظر ما مضى من هذا الجزء : ١٤٢: ٢

(٢) سياق عبارته : بما عدد الله على بنى إسرائيل . . . ما كانوا يبرمون من العقود ، وما بينهما فصل بصفة « بنى إسرائيل » .

وأخبره بفضلها وعظمتها في السموات وعند الملائكة ، وأن الساعة تقوم فيها . فمن اتبع الأنبياء فيها ماضى ، كما اتبعت أمة محمد صلى الله عليه وسلم محمداً ، قبيل الجمعة وسمع وأطاع ، وعرف فضلها وثبت عليها ، كما أمر الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم . ^(١) ومن لم يفعل ذلك ، كان بمنزلة الذين ذكر الله في كتابه فقال : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردةً خاسئين » . وذلك أن اليهود قالت لموسى — حين أمرهم بالجمعة ، وأخبرهم بفضلها — : يا موسى ، كيف تأمرنا بالجمعة وتفضلها على الأيام كلها ، والسبت أفضل الأيام كلها ، لأن الله خلق السموات والأرض والأقوات في ستة أيام ، وسببت له كل شيء مطيعاً يوم السبت ، ^(٢) وكان آخر الستة ؟ قال : وكذلك قالت النصارى لعيسى ابن مريم — حين أمرهم بالجمعة — قالوا له : كيف تأمرنا بالجمعة وأول الأيام أفضلها وسيدها ، والأول أفضل ، والله واحد ، والواحد الأول أفضل ؟ فأوحى الله إلى عيسى : أن دعهم والأحد ، ولكن يفعلوا فيه كذا وكذا . — مما أمرهم به . فلم يفعلوا ، فقص الله تعالى قصصهم في الكتاب بمعصيتهم . قال : وكذلك قال الله لموسى — حين قالت له اليهود ما قالوا في أمر السبت — : أن دعهم والسبت ، فلا يصيدوا فيه سمكاً ولا غيره ، ولا يعملون شيئاً كما قالوا . قال : فكان إذا كان السبت ظهرت الحيتان على الماء ، فهو قوله : ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّهَا ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٣] ، يقول : ظاهرة على الماء ، ذلك لمعصيتهم موسى — وإذا كان غير يوم السبت ، صارت صيداً كسائر الأيام فهو قوله : ﴿ وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٣] . ففعلت الحيتان ذلك ما شاء الله . فلما رأوها كذلك ، طمعوا في أخذها وخافوا العقوبة ، فتناول بعضهم

(١) في المطبوعة : « بما أمره الله تعالى به ونبيه صلى الله عليه وسلم » ، وهى جملة غير صحيحة ، صححتها كما ترى .

(٢) سبت : سكن ، وقولم : « سبت له » ، يريدون : خشع له وانقطع عن كل عمل إلا عبادته سبحانه وانظر ما سيأتى ص : ١٧٤

منها فلم تمتنع عليه ، وحذر العقوبة التي حذرهم موسى من الله تعالى . فلما رأوا أن العقوبة لا تحلّ بهم ، عادوا ، وأخبر بعضهم بعضاً بأنهم قد أخذوا السمك ولم يصيبهم شيء ، فكثروا في ذلك ، وظنوا أن ما قال لهم موسى كان باطلاً . وهو قول الله جل ثناؤه : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردةً خمساً » - يقول : هؤلاء الذين صادوا السمك - فمسخهم الله قردة بمصيبتهم . يقول : إذا لم يحيا في الأرض إلا ثلاثة أيام . [قال : ولم يعيش مسخ قط فوق ثلاثة أيام] ، (١) ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل . وقد خلق الله القردة والخنازير وسائر الخلق في الستة الأيام التي ذكر الله في كتابه . فسخ هؤلاء القوم في صورة القردة ، وكذلك يفعل بمن شاء ، كما يشاء ، ويحوّله كما يشاء .

٢٦٢/١

١١٣٩ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة بن الفضل قال ، حدثنا محمد ابن إسحق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، مولى ابن عباس قال : قال ابن عباس : إن الله لما افترض على بني إسرائيل اليوم الذي افترض عليكم في عيدكم - يوم الجمعة - . فخالفوا إلى السبت فعظموه ، وتركوا ما أمروا به . فلما أبوا إلا لزوم السبت ، ابتلاه الله فيه ، فحرّم عليهم ما أحل لهم في غيره . وكانوا في قرية بين آيلة والطور يقال لها : « مدّين » . فحرّم الله عليهم في السبت الحيتان : صيدها وأكلها . وكانوا إذا كان يوم السبت أقبلت إليهم شرعاً إلى ساحل بحرهم ، حتى إذا ذهب السبت ذهبوا ، فلم يروا حوتاً صغيراً ولا كبيراً . حتى إذا كان يوم السبت أتيتهم شرعاً ، حتى إذا ذهب السبت ذهبوا . فكانوا كذلك ، حتى إذا طال عليهم الأمد وقروا إلى الحيتان ، (٢) عمد رجل منهم فأخذ حوتاً سراً يوم السبت ، فعزّمه بخيط ، ثم أرسله في الماء ، وأوتد له وتدّاً في الساحل فأوثقه ، ثم تركه . حتى إذا كان الغد ، جاء فأخذه - أي : إننى لم آخذه في

(١) هذه الزيادة من تفسير ابن كثير ١ : ١٩٣ ، والدر المنثور ١ : ٧٥ ، وهي زيادة لا بد

منها . وفي المطبوعة بعدها : « ولم تأكل ولم تشرب ، ولم تنسل » خطأ .

(٢) القرم : شدة الشهوة إلى اللحم ، قرم يقرم (يفتح الراء) قرماً (بفتحين) .

يوم السبت - ثم انطلق به فأكله . حتى إذا كان يوم السبت الآخر ، عاد لمثل ذلك ، ووجد الناس ربيع الحيتان ، فقال أهل القرية : والله لقد وجدنا ربيع الحيتان ! ثم عثروا على صنيع ذلك الرجل . ^(١) قال : ففعلوا كما فعل ، وأكلوا سرّاً زماناً طويلاً ، لم يعجل الله عليهم بعقوبة ، حتى صَادُوهَا علانيةً وباعوها بالأسواق . وقالت طائفة منهم من أهل البقية : ^(٢) وَيَحْكُم ! اتقوا الله ! وَهَؤُوهُمْ عما كانوا يصنعون . وقالت طائفة أخرى لم تأكل الحيتان ، ولم تنه القوم عما صنعوا : ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَقْدِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ لسخطنا أعمالهم - ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٤] ، قال ابن عباس : فبينما هم على ذلك ، أصبحت تلك البقية في أنديتهم ومساجدهم ، وفقدوا الناس فلا يرَوْنَهُمْ . فقال بعضهم لبعض : إنَّ للناس كشأنا ! فانظروا ما هو ! فذهبوا ينظرون في دورهم ، فوجدوها مغلقة عليهم ، قد دخلوا ليلاً فغلَّقوها على أنفسهم ، كما يُغْلِقُ الناس على أنفسهم ، فأصبحوا فيها قردة ، وإنهم ليعرفون الرجل بعينه وإنه كقرد ، والمرأة بعينها ولاتها لقردة ، والصبي بعينه وأنه لقرد . قال : يقول ابن عباس : فلولا ما ذكر الله أنه أنجى الذين تنهوا عن سوء ، لقلنا أهلك الجميع منهم . قالوا : وهى القرية التى قال الله لمحمد صل الله عليه وسلم : ﴿ وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ الآية [سورة الأعراف : ١٦٣] .

١١٤٠ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة »

(١) عثر على الأمر : اطلع عليه وكان خافياً . وفي المطبوعة : « على ما صنع » ، وأثبت نص ابن كثير في التفسير ١ : ١٩٤ .

(٢) في المطبوعة : « من أهل التقية » ، وهو خطأ محض . أهل البقية : هم أهل التمييز والفهم ، يبقون على أنفسهم بطاعة الله ، وبتمسكهم بالدين المرضى . وفلان بقية : فيه فضل وخير فيما يمدح به . وسيأتى بعد على الصواب . وقال الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة هود : ١١٦] .

«خاسئين» : أَحِلَّتْ لَهُمُ الْحَيْتَانُ ، وَحُرِّمَتْ عَلَيْهِمْ يَوْمَ السَّبْتِ بِلَاءٌ مِنْ اللَّهِ ، لِيَعْلَمَ مَنْ يُطِيعُهُ مِنْ يَعْصِيهِ . فَصَارَ الْقَوْمُ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ : فَأَمَّا صِنْفٌ فَأَمْسَكَ وَتَنَى عَنِ الْمَعْصِيَةِ ، وَأَمَّا صِنْفٌ فَأَمْسَكَ عَنْ حُرْمَةِ اللَّهِ ، وَأَمَّا صِنْفٌ فَانْتَهَكَ حُرْمَةَ اللَّهِ وَمَرَدَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ . فَلَمَّا أَبَوْا إِلَّا الْاِعْتِدَاءَ إِلَى مَا نَهَوْا عَنْهُ ، قَالَ اللَّهُ لَهُمْ : « كُونُوا قَرَدَةً خَاسِئِينَ » ، فَصَارُوا قَرَدَةً لَهَا أَذْنَابٌ ، تَعَاوَى ، بَعْدَ مَا كَانُوا رِجَالًا وَنِسَاءً .

١١٤١ - حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى قَالَ ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : « وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ » ، قَالَ : نَهَوْا عَنْ صَيْدِ الْحَيْتَانِ يَوْمَ السَّبْتِ ، فَكَانَتْ تَشْرَعُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ السَّبْتِ ، وَيُلْكَو بِذَلِكَ ، فَاعْتَدَوْا فَاصْطَادُواهَا ، فَجَعَلَهُمُ اللَّهُ قَرَدَةً خَاسِئِينَ .

١١٤٢ - حَدَّثَنِي مُوسَى قَالَ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو قَالَ ، حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنْ السُّدِّي : « وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قَرَدَةً خَاسِئِينَ » قَالَ : فَهَمُّ أَهْلِ . « أَيْلَةَ » ، وَهِيَ الْقَرْيَةُ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ، فَكَانَتِ الْحَيْتَانِ إِذَا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ - وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى الْيَهُودِ أَنْ يَعْمَلُوا فِي السَّبْتِ شَيْئاً - ٢٦٣/١ لَمْ يَبْقَ فِي الْبَحْرِ حُوتٌ إِلَّا خَرَجَ ، حَتَّى يَخْرُجْنَ خَرَاطِيمَهُنَّ مِنَ الْمَاءِ . فَلِذَا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ لَزِمْنَ سُفْلَ الْبَحْرِ ، فَلَمْ يُرَ مِنْهُنَّ شَيْءٌ حَتَّى يَكُونَ يَوْمُ السَّبْتِ . فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَمْدُدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٣] ، فَاشْتَهَى بَعْضُهُمُ السَّمَكَ ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَحْفِرُ الْحَفِيرَةَ وَيَجْعَلُ لَهَا نَهْرًا إِلَى الْبَحْرِ . فَلِذَا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ فَتَنَحَّى النُّهْرُ ، فَأَقْبَلَ الْمَوْجُ بِالْحَيْتَانِ يَضْرِبُهُمَا حَتَّى يَلْقِيَهُمَا فِي الْحَفِيرَةِ . وَيُرِيدُ الْحُوتُ أَنْ يَخْرُجَ ، فَلَا يَطِيقُ مِنْ أَجْلِ قَلَّةِ مَاءِ النُّهْرِ ، فَيَمْكُثُ [فِيهَا] .^(١) فَلِذَا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ جَاءَ فَأَخَذَهُ . فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَشْوِي

(١) الزيادة من تفسير ابن كثير ١ : ١٩٥ .

السَّمَك ، فيجد جاره ريحه ، فيسأله فيخبره ، فيصنع مثل ما صنع جاره . حتى إذا فشا فيهم أكل السمك ، قال لم علماءهم : ويحكم ! إنما تصطادون السمك يوم السبت وهو لا يحل لكم ! فقالوا : إنما صدناه يوم الأحد حين أخذناه ! فقال الفقهاء : لا ، ولكنكم صيدتموه يوم فتحتم له الماء فدخل . فقالوا : لا ! واعتوا أن يتنهوا . فقال بعض الذين نههم لبعض : ﴿ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعْذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٤] ، يقول : لم تعظونهم ، وقد وعظتموهم فلم يطيعوكم ؟ فقال بعضهم : ﴿ مَعَذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٤] . فلما أبوا قال المسلمون : والله لا نساكنكم في قرية واحدة . فقسموا القرية بجدار ، ففتح المسلمون باباً والمعتدون في السبت باباً ، ولعنهم داود . فجعل المسلمون يخرجون من بابهم والكفار من بابهم . فخرج المسلمون ذات يوم ، ولم يفتح الكفار بابهم . فلما أبطأوا عليهم ، تسور المسلمون عليهم الحائط ، فإذا هم قردة^١ يثب بعضهم على بعض ، ففثحوا عنهم ، فذهبوا في الأرض . فذلك قول الله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهِوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٦] ، فذلك حين يقول : ﴿ لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ﴾ [سورة المائدة : ٧٨] ، فهم القردة .

١١٤٣ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا كونوا قردة^١ خاسئين » . قال : لم^٢ يمسخوا ، إنما هو مثل ضربه الله لهم ، مثل ما ضرب مثل الحمار يحمل أسفاراً .^(١)

١١٤٤ — حدثني الثني قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

ابن أبي نجيج ، عن مجاهد : « ولقد علمم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردةً خاسئين » . قال : مُسخت قلوبهم ، ولم يُمسخوا قردة . وإنما هو مثل ضرب به الله لهم ، كمثل الحمار يحمل أسفاراً .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول الذي قاله مجاهد ، قولٌ لظاهر ما دلّ عليه كتابُ الله مُخالفٌ^(١) . وذلك أن الله أخبر في كتابه أنه جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت^(٢) ، كما أخبر عنهم أنهم قالوا لنبيهم : ﴿ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [سورة النساء : ١٥٣] ، وأن الله تعالى ذكره أصعقهم عند مسألتهم ذلك ربهم ، وأنهم عبدوا العجل فجعل توبتهم قتل أنفسهم ، وأنهم أمرُوا بدخول الأرض المقدسة فقالوا لنبيهم : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [سورة المائدة : ٢٤] فابتلاهم بالتيه . فسواءٌ قائلٌ قال :^(٣) هم لم يمسخوا قردة ، وقد أخبر جل ذكره أنه جعل منهم قردة وخنازير — وآخرٌ قال : لم يكن شيء مما أخبر الله عن بني إسرائيل أنه كان منهم — من الخلاف على أنبيائهم ، والنكال والعقوبات التي أحلها الله بهم .^(٤) ومن أنكر شيئاً من ذلك وأقرّ بآخر منه ، سُئل البرهان على قوله ، وعورض — فيما أنكر من ذلك — بما أقرّ به . ثم يُسأل الفرق من خبر ٢٦٤/١ مستفيض أو أثر صحيح .

هذا مع خلاف قول مجاهد قول جميع الحجة التي لا يجوز عليها الخطأ والكذب فيما نقلته مجمعة عليه . وكفى دليلاً على فساد قول ، لإجماعها على تخطئته .

* * *

(١) انظر معنى « ظاهر » فيما سلف ١٥:٢ والمراجع .

(٢) سورة المائدة : ٦٠ .

(٣) في المطبوعة : « فسواء قال قائل » ، وسياق العبارة يقتضي التقديم . لقوله « وآخر قال » .

(٤) في المطبوعة : « والعقوبات والأنكال » ، وليس صواباً . والنكال : العذاب الشديد يكون

عبرة للناس حتى ينكلوا عن شيء ويخافوه . وأما « الأنكال » فجمع نكل : وهو القيد .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (١٥)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « فقلنا لهم » أى : فقلنا للذين اعتدوا في

السبت - يعنى في يوم السبت

وأصل «السبت»، الهدوء والسكون في راحة ودعة، ولذلك قيل للنائم «مُسَبِّتٌ» لهلوه وسكون جسده واستراحته، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ [سورة النبا : ٩] أى راحة لأجسادكم . وهو مصدر من قول القائل : «سبت فلان يَسْبِتُ سَبْتًا» .

وقد قيل : إنّه سمي «سبْتًا» ، لأن الله جل ثناؤه فرغ يوم الجمعة - وهو اليوم الذى قبله - من خلق جميع خلقه .

وقوله : « كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ » ، أى : صيروا كذلك .

و «الخاسيء» المبعد المطرود، كما يخسأ الكلب يقال منه : «خَسَأَتْهُ أَخْسُوهُ خَسَاءً وَخُسُوءًا» ، وهو يخسأُ خُسُوءًا . قال : ويقال : «خَسَأَتْهُ فَخَسَأَ وَأَنْخَسَأَ» . ومنه قول الراجز :

كَالْكَلْبِ إِنْ قُلْتَ لَهُ أَخْسَأِ اخْسَأُ (١)

يعنى : إن طردته انطرد ذليلاً صاغراً .

فكذلك معنى قوله : « كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ » أى ، مُعْبِدِينَ من الخير أذلاء

صُغْرَاءَ ، (٢) كما : -

١١٤٥ - حدثنا محمد بن بشار، (٣) قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال ،

(١) لسان العرب : (خَسَأَ) ، وروايته : « إن قيل له » .

(٢) صاغر ، جمه صغرة (بفتحات) . وهذا ما نصوا عليه ، ولم أجده « صغراء » على وزن

جهلاء ، وهو جمع في بعض الصفات التي على وزن « فاعل » ، مثل شاعر وشعراء ، وعالم وعلماء ، فهم يشبهون « فاعلاً » ، « فاعِل » فهو كريم وكرماء ، فيجمعونه كجمعه .

(٣) في المطبوعة « حدثنا بشار » وهو خطأ لاشك فيه ، وأقرب إسناد مثله من بناه هو رقم : ١٠٦٢

حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد في قوله : « كونوا قرّة خاسئين » قال : صاغرين .

١١٤٦ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد مثله .

١١٤٧ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد مثله .

١١٤٨ — حدثني الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « خاسئين » ، قال : صاغرين .

١١٤٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « كونوا قرّة خاسئين » ، أي أذلة صاغرين .

١١٥٠ — وحدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : خاسئاً ، يعني ذليلاً .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَجَعَلْنَاهَا ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل « الهاء والألف » في قوله : « فجعلناها » ، وعلام هي عائدة ؟ فروى عن ابن عباس فيها قولان : أحدهما ما : —

١١٥١ — حدثنا به أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر بن عمارة قال ، حدثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « فجعلناها » فجعلنا تلك العقوبة — وهي المسخنة — « نكالا » .

فالهاء والألف من قوله : « فجعلناها » — على قول ابن عباس هذا — كناية

عن « المسخعة » ، وهى « فَعَلَة » من مَسَخَهُمُ اللَّهُ مَسْخَةً^(١) .

فمعنى الكلام على هذا التأويل : فقلنا لهم : كونوا قردة خاسئين ، فصاروا قردة مسوخين ، « فجعلناها » ، فجعلنا عقوباتنا ومسختنا لإياهم ، « نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين » .

* * *

والقول الآخر من قول ابن عباس ، ما : —

١١٥١ — حدثني به محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « فجعلناها » ، يعنى الحيتان .

« والهاء والألف » — على هذا القول — من ذكر الحيتان ، ولم يجر لها ذكر .

ولكن لما كان فى الخبر دلالة ، كنى عن ذكرها . والدلالة على ذلك قوله : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت » .

* * *

وقال آخرون : فجعلنا القرية التى اعتدى أهلها فى السبت . « الهاء

والألف » — فى قول هؤلاء — كناية عن قرية القوم الذين مسخوا .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك فجعلنا القرية التى اعتدى أهلها فى السبت . « نكالاً لما

٢٦٥/١

بين يديها وما خلفها » ، فجعلوا « الهاء والألف » كناية عن القرية .

* * *

وقال آخرون : « فجعلناها » ، يعنى به : فجعلنا الأمة التى اعتدت

فى السبت « نكالاً » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ نَكَلًا ﴾

و « النكال » مصدر من قول القائل : « نكَل فلان بفلان تنكيلاً » ونكالاً^(١) .

وأصل « النكال » ، العقوبة ، كما قال عدى بن زيد العبادى :

(١) كأنه يريد أنه مصدر : كتولم : رحمه الله رحمة ، ولم يرد المرة ، وسيدل على ذلك ما يقوله بعد سطرين .

لَا يَسْخَطُ الضَّالِيلَ مَا يَسْعُ إِلَهُ بَدَ ، وَلَا فِي نَكَالِهِ تَنْكِيرٌ^(١)

* * *

وبمثل الذى قلنا فى ذلك روى الخبر عن ابن عباس :-

١١٥٢ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر

ابن عمارة قال ، حدثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « نَكَالًا »
يقول : عقوبة .

١١٥٣ - حدثني المثنى قال ، حدثني إسحق قال ، حدثني ابن أبي جعفر ،

عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « فجعلناها نَكَالًا » ، أى عقوبة .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك . فقال بعضهم بما :-

١١٥٤ - حدثنا به أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا

بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « لما بين يديها »
يقول : ليحذرَ مَنْ بعدهمُ عُقُوبَتِي . « وما خلفها » ، يقول : الذين كانوا بقوا معهم .

١١٥٥ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن

أبيه ، عن الربيع : « لما بين يديها وما خلفها » ، لما خلا لهم من الذنوب ،^(٢) « وما خلفها » ،
أى عبرة لمن بقى من الناس .

(١) لم أجد البيت فى جميع المراجع التى ذكرت قصيدة عدى بن زيد التى كتبها إلى النعمان من
محبه . وقد أثبت البيت كما هو فى النسخ السقيمة التى بقيت من تفسير الطبرى ، وظنى أن يكون البيت :

لَا يَكُظُّ الْمَلِيكَ مَا يَسْعُ إِلَهُ بَدَ ، وَلَا فِي نَكَالِهِ تَنْكِيرٌ

فلم يحسن الناسخ قراءة « يكظ » فكتبها « لسخط » ، ووضع مكان « المليك » « الضليل » . وكظه
الأمر : بهظه وشق عليه . يقول للنعمان : أنت مليك قادر ، فلا يهظك ما يسع عبيدك من العفو عن أساء
واجترم ، فإن عاقبت ، فأنت السيد المطاع النافذ أمرك فى رعيتك صغيرهم وكبيرهم .

(٢) خلا : مضى وذهب وانقضى .

* * *

وقال آخرون بما : -

١١٥٦ - حدثني ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحاق ،
عن داود بن الحصين ، عن عكرمة مولى ابن عباس . قال ، قال ابن عباس :
« فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها » ، أى من القرى .

* * *

وقال آخرون بما : -

١١٥٧ - حدثنا به بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ،
عن قتادة قال الله : « فجعلناها نكالا لما بين يديها » - من ذنوب القوم -
« وما خلفها » ، أى للحيثان التى أصابوا .

١١٥٨ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ،
عن قتادة فى قوله : « لما بين يديها » ، من ذنوبها ، « وما خلفها » ، من الحيثان .
١١٥٩ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثني عيسى ،
عن ابن أبى نجيع ، عن مجاهد فى قول الله تعالى : « لما بين يديها » ، ما مضى من
خطاياهم إلى أن هلكوا به .

١١٦٠ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن
ابن أبى نجيع ، عن مجاهد : « نكالا لما بين يديها وما خلفها » ، يقول : « بين
يديها » ، ما مضى من خطاياهم ، « وما خلفها » خطاياهم التى هلكوا بها .

١١٦١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن
ابن جريج ، عن مجاهد مثله - إلا أنه قال : « وما خلفها » ، خطيئتهم التى هلكوا بها

* * *

وقال آخرون بما : -

١١٦٢ - حدثني به موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن
السدى : « فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها » قال : أمّا « ما بين يديها » فاسلف من
عملهم ، « وما خلفها » ، فمن كان بعدهم من الأمم ، أن يعصوا فيصنع الله بهم مثل ذلك .

* * *

وقال آخرون بما :-

١١٦٣ - حدثني به ابن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها » ، يعنى الحيتان ، جعلها نكالا لما بين يديها وما خلفها ، من الذنوب التي عملوا قبل الحيتان ، وما عملوا بعد الحيتان . فذلك قوله : « ما بين يديها وما خلفها » .

قال أبو جعفر : وأولى هذه التأويلات بتأويل الآية ، ما رواه الضحاك عن ٢٦٦/١ ابن عباس . وذلك لما وصفنا من أن « الهاء والألف » - في قوله : « فجعلناها نكالا » - بأن تكون من ذكر العقوبة والمسخة التي مسخها القوم ، أولى منها بأن تكون من ذكر غيرها . من أجل أن الله جل ثناؤه إنما يحذر خلقه بأسه وسطوته ، بذلك يخوفهم ^(١) . وفي إبانته عز ذكره - بقوله : « نكالا » : أنه عني به العقوبة التي أحلها بالقوم - ما يعلم أنه عني بقوله : « فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها » ، فجعلنا عقوبتنا التي أحللناها بهم عقوبة لما بين يديها وما خلفها - دون غيره من المعاني . وإذا كانت « الهاء والألف » - بأن تكون من ذكر المسخة والعقوبة ، أولى منها بأن تكون من ذكر غيرها ، فكذلك العائد في قوله : « لما بين يديها وما خلفها » من « الهاء والألف » : أن يكون من ذكر « الهاء والألف » اللتين في قوله : « فجعلناها » ، أولى من أن يكون من [ذكر] غيره . ^(٢)

فتأويل الكلام - إذ كان الأمر على ما وصفنا - : فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ، فجعلنا عقوبتنا لهم عقوبة لما بين يديها من ذنوبهم السالفة منهم ، بمسختنا إياهم وعقوبتنا لهم - ^(٣) ولما خلف عقوبتنا لهم من أمثال ذنوبهم : أن يعمل

(١) في المطبوعة : « وبذلك يخوفهم » ، ولعل الأجود ما أثبت .

(٢) ما بين القوسين زيادة لا بد منها في سياق الجملة .

(٣) في المطبوعة « مسختنا إياهم » بحذف حرف الجر ، وهو غير مستقيم ، وقوله : « ولما خلف

عقوبتنا لهم » معطوف على قوله : « لما بين يديها » . . .

بها عامل ، فيمسحوا مثل ما مسحوا ، وأن يحل بهم مثل الذى حل بهم ، تحذيراً من الله تعالى ذكره عباده : أن يأتوا من معاصيه مثل الذى أتى الممسوخون ، فيعاقبوا عقوبتهم .

وأما الذى قال فى تأويل ذلك : — « فجعلناها » ، يعنى الحيتان ، عقوبة لما بين يدي الحيتان من ذنوب القوم وما بعدها من ذنوبهم — فإنه أبعد فى الانتزاع . وذلك أن الحيتان لم يجر لها ذكر فيقال : « فجعلناها » . فإن ظن ظان أن ذلك جائز — وإن لم يكن جرى للحيتان ذكر — لأن العرب قد تكنى عن الاسم ولم يجر له ذكر ، فإن ذلك ، وإن كان كذلك ، فغير جائز أن يُترك المفهوم من ظاهر الكتاب — والمعقول به ظاهر فى الخطاب والتنزيل — إلى باطن لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل ، ولا خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم منقول ، ^(١) ولا فيه من الحجة إجماع مستفيض .

وأما تأويل من تأول ذلك : لما بين يديها من القرى وما خلفها ، فينظر إلى تأويل من تأول ذلك : بما بين يدي الحيتان وما خلفها :

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَوْعِظَةٌ ﴾

و«الموعظة» ، مصدر من قول القائل : «وعظت الرجل أعظه وعظاً وموعظة» ، إذا ذكرته .

• • •

فتأويل الآية : فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وتذكراً للمتقين ، ليتعظوا بها ، ويعتبروا ، ويتذكروا بها ، كما : —

١١٦٤ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد ، قال ، حدثنا

(١) انظر تفسير «ظاهر» و«باطن» فيما سلف من هذا الجزء ٢ : ١٥ والمراجع .

بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « وموعظة »
يقول : وتذكروا وعبرة للمتقين .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٦٦)

وأما « المتقون » ، فهم الذين اتقوا ، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ، كما :
١١٦٥ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر
بن عمار قال ، حدثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « وموعظة
للمتقين » ، يقول : للمؤمنين الذين يتقون الشر ويعملون بطاعتي .

* * *

فجعل تعالى ذكره ما أحلّ بالذين اعتدوا في السبت من عقوبته ، موعظة
للمتقين خاصة ، وعبرة للمؤمنين ، دون الكافرين به — إلى يوم القيامة — ، كالذي :
١١٦٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحق ، عن
داود بن الحصين ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن عبد الله بن عباس في قوله :
« وموعظة للمتقين » ، إلى يوم القيامة .

١١٦٧ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن
قتادة : « وموعظة للمتقين » ، أى : بعدهم .

١١٦٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، ٢٦٧/١
عن قتادة مثله .

١١٦٩ — حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي :

أما « موعظة للمتقين » ، فهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

١١٧٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ،

عن أبيه ، عن الربيع : « وموعظة للمتقين » ، قال : فكانت موعظة للمتقين خاصة .

١١٧١ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسن ، قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج في قوله : « وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ » ، أى لمن بعدهم .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٦٧)

قال أبو جعفر : وهذه الآية مما وبَّخ الله بها المخاطبين من بنى إسرائيل ، نَقَضَ أَوَائِلَهُم الميثاقَ الذى أخذَه الله عليهم بالطاعة لأنبيائه ، فقال لهم : واذكروا أيضاً من نكثكم ميثاقى ، « إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ - وَقَوْمُهُ بنو إسرائيل ، إِذْ أَدَّارُوا فِي الْقَتِيلِ الذى قُتِلَ فِيهِمْ إِلَهَ - « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءًا .

و « الهزؤ » اللعب والسخرية ، كما قال الراجز : (١)

قَدْ هَزَيْتُ مِنِّي أُمَّ طَيْسَلَهْ قَالَتْ : أَرَاهُ مُقَدِّمًا لَأَشْيءَ لَهُ (٢)

يعنى بقوله : « قَدْ هَزَيْتُ » ، قَدْ تَخَفْتُ وَلَعِبْتُ .

ولا ينبغى أن يكون من أنبياء الله - فيما أخبرت عن الله من أمر أو نهي - هزؤ أو لعب . فظنوا بموسى أنه فى أمره إِيَّاهُمْ - عن أمر الله تعالى ذكره بذبح البقرة عند تَدَارُثِهِمْ فى القَتِيلِ إِلَيْهِ - أنه هَازِئٌ لَاعِبٌ . ولم يكن لهم أن يُظَنُّوا ذلك بنبي الله ، وهو يخبرهم أن الله هو الذى أمرهم بذبح البقرة .

• • •

(١) هو ضفير بن عير التميمي ، ويقال إن القصيدة للأصمعي نفسه .

(٢) الأصمعيات : ٥٨ ، وأمال القائل ٢ : ٢٨٤ ، وانظر تحقيق ما قيل فيها فى تعليق سبط

اللالى للراجكوتى : ٩٣٠ . وروايتهم جميعاً :

• تَهْزَأُ مِنِّي أُخْتُ آلِ طَيْسَلَهْ •

ويروى « معلقاً لأشئ له » و « مبلطاً » ، وكلها بمعنى واحد : فقيراً لأشئ له .

وحذفت « الفاء » من قوله : « أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءًا » ، وهو جواب ، لاستغناء ما قبله من الكلام عنه ، وحسُن السكوت على قوله : « إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » ، فجاز لذلك إسقاط « الفاء » من قوله : « أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءًا » ، كما جاز وحسن إسقاطها من قوله تعالى ﴿ قَالَ قَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ • قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا ﴾ [سورة الحجر : ٥٧ ، ٥٨ / سورة الذاريات : ٣١ ، ٣٢] ، ولم يقل : فقالوا إنا أرسلنا . ولو قيل « فقالوا » ، كان حسناً أيضاً جائزاً . ولو كان ذلك على كلمة واحدة ، لم تُسقط منه « الفاء » . وذلك أنك إذا قلت : « قمت ففعلت كذا وكذا » ، لم تقل : قمت فعلت كذا وكذا ^(١) ، لأنها عطف ، لا استفهام يُوقَفُ عليه .

فأخبرهم موسى — إذ قالوا له ما قالوا — أن الخبر عن الله جل ثناؤه بالهزة والسخرية ، من الجاهلين . ^(٢) وبرأ نفسه مما ظنوا به من ذلك فقال : « أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين » ، يعنى : من السفهاء الذين يروون عن الله الكذب والباطل .

وكان سببُ قيل موسى لهم : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً » ، ما : —

١١٧٢ — حدثنا به محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ،

سمعت أيبوب ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة قال : كان في بني إسرائيل رجلٌ عقيم — أو عاقر — قال : فقتله وليُّه ، ثم احتمله فألقاه في سبِط غير سبِطه . قال : فوقع بينهم فيه الشرُّ حتى أخذوا السلاح . قال : فقال أولو النهى : أتقتلون وفيكم رسول الله ؟ قال : فأتوا نبي الله . فقال : اذبحوا بقرة . فقالوا : أتتخذنا هُزُوءًا ، قال : « أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين » . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة ^(٣) ، إلى قوله : « فذبحوها وما كادوا يفعلون » قال : فضرب ، فأخبرهم بقاتله . قال : ولم تؤخذ البقرة إلا بوزنها ذهباً ، قال :

(١) في المطبعة : « قمت وفعلت » وفي المطبعة : « ولم تقل : قمت . . . » بزيادة الواو ،

وهو فاسد . وانظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٤ .

(٢) سياق معناه : أخبرهم موسى أن الخبر عن الله ههنا وبهزة ، هو من الجاهلين .

ولو أنهم أخذوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم . فلم يُورث قاتل بعد ذلك .^(١)

١١٧٣ - حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثني أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قول الله : « إن الله يأمرُكم أن تذبحوا بقره » . قال : كان رجل من بني إسرائيل ، وكان غنياً ولم يكن له ولد ، وكان له قريب وارثه ، فقتله ليرثه ، ثم ألقاه على جميع الطريق ،^(٢) وأتى موسى فقال له : إن قريبى قتل وأتى إلى أمرٍ عظيم ، وإنى لأجد أحداً يبين لى مَنْ قتل غريك يا نبي الله . قال : فنادى موسى في الناس : أنشدُ الله مَنْ كان عنده من هذا علم إلا يبينه لنا . فلم يكن عندهم علمه . فأقبل القاتل على موسى فقال : أنت نبي الله ، فاسأل لنا ربك أن يبين لنا . فسأل ربه ، فأوحى الله إليه : « إن الله يأمرُكم أن تذبحوا بقره » . فعجبوا وقالوا : « أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين » . قالوا ادعُ لنا ربك يبين لنا ما هى ، قال إنه يقول إنها بقره لا فارضٌ -

يعنى : لا هَرمة - « ولا بكر » - يعنى : ولا صغيرة - « عوان بين ذلك » - أى : نصّف ، بين البكر والهرمة - « قالوا ادعُ لنا ربك يبين لنا ما لونها ، قال : إنه يقول إنها بقره صفراء فاقعٌ لونها » - أى : صاف لونها - « تسر الناظرين » - أى : تعجب الناظرين - « قالوا ادعُ لنا ربك يبين لنا ما هى إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون » . قال إنه يقول إنها بقره لا ذكول - « أى : لم يُدللها العمل - « تثير الأرض » - يعنى ليست بذكول فتثير الأرض - « ولا تسقى الحُرث » - يقول : ولا تعمل فى الحُرث - « مُسلّمة » ، يعنى مُسلّمة من العيوب ، « لاشيّة فيها » - يقول : لا يبايض فيها - « قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما

(١) الأثر : ١١٧٢ - عبدة ، بفتح العين وبعد الباء الموحدة ياء تحتية : هو عبدة السلماني . وهذا الأثر نقله ابن كثير ١ : ١٩٧ - ١٩٨ ، من رواية ابن أبي حاتم ، من طريق هشام بن حسان عن محمد بن سيرين ، عن عبدة السلماني . ثم أشار إلى رواية الطبري هذه .

وقد مضى أثر آخر : ٢٤٥ من رواية أيوب وابن عون ، عن ابن سيرين ، عن « عبدة » . ورجعنا هناك أن صوابه « عبدة » . فهذا الإسناد الذى هنا يؤولد ما رجعنا .

(٢) جميع للطريق : هو حيث يلتقى الناس ويجمعون ، أو حيث تلتقى الطرق .

كَادُوا يَفْعَلُونَ» . قال : ولو أن القوم حين أمروا أن يذبحوا بقرة ، استعرضوا بقرة من البقر فذبحوها ، ^(١) لكانت إياها ، ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم . ولولا أن القوم استثنوا فقالوا : « وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ » ، لما هُدُوا إليها أبداً . فبلغنا أنهم لم يجدوا البقرة التي نُعِتَتْ لهم ، إلا عند عجوز عندَهَا يَتَامَى ، وهي القَيْمَةُ عليهم . فلما علمت أنهم لَا يَزُكُّوْهُم غيرها ، ^(٢) أضعفت عليهم الثمن . فأتوا موسى فأخبروه أنهم لم يجدوا هذا النعت إلا عند فلانة ، وأنها سألتهم أضعاف ثَمَنِهَا . فقال لهم موسى : إن الله قد كان خفف عليكم فشددتم على أنفسكم ، فأعطوها رضاها وحكمها . ففعلوا ، واشتروها فذبحوها . فأمرهم موسى أن يأخذوا عَظْماً منها فيضربوا به القتل . ففعلوا ، فرجع إليه روحه ، فسميَ لهم قاتله ، ثم عاد ميتاً كما كان . فأخذوا قاتله — وهو الذي كان أتى موسى فشكى إليه — فقتله الله على أسوأ عمله .

١١٧٤ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو ، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنِ اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً » . قال : كان رجل من بني إسرائيل مكثرًا من المال ، وكانت له ابنة ، وكان له ابن أخ محتاجٌ . فخطب إليه ابنُ أخيه ابنته ، فأبى أن يزوجه إياها ، فغضب الفتى وقال : والله لأقتلنَّ عَمِي ، ولأخذنَّ ما له ، ولأنكحنَّ ابنته ، ولأكلنَّ دِيْنَتَهُ ! فأتاه الفتى ، وقد قدَّم تِجَارًا في أسباط بني إسرائيل ، فقال : يا عم ، انطلق معي فخذلني من تجارة هؤلاء القوم ، لعلني أصيب منها ، ^(٣) فإنهم إذا رأوك معي أعطوني . فخرج العم مع الفتى ليلاً ، فلما بلغ الشيخُ ذلك السَّبْطَ ، قتله الفتى ، ثم رجع إلى أهله .

(١) استعرضوا : أخذوا من عرض البقر (بضم العين وسكون الراء) فلم يبالوا أيها أخذوا . والعرض : الوجه والناحية ، أى ما يعرض لك من الشيء .

(٢) تقول : « هذا الأمر لا يزكو بفلان » ، أى لا يليق به ولا يصلح له . فقوله : « لا يزكو لهم غيرها » ، أى لا يصلح لهم غيرها ولا ينفع فيما أمرهم الله به .

(٣) في المطبوعة : « أصيب فيها » ، وهو خطأ ، والصواب من تفسير ابن كثير ١ : ٢٠٠ . أصاب الإنسان من المال وغيره : تناول وأخذ . ويريد أصيب منها ربحاً .

فلما أصبح ، جاء كأنه يطلب عمه ، كأنه لا يدري أين هو ، فلم يجده . فانطلق نحوه ، فإذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه ، فأخذهم وقال : قتلتم عمي فأدوا إلى ديتي . وجعل يبكي ويحشو التراب على رأسه وينادي : وا عمّاه ! فرفعهم إلى موسى ، ففضى عليهم بالدية ، فقالوا له : يا رسول الله ، ادع لنا ربك حتى يبين له من صاحبه ، فيؤخذ صاحب الجريمة ، ^(١) فوالله إن ديتي علينا هيئنة ، ولكننا نستحي أن نعيّر به . فذلك حين يقول الله جل ثناؤه : « وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مَخْرُجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ » . فقال لهم موسى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً » . قالوا : نسألك عن القتل وعمن قتله ، وتقول : اذبحوا بقرة ! أتهدأ بنا ؟ قال موسى : « أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ » — قال ، قال ابن عباس : فلو اعترضوا بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ، ولكنهم شددوا وتعنتوا موسى فشدد الله عليهم — ^(٢) فقالوا : « ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك » — والفاضض : الهرمة التي لا تلد ، والبكر : التي لم تلد إلا ولداً واحداً ، والعوان : النصف التي بين ذلك ، التي قد ولدت وولدت ولدها — « فافعلوا ما تؤمرون » . قالوا ادع ربك يبين لنا ما كونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع كونها تسر الناظرين — قال : تعجب الناظرين — « قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإننا إن شاء الله لمهتدون » . قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها — من بياض ولا سواد ولا حمرة — « قالوا الآن جئت بالحق » . فطلبوها فلم يقدروا عليها .

وكان رجل من بني إسرائيل ، من أبر الناس بأبيه ، وإن رجلاً مَرَّ به معه لؤلؤ يبيعه ، فكان أبوه نائماً تحت رأسه المفتاح ، فقال له الرجل : تشتري

(١) في المطبوعة : « ادع لنا حتى يتبين » . ونص ابن كثير في تفسيره ١ : ٢٠٠ « ادع لنا ربك حتى يبين لنا من صاحبه ، فيؤخذ صاحب القضية » .
(٢) أعتته وتمتته : سأله عن شيء أراد به اللبس عليه والمشقة .

مَنْ هَذَا اللَّوْلُو بِسَبْعِينَ أَلْفًا ؟ فَقَالَ لَهُ الْفَتَى : كَمَا أَنْتَ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ أَبِي فَأَخَذَهُ بِثَانَيْنِ أَلْفًا : فَقَالَ لَهُ الْآخَرُ : أَيْقِظْ أَبَاكَ وَهُوَ لَكَ بَسْتَيْنِ أَلْفًا . فَجَعَلَ التَّاجِرُ يَحْطُطُ لَهُ حَتَّى بَلَغَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، وَزَادَ الْآخَرَ عَلَى أَنْ يَنْتَظِرَ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ أَبُوهُ ، حَتَّى بَلَغَ مِثْلَ أَلْفٍ . فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، لَا أَشْتَرِيهِ مِنْكَ بِشَيْءٍ أَبَدًا . وَأَبَى أَنْ يَوْقِظَ أَبَاهُ ، فَعَوَّضَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ اللَّوْلُو أَنْ جَعَلَ لَهُ تِلْكَ الْبَقْرَةَ . فَمَرَّتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَطْلُبُونَ الْبَقْرَةَ ، فَأَبْصَرُوا الْبَقْرَةَ عِنْدَهُ ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَبِيعَهُمْ إِيَّاهَا بِقَرَّةٍ بَيْقَرَةٍ ، فَأَبَى ، فَأَعْطَوْهُ ثَنَيْنِ فَأَبَى ، فَزَادُوهُ حَتَّى بَلَغُوا عَشْرًا ، فَأَبَى ، فَقَالُوا : وَاللَّهِ لَا نَتْرَكَكَ حَتَّى نَأْخُذَهَا مِنْكَ . فَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَى مُوسَى فَقَالُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنَّا وَجَدْنَا الْبَقْرَةَ عِنْدَ هَذَا فَأَبَى أَنْ يَعْطِيَنَاهَا ، وَقَدْ أَعْطَيْنَاهُ ثَمَنًا . فَقَالَ لَهُ مُوسَى : أَعْطِهِمْ بِقَرَّتِكَ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَا أَحَقُّ بِمَالِي . فَقَالَ : صَدَقْتَ . وَقَالَ لِلْقَوْمِ : أَرْضُوا صَاحِبَكُمْ . فَأَعْطَوْهُ وَزَنَهَا ذَهَبًا فَأَبَى ، فَأَضْعَفُوا لَهُ مِثْلَ مَا أَعْطَوْهُ وَزَنَهَا ، حَتَّى أَعْطَوْهُ وَزَنَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ ، فَبَاعَهُمْ إِيَّاهَا وَأَخَذَ ثَمَنَهَا . فَقَالَ : اذْجُوهَا . فَذَجَّجُوهَا فَقَالَ : اضْرُبُوهُ بِيَعْبُضِهَا . فَضْرَبُوهُ بِالْبِضْعَةِ الَّتِي بَيْنَ الْكَتِفَيْنِ ، فَعَاشَ ، فَسَأَلُوهُ : مَنْ قَتَلَكَ ؟ فَقَالَ لَهُمْ : ابْنُ أَخِي ، قَالَ : أَقْتَلْتُهُ ، وَأَخَذْتُ مَا لَّهُ ، وَأَنْكَحْتُ ابْنَتَهُ . فَأَخَذُوا الْغُلَامَ فَقَتَلُوهُ .

١١٧٥ - حَدَّثَنَا بِشْرٌ قَالَ ، حَدَّثَنَا يَزِيدٌ قَالَ ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ -

١١٧٦ - وَحَدَّثَنِي يُونُسُ قَالَ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، عَنْ ابْنِ زَيْدٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ -

١١٧٧ - وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى قَالَ ، حَدَّثَنَا أَبُو حَذِيفَةَ . قَالَ ، حَدَّثَنَا شَبْلٌ ،

قَالَ حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ ، عَنْ مُجَاهِدٍ -

١١٧٨ - وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى قَالَ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ

قَالَ ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مَعْقِلٍ : أَنَّهُ سَمِعَ وَهْبًا يَذْكُرُ -

١١٧٩ - وَحَدَّثَنِي الْقَاسِمُ قَالَ ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ قَالَ ، حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عَنْ

ابْنِ جَرِيرٍ عَنْ مُجَاهِدٍ - وَحُجَّاجٌ عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ ،

وَمُحَمَّدُ بْنُ قَيْسٍ -

١١٨٠ - وحديثي محمد بن سعد قال ، حدثني أبي ، قال ، حدثني عمي قال ، أخبرني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس -

- فذكر جميعهم أن السبب الذي من أجله قال لهم موسى : « إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » ، نحو السبب الذي ذكره عبيدة وأبو العالية والسدي ، غير أن بعضهم ذكر أن الذي قتل القتيل الذي اختصم في أمره إلى موسى ، كان أخا المقتول ، وذكر بعضهم أنه كان ابن أخيه ، وقال بعضهم : بل كانوا جماعة ورثة استبطأوا حياته . إلا أنهم جميعاً مجمعون على أن موسى إنما أمرهم بذبح البقرة من أجل القتيل إذ احتكموا إليه - عن أمر الله إياهم بذلك - ^(١) فقالوا له : وما ذبح البقرة ؟ يبين لنا خصوصتنا التي اختصمنا فيها إليك في قتل من قتل ، فادّعى على بعضنا أنه القاتل ! أهزأ بنا ؟ كما : -

١١٨١ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : قُتِل قتيل من بني إسرائيل ، فطُرح في سبط من الأسباط ، فأتى أهل ذلك القتل إلى ذلك السبط فقالوا : أنتم والله قتلتم صاحبنا . قالوا : لا والله . فأتوا موسى فقالوا : هذا قتلنا بين أظهرهم ، وهم والله قتلوه ! فقالوا : لا والله يابني الله ، طُرح علينا ! فقال لهم موسى : إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة . فقالوا : أفتسهرئ بنا ؟ وقرأ قول الله جل ثناؤه : « أتتخذنا هزواً » . قالوا : نأتيك فنذكر قتلنا والذي نحن فيه ، ففتسهرئ بنا ؟ فقال موسى : أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين .

١١٨٢ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد - وحجاج ، عن أبي معشر - عن محمد بن كعب القرظي ، ومحمد بن قيس : لما أتى أولياء القتيل والذين ادّعوا عليهم قتل صاحبهم - موسى وقصوا قصتهم عليه ، أوحى الله إليه أن يذبحوا بقرة ، فقال لهم موسى : « إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من

(١) الأجود أن يكون « عن أمر الله إياه بذلك » .

الجاهلين». قالوا : وما البقرة والقَتِيل؟ قال : أقول لكم : «إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة»، وتقولون : «أنتخذنا هزواً».

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ ﴾^(١)

قال أبو جعفر : فقال الذين قيل لهم : «إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة» — بعد أن علموا واستقرّ عندهم ، أن الذي أمرهم به موسى عليه السلام من ذلك عن أمر الله من ذبح بقرة — جدّ وحقّ ،^(٢) «ادع لنا ربك يبين لنا ما هي» ، فسألوا موسى أن يسأل ربّه لهم ما كان الله قد كفاهم بقوله لهم : «اذبحوا بقرة» . لأنه جل ثناؤه إنما أمرهم بذبح بقرة من البقر — أى بقرة شاة اذبحها من غير أن يحصر لهم ذلك على نوع منها دون نوع أو صنف دون صنف — فقالوا يجفأ أخلاقهم وغلظ طبائعهم ، وسوء أفهامهم ، وتكلف ما قد وضع الله عنهم مؤوّنته ، تعنتاً منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما : —

١١٨٣ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما قال لهم موسى : «أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين» . قالوا له يتعنّونه : «ادع لنا ربك يبين لنا ما هي» .

فلما تكلفوا جهلاً منهم ما تكلفوا — من البحث عما كانوا قد كفّوه من صفة البقرة التي أمروا بذبحها ، تعنتاً منهم نبيّهم موسى صلوات الله عليه ، بعد الذي كانوا أظهروا له من سوء الظنّ به فيما أخبرهم عن الله جل ثناؤه ، بقولهم : «أنتخذنا هزواً»^(٣) — عاقبهم عز وجل بأن حصر ذبح ما كان أمرهم بذبحه

(١) الآية كلها ساقطة من الأصول ، فوضعتها في موضعها .

(٢) قوله «جد وحق» ، خبر قوله «أن الذي أمرهم به موسى . . .»

(٣) سياق العبارة : «فلما تكلفوا جهلاً منهم ما تكلفوا . . . عاقبهم . . .» ، وما بينهما فصل .

من البقر ، على نوع منها دون نوع ، ^(١) فقال لهم جل ثناؤه — إذ سألوهم فقالوا :
ما هي ؟ ما صفتها ؟ وما حليتها ؟ حلتها لنا لنعرفها ! ^(٢) — قال : « إنها بقرَةٌ
لا فَارِضٌ ولا بَكْرٌ » .

يعنى بقوله جل ثناؤه : « لا فَارِضٌ » ، لا مُسِنَّةٌ هَرمة . يقال منه : « فرضت
البقرة تفريضاً فَرُوضاً » ، يعنى بذلك : أسننت . ومن ذلك قول الشاعر :

يَارُبُّ ذِي ضِفْنٍ عَلَى فَارِضٍ لَهُ قُرُوءٌ كَقُرُوءِ الْحَائِضِ ^(٣)

يعنى بقوله : « فَارِضٌ » ، قديم . يصف ضغناً قديماً . ومنه قول الآخر :

لَهَا زِجَاجٌ وَلَهَاةٌ فَارِضٌ حَدَلَاءُ كَالْوُطْبِ نَحَاهُ الْمَاخِضُ ^(٤)

(١) في المطبوعة « بأن خص بذبح ما كان أمرهم » ، وعبارة الطبرى فيها أرجح هي ما أثبتته ، وقد
وقد قال آنفاً : ١٨٩ « من غير أن يحصر لهم ذلك على نوع منها دون نوع » ، وسيقول بعد : ١٩٧
« فحصروا على نوع . دون سائر الأنواع » .

(٢) الحاية (بكسر فسكون) الصفة والصورة : حل الرجل يحليه تحلية : وصف صورته
وهيأته . وتحليت الرجل : عرفت صفته .

(٣) مجالس ثعلب : ٣٦٤ ، والمعاني الكبير : ٨٥٠ ، ١١٤٣ ، والحيوان ٦ : ٦٦ - ٦٧ ،
والأضداد : ٢٢ ، وكتاب القرطين ١ : ٤٤ ، ٧٧ ، واللسان (فرض) ، وغيرها ، وصواب إنشاده :

يَارُبُّ مَوْلَى خَاسِدٍ مِبَاغِضٍ عَلَى ذِي ضِفْنٍ وَضَبٍ فَارِضٍ

والضَب : النغيظ والحقد تضميره في القلب . وقروء وأقراء جمع قره (بضم فسكون) : وهو وقت الحيض .
قال ابن قتيبة : « أى له أوقات تهيج فيها عداوته » ، وقال الجاحظ : « كأنه ذهب إلى أن حقه يحبو ثم
يستمر ، ثم يحبو ثم يستمر » .

(٤) البيت الأول في اللسان (زجاج) ، والثاني في المخصص ١ : ١٦٢ . وكان في الأصل :

لَهُ زِجَاجٌ وَلَهَاةٌ فَارِضٌ هَدَلَاءُ كَالْوُطْبِ تَجَاهُ الْمَاخِضِ

وهو تصحيف . والزجاج جمع زج : وهو الحديدية التي تتركب في أسفل الرمح يركز به في الأرض .
فاستعاره للأنياب . واللهاة : لحمه حمراء في الحنك ، معلقة على عكدة اللسان ، مشرفة على الحلق . والفارض
في هذا البيت : الواسع العظيم الضخم يقال : لحية فارض ، وشقشقة فارض . (وهي لهاة البعير) ،
ودلو فارض ، قال أبو محمد الفقمي يذكر دلوأ واسماً (وهو القرب)

وبمثل الذى قلنا فى تأويل « فارض » قال المتأولون * ذكر من قال ذلك :

١١٨٤ - حدثني على بن سعيد الكندى قال ، حدثنا عبد السلام بن حرب ،

عن خصيف ، عن مجاهد : « لا فارض » ، قال : لا كبيرة .^(١)

١١٨٥ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن عطية قال ، حدثنا شريك ،

عن خصيف ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - أو عن عكرمة ، شك

شريك - : « لا فارض » ، قال : الكبيرة .

١١٨٥ م - حدثني محمد بن سعد قال ، أخبرني أبي قال ، حدثني عمي قال ، ٢٧١/١

حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « لا فارض » ، الفارض : الهرمة .

١١٨٦ - حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن

الضحاك ، عن ابن عباس : « لا فارض » ، يقول : ليست بكبيرة هرمة .

١١٨٧ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، قال

قال ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس : « لا فارض » ،
الهرمة .

١١٨٨ - حدثني المثني قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « الفارض » الكبيرة .

١١٨٩ - حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ،

• وَالغَرَبُ غَرَبٌ بَقَرِيٌّ فَارِضٌ •

وحداه وأحدل : وهو الذى يمشى فى شق ، وفى منكبيه ورقبته إقبال على صدره ، وانحناء . والوطب : سقاء اللبن ، يكون من جلد . ونحاه : صرفه وأماله . والماخض : من مخض اللبن : إذا وضع فى المخفضة ، ليخرج زبد . لعله يهجو امرأته ، ويذكر قبح أفيائها ، وسعة لهاثها ، من شدة شرها . ويصف مشيتها مائلة على شق ، وتكدس بدنها ببعضه على بعض ، كأنها وطب أماله الماخض يمتة ويسرة يحركه .

(١) الخبر ١١٨٤ - على بن سعيد بن مسروق الكندى ، شيخ الطبرى : كوفي ثقة ، مترجم فى

التهذيب ، وابن أبي حاتم ١٨٩/١/٣ - ١٩٠ ، مات سنة ٢٤٩ . عبد السلام بن حرب الملائي الكوفي ،
الحافظ : ثقة حجة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة . وترجمه ابن أبي حاتم ٤٧/١/٣ .

حدثنا شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد قوله : « لا فارض » ، قال : الكبيرة .
 ١١٩٠ - حدثنا المثني قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن
 الربيع ، عن أبي العالية : « لا فارض » ، يعنى : لاهِرمة .
 ١١٩١ - حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن
 الربيع مثله .

١١٩٢ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد ، قال حدثنا سعيد ، عن قتادة :
 « الفارض » ، الهرمة .

١١٩٣ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، قال معمر ،
 قال قتادة : « الفارض » الهرمة . يقول : ليست بالهرمة ولا البكر ، عَوَانٌ بين ذلك .
 ١١٩٤ - حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ،
 حدثنا أسباط ، عن السدى : « الفارض » ، الهرمة التي لا تلد .
 ١١٩٥ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « الفارض » ،
 الكبيرة .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا بَكْرٌ ﴾

قال أبو جعفر : و « البكر » من إناث البهائم وبنى آدم ، ما لم يفتحله
 الفحل ، وهى مكسورة الباء . لم يسمع منه « فَعَلَّ » ولا « يفعل » . وأما « البَكْرُ » بفتح
 الباء ، فهو الفتى من الإبل .

• • •

ولما عنى جل ثناؤه بقوله « وَلَا بَكْرٌ » ولا صغيرة لم تلد ، كما : -
 ١١٩٦ - حدثني علي بن سعيد الكندى قال ، حدثنا عبد السلام بن حرب ،
 عن خصيف ، عن مجاهد : « ولا بكر » ، صغيرة .

١١٩٧ - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة . قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد : « البكر » ، الصغيرة .

١١٩٨ - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا الحسن بن عطية قال، حدثنا شريك ، عن خصيف ، عن سعيد ، عن ابن عباس - أوعكمة ، شك - : « ولا بكر » ، قال : الصغيرة .

١١٩٩ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسن قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس : « ولا يَكُر » ، الصغيرة .

١٢٠٠ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة : « ولا بكر » ، ولا صغيرة .

١٢٠١ - حدثت عن المنجاب قال، حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « ولا بكر » ، ولا صغيرة ضَعِيفَة .

١٢٠٢ - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « ولا بكر » ، يعنى : ولا صغيرة .

١٢٠٣ - حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

١٢٠٤ - وحدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : في « البكر » ، لم تلدْ إلا ولدًا واحدًا .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿عَوَانٌ﴾

قال أبو جعفر : « العَوَان » النَّصَفُ الّتى قد وَلَدَتْ بَطْنًا بعد بطن ، وليست بنعت للبكر . يقال منه : « قد عَوْنَتْ » ، إذا صَارَتْ كذلِكَ .

وإنما معنى الكلام أنه يقول : إنها بقرة لا فارض ولا بكر بَلْ عَوَانٌ

بين ذلك . ولا يجوز أن يكون « عَوَانٌ » إلا مبتدأ . لأن قوله « بين ذلك » ،
كناية عن الفارض والبكر ، فلا يجوز أن يكون متقدماً عليهما ، ومنه قول الأخطل :
وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ شُمَطٍ مُحْفَلَةٍ وَمَا بِيَثْرَبَ مِنْ عُونٍ وَأَبْكَارٍ^(١)

٢٧٢/١

وجمعها « عُون » . يقال : « امرأة عَوَانٌ » ، من نسوة عُون . ومنه قول تميم بن مقبل :

وَمَا تَمَّ كَالَّذِي حُورٍ مَدَامِهَا لَمْ تَبْأَسِ الْعَيْشَ أَبْكَارًا وَلَا عَوْنًا^(٢)

وبقرة « عَوَانٌ » ، وبقر عُونٌ . قال : وربما قالت العرب : « بقر عُونٌ » ،
مثل « رُسُلٌ » ، يطلبون بذلك الفرق بين جمع « عَوَانٌ » من البقر ، وجمع « عَانَةٌ »
من الحُمُر . ويقال : « هذه حرب عَوَانٌ » ، إذا كانت حرباً قد قوتل فيها مرة بعد
مرة . يُشْتَلُّ ذلك بالمرأة التي ولدت بطناً بعد بطن . وكذلك يُقال : « حَاجَةٌ
عَوَانٌ » ، إذا كانت قد قُضِيت مرة بعد مرة .

(١) ديوانه : ١١٩ ، وهو يخالف ما رواه الطبري ، وقيله :

إِنِّي حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ وَمَا أَضْحَى بِمَكَّةَ مِنْ حُجْبٍ وَأَسْتَارِ
وَالْهَدْيِ — إِذَا انْحَرَّتْ مَذَارِعُهَا فِي يَوْمِ نُسْكٍَ وَتَشْرِيقٍ وَتَنْحَارِ
وَمَا بَزَمَزَمَ مِنْ شُمَطٍ مُحْفَلَةٍ وَمَا بِيَثْرَبَ مِنْ عُونٍ وَأَبْكَارِ

يعنى : حلقوا رؤوسهم ، وقد تحلوا من إحرامهم وقضوا حجهم ، والشمط جمع أشمط : وهو الذي
خالط سواد شعره بياض الشيب . فإن صحت رواية الطبري « شمط محفلة » ، فكأنها من الحفيل والاحتفال :
وهو الجهد والاجتهاد ، يقال منه : رجل ذو حفيل ، وذو حفل وحفلة : له جد واجتهاد ومبالغة فيما أخذ
فيه من الأمور . فكأنه عني : مجتهدون في العبادة والنسك .

(٢) جبهة أشعار العرب : ١٦٢ ، من جبه شعر تميم بن أبي بن مقبل . والمأتم عند العرب : جماعة
النساء - أو الرجال - في غير أو شر . قالوا : والعامّة تغلط فتظن أن « المأتم » النوح والنياحة . والذي
جمع دمية : الصورة أو النخال ، يتنوق في صنعها ويبالغ في تحسينها ، والعرب تكثر من تشبيه النساء
بالدى . والخور جمع حوراء . والخور أن يشتد بياض بياض العين ، وسواد سوادها ، وتستدير حدقتها ،
وترق جفونها ، ويبيض ما حولها . وقوله : « لم تبأس » أى لم يلحقها بؤس عيش ، أو لم تشك بؤس عيش .
بؤس يبأس بؤساً ، فهو بائس وبئيس ، افتقر واشتد عليه البؤس . وفي الأصل المطبوع ، وفي اللسان
(أتم) : « لم تبأس » بالياء المشناة ، وهو خطأ .

١٢٠٥ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب ، أن ابن زيد أشده :

قُعُودٌ لَدَى الْأَبْوَابِ طُلَّابٌ حَاجَةٌ عَوَانٍ مِنَ الْحَاجَاتِ أَوْ حَاجَةٌ بِكَرًا ^(١)
قال أبو جعفر : والبيتُ للفرزدق .

وبنحو الذي قلنا في ذلك تأوله أهل التأويل * ذكر من قال ذلك :

١٢٠٦ - حدثنا علي بن سعيد الكندي، حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن خصيف ، عن مجاهد : «عَوَانٌ بين ذلك » ، وَسَطٌ ، قد ولدَتَ بَطْنًا أَوْ بَطْنَيْنِ . ^(٢)

١٢٠٧ - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : «عَوَانٌ » ، قال : «العَوَانُ » ، العَانِسُ النَّصَفُ .

١٢٠٨ - حدثني الثني قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : «العَوَانُ » ، النَّصَفُ .

١٢٠٩ - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن عطية قال ، حدثنا شريك ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - أو عكرمة ، شك شريك - «عَوَانٌ » ، قال : بين ذلك .

١٢١٠ - حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : «عَوَانٌ » ، قال : بين الصغيرة والكبيرة ، وهي أقوى

(١) ديوان الفرزدق : ٢٢٧ ، وطبقات فعول الشعراء : ٢٥٦ ، وتاريخ الطبري : ١٣٨ ، وغيرها . وسيأتي في ٧ : ١٨٨ (بولاق) ، والشعر في زياد ، وقيله :

دَعَانِي زِيَادٌ لِلْعَطَاءِ وَلَمْ أَكُنْ لِأَقْرَبِهِ مَسَاقٍ ذُو حَسَبٍ وَفَرَا
وَعِنْدَ زِيَادٍ ، لَوْ يُرِيدُ عَطَاءَهُمْ ، رَجَالٌ كَثِيرٌ قَدْ يَرَى بِهِمْ فَقْرًا

ويروى : «قُعُودٌ » ، ورواية ابن سلام «طالب حاجة » ، ونصب «أو حاجة بكرًا » ، عطفاً على محل «حاجة عَوَانُ » ، فحلها نصب بقوله : «طلاب » .

(٢) الخبر : ١٠٢٦ - «علي بن سعيد الكندي : ترجمناه له في : ١١٨٤ ، وفي الأصول هنا «سعد » بدل «سعيد » ، وهو خطأ .

ما تكون من البقر والدواب ، وأحسنُ ما تكون .

١٢١١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسن قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن

جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس : « عوان » ، قال : النَّصَف .

١٢١٢ - حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن

الربيع ، عن أبي العالية : « عوان » ، نَصَف .

١٢١٣ - وحدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله .

١٢١٤ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ،

عن قتادة : « العوان » ، نَصَف بين ذلك .

١٢١٤ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال ، حدثنا

شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد : « عوان » ، التي تُنتج شيئاً بشرط أن تكون
التي قد تُنتج بَكْرَةً أو بَكْرَتَيْن .

١٢١٥ - حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي :

« العوان » ، النصف التي بين ذلك ، التي قد وُلدت وولد وَلَدُهَا .

١٢١٦ - حدثني يونس ، قال أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد :

« العوان » ، بين ذلك ، ليست ببكر ولا كبيرة .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله « بين ذلك » بين البكر والهرمة ، كما : -

١٢١٧ - حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن

الربيع ، عن أبي العالية : « بين ذلك » ، أى بين البكر والهرمة .

* * *

فلان قال قائل : قد علمت أن « بين » لا تصلح إلا أن تكون مع شيئين

فصاعداً ، فكيف قيل : « بين ذلك » ، و « ذلك » واحد في اللفظ ؟

قيل : إنما صلحت مع كونها واحدة ، لأن « ذلك » بمعنى اثنين ، والعرب تجمع في « ذلك » و « ذاك » شيئين ومعنيين من الأفعال ، كما يقول القائل : « أظن أخاك قائماً ، وكان عمرو أباك » ،^(١) ثم يقول : « قد كان ذاك ، وأظن ذلك » . فيجمع : « ذلك » و « ذاك » الاسم والخبر ، الذي كان لا بد لـ « ظن » و « كان » منهما .^(٢)

• • •

فغنى الكلام : قال إنه يقول إنها بقرة لا مسنة هريمة ، ولا صغيرة لم تلد ، ولكنها بقرة تصف قد ولدت بطناً بعد بطن ، بين الهرم والشباب . فجمع « ذلك » ٢٧٣/١ معنى الهرم والشباب لما وصفنا . ولو كان مكان الفارض والبكر اسماً شخصين ، لم يجمع مع « بين » « ذلك » . وذلك أن « ذلك » لا يؤدّي عن اسم شخصين . وغير جائر لمن قال : « كنت بين زيد وعمرو » ، أن يقول : « كنت بين ذلك » ، وإنما يكون ذلك مع أسماء الأفعال دون أسماء الأشخاص .^(٣)

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَأَقْلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ (٦٨)

قال أبو جعفر : يقول الله لهم جل ثناؤه : اقلوا ما أمركم به ، تدركوا حاجاتكم وطلباتكم عندي ، واذبحوا البقرة التي أمرتكم بذبحها ، تصلوا - بانها تكم إلى طاعتي بذبحها - إلى العلم بقاتل قتلكم .

• • •

(١) عبارة الفراء هنا أوضح قال : « فلا بد لـ « كان » من شيئين » ، ولا بد لـ « أظن » من شيئين ، ثم يجوز أن تقول : « قد كان ذاك ، وأظن ذلك » . معاني القرآن ١ : ٤٥ .
(٢) كان في المطبوعة : « الذي كان لا بد للظن وكان منهما » ، وهو كلام يضطرب .
(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٥ .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ ﴾

قال أبو جعفر : ومعنى ذلك : قال قوم موسى لموسى : ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا ما لونها ؟ أى لون البقرة التى أمرتنا بذبحها . وهذا أيضاً تعنت آخر منهم بعد الأول ، وتكلف طلب ما قد كانوا كفؤوه فى المرة الثانية والمسألة الآخرة . وذلك أنهم لم يكونوا حَصِرُوا فى المرة الثانية — إذ قيل لهم بعد مسألتهم عن حلية البقرة التى كانوا أمروا بذبحها ، فأبوا إلا تكلف ما قد كفؤوه من المسألة عن صفتها ، فحَصِرُوا على نوع دون سائر الأنواع ، عقوبةً من الله لهم على مسألتهم التى سألوها نبيهم صلى الله عليه وسلم ، تعنتاً منهم له . ثم لم يحصرهم على لون منها دون لون ، فأبوا إلا تكلف ما كانوا عن تكلفه أغنياء ، فقالوا — تعنتاً منهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم ، كما ذكر ابن عباس — : « ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها » ، فقيل لهم عقوبةً لهم : « إنها بقرةٌ صفراءُ فاقعٌ لونها تسر الناظرين » . فحَصِرُوا على لون منها دون لون . ومعنى ذلك : أن البقرة التى أمرتكم بذبحها صفراءُ فاقعٌ لونها .

* * *

قال أبو جعفر : ومعنى قوله : « يبين لنا ما لونها » ، أى شئ لونها ؟ فلذلك كان اللون مرفوعاً ، لأنه مُرَافِعٌ « ما » . وإنما لم ينصب « ما » بقوله : « يبين لنا » ، لأن أصل « أى » ، و « ما » ، جمعٌ متفرق الاستفهام . يقول القائل ^(١) : يبين لنا أسوداءُ هذه البقرة أم صفراءُ ؟ فلما لم يكن لقوله : « بين لنا » أن يقع على الاستفهام متفرقاً ، لم يكن له أن يقع على « أى » ، لأنه جمعٌ ذلك المتفرق ^(٢) . وكذلك كل ما كان من نظائره فالعمل فيه واحد ، فى « ما » و « أى » .

(١) فى الأصل المطبوعة « كقول القائل » ، وهو فساد .

(٢) كانت هذه الجملة فى المطبوعة : « فلما لم يكن كقوله : بين لنا ، ارتفع على الاستفهام منصرفاً ، لم يكن له ارتفع على أى ... » ، وهو كلام ضرب عليه التصحيف ضرباً . وانظر ما جاء فى معاني الفراء ١ : ٤٦ - ٤٨ ، ففيه بيان شاف كاف .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله : « صفراء » . فقال بعضهم : معنى ذلك : سوداء شديدة السواد . ذكر من قال ذلك منهم :

١٢١٨ - حدثني أبو مسعود إسماعيل بن مسعود الجحدري قال ، حدثنا نوح ابن قيس ، عن محمد بن سيف ، عن الحسن : « صفراء فاقع لونها » ، قال : سوداء شديدة السواد . (١)

١٢١٩ - حدثني أبو زائدة زكريا بن يحيى بن أبي زائدة . والمثنى بن إبراهيم . قالوا ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا نوح بن قيس ، عن محمد بن سيف أبي رجاء ، عن الحسن مثله . (٢)

وقال آخرون : معنى ذلك : صفراء القَرَن والظِّلْف . ذكر من قال ذلك :
١٢٢٠ - حدثني هشام بن يُونس النهشلي قال ، حدثنا حفص بن غياث ، عن أشعث ، عن الحسن في قوله : « صفراء فاقع لونها » ، قال : صفراء القَرَن والظِّلْف . (٣)

١٢٢١ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثني هشيم قال ، أخبرنا جوير ، عن كثير بن زياد ، عن الحسن في قوله : « صفراء فاقع لونها » ، قال : كانت وَحْشِيَّة . (٤)

(١) الخبر : ١٢١٨ - أبو مسعود إسماعيل بن مسعود الجحدري البصري : ثقة ، روى عنه أيضاً النسائي وأبو حاتم . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١/١/٢٠٠ . مات سنة ٢٤٨ . نوح بن قيس بن رباح الأزدي الهذلي : ثقة ، مترجم في التهذيب ، والكبير ١/١/١١٢ - ١١٢ ، وابن أبي حاتم ٤/١/٤٨٣ .
(٢) الخبر : ١٢١٩ - أبو زائدة زكريا بن يحيى بن أبي زائدة : ثقة ، روى عنه أبو حاتم وغيره ، وذكر بعضهم أن البخاري روى عنه . وهو مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١/٢/٦٠١ - ٦٠٢ . مسلم بن إبراهيم : هو الأزدي الفراهيدي الحافظ . محمد بن سيف : ترجمناه له فيما مضى : ١٣٥ ، وكنيته « أبو رجاء » ، ووقع هنا في المطبوعة « محمد بن سيف عن أبي رجاء » . وهو خطأ ، صوابه حذف « عن » .
(٣) الخبر : ١٢٢٠ - هشام بن يُونس بن وابل النهشلي اللؤلؤي : ثقة ، روى عنه الترمذي ، وسمع منه أبو حاتم . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٤/٢/٧٢ .

(٤) الخبر : ١٢٢١ - كثير بن زياد أبو سهل البرساني - بضم الموحدة وسكون الراء - الأزدي العتكي : ثقة من أكابر أصحاب الحسن . مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/١/٢١٥ ، وابن أبي حاتم ٣/٢/١٥١ . والإسناد ضعيف ، من أجل « جوير بن سعيد » ، كما ذكرنا ضعفه في : ٢٨٤ . وسيأتي قريباً برقم : ١٢٥٤ .

١٢٢٢ - حدثني يعقوب قال ، حدثنا مروان بن معاوية ، عن إبراهيم ، عن أبي حفص ، عن مَفْرَاء - أو عن رجل - ، عن سعيد بن جبير : « بقرةٌ صَفراءُ فاقعٌ لونها » ، قال : صفراء القرن والظلف . (١)

١٢٢٣ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : هي صَفراء .
١٢٢٤ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا الضحاك بن غنبد ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إنها بقرةٌ صَفراءُ فاقعٌ لونها » ، قال : لو أخذوا بقرة صَفراءَ لأجزأت عنهم .

قال أبو جعفر : وأحسب أن الذي قال في قوله : « صفراء » ، يعني به سوداء ، ذهب إلى قولهم في نعت الإبل السود : (٢) « هذه إبل صُفْر ، وهذه ناقه صفراء » ، يُعنى بها سوداء . وإنما قيل ذلك في الإبل ، لأن سوادها يضرب إلى الصفرة ، ومنه قول الشاعر : (٣)

تِلْكَ خَيْلِي مِنْهُ وَتِلْكَ رِكَابِي ، هُنَّ صُفْرٌ ، أَوْلَادُهَا كَالزَّيْبِ (٤)

(١) الخبر : ١٢٢٢ - مروان بن معاوية : هو الفزاري الكوفي الحافظ ، من شيوخ أحد وإسحق والأئمة . مفراء ، بفتح الميم وسكون الفين المعجمة : تابعي روى عن ابن عمر ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وترجمه البخاري في الكبير ٦٥/٢/٤ ، وابن أبي حاتم ٤٢٩/١/٤ ، فلم يذكر فيه جرحاً . ولكن هذا الإسناد ضعيف ، لتردد الراوي : أنه عن مفراء ، أو عن رجل ، فتروى بين ثقة وبينهم . (٢) في المطبوعة : « ذهب إلى قوله » ، وليس بشيء .

(٣) هو الأعشى الكبير .

(٤) ديوانه : ٢١٩ ، والأضداد : ١٣٨ ، واللسان (صفر) ، وغيرها . من قصيدة يمدح بها أبا الأشعث قيس بن معد يكرب الكندي . وكان في الأصل : « تلك خيل منها » وهو خطأ ، فسياق الشعر :

إِنْ قَيْسًا ، قَيْسَ الْفَقَالِ أبا الأَشْ
كُلِّ عَامٍ يُمِدُّنِي بِمَحْمُومٍ
مَثِ أُنْسَتْ أُمْدَاؤُهُ لَشُعُوبٍ
عِنْدَ وَضْعِ الْعِنَانِ أَوْ بِنَجِيبٍ

... ..

... .. تلك خيلي منه

وما أظن الطبري يخطئ في رواية هذا الشعر ، والركاب : الإبل التي يسار عليها ، لا واحد لها من لفظها ، واحداً راحلة . والزبيب : ذوى العنب ، وأسوده أجوده ، ولكنه ليس خالص السواد . يقول : كل ما أملك من خيل ، ومن إبل قد ولدت لي خير ما تلد الإبل ، فهو من جود أبي الأشعث .

يعنى بقوله: « هُنَّ صُفْرٌ » ، هن سُود وذلك إن وُصِفَت الإبل به ، فليس مما توصف به البقر . مع أن العرب لا تصف السواد بالفقوع ، وإنما تصف السواد — إذا وصفته بالشدّة — بالحلوكَة ونحوها ، فتقول: « هو أسود حالكٌ وحانكٌ وحلُكوكٌ ، وأسود غريبٌ ودَجوجى » — ولا تقول: هو أسودٌ فاقع . وإنما تقول: « هو أصفر فاقعٌ » . فوصفه إياه بـ « الفقوع » ، من الدليل البين على خلاف التأويل الذى تأوّل قوله: « إنها بقرّة صَفراء فاقعٌ » المتأوّلُ ، بأن معناه سُداء شديدة السواد .^(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَاقِعٌ لَوْنُهَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى : خالِص لَوْنُهَا . و « الفقوع » فى الصفرة ، نظير « النُصُوع » فى البياض ، وهو شدته وصفاءه ، كما : —

١٢٢٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، قال قال قتادة : « فاقعٌ لَوْنُهَا » ، هى الصافى لونها .

١٢٢٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « فاقعٌ لَوْنُهَا » ، أى صاف لونها .

١٢٢٧ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بمثله .

١٢٢٨ — حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فاقعٌ » ، قال : تَقَيُّ لَوْنُهَا .

١٢٢٩ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « فاقعٌ لَوْنُهَا » ، شديدةُ الصفرة ، تكاد

(١) مجرى العبارة : الذى تأوّل المتأوّل بأن معناه . « المتأوّل » فاعل مرفوع .

من صُفَرْتَهَا تَبْيَضُ^١ . وقال أبو جعفر : أَرَاهُ أبيض^(١) !

١٢٣٠ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « فاقع لونُها » ، قال : شديدة صُفَرَتِهَا .

يقال منه : « ققع لونه يَفْقَعُ وَيَفْقَعُ قَقْعاً وَقُقْعاً ، فهو فاقع » ، كما قال الشاعر :

حَمَلْتُ عَلَيْهِ الْوَرْدَ حَتَّى تَرَكَتُهُ ذَلِيلًا يَسْفُ الثَّرْبُ وَاللَّوْنُ فَاقِعُ^(٢)

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ تَسْرُّ النَّظِيرِينَ ﴾ (٦٩)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله « تسر الناظرين » ، تعجب هذه البقرة - في حسن خلقها ومنظرها وهيئتها - الناظر إليها ، كما : -

١٢٣١ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :

« تسر الناظرين » ، أى تعجب الناظرين .

١٢٣٢ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم .

قال ، حدثني عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهباً : « تسر الناظرين » ، إذا نظرت إليها يُخَيَّلُ إليك أن شُعاع الشمس يخرج من جلدِها .

١٢٣٣ - حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن

السدى : « تسر الناظرين » ، قال : تعجب الناظرين .

* * *

(١) كأن أبا جعفر أراد أن يمترض على قوله : « تكاد من صُفَرْتَهَا تَبْيَضُ » ، فقال ما معناه : لو صح ذلك لكان قوله : « فاقع لونُها » ، أى أبيض ، والصغرة تشدد ، فإذا خفت أبيضت . هذا هو معنى ما قاله فيها أرجح .

(٢) لم أعرف قائله . والورد : فرسه .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ مُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ (٧٠)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « قالوا » ، قال قوم موسى — الذين أمروا بذبح البقرة — لموسى . فترك ذكر موسى ، وذكر عائد ذكره ، اكتفاء بما دل عليه ظاهر الكلام . وذلك أن معنى الكلام : قالوا له : ادع ربك . فلم يذكر « له » لما وصفنا . ٢٧٥/١ وقوله : « يبين لنا ما هي » ، خبر من الله عن القوم بجهالة منهم ثلاثة . وذلك أنهم لو كانوا ، إذ أمروا بذبح البقرة ، ذبحوا أيتها تيسرت مما يقع عليه اسم بقرة ، كانت عنهم مجزئة ، ولم يكن عليهم غيرها ، لأنهم لم يكونوا كلّفوها بصفة دون صفة . فلما سألوها بيانها بأى صفة هي ، بين لهم أنها بسن من الأسنان دون سن سائر الأسنان ، (١) فقل لهم : هي عوان بين الفارض والبكر والضرع . (٢) فكانوا — إذ بينت لهم سنّها — لو ذبحوا أدنى بقرة بالسن التي بينت لهم ، كانت عنهم مجزئة ، لأنهم لم يكونوا كلّفوها بغير السن التي حدثت لهم ، ولا كانوا حصّروا على لون منها دون لون . فلما أبوا إلا أن تكون معرفة لهم بنوعها ، مبينة بحدودها التي تفرّق بينها وبين سائر بهائم الأرض ، فشدّدوا على أنفسهم — شدّد الله عليهم بكثرة سؤلهم نبيّهم واختلافهم عليه .

ولذلك قال نبينا صلى الله عليه وسلم لأمته : —

١٢٣٤ — « ذروني ما تركتكم ، فإنما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤلهم واختلافهم على أنبيائهم . فإذا أمرتكم بشيء فأتوه ، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه ما استطعتم » . (٣)

(١) في المطبوعة : « بين لهم أنها بسن . . . » ، والفاء لا مكان لها هنا .

(٢) الضرع : الضعيف الضاوي الجسم .

(٣) الحديث : ١٢٣٤ — رواه هنا دون إسناد . وهو من حديث أبي هريرة . ووقع في آخره خطأ ، قلب معناه . واللفظ الصحيح ، بالمعنى الصحيح ؛ « فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم » . هذا لفظ البخاري . وقد أفاض الحافظ في شرحه ، في الفتح ١٣ : ٢١٩ —

قال أبو جعفر : ولكنّ القوم لما زَادُوا نبيّهم موسى صلى الله عليه وسلم أذَى وتعنّتاً ، زادهم الله عقوبةً وتشديداً ، كما : —

١٢٣٥ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن علي ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لو أخذوا أدنى بقرة اكتفوا بها ، لكنهم شدّوا فشدّ الله عليهم .

١٢٣٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر قال ، سمعت أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة قال : لو أنهم أخذوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم . (١)

١٢٣٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب —

١٢٣٨ — وحديثي المثني قال : حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن هشام بن حسان — جميعاً ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة السلماني قال : سألوهم شدّوا فشدّ عليهم .

١٢٣٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة قال : لو أخذ بنو إسرائيل بقرةً

٢٢٦ . ورواه أيضاً أحد : ٧٣٦١ ، بنحو معناه . وأشرنا هناك إلى كثير من طرقه في المسند وغيره . وكذلك رواه مسلم ٢ : ٢٢١ ، بنحوه ، من طرق . وكذلك رواه ابن حبان في صحيحه ، من طرق : ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ (بتحقيقنا) وفي رواية ابن حبان : ١٧ ، « قال ابن عجلان : فحدثت به أبان بن صالح ، فقال لي : ما أجود هذه الكلمة ، قوله : فأتوا منه ما استطعتم » . وهو الحديث التاسع من الأربعين النووية ، وقد شرحه ابن رجب ، في جامع العلوم والحكم ، شرحاً سهلاً . ولعل الخطأ الذي وقع هنا خطأ من الناصحين . فإظن الطبري يخفى عليه ما في هذا اللفظ من تهافت .

(١) الخبر : ١٢٣٦ — جاء شيخ الطبري هنا باسم « عمرو بن عبد الأعلى » ! وما وجدت راوياً يسمى بهذا . وإنما هو « محمد بن عبد الأعلى الصنعاني » ، من شيوخ مسلم وأبي داود وغيرهما ، كما مضى مثل هذا الإسناد هل الصواب : ١١٧٢ . ومحمد بن عبد الأعلى : بصرى ثقة ، مات سنة ٢٤٥ ، مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ١٧٤/١/١ ، وابن أبي حاتم ١٦/١/٤ .

لأجزاء عنهم . ولولا قولهم : « وإنا إن شاء الله لَمُهتدون » ، لما وجدوها .

١٢٤٠ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،

عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد في قول الله : « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً » ، لو أَخَذُوا بَقَرَةً مَا كَانَتْ ، لأجزاء عنهم . « قالوا ادْعُ كُنَّا رَبَّكَ يَبِينُ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضَ وَلَا بُكْرٌ » ، قال : لو أَخَذُوا بَقَرَةً مِنْ هَذَا الْوَصْفِ لأجزاء عنهم . « قالوا ادْعُ كُنَّا رَبَّكَ يَبِينُ لَنَا مَا لُونَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ » ، قال : لو أَخَذُوا بَقَرَةً صَفْرَاءَ لأجزاء عنهم . « قالوا ادْعُ كُنَّا رَبَّكَ يَبِينُ لَنَا مَا هِيَ » ، « قال إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ » الآية .

١٢٤١ - حدثني المنثي بن إبراهيم قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا

شبل ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد بنحوه - وزاد فيه : ولكنهم شددوا فشدد عليهم .

١٢٤٢ - حدثني القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ،

قال ابن جريج قال ، مجاهد : « لو أَخَذُوا بَقَرَةً مَاءً » ، كانت أجزاء عنهم . قال ابن جريج ، قال لي عطاء : لو أَخَذُوا أَدْنَى بَقَرَةٍ كَفَسَتْهُمْ . قال ابن جريج ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِنَّمَا أَمْرُوا بِأَدْنَى بَقَرَةٍ ، ولكنهم لما شددوا على أنفسهم شدد الله عليهم ؛ وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَشْنُوا لَمَا يُبَيِّنَتْ لَهُمْ آخِرَ الْأَبَدِ .^(١)

١٢٤٣ - حدثني المنثي قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن ٢٧٦/١

الربيع ، عن أبي العالية قال : لو أَنَّ الْقَوْمَ حِينَ أَمَرُوا أَنْ يَذْبَحُوا بَقَرَةً ، استعرضوا

(١) الخبر : ١٢٤٢ - جاء في آخره حديث مرفوع ، ذكره ابن جريج . وهو مرسل لا تقوم

به حجة . وسيأتي أيضاً : ١٢٤٤ ، عن قتادة مرسل . وذكر معناه ابن كثير ١ : ٢٠٣ ، من تفسيره ابن أبي حاتم وابن مردويه ، بإسناديهما ، من رواية الحسن ، عن أبي رافع ، عن أبي هريرة ، مرفوعاً ، بنحوه . قال ابن كثير : « وهذا حديث غريب من هذا الوجه . وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة كما تقدم مثله عن السدي » .

بقرةً فذبحوها ، لكنت إيتاها ، ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم .
ولولا أن القوم استثنوا فقالوا : « وإنا إن شاء الله لمهتدون » ، لما هُدُوا إليها أبداً .

١٢٤٤ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : « ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : إنما أمير القوم بأدنى بقرة ، ولكنهم لما شددوا على أنفسهم شدد عليهم . والذي نفس محمد بيده ، لو لم يستثنوا لما بُيِّنَتْ لهم آخر الأبد . »

١٢٤٥ - حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح . عن ابن عباس قال : لو اعترضوا بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ، ولكنهم شددوا وتعنتوا موسى فشدد الله عليهم .

١٢٤٦ - حدثنا أبو كريب قال : قال أبو بكر بن عياش ، قال ابن عباس : لو أن القوم نظروا أدنى بقرة - يعني بني إسرائيل - لأجزأت عنهم ، ولكن شددوا فشدد عليهم ، فاشتروها بجلء جلدها دنانير .^(١)

١٢٤٧ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : لو أخذوا بقرة كما أمرهم الله كفاهم ذلك ، ولكن البلاء في هذه المسائل ، فقالوا ادع لنا ربك بين لنا ما هي ، فشدد عليهم ، فقال : « إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك » ، فقالوا : « ادع لنا ربك بين لنا ما لوئها ، قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين » ، قال : وشدد عليهم أشد من الأول ، فقرأ حتى بلغ : « مسلمة لاشية فيها » ، فأبوا أيضاً فقالوا : « ادع لنا ربك بين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون » فشدد عليهم ، فقال : « إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لاشية فيها » ،

(١) الخبر : ١٢٤٦ - هذا الإسناد منقطع بين أبي بكر بن عياش وابن عباس ، كما هو ظاهر . لأن أبا بكر إنما يروي عن التابعين ، ومولده بعد موت ابن عباس بدهر . وهذا الخبر ذكره السيوطي ١ : ٧٧ ، ونسبه لابن جرير ، وابن أبي حاتم « من طرق » .

قال : فاضطروا إلى بقرة لا يُعلم على صفتها غيرها ، وهى صفراء ليس فيها سواد ولا بياض^(١) .

• • •

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال التى ذكرناها عن ذكرناها عنه — من الصحابة والتابعين والخالفين بعدهم ، من قولهم إن بنى إسرائيل لو كانوا أخذوا أدنى بقرة فذبجوها أجزأت عنهم ، ولكنهم شددوا فشدّ الله عليهم — من أوضح الدلالة على أن القوم كانوا يرون أن حكم الله ، فيما أمر ونهى فى كتابه وعلى لسان رّسوله صلى الله عليه وسلم ، على العموم الظاهر ، دون الخصوص الباطن ،^(٢) إلا أن يخص بعض ما عمّه ظاهر التنزيل ، كتاب من الله أو رسول الله ؛ وأن التنزيل أو الرسول ، إن خص بعض ما عمّه ظاهر التنزيل بحكم خلاف ما دلّ عليه الظاهر ، فالخصوص من ذلك خارج من حكم الآية التى عمّت ذلك الجنس خاصة ، وسائر حكم الآية على العموم ؛ على نحو ما قد بيناه فى كتابنا ﴿ كتاب الرسالة ﴾ من ﴿ لطيف القول فى البيان عن أصول الأحكام ﴾ — فى قولنا فى العموم والخصوص ، وموافقة قولهم فى ذلك قولنا ومذهبهم مذهبنا ، وتخطئهم قول القائلين بالخصوص فى الأحكام ، وشهادتهم على فساد قول من قال : "حكم الآية الجاثية بحىء العموم على العموم ، ما لم يختص منها بعض ما عمته الآية . فإن خص منها بعض" ، فحكم الآية حينئذ على الخصوص فيما يخص منها ، وسائر ذلك على العموم .

وذلك أن جميع من ذكرنا قوله آنفاً — ممن عاب على بنى إسرائيل مسألتهم نبيهم صلى الله عليه وسلم عن صفة البقرة التى أمروا بذبجها وسينها وحليتها — رأوا أنهم كانوا فى مسألتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى ذلك مخطئين ، وأنهم لو كانوا استعرضوا أدنى بقرة من البقر — إذ أمروا بذبجها بقوله : « إن الله ٢٧٧/١ يأمركم أن تذبجوا بقرة » ، فذبجوها — كانوا للواجب عليهم من أمر الله فى ذلك

(١) الأثر : ١٢٤٧ — سيأتى تمامه فى رقم : ١٢٧٣ .

(٢) انظر ما مضى فى تفسير « الظاهر ، والباطن » : ١٥ : ٢ والمراجع

مؤدِّين ، وللحقِّ مُطيعين ، إذ لم يكن القومُ مُحْصَرُوا على نوع من البقر دون نوع ، وسنّ دون سنّ .

ورأوا مع ذلك أنّهم — إذ سألوا موسى عن سنّها فأخبرهم عنها ، وحصرهم منها على سنّ دون سنّ ونوع دون نوع ، وخصّ من جميع أنواع البقر نوعاً منها — كانوا في مسألتهم إتياءه في المسألة الثانية ، بعد الذي خصّ لهم من أنواع البقر ، من الخطأ على مثل الذي كانوا عليه من الخطأ في مسألتهم إتياءه المسألة الأولى .

وكذلك رأوا أنّهم في المسألة الثالثة على مثل الذي كانوا عليه من ذلك في الأولى والثانية ، وأنّ اللازم كان لهم في الحالة الأولى ، استعمالُ ظاهر الأمر ، وذبح أيّ بهيمة شأوا وما وقع عليها اسم بقرة .

وكذلك رأوا أنّ اللازم كان لهم في الحال الثانية ، استعمالُ ظاهر الأمر وذبح أيّ بهيمة شأوا وما وقع عليها اسم بقرة عوّان لا فارض ولا بكر ، ولم يروا أنّ حكمهم — إذ خصّ لهم بعض البقر دون البعض في الحالة الثانية — انتقل عن اللازم الذي كان لهم في الحالة الأولى ، من استعمال ظاهر الأمر إلى الخصوص .

ففي إجماع جميعهم على ما روينا عنهم من ذلك — مع الرواية التي رويناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموافقة لقولهم — دليلٌ واضح على صحة قولنا في العموم والخصوص ، وأنّ أحكام الله جل ثناؤه في آي كتابه — فيما أمر ونهى — على العموم ، ما لم يخصّ ذلك ما يجب التسليم له . وأنه إذا خصّ منه شيء ، فالخصوص منه خارجٌ حكمه من حكم الآية العامة الظاهر ، وسائر حكم الآية على ظاهرها العام — ومؤيدٌ حقيقة ما قلنا في ذلك ،^(١) وشاهدٌ عدلٌ على فساد قول من خالف قولنا فيه .

(١) في المطبعة : « ومؤيد حقيقة ما قلنا . . . » ، وهو خطأ ، وقوله « ومؤيد حقيقة ما قلنا » معطوف على قوله آنفاً : « ففي إجماع جميعهم . . . دليل واضح . . . ومؤيد حقيقة ما قلنا . . . وشاهد عدل . . . »

وقد زعم بعض من عظمت جهالته ، واشتدت حيرته ، أن القوم إنما سألوا موسى ما سألوا بعد أمر الله إياهم بذبح بقرة من البقر ، لأنهم ظنوا أنهم أمروا بذبح بقرة بعينها خُصَّت بذلك ، كما خُصَّت عصا موسى في معناها ، فسألوه أن يحلّيها لهم ليعرفوها .

ولو كان الجاهلُ تدبّر قوله هذا ، لسهل عليه ما استصعب من القول . وذلك أنه استعظم من القوم مسألتهم نبيهم ما سألوه تشدداً منهم في دينهم ، ثم أضاف إليهم من الأمر ما هو أعظم مما استنكره أن يكون كان منهم . فزعم أنهم كانوا يرون أنه جائز أن يفرض الله عليهم فرضاً ، ويتعبدّهم بعبادة ، ثم لا يبيّن لهم ما يفرض عليهم ويتعبدّهم به ، حتى يسألوا بيان ذلك لهم ! فأضاف إلى الله تعالى ذكره ما لا يجوز إضافته إليه ، ونسب القوم من الجهل إلى مالا يُنسب المجانين إليه ! فزعم أنهم كانوا يسألون ربهم أن يفرض عليهم الفرائض ، فنعوذ بالله من الخيرة ، ونسأله التوفيق والهداية .

• • •

وأما قوله : « إن البقر تشابه علينا » ، فإن « البقر » جماع بقرة . وقد قرأ بعضهم : « إن الباقر » ، وذلك — وإن كان في الكلام جائزاً ، لحيثه في كلام العرب وأشعارها ، كما قال ميمون بن قيس :^(١)
وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتْ الْمَاءَ بِأَقْرَ وَمَا إِنْ تَعَافَى الْمَاءُ إِلَّا لِيُضْرَبَا^(٢)

(١) يعني الأعشى الكبير .

(٢) ديوانه : ٩٠ ، والحيوان ١ : ١٩ (وانظر أيضاً ١ : ٣٠١ ، ٦ : ١٧٤) ، واللسان (ثور) وغيرها . من قصيدة يقولها لبني قيس بن سعد ، وما كان بينه وبينهم من قطعة بعد مواصلة ومودة ، وقبل البيت :

وَأَنْتِ وَمَا كَلَفْتُمُونِي — وَرَبِّكُمْ لَيَعْلَمَنَّ مَنْ أُنْسَى أَعَقَّ وَأَخْرَبَا
لَكَ الشَّوْرَ ، وَالْجَنَى يَضْرِبُ ظَهْرَهُ وَمَا ذَنْبُهُ إِنْ عَافَتْ الْمَاءَ مَشْرَبَا

قال الجاحظ : « كانوا إذا أوردوا البقر فلم تشرب ، إما لكدر الماء أو لقلّة العطش ، ضربوا الشور ليقتم الماء ، لأن البقر تنبجه كما تنبج الشول الفحل ، وكما تنبج أنثى الوحش الحمار . . . وكانوا يزعمون

وكما قال أمية : (١)

وَيَسُوقُونَ بِأَقْرِ السَّهْلِ لِلطَّوْدِ مَهَازِيلَ خَشْيَةً أَنْ تَبُورَ (٢)

— فغير جائزة القراءةُ به، لمخالفته القراءة الجاثية بحجي الحجة، بنقل مَنْ لا يجوز عليه — فيما نقلوه مجمعين عليه — الخطأ والسهو والكذب .

* * *

وأما تأويل قوله : « تَشَابَهَ عَلَيْنَا » ، فإنه يعنى به : التَّبَسَّسَ علينا . والقراءةُ مختلفة في تلاوته . (٣) فبعضهم كانوا يتلون : « تَشَابَهَ عَلَيْنَا » ، بتخفيف الشين ونصب الهاء ، على مثال « تفاعل » ، ويذكّر الفعل ، وإن كان « البقر » جماعاً . لأن من شأن العرب تذكير كل فعل جمع كانت وحْدَانُهُ بالهاء ، وجمعه بطرح الهاء — وتأنيسه ، (٤) كما قال الله تعالى في نظيره في التذكير : ﴿ كَانَهُمْ أَعْجَازٌ مِثْلُ مَنْقَعٍ ﴾ [سورة القمر : ٢٠] ، فذكر « المنقعر » وهو من صفة النخل ، للتذكير لفظ « النخل » — وقال في موضع آخر : ﴿ كَانَهُمْ أَعْجَازٌ مِثْلُ خَاوِيَةٍ ﴾ [سورة الحاقة : ٧] ، فأنث « الخاوية » — وهى من صفة « النخل » — بمعنى النخل . (٥) لأنها وإن كانت في لفظ الواحد المذكور — على ما وصفنا قبل — فهى جماع « نخلة » . أن الجن هى التى تصد الثيران عن الماء ، حتى تمسك البقر عن الشرب ، حتى تهلك . . . كانه قال : إذا كان يضرب أبداً لأنها عافت الماء ، فكأنها إنما عافت الماء ليضرب . (١)

(٢) ديوانه : ٣٥ ، والحيوان ٤ : ٦٧ ، والأزمنة والأمكنة ٢ : ١٢٤ ، وغيرها . وفي الأصل المطبوع : « باقر الطود السهل » ، وفي الديوان والحيوان « باقرًا يطرد السهل » ، وصواب الرواية ما أثبتته من الأزمنة . قال الجاحظ في ذكر نيران العرب : « ونار أخرى : وهى النار التى كانوا يستطرون بها في الجاهلية الأولى . فإنهم كانوا إذا تتابعت عليهم الأزمنة ، وركد عليهم البلاء ، واشتد الجذب ، واحتاجوا إلى الاستطمار ، اجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من البقر ، ثم عقدوا في أذنابها وبين عراقيها السلع والعشر ، ثم صنعوا بها في جبل وعرة ، وأشعلوا فيها النيران ، وضجروا بالدعاء والتضرع ، فكانوا يرون أن ذلك من أسباب السقيا » ، وقال ابن الكلبي : « كانوا يضرمون تهاؤلاً للبرق » والمهازيل جمع مهزول ، مثل هزيل وجمعه هزلى : وهى التى ضعفت ضعفاً شديداً وذهب سمها . وتبور : تهلك . (٣) في المطبوعة : « والقراء » ، وردتها إلى ما جرى عليه لفظ الطبرى ، كما سلف مراراً . (٤) وحدان جمع واحد : ويعنى أفراد . وقوله « وتأنيسه » معطوف على قوله « تذكير كل فعل » (٥) السياق : « فأنث (الخواوية) . . . بمعنى النخل » ، يعنى أنها من أجل معناه وهو جمع مؤنث ، ولم يذكره من أجل لفظه ، وهو مذكر .

وكان بعضهم يتلوه : « إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا » ، بتشديد الشين وضم الهاء ، فيؤنث الفعل بمعنى تأنيث « البقر » ، كما قال : « أعجازُ نخلٍ خاوية » ، ويدخل في أول « تَشَابَهُ » « تاء » تدل على تأنيثها ، ثم تُدغم التاء الثانية في « شين » « تشابه » لتقارب مخرجها ومخرج « الشين » ، فتصير « شيناً » مشددة ، وتُرفع « الهاء » بالاستقبال والسلامة من الجوازم والنواصب .

وكان بعضهم يتلوه : « إِنَّ الْبَقَرَ يَشَابَهُ عَلَيْنَا » ، فيخرج « يَشَابَهُ » مُخرج الخبر عن الذِّكْر ، لما ذكرنا من العلة في قراءة من قرأ ذلك « تَشَابَهُ » بالتخفيف ونصب « الهاء » ، غير أنه كان يرفعه بـ « الياء » التي يحدثها في أول « تَشَابَهُ » التي تأتي بمعنى الاستقبال ، وتدغم « التاء » في « الشين » كما فعله القارئ في « تَشَابَهُ » بـ « التاء » والتشديد .

قال أبو جعفر : والصواب في ذلك من القراءة عندنا : « إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا » ، بتخفيف « شين » « تَشَابَهُ » ونصب « هائه » ، بمعنى « تفاعل » ، لإجماع الحجة من القراءة على تصويب ذلك ، ودفعهم ما سواه من القراءات .^(١) ولا يُعترض على الحجة بقول مَنْ يجوز عليه فيما نقل السهو والغفلة والخطأ .

وأما قوله « وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ » ، فلأنهم عنوا : وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمَيِّسُونَ لَنَا مَا التَّبَسَّ عَلَيْنَا وَتَشَابَهُ مِنْ أَمْرِ الْبَقَرَةِ الَّتِي أَمَرْنَا بِذَبْحِهَا . ومعنى « اهتدائهم » في هذا الموضع معنى : « تبيئهم » أى ذلك الذى لزمهم ذبحه مما سواه من أجناس البقر .^(٢)

(١) في المطبعة : « ورفعهم » ، والصواب ما أثبتته .

(٢) يعنى أن ذلك من قولهم : هداه ، أى بين له ، ومنه قوله تعالى : « وَأَمَّا نَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ » ، أى بينا لهم طريق الهدى .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ
لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ ﴾

قال أبو جعفر : وتأويل ذلك : قال موسى : إن الله يقول إن البقرة التي
أمرتكم بذبحها بقرة لا ذلول^(١) . ويعنى بقوله : « لا ذلول^(٢) » ، أى لم يذلها العمل .
فمعنى الآية : إنها بقرة لم تذلها إثارة الأرض بأظلافها ، ولا سقّى عليها الماء^(٣)
فيُسقى عليها الزرع .^(١) كما يقال للدابة التي قد ذلّ لها الركوب أو العمل : « دابة
ذلّ بينة الذلّ » بكسر الهمزة .^(٢) ويقال في مثله من بنى آدم : « رجل ذليل
بين الذلّ والذلّة » .

١٢٤٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة
قوله : « إنها بقرة لا ذلول^(١) » ، يقول : صعبة لم يذلها عمل^(٢) ، « تثير الأرض ، ولا
تسقى الحرث^(٣) » .

١٢٤٩ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن
السدي : « إنها بقرة لا ذلول^(١) تثير الأرض » ، يقول : بقرة ليست بذلول يزرع
عليها ، وليست تسقى الحرث .

١٢٥٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن
الربيع ، عن أبي العالية : « إنها بقرة لا ذلول^(١) » ، أى لم يذلها العمل . « تثير الأرض »
يعنى : ليست بذلول فتثير الأرض . « ولا تسقى الحرث^(٢) » ، يقول : ولا تعمل في
الحرث .

١٢٥١ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن

(١) سنت الناقة تسنو ، وسنا الرجل يسنوسنواً وسناية : إذا سقى الأرض . والسانية : هي الناضحة ،
وهي الناقة أو غيرها مما يسقى عليها الزرع ، والجمع : السواني .
(٢) الذل : اللين ، ضد الصموبة .

الربيع : « إنها بقرة لا ذلول » ، يقول : لم يذلّها العمل ، « تُثِيرُ الأرض » ، يقول : تثير الأرض بأظلافها ، ^(١) « ولا تسقى الحرث » ، يقول : لا تعمل في الحرث .

١٢٥٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال الأعرج ، قال مجاهد ، قوله : « لا ذلول تُثِيرُ الأرض ولا تسقى الحرث » ، يقول : ليست بذلول فتفعل ذلك .

١٢٥٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن ٢٧٩/١ معمر ، عن قتادة : ليست بذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث .

* * *

قال أبو جعفر : ويعنى بقوله « تُثِيرُ الأرض » ، تقلب الأرض للحرث . يقال منه : « أثرت الأرض أثيرها إثارة » ، إذا قلبتها للزراع . وإنما وصفها جل ثناؤه بهذه الصفة ، لأنها كانت — فيما قيل — وَحْشِيَّة .

١٢٥٤ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا جوير ، عن كثير بن زياد ، عن الحسن قال : كانت وَحْشِيَّة . ^(٢)

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾

قال أبو جعفر : ومعنى « مُسَلَّمَةٌ » « مفعلة » من « السَّلَامَةُ » . يقال منه : « سَلَّمْتُ تُسَلِّمُ فهي مُسَلَّمَةٌ » .

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذى سَلَّمْتُ منه ، فوصفها الله بالسلامة منه . فقال مجاهد بما : —

١٢٥٥ — حدثنا به محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « مُسَلَّمَةٌ » ، يقول : مسلمة من الشَّيْءِ ، و« لا شَيْءَ فيها » ،

(١) في المطبعة : « تبين الأرض » ، وهو تصحيف .

(٢) الأثر : ١٢٥٤ — سلف قريباً برقم : ١٢٢١ .

لا يبايضَ فيها ولا سواد .

١٢٥٦ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد مثله .

١٢٥٧ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد : « مسلمة » ، قال : مسلمة من الشية ، « لاشية » فيها ، لا يبايضَ فيها ولا سواد .

• • •

وقال آخرون : مسلمة من العيوب * ذكر من قال ذلك :

١٢٥٨ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « مسلمة لاشية فيها » ، أى مسلمة من العيوب .

١٢٥٩ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « مسلمة » ، يقول : لا عيب فيها .

١٢٦٠ - حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « مسلمة » ، يعنى : مسلمة من العيوب .

١٢٦١ - حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بمثله .

١٢٦٢ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس قوله : « مسلمة » ، لا عوارَ فيها .^(١)

• • •

قال أبو جعفر : والذي قاله ابن عباس وأبو العالية ومن قال بمثل قولهما في تأويل ذلك ، أولى بتأويل الآية مما قاله مجاهد . لأن سلامتها لو كانت من سائر أنواع الألوان سوى لون جلدها ، لكان في قوله : « مسلمة » مكنتى عن قوله : « لاشية فيها » . وفي قوله « لاشية فيها » ، ما يوضح عن أن معنى قوله : « مسلمة » ، غير معنى قوله : « لاشية فيها » . وإذا كان ذلك كذلك ، فعنى الكلام : إنه

(١) العوار (بفتح العين ، وتضم) : العيب .

يقول إنها بقرة لم تُذَلَّلْهَا إِثَارَةُ الْأَرْضِ وَقَلْبُهَا لِلْحِرَاثَةِ، وَلَا السُّتُوُّ عَلَيْهَا لِلْمَزَارِعِ، ^(١) وهي مع ذلك صحيحةٌ مسلمةٌ من العيوب .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿لَاشِيَةً فِيهَا﴾

قال أبو جعفر: يعنى بقوله: « لاشية فيها »، لا لونَ فيها يخالف لونَ جلدها . وأصله من « وَشَى الثَّوبَ »، وهو تحسين عيوبه التى تكون فيه ، بضروب مختلفة من ألوان سدهاء ولُحْمَتِهِ. ^(٢) يقال منه: « وَشِبَ الثَّوبَ فَأَنَا أَشْيِهِ شِيَةً وَوَشِيًّا »، ومنه قيل للساعى بالرجل إلى السلطان أو غيره: « وَاشٍ »، لكذبه عليه عنده، وتحسينه كذبه بالباطيل . يقال منه: « وَشَيْتُ بِهِ إِلَى السُّلْطَانِ وَشَايَةً »، ومنه قول كعب بن زهير :

نَسَى الْوُشَاةُ جَنَابِيهَا، وَقَوْلُهُمْ: إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلَيْمٍ لَمَقْتُولٌ ^(٣)

و « الوُشَاةُ جمع واش »، يعنى أنهم يتقولون بالباطيل ، ويخبرونه أنه إن لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم قَتَلَهُ .

وقد زعم بعض أهل العربية أن « الوشَى »، العلامة . وذلك لا معنى له ، إلا أن يكون أراد بذلك تحسين الثَّوبِ بالأعلام . لأنه معلوم أن القائل: « وَشَيْتُ بِفُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ »، غيرُ جائز أن يُتَوَهَّم عليه أنه أراد: جعلت له عنده علامة .

(١) انظر ما سلف في هذا الجزء : ٢١١ تعليق : ١

(٢) السدى : الأسفل من الثوب ، واللحمة : الأعلى منه يداخل السدى .

(٣) ديوانه : ١٩ ، وسيرة ابن هشام : ٤ : ١٥٣ ، والروض الأنف : ٢ : ٣١٤ ، والفاثق (قحل) ، ورواية الديوان « بجنيها » ورواية ابن هشام : « تسمى القواة » . وقوله : « جنابها » . والجنا ب : الناحية ، ويريد ناحية الجنب . يقال : « جنبه » ، وجانبه ، وجنابيه . والضمير في قوله : « جنابها » لناقته التى ذكرها قبل . وقوله : « وقولهم : إنك ... » ، حال ، أى : وهم يقولون ، والمعنى يكثرُونَ القول عليه : إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول ، كأنهم لا يقولون غير ذلك ، ترهيباً له وتخويفاً .

ولأنما قيل : « لاشية فيها » وهى من « وَشَيْت » ، لأن « الواو » لما أسقطت من
 ٢٨٠/١ أولها أبدلت مكانها « الهاء » فى آخرها . كما قيل : « وَزَنَتْهُ زِنَةً » و « وَسِينَ سِينَةً »^(١)
 و « وَعَدْتُهُ عِدَةً » و « وَدَيْتُهُ دِيَةً » .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى معنى قوله : « لاشية فيها » ، قال أهل التأويل :

١٢٦٣ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن
 قتادة : « لاشية فيها » ، أى لا يياض فيها .

١٢٦٤ - حدثنا الحسن قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن
 قتادة مثله .

١٢٦٥ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن
 الربيع ، عن أبى العالية : « لاشية فيها » ، يقول : لا يياض فيها .

١٢٦٦ - حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ،
 عن ابن أبى نجيع ، عن مجاهد : « لاشية فيها » ، أى لا يياض فيها ولا سواد .

١٢٦٧ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن
 ابن أبى نجيع ، عن مجاهد مثله .

١٢٦٨ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن
 عطية : « لاشية فيها » ، قال : لونها واحد ، ليس فيها سِوَى لونها .

١٢٦٩ - حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن
 السدى : « لاشية فيها » ، من يياض ولا سواد ولا حمرة .

١٢٧٠ - حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال
 ابن زيد : « لاشية فيها » ، هى صفراء ، ليس فيها يياض ولا سواد .

١٢٧١ - حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن
 الربيع : « لاشية فيها » ، يقول : لا يياض فيها .

* * *

(١) فى المطبعة : « ووسيته سية » ، وهو كلام لا أصل له ، وكأنه مصحف ما أثبت .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قَالُوا أَلَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ قَالُوا أَلَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾ . فقال بعضهم : معنى ذلك : الآن بينت لنا الحق ، فتييناه ، وعرفنا آية بقرة عيّنت .^(١) ومن قال ذلك ، قتادة :

١٢٧٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قالوا الآن جئت بالحق » ، أى الآن بينت لنا .

* * *

وقال بعضهم : ذلك خبر من الله جل ثناؤه عن القوم أنهم نسبوا نبي الله موسى صلوات الله عليه ، إلى أنه لم يكن يأتيهم بالحق في أمر البقرة قبل ذلك . ومن روى عنه معنى هذا القول ، عبد الرحمن بن زيد :

١٢٧٣ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : اضطروا إلى بقرة لا يعلمون على صفتها غيرها ، وهى صفراء ليس فيها سواد ولا بياض ، فقالوا : هذه بقرة فلان : « الآن جئت بالحق » ، وقبل ذلك والله قد جاءهم بالحق .^(٢)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين عندنا بقوله : « قالوا الآن جئت بالحق » ، قول قتادة . وهو أن تأويله : الآن بينت لنا الحق في أمر البقر ، فعرفنا أيها الواجب علينا ذبحها منها .^(٣) لأن الله جل ثناؤه قد أخبر عنهم أنهم قد أطاعوه فذبحوها ، بعد

(١) في المطبوعة : « فتييناه وعرفناه أنه بقرة عيّنت » ، تصحيف وتحريف ، وهو فاسد جداً . مضى في ص : ٢٠٩ نقض الطبري لقول من زعم أنهم ظنوا أنهم أمروا بذبح بقرة بميئها . فسألوه أن يصفها لهم ليعرفوها ، وسعى قائل ذلك : جاهلاً ، وشئ في بيان جهله ، فلو كان الله تعالى « عيئها » لهم ، لبين لهم ما عين ، إذا أمر بذبحها .

(٢) الأثر : ١٢٧٣ — بعض الأثر : ١٢٤٧ ، وهنا زيادة عليه من تمامه .

(٣) في المطبوعة : « الآن بينت لنا الحق في أمر البقرة ، فعرفنا أنها الواجب علينا ذبحها منها » ، و « البقرة » و « أنها » تصحيف وتحريف ، يفسد معنى ما قال الطبري آنفاً ص : ٢٠٩ ، وما سيأتى بعد هذه الجملة . وانظر التعليق السالف رقم : ١

قيلهم هذا . مع غِلْظِ مؤونة ذَبَحْهَا عليهم ، وثِقَلِ أمرها ، فقال : « فذَبَحُوهَا وما كَادُوا يفعلون » ، وإن كانوا قد قالوا — بقولهم : الآن بينت لنا الحق — هراءً من القول ، وأتوا خطأً وجَهلاً من الأمر . وذلك أن نبيَّ الله موسى صلى الله عليه وسلم كان مَبِيناً لهم — في كل مسألة سألوها إياه ، وردُّ رادُّوه في أمر البقر — (١) الحق . وإنما يقال : « الآن بينت لنا الحق » ، لمن لم يكن مَبِيناً قبلَ ذلك ، فأما من كان كُلِّ قِيلِه — فيما أبانَ عن الله تعالى ذكره — حقاً وبيانا ، فغير جائز أن يقال له = في بعض ما أبانَ عن الله في أمره ونهيه ، وأدَّى عنه إلى عباده من فرائضه التي أوجبها عليهم = : « الآن جئت بالحق » ، كأنه لم يكن جَاءهم بالحق قبل ذلك !

وقد كان بعض من سَلَفِ يزُعمُ أن القوم ارتدُّوا عن دينهم وكفروا بقولهم لموسى : « الآن جئت بالحق » ، ويزعم أنهم نفَّوا أن يكون موسى أتاها بالحق في أمر البقرة قبل ذلك ، وأن ذلك من فعلهم وقيلهم كفر .

وليس الذي قال من ذلك عندنا كما قال ، لأنهم أذعنوا بالطاعة بذبحها ، وإن كان قيلهم الذي قالوه لموسى جَهْلَةً منهم ، وهَفْوَةً من هَفَواتهم . ٢٨١/١

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « فذَبَحُوهَا » ، فذبح قوم موسى البقرة ، التي وَصَفَهَا الله لهم وأمرهم بذبحها . ويعنى بقوله : « وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ » ، أى : قاربوا أن يدعوا ذبحها ، ويتركوا فرض الله عليهم في ذلك .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل في السبب الذى من أجله كادوا أن يُضَيِّعُوا فرض الله عليهم ، في ذبح ما أمرهم بذبحه من ذلك . فقال بعضهم : ذلك السبب كان (١) السياق : « كان مَبِيناً لهم . . . الحق » ، ما بينهما فصل ، كما دته في الفصل .

غلاء ثمن البقرة التي أمرُوا بذبحها ، وُبيئت لهم صفتها . ذكر من قال ذلك :
 ١٢٧٤ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا
 أبو معشر المدني ، عن محمد بن كعب القرظي في قوله : « فذبحوها وما كادوا يفعلون »
 قال : لغلاء ثمنها .

١٢٧٥ - حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد اللّٰه قال ، حدثنا عبد العزيز
 ابن الخطاب قال ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي : « فذبحوها
 وما كادوا يفعلون » ، قال : من كثرة قيمتها .^(١)

١٢٧٦ - حدثنا القاسم قال ، أخبرنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن
 ابن جريج ، عن مجاهد - وحجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي
 ومحمد بن قيس - في حديث فيه طول ، ذكر أن حديث بعضهم دخل في حديث
 بعض - قوله : « فذبحوها وما كادوا يفعلون » ، لكثرة الثمن ، أخذوها بملء
 مَسْكُهَا ذهباً من مال المقتول ،^(٢) فكان سواءً ، لم يكن فيه فضل ، فذبحوها .

١٢٧٧ - حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ،
 عن الضحاك ، عن ابن عباس : « فذبحوها وما كادوا يفعلون » ، يقول : كادوا
 لا يفعلون ، ولم يكن الذي أرادوا ، لأنهم أرادوا أن لا يذبحوها : وكل شيء في
 القرآن « كاد » أو « كادوا » أو « لو » ، فإنه لا يكون . وهو مثل قوله :
 ﴿ أَكَادُ أَخْفِيهَا ﴾ [سورة طه : ٢٠]

وقال آخرون : لم يكادوا أن يفعلوا ذلك خوف الفضيحة ، إن أطلع الله على

(١) الخبر : ١٢٧٥ - محمد بن عبد الله بن عبيد بن حنبل بن عيينة بن علقم الطبري : ثقة ، روى
 عنه أيضاً أبو داود والنسائي وابن ماجة وغيرهم . مترجم في التهذيب ، ولم أجده له ترجمة في غيره . عبد العزيز
 ابن الخطاب الكوفي أبو الحسن : ثقة ، روى عنه أبو زرعة وأبو حاتم وغيرهما ، مترجم في التهذيب ،
 وابن أبي حاتم ٣٨١/٢/٢ . أبو معشر - هو مجيع - يفتح النون - بن عبد الرحمن السدوسي - بكسر
 السين - المدني ، وهو ضعيف . البخاري في الكبير ١١٤/٢/٤ ، وقال : « منكر الحديث » . وابن
 أبي حاتم ٤٩٥/١/٤ . محمد بن كعب القرظي : تابعي ثقة معروف .
 (٢) المسك (يفتح فسكون) : جلد البقرة وغيرها من الحيوان .

قاتل القتل الذى اختصموا فيه إلى موسى .

قال أبو جعفر : والصواب من التأويل عندنا : أن القوم لم يكادوا يفعلون ما أمرهم الله به من ذبح البقرة ، للخلتين كلتيهما : إحداهما : غلاء ثمنها ، مع ما مذكر لنا من صغر خطرها وقلة قيمتها ؛ والأخرى : خوف عظيم الفضيحة على أنفسهم ، بإظهار الله نبيّه موسى صلوات الله عليه وأتباعه — على قاتله .

فأما غلاء ثمنها ، فإنه قد روى لنا فيه ضروب من الروايات :

١٢٧٨ — فحدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى . قال : اشتروها بوزنها عشر مرات ذهباً ، فباعهم صاحبها إياها وأخذ ثمنها .

١٢٧٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال : حدثنا المعتمر بن سليمان قال ، سمعت أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة قال : اشتروها بملء جلد لها دنانير . ١٢٨٠ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : كانت البقرة لرجل يبرأ أمّه ، فرزقه الله أن جعل تلك البقرة له ، فباعها بملء جلد لها ذهباً .

١٢٨١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل قال ، حدثني خالد بن يزيد ، عن مجاهد قال : أعطوا صاحبها ملء مسكها ذهباً فباعها منهم .

١٢٨٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم قال ، حدثني عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهباً يقول : اشتروها منه على أن يملأوا له جلد لها دنانير ، ثم ذبحوها فعمدوا إلى جلد البقرة فملأوه دنانير ، ثم دفعوها إليه .

١٢٨٣ — حدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال ، حدثني عمي (١)

(١) في المطبوعة : « محمد بن سعيد قال حدثني أبي ، قال حدثني يحيى » ، وهذا ، خطأ ، والصواب ما أثبتته . وقد مضى الكلام على هذه الإسناد وفي ١ : ٢٦٣ - ٢٦٤ ، وهو كثير الدوران في تفسير الطبري ، وسيأتي بعد في رقم ١٢٩٠ على الصواب .

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : وجدوها عند رجل يزعم أنه ليس بائعها بمال أبداً ، فلم يزالوا به حتى جعلوا له أن يسلموها له مسمكها ٢٨٤/١ فيملأوه له دنانير ، فرضى به ، فأعطاهم إياها .

١٢٨٤ - حدثني الثني قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية قال : لم يجدوها إلا عند عجوز ، ولما سألتهم أضعاف ثمنها ، فقال لم موسى : أعطوها رضاها وحكمها . ففعلوا ، واشتروها فذبحوها .

١٢٨٥ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، قال أيوب ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة قال : لم يجدوا هذه البقرة إلا عند رجل واحد ، فباعها بوزنها ذهباً - أو ملء مسمكها ذهباً - فذبحوها .

١٢٨٦ - حدثني الثني قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن هشام ابن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة السلماني ، قال : وجدوا البقرة عند رجل ، فقال : إني لا أبيعها إلا بملء جلدها ذهباً : فاشتروها بملء جلدها ذهباً .

١٢٨٧ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : جعلوا يزيدون صاحبها حتى ملأوا له مسمكها - وهو جلدها - ذهباً .

* * *

وأما صِغَرِ خَطَرِهَا وقلة قيمتها ، فإن الحسن بن يحيى :-

١٢٨٨ - حدثنا قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة قال ، حدثني محمد بن سوقة ، عن عكرمة قال : ما كان ثمنها إلا ثلاثة دنانير .

* * *

وأما ما قلنا من خوفهم الفضيحة على أنفسهم ، فإن وهب بن منبه كان يقول : إن القوم إذ أمروا بذبح البقرة ، إنما قالوا لموسى : «أنتخذنا هزوا» ، لعلمهم بأنهم سيفتضحون إذا ذبحت ، فحادوا عن ذبحها .

١٢٨٩ - حدثت بذلك عن إسماعيل بن عبد الكريم ، عن عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبه .

وكان ابن عباس يقول : إن القوم ، بعد أن أحيا الله الميت فأخبرهم بقاتله ،

أنكرت قَتَلْتُهُ قتلَه ، فقالوا : والله ما قتلناه ؛ بعد أن رأوا الآية والحق .

١٢٩٠ - حدثني بذلك محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءُتُمْ فِيهَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا » ، واذكروا يا بنى إسرائيل إذ قتلتم نفساً . « والنفس » التى قتلوها ، هى النفس التى ذكرنا قصتها فى تأويل قوله : « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً » .

* * *

وقوله : « فَادَّارَءُتُمْ فِيهَا » ، يعنى : فاختلغتم وتنازعتم . وإنما هو « فَنَدَّارَءُتُمْ فِيهَا » على مثال « تفاعلم » ، من الدَّرء . و « الدَّرء » العَوَج ، ومنه قول أبى النجم العجلي :
خَشِيَّةٌ ضَغَامٍ إِذَا هُمْ جَسَرُ يَأْكُلُ ذَا الدَّرءِ وَيُقِصِي مَنْ حَقَرُ^(١)
يعنى : ذا العِوَج والعُسْر . ومنه قول رؤبة بن العجاج :

أَذْرَكْتَهَا قَدَامَ كُلِّ مِذْرَةٍ بِالْدَّفْعِ عَنِّي دَرءُ كُلِّ عُنْجُو^(٢)

(١) لم أجِد البيت فى مكان ، وكان فى المطبعة :

« خَشِيَّةٌ ضَغَامٍ إِذَا هُمْ حَسَرُ »

وهو كلام مختل . والضغام من الضغم : وهو أن يملأفه ما أهوى إليه . وجسر يحسر جسوراً وجسارة : مضى وفقد من شدة إقدامه .

(٢) ديوانه : ١٦٦ من قصيدة يصف بها نفسه . والضمير فى قوله : « أذركها » إلى ما سبق فى رجزه .

« وَحَقَّةٌ لَيْسَتْ بِقَوْلِ الثَّرَّةِ »

وقوله : « حَقَّة » ، يعنى خصومة أو منافرة أو مفاخرة ، أو ما أشبه ذلك . والمدره : هو المدافع الذى يقدم عند الخصومة ، بلسان أو يد . والمنجى والمنجى : ذو الكبر والعظمة حتى كاد يبلغ الجهل والحمق . ومنته المنجى .

ومنه الخبر الذى : —

١٢٩١ — حدثنا به أبو كريب قال، حدثنا مصعب بن المقدم، عن إسرائيل، عن إبراهيم بن المهاجر، عن مجاهد، عن السائب قال : جاءني عُثمانُ وزهير ابنا أمية، فاستأذنا لى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أعلم به منكما، ألم تكن شريكى فى الجاهلية ؟ قلت : نعم، بأبى أنت وأمى، فنعيم الشريك كنت لا تُمارى ولا تُدارى. (١)

(١) الحديث : ١٢٩١ — فى هذا الإسناد ضعف، وفى الحديث نفسه اضطراب، كما سيأتى : أبو كريب : هو محمد بن العلاء بن كريب الحافظ، ثقة كبير، من شيوخ أصحاب الكتب الستة، روى عنه الطبرى كثيراً. مات سنة ٢٤٨. مصعب بن المقدم الخثعمى : ثقة، وضعفه بعضهم، وأخرج له مسلم فى صحيحه، مترجم فى التهذيب، والكبير للبخارى ٣٥٤/١/٤، وابن أبى حاتم ٣٠٨/١/٤ إسرائيل : هو ابن يونس بن أبى إسحق السبيعي، وهو ثقة حافظ معروف. إبراهيم بن المهاجر بن جابر البجلي : ثقة، تكلم فيه بغير حجة، وأخرج له مسلم. مترجم فى التهذيب، والكبير للبخارى ٣٢٨/١/١، وصرح بأنه سمع مجاهدًا، وابن أبى حاتم ١٣٢/١/١ — ١٣٣. السائب : صحابي — كما هو ظاهر من هذا الحديث وغيره، واختلف فيه كثيراً، فقليل : « السائب بن أبى السائب صفي بن عائد . . . »، وقيل : « السائب بن عبد الله المخزومي »، بل قيل أيضاً : « قيس بن السائب » ! والذى جزم به البخارى فى الكبير ١٥٢/٢/٢ واقتصر عليه : « السائب بن أبى السائب القرشي المكي، له صحبة . . . وكذلك صنع بن أبى حاتم ٢٤٢/١/٢، وقال : « منهم من يقول : له صحبة، ومنهم من يقول : لأبيه صحبة . روى عنه مجاهد . يقال : إنه مولى مجاهد من فوق . وفى الإصابة ٣ : ٦٠ فقلا عن ابن أبى شيبه، أنه روى من طريق يونس بن خباب عن مجاهد : « كنت أقود السائب، فيقول لى : يا مجاهد . . . » . ولو صح هذا لثبت اتصال الإسناد، لكن يونس بن خباب ضعيف .

والحديث روى أحمد فى المسند : ١٥٥٦٦ (٣ : ٤٢٥ حابى) نحو معناه، بزيادة ونقص، عن أسود بن عامر، عن إسرائيل، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، « عن السائب بن عبد الله »، ثم روى بعده مثله، بمعناه، مطولاً ومختصراً، من طرق، وفى بعضها « عن مجاهد، عن قائد السائب، عن السائب » .

وروى أبو داود : ٤٨٣٦، نحوه، من طريق الثورى، عن إبراهيم بن المهاجر، عن مجاهد، عن قائد السائب، عن السائب. وقال المنذرى فى تهذيب السنن : ٤٦٦٩ « وأخرجه النسائى وابن ماجه . . . وهذا الحديث قد اختلف فى إسناده اختلافاً كثيراً . وذكر أبو عمر يوسف بن عبد البر العنبري : أن هذا الحديث مضطرب جداً . . . وهذا الاضطراب لا تقوم به حجة » .

وقد وقع فى متن الحديث هنا خطأ، لا ندرى : أهو من الرواية، أم من النسخين . وذلك قوله « جاءني عُثمانُ وزهير ابنا أمية » . فلا يوجد فى الصحابة من يسمى بهذا ولا بذلك . والصواب ما فى رواية المسند : ١٥٥٦٦ « جاءني عُثمانُ بن عفان، وزهير » . وزهير : هو ابن أبى أمية، أخو أم سلمة، أم المؤمنين، وهى بنت أبى أمية . كما بين ذلك فى الإصابة ٣ : ١٣ — ١٤، إذ قال : « وروى ابن مندة من طريق

يعنى بقوله « لا تُدَارَى » ، لا تخالف رفيقك وشريكك ولا تنازعه ولا تُشارُهُ .

ولإنما أصل «فَادَارَآتُمْ» ، فتدارأتم ، ولكن التاء قريبة من مخرج الدال - وذلك أن مخرج التاء من طرف اللسان وأصول الشفتين ، ومخرج الدال من طرف اللسان وأطراف الشفتين - فأدغمت التاء في الدال ، فجعلت دالاً مُشدّدة كما قال الشاعر :

٢٨٣/١ تُولِي الضَّجِيعَ إِذَا مَا اسْتَقَافَهَا حَصِيراً ، عَذَبَ الْمَذَاقِ ، إِذَا مَا أَتَابَعَ الْقُبْلَ (١)

يريد : إذا ما تتابع القُبْل ، فأدغم إحدى التائين في الأخرى . فلما أدغمت التاء في الدال فجعلت دالاً مثلها ، سَكَنْت ، فجلبوا ألفاً ليصلوا إلى الكلام بها ، وذلك إذ كان قبله شيء ، لأن الإدغام لا يكون إلاً وقبله شيء ، ومنه قول الله جل ثناؤه : ﴿ حَتَّى إِذَا اذْأَرَكَوْا فِيهَا جَمِيعاً ﴾ [سورة الأعراف : ٣٨] ، وإنما هو « تَدَارَكُوا » ، ولكن التاء منها أدغمت في الدال ، فصارت دالاً مُشدّدة ، وجعلت فيها ألف - إذ وُصِلَتْ بكلام - قبلها ليسلم الإدغام . وإذا لم يكن قبل ذلك ما يُواصله وابتدئ به ، قيل : تَدَارَكُوا ، وثاقلوا ، فأظهروا الإدغام . وقد قيل يقال : « ادَّارَكُوا ، وادَّارَأُوا » .

وقد قيل إن معنى قوله : «فَادَارَآتُمْ فِيهَا» ، فتدافعتم فيها . من قول القائل : «درأت هذا

الأمر عني» ، ومن قول الله ﴿ وَيَذَرُ عَنْهَا الْعَذَابَ ﴾ [سورة النور : ٨] ، بمعنى

مجاهد ، عن السائب شريك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ذهب بي عثمان ، وزهير بن أبي أمية . . . » وانظر نسب قريش للمصعب ، ص : ٣٣٣ . حيث جزم بأن « السائب بن أبي السائب صبي » قتل يوم بدر كافراً ؛ وانظر أيضاً الإشارة إلى أصل القصة في الإصابة ٣ : ١٣ - ١٤ ، ٦٠ ، و ٤ : ٧٤ ، و ٥ : ٢٥٣ - ٢٥٤ . والموضوع لا يزال محتاجاً إلى تحقيق وبحث .

(١) لم أعرف قائله ، وسيأتي في ١٠ : ٩٤ (بولاق) ، وفي المطبوعة هنا « اشتاقها » وهو خطأ والصحيح ما أثبتته من هناك . وساف الشيء يسوفه سوفاً واستافه : دنا منه وشبه . واستماره للقبلة ، كما استماروا الشم للقبلة ، لأن ذنؤ الأنف يسبق ما أراد المريد . قال الراعي يصف ما يصف من القبلة :

يَشْنِي مُسَاوِفُهَا غُضْرُوفَ أَرْزَنْبَةٍ كَمَاءٍ ، مِنْ رَخْصَةٍ فِي جِيدِهَا غَيْدُ

قال الزمخشري : «سافوها» ضاجعتها ، ولكنه في البيت : الذي يقبل .

يدفع عنها العذاب وهذا قولٌ قريبٌ المعنى من القول الأول لأن القوم إنما تدافعوا قَتْلَ قتيل، فانتفى كل فريق منهم أن يكون قاتِلَه، كما قد بينا قبلُ فيما مضى من كتابنا هذا ^(١) وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله : « فادَّارَأْتُمْ فيها » قال أهل التأويل :

١٢٩٢ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثني عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « فادَّارَأْتُمْ فيها » ، قال : اختلفتم فيها .

١٢٩٣ - حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح . عن مجاهد مثله .

١٢٩٤ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج . « وإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فادَّارَأْتُمْ فيها » ، قال بعضهم : أنتم قتلتموه . وقال الآخرون : أنتم قتلتموه

١٢٩٥ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فادَّارَأْتُمْ فيها » ، قال : اختلفتم . وهو التنازع . تنازعوا فيه قال : قال هؤلاء : أنتم قتلتموه . وقال هؤلاء لا .

* * *

وكان تدارؤهم فى النفس التى قتلوها كما : -

١٢٩٦ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : صاحب البقرة رجلٌ من بنى إسرائيل ، قتله رجلٌ فألقاه على باب ناس آخرين ، فجاء أولياءُ المقتول فادَّعوا دمه عندهم ، فانتفوا - أو انتفلوا - منه . شك أبو عاصم ^(٢) .

١٢٩٧ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

(١) انظر ما سلف رقم : ١١٧٢ ، ١١٨٠ .

(٢) انتقل من الشيء : انتفى من وتبرأ ، وأنكر أن يكون فعله أو عرفه وفى حديث ابن عمر :

« إن فلاناً انتفل من ولده » أى تبرأ منه .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بمثله سواء — إلا أنه قال : فادّعوا دّمه عندهم فانتفّسوا — ولم يشك — منه . (١)

١٢٩٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : قَتِيلٌ كان في بني إسرائيل . فَقَذَفَ كل سبط منهم [سبطاً به] ، (٢) حتى تفاقم بينهم الشرُّ ، حتى ترفعوا في ذلك إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم . فأوحى الله إلى موسى : أن اذبح بقرة فاضربه ببعضها . فذكر لنا أن وليه الذي كان يطلب بدّمه هو الذي قتله ، من أجل ميراث كان بينهم .

١٢٩٩ — حدثني ابن سعد قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في شأن البقرة . وذلك أن شيخاً من بني إسرائيل على عهد موسى كان مكرراً من المال وكان بنو أخيه فقراء لا مال لهم ، وكان الشيخ لا ولد له ، وكان بنو أخيه وركتته . فقالوا ليت عمنا قد مات فورثنا ماله ! وأنه لما تطاول عليهم أن لا يموت عمهم ، أتاهم الشيطان فقال : هل لكم إلى أن تقتلوا عمكم ، فترثوا ماله ، وتغريموا أهل المدينة التي لستم بها ديتة ؟ — وذلك أنهما كانتا مدينتين ، كانوا في إحداهما ، فكان القتل إذا قُتل وطُرح بين المدينتين ، قيس ما بين القتل وبين المدينتين ، فأيهما كانت أقرب إليه غرمت الدية — وأنهم لما سؤل لهم الشيطان ذلك ، وتطاول عليهم أن لا يموت عمهم ، عملوا إليه فقتلوه ، ثم عملوا فطرحوه على باب المدينة التي ليسوا فيها . فلما أصبح أهل المدينة ، جاء بنو أخى الشيخ فقالوا : عمنا ، قُتل على باب مدينتكم ، فوالله لتغرمُن لنا دية عمنا . قال أهل المدينة : نقسم بالله ما قتلنا ولا علمنا قاتلاً ، ولا فتحنا باب مدينتنا منذ أغلق حتى أصبحنا . وأنهم عملوا إلى موسى ، فلما أتوا قال بنو أخى الشيخ : عمنا وجدناه مقتولاً على باب مدينتهم . وقال أهل المدينة : نقسم بالله ما قتلناه ، ولا فتحنا باب المدينة من حين أغلقناه حتى أصبحنا . وأن جبريل جاء بأمر ربنا السميع العليم إلى موسى ،

(١) في المطبوعة : « ولم يشك فيه » ، وهو خطأ وتصحيح . « لم يشك » فاصلة بين الفعل وسرفه .

(٢) الزيادة بين القوسين ، لا بد منها ليستقيم معناه ، وأخشى أن يكون كان في الأصول

تحريف لم أثر حل صوابه .

فقال : قل لهم : إن الله يأمرُكم أن تذبّحوا بقرة فتضربوه ببعضها .

١٣٠٠ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا حسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد - وحجاج ، عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس - دخل حديث بعضهم في حديث بعض ، قالوا : إن سيّطاً من بني إسرائيل ، لما رأوا كثرةَ شرور الناس ، بنوا مدينة فاعتزلوا شرور الناس ، فكانوا إذا أمسوا لم يتركوا أحد منهم خارجاً إلا أدخلوه ، وإذا أصبحوا قام رئيسهم فنظر وتشرّف ، ^(١) فإذا لم ير شيئاً فتح المدينة ، فكانوا مع الناس حتى يُمسوا . وكان رجل من بني إسرائيل له مال كثير ، ولم يكن له وارثٌ غيرُ ابن أخيه ، فطالَ عليه حياته ، فقتله ليرثه ، ثم حمله فوضعه على باب المدينة ، ثم كَمَنَ في مكان هو وأصحابه . قال : فتشرّف رئيس المدينة على باب المدينة ، فنظر فلم ير شيئاً . ففتح الباب ، فلما رأى القتيْلَ ردَّ الباب : فناداه ابن أخى المقتول وأصحابه : هيات ! قتلتموه ثم تردّون الباب ؟ وكان موسى لما رأى القتلَ كثيراً في أصحابه بني إسرائيل ، ^(٢) كان إذا رأى القتيْلَ بينَ ظَهريّ القوم . أخذَهم . فكاد يكون بين أخى المقتول وبين أهل المدينة قتال ، حتى لبس الفريقان السلاح ، ثم كف بعضهم عن بعض . فأتوا موسى فذكروا له شأنهم ، فقالوا : يا رسول الله ، إن هؤلاء قتلوا قتيلاً ثم ردّوا الباب . وقال أهل المدينة : يا رسول الله ، قد عرفت اعتزالنا الشرورَ ، وبنيّنا مدينة - كما رأيت - نعتزلُ شرورَ الناس ، ما قتلنا ولا علمنا قاتلاً . فأوحى الله تعالى ذكره إليه : أن يذبّحوا بقرةً ، فقال لهم موسى : إن الله يأمرُكم أن تذبّحوا بقرة .

١٣٠١ - حدثني الثني قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة قال : كان في بني إسرائيل رجل عقيمٌ وله مال كثير ، فقتله ابن أخ له ، فجرّه فألقاه على باب ناس آخرين .

(١) تشرف الشيء واستشفه : وضع يده على حاجبه كالذى يستظل من الشمس ، حتى يبصره ويستبينه .

(٢) لعل الصواب : « كثر في أصحابه » .

ثم أصبحوا ، فادّعاه عليهم ، حتى تسلّح هؤلاء وهؤلاء ، فأرادوا أن يقتلوا ، فقال ، ذور النّهي منهم : أتقتلون وفيكم نبي الله ؟ فأمسكوا حتى أتوا موسى ، فقصّوا عليه القصة ، فأمرهم أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها ، فقالوا : اتخذنا هزواً؟ قال : أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين .

١٣٠٢ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : قُتِلَ من بني إسرائيل ، طُرح في سِبط من الأسباط ، فأتى أهل ذلك السبط إلى ذلك السبط فقالوا : أنتم والله قتلتم صاحبنا . فقالوا : لا والله . فأتوا إلى موسى فقالوا : هذا قتلنا بين أظهرهم ، وهم والله قتلوه . فقالوا : لا والله يا نبي الله ، طُرح علينا . فقال لهم موسى صلى الله عليه وسلم : إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة .

قال أبو جعفر : فكان اختلافهم وتنازُعهم وخصامُهم بينهم - في أمر القتل الذي ذكرنا أمره ، على ما روينا عن علمائنا من أهل التأويل - هو « الدَّرء » الذي قال الله جل ثناؤه لذريّتهم وبقايا أولادهم : « فادّارأتم فيها والله مُخرجٌ ما كنتم تكتمون » .

القول في تأويل قوله ﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (٧٧)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « والله مُخرجٌ ما كنتم تكتمون » ، والله معلن ٢٨٥/١ ما كنتم تُسِرُّونه من قتل القتل الذي قتلتم ، ثم ادارأتم فيه .

ومعنى « الإخراج » - في هذا الموضع - الإظهار والإعلان لِمَنْ خفي ذلك عنه ، وإطلاعهم عليه ، كما قال الله تعالى ذكره : ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [سورة النحل : ٢٧] ، يعنى بذلك : يُظهره ويطلعُ به من تخبئه بعد خفائه .

والذي كانوا يكتُمونه فأخرجه ، هو قتلُ القاتلِ القتل . لما كنتم ذلك ،

القاتلُ وَمَنْ عَلِمَهُ مِنْ شَايعِهِ عَلَى ذَلِكَ ، ^(١) حَتَّى أَظْهَرَهُ اللَّهُ وَأَخْرَجَهُ ، فَأَعْلَنَ أَمْرَهُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ أَمْرَهُ .

• • •

وعنى جل ، ذكره بقوله : « تَكْتُمُونَ » ، تُسِرُّونَ وَتُغَيِّبُونَ ، كما : -

١٣٠٣ - حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ،

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ » ، قال : تُغَيِّبُونَ .

١٣٠٤ - حدثني المنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ » ، مَا كُنْتُمْ تُغَيِّبُونَ .

• • •

القول فى تاويل قوله تعالى ﴿ قُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ذكره بقوله : « قُلْنَا » ، قُلْنَا لِقَوْمِ مُوسَى الَّذِينَ إِدَارُوا

فِى الْقَتِيلِ ^(٢) - الذى قد تقدم وصفنا أمره - : اضربوا القَتِيلَ . و « الهاء » التى

فى قوله : « اضربوه » ، من ذكر القَتِيلِ ، « ببعضها » أى : ببعض البقرة التى أمرهم الله بذبحها فذبحوها .

• • •

ثم اختلف العلماء فى البعض الذى ضرب به القَتِيلَ من البقرة ، وأى عضو

كان ذلك منها . فقال بعضهم : ضرب بفخذ البقرة القَتِيلَ . ذكر من قال ذلك :

١٣٠٥ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : ضرب بفخذ البقرة فقام حيًّا ، فقال : قَتَلْنِي فلان . ثم عاد فى ميته .

(١) « ذلك » فى قوله : « لما كَمَ ذلك » مفعول ، هو كناية عن قوله : « هو قتل القاتل القَتِيلَ »

(٢) فى المطبوعة : « . . . بقوله قُلْنَا لِقَوْمِ مُوسَى » ، والصواب زيادة لفظ الآية ، كما فعلت .

١٣٠٦ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد قال : **ضُرب بفخذ البقرة** ، ثم ذكر مثله .

١٣٠٧ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح ، عن النضر بن عربي ، عن عكرمة : **« فقلنا اضربوه ببعضها »** ، قال : بفخذها ، فلما **ضُرب** بها **عاش** ، وقال : **قتلني فلان** . ثم عاد إلى حاله .^(١)

١٣٠٨ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن خالد بن يزيد ، عن مجاهد قال : **ضُرب بفخذها الرجل** ، فقام **حيًا** فقال : **قتلني فلان** . ثم عاد في **ميتته** .

١٣٠٩ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، قال أيوب ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة : **ضُربوا المقتول ببعض لحمها** - وقال معمر ، عن قتادة - : **ضُربوه بلحم الفخذ فعاش** ، فقال : **قتلني فلان** .

١٣١٠ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : **ذكر لنا أنهم ضُربوه بفخذها** ، فأحياء الله فأنبأ بقاتله الذي قتله ، وتكلم ثم مات .

وقال آخرون: الذي **ضُرب به** منها ، هو **البضعة** التي بين الكتفين .^(٢)

• ذكر من قال ذلك :

١٣١١ - حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : **« فقلنا اضربوه ببعضها »** ، فضُربوه **بالبضعة** التي بين الكتفين فعاش ، فسأله : **من قتلك ؟ فقال لهم : ابن أخي** .

(١) الخبر : ١٣٠٧ - النضر بن عربي الباهل : ثقة من أتباع التابعين ، وثقه ابن معين وغيره ، مات سنة ١٦٨ ، مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٨٩/٢/٤ ، وابن أبي حاتم ٤٧٥/١/٤ .

(٢) البضعة : القطعة من اللحم ، من قولهم : **بضغ اللحم** : قطعته .

وقال آخرون: الذى أمروا أن يضربوه به منها ، عَظْمٌ من عظامها .

• ذكر من قال ذلك :

١٣١٢ - حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية قال : أمرهم موسى أن يأخذوا عَظْماً منها فيضربوا به القتيل . ففعلوا ، فرجع إليه رُوحه ، فسميَ لهم قاتله ، ثم عاد ميتاً كما كان . فأخذ قاتله ، وهو الذى أتى موسى فشكا إليه ، فقتله الله على أسوأ عمله .

* * *

وقال آخرون بما : -

١٣١٣ - حدثني به يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : ضَرَبُوا المَيِّتَ ببعض آرائها فإذا هو قاعد - (١) قالوا : من قتلك ؟ قال : ابن أخى . قال : وكان قتله وطرحه على ذلك السَّبَطِ ، أرَادَ أن يأخذ دِيَّتَهُ .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول عندنا فى تأويل قوله : « فقلنا اضربوه ببعضها » ، أن يقال : أمرهم الله جل ثناؤه أن يضربُوا القَتِيلَ ببعض البقرة ليحيا المضروبُ . ولا دلالة فى الآية ، ولا [فى] خبر تقوم به حجة ، (٢) على أى أبعاضها التى أمر القوم أن يضربُوا القَتِيلَ به . وجائز أن يكون الذى أمروا أن يضربوه به هو الفخذ ، وجائز أن يكون ذلك الذَّنْبُ وُغْضُوفُ الكتف ، وغير ذلك من أبعاضها . ولا يضرب الجَهِلُ بأى ذلك ضربوا القَتِيلَ ، ولا ينفع العلم به ، مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القَتِيلَ ببعض البقرة بعد ذبحها فأحياء الله .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : وما كان معنى الأمر بضرب القَتِيلَ ببعضها ؟ قيل : ليحيا فينبئ نبيَّ الله موسى صلى الله عليه وسلم والذين اداروا فيه - مَنْ قَاتَلَهُ .

(١) آراب جمع إرب (بكسر فسكون) : وهو العضو ، يقال : قطعه إرباً إرباً ، أى عضواً عضواً .

(٢) الزيادة بين القوسين ، أولى من حذفها .

فإن قال : وأين الخبر عن أن الله جل ثناؤه أمرهم بذلك لذلك ؟
 قيل : ترك ذلك اكتفاءً بدلالة ما ذكر من الكلام الدال عليه — نحو الذي
 ذكرنا من نظائر ذلك فيما مضى . ومعنى الكلام : فقلنا اضربوه ببعضها ليحيا ،
 فضربوه فحيى — : كما قال جل ثناؤه : ﴿ أَنْ أَضْرِبَ بِمَصَّاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ ﴾
 [سورة الشعراء : ٦٢] ، والمعنى : فضرب فأنفلق — دل على ذلك قوله : ^(١) « كذلك
 يُحيى الله الموتى ويُرِيكم آياته لعلكم تعقلون »

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى ﴾

قال أبو جعفر : وقوله : « كذلك يُحيى الله الموتى » ، مخاطبة من الله عباده
 المؤمنين ، واحتجاج منه على المشركين المكذبين بالبعث ، وأمرهم بالاعتبار بما
 كان منه جل ثناؤه من إحياء قتيل بنى إسرائيل بعد مماته في الدنيا . فقال لهم تعالى
 ذكره : أيها المكذبون بالبعث بعد الممات ، اعتبروا بإحيائي هذا القتيل بعد مماته ،
 فإني كما أحييته في الدنيا ، فكذلك أحيي الموتى بعد مماتهم ، فأبعثهم يوم البعث .
 وإنما احتج جل ذكره بذلك على مشركى العرب ، ^(٢) وهم قوم « أمّيون لا
 كتاب لهم » ، لأن الذين كانوا يعلمون عليم ذلك من بنى إسرائيل كانوا بين أظهرهم ،
 وفيهم نزلت هذه الآيات . فأخبرهم جل ذكره بذلك ، ليتعرفوا عليم من قبيلهم .

* * *

(١) في المطبوعة : « يدل على ذلك قوله . . . » ، وليست بشيء .

(٢) في المطبوعة : « فلإنما احتج . . . » ، والفاء ليست بشيء هنا .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٧٣)

قال أبو جعفر : يعنى جل ذكره : ويرىكم الله أيها الكافرون المكذّبون بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به من عند الله — من آياته = وآياته : أعلامه وحججه الدالة على نبوته = ^(١) لتعقلوا وتفهموا أنه مُحَقِّقٌ صادق ، فتؤمنوا به وتتبعوه .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك كفار بنى إسرائيل ، وهم — فيما ذكر — بنو أخى المقتول ، فقال لهم : « ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ » ، أى جَفَّتْ وَغَلِظَتْ وَعَسَتْ ، كما قال الراجز :

« وَقَدْ قَسَوْتُ وَقَسَا لِذَاتِي » ^(٢)

يقال « قسا » و « عسا » و « عتا » بمعنى واحد ، وذلك إذا جفا وغلظ وصلب .

يقال : منه : « قَسَا قَلْبُهُ يَقْسُو قَسَوًا وَقَسَوَةً وَقَسَاوَةً وَقَسَاءً » ^(٣) .

* * *

ويعنى بقوله : « من بعد ذلك » ، من بعد أن أحيا المقتول لهم — الذى ادارأوا

(١) انظر ما سلف ١ : ٥٥٢ ، وهذا الجزء ٢ : ١٣٩

(٢) لم أعرف قائله ، وسيأتى فى ٦ : ٩٩ (بولاق) ، وكان فى الأصل هنا « وقسا لذى » ، وهو خطأ . ولذا أتى جمع لدة ، ولدة الرجل : تربيته ، ولد معه . وقسا هنا بمعنى : أسن وكبر وولى شبابه ، وجف عوده . ولم ترد بذلك المعنى فى المعاجم .

(٣) أنا فى شك فى ضبطه المصدر الأول من هذه المصادر الأربعة وهو « قسا » ، وتبعته فى ضبطه القاموس المحيط ، وإن كان قد ضبط بالقلم ، وأخشى أن يكون مصدراً على « فعول » مثل دنا يدنو دنواً ، وسما يسمو سمواً .

في قتله ، فأخبرهم بقاتله ، وبالسبب الذي من أجله قتله ، ^(١) كما قد وصفنا قبل على ما جاءت الآثار والأخبار — وفصل الله تعالى ذكره بخبره بين الحق منهم والمبطل . وكانت قساوة قلوبهم التي وصفهم الله بها ، أنهم — فيما بلغنا — أنكروا أن يكونوا هم قتلوا القتيل الذي أحياه الله ، فأخبر بني إسرائيل بأنهم كانوا قتلته ، بعد إخباره إياهم بذلك ، وبعد ميته الثانية ، كما : —

١٣١٤ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما ضرب المقتول ببعضها — يعني ببعض البقرة — جلس حياً ، فقيل له : من قتلك ؟ فقال : بنو أخي قتلوني . ثم قبض فقال بنو أخيه حين قبض : والله ما قتلناه ! فكذبوا بالحق بعد إذ رأوه ، فقال الله : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك » — يعني بنو أخي الشيخ — « فهي كالحجارة أو أشد قسوة » .

٢٨٧/١ ١٣١٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك » ، يقول : من بعد ما أراهم الله من إحياء الموتى ، وبعد ما أراهم من أمر القتيل — ما أراهم ، « فهي كالحجارة أو أشد قسوة » .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله : « فهي » : « قلوبكم » . يقول : ثم صلبت قلوبكم — بعد إذ رأيتم الحق فتبيستموه وعرفتموه — عن الخضوع له ، والإذعان لواجب حق الله عليكم ، قلوبكم كالحجارة صلابه وييساً وغليظاً وشدة ، « أو أشد قسوة » ،

(١) في المطبوعة : « وما السبب » وليست بشيء .

(٢) سياق العبارة بلا فصل « من بعد أن أحيى المقتول لهم . . . وفصل بخبره بين الحق منهم والمبطل » .

يعنى : قلوبُهم — عن الإذعان لواجب حق الله عليهم ، والإقرار له باللازم من حقوقه لهم — أشدَّ صلابةً من الحجارة .^(١)

* * *

فإن سأل سائل فقال : وما وجه قوله : « فهي كالحجارة أو أشدَّ قسوة » ، و « أو » عند أهل العربية ، إنما تأتي في الكلام لمعنى الشك ، والله تعالى جل ذكره غيرُ جائزٍ في خبره الشك ؟

قيل : إن ذلك على غير الوجه الذى توهمته ، من أنه شك من الله جل ذكره فيما أخبر عنه ، ولكنه خبرٌ منه عن قلوبهم القاسية ، أنها — عند عباده الذين هم أصحابها ، الذين كذبوا بالحق بعد ما رأوا العظيم من آيات الله — كالحجارة قسوةً أو أشد من الحجارة ، عندهم وعند من عرف شأنهم

* * *

وقد قال فى ذلك جماعة من أهل العربية أقوالاً . فقال بعضهم : إنما أراد الله جل ثناؤه بقوله « فهي كالحجارة أو أشدَّ قسوة » ، وما أشبه ذلك من الأخبار التى تأتي بـ « أو » كقوله ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِثْرَةَ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [سورة الصافات : ١٤٧] ، وكقول الله جل ذكره ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة سبأ : ٢٤] — [الإيهام على من خاطبه] ،^(٢) فهو عالمٌ أى ذلك كان . قالوا : ونظير ذلك قول القائل : « أكلتُ بُسرةً أو رُطبةً » ، وهو عالمٌ أى ذلك أكل ، ولكنه أبهم على المخاطب ، كما قال أبو الأسود الدؤلى :

أَحِبُّ مُحَمَّدًا حُبًّا شَدِيدًا وَعَبَّاسًا وَحَمْرَةَ وَالْوَصِيَّ^(٣)

(١) كانت هذه الجملة فى المطبوعة هكذا : « كالحجارة صلابةً وبيساً وغلظاً وشدةً ، أو أشد صلابةً ، يعنى قلوبكم عن الإذعان لواجب حق الله عليهم ، والإقرار له باللازم من حقوقه لهم من الحجارة » . وكأنها سهو من الناسخ ، فرددته إلى أصله بمحمد الله .

(٢) ما بين القوسين زيادة لابد منها حتى يستقيم الكلام ، استظهرته من قوله بعد : « ولكنه أبهم على المخاطب » ، ومن تفسير ابن كثير ١ : ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٣) ديوانه : ٣٢ (من نقائس المخطوطات) ، والأغاني ١١ : ١١٣ ، وإنباه الرواة ١ : ١٧ ، وسيأتى البيت الثانى وحده فى ٢٢ : ٦٥ (بولاق) ورواية الديوان : « وفيهم أسوة إن كان ضياء » .

فَإِنْ يَكُ حُبُّهُمْ رَشْدًا أَصِيبَهُ وَلَسْتُ بِمُخْطِئٍ إِنْ كَانَ غِيًّا
 قالوا: ولا شك أن أبا الأسود لم يكن شاكاً في أن حُبَّ من سَمِيَ - رَشْدًا،
 ولكنه أبهم على من خاطبه به . وقد ذُكر عن أبي الأسود أنه لما قال هذه الآيات
 قيل له : شككت ! فقال : كلا والله ! ثم انتزع بقول الله عز وجل : « وإنا أو إياكم
 كعلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ » ، فقال : أو كان شاكاً - من أخبر بهذا - في
 الهادى من الضلال . (١)

وقال بعضهم : ذلك كقول القائل : « ما أطعمتك إلا حُلْواً أو حامضاً » ،
 وقد أطعمه النوعين جميعاً . فقالوا : فقاتل ذلك لم يكن شاكاً أنه قد أطعم صاحبه
 الحلو والحامض كليهما ، ولكنه أراد الخبر عَمَّا أطعمه إياه أنه لم يخرج عن هذين
 النوعين . قالوا : فكذلك قوله : « فهى كالحجارة أو أشد قسوة » ، إنما معناه : فقلوبهم
 لا تخرج من أحد هذين المتلين ، إما أن تكون مثلاً للحجارة فى القسوة ، وإما أن
 تكون أشد منها قسوة . ومعنى ذلك على هذا التأويل : فبعضها كالحجارة قسوة ،
 وبعضها أشد قسوة من الحجارة .

وقال بعضهم : « أو » فى قوله : « أو أشد قسوة » ، بمعنى ، وأشد قسوة ، كما
 قال تبارك . وتعالى : ﴿ وَلَا تُطْعَمُ مِنْهُمْ آتِماً أَوْ كُفُوراً ﴾ [سورة الإنسان : ٢٤]
 بمعنى : وَكُفُوراً ، وكما قال جرير بن عطية :

نَالَ الْخِلَافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدَرًا كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرٍ (٢)

يعنى : نال الخلافة ، وكانت له قدرًا ، وكما قال النابغة :

قَالَتْ : أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْجَحَامُ لَنَا إِلَى حَمَاتِنَا ، أَوْ نِصْفُهُ فَقَدَرٍ (٣)

٢٨٨

(١) قوله « فى الهادى من الضلال » يعنى نبيه صلى الله عليه وسلم . وعبارة الأغاني : « أفرى الله
 عز وجل شك فى نبيه » .

(٢) سلف هذا البيت وتخريجه فى ١ : ٣٣٧ .

(٣) ديوانه : ٣٢ ، وروايته هناك « ونصفه » . وهو من قصيدته المشهورة التى يعتذر فيها

يريد . ونصفه .

وقال آخرون ، « أو » في هذا الموضع بمعنى « بل » ، فكان تأويله عندهم :
فهي كالحجارة بل أشد قسوة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِثَّةِ آلِ
أُوَيْزِيدُونَ ﴾ [سورة الصافات : ١٤٧] ، بمعنى : بل يزيدون .

وقال آخرون : معنى ذلك فهي كالحجارة ، أو أشد قسوة عندكم .

قال أبو جعفر : ولكلُّ مما قيل من هذه الأقوال التي حكينا وجهٌ ونخرج في
كلام العرب . غير أن أعجب الأقوال إلى في ذلك ما قلناه أولاً ، ثم القول الذي
ذكرناه عن وجه ذلك إلى أنه بمعنى : فهي أوجهٌ في القسوة : إما أن تكون
كالحجارة ، أو أشد ، ^(١) على تأويل أن منها كالحجارة ، ومنها أشد قسوة . لأن « أو » ،
وإن استعملت في أماكن من أماكن « الواو » حتى يلتبس معناها ومعنى « الواو » ،
لتقارب معنييهما في بعض تلك الأماكن — ^(٢) فإن أصلها أن تأتي بمعنى أحد
الاثنتين . فتوجيهها إلى أصلها — ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً — ^(٣) أعجب إلى من
إخراجها عن أصلها ، ومعناها المعروف لها .

قال أبو جعفر : وأما الرفع في قوله : « أو أشد قسوة » ، فن وجهين :
أحدهما : أن يكون عطفاً على معنى « الكاف » في قوله : « كالحجارة » ،
لأن معناها الرفع . وذلك أن معناها معنى « مثل » ، [فيكون تأويله] ^(٤) : فهي
مثل الحجارة أو أشد قسوة من الحجارة .

إلى الثمان . والتفسير في قوله : « قالت » إلى « فتاة الحى » ، المذكورة في شعر قبله ، وهي زرقاء اليمامة .
وهو خبر مشهور ، لا نطيل بذكره .

(١) في المطبوعة : « فهي أوجه في القسوة من أن تكون كالحجارة أو أشد » ، واستظهرت تصويبه
على مضي آنفاً ، ومن تأويله بعد ، فوضعت « إما » مكان « من » .

(٢) انظر ما سلف في ١ : ٣٢٧ - ٣٢٨ .

(٣) في المطبوعة : « من وجد إلى ذلك سبيلاً » . وهو خطأ .

(٤) زدت ما بين القوسين ، ليستقيم الكلام .

والوجه الآخر : أن يكون مرفوعاً ، على معنى تكرير « هي » عليه . فيكون تأويل ذلك : فهي كالحجارة ، أو هي أشد قسوة من الحجارة .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ذكره « وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار » : وإن من الحجارة حجارةً يتفجر منها الماء الذي تكون منه الأنهار ، فاستغنى بذكر الأنهار عن ذكر الماء .^(١) وإنما ذكر فقال « منه » ، للفظ « ما » .^(٢)

« والتفجّر » « التفعل » من « تفجّر الماء » ،^(٣) وذلك إذا تنزل خارجاً من منبعه . وكل سائل شخّص خارجاً من موضعه ومكانه ، فقد « انفجر » ، ماءً كان ذلك أو دماً أو صديداً أو غير ذلك ، ومنه قول عمر بن لُحّ :

وَلَمَّا أَنْ قُرِنْتُ إِلَى جَرِيرٍ أَبِي ذُو بَطْنِهِ إِلَّا انْفِجَارًا^(٤)
يعنى : إلا خروجاً وسيلاناً .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وإنّ منها لما يشقق » ،

(١) في المطبوعة : « بذكر الماء عن ذكر الأنهار » ، وهو خطأ بين .

(٢) في المطبوعة : « وإنما ذكر فقيل . . . » ، وهو لا شئ .

(٣) في المطبوعة : « من : فجر الماء » ، وهو خطأ يدل السياق على خلافه ، وهو ما أثبت .

(٤) طبقات فضول الشعراء : ٣٦٩ ، والأغاني ٨ : ٧٢ ، وروايتهما « إلا انحداراً » ، ورواية

الطبرى أحرقت في الشعر . وفي المطبوعة « قربت » ، وهو خطأ محض . قاله عمر بن لُحّ حين أخذهما أبو بكر ابن حزم - بأمر الوليد بن عبد الملك - فقرنهما ، وأقامهما على البلس يشهر بهما ، فكان التميمي ينشد هذا البيت في هجاء جرير . وقوله : « ذو بطنه » ، كناية جيدة عما يشأز من ذكره .

وإنَّ منَ الحجارةِ لحجارةٌ يَشْتَقُّ . وتشقُّقُها : تصدَّعُها . ^(١) وإنَّما هي : لما يشقُّ ، ولكن التاء أدغمت في الشين فصارت شيناً مشددة .
وقوله : « فيخرجُ منه الماء » ، فيكون عيناً نابعةً وأنهاراً جاريةً .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : وإن من الحجارة لما يهبط — أى يتردَّى — من رأس الجبل إلى الأرض والسفح — ^(٢) من خوف الله وخشيته . وقد دللنا على معنى « الهبوط » فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . ^(٣)

* * *

قال أبو جعفر : وأدخلت هذه « اللامات » اللواتي في « ما » ، توكيداً للخبر .

* * *

وإنما وصف الله تعالى ذكره الحجارة بما وصفها به — من أن منها المتفجر منه الأنهار ، وأن منها المتشقِّق بالماء ، وأن منها الهابط من خشية الله ، بعد الذى جعل منها لقلوب الذين أخبر عن قسوة قلوبهم من بنى إسرائيل ، ^(٤) مثلاً — معذرةً منه جل ثناؤه لها ، ^(٥) دون الذين أخبر عن قسوة قلوبهم من بنى إسرائيل ، إذ كانوا بالصفة التى وصفهم الله بها من التكذيب لرُسُلِهِ ، والجحود لآياته ، بعد الذى أراهم من الآيات والعبر ، وعابنوا من عجائب الأدلة والحجج ، مع ما أعطاهم تعالى ذكره من صحة العقول ، ومن به عليهم من سلامة النفوس التى لم يعطها الحجر

(١) أسقط ذكر الآية في المطبوعة ، كأنه استطال التكرار ، وأقننا الكلام على نهج أبي جعفر . وفي المطبوعة : « لحجارة تشقق » ، ورددتها إلى الصواب أيضاً .

(٢) تردى من الجبل تردياً : طاح وسقط .

(٣) انظر ما سلف ١ : ٥٣٤ ، وهذا الجزء ٢ : ١٣٢ .

(٤) سياق هذه العبارة : جعل منها مثلاً لقلوب الذين ...

(٥) وسياق هذه الجملة : وإنما وصف الله الحجارة بما وصفها به ... معذرة منه لها « أى للحجارة ،

وما بين ذلك فصل كدأب أبي جعفر رحمه الله .

وَالْمَدَرُ ، ثُمَّ هُوَ مَعَ ذَلِكَ مِنْهُ مَا يَتَفَجَّرُ بِالْأَنْهَارِ ، وَمِنْهُ مَا يَتَشَقَّقُ بِالْمَاءِ ، وَمِنْهُ مَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، فَأَخْبَرَ تَعَالَى ذِكْرَهُ أَنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ مَا هُوَ أَلْيَنُ مِنْ قُلُوبِهِمْ لَمَّا يُدْعَوْنَ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ ، كَمَا : —

١٣١٦ — حَدَّثَنَا ابْنُ حَبِيبٍ قَالَ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ .

• • •

وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ • ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ :
١٣١٧ — حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ ، حَدَّثَنَا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ،
عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاهُ : « ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ
أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ »
فِيخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ » ، قَالَ : كُلُّ حَجَرٍ يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ الْمَاءُ ، أَوْ يَتَشَقَّقُ عَنْ مَاءٍ ، أَوْ يَرْدَى مِنْ رَأْسِ جَبَلٍ ، فَهُوَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ . نَزَلَ بِذَلِكَ الْقُرْآنُ .

١٣١٨ — حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى قَالَ ، حَدَّثَنَا أَبُو حَازِمَةَ قَالَ ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ ، عَنْ
ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

١٣١٩ — حَدَّثَنِي بَشَرُ بْنُ مُعَاذٍ قَالَ ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ قَالَ ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ
قَتَادَةَ : « فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً » ، ثُمَّ عَذَرَ الْحِجَارَةَ وَلَمْ يَعْدِرْ شَيْئًا ابْنَ
آدَمَ . فَقَالَ : « وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ »
فِيخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ » .
١٣٢٠ — حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى قَالَ ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ ، أَخْبَرَنَا مُعَمَّرٌ ،
عَنْ قَتَادَةَ مِثْلَهُ .

١٣٢١ — حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ ، حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ ، حَدَّثَنِي عَمِي قَالَ ،
حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : « ثُمَّ عَذَرَ اللَّهُ الْحِجَارَةَ فَقَالَ : « وَإِنَّ
مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فِيخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ » .

١٣٢٢ — حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ قَالَ ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ قَالَ ، حَدَّثَنَا حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ

جريح أنه قال فيها : كل حجر انفجر منه ماء ، أو تشقق عن ماء ، أو تردى من جبل ، فمن خشية الله . نزل به القرآن .

قال أبو جعفر : * * * ثم اختلف أهل التأويل في معنى هبوط ما هبط من الحجارة من خشية الله .

فقال بعضهم : إن هبوط ما هبط منها من خشية الله تفريق ظلاله . (١)

وقال آخرون : ذلك الجبل الذى صار دكا إذ تجلّى له ربه . (٢)

وقال بعضهم : ذلك كان منه ويكون ، بأن الله جل ذكره أعطى بعض الحجارة المعرفة والفهم ، فعقل طاعة الله فأطاعه .

١٣٢٤ - كالذى روى عن الجذع الذى كان يستند إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب ، فلما تحول عنه حن . (٣)

١٣٢٥ - وكالذى روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن حجراً كان يُسَلَّمُ علىّ في الجاهلية إنى لأعرفه الآن » . (٤)

(١) يريد قوله تعالى في سورة النحل : ٤٨ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّوْنَ ظِلَالَهُ عَنْ الْيَمِينِ وَالْشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ . وانظر تفسير الآية من تفسير الطبرى ١٤ : ٧٨ ، ٧٩ (بلاق) .
(٢) يريد قوله تعالى في سورة الأعراف : ١٤٣ : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾

(٣) الحديث : ١٣٢٤ - قصة حنين الجذع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، متواترة صحيحة ، لا يشك في صحتها إلا من لا يريد أن يؤمن . وقد عقد الحافظ ابن كثير في التاريخ باباً لذلك ٦ : ١٢٥ - ١٣٢ ، قال في أوله : « باب حنين الجذع شوقاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشفقاً من فراقه . وقد ورد من حديث جماعة من الصحابة ، بطرق متعددة ، تنفيذ القطع عند أئمة هذا الشأن ، وفرسان هذا الميدان » ، ثم ساق من الأحاديث الصحاح من دواوين السنة . وانظر منها في المسند : ٢٢٣٦ ، ٣٤٣٠ ، من حديث ابن عباس . و ٢٢٣٧ ، ٣٤٣١ ، من حديث أنس . و ٣٤٣٢ ، من حديث ابن عباس وأنس . وصحيح البخارى ٦ : ٤٤٣ (من الفتح) .

(٤) الحديث : ١٣٢٥ - روى مسلم في صحيحه ٢ : ٢٠٣ - ٢٠٤ ، عن جابر بن سمرة ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لأعرف حجراً بمكة ، كان يسلم علىّ قبل أن أبعث ، إنى لأعرفه الآن » . وذكره ابن كثير في التاريخ ٦ : ١٣٤ ، من مسند أحمد ، ثم نسب لصحيح مسلم ، ومسند الطيالسى .

وقال آخرون: : بل قوله: « يهبط من خشية الله » كقوله: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ [سورة الكهف : ٧٧] ، ولا إرادة له . قالوا وإنما أريد بذلك أنه من عظم أمر الله ، يُرى كأنه هابط خاشع ، من ذلك خشية الله ، كما قال زيد الخليل :
يَجْمَعُ تَضِلُّهُ الْبَلَقُ فِي حَجَرَاتِهِ تَرَى الْأَكْمَ مِنْهُ سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ^(١)
وكما قال سُويد بن أبي كاهل ، يصف عدوًّا له :

سَاجِدَ الْمُنْخَرِ لَا يَرْفَعُهُ خَاشِعَ الطَّرْفِ أَصَمَّ الْمُسْتَمِعِ^(٢)
يريد أنه ذليل .^(٣)

وكما قال جرير بن عطية :

لَمَّا أَتَى خَيْرُ الرُّسُولِ تَضَعُّضَتْ سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُلُوعِ^(٤)

وقال آخرون: معنى قوله: « يهبط من خشية الله » ، أى : يُوجب الخشية لغيره ، بدلالته على صانعه ، كما قيل : « نَاقَةٌ تَاجِرَةٌ » ، إذا كانت من كجابتها وقرآتها تدعو الناس إلى الرغبة فيها ، كما قال جرير بن عطية :

(١) مضى هذا البيت في هذا الجزء : ٢ : ١٠٤ ، وورد هنا « ترى الأكم فيها » والصواب ما أثبتته ، كما مضى آنفاً ، وفي الأضداد لابن الأنباري « منها » مكان « فيها » .
(٢) المفضليات : ٤٠٧ ، والأضداد لابن الأنباري : ٢٥٧ . من قصيدته المحكمة . و « ساجد » منصوب إذ قبله ، في ذكر عدوه هذا :

نَمَّ وَلَّى وَهُوَ لَا يَحْمِي أَسْتَهُ طَائِرُ الْإِنْرَافِ عَنْهُ قَدْ وَقَعَ

وفي الأصل المطبوع : « إذ يرفعه » ، وهو خلل في الكلام . وأثبت ما في المفضليات ، ورواية ابن الأنباري : « ما يرفعه » . يقول أذله فطاعاً رأسه خزيًا ، وأنزم الأرض بصره ، وصار كأنه أحم لا يسمع ما يقال له ، فهو لا حراك به ، مات وهو حي قائم ، لا يبحر جوابًا . ولذلك قال بعده :

قَرَّ مَنِّي هَارِبًا شَيْطَانُهُ حَيْثُ لَا يُعْطَى ، وَلَا شَيْئًا مَنَعُ

(٣) هذه الجملة كانت قبل البيت ، فرددتها إلى حيث ينبغي أن ترد .

(٤) سلف هذا البيت وتخرجه في هذا الجزء : ٢ : ١٧ ، وروايته هناك « خبر الزبير » ، وهي أصح

وأجود .

وَأُغَوِّرُ مِنْ نَبْهَانٍ ، أَمَّا نَهَارُهُ فَأَعْمَى ، وَأَمَّا لَيْلُهُ فَبَصِيرٌ ^(١)

فجعل الصفة لليل والنهار ، وهو يريد بذلك صاحبَه النبأى الذى يهجوهُ ، ٢٩٠/١ من أجل أنه فيهما كان ما وصفه به .

* * *

وهذه الأقوال ، وإن كانت غير بعيداتِ المعنى مما تحتمله الآية من التأويل ، فإن تأويلَ أهل التأويل من علماء سلف الأمة بخلافها ، فلذلك لم نستجرَ صرف تأويل الآية إلى معنى منها . ^(٢)

* * *

وقد دللنا فيما مضى على معنى « الخشية » ، وأنها الرهبة والخافة ، فكرهنا إعادة ذلك فى هذا الموضع . ^(٣)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٧٤)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « وما الله بغافل عما تعملون » ، وما الله بغافل — يا معشر المكذبين بآياته ، والجاحدين نبوة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، والمتقولين عليه الأباطيل — من بنى إسرائيل وأخبار اليهود — عما تعملون من أعمالكم الخبيثة ، وأفعالكم الرديئة ، ولكنه مُحَصِّصها عليكم ، فجازيكم بها فى الآخرة ، أو مُعَاقِبكم بها فى الدنيا . ^(٤)

(١) سلف هذا البيت وتخرجه فى ١ : ٣١٧ من طبعتنا هذه ، وأغفلت هناك أن أردّه إلى هذا الموضع من التفسير ، فقيده .

(٢) ليت من تهوّر من أهل زماننا ، فاجترأ على جعل كتاب ربه منبعاً يستقى منه ما يشاء لأهوائه وأهواء أصحاب السلطان — سمع ما يقول أبو جعفر ، فيما تجيزه لغة العرب ، فكيف بما هو تهجم على كلام ربه بغير علم ولا هدى ولا حجة ؟ اللهم إنا نبرأ إليك منهم ، ونستعبد بك أن نضلّ على آثارهم .

(٣) انظر ما سلف ١ : ٥٥٩-٥٦٠ ، وهو من تفسير « فارهبون » ، ولم تردّ مادة (خشى) فى القرآن قبل هذا الموضع ، فلذلك قطعت بأنه أسال على هذه الآية .

(٤) كانت فى المطبوعة « يحصيا » . . . فيجازيكم . . . أو يعاقبك « بالياء فى أولها جميعاً ، واستجزت أن أردّها إلى الانتمية ، لأن الطبرى هكذا يقول ، وقد سلف مثل ذلك مراراً ، ورأيت النسخ تصرفوا فيه كما بيناه فى موضعه . فاستأنست بنهجه فى بيانه ، وهو أبان وأقوم .

وأصل « الغفلة » عن الشيء ، تركه على وجه السهو عنه ، والنسيان له .

فأخبرهم تعالى ذكره أنه غير غافل عن أفعالهم الخبيثة ، ولا ساه عنها ، بل هو لها مُحَصِّرٌ ، ولها حافِظٌ .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « أفطمعون » يا أصحاب محمد ، أى : أفرجُون يَا معشر المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم ، والمصدقين ما جاءكم به من عند الله ، أن يؤمن لكم يهودُ بنى إسرائيل ؟

ويعنى بقوله : « أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ » ، أَنْ يُصدقوكم بما جاءكم به نبيكم صلى الله عليه وسلم محمد من عند ربكم ، كما : —

١٣٢٦ — حدثت عن عمار بن الحسن ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « أفطمعون أن يؤمنوا لكم » ، يعنى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، « أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ » ، يقول : أفطمعون أن يؤمنَ لكم اليهود ؟

١٣٢٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « أفطمعون أن يؤمنوا لكم » الآية ، قال : هم اليهود ؟

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : أما « الفريق » فجمع ، كالطائفة ، لا واحد له من لفظه . وهو « فَعِيلٌ » من « التفرق » ، سُمى به الجِماع ، كما سميت الجماعة بـ « الحزب » ، من « التحزُّب » ، وما أشبه ذلك . ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :

أَجِدُّوا ، فَلَمَّا خِفْتُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا فَرِيقَيْنِ ، مِنْهُمْ مُصْعِدٌ وَمُصَوِّبٌ (١)

• • •

يعنى بقوله : « منهم » ، من بنى إسرائيل . وإنما جعل الله الذين كانوا على عهد موسى ومن بعدهم من بنى إسرائيل ، من اليهود الذين قال الله لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم » - لأنهم كانوا آباءهم وأسلافهم ، فجعلهم منهم ، إذ كانوا عشائرتهم وقرباتهم وأسلافهم ، كما يذكر الرجلُ اليوم الرجلَ ، وقد مضى على منهاج الذاكِر وطريقته . وكان من قومه وعشيرته ، فيقول : « كان منا فلان » ، (٢) يعنى أنه كان من أهل طريقته ومذهبه ، أو من قومه وعشيرته . فكَذلك قوله : « وقد كان فريقٌ منهم » .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ

مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٥)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى الذين عنى الله بقوله : « وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » . فقال بعضهم بما : -

١٣٢٨ - حدثني به محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريقٌ منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » ،

(١) ديوانه : ١٣٧ ، فى المطبوعة : « أخذوا » خطأ . أجد السير : انكشف فيه وأسرع . مصعد : مبتلىء فى صعوده إلى نجد والحجاز . ومصوب منحدر فى رجوعه إلى العراق والشام وأشباه ذلك . وبعد البيت من تمامه :

طَلَبْتُهُمْ ، تَطَوَّى بِي الْبَيْدَ جَسْرَةً شَوْقِيئَةُ النَّائِبِينَ وَجَنَاهُ ذِعْلَبُ

(٢) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ٣٩ ، ٣٨

فالذين يُحَرِّفُونَهُ ، والذين يَكْتُمُونَهُ ، هم العلماءُ منهم .

٢٩١/١ ١٣٢٩ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

ابن أبي نجیح ، عن مجاهد بنحوه .

١٣٣٠ - حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ،

عن السدي : « أَفْتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ » ، قال : هي التوراة ، حرّفوها .

١٣٣١ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله :

« يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ » ، قال : التوراة التي أنزلها عليهم ، يُحَرِّفُونَهَا ،

يَجْعَلُونَ الْحَلَالَ فِيهَا حَرَامًا ، وَالْحَرَامَ فِيهَا حَلَالًا ، وَالْحَقَّ فِيهَا بَاطِلًا ، وَالْبَاطِلَ

فِيهَا حَقًّا ، إِذَا جَاءَهُمُ الْحَقُّ بِرِشْوَةٍ أَخْرَجُوا لَهُ كِتَابَ اللَّهِ ، وَإِذَا جَاءَهُمُ الْمُبْطِلُ

بِرِشْوَةٍ أَخْرَجُوا لَهُ ذَلِكَ الْكِتَابَ ، ^(١) فَهُوَ فِيهِ مُحَقٌّ . وَإِنْ جَاءَ أَحَدٌ يَسْأَلُهُمْ شَيْئًا لَيْسَ فِيهِ

حَقٌّ وَلَا رِشْوَةٌ وَلَا شَيْءٌ ، أَمَرُوهُ بِالْحَقِّ . فَقَالَ لَهُمْ : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ

أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٤٤] .

• • •

وقال آخرون في ذلك بما : -

١٣٣٢ - حدثت عن عمار بن الحسن قال ، أخبرنا ابن أبي جعفر : عن

أبيه ، عن الربيع في قوله : « وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ

بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » ، فكانوا يسمعون من ذلك كما يسمع أهل النبوة ، ثم

يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ .

١٣٣٣ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق في قوله :

« وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ » الآية ، قال : ليس قوله : « يَسْمَعُونَ

كَلَامَ اللَّهِ » ، يسمعون التوراة . كلُّهم قد سمعها ، ولكنهم الذين سألوها موسى رؤية

ربهم فأخذتهم الصاعقة فيها .

(١) يعني : « ذلك الكتاب » المحرف ، لا « كتاب الله » الصادق .

١٣٣٤ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق قال :

بلغني عن بعض أهل العلم أنهم قالوا لموسى : يا موسى ، قد حيل بيننا وبين رؤية الله عز وجل ، فأسمعنا كلامه حين يكلمك . فطلب ذلك موسى إلى ربه فقال : نعم ، فُرِّم فليطهروا ، وليطهروا ثيابهم ، ويصوموا . ففعلوا . ثم خرج بهم حتى أتى الطُّور ، فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى عليه السلام [أن يسجدوا] فوقعوا سجوداً ، ^(١) وكلَّمه ربه فسمعوا كلامه ، يأمرهم وينهاهم ، حتى عَقَلُوا ما سمعوا . ثم انصَرَف بهم إلى بني إسرائيل . فلما جاؤهم حَرَّفَ فريقٌ منهم ما أمرهم به ، وقالوا حين قال موسى لبني إسرائيل : إن الله قد أمركم بكذا وكذا ، قال ذلك الفريق الذين ذكروهم الله : إنما قال كذا وكذا - خلافاً لما قال الله عز وجل لهم . فهم الذين عَنِى الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين اللذين ذكرت بالآية ، وأشبههما بما دلَّ عليه ظاهراً التلاوة ، ما قاله الربيع بن أنس ، والذي حكاه ابن إسحق عن بعض أهل العلم : من أن الله تعالى ذكره إنما عَنِىَ بذلك من سمع كلامه من بني إسرائيل ، سماعَ موسى لإيَّاه منه ، ثم حَرَّفَ ذلك وبدَّل ، من بعد سماعه وعلمه به وفهمه إيَّاه . وذلك أن الله جل ثناؤه إنما أخبر أن التحريف كان من فريق منهم كانوا يسمعون كلام الله عز وجل ، استعظاماً من الله لما كانوا يأتون من البهتان ، بعد تأكيد الحجة عليهم والبرهان ، وإيذاناً منه تعالى ذكره عبادة المؤمنين ، قطع أطماعهم من إيمان بقايا نسلهم بما أتاهم به محمد من الحق والنور والهدى ، ^(٢) فقال لهم : كيف تطمعون في تصديق هؤلاء اليهود لإيَّاكم ، وإنما تخبرونهم - بالذي تخبرونهم من الأنبياء عن الله عز وجل - عن غيب لم يشاهدوه ولم يعاينوه ، وقد كان بعضهم يسمع من الله كلامه وأمره ونهيه ، ثم يبدِّله ويحرِّفه ويحجده ؟ فهؤلاء الذين بين

(١) ما بين القوسين زيادة من ابن كثير ١ : ٢١٢ .

(٢) في المطبوعة « وإيذاناً منه . . . وقطع أطماعهم » بالعطف بالواو ، وليس يستقيم . وآذنه

الأمر وآذنه به إيذاناً : أعلمه . فقوله : « قطع » منصوب مفعول ثانٍ للمصدر « إيذاناً » .

أظهركم من بقايا تسلمهم ، أخرى أن يمجّدوا ما أنبتوهم به من الحق ، وهم لا يسمعون من الله ، وإنما يسمعون منكم - (١) وأقرب إلى أن يحرفوا ما في كتبهم من صفة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ويبدّلوه ، وهم به عالمون ، فيجحدوه ويكذبوا - (٢) من أوائلهم الذين بآشروا كلام الله من الله جل ثناؤه ، ثم حرفوه من بعد ما عقلوه وعلموه ، متعمدين التحريف .

ولو كان تأويل الآية على ما قاله الذين زعموا أنه عنى بقوله : « يسمعون كلام الله » ، يسمعون التوراة ، لم يكن لذكر قوله : « يسمعون كلام الله » معنى مفهوم . لأن ذلك قد سمعه المحرف منهم وغير المحرف ، فخصوص المحرف منهم بأنه كان يسمع كلام الله - إن كان التأويل على ما قاله الذين ذكرنا قولهم - دون غيرهم ، ممن كان يسمع ذلك سماعهم ، لا معنى له (٣) .

فإن ظنّ ظانٌّ [أنه] إنما صلح أن يقال ذلك لقوله : « يحرفونه » ، فقد أغفل وجه الصواب في ذلك (٤) . وذلك أن ذلك لو كان كذلك لقل : أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون . ولكنه جل ثناؤه أخبر عن خاص من اليهود ، كانوا أعطوا - من مباشرتهم سماع كلام الله - ما لم يُعطه أحدٌ غير الأنبياء والرسل ، ثم بدلوا وحرفوا ما سمعوا من ذلك . فلذلك وصفهم بما وصفهم به ، للخصوص الذي كان يخص به هؤلاء الفريق الذي ذكرهم في كتابه تعالى ذكره .

ويعنى بقوله : « ثم يحرفونه » ، ثم يبدلون معناه وتأويله ويغيرونه . وأصله من « انحراف الشيء عن جهته » ، وهو ميله عنها إلى غيرها . فكذلك قوله : « يحرفونه »

(١) قوله : « وأقرب » ، معطوف على قوله : « أخرى »

(٢) قوله : « من أوائلهم . . . » متعلق بقوله آنفاً : « أخرى أن يمجّدوا . . . » وأقرب إلى أن

يحرفوا

(٣) سياق العبارة : فخصوص المحرف بأنه . . . لا معنى له .

(٤) الزيادة بين القوسين لا بد منها .

أى يُميلونه عن وجهه ومعناه الذى هو معناه ، إلى غيره . فأخبر الله جل ثناؤه أنهم فعلوا ما فعلوا من ذلك ، على علم منهم بتأويل ما حرقوا ، وأنه بخلاف ما حرقوه إليه . فقال : « يحرقونه من بعد ما عَقَلُوهُ » ، يعنى : من بعد ما عقلوا تأويله ، وهم يعلمون » ، أى : يعلمون أنهم فى تحريفهم ما حرقوا من ذلك مبطلون كاذبون . وذلك لإخبار من الله جل ثناؤه عن إقدامهم على البهت ، ومناصبتهم العداوة له ولرسوله موسى صلى الله عليه وسلم ، وأن بقاياهم — من مُناصبتهم العداوة لله ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بغياً وحسداً — على مثل الذى كان عليه أوائلهم من ذلك فى عصر موسى عليه الصلاة والسلام .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ﴾

قال أبو جعفر : أما قوله : « وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا » ، فإنه خبر من الله جل ذكره عن الذين آتأس أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من إيمانهم — من يهود بنى إسرائيل ، الذين كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عَقَلُوهُ وهم يعلمون — وهم الذين إذا لقوا الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم قالوا : آمنا . يعنى بذلك : أنهم إذا لقوا الذين صدَّقوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله ، قالوا : آمنا — أى صدقنا بمحمد وبما صدَّقتم به ، وأقررنا بذلك . أخبر الله عز وجل عنهم أنهم تخلَّصوا بأخلاق المنافقين ، وسلَكوا منهاجهم ، كما : —

١٣٣٥ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس قوله : « وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُفِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ » ، وذلك أن كفراً من اليهود كانوا إذا لقوا محمداً صلى الله عليه وسلم قالوا :

آمنّا ، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا : أتحدثونهم بما فتح الله عليكم .

١٣٣٦ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا » ، يعنى المنافقين من اليهود ، كانوا إذا لقوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا : آمنّا .

وقد روى عن ابن عباس فى تأويل ذلك قول آخر • وهو ما : -

٢٩٣/١

١٣٣٧ - حدثنا به ابن حميد قال ، حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا » ، أى : بصاحبكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه إلىكم خاصة .

١٣٣٨ - حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا » الآية ، قال : هؤلاء ناس من اليهود ، آمنوا ثم نافقوا .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذَا خَلَا بِمَعْشُرِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا

أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٧٦)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « وإذا خلا بعضهم إلى بعض » أى : إذا خلا بعض هؤلاء اليهود - الذين وصف الله صفتهم - إلى بعض منهم ، فصاروا فى خلوة من الناس غيرهم ، وذلك هو الموضع الذى ليس فيه غيرهم - « قالوا » يعنى : قال بعضهم لبعض : « أتحدثونهم بما فتح الله عليكم » .

• • •

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « بما فتح الله عليكم » فقال بعضهم بما : -

١٣٣٩ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن

عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك عن ابن عباس : « وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم » ، يعنى : بما أمركم الله به . فيقول الآخرون : إنما نستہزئ بهم ونضحك .

• • •

وقال آخرون بما : —

١٣٤٠ — حدثنا ابن حديد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس « وإذا كلفوا الذين آمنوا قالوا آمنا » ، أى : بصاحبكم رسول الله ، ولكنه إليكم خاصة ، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا : لا تحدثوا العرب بهذا ، فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم ، فكان منهم ^(١) . فأنزل الله : « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليُحاجُّوكم به عند ربكم » ، أى : يُقِرُّون بأنه نبي ، وقد علمتم أنه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه ، وهو يخبرهم أنه النبي الذي كنا ننتظر ونجده في كتابنا ؟ اجحدوه ولا تقروا لهم به : يقول الله : « أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون » .

١٣٤١ — حدثني المنني قال ، حدثنا آدم قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : « أتحدثونهم بما فتح الله عليكم » ، أى بما أنزل الله عليكم في كتابكم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم .

١٣٤٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة : « قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم » ، أى : بما آمن الله عليكم في كتابكم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنكم إذا فعلتم ذلك احتجوا به عليكم ، « أفلا تعقلون » .

(١) قوله : « فكان منهم » ، أى كان منهم النبي الذي كانوا يستفتحون به على مشركي العرب وتستنصرون ، ويرجون أن يكون منهم ، فكان من العرب . وسيأتى خبر استفتاحهم بعد في تفسير الآية : ٨٩ من سورة البقرة في هذا الجزء .

١٣٤٣ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم » ، ليحتجوا به عليكم .
 ١٣٤٤ - حدثني المثنى قال ، حدثني آدم قال ، حدثنا أبو جعفر قال ، قال قتادة : « أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم » ، يعنى : بما أنزل الله عليكم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونعتيه .

• • •

وقال آخرون فى ذلك بما : -

١٣٤٥ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « بما فتح الله عليكم ليُحاجّوكم به عند ربكم » قال : قولُ يهود بنى قريظة ، ^(١) حين سبّهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم لإخوة القردة والخنازير ، قالوا : من حدّثك ؟ - هذا - حين أرسل إليهم علياً فأذوا محمداً ، فقال : يا إخوة القردة والخنازير ^(٢) .

١٣٤٦ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله - إلا أنه قال : هذا ، حين أرسل إليهم على بن أبي طالب رضى الله عنه وآذوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اخسأوا يا إخوة القردة والخنازير .

١٣٤٧ - حدثنا القاسم قال ، حدثني الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرني القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد فى قوله : « أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم » ، قال : قام النبي صلى الله عليه وسلم يومَ قُريظة تحت حصونهم فقال : يا إخوان القردة ، ويا إخوان الخنازير ، ويا عبدة الطاغوت . فقالوا : من أخبر هذا محمداً ؟ ما خرج هذا إلا منكم ! « أتحدّثونهم بما فتح

(١) فى المطبوعة : « يهود من قريظة » ، ليست بشيء .

(٢) من أول قوله : « قالوا من حدّثك ؟ . . . إلى آخر العبارة ، تفسير للقصة قبله . وقوله « فقال : يا إخوة القردة والخنازير » من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا كلام على رضى الله عنه . وسيظهر ذلك فى الخبرين بعده .

الله عليكم! بما حكم الله، للفتح، ليكون لهم حجة عليكم. قال ابن جريج، عن مجاهد: هذا حين أرسل إليهم علياً فأذوا محمداً صلى الله عليه وسلم^(١).

• • •

وقال آخرون بما :-

١٣٤٨ - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: «قالوا أتُحدِّثونهم بما فتح الله عليكم» - من العذاب - «ليُحاجُّوكُم به عند ربكم»: هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا، فكانوا يحدِّثون المؤمنين من العرب بما عُذِّبوا به. فقال بعضهم لبعض: أتُحدِّثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب، ليقولوا نحن أحبُّ إلى الله منكم، وأكرمُ على الله منكم؟

• • •

وقال آخرون بما :-

١٣٤٩ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: «وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتُحدِّثونهم بما فتح الله عليكم ليُحاجُّوكُم به عند ربكم»، قال: كانوا إذا سئلوا عن الشيء قالوا: أما تعلمون في التوراة كذا وكذا؟ قالوا: بلى! - قال: وهم يهود - فيقول لهم رؤسائهم الذين يرجعون إليهم: ما لكم تُخبرونهم بالذي أنزل الله عليكم فيحاجُّوكُم به عند ربكم؟ أفلا تعقلون؟ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يدخلنَّ علينا قسبة المدينة إلا مؤمن^(٢). فقال رؤسائهم من أهل الكفر والنفاق: اذهبوا فقولوا: آمنا، واكفروا إذا رجعتم. قال: فكانوا يأتون المدينة بالبُكر، ويرجعون إليهم بعد العصر^(٣). وقرأ قول الله: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٧٢]. وكانوا يقولون إذا دخلوا المدينة: نحن مسلمون. ليعلموا خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) الأثر: ١٣٤٧ - في ابن كثير ١: ٢١٤ وفيه: «من أخبر بهذا الأمر محمداً؟ ما خرج هذا القول إلا منكم».

(٢) قسبة القرية: وسطها وجوفها. وقسبة البلاد: مدينتها، لأنها تكون في أوسطها.

(٣) البكر جمع بكرة (بضم فسكون): وهي الغدوة، أول النهار.

عليه وسلم وأمره ، فإذا رجعوا رَجَعُوا إِلَى الْكُفْرِ . فلما أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بهم قطع ذلك عنهم فلم يكونوا يدخلون . وكان المؤمنون الذين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يظنون أنهم مؤمنون ، فيقولون لهم : أليس قد قال الله لكم كذا وكذا؟ فيقولون : بلى ! فإذا رجعوا إلى قومهم [يعنى الرؤساء] - قالوا: اتَّحَدُّثُونَهُمْ بما فتح الله عليكم » ، الآية ^(١)

وأصل « الفتح » فى كلام العرب : النصرُ ، والقضاءُ ، والحكمُ . يقال منه : « اللهم افتح بينى وبين فلان » ، أى احكم بينى وبينه ، ومنه قول الشاعر :

أَلَا أَبْلِغُ بَنَى عَصْمٍ رَسُولًا بِأَنِّي عَنْ فَتَاحَتِكُمْ غَفَى

قال أبو جعفر : ويقال للقاضى : « الفَتَّاح » . ومنه قول الله عز وجل :

﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ٨٩]

أى : احكم بيننا وبينهم .

فلذا كان معنى الفتح ما وصفنا ، تبين أن معنى قوله : « قالوا اتَّحَدُّثُونَهُمْ بما فتح الله عليكم ليحاجتوكم به عند ربكم » ، إنما هو : اتَّحَدُّثُونَهُمْ بما احكم الله به عليكم ، وقضاه فيكم ؟ ومن حكمه جل ثناؤه عليهم ما أخذ به ميثاقهم من ٢٩٥/١ الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به فى التوراة . ومن قضائه فيهم أن جعل منهم القردة والخنازير ، وغير ذلك من أحكامه وقضائه فيهم . وكل ذلك كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به ، حجة على المكذبين به من اليهود

(١) الأثر : ١٣٤٩ فى ابن كثير ١ : ٢١٣ - ٢١٤ ، والزيادة بين القوسين منه .

(٢) ينسب للأسمر الجعفى ، ومحمد بن حمران بن أبى حمران . انظر تعليق الراجكوتى فى سطر

الاول : ٩٢٧ .

(٣) أمالى القالى ٢ : ٢٨١ واللسان (فتح) (رسل) ، وغيرها ، وبنو عصف ، هم رهبان عمرو

ابن معديكرب الزبيلى . وقد اختلفت روايات البيت اختلافاً شديداً ، ليس هذا مكان تحقيقها ، لطولها .

المقرئين بحكم التوراة ، وغير ذلك [من أحكامه وقضائه] . (١)

فلما كان ذلك كذلك . (٢) فالذى هو أولى عندى بتأويل الآية قول من قال : معنى ذلك : أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من بعث محمد صلى الله عليه وسلم إلى خلقه ؟ لأن الله جل ثناؤه إنما قصّ في أول هذه الآية الخبر عن قولهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه : آمنا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فالذى هو أولى بآخرها أن يكون نظير الخبر عما ابتدئ به أولها .

وإذا كان ذلك كذلك ، فالواجب أن يكون تلاؤمهم ، كان فيما بينهم ، فيما كانوا أظهروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه من قولهم لهم : آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به . وكان قيلهم ذلك ، من أجل أنهم يجدون ذلك في كتبهم ، وكانوا يخبرون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . فكان تلاؤمهم — فيما بينهم إذا حلوا — على ما كانوا يخبرونهم بما هو حجة للمسلمين عليهم عند ربهم . وذلك أنهم كانوا يخبرونهم عن وجود نعت محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم ، ويكفرون به . وكان فتح الله الذى فتحه للمسلمين على اليهود ، وحكمه عليهم لهم في كتابهم ، أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم إذا بُعث . فلما بُعث كفروا به ، مع علمهم بنبوته .

• • •

قال أبو جعفر : وقوله : « أفلا تعقلون » ، خبر من الله تعالى ذكره — عن اليهود اللاتمين لإخوانهم على ما أخبروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فتح الله لهم — أنهم قالوا لهم : أفلا تفقهون أيها القوم وتعقلون ، أن إخباركم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بما في كتبكم أنه نبي مبعوث ، حجة لهم عليكم عند ربكم ، يحتاجون بها عليكم ؟ أى : فلا تفعلوا ذلك ، ولا تقولوا لهم مثل ما قلتم ، ولا تخبروهم

(١) ما بين القوسين ، زيادة استظهرتها من سابق بيانه ، ليستقيم الكلام .

(٢) في المطبوعة : « فإن كان كذلك » ، والزيادة ماضية على نهج أبي جعفر .

بمثل ما أخبرتهم به من ذلك . فقال جل ثناؤه : « أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ » .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (٧٧)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ » ، أَوْ لَا يَعْلَمُ — هؤلاء اللاتمون من اليهود لإخوانتهم من أهل ملتهم ، على كونهم إذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا ، وعلى إخبارهم المؤمنين بما في كتبهم من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه ، القائلون لهم : أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم — أَنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِمَا يُسِرُّونَ ، فيخفونه عن المؤمنين في خلائهم = من كفرهم ، وتلاؤمهم بينهم على إظهارهم ما أظهروا لرسول الله وللمؤمنين به من الإقرار بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى قيلهم لهم : آمنا ، ونهى بعضهم بعضاً أن يخبروا المؤمنين بما فتح الله للمؤمنين عليهم ، وقضى لهم عليهم في كتبهم ، من حقيقة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ومبعثه = وما يُعْلِنُونَ ، فيظهرونه لمحمد صلى الله عليه وسلم ولأصحابه المؤمنين به إذا لقوهم ، من قيلهم لهم : آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، نفاقاً وخداعاً لله ولرسوله وللمؤمنين ؟ كما : —

١٣٥٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد . قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :

« أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ » ، من كفرهم وتكذيبهم محمداً صلى الله عليه وسلم إذا خلا بعضهم إلى بعض ، « وما يُعْلِنُونَ » إذا لقوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا : آمنا . ليرضوهم بذلك .

١٣٥١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن

الربيع ، عن أبي العالية : « أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ » ،
يعنى : ما أسروا من كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وتكذيبهم به وهم يجدونه ٢٤٣/١
مكتوباً عندهم ، « وَمَا يُعْلِنُونَ » ، يعنى : ما أعلنوا حين قالوا للمؤمنين : آمناً .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ » ، وَمَنْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ
— الَّذِينَ قَصَّ اللَّهُ قَصَصَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ ، وَأَيَّاسَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِيْمَانِهِمْ فَقَالَ لَهُمْ : أَفْتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ، ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ، وَهُمْ إِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا : آمَنَّا ،
كَمَا : —

١٣٥٢ — حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى قَالَ ، حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ ، حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ ، عَنْ
الرَّبِيعِ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ : « وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ » ، يَعْنِي : مِنَ الْيَهُودِ .
١٣٥٣ — وَحَدَّثَنَا عَنْ عَمَارٍ قَالَ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ
الرَّبِيعِ مِثْلَهُ .

١٣٥٤ — حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ قَالَ ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ قَالَ ، حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عَنْ
ابْنِ جَرِيرٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : « وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ » ، قَالَ : أَنَاسٌ مِنَ يَهُودِ .

* * *

قال أبو جعفر : يعنى بـ « الْأُمِّيِّينَ » ، الَّذِينَ لَا يَكْتُبُونَ وَلَا يَقْرَأُونَ .
١٣٥٥ — وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّا أُمَّة أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ » .^(١)
يَقَالُ مِنْهُ : « رَجُلٌ أُمِّيٌّ بَيْنَ الْأُمِّيَّةِ » ،^(٢) كَمَا : —

١٣٥٦ — حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى قَالَ ، حَدَّثَنِي سُؤَيْدُ بْنُ نَصْرٍ قَالَ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ

(١) الحديث : ١٣٥٥ — هو حديث صحيح . رواه البخارى ١٠٨ : ٤ — ١٠٩ (من الفتح) ،
ورواه أيضاً مسلم وأبو داود والنسائى ، كما فى الجامع الصغير للسيوطى ، رقم : ٢٥٢١ .
(٢) كان فى المطبوعة : « أُمِّيٌّ بَيْنَ الْأُمِّيَّةِ » ، فحذفت « أُمِّيٌّ » ، فليس ذلك بما يقال .

المبارك ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب » ، قال : منهم من لا يحسن أن يكتب .^(١)

١٣٥٧ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ومنهم أميون » ، قال : أميون لا يقرأون الكتاب من اليهود .

* * *

وروى عن ابن عباس قول خلاف هذا القول ، وهو ما :-

١٣٥٨ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « ومنهم أميون » ، قال : الأميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله ، ولا كتابا أنزله الله ، فكتبوا كتابا بأيديهم ،

(١) قوله « لا يحسن أن يكتب » ففي لمعرفة الكتابة ، لا لجودة معرفة الكتابة ، كما يسبق إلى الوهم . وقد يما قام بعض أساتذتنا يدعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يعرف الكتابة ، ولكنه لا يحسنها ، لخبر استدلل به هو - أو اتبع فيه من استدلل به من أعاجم المستشرقين - وهو ما جاء في تاريخ الطبري ٣ : ٨٠ في شرح قصة الحديبية ، حين جاء سهيل بن عمرو ، لكتابة الصلح . روى الطبري عن البراء بن عازب قال : « . . . فلما كتب الكتاب ، كتب : « هذا ما تقاضى عليه محمد رسول الله » ، فقالوا لو نعلم أذك رسول الله ما منعناك ، ولكن أنت محمد بن عبد الله . قال : أنا رسول الله ، وأنا محمد بن عبد الله . قال لعلي : امح « رسول الله » . قال : لا والله لا أمحاك أبداً . فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم - وليس يحسن يكتب . . . فكتب مكان رسول الله « محمد » ، فكتب : هذا ما قاضى عليه محمد .

فظن أولاً أن ضمير الفاعل في قوله : « فكتب مكان رسول الله - محمد » ، هو رسول الله صلى الله عليه . وليس كذلك بل هو : علي بن أبي طالب الكاتب . وفي الكلام اختصار ، فإنه لما أمر علياً أن يمحو الكتاب فأبى ، أخذه رسول الله ، وليس يحسن يكتب ، فحاه . وتفسير ذلك قد أتى في حديث البخاري عن البراء بن عازب أيضاً ٣ : ١٨٤ : « فقال لعلي : امح . فقال علي : ما أنا بالذي أمحاه فحاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده » .

وأخرى أنه أخطأ في معنى « يحسن » ، فإنها هنا بمعنى « يعلم » ، وهو أدب حسن في العبارة ، حتى لا يظن عنه العلم ، وقد جاء في تفسير الطبري ٢١ : ٦ في تفسير قوله تعالى : « أحسن كل شيء خلقه » ، ما نصه : « معنى ذلك : أعلم كل شيء خلقه . كأنهم وجهوا تأويل الكلام إلى أنه ألهم كل خلقه ما يحتاجون إليه . وأنه قوله : « أحسن » ، إنما هو من قول القائل : « فلا يحسن كذا » ، إذا كان يعلمه » .

هذا ، والعرب تتأدب بمثل هذا ، فتضع اللفظ مكان اللفظ ؛ وتبطل بعض معناه ، ليكون تنزيهاً للسان ، أو تكزماً للذي تخبر عنه . ففي قوله : « ليس يحسن يكتب » ، أي ليس يعرف يكتب . وقد أطل السهيلي في الروض الأنف ١ : ٢٣٠ بكلام ليس يفي في تفسير هذا الكلمة .

ثم قالوا لقوم سِفْلةٌ جُهال: هذا من عند الله . وقال : قد أخبر أنهم يكتبون بأيديهم ، ثم سماهم أُمِّيَّين ، لجحودهم كتب الله ورسله. ^(١)
وهذا التأويل تأويلٌ على خلاف ما يعرف من كلام العرب المستفيض بينهم .
وذلك أن « الأُمِّي » عند العرب : هو الذى لا يكتب .

قال أبو جعفر : وأرى أنه قيل للأُمِّي « أُمِّي » ؛ نسبة له بأنه لا يكتب إلى « أُمِّه » ، لأن الكتاب كان فى الرجال دون النساء ، فنُسِبَ من لا يكتب ولا يخط من الرجال — إلى أُمِّه — فى جهله بالكتابة ، دون أبيه ، كما ذكرنا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله : « إِنَّا أُمَّة أُمِّيَّة لَا نَكْتُب وَلَا نَحْسِب » ، وكما قال : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [سورة الجمعة: ٢] . ^(٢)

فإذا كان معنى « الأُمِّي » فى كلام العرب ما وصفنا ، فالذى هو أولى بتأويل الآية ما قاله النخعي ، من أن معنى قوله : « ومنهم أُمِّيُّون » : ومنهم من لا يُحَسِّن أن يكتب .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ » ، لا يعلمون ما فى الكتاب الذى أنزله الله ، ولا يدرون ما أودعه الله من حدوده وأحكامه وفرائضه ، كهيئة البهائم ، كالذى : —

١٣٥٩ — حدثني الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

(١) قال ابن كثير فى تفسيره ١ : ٢١٥ ، وساق الخبر وكلام الطبرى ، ثم قال : « قلت : فى صحة هذا عن ابن عباس — بهذا الإسناد — نظر ، والله أعلم » .

(٢) اقتصر فى المطبوعة على قوله : « رسولاً منهم » ، وأتممت الآية ، لأنه يستدل بها على أنه جاء يعلم الأُمِّيَّين « الكتاب » .

معمر ، عن قتادة في قوله : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى » : إنما هم أمثال البهائم ، لا يعلمون شيئاً .

١٣٦٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لا يعلمون الكتاب » ، يقول : لا يعلمون الكتاب ولا يدرون ما فيه .

١٣٦١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « لا يعلمون الكتاب » ، لا يدرون ما فيه .

١٣٦٢ — حدثنا ابن حيد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « لا يعلمون الكتاب » ، قال : لا يدرون بما فيه .

٢٩٧/١ ١٣٦٣ — حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « لا يعلمون الكتاب » ، لا يعلمون شيئاً ، لا يقرأون التوراة . ليست تستظهر ، إنما تقرأ هكذا . فإذا لم يكتب أحدهم ، لم يستطع أن يقرأ .^(١)

١٣٦٤ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : « لا يعلمون الكتاب » ، قال : لا يعرفون الكتاب الذي أنزله الله .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما عني بـ « الكتاب » التوراة ، ولذلك أدخلت فيه « الألف واللام » ، لأنه قصد به كتاب معروف بعينه .

ومعناه : ومنهم فريق لا يكتبون ، ولا يدرون ما في الكتاب الذي عرفتموه الذي هو عندهم — وهم يتعطلونه ويدعون الإقرار به — من أحكام الله وفرائضه ، وما فيه من حدوده التي بينها فيه .

* * *

[واختلف أهل التأويل في تأويل قوله]^(٢) : « إلا أمانى » فقال بعضهم بما : —

(١) الأثر : ١٣٦٣ — كان في المطبوعة : « حدثنا بشر قال أخبرنا ابن وهب . . . » ، وهو سهو من الناسخ ، والإسناد كثير الدوران في التفسير ، أقرب به رقم : ١٣٥٧ .
(٢) ما بين القوسين زيادة يقتضيها الكلام . وكأن الناسخ سها فأغفلها .

١٣٦٥ - حدثنا به أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « إلا آماني » ، يقول : إلا قولاً يقولونه بأفواههم كذباً .

١٣٦٦ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « لا يعلمون الكتاب إلا أماني » : إلا كذباً .

١٣٦٧ - حدثني المثني قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

وقال آخرون بما : -

١٣٦٨ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إلا آماني » ، يقول : يتمنون على الله ما ليس لهم .

١٣٦٩ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « إلا آماني » ، يقول : يتمنون على الله الباطل وما ليس لهم .

١٣٧٠ - حدثني المثني قال ، حدثنا أبو صالح ، [عن معاوية بن صالح] ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « لا يعلمون الكتاب إلا أماني » ، يقول : إلا أحاديث .

١٣٧١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « ومنهم أميئون لا يعلمون الكتاب إلا أماني » ، قال : أناس من يهود ، لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئاً ، وكانوا يتكلمون بالظن بغير ما في كتاب الله ، يقولون : هو من الكتاب . أماني يتمنونها .

١٣٧٢ - حدثنا المثني قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « إلا آماني » ، يتمنون على الله ما ليس لهم .

١٣٧٣ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « إلا آماني » ، قال : تمنوا فقالوا : نحن من أهل الكتاب . وليسوا منهم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى ما رويناه في تأويل قوله « إلا أمانى » ، بالحق ، وأشبهه بالصواب ، الذى قاله ابن عباس - الذى رواه عنه الضحاك - ، وقول مجاهد : إن « الأماني » الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآية ، أنهم لا يفقهون من الكتاب الذى أنزله الله على موسى شيئاً ، ^(١) ولكنهم يتخرون الكذب ويتقولون الأباطيل كذبا وزوراً .

و « التنى » في هذا الموضع ، هو تخلف الكذب وتخرفه وافتعاله . يقال منه : « تمنيت كذا » ، إذا افتعلته وتخرفته . ومنه الخبر الذى روى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه : « ما تغنيت ولا تمنيت » ، ^(٢) يعنى بقوله : « ما تمنيت » ، ما تخرفت الباطل ، ولا اختلقت الكذب والإفك .

والذى يدل على صحة ما قلنا في ذلك - وأنه أولى بتأويل قوله : « إلا أمانى » من غيره من الأقوال - قول الله جل ثناؤه : « وإنهم لا يظنون » . فأخبر عنهم جل ثناؤه أنهم يظنون ما يظنون من الأكاذيب ، ظناً منهم لا يقيناً . ولو كان معنى ذلك أنهم « يتلون » ، لم يكونوا ظانين ، وكذلك لو كان معناه « يشتهون » . لأن الذى يتلوه ، إذا تدبره علمه . ولا يستحق - الذى يتلو كتاباً قرأه ، وإن لم يتدبره - بتركه التدبر أن يقال : هو ظان لما يتلو ، إلا أن يكون شاكاً في نفس ما يتلوه ، لا يلزمه الحق هو أم باطل . ولم يكن القوم - الذين كانوا يتلون التوراة على عصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود - فيما بلغنا -

(١) في المطبوعة : « وأنهم لا يفقهون » بزيادة الواو ، وهو خطأ لا يستقيم ، والصواب ما أثبتته من ابن كثير ١ : ٢١٦ .

(٢) في الفائق ١ : ١٦٣ عن عثمان رضى الله عنه : « قد اختبأت عند الله خصالاً : إني لأربع الإسلام ، وزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته ثم ابنته ، وبايعته بيدي هذه اليمنى فامسست بها ذكرى ، وما تغنيت ولا تمنيت ، ولا شربت خمرأ في جاهلية ولا إسلام » . وروى الطبري في تاريخه في خبر مقتلته رضى الله عنه ٥ : ١٣٠ ، أن الرجل الذى انتدب لقتله دخل عليه فقال له : « اغلعلها ونفلك . فقال : ويحك ! ما كشفت امرأة في جاهلية ولا إسلام ، ولا تغنيت ولا تمنيت ، ولا وضعت يميني على عورتي منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولست خالماً قيصاً كسانيه الله عز وجل » .

شاكّين في التوراة أنها من عند الله . وكذلك « المتمنى » الذى هو فى معنى « المتشهى » غير جائز أن يقال : هو ظان في تمنّيه . لأن التمنى من المتمنى ، إذا تمنّى ما قد وجد عينه . فغير جائز أن يقال : هو شاكّ ، فيما هو به عالم . لأن العلم والشكّ معنيان ينبنى كل واحد منهما صاحبه ، لا يجوز اجتماعهما في حين واحد . والمتمنى في حال تمنّيه ، موجودٌ تمنّيه ، فغيرُ جائز أن يقال : هو يظنّ تمنّيه .^(١)

وإنما قيل : « لا يعلمون الكتاب إلا أمانى » ، و « الأمانى » من غير نوع « الكتاب » ، كما قال ربنا جل ثناؤه : ﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَتْبَاعَ الظَّنِّ ﴾ [سورة النساء : ١٥٧] ، و « الظن » من « العلم » بمعزل . وكما قال : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا أَتْبَاعًا وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ [سورة الليل : ١٩ ، ٢٠] ، وكما قال الشاعر :^(٢)

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ قَيْسٍ عِتَابٌ غَيْرَ طَعْنٍ الْكُلِّيَّ وَضَرْبِ الرَّقَابِ^(٣)
وكما قال نابغة بنى ذبيان :

حَلَفْتُ يَمِينًا غَيْرَ ذِي مَشْنُونَةٍ ، وَلَا عِلْمٍ ، إِلَّا حُسْنَ ظَنٍّ بِصَاحِبِ^(٤)

(١) في المطبوعة : « غير جائز » ، والصواب إثبات الفاء .

(٢) هو عمرو بن الأيهم التغلبي النصراني ، وقيل اسمه : عمير ، وقيل هو أعشى تغلب . روى عن الأخطل أنه قيل له وهو يموت : على من تخلف قبولك ؟ قال : على العمير بن . يعنى القطامى عمير ابن أشيم ، وعمير بن الأهم .

(٣) سيبويه ١ : ٣٦٥ ، والوحشيات رقم : ٥٥ ، ومعجم الشعراء : ٢٤٢ ، وحاشية البحرى : ٣٢ ، وانظر تحقيق الراجكوتى في سبط اللآلئ : ١٨٤ . والشعر يقول في هجاء قيس عيلان يقول فيها :

قَاتَلَ اللَّهُ قَيْسَ عَيْلَانَ طُرًّا مَا لَهُمْ دُونَ غَدْرَةٍ مِنْ حَجَابٍ

ثم إن سيبويه أنشد البيت برفع « غير » ، على البدل من « عقاب » ، اتساعاً ومجازاً .

(٤) ديوانه : ٤٢ ، وسيبويه ١ : ٣٦٥ ، وغيرهما ، وروايتهم جميعاً : « بصاحب » ، وكان في الأصل المطبوع « بغائب » ، وأظن أن ما كان في الطبرى خطأ من النسخ ، لأنه لا يتفق مع الشعر . فالنابغة يمدح بهذه الأبيات عمرو بن الحارث الأعرج النسافى ، فيقول قبله :

كَلَى لِعَمْرٍو نِعْمَةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ لَوْلَا إِلَهٍ ، لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبٍ

في نظائر لما ذكرنا يطول بإحصائها الكتاب .^(١)

ويخرج بـ « إلا » ما بعدها من معنى ما قبلها ومن صفتها ، وإن كان كل واحد منهما من غير شكل الآخر ومن غير نوعه . ويسمى ذلك بعض أهل العربية « استثناء منقطعاً » ، لانقطاع الكلام الذى يأتى بعد « إلا » عن معنى ما قبلها . وإنما يكون ذلك كذلك ، فى كل موضع حسن أن يوضع فيه مكان « إلا » « لكن » ؛ فيعلم حينئذ انقطاع معنى الثانى عن معنى الأول . ألا ترى أنك إذا قلت : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى » ، ثم أردت وضع « لكن » مكان « إلا » وحذف « إلا » ، وجدت الكلام صحيحاً معناه ، صحته وفيه « إلا » ؟ وذلك إذا قلت : ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب لكن أمانى . يعنى : لكنهم يتمنون . وكذلك قوله : « ما لهم به من علم إلا اتباع الظن » ، لكن اتباع الظن ، بمعنى : لكنهم يتبعون الظن . وكذلك جميع هذا النوع من الكلام على ما وصفنا .

* * *

وقد ذكر عن بعض القراء أنه قرأ^(٢) : « إلا أمانى » مخففة . ومن خفف ذلك وجهه إلى نحو جمعهم « المفتاح » « مفاتيح » و « القرقور » « قراقر » ،^(٣) وأن

حلفت يمينا

لَنْ كَانَ لِلْقَبْرَيْنِ : قَبْرٍ بَجَلَقٍ وَقَبْرِ بِصِيدَاءِ الَّذِي عِنْدَ حَارِبٍ
وَلِلْحَارِثِ الْجَفْنَى سَيِّدٍ قَوْمِهِ — لَيْلَتَمَسَّنَ بِالْجَيْشِ دَارَ الْمَحَارِبِ

قوله : « مثنوية » أى استثناء . فهو يقول لعمرو : حلفت يمينا لأن كان من هو — من ولد هؤلاء الملوك من آباءه ، الذين عدد قبورهم وما ثرم — ليغزون من حاربه فى عقر داره وليهزته ، ولم أقل هذا من علم إلا ما عندى فى صاحبي من حسن الظن . فرواية الطبرى لا تستقيم ، إن صحت عنه .

(١) انظر سيبويه ١ : ٣٦٣ — ٣٦٦ « هذا باب يختار فيه النصب ، لأن الآخر ليس من نوع الأول » . ثم الباب الذى يليه : « هذا باب ما لا يكون إلا على معنى » ولكن .

(٢) فى المطبوعة : « بعض القراء » و « لإجماع القراء » ، ورددته إلى ما جرى عليه الطبرى آنفاً .

(٣) انظر معانى القرآن للقراء ١ : ٤٩ .

ياء الجمع لما حذفت خفت الياء الأصلية - أعني من « الأمانى » - كما جمعوا « الأثنيّة » « أثاني » محففة ، كما قال زهير بن أبي سلمى :

أَثَانِي سَفْعًا فِي مُعَرَّسٍ مِرْجَلٍ وَنُؤْيَا كَجِذْمِ الْحَوْضِ لَمْ يَنْتَلِمِ^(١)
وَأَمَّا مِنْ تَقَلُّ « أمانى » فشدد ياءها ، فإنه وجه ذلك إلى نحو جمعهم « المفتاح
مفاتيح » ، والقُرُقور قراقير ، والزنبور زنابير » ، فاجتمعت ياء « فعاليل » ولامها ،
وهما جميعاً يا آن ، فأدغمت إحداهما في الأخرى ، فصارتا ياء واحدة مشددة .

* * *

فأما القراءة التي لا يجوز غيرها عندى لقارئ فى ذلك ، فتشديدُ ياء « الأمانى » ،
لإجماع القراء على أنها القراءة التي مضى على القراءة بها السلف - مستفيض
ذلك بينهم ، غير مدفوعة صحته - وشذوذ القارئ بتخفيفها عما عليه الحجة مجمعة
فى ذلك .^(٢) وكفى دليلاً على خطأ قارئ ذلك بتخفيفها^(٣) ، إجماعها على تخطئته . ٢٩٩/١

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (٧٨)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ » ، وما هم ،
كما قال جل ثناؤه : ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ [سورة
إبراهيم ١١] ، يعنى بذلك : ما نحن إلا بشر مثلكم .

* * *

ومعنى قوله : « إِلَّا يَظُنُّونَ » : إلا يشكون ، ولا يعلمون حقيقته وصحته .

و « الظن » - فى هذا الموضع - الشك .

(١) ديوانه ٧ المرجل : قدر يطبخ فيها ، ومعرس المرجل : حيث يقام فيه ، من التمريس :
وهو النزول والإقامة . وسفع جمع أسفع ، والسفعة : سواد تغالطه حمرة ، من أثر النار ودخانها . والنوى :
ما يقام من الحجارة حول الحباء حتى لا يدخله ماء المطر . وجذم الحوض : حرقه وأصله . يعنى : النوى
قد ذهب أحلاه وبقي أصله لم يتحطم ، كبقايا الحوض . يقول : عرفت الدار بهذه الآثار ، قبله :
« فلأذا عرفت الدار بعد توهم » ، ونصب « أذاني » بقوله : « توهم » .

(٢) سياق العبارة : لإجماع القراءة على أنها القراءة . . . وعلى شذوذ القارئ بتخفيفها « عل المطف .

(٣) فى المطبوعة : « وكفى خطأ على قارئ ذلك » ، وهو ليس بكلام صحيح ، والصواب ما أثبتته ،

استظهاراً من عبارة الطبرى ، فيما سلف من أشباه ذلك .

فمعنى الآية : ومنهم من لا يكتب ولا يخط ولا يعلم كتاب الله ولا يدرى ما فيه ، إلا تخرصاً وتقولاً على الله الباطل ، ظناً منه أنه حق في تخرصه وتقوله الباطل .

* * *

وإنما وصفهم الله تعالى ذكره بأنهم في تخرصهم على ظن أنهم محقون وهم مُبطلون ، لأنهم كانوا قد سمعوا من رؤسائهم وأخبارهم أموراً حسيبوها من كتاب الله ، ولم تكن من كتاب الله ، فوصفهم جل ثناؤه بأنهم يتركون التصديق بالذي يُوقنون به أنه من عند الله مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، ويتبعون ما هم فيه شاكئون ، وفي حقيقته مرتابون ، مما أخبرهم به كبارهم ورؤسائهم وأخبارهم ، عناداً منهم لله ولرسوله ، ومخالفةً منهم لأمر الله ، واغتراراً منهم بإمهال الله إياهم . وبنحو ما قلنا في تأويل قوله : « وإن هم إلا يظنون » ، قال فيه المتأولون من السلف :

١٣٧٤ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وإن هم إلا يظنون » ، إلا يكذبون .

١٣٧٥ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

١٣٧٦ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .

١٣٧٧ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس : « لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون » ، أى لا يعلمون ولا يدرون ما فيه ، وهم يحمدون نبوتك بالظن .

١٣٧٨ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وإن هم إلا يظنون » ، قال : يظنون الظنون بغير الحق .

١٣٧٩ - حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن

الربيع ، عن أبي العالية قال : يظنون الظنون بغير الحق .
١٣٨٠ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن
الربيع مثله .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿فَوَيْلٌ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : «فَوَيْلٌ» . فقال
بعضهم بما : —

١٣٨١ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن
عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : «فَوَيْلٌ» ، يقول : فالعذاب
عليهم .^(١)

* * *

وقال آخرون بما : —

١٣٨٢ — حدثنا به ابن بشار . قال ، حدثنا ابن مهدي . قال ، حدثنا سفيان ،
عن زياد بن فياض ، قال : سمعت أبا عياض يقول : الوَيْلُ : ما يسيل من صديد
في أصل جهنم .^(٢)

١٣٨٣ — حدثنا بشر بن أبان الخطّاب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن
زياد بن فياض ، عن أبي عياض في قوله : «فَوَيْلٌ» ، قال : صهريج في أصل جهنم ،
يسيل فيه صديدهم .^(٣)

(١) في المطبعة : «فَوَيْلٌ لهم» . والصواب حذف «لهم» ، ليست من الآية هنا .

(٢) الخبر : ١٣٨٢ — سفيان : هو الثوري . زياد بن فياض الخزاعي : ثقة ، مات سنة ١٢٩ .
مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٣٣٤/١/٢ ، وابن أبي حاتم ٥٤٢/٢/١ . أبو عياض : هو
عمرو بن الأسود العنسي ، تابعي ثقة ، كان من عباد أهل الشام وزهادهم . مترجم في التهذيب ، وابن
أبي حاتم ٢٢٠/١/٣ — ٢٢١ .

(٣) الخبر : ١٣٨٣ — بشر بن أبان الخطّاب ، شيخ الطبري : لم أجد له ترجمة ولا ذكراً
فيما بين يدي من المراجع .

١٣٨٤ - حدثنا علي بن سهل الرملي قال ، حدثنا زيد بن أبي الزرقاء قال ،
حدثنا سفيان ، عن زياد بن فياض ، عن أبي عياض قال : الويل ، وادٍ من
صديد في جهنم . (١)

١٣٨٥ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا مهرا ، عن شقيق قال : « ويل » ،
ما يسيل من صديد في أصل جهنم .

• • •

وقال آخرون بما : -

١٣٨٦ - حدثنا به المثنى قال ، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام بن صالح
التستري . قال ، حدثنا علي بن جرير ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الحميد
ابن جعفر ، عن كنانة العدوي ، عن عثمان بن عفان ، عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : الويل جبل في النار . (٢)

(١) الخبر : ١٣٨٤ - علي بن سهل الرملي ، شيخ الطبري : ثقة ، مات سنة ٢٦١ . مترجم
في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١٨٩/١/٣ . زيد بن أبي الزرقاء الموصل ، نزيل الرملة : ثقة ، مات
سنة ١٩٤ . مترجم في التهذيب ، والكبير ٣٦١/١/٢ ، وابن أبي حاتم ٥٧٥/٢/١ . سفيان هو
الثوري . « عن زياد بن فياض » ، كالإسنادين اللذين قبله . وفي المطبوعة : « سفيان بن زياد بن فياض » ،
وهو تحريف .

(٢) الحديث : ١٣٨٦ - هذا الإسناد مشكل . ووقع فيه هنا خطأ . من الناسخ أو الطابع ،
صحناه من الرواية الآتية : ١٣٩٥ فقد كان فيه « حماد بن سلمة بن عبد الحميد بن جعفر » ؛ وصوابه
« عن عبد الحميد بن جعفر » ، كما هو بدهي .

وأما ما أشكل علينا فيه : فراويان لم نجد لهما ذكراً ولا ترجمة .

أحدهما : « إبراهيم بن عبد السلام بن صالح التستري » . وسيأتي في الإسناد الآخر « إبراهيم بن
عبد السلام » فقط . ولم أستطع أن أعرف من هو ؟ وقد نقل ابن كثير ١ : ٢١٧ الحديث الآتي :
١٣٩٥ ، وأكمل نسب هذا الشيخ ، ولكنه وقع فيه هكذا « إبراهيم بن عبد السلام ، حدثنا صالح القشيري !
وأنا لست على ثقة من دقة التصحيح في طبعة تفسير ابن كثير ، وأرى أن ما في نسخة الطبري أقرب إلى
الصحة .

والراوي الآخر : « علي بن جرير » . وقد أتمبني أن أعرف من هو ؟ مع البحث في كل المراجع ،
وتقليبه على كل الاحتمالات .

وأما عبد الحميد بن جعفر : فإنه الأنصاري الأوسي المدني ، وهو ثقة ، وثقه أحمد وابن سعد وغيرهما ،
مات سنة ١٥٣ ، مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١٠/١/٣ . و « كنانة العدوي » : هو كنانة
ابن نعيم ، وهو تابعي ثقة ، مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٢٣٦/١/٤ ، وابن أبي حاتم ٢/٣/

١٣٨٧ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني عمرو بن ٢٠٠/١

الحارث ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « ويل » واد في جهنم ، يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ إلى قعره .^(١)

* * *

قال أبو جعفر : فغنى الآية - على ما روى عن ذكرته قوله في تأويل « ويل » - :
- : فالعذاب = الذى هو شرب صديد أهل جهنم في أسفل اللحيم = لليهود الذين يكتبون الباطل بأيديهم ، ثم يقولون : هذا من عند الله .

* * *

١٦٩ . ولكنى أغشى أن لا يكون أدرك عثمان بن عفان ، فإنهم لم يذكروا له رواية إلا عن أبي برزة الأسلمى وقصيبة بن الحارث ، وهما متأخران كثيراً عن عثمان .

وأما ما كان ، فهذا الحديث لا أظنه مما يقوم إسناده . وهو مختصر من الحديث الآتى : ١٣٩٥ .
والحافظ ابن كثير حين ذكره عن الطبرى ، وصفه بأنه « غريب جداً » . وقد ذكره السبوطى أيضاً : ٨٢ ، ولم ينسبها لغير الطبرى . فالله أعلم .

(١) الحديث : ١٣٨٧ - إسناده صحيح . عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصارى المصرى : ثقة حافظ متقن ، مترجم في التهذيب ، وابن سعد ٢٠٣/٢/٧ وابن أبي حاتم ٢٢٥/١/٣ . دراج ، بفتح الدال وتشديد الراء : هو ابن سيمان ، أبو السمح ، المصرى القاص ، وهو ثقة ، فيه خلاف كثير .
والراجح عندنا أنه ثقة ، كما بينا ذلك في شرح المسند : ٦٦٣ ، وفي تعليقنا على تهذيب السنن : ٢٣٨٨ .
أبو الهيثم : هو سليمان بن عمرو العبثى المصرى ، كان يتبع لآبى سعيد الخدرى ، وكان في حجره . وهو تابعى ثقة ، مترجم في التهذيب ، والكبير للبخارى ٢٨/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ١٣١/١/٢ - ١٣٢ .
والحديث رواه ابن أبي حاتم - كما نقل عنه ابن كثير ٢١٧ - عن يونس بن عبد الأعلى ، شيخ الطبرى هنا ، بهذا الإسناد .

ورواه الحاكم في المستدرک ٥٩٦ ، من طريق بحر بن نصر . عن ابن وهب ، بهذا الإسناد ، بزيادة في آخره . وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي .

ورواه أحمد في المسند : ١١٧٣٥ (ج ٣ ص ٧٥ حلبى) ، عن حسن بن موسى ، عن ابن لهيعة ، عن دراج ، به ، بزيادة في آخره . وقال ابن كثير - عقب رواية ابن أبي حاتم : « ورواه الترمذى عن عبد بن حميد ، عن الحسن بن موسى ... وقال : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة . قلت [القائل ابن كثير] : لم ينفرده به ابن لهيعة كما ترى . ولكن الآفة من بعده ! وهذا الحديث بهذا الإسناد مرفوعاً - منكر » !

أقول : وابن كثير يريد بذلك جرح دراج أبو السمح ، وجعله علة الحديث . والصحيح ما ذهبنا إليه . وقد رواه ابن حبان في صحيحه أيضاً . كما في الدر المنثور ١ : ٨٢ .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك الذين حرقوا كتاب الله من يهود بنى إسرائيل ، وكتبوا كتاباً على ما تأولوه من تأويلاتهم ، مخالفاً لما أنزل الله على نبيه موسى صلى الله عليه وسلم ، ثم باعوه من قوم لا علم لهم بها ، ولا بما فى التوراة ، جهال بما فى كتب الله — لطلب عَرَضٍ من الدنيا خسيس ، فقال الله لهم : « فويلٌ لهم مما كُتِبَ بأيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون » ، كما : —

١٣٨٨ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً » ، قال : كان ناس من اليهود كتبوا كتاباً من عندهم ، يبيعونه من العرب ، ويحدثونهم أنه من عند الله ، ليأخذوا به ثمناً قليلاً .

١٣٨٩ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر ابن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : : الأمميون قوم لم يصدقوا رسلاً أرسله الله ، ولا كتاباً أنزله الله ، فكتبوا كتاباً بأيديهم ، ثم قالوا لقوم سفلة جهال : هذا من عند الله ، « ليشتروا به ثمناً قليلاً » . قال : عَرَضاً من عَرَضِ الدنيا .

١٣٩٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله » ، قال : هؤلاء الذين عرفوا أنه من عند الله ، يحرّفونه .

١٣٩١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله — إلا أنه قال : ثم يحرّفونه .

١٣٩٢ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد ، عن قتادة : « فويلٌ

للذين يكتبون الكتاب بأيديهم » الآية ، وهم اليهود .

١٣٩٣ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

معمر ، عن قتادة في قوله : « فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون

هذا من عند الله » ، قال : كان ناس من بنى إسرائيل كتبوا كتاباً بأيديهم ، ليتأكلوا

الناس ، فقالوا : هذا من عند الله ، وما هو من عند الله . (١)

١٣٩٤ - حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن

الربيع ، عن أبي العالية قوله : « فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون

هذا من عند الله كيشروا به ثمناً قليلاً » ، قال : عمدوا إلى ما أنزل الله في كتابهم

من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فحرفوه عن مواضعه ، يبتغون بذلك عَرَضاً

من عرض الدنيا ، فقال : « فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون » .

١٣٩٥ - حدثني المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام قال ،

حدثنا علي بن جرير ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن

كنانة العدوي ، عن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم : « فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون » ، الويل جبل في النار ،

وهو الذى أنزل في اليهود ، لأنهم حَرَفُوا التوراة ، وزادوا فيها ما يحبون ، ومَحَوْا منها

ما يكرهون ، ومَحَوْا اسم محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة . فلذلك غَضِبَ الله ٣٠١/١

عليهم ، فرفع بعض التوراة ، فقال : « فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم مما

يكسبون » . (٢)

١٣٩٦ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني سعيد بن أبي

(١) يقال فلان يستأكل الضغفاء : يأخذ أموالهم ويأكلها . أما قوله : « ليتأكلوا » ، فلم أجد في

المعاجم « يتأكل » ، فإن صح نص الطبري ، وإلا فهي عربية معرقة ، صح أو لم يصح .

(٢) الحديث : ١٣٩٥ - مضمون الكلام فيه مفصلاً : ١٣٨٦ .

أيوب ، عن محمد بن عجلان ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار . قال :
وَيْلٌ ، واد في جهنم ، لو سُيرت فيه الجبال لَانْمَاعَتْ من شدة حرّه . (١)

* * *

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل : وما وجه قوله : (٢) « فَوَيْلٌ للذين يَكْتُبُونَ
الكتاب بأيديهم » ؟ وهل تكون الكتابة بغير اليد ، حتى احتاج المخاطبون بهذه
المخاطبة ، إلى أن يُخْبَرُوا عن هؤلاء القوم — الذين قصّ قصّتهم — أنهم كانوا يكتبون
الكتاب بأيديهم ؟

قيل له : إن الكتابَ من بني آدمَ ، وإن كان منهم باليد ، فإنه قد يضاف
الكتاب إلى غير كاتبه وغير المتولّى رسمَ خطّه فيقال : « كتب فلان إلى فلان
بكذا » ، وإن كان المتولّى كتابته بيده ، غيرُ المضاف إليه الكتاب ، إذا كان
الكاتبُ كتبه بأمر المضاف إليه الكتاب . فأعلم ربُّنا بقوله : « فَوَيْلٌ للذين يَكْتُبُونَ
الكتاب بأيديهم » عبادة المؤمنين ، أن أحبارَ اليهود تلى كتابةَ الكذب والفِرْيَةِ
على الله بأيديهم ، على علم منهم وعمد للكذب على الله ، ثم تَنَحَّلَ إلى أنه من عند
الله وفي كتاب الله ، (٣) تكذباً على الله وافتراءً عليه . فنفيَ جل ثناؤه بقوله : « يكتبون
الكتاب بأيديهم » ، أن يكون ولي كتابة ذلك بعضُ جهالهم بأمر علمائهم وأحبارهم .
وذلك نظيرُ قول القائل : « باعني فلانُ عينه كذا وكذا ، فاشترى فلانُ نفسه
كذا » ، يراد بإدخال النفس والعين في ذلك ، نفيُ اللبس عن سامعه ، أن يكون
المتولّى بيع ذلك أو شراءه ، غيرُ الموصوف له أمره ، (٤) ويُوجب حقيقة الفعل للمُخْبِرِّ

(١) سيرت : أدخلت ودفعت لتسير . وانماع الملح في الماء : ذاب . وفي اللسان روى تفسير
عطاء ، وفيه : « لماعت » ، أى ذابت وصالت .

(٢) في المطبوعة : « فما وجه فويل للذين . . . » ، كأنه سقط حرف من ناسخ أو طابع .

(٣) يقال : نحل فلان فلاناً شعراً : نسبته إليه باطلا . وكره الطبرى أن يقول ما لا يجوز لأحد
في ذكر ربه سبحانه وتعالى ، فانتبهج طريقاً في أساليب العربية ، فقال : « فنحلّه إلى أنه من عند الله »
أى نسبته باطلا إلى أنه من عند الله . ولم يعد الفعل إلى مفعوليه .

(٤) كان في المطبوعة : « أن يكون المتولّى يبيع ذلك وشراءه ، غير الموصوف به بأمره » وهو
كلام غير واضح ولا مفهوم ، فأثرت أن أصححه ما استطلعت .

عنه . فكذلك قوله : « فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ » .

° ° °

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (٧٩)

قال أبو جعفر: يعنى جل ثناؤه بقوله: « فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ »، أى: فالعذاب — فى الوادى السائل من صديد أهل النار فى أسفل جهنم — لهم ، يعنى : للذين يكتبون الكتاب ، الذى وصفنا أمره، من يهود بنى إسرائيل محرّفاً، ثم قالوا : هذا من عند الله ، ابتغاءَ عَرَضٍ من الدنيا به قليل ممن يبتاعه منهم .

° * *

وقوله: « مما كتبت أيديهم »، يقول: من الذى كتبت أيديهم من ذلك ، وويل لهم أيضاً « مما يكسبون »، يعنى : مما يعملون من الخطايا، ويحترحون من الآثام ، ويكسبون من الحرام ، بكتابهم الذى يكتبونه بأيديهم بخلاف ما أنزل الله ، ثم يأكلون ثمنه ، وقد باعوه ممن باعوه منهم على أنه من كتاب الله ، كما : —
١٣٩٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « وويل لهم مما يكسبون »، يعنى : من الخطيئة .

١٣٩٨ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « فويل لهم »، يقول : فالعذاب عليهم . قال : يقول : من الذى كتبوا بأيديهم من ذلك الكذب ، « وويل لهم مما يكسبون »، يقول : مما يأكلون به من السفلة وغيرهم .

° ° °

قال أبو جعفر : وأصل «الكسب» : العمل . فكل عامل عملاً ، بمباشرة منه منه لما عمل ، ومُعَانَاةً باحتراف ، فهو كاسبٌ لما عمل ، كما قال لبيد بن ربيعة :
ج ٢ (١٨)

لِمُعْفَرٍ قَهْدٍ تَنَازَعُ شِلْوَهُ غُبْسٌ كَوَاسِبٌ ، لَا يَمْنُ طَعَامُهَا ^(١)

القول في تأويل قوله ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾

٣٠٢/١ قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « وقالوا » ، اليهود . يقول : وقالت اليهود : « لن تمسنا النار » ، يعنى : لن تُلَاقِ أجسامنا النار ولن ندخلها ، « إلا أياماً معدودة » . وإنما قيل « معدودة » ، وإن لم يكن ميّناً عددها في التنزيل ، لأن الله جل ثناؤه أخبر عنهم بذلك ، وهم عارفون بعدد الأيام التي يُوقَّتُونَهَا لمكثهم في النار . فلذلك ترك ذكر تسمية عدد تلك الأيام ، وسَمَّاهَا « معدودة » ، لما وصفنا .

ثم اختلف أهل التأويل في مبلغ الأيام المعدودة التي عيَّنَهَا اليهود ، القائلون ما أخبر الله عنهم من ذلك . فقال بعضهم بما : —

١٣٩٩ — حدثنا به أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « وقالوا لن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً » ، قال ذلك أعداءُ الله اليهود ، قالوا : لن يدخلنا الله النار إلا

(١) من معلقة التنبيلة . واللام في قوله « لمعفر » ، ترده إلى البيت قبله :

خَنَسَاءُ ضَيَّعَتِ الْفَرِيرَ ، فَلَمْ يَرِمْ غُرُضَ الشَّقَاتِي طَوْفُهَا وَبُغَامُهَا

والخنساء : البقرة الوحشية ، والفريز : ولدها . واشقاق : أرض غليظة بين رملتين ، أودعت هناك فيه ولدها . وطوفها : طوافها حائرة . بغامها : صوتها صائحة باكية . ظلت تطوف وتنادى ولدها . وقوله : « لمعفر » ، أى طوفها وبغامها من أجل « معفر » . والمعفر : الذى ألقى في العفر ، وهو التراب ، صادت ولدها الذئاب . قهد : هو ولد البقر ، لطيف الجسم أبيض اللون . والشلو : العضو من اللحم ، أو الجسد كله . وغيس : غبر ، وهى الذئاب . لا يَمْنُ طعامها : تكسب طعامها بنفسها ، فلا يَمْنُ عليها أحد .

تحلّة القسم ، الأيام التي أصبنا فيها العجل : أربعين يوماً ، فإذا انقضت عنا تلك الأيام ، انقطع عنا العذاب والقسم .

١٤٠٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة » ، قالوا : أياماً معدودة بما أصبنا في العجل .

١٤٠١ — حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة » ، قال : قالت اليهود : إن الله يدخلنا النار فتمكث فيها أربعين ليلة ، حتى إذا أكلت النار خطايانا واستنقثنا ،^(١) نادى مناد : أخرجوا كل مختون من ولد بني إسرائيل . فلذلك أمرنا أن نختن . قالوا : فلا يدعون منا في النار أحداً إلا أخرجوه .

١٤٠٢ — حدثني الثني قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية قال : قالت اليهود : إن ربنا عتب علينا في أمرنا ، فأقسم ليعذبنا أربعين ليلة ، ثم يخرجنا . فأكذبهم الله .

١٤٠٣ — حدثني الثني قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن قتادة قال : قالت اليهود : لن ندخل النار إلا لتحلّة القسم ، عدد الأيام التي عبدنا فيها العجل .

١٤٠٤ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة » الآية ، قال ابن عباس : ذكر أن اليهود وجدوا في التوراة مكتوباً ، أن ما بين طرقي جهنم مسيرة أربعين سنة ، إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم نابتة في أصل الجحيم — وكان ابن عباس يقول : إن الجحيم سقر ، وفيها شجرة الزقوم — فزعم أعداء الله ،

(١) نقيت الثوب (بتشديد القاف) وأنقيته نقاء فهو نقي : نظيف . و « استنقثه » ليست في المعاجم ، ولكنها صحيحة البناء والمعنى .

أنه إذا خلا العدد الذي وَجَلُوا في كتابهم أياماً معدودة — وإنما يعني بذلك المسير الذي ينتهي إلى أصل الجحيم — فقالوا : إذا خلا العدد انتهى الأجل . فلا عذاب ، وتذهب جهنم وهلك .^(١) فذلك قوله : « لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة » ، يعنون بذلك الأجل . فقال ابن عباس : لما اقتحموا من باب جهنم ، ساروا في العذاب حتى انتهوا إلى شجرة الزقوم آخر يوم من الأيام المعدودة ، قال لهم خزان سقر : زعمتم أنكم كنتم تمسكم النار إلا أياماً معدودة ! فقد خلا العدد ، وأنتم في الأبد ! فأخذ بهم في الصعود في جهنم يُرهبون .^(٢)

١٤٠٥ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة » ، إلا أربعين ليلة .

١٤٠٦ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا حفص بن عمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة قال : خاصمت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : لن ندخل النار إلا أربعين ليلة ، وسيخلفنا فيها قوم آخرون — يعنون محمداً وأصحابه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على رؤسهم^(٣) : بل أنتم فيها خالدون ، لا يخلفكم فيها أحد . فأنزل الله جل ثناؤه : « وقالوا كن تمسنا النار إلا أياماً معدودة » .

١٤٠٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال ، أخبرني الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، قال : اجتمعت يهود يوماً تخاصم النبي صلى الله عليه وسلم . فقالوا : « لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة » ،

(١) خلا يخلو : مضى وذهب وانقضى .

(٢) الصعود : مشقة العذاب ، ولكنه أراد هنا ما قالوا : جبل في جهنم من جرة واحدة ، يكلف الكافر ارتقاؤه ، ويضرب بالمقامع ، فكلما وضع عليه رجله ذابت إلى أسفل دركه ، ثم تعود مكانها صحيحة ، والله أعلم .

(٣) قال بيده : أشار . وقد مضى مثل ذلك مراراً .

— وَاسْمُوا أَرْبَعِينَ يَوْمًا — ثُمَّ يَخْلُفُنَا ، أَوْ يَلْحَقُنَا ، فِيهَا أَنَاسٌ . فَأَشَارُوا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَذَبْتُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَخْلُدُونَ ، لَا نَلْحَقُكُمْ وَلَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَبَدًا .^(١)

١٤٠٨ — حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مَعْبُدٍ ، عَنْ أَبِي معاوية ، عَنْ جُوَيْرٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : « لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً » ، قَالَ : قَالَتِ الْيَهُودُ : لَا نَعَذَّبُ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، مِقْدَارَ مَا عَبَدْنَا الْعَجَلَ .

١٤٠٩ — حَدَّثَنِي يُونُسُ قَالَ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُمْ : أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ وَبِالتَّوْرَةِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى مُوسَى يَوْمَ طُورِ سَيْنَاءَ ، مَنْ أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ أَنْزَلَهُمُ اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ ؟ وَقَالُوا : إِنْ رَبَّنَا غَضِبَ عَلَيْهِمْ غَضَبٌ ، فَنَمُكُثُ فِي النَّارِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، ثُمَّ نَخْرُجُ فَتَخْلُفُونَا فِيهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَذَبْتُمْ وَاللَّهِ ، لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا . فَتَزَلُ الْقُرْآنُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَكْذِيبًا لَهُمْ : « وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً » قُلْ أَنْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا إِلَى قَوْلِهِ : « هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » .^(٢)

• • •

وَقَالَ آخَرُونَ فِي ذَلِكَ بِمَا : —

١٤١٠ — حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ قَالَ ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بَكِيرٍ قَالَ ، حَدَّثَنَا ابْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ ابْنِ جَبْرِ ، أَوْ عِكْرَمَةُ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَتْ يَهُودٌ يَقُولُونَ : إِنَّمَا مَدَّةُ الدُّنْيَا سَبْعَةُ آلَافِ سَنَةٍ ، وَإِنَّمَا يَعَذَّبُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِكُلِّ أَلْفِ سَنَةٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا يَوْمًا وَاحِدًا مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ ، وَإِنَّهَا سَبْعَةُ أَيَّامٍ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ مِنْ

(١) الْحَدِيثَانِ : ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ — هُمَا حَدِيثٌ وَاحِدٌ بِإِسْنَادَيْنِ . وَنَسَبَهُ السَّيْوِيُّ أَيْضًا ١ :

٨٤ ، لِعَبْدِ بْنِ حَمْدٍ ، وَابْنِ الْمُنْذَرِ ، وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ . وَهُوَ حَدِيثٌ مُرْسَلٌ ، لَا يَقُومُ بِهِ حُجَّةٌ .

(٢) الْحَدِيثُ : ١٤٠٩ — هُوَ حَدِيثٌ مُرْسَلٌ أَيْضًا .

قولهم : « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة » الآية .

١٤١١ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، ويهودُ تقول : إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنما يُعَذَّبُ الناس في النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا ، يوماً واحداً في النار من أيام الآخرة ، فلأنما هي سبعة أيام ، ثم ينقطع العذاب . فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم : « لن تمسنا النار » الآية .

١٤١٢ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة » ، قال : كانت تقول : إنما الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يوماً .

١٤١٣ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله - إلا أنه قال : كانت اليهود تقول : إنما الدنيا وسائر الحديث مثله .

١٤١٤ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال مجاهد : وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة من الدهر . وسموا عِدَّة سبعة آلاف سنة ، من كل ألف سنة يوماً . يهودُ تقوله .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قُلْ أَتُخَذُّنَّكُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٨٠)

قال أبو جعفر : لما قالت اليهود ما قالت من قولها : « لن تمسنا النار إلا أياماً

معلودة » — على ما قد بينا من تأويل ذلك — قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد ، لمعشر اليهود : « اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا » : اتَّخَذْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ ٣٠٤/١ من ذلك من الله ميثاقاً ، فالله لَا يَنْقُضُ مِيثَاقَهُ ، وَلَا يُبَدِّلُ وَعْدَهُ وَعَقْدَهُ ، أم تقولون على الله الباطل جهلاً وَجَرَاءً عليه ؟ كما : —

١٤١٥ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد : « قُلْ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا » ، أى : مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ بِذَلِكَ أَنَّهُ كَمَا تَقُولُونَ .

١٤١٦ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد مثله .

١٤١٧ — حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن قتادة قال : قالت اليهود : لن ندخل النار إلاّ تَحِلَّةَ الْقَسَمِ ، عِدَّةَ الْأَيَّامِ الَّتِي عَبَدْنَا فِيهَا الْعَجَل ، فقال الله : « اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا » ، بهذا الذى تقولونه ؟ أَلَكُم بِهَذَا حُجَّةٌ وَبِرْهَانٌ ؟ فَمَنْ يُخْلِفُ اللَّهَ عَهْدَهُ ، فَهَاتُوا حُجَّتَكُمْ وَبِرْهَانَكُمْ ، أم تقولون على الله ما لا تعلمون ؟

١٤١٨ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : لما قالت اليهود ما قالت ، قال الله جل ثناؤه لمحمد ، قل : « اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا » ، يقول : أَدَّخَرْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا ؟ يقول : أَقْلَمَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، لم تَشْرِكُوا وَلَمْ تَكْفُرُوا بِهِ ؟ فَإِنْ كُنْتُمْ قُلْتُمُوهَا فَارْجُوا بِهَا ، وَإِنْ كُنْتُمْ لَمْ تَقُولُوهَا ، فَلَمْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ؟ يقولون : لو كنتم قلتم لا إله إلا الله ولم تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، ثُمَّ مَتُّمْتُمْ عَلَى ذَلِكَ ، لَكُنْ لَكُمْ ذِكْرًا عِنْدِي ، وَلَمْ أَخْلُفْ وَعْدِي لَكُمْ : أَنَّى أَجَازِيكُمْ بِهَا .

١٤١٩ — حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : لما قالت اليهود ما قالت ، قال الله عز وجل : « قُلْ اتَّخَذْتُمْ

عند الله عهداً فلن يخلف الله عهداً» - وقال في مكان آخر: ﴿وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [سورة آل عمران : ٢٤] ، ثم أخبر الخبر فقال : « بلى من كسب سيئة » .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال التي رويناها عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ، بنحو ما قلنا في تأويل قوله : « قل أتخذتم عند الله عهداً . لأن مما أعطاه الله عباده من ميثاقه : أن من آمن به وأطاع أمره ، نجّاه من ناره يوم القيامة . ومن الإيمان به ، الإقرار بأن لا إله إلا الله . وكذلك من ميثاقه الذي واثقهم به : أن من أتى الله يوم القيامة بحجة تكون له نجاة من النار ، فيُنْجيه منها . وكل ذلك ، وإن اختلفت ألفاظ قائله ، فتتفق المعاني ، على ما قلنا فيه . والله تعالى أعلم .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾

قال أبو جعفر : وقوله : « بلى من كسب سيئة » ، تكذيب من الله القائلين من اليهود : « لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة » ، وإخبار منه لهم أنه معذب من أشرك ومن كفر به وبرسله ، وأحاطت به ذنوبه ، فخلّده في النار ، ^(١) فإن الجنة لا يسكنها إلا أهل الإيمان به وبرسوله ، وأهل الطاعة له ، والقائمون بحدوده . كما : -

١٤٢٠ - حدثنا محمد بن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس : « بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته » ، أي : من عمل مثل أعمالكم ، وكفر بمثل ما كفرتم به ، حتى يحيط كفره بما له من حسنة ، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .

قال أبو جعفر : وأما « بلى » ، فإنها لإقرار في كل كلام في أوله جحداً ، كما

(١) في المطبوعة : « أنه يلدب . . . فخلد في النار » ، والصواب ما أثبتته .

« نعم » إقرار في الاستفهام الذي لا جحد فيه . وأصلها « بل » التي هي رجوع عن الجحد المحض في قولك : « ما قام عمرو بـبل زيد » . فزيدت فيها « الياء » ليصلح عليها الوقوف ، إذ كانت « بل » لا يصلح عليها الوقوف ، إذ كانت عطفاً ورجوعاً عن الجحد . ولتكون - أعني « بلى » - رجوعاً عن الجحد فقط ، وإقراراً بالفعل الذي بعد الجحد ، فدللت « الياء » منها على معنى الإقرار والإنعام . ^(١) ودل لفظ ٣٠٥/١ « بل » على الرجوع عن الجحد . ^(٢)

قال أبو جعفر : وأما « السيئة » التي ذكر الله في هذا المكان ، فإنها الشرك بالله . كما : -

١٤٢١ - حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان قال ، حدثني عاصم ، عن أبي وائل : « بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً » ، قال : الشرك بالله .
 ١٤٢٢ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً » : شِرْكَاً .
 ١٤٢٣ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .
 ١٤٢٤ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : « بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً » ، قال : أما السيئة فالشُّرك .
 ١٤٢٥ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة مثله .

١٤٢٦ - حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن

(١) الإنعام : التصديق . يقال : أنعم : أجاب بقوله : نعم . وهو تصديق .
 (٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٥٢ - ٥٣ ، وقد عد الطبري الحرف الآخر من « بل » « ياء » ، وعلها الفراء « ألفاً » .

السدى : « بلى من كسب سيئة » ، أما السيئة ، فهي الذنوب التي وعدَ عليها النار .
 ١٤٢٧ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن
 ابن جريج قال ، قلت لعطاء : « بلى من كسب سيئة » ، قال : الشرك - قال
 ابن جريج قال ، قال مجاهد : « سيئة » ، شركاً .

١٤٢٨ - حدثت عن عمار بن الحسن قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن
 أبيه ، عن الربيع قوله : « بلى من كسب سيئة » ، يعنى : الشرك .

قال أبو جعفر : وإنما قلنا إنَّ « السيئة » - التي ذكر الله جل ثناؤه أنَّ من
 كسبها وأحاطت به خطيئته ، فهو من أهل النار المخلدين فيها - في هذا الموضع ،
 إنما عني الله بها بعض السيئات دون بعض ، وإن كان ظاهرُها في التلاوة عامماً ،^(١)
 لأن الله قضى على أهلها بالخلود في النار . والخلود في النار لأهل الكفر بالله دون
 أهل الإيمان به ، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنَّ أهل
 الإيمان لا يخلَّدون فيها ، وأنَّ الخلودَ في النار لأهل الكفر بالله دون أهل الإيمان .
 فإن الله جل ثناؤه قد قرَّرن بقوله : « بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته
 فأولئك أصحابُ النارُ هم فيها خالدون » - قوله - « والذين آمنوا وعملوا الصالحات
 أولئك أصحابُ الجنة هم فيها خالدون » . فكان معلوماً بذلك أن الذين لهم الخلود
 في النار من أهل السيئات ، غيرُ الذين لهم الخلود في الجنة من أهل الإيمان .

فإن ظنَّ ظان أن الذين لهم الخلود في الجنة من الذين آمنوا ، هم الذين عملوا
 الصالحات ، دون الذين عملوا السيئات ، فإنَّ في إخبار الله = أنه مكفرٌ - باجتنابنا
 كبائر ما نُنهى عنه - سيئاتنا ، ومدخلنا المدخلَ الكريم = ما ينبيء عن صحة ما قلنا
 في تأويل قوله : « بلى من كسب سيئة » ، بأن ذلك على خاص من السيئات دون عامها .

فإن قال لنا قائل : فإن الله جل ثناؤه إنما ضمَّن لنا تكفيرَ سيئاتنا باجتنابنا

(١) انظر تفسير « الظاهر » فيما سلف : ١٥:٢ والمراجع

كِبَائِرَ مَا نُنبِئُ عَنْهُ ، فَمَا الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ الْكِبَائِرَ غَيْرُ دَاخِلَةٍ فِي قَوْلِهِ : « بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً ؟ »

قِيلَ : لِمَا صَحَّ أَنَّ الصَّغَائِرَ غَيْرَ دَاخِلَةٍ فِيهِ ، وَأَنَّ الْمَعْنَى بِالْآيَةِ خَاصٌّ دُونَ عَامٌّ ، تَبَيَّنَ وَصَحَّ أَنَّ الْقَضَاءَ وَالْحُكْمَ بِهَا غَيْرُ جَائِزٍ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ ، إِلَّا عَلَى مَنْ وَقَفَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِدَلَالَةٍ مِنْ خَبَرٍ قَاطِعٍ عُدْرَةٍ مِنْ بَلَّغِهِ . وَقَدْ تَبَيَّنَ وَصَحَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ قَدْ عَنَى بِذَلِكَ أَهْلَ الشَّرْكِ وَالْكَفْرِ بِهِ ، بِشَهَادَةِ جَمِيعِ الْأُمَّةِ . فَوَجِبَ بِذَلِكَ الْقَضَاءُ عَلَى أَنَّ أَهْلَ الشَّرْكِ وَالْكَفْرِ مِمَّنْ عَنَاهُ اللَّهُ بِالْآيَةِ . فَأَمَّا أَهْلُ الْكِبَائِرِ ، فَلِإِنْ الْأَخْبَارِ الْقَاطِعَةِ عُدْرَةٍ مِنْ بَلَّغَتِهِ ، قَدْ تَظَاهَرَتْ عِنْدَنَا بِأَنَّهُمْ غَيْرُ مَعْنِيَيْنِ بِهَا . فَمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ — مِمَّنْ دَافَعَ حُجَّةَ الْأَخْبَارِ الْمُسْتَفِيزَةِ وَالْأَنْبَاءِ الْمُنْتَظَاهِرَةِ — فَالْإِجْرَامُ لَهُ تَرَكُّ قَطْعِ الشَّهَادَةِ عَلَى أَهْلِ الْكِبَائِرِ بِالْخُلُودِ فِي النَّارِ ، بِهَذِهِ الْآيَةِ وَنَظَائِرِهَا ٣٠٦/١ الَّتِي جَاءَتْ بِعُمُومِهِمْ فِي الْوَعِيدِ . إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الْقُرْآنِ غَيْرَ مَدْرُكٍ إِلَّا بِبَيَانٍ مَنْ جَعَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ بَيَانَ الْقُرْآنِ ، وَكَانَتِ الْآيَةُ يَأْتِي عَامًّا فِي صَنْفٍ ظَاهِرُهَا ، وَهِيَ خَاصٌّ فِي ذَلِكَ الصَنْفِ بَاطِنُهَا. (١)

وَيُسْأَلُ مُدَافِعُو الْخَبَرِ بَأَنَّ أَهْلَ الْكِبَائِرِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْتِثْنَاءِ ، سُؤَالَتَنَا مُنْكَرَ رَجْمِ الزَّانِي الْمُحْصَنِ ، وَزَوَالِ قَرَضِ الصَّلَاةِ عَنِ الْخَائِضِ فِي حَالِ الْحَيْضِ . فَإِنْ السُّؤَالُ عَلَيْهِمْ ، نَظِيرُ السُّؤَالِ عَلَى هَؤُلَاءِ ، سَوَاءٌ. (٢)

• • •

(١) انظر تفسير « الظاهر والباطن » آنفاً : ١٥:٢ والمراجع

(٢) هذا رد على المعتزلة ، في إيجابهم خلود أهل الكبائر من أهل الإيمان في النار . ورجم الزاني المحصن ، وزوال فرض الصلاة عن الخائض في حال الحيض ، مما جاء في الأخبار ، ولم يأت به نص قرآن .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَأَخْطَأْتُ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وَأَخْطَأْتُ بِهِ خَطِيئَتُهُ » ، اجتمعت عليه فمات عليها ، قبل الإنابة والتوبة منها .

وأصلُ « الإحاطة بالشئ » ، الإحداق به ، بمنزلة « الحائط » الذى مُحاط به الدار فمُحْدَق به . ومنه قول الله جل ثناؤه : ﴿ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ [سورة الكهف : ٢٩]

فتأويل الآية إذاً : مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ ، واقترفَ ذنوباً جمةً فمات عليها قبل الإنابة والتوبة ، فأولئك أصحاب النار هم فيها مخلَّدون أبداً . وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال المتأولون . ذكر من قال ذلك :

١٤٢٩ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن الأعمش عن أبي روق ، عن الضحاك : « وَأَخْطَأْتُ بِهِ خَطِيئَتُهُ » ، قال : مات بذنبه .
١٤٣٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح قال ، حدثنا الأعمش ، عن أبي رزين ، عن الربيع بن خثيم : « وَأَخْطَأْتُ بِهِ خَطِيئَتُهُ » ، قال : مات عليها .^(١)

١٤٣١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، أخبرني ابن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس : « وَأَخْطَأْتُ بِهِ خَطِيئَتُهُ » ، قال : يُحِيطُ كَفَرُهُ بِمَا لَهُ مِنْ حَسَنَةٍ .

١٤٣٢ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثني عيسى ،

(١) الخبر : ١٤٣٠ — الربيع بن خثيم الثوري الكوفي : من كبار التابعين وغيرهم ، ثقة لا يسأل عن مثله . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢٤٦/١/٢ وابن أبي حاتم ٤٥٩/٢/١ . وأبوه « خثيم » بضم الخاء المعجمة مصغر ، كما ضبطه ابن دريد فى الاشتقاق : ١١٢ - ١١٣ ، والحافظ فى التقریب ، ووقع فى المطبوعة « خثيم » بتقديم الياء على التاء ، وبذلك ضبطه صاحب الخلاصة . وهو خطأ صرف .

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وأحاطت به خطيئته » ، قال : ما أوجب الله فيه النار .

١٤٣٣ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة « وأحاطت به خطيئته » ، قال : أما الخطيئة فالكبيرة الموجبة .

١٤٣٤ - حدثنا الحسن قال ، أخبرنا عبد الرزاق [قال ، أخبرنا معمر] ، عن قتادة : « وأحاطت به خطيئته » ، قال : الخطيئة الكبائر .

١٤٣٥ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا وكيع ويحيى بن آدم ، عن سلام بن مسكين قال : سأل رجل الحسن عن قوله : « وأحاطت به خطيئته » ، فقال : ما ندرى ما الخطيئة ، يا بُنَيَّ اتل القرآن ، فكل آية وعد الله عليها النار ، فهي الخطيئة .

١٤٣٦ - حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد في قوله : « بلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ » ، قال : كل ذنب مُحِيط ، فهو ما وعد الله عليه النار .

١٤٣٧ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي رزين : « وأحاطت به خطيئته » ، قال : مات بخطيئته .

١٤٣٨ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا الأعمش قال ، حدثنا مسعود أبو رزين ، عن الربيع بن خثيم في قوله : « وأحاطت به خطيئته » ، قال : هو الذي يموت على خطيئته قبل أن يتوب .

١٤٣٩ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، قال وكيع : سمعت الأعمش يقول في قوله : « وأحاطت به خطيئته » ، مات بذنوبه .

١٤٤٠ - حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وأحاطت به خطيئته » ، الكبيرة الموجبة .

١٤٤١ - حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ » ، فأت ، ولم يَتُبْ .

١٤٤٢ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حسان ، عن ابن جريج قال ، قلت لعطاء : « وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ » ، قال : الشَّرْكُ ، ثم تلا ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾ [سورة النمل : ٩٠] . (١)

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٨١)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » ، فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ وَأَحَاطَتْ بِهِمْ خَطِيئَتُهُمْ ، أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ .

ويعنى بقوله جل ثناؤه : « أَصْحَابُ النَّارِ » ، أهل النار . وإنما جعلهم لها أَصْحَابًا لِإِيثَارِهِمْ - في حياتهم الدنيا ما يُورِدُهُمْوها ويوردهم سعيَها - على الأعمال التي توردهم الجنة فجعلهم جل ذكره = بإيثارهم أسبابها على أسباب الجنة = لها أَصْحَابًا ، كصاحب الرجل الذي يُصاحبه مُؤثراً صحبته على صحبة غيره ، حتى يعرف به

* * *

« هُمْ فِيهَا » ، يعنى : هم في النار خَالِدُونَ . ويعنى بقوله : « خَالِدُونَ » مقيمون . كما :

١٤٤٣ - حدثني محمد بن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس : « هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » ، أى خَالِدُونَ أَبَدًا .

١٤٤٤ - حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ،

(١) انظر ما مضى في كلامه عن « الخطيئة » في هذا الجزء ٢ : ١١٠

عن السدى : « هم فيها خالدون » ، لا يخرجون منها أبداً .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٨١)

قال أبو جعفر : ويعنى بقوله : « والذين آمنوا » ، أى صدقوا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم . ويعنى بقوله : « وعملوا الصالحات » ، أطاعوا الله فأقاموا حدوده ، وأدّوا فرائضه ، واجتنبوا محارمه . ويعنى بقوله : « فأولئك » ، فالذين هم كذلك « أصحاب الجنة » هم فيها خالدون ، يعنى : أهلها الذين هم أهلها ، هم فيها « خالدون » ، مقيمون أبداً .

* * *

وإنما هذه الآية والتي قبلها إخبارٌ من الله عباده عن بقاء النار وبقاء أهلها فيها ، [وبقاء الجنة وبقاء أهلها فيها] ، (١) ودوام ما أعدّ في كل واحدة منهما لأهلها ، تكذيباً من الله جل ثناؤه للقائلين من يهود بنى إسرائيل : إن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودةً ، وأنهم صائرون بعد ذلك إلى الجنة . فأخبرهم بخلود كفارهم في النار ، وُخلود مؤمنهم في الجنة . كما : —

١٤٤٥ — حدثني ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنا ابن إسحق قال ،

حدثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » ، أى مَنْ آمَنَ بما كفرتم به ، وعمل بما تركتم من دينه ، فلهم الجنة خالدين فيها . يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً ، لا انقطاع له أبداً .

١٤٤٦ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال

(١) ما بين القوسين زيادة لا بد منها ، لسياقة الكلام .

ابن زيد ، « والذين آمنوا وعملوا الصالحات » ، محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه —
« أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾

قال أبو جعفر : قد دللنا — فيما مضى من كتابنا هذا — على أن « الميثاق »
« ميثقال » من « التوثيق باليمين » ونحوها من الأمور التي تؤكد القول . (١) فعنى الكلام
إذاً : واذكروا أيضاً يا معشر بني إسرائيل ، إذ أخذنا ميثاقكم لا تعبدون إلا الله ،
كما : —

١٤٤٧ — حدثني به ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحق قال ،
حدثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبيرة ، أو عكرمة ، عن ابن عباس :
« وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ » — أى ميثاقكم — « لا تعبدون إلا الله » .

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة مختلفة في قراءة قوله (٢) : « لا تعبدون » . فبعضهم
يقرؤها بالتاء ، وبعضهم يقرؤها بالياء ، والمعنى في ذلك واحد . وإنما جازت القراءة
بالياء والتاء ، وأن يقال « لا تعبدون » و « لا يعبدون » وهم غيب ، (٣) لأن أخذ
الميثاق ، بمعنى الاستحلاف . فكما تقول : « استحلقت أخاك ليقومن » — فتخبر
عنه خبرك عن الغائب لغيبته عنك . وتقول : « استحلفته لتقومن » ، فتخبر
عنه خبرك عن المخاطب ، لأنك قد كنت خاطبته بذلك — فيكون ذلك صحيحاً جائزاً .

(١) انظر ما سلف ١ : ٤١٤ ، وهذا الجزء ٢ : ١٥٦

(٢) في المطبوعة : « والقراء مختلفة » ، ورددتها إلى ما جرى عليه الطبري في كل ما سلف .

(٣) غيب (بفتح الفين والياء) جمع غائب ، مثل خادم ونخدم .

فكذلك قوله : « وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ » و « لَا يَعْبُدُونَ » .
من قرأ ذلك « بالتاء » فعنى الخطاب ، إذ كان الخطاب قد كان بذلك . ومن قرأ
« بالياء » ، فلائهم ما كانوا مخاطبين بذلك في وقت الخبر عنهم .

وأما رفعُ « لَا تَعْبُدُونَ » ، فبالتاء التى فى « تَعْبُدُونَ » ، ولا ينصب : « أَنْ » التى
كانت تصلح أن تدخل مع « لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ » . لأنها إذا صلح دخولها على فعل
فحذفت ولم تدخل ، كان وجه الكلام فيه الرفع ، كما قال جل ثناؤه :
﴿ قُلْ أَفَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِى أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ [سورة الزمر : ٦٤] ، فرفع
« أَعْبُدُ » — إذ لم تدخل فيها « أَنْ » — بالألف الدالة على معنى الاستقبال ، وكما
قال الشاعر : (١)

أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِى أَحْضَرُ الْوَعَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِى
فرفع « أَحْضَرُ » — وإن كان يصلح دخول « أَنْ » فيها — إذ حذفت ، بالألف
التي تأتي بمعنى الاستقبال .

وإنما صلح حذف « أَنْ » من قوله : « وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا
تَعْبُدُونَ » ، لدلالة ما ظهر من الكلام عليها ، فاكتفى — بدلالة الظاهر عليها —
منها . (٣)

وقد كان بعض نحوي البصرة يقول : معنى قوله : « وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي
إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ » ، حكاية ، كأنك قلت : استحللناهم : لَا تَعْبُدُونَ ،
أى قلنا لهم : والله لَا تَعْبُدُونَ — وقالوا : والله لَا يَعْبُدُونَ . والذي قال من ذلك ،
قريب معناه من معنى القول الذى قلنا فى ذلك .

(١) هو طرفة بن العبد .

(٢) ديوانه : ٣١٧ (أشعار الستة الجاهليين) ، من معلقته النفيسة وسيأتى فى ٢١ : ٢٢ /

٣٠ : ١٣٠ (بولاق) ، وسيبويه ١ : ٤٥٢ .

(٣) انظر معانى القرآن للقراء ١ : ٥٣ - ٥٤ .

وبنحو الذى قلنا فى قوله : « وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ » ، تأوله أهل التأويل . ذكر من قال ذلك :

١٤٤٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : أَخَذَ مَوَاقِفَهُمْ أَنْ يُخَلِّصُوا لَهُ ، وَأَنْ لَا يَعْبُدُوا غَيْرَهُ .

١٤٤٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، أخبرنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ » ، قال : أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ أَنْ يُخَلِّصُوا اللَّهَ وَلَا يَعْبُدُوا غَيْرَهُ .

١٤٥٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ » ، قال : الميثاق الذى أخذ عليهم فى المائة .^(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

قال أبو جعفر : وقوله جل ثناؤه : « وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا » ، عطفٌ على موضع « أَنْ » المحذوفة فى « لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ » . فكان معنى الكلام : وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، فرفع « لَا تَعْبُدُونَ » لما حذف « أَنْ » ، ثم عطف « بِالْوَالِدَيْنِ » على موضعها ، كما قال الشاعر :^(٢)

مُعَاوِيَ إِنَّا بَشَرٌ فَأَسْجَحْ فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَدِيدِ^(٣)

(١) قوله تعالى فى سورة المائدة : ١٢ : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مَعَهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ إلى آخر الآية .

(٢) عقيبة بن هبيرة الأسدى ، جاهل إسلامى .

(٣) سيبويه ١ : ٣٤ ، ٣٧٥ ، ٤٤٨ ، والخزائفة ١ : ٣٤٣ ، وسمط اللؤلؤ ١٤٩ : وفيه تحقيق جيد . وهذا البيت مما أخطأ فيه سيبويه ، وكان عقيبة وفد على معاوية ، ودفع إليه رقعة فيها هذه الأبيات :

فنصب « الحديد » على العطف به على موضع « الجبال » ، لأنها لو لم تكن فيها « باء » خافضة كانت نصباً . فعطف بـ « الحديد » على معنى « الجبال » ، لا على لفظها . فكذلك ما وصفت من قوله : « وبالوالدين إحساناً »

وأما « الإحسان » فنصوب بفعل مُضمر يؤدي معناه قوله : « وبالوالدين » ، إذ كان مفهوماً معناه . فكان معنى الكلام — لو أظهر المحذوف — : وإذ أخذنا ميثاقَ بنى إسرائيل ، بأن لا تعبدوا إلا الله ، وبأن تُحسنوا إلى الوالدين إحساناً . فاكتفى بقوله : « وبالوالدين » من أن يقال : وبأن تُحسنوا إلى الوالدين إحساناً ، إذ كان مفهوماً أن ذلك معناه بما ظهر من الكلام .

وقد زعم بعض أهل العربية في ذلك أن معناه : وبالوالدين فأحسنوا إحساناً ، فجعل « الباء » التى فى « الوالدين » من صلة الإحسان ، مقدمة عليه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن لا تعبدوا إلا الله ، وأحسنوا بالوالدين إحساناً . فزعموا أن « الباء » التى فى « الوالدين » من صلة المحذوف — أعنى أحسنوا — فجعلوا ذلك من كلامين . وإنما يُصرف الكلام إلى ما ادَّعوا من ذلك ، إذا لم يوجد لاتساق الكلام على كلام واحد وجهه . فأما وللکلام وجهٌ مفهومٌ على اتساقه على كلام واحد ، فلا وجه لصرفه إلى كلامين . وأخرى ، أن القولَ فى ذلك لو كان على ما قالوا ، لقليل : وإلى الوالدين إحساناً ، لأنه إنما يقال : « أحسن

مُعَاوِيَ إِنَّا بَشَرٌ فَأَسْجِجْ	فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَدِيدِ
فَهَبْهَا أُمَّةً ذَهَبَتْ ضَيَاعًا	يَزِيدُ أَمِيرُهَا وَأَبُو يَزِيدِ
أَكَلْتُمْ أَرْضَنَا فَجَرَدْتُمُوهَا	فَهَلْ مِنْ قَائِمٍ أَوْ مِنْ حَصِيدٍ؟
ذَرُّوا خَوْنَ الْخِلَافَةِ وَاسْتَقِيمُوا	وَتَأْمِيرَ الْأَرَاذِلِ وَالْعَبِيدِ
وَأَعْطُونَا السَّوِيَّةَ ، لَا تَزُرُّكُمْ	جُنُودٌ مُرْدَفَاتٌ بِالْجُنُودِ

فدعاه معاوية فقال له : ما أجراك هل ؟ قال : نصحتك إذ غشوك ، وصدقتك إذ كذبتك . فقال

معاوية : ما أظنك إلا صادقاً .

فلان إلى والديه « ولا يقال : أحسن بوالديه ، إلا على استكراهٍ للكلام .
ولكن القول فيه ما قلنا ، وهو : وإذ أخذنا ميثاقَ بني إسرائيل بكذا ،
وبالوالدين إحساناً — على ما بينا قبل . فيكون الإحسان حينئذ مصدراً من الكلام
لا من لفظه ، كما بينا فيما مضى من نظائره . (١)

فإن قال قائل : وما ذلك « الإحسان » الذي أخذ عليهم بالوالدين الميثاق ؟
قيل : نظير ما فرض الله على أمتنا لهما من فعل المعروف لهما ، والقول
الجميل ، ونخض جناح الدّلّ رحمةً بهما ، والتحشّن عليهما ، والرأفة بهما ، والدعاء
بالخير لهما ، وما أشبه ذلك من الأفعال التي تدب الله عباده أن يفعلوا بهما .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ ﴾
قال أبو جعفر : يعنى بقوله « ذى القُربى » ، وبذى القُربى أن يصلوا قرابته
منهم ورحمه .

و « القُربى » مصدر على تقدير « فعلى » ، من قولك : « قُربت منى رحم فلان
قَرابةً وقُربى وقُرباً » ، بمعنى واحد .

وأما « اليتامى » . فهم جمع « يَتيم » ، مثل « أسير وأسارى » . ويدخل فى اليتامى
الذكور منهم والإناث .

ومعنى ذلك : وإذ أخذنا ميثاقَ بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وحده دون
من سواه من الأنداد ، وبالوالدين إحساناً ، وبذى القُربى : أن تصلوا رحمه ،
وتعرفوا حقه ، وباليتامى : أن تتعطفوا عليهم بالرحمة والرأفة ، وبالمساكين : أن
تؤتوهم حقوقهم التي ألزمها الله أموالكم .

و « المسكين » ، هو المتخشع المتذلل من الفاقة والحاجة ، وهو « مِفْعِيل » من « المسكنة » . و « المسكنة » هي ذل الحاجة والفاقة .^(١)

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾

قال أبو جعفر : إن قال قائل : كيف قيل : « وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا » ، فأخرج الكلام أمراً ولمّا يتقدمه أمر ، بل الكلام جارٍ من أول الآية مجرى الخبر ؟ قيل : إنّ الكلام ، وإن كان قد جرى في أول الآية مجرى الخبر ، فإنه مما يحسن في موضعه الخطاب بالأمر والنهي . فلو كان مكان : « لا تعبدون إلا الله » ، لا تعبدوا إلا الله — على وجه النهي من الله لهم عن عبادة غيره — كان حسناً صواباً . وقد ذكر أن ذلك كذلك في قراءة أبي بن كعب . وإنما حسن ذلك جواز — لو كان مقروءاً به — لأن أخذ الميثاق قول^{*} .

فكان معنى الكلام — لو كان مقروءاً كذلك — : وإذ قلنا لبني إسرائيل : لا تعبدوا إلا الله ، كما قال جل ثناؤه في موضع آخر : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ [سورة البقرة : ١٣] . فلما كان حسناً وضع الأمر والنهي في موضع : « لا تعبدون إلا الله » ، عطف بقوله : « وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا » ، على موضع « لا تعبدون » ، وإن كان مخالفاً كل واحد منهما معناه معنى مافيه ،^(٢) لما وصفنا من جواز وضع الخطاب بالأمر والنهي موضع « لا تعبدون » . ٣١٠/١ فكانه قيل : وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدوا إلا الله ، وقولوا للناس حسناً . وهو نظير ما قدّمنا البيان عنه : من أن العرب تبتدئ الكلام أحياناً على وجه الخبر عن الغائب في موضع الحكاية لما أخبرت عنه ،^(٣) ثم تعود إلى الخبر على

(١) انظر ما سلف في هذا الجزء : ٢ : ١٣٧

(٢) في المطبوعة : « ومنه » بزيادة الواو ، والصواب حذفها .

(٣) في المطبوعة : « في موضع الحكايات كما أخبرت عنه » ، والصواب ما أثبتته .

وجه الخطاب ، وتبتدئ أحياناً على وجه الخطاب ، ثم تعود إلى الإخبار على وجه الخبر عن الغائب ، لما في الحكاية من المعنيين ، ^(١) كما قال الشاعر : ^(٢)

أَسِئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةً لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ ^(٣)

يعنى : تَقَلَّيْتُ .

* * *

وأما « الحسن » فإن القَرَآةَ اختلفت في قراءته . ^(٤) فقرأته عامة قَرَآة الكوفة غير عاصم : « وقولوا للناس حَسَنًا » بفتح الحاء والسين . وقراءته عامة قراء المدينة : « حُسَنًا » بضم الحاء وتسكين السين . وقد روى عن بعض القَرَآة أنه كان يقرأ : « وقولوا للناس حُسَنِي » على مثال « فُعَلِي » .

* * *

واختلف أهل العربية في فرق ما بين معنى قوله : « حُسَنًا » و « حَسَنًا » . فقال بعض البصريين : هو على أحد وجهين : إما أن يكون يراد به « الحسن » « الحسن » وكلاهما لغة ، كما يقال : « البُخْلُ والبَخْل » ، وإما أن يكون جعل « الحسن » هو « الحسن » في التشبيه . وذلك أن الحسن « مصدر » و « الحسن » ، هو الشيء الحسن . ويكون ذلك حيثئذ كقولك : « إنما أنت أكلٌ وشربٌ » ، وكما قال الشاعر ^(٥)

وَحَيْلٌ قَدْ دَلَّتْ لَهَا بِحَيْلٍ تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ ^(٦)

(١) انظر ما سلف : ١٥٣ - ١٥٤ ، وسيأتي في هذا الجزء ٢ : ٣٥٧

(٢) هو كثير عزة .

(٣) ديوانه ١ : ٥٣ من قصيدته المشهورة . قلاد يقلبه قل فهو مقل : كرهه وأبغضه . وتقل تبغض ، أى استعمل من الفعل أو القول ما يدعو إلى بغضه .

(٤) في المطبوعة : « فإن القراء » ، وردته إلى ما مضى عليه أبو جعفر في عبارته ، كما سلف مراراً .

(٥) يقال هو : عمرو بن معد يكرب الزبيدي . (الخزائن ٤ : ٥٦) ، وليس في قصيدته التي حل هذا الوزن في الأصمعيات : ٤٣ ، ولكنه أتى في نوادر أبي زيد : ١٤٩ - ١٥٠ أنه لعمرو بن معد يكرب . فكانه له ، وكأنه سقط من رواية الأصمعي ، وهو في رواية غيره .

(٦) نوادر أبي زيد : ١٥٠ ، وسيبويه ١ : ٣٦٥ ، ٤٢٩ ، والخزانة ٤ : ٥٣ . وغيرها .

فجعل « التحية » ضرباً .

وقال آخر : بل « الحُسْن » هو الاسم العام الجامع جميع معاني الحسن .
و « الحَسَن » هو البعض من معاني « الحُسْن » . قال : ولذلك قال جل ثناؤه ،
إِذْ أَوْصَىٰ بِالْوَالِدَيْنِ : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [سورة العنكبوت : ٨] ،
يعنى بذلك أنه وصاه فيهما بجميع معاني الحُسْن ، وأمر في سائر الناس ببعض الذي
أمره به في والديه ، فقال : « وقولوا للناس حَسَنًا » ، يعنى بذلك بعض معاني الحُسْن

• • •

قال أبو جعفر : والذي قاله هذا القائل في معنى « الحسن » بضم الحاء وسكون
السين ، غير بعيد من الصواب ، وأنه اسم لنوعه الذي سُمِّيَ به . وأما « الحَسَن »
فإنه صفة وقعت لما وصف به ، وذلك يقع بخاص . وإذا كان الأمر كذلك ،
فالصواب من القراءة في قوله : « وقولوا للناس حَسَنًا » ، لأن القوم إنما أمروا في هذا
العهد الذي قيل لهم : « وقولوا للناس » باستعمال الحَسَن من القول ، دون سائر معاني
الحسن الذي يكون بغير القول . وذلك نعتٌ لخاص من معاني الحُسْن ، وهو القول .
فلذلك اخترت قراءته بفتح الحاء والسين ، على قراءته بضم الحاء وسكون السين .

• • •

وأما الذي قرأ ذلك : « وقولوا للناس حُسْنِي » ، فإنه خالف بقراءته إياه كذلك ،
قراءة أهل الإسلام . وكفى شاهداً على خطأ القراءة بها كذلك ، خروجها من قراءة
أهل الإسلام ، لو لم يكن على خطئها شاهدٌ غيره . فكيف وهى مع ذلك خارجة
من المعروف من كلام العرب ؟ وذلك أن العرب لا تكاد أن تتكلم بـ « فُعْلَى »
« وأفعل » إلا بالالف واللام أو بالإضافة . لا يقال : « جاءني أحسَنُ » ، حتى
يقولوا : « الأحسن » . لا يقال : « أجل » ، حتى يقولوا ، « الأجل » . وذلك أن « الأفعل
والفُعْلَى » ، لا يكادان يوجدان صفة إلا لمعهود معروف ، كما تقول : « بَلْ أَخْوَك
الأحسن — وبَلْ أَخْتَكِ الحسنى » . وغير جائز أن يقال : امرأة حُسْنَى ، ورجل أحسن .

• • •

وأما تأويل القول الحسن الذي أمر الله به الذين وصف أمرهم من بني إسرائيل

في هذه الآية ، أن يقولوه للناس ، ^(١) فهو ما : —

١٤٥١ — حدثنا به أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن

عمارة ^{٣١١/١} ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : « وقلوا للناس

حسناً » ، أمرهم أيضاً بعد هذا الخلق : أن يقولوا للناس حسناً ، أن يأمرؤا : « لا إله

إلا الله » من لم يقلها ورغب عنها ، حتى يقولوها كما قالوها ، فإن ذلك « قرينة » من

الله جل ثناؤه . وقال : الحسن أيضاً ، ليس القول ، من الأدب الحسن الجميل والخلق

الكريم ، وهو مما ارتضاه الله وأحبه .

١٤٥٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن

الربيع ، عن أبي العالية : « وقلوا للناس حسناً » ، قال ، قولوا للناس معروفاً .

١٤٥٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن

جريج : « وقلوا للناس حسناً » ، قال : صدقاً في شأن محمد صلى الله عليه وسلم .

١٤٥٤ — وجدت عن يزيد بن هرون قال : سمعت سفيان الثوري يقول في

قوله : « وقلوا للناس حسناً » ، قال : « مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر » ^(٢)

١٤٥٥ — حدثني هرون بن إدريس الأصم قال ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد

المحاربي قال ، حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان قال ، سألت عطاء بن أبي رباح

عن قول الله جل ثناؤه : « وقلوا للناس حسناً » ، قال : من لقيت من الناس فقل له

حسناً من القول . قال : وسألت أبا جعفر ، فقال مثل ذلك ^(٣)

١٤٥٦ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا القاسم قال ، أخبرنا عبد الملك ،

(١) في المطبوعة : « لأن يقولوه للناس » بزيادة اللام ، فاسدة .

(٢) الأثر : ١٤٥٤ — أغشى أن يكون سقط من إسناده شيء .

(٣) الخبر : ١٤٥٥ — هرون بن إدريس الأصم ، شيخ الطبري : لم أجده له ترجمة ، ولا وجدته في مكان ، إلا في رواية الطبري عنه في التاريخ أيضاً ١ : ٢٥٣ ، و ٢ : ١٢٦ . روى عنه ، عن المحاربي . عبد الملك بن أبي سليمان : هو العريزي ، أحد الأئمة الثقات الحفاظ . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/٢ - ٣٦٦ - ٣٦٨ .

عن أبي جعفر وعطاء بن أبي رباح في قوله : « وقولوا للناس حسناً » ، قال : للناس كلهم .

١٤٥٧ — حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبد الملك ، عن عطاء مثله .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله « وأقيموا الصلاة » ، أدؤها بحقوقها الواجبة عليكم فيها . كما : —

١٤٥٨ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن مسعود قال : « وأقيموا الصلاة » ، هذه . و « إقامة الصلاة » تمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع ، والإقبال عليها فيها .^(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾

قال أبو جعفر : قد بينا فيما مضى قبل ، معنى « الزكاة » وما أصلها^(٢)

* * *

وأما الزكاة التي كان الله أمر بها بني إسرائيل الذين ذكر أمرهم في هذه الآية ، فهي ما : —

١٤٥٩ — حدثنا به أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « وآتوا الزكاة » ، قال : إيتاء الزكاة ، ما كان الله فرض عليهم في أموالهم من الزكاة ، وهي سنة كانت لهم غير سنة محمد صلى الله عليه وسلم . كانت زكاة أموالهم قرباناً تهبط إليه نار

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٤١ ، ٥٧٣ .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٥٧٣ — ٥٧٤ .

فتحملها ، فكان ذلك تقبُّله . ومن لم تفعل النار به ذلك كان غير متقبَّل ، وكان الذى قرَّب ، من مكسب لا يحلُّ : من ظلم أو غشَّم ، أو أخذَ بغير ما أمره الله به وبِيتنه له .

١٤٦٠ - حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح ، قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « وآتوا الزكاة » ، يعنى « بالزكاة » : طاعة الله والإخلاص .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (٨٣)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن يهود بنى إسرائيل ، أنهم نكثوا عهده ونقضوا ميثاقه ، بعد ما أخذ الله ميثاقهم على الوفاء له ، بأن لا يعبدوا غيره ، وأن يحسنوا إلى الآباء والأمهات ، ويصلوا الأرحام ، ويتعطفوا على الأيتام ، ويؤدُّوا حقوق أهل المسكنة إليهم ، ويأمرُوا عبادَ الله بما أمرهم الله به ويحشُّوهم على طاعته ، ويُقيموا الصلاة بحدودها وفرائضها ، ويؤتوا زكاة أموالهم - فخالفوا أمره فى ذلك كله ، وتولَّوا عنه معرضين ، إلا من عصمه الله منهم ، فوفى الله بعهده وميثاقه ، كما : -

٣١٢/١ ١٤٦١ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : لما فرض الله جل وعزَّ عليهم - يعنى : على هؤلاء الذين وصف الله أمرهم فى كتابه من بنى إسرائيل - هذا الذى ذكر أنه أخذ ميثاقهم به ، أعرضوا عنه استقلاً له وكراهية ، وطلبوا ما خفَّ عليهم ، إلا قليلاً منهم ، وهم الذين استثنى الله فقال : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ » ، يقول : أعرضتم عن طاعتي ، « إلا قليلاً منكم » ، قال : القليل الذين اخترتهم

لطاعتي ، وسيحل عقابي عن توليٍّ وأعرض عنها يقول : تركها استخفافاً بها^(١)
 ١٤٦٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنا ابن إسحق قال ،
 حدثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير ، أو عن عكرمة ، عن ابن
 عباس : « ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ » ، أى تركتم ذلك كله .

وقال بعضهم : عنى الله جل ثناؤه بقوله : « وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ » ، اليهود الذين كانوا
 على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعنى بسائر الآيات أسلافهم . كأنه ذهب
 إلى أن معنى الكلام : « ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ » : ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ سَلَفَكُمْ إِلَّا قَلِيلًا
 منهم ، ولكنه جعل خطاباً لبقايا تسلمهم — على ما ذكرناه فيما مضى قبل —^(٢) ثُمَّ
 قال : وَأَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ بَقَايَاهُمْ مُّعْرِضُونَ أيضاً عن الميثاق الذى أخذ عليكم بذلك ،
 وتاركوه تركاً أو ائلكم .

وقال آخرون : بل قوله : « ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ » ،
 خطاب لمن كان بين ظهرائي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود بنى
 إسرائيل ، وذم لهم بنقضهم الميثاق الذى أخذ عليهم فى التوراة ، وتبديلهم أمر الله ،
 وركوبهم معاصيه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ
 دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾
 قال أبو جعفر : قوله : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ » فى
 المعنى والإعراب نظير قوله : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ
 إِلَّا اللَّهَ » .

(١) انظر معنى « تولي » فيما سلف من هذا الجزء ٢ : ١٦٢

(٢) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ٣٨ ، ٣٩ ، ١٦٤ ، ثم : ٢٤٥ ، ثم : ٣٠٢

وَأَمَّا « سَفَكَ الدَّم » ، فَلِإِنَّهُ صَبَّهُ وَإِرَاقَتَهُ .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ : « لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ » ؟ وَقَالَ : أَوْ كَانَ الْقَوْمُ يَقْتُلُونَ أَنْفُسَهُمْ وَيُخْرِجُونَهَا مِنْ دِيَارِهَا ، فَتُهْرَءَا عَنْ ذَلِكَ ؟ قِيلَ : لَيْسَ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ عَلَى مَا ظَنَنْتَ ، وَلَكِنَّهُمْ كُنْهُوا عَنْ أَنْ يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . فَكَانَ فِي قَتْلِ الرَّجُلِ مِنْهُمْ الرَّجُلَ قَتْلُ نَفْسِهِ ، إِذْ كَانَتْ مِلَّتَهُمَا [وَاحِدَةً ، فَهُمَا] بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ وَاحِدٍ . ^(١) كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

١٤٦٣ — « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ بَيْنَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ ، إِذَا اشْتَكَى بَعْضُهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحِمَى وَالسَّهْرِ » . ^(٢)

وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ : « لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ » ، أَيْ : لَا يَقْتُلُ الرَّجُلُ مِنْكُمْ الرَّجُلَ مِنْكُمْ ، فَيَقَادَ بِهِ قِصَاصًا ، فَيَكُونُ بِذَلِكَ قَاتِلًا نَفْسَهُ ، لِأَنَّهُ كَانَ الَّذِي سَبَّبَ لِنَفْسِهِ مَا اسْتَحَقَّتْ بِهِ الْقَتْلُ . فَأُضِيفَ بِذَلِكَ إِلَيْهِ ، قَتْلُ وَلىِّ الْمَقْتُولِ إِيَّاهُ قِصَاصًا بِوَلِيَّتِهِ . كَمَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ يَرْكَبُ فِعْلًا مِنْ الْأَفْعَالِ يَسْتَحِقُّ بِهِ الْعُقُوبَةَ ، فَيُعَاقَبُ الْعُقُوبَةَ : « أَنْتَ جَنِيتَ هَذَا عَلَى نَفْسِكَ » .

وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ « ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ : ١٤٦٤ — حَدَّثَنَا بَشَرُ بْنُ مُعَاذٍ قَالَ ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ قَالَ ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : « وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ » ، أَيْ : لَا يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، « وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ » ، وَنَفْسُكَ يَا ابْنَ آدَمَ أَهْلُ مِلَّتِكَ .

(١) الزيادة بين القوسين لا بد منها ، وإلا فسد الكلام .

(٢) الحديث : ١٤٦٣ — هكذا رواه الطبري معلقاً . والظاهر أنه رواه بالمعنى أيضاً . ولفظه في صحيح مسلم ٢ : ٢٨٤ ، من حديث الثمان بن بشير : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » . وكذلك رواه أحمد في المسند (٤ : ٢٧٠ جلي) . ورواه البخاري بنحو معناه ١٠ : ٣٦٧ (من الفتح) .

١٤٦٥ - حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع عن أبي العالية في قوله : « وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم » ، يقول : لا يقتل بعضكم بعضاً ، « ولا تخرجون أنفسكم من دياركم » ، يقول : لا يخرج بعضكم بعضاً من الديار .

١٤٦٦ - حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن ٣١٣/١ قتادة في قوله : « لا تسفكون دماءكم » ، يقول : لا يقتل بعضكم بعضاً بغير حق ، « ولا تخرجون أنفسكم من دياركم » ، فتسفك يا ابن آدم دماء أهل ملئتكَ ودعوتك .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ » ، ثُمَّ أَقْرَرْتُم بِالْمِيثَاقِ الَّذِي أَخَذْنَا عَلَيْكُمْ : لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ، كما : -
١٤٦٧ - حدثنا المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ » ، يقول : أَقْرَرْتُم بِهَذَا الْمِيثَاقِ .
١٤٦٨ - وَحُدِّثْتُ عَنْ عَمَارٍ قَالَ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرِّبِيعِ مِثْلَهُ .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ (٨٤)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فيمن خُوطب بقوله : « وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ » . فقال بعضهم : ذلك خطابٌ من الله تعالى ذكره لليهود الذين كانوا بين ظهراني مُهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام هجرته إليه ، مؤنباً لهم على تضييع أحكام ما في أيديهم من التوراة التي كانوا يقرّون بحكمها ، فقال الله تعالى لهم : « ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ » ،

يعنى بذلك ، إقرارَ أوائلكم وسلفكم ، « وأنتم تشهدون » على إقرارهم بأخذ الميثاق عليهم ، بأن لا يسفكوا دماءهم ، ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم ، وتصدقون بأن ذلك حق من ميثاق عليهم . ومن حكي معنى هذا القول عنه ، ابن عباس .

١٤٦٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : « وإذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتهم وأنتم تشهدون » أن هذا حق من ميثاق عليكم .

وقال آخرون : بل ذلك خبرٌ من الله جل ثناؤه عن أوائلهم ، ولكنه تعالى ذكره أخرج الخبرَ بذلك عنهم مُخرجِ المخاطبة ، على النحو الذى وصفنا فى سائر الآيات التى هى نظائرها ، التى قد بينا تأويلها فيما مضى . (١)

وتأولوا قوله : « وأنتم تشهدون » ، على معنى : وأنتم شهدوكم ذكر من قال ذلك : ١٤٧٠ — حدثني المنثى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية قوله : « وأنتم تشهدون » ، يقول : وأنتم شهدوكم .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب عندى : أن يكون قوله : « وأنتم تشهدون » خبراً عن أسلافهم ، وداخلاً فيه المخاطبون منهم ، الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كان قوله : « وإذا أخذنا ميثاقكم » خبراً عن أسلافهم ، وإن كان خطاباً للذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٢) لأن الله تعالى أخذَ ميثاق الذين كانوا على عهد رسول الله موسى صلى الله عليه وسلم من بنى إسرائيل — على سبيل ما قد بينته لنا فى كتابه — فألزم جميعَ مَنْ بعدهم من ذريتهم من حكم التوراة ، مثل الذى ألزم منه من كان على عهد موسى منهم ثم أنبأ الذين خاطبهم بهذه الآيات على نقضهم ونقض سلفهم

(١) انظر ما سلف : ٢ : ٢٩٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع .

(٢) فى المطبوعة : « بأن كان خطاباً . . . » ، وهو لا يستقيم .

ذلك الميثاق، وتكذيبهم ما وكدوا على أنفسهم له بالوفاء من العهد،^(١) بقوله : « ثم أقررتم وأنتم تشهدون » . فإذا كان خارجاً على وجه الخطاب للذين كانوا على عهد نبيِّنا صلى الله عليه وسلم منهم،^(٢) فإنه معنى^٣ به كل من واثق بالميثاق منهم على عهد موسى ومن بعده ، وكلُّ من شهد منهم بتصديق ما في التوراة . لأن الله جل ثناؤه لم يخص بقوله : « ثم أقررتم وأنتم تشهدون » — وما أشبه ذلك من الآي — بعضهم دون بعض . والآية محتملة^٤ أن يكون أريد بها جميعهم . فإذا كان ذلك كذلك ،^(٣) فليس لأحد أن يدعى أنه أريد بها بعض^٥ منهم دون بعض . وكذلك حكم الآية التي بعدها ، أعنى قوله : « ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم » الآية . لأنه ٣١٤/١ قد ذكر لنا أن أوائلهم قد كانوا يفعلون من ذلك ما كان يفعله أواخرهم ، الذين أدركوا عصرَ نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ دَيْرِهمْ تَظْهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْمُدُونِ﴾

قال أبو جعفر : ويتَّجه في قوله : « ثم أنتم هؤلاء » وجهان . أحدهما أن يكون أريد به : ثم أنتم يا هؤلاء ، فترك « يا » استغناءً بدلالة الكلام عليه ، كما قال ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [سورة يوسف : ٢٩] ، وتأويله : يا يوسف أعرض عن هذا . فيكون معنى الكلام حيثئذ : ثم أنتم يا معشر يهود بني إسرائيل — بعد إقراركم بالميثاق الذي أخذته عليكم : لا تسفكون دماءكم ، ولا تخرجون أنفسكم

(١) سياق العبارة : « وتكذيبهم ما وكدوا من العهد على أنفسهم بالوفاء له ... » ، فقدم وأخر .

(٢) في المطبوعة : « فإن كان خارجاً ... » وهو تصحيف لا يستقيم .

(٣) في المطبوعة : « فإن كان ذلك كذلك » ، وهو تصحيف لا يستقيم أيضاً .

من دياركم ، ثم أقررتم = بعدَ شهادتكم على أنفسكم^(١) بأن ذلك حقٌ لي عليكم ، لازمٌ لكم الوفاءُ لي به — تقتلون أنفسكم ، وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم ، متعاونين عليهم ، في إخراجكم إياهم ، بالإثم والعدوان .^(٢)

والتعاون هو «التظاهر» . وإنما قيل للتعاون «التظاهر» ،^(٣) لتقوية بعضهم ظهرَ بعض . فهو «تفاعل» من «الظهر» ، وهو مساندة بعضهم ظهرَ إلى ظهر بعض .

والوجه الآخر : أن يكون معناه : ثم أنتم قومٌ تقتلون أنفسكم . فيرجعُ إلى الخبر عن «أنتم» . وقد اعتُرضَ بينهم وبين الخبرِ عنهم «هؤلاء» ، كما تقول العرب : «أنا ذا أقوم» ، وأنا هذا أجلس . وإذ قيل : «أنا هذا أجلس» ،^(٤) كان صحيحاً جائزاً كذلك : «أنت ذاك تقوم» .

وقد زعم بعض البصريين أن قوله : «هؤلاء» في قوله : «ثم أنتم هؤلاء» ، تنبيه وتوكيد لـ «أنتم» . وزعم أن «أنتم» وإن كانت كناية أسماء جماع المخاطبين ، فلنما جاز أن يؤكدوا «هؤلاء» و«أولاء» ،^(٥) لأنها كناية عن المخاطبين ، كما قال خُفاف بن ندبة :

أقولُ له ، والرمحُ يَاطِرُ مَنَّهُ : تَبَيَّنَ خُفَافًا ، إِنِّي أَنَا ذَلِكَا^(٦)
يريد : أنا هذا ، وكما قال جل ثناؤه : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجَعَلْنَا

(١) في المطبوعة : «ثم أقررتم وبعد شهادتكم . . . » والواو لا مكان لها هنا .

(٢) في المطبوعة «متعاونين عليه في إخراجكم . . . » ، وهذا سهو .

(٣) في المطبوعة : «وإنما قيل التعاون التظاهر . . . » وهذا لا شيء .

(٤) في المطبوعة : «ولو قيل . أنا هذا أجلس» . والصواب ما أثبت .

(٥) في المطبوعة : «وأول» ، وهو خطأ . ويعنى قوله تعالى في سورة آل عمران : ١١٩ :

«هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ» ، وقوله تعالى في سورة طه : ٨٤ : «قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي»

(٦) مضى تخريجه فيما سلف ١ : ٢٢٧ .

﴿سورة يونس : ٢٢﴾

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فيمن عُنى بهذه الآية ، نحو اختلافهم فيمن عنى بقوله : « وأنتم تشهدون » ذكر اختلاف المختلفين في ذلك :

١٤٧١ - حدثنا محمد بن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « أنتم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان » إلى أهل الشرك ، ^(١) حتى تسفكوا دماءهم معهم ، وتخرجوهم من ديارهم معهم. ^(٢) قال : أنبهم الله [على ذلك] من فعلهم ، ^(٣) وقد حرّم عليهم في التوراة سفك دماهم ، وافترض عليهم فيها فداء أسراهم ، فكانوا فريقين : طائفة منهم من بنى قينقاع حلفاء الخزرج ، والنضير وقريظة حلفاء الأوس . فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج ، وخرجت النضير وقريظة مع الأوس ، يُظهر كل من الفريقين حلفاءه على إخوانه ، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم ، وبأيديهم التوراة يعرفون منها ما عليهم وما لهم . والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان ، ^(٤) لا يعرفون جنة ولا ناراً ، ولا بعثاً ولا قيامة ، ولا كتاباً ، ولا حراماً ولا حلالاً ، فإذا وضعت الحرب أوزارها ، افتدوا أسراهم ، تصديقاً لما في التوراة ، وأخذاً به ، بعضهم من بعض . يفتدى بنو قينقاع ما كان من أسراهم في أيدي الأوس ،

(١) في تفسير ابن كثير ١ : ٢٢٣ ، والدر المنثور ١ : ٨٦ : « أى أهل الشرك » ، والصواب ما في الطبرى ، وقوله : « إلى أهل الشرك » ، أى تخرجون فريقاً منكم - إلى أهل الشرك .

(٢) في المطبوعة : « فقال أنبهم » ، والأجود حذفها .

(٣) ما بين القوسين زيادة لا بد منها . وأما ابن كثير في تفسيره ١ : ٢٢٣ فكتب : « أنبأهم الله بذلك من فعلهم » ، وهو تحريف .

(٤) في المطبوعة : « أهل الشرك » ، والصواب في سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٨ ، وابن كثير

وَفَتَدَى النُّصِيرَ وَقَرِيطَةَ مَا كَانَ فِي أَيْدِي الْخَزَرَجِ مِنْهُمْ ، وَيُطْلِتُونَ مَا أَصَابُوا مِنَ الدَّمَاءِ ، ^(١) وَقَتْلَى مِنْ قُتِلُوا مِنْهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، ^(٢) مَظَاهِرَةً لِأَهْلِ الشَّرِكِ عَلَيْهِمْ . يَقُولُ ٣١٥/١ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ ، حِينَ أَنْبَهُمْ بِذَلِكَ : ^(٣) « أَفْتُؤْمِنُونَ بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ » ، أَيْ : تُفَادُونَهُ بِحُكْمِ التَّوْرَةِ ، وَتَقْتُلُونَهُ — وَفِي حُكْمِ التَّوْرَةِ أَنْ لَا يُقْتَلَ ، وَلَا يُخْرَجَ مِنْ دَارِهِ ، ^(٤) وَلَا يُظَاهَرُ عَلَيْهِ مَنْ يَشْرِكُ بِاللَّهِ وَيَعْبُدُ الْأَوْثَانَ مِنْ دُونِهِ — ابْتِغَاءً عَرَضَ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا .

فَفِي ذَلِكَ مِنْ فَعْلِهِمْ مَعَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ — فِيمَا بَلَغْنِي — نَزَلَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ . ^(٥) ١٤٧٢ — وَحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هُرُونٍ قَالَ ، حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ قَالَ ، حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدَى : « وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ » . قَالَ : إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي التَّوْرَةِ : أَنْ لَا يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَأَيُّمَا عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ وَجَدْتُمُوهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَاشْتَرَوْهُ بِمَا قَامَ ثَمَنُهُ ، فَأَعْتَقُوهُ . ^(٦) فَكَانَتْ قُرَيْطَةُ حُلَفَاءَ الْأَوْسِ ، وَالنُّصِيرَ حُلَفَاءَ الْخَزَرَجِ ، فَكَانُوا يَقْتُلُونَ فِي حَرْبِ سُمَيْرٍ . ^(٧) فَيُقَاتِلُ بَنُو قُرَيْطَةَ مَعَ حُلَفَائِهَا ، وَالنُّصِيرَ وَحُلَفَاءَهَا . وَكَانَتِ النُّصِيرُ تُقَاتِلُ قُرَيْطَةَ وَحُلَفَاءَهَا ، فَيُغْلِبُونَهُمْ ، فَيُخْرِجُونَهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ، وَيُخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا . فَإِذَا أَسِيرَ الرَّجُلُ مِنَ الْقَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا ، جَمَعُوا لَهُ حَتَّى

(١) طَلَّ دَمُهُ وَأَطْلَهُ : أَهْدَرَهُ وَأَبْطَلَهُ .

(٢) فِي الْمَطْبُوعَةِ : « وَقَتْلُوا مِنْ قَتَلُوا . . . » ، وَالصَّوَابُ مِنْ ابْنِ هِشَامٍ ٢ : ١٨٩ .

(٣) فِي الْمَطْبُوعَةِ : « أَنْبَاهُمْ بِذَلِكَ » ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَ مِنْ سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ٢ : ١٨٩ ، وَسَرَى ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ فَفَسَّاهَا بَعْدَ .

(٤) فِي الْمَطْبُوعَةِ : « مِنْ ذَلِكَ » ، وَهُوَ مُحْضٌ خَطَأً .

(٥) هَذِهِ الْجُمْلَةُ الْأَخِيرَةُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ إِسْحَاقَ ، لَا مِنْ كَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ .

(٦) فِي الْمَطْبُوعَةِ : « بِمَا قَدَّمَ يَمِينَهُ فَأَعْتَقُوهُ » . وَهُوَ كَلَامٌ مِنَ السَّقَمِ بِمَكَانٍ . يُقَالُ : قَامَتْ الْأَمَةُ مِثْلَ دِينَارٍ ، أَيْ بُلُغَتْ قِيَمَتُهَا مِثْلَ دِينَارٍ . وَيُقَالُ : كَمْ قَامَتْ أَمَتُكَ ؟ أَيْ كَمْ بُلُغَتْ ؟ وَوَجَدْتَهَا فِي تَفْسِيرِ الْبَهْزِيِّ عَلَى الصَّوَابِ : « بِمَا قَامَ مِنْ ثَمَنِهِ » ١ : ٢٢٤ (بِهَاشِ تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ) .

(٧) حَرْبُ سُمَيْرٍ ، كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ . وَسُمَيْرُ رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَمْرُو بْنِ عَوْفٍ . وَانْظُرْ خَبَرَ هَذِهِ الْحَرْبِ فِي الْأَغَانِي ٣ : ١٨ : ٢٦ .

يفلوه . فتعيرهم العربُ بذلك ، ويقولون : كيف تقاتلونهم وتفلدونهم ؟ قالوا : إنا أمرنا أن نفلديهم ، وحرّم علينا قتالهم . قالوا : فلم تقاتلونهم ؟ قالوا : إنا نستحي أن نستذلَّ حلفاؤنا . فذلك حين عيرهم جل وعز فقال : « ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان » .

١٤٧٣ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : كانت قريظة والنضير أخوين ، وكانوا بهذه المثابة ، ^(١) وكان الكتاب بأيديهم . وكانت الأوس والخزرج أخوين فافترقا ، وافتقت قريظة والنضير . فكانت النضير مع الخزرج ، وكانت قريظة مع الأوس ، فاقتلوا . وكان بعضهم يقتل بعضاً ، فقال الله جل ثناؤه : « ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم » الآية .

* * *

وقال آخرون بما : -

١٤٧٤ - حدثني به المنفي قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية قال : كان في بني إسرائيل : إذا استضعفوا قوماً أخرجوهم من ديارهم . وقد أخذ عليهم الميثاق أن لا يسفكوا دماءهم ، ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم .

* * *

قال أبو جعفر : وأما « العدوان » فهو « الفعلان » من « التعدى » يقال منه : « عدا فلان في كذا عدواً وعدواناً ، واعتدى يعتدى اعتداءً » ، وذلك إذا جاوز حده ظمناً وبغياً .

* * *

وقد اختلف القراءة في قراءة « تظاهرون » . ^(٢) فقرأها بعضهم : « تظاهرون » على مثال « تفاعلون » فحذف التاء الزائدة ، وهى التاء الآخرة . وقرأها آخرون :

(١) المثابة : يعنى المدينة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . والمثابة المنزل ، لأن أهله يتصرفون في أمورهم ثم يثوبون إليه ، يرجعون إليه . وقال الله تعالى : « وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا »

(٢) في المطبوعة : « وقد اختلف القراء » ، وردتها إلى منهج الطبرى .

« تَطَاهَرُونَ » فشدّد ، بتأويل : تتظاهرون ، غير أنهم أدغموا التاء الثانية في الظاء ، لتقارب مخرجيهما ، فصيروهما ظاء مشددة . وهاتان القراءتان ، وإن اختلفت ألفاظهما ، فلإنهما مُتَّفِقَتَا المعنى . فسواءُ بأيّ ذلك قرأ القارئ ، لآتهما جميعاً لغتان معروفتان ، وقراءتان مستفيضتان في أمصار الإسلام بمعنى واحد ، ليس في إحداهما معنى تستحقُّ به اختيارها على الأخرى ، إلا أن يختار مُخْتَارُ « تَطَاهَرُونَ » المشدّدة ، طلباً منه تنمة الكلمة .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَقْدُوهُمْ ۖ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۖ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَقْدُوهُمْ » ، اليهود . يوبخهم بذلك ، ويعرفهم به قبيح أفعالهم التي كانوا يفعلونها ، فقال لهم : ثم أنتم - بعد إقراركم بالميثاق الذي أخذته عليكم : أن لا تسفكوا دماءكم ، ولا تخرجوا أنفسكم من دياركم - تقتلون أنفسكم = يعنى به : يقتل بعضهم بعضاً = وأنتم ، مع قتلكم من تقتلون منكم ، إذا وجدتم الأسير منكم في أيدي غيركم من أعدائكم ، تفقدونه ، ^(١) ويخرج بعضهم بعضاً من دياره . وقتلكم إياهم وإخراجكمهم من ديارهم ، حرامٌ عليكم ، وتركهم أسرى في أيدي عدوكم [حرام عليكم] ، ^(٢) فكيف تستجيزون قتلهم ، ولا تستجيزون ترك فدائهم من عدوهم ؟ أم كيف لا تستجيزون ترك فدائهم ، وتستجيزون قتلهم ؟ وهما جميعاً - في اللازم لكم من الحكم فيهم - سواءٌ . ^(٣) لأن الذي حرّمْتُ عليكم

(١) في المطبعة : « تفدوهم » ، خطأ .

(٢) الزيادة بين القوسين لا معنى لها لاستقامة الكلام .

(٣) في المطبعة : « وهم جميعاً » ، والصواب ما أثبت .

من قتلهم وإخراجهم من دورهم ، نظيرُ الذي حرمت عليكم من تركهم أسرى في أيدي عدوهم ، أفتؤمنون ببعض الكتاب - الذي فرضت عليكم فيه فرائضى ، ويثبت لكم فيه حدودى ، وأخذت عليكم بالعمل بما فيه ميثاقى - فتصدقون به ، فتفقدون أسراكم من أيدي عدوكم وتكفرون ببعضه ، فتجحدونه ، فتقتلون من حرمت عليكم قتله من أهل دينكم ومن قومكم ، وتخرجونهم من ديارهم ، وقد علمتم أن الكفر منكم ببعضه نقض منكم عهدى وميثاقى ؟ كما :-

١٤٧٥ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، قال حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » ، [أفتؤمنون ببعض الكتاب فادين ، وتكفرون ببعض - قاتلين ومخرجين] ؟ ^(١) والله إن فداءهم لإيمان ، وإن إخراجهم لكفر . فكانوا يخرجونهم من ديارهم ، وإذا رأوهم أسارى في أيدي عدوهم افتكؤهم .

١٤٧٦ - حدثنا ابن حيد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير ، أو عن عكرمة ، عن ابن عباس : « وإن يأتوكم أسارى تفدوهم » ، قد علمتم أن ذلكم عليكم في دينكم ، « وهو محرم عليكم » في كتابكم « إخراجهم » ، أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » ، أفتادونهم مؤمنين بذلك ، وتخرجونهم كفرةً بذلك .

١٤٧٧ - حدثني محمد بن عمرو ، قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وإن يأتوكم أسارى تفدوهم » يقول : إن وجدته في يد غيرك فديته ، وأنت تقتله بيدك ؟

(١) كان في المطبعة : « ... وتكفرون ببعض فادين والله إن فداء لإيمان » ، وهو كلام مضطرب فزدت ما بين القوسين استظهاراً ، حتى يستقيم الكلام .

١٤٧٨ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر قال ، قال أبو جعفر : كان قتادة يقول في قوله : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » ، فكان إخراجهم كفراً ، وفداؤهم إيماناً .

١٤٧٩ - حدثنا المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : « ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم » الآية ، قال : كان في بني إسرائيل : إذا استضعفوا قوماً أخرجوهم من ديارهم ، وقد أخذ عليهم الميثاق : أن لا يسيّفكوا دماءهم ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم ، وأخذ عليهم الميثاق : إن أسر بعضهم أن يفيادهم . فأخرجوهم من ديارهم ، ثم فادوهم ، فأمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض . آمنوا بالفداء ففدوا ، وكفروا بالإخراج من الديار فأخرجوا .

١٤٨٠ - حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر قال ، حدثنا الربيع بن أنس قال : أخبرني أبو العالية : أن عبد الله بن سلام مرّ على رأس الجالوت بالكوفة وهو يُفادى من النساء من لم يقع عليه العرب ، ولا يُفادى من وقع عليه العرب ، فقال له عبد الله بن سلام : أما إنه مكتوب عندك في كتابك : أن فادوهم كلّهم .

١٤٨١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » ، قال ، كفرهم القتل والإخراج ، وإيمانهم الفداء . قال ابن جريج : يقول : إذا كانوا عندكم تقتلونهم وتخرجونهم من ديارهم ، وأما إذا أسروا ففدوهم؟ ^(١) وبلغني أن عمر بن الخطاب قال في قصة بني إسرائيل : إن بني إسرائيل قد مضوا ، وإنكم أنتم تُعصّون بهذا الحديث .

* * *

قال أبو جعفر : واختلف القراءة ^(٢) في قراءة قوله : « إن يأتوك أسارى ففدوهم » .

(١) في المطبوعة : « ففدوهم » ، خطأ .

(٢) في المطبوعة : « واختلف القراء » ، ورددته إلى نهج أبي جعفر .

فقرأه بعضهم : « أسرى تَفَدُّوهم » ، وبعضهم : « أسارى تُفادُوهم » ، وبعضهم « أسارى تَفَدُّوهم » ، وبعضهم « أسرى تُفادوهم » .

* * *

قال أبو جعفر : فمن قرأ ذلك : « وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أُسْرَى » ، فإنه أراد جمع « الأسير » ، إذ كان على « فعيل » ، على مثال جَمَعَ أسماء ذوى العاهات التى يأتى واحدُها على تقدير « فعيل » ، إذ كان « الأسر » شبيهَ المعنى - فى الأذى والمكروه الداخِل على الأسير - ببعض معانى العاهات ، وألحقَ جَمَعَ المستلحق به بجمع ما وصفنا ، فقل : « أسير وأسرى » ، كما قيل : « مريض ومَرَضَى » ، وكسِر وكَسَرَى ، وجَرِيح وجَرَحَى .

* * *

وقال أبو جعفر : وأما الذين قرأوا ذلك « أسارى » ، فلمهم أخرجوه على مخرج جمع « فعلان » ، إذ كان جمع « فعلان » الذى له « فعلى » قد يشارك جمع « فعيل » كما قالوا : « سَكَارَى وَسَكَرَى ، وَكَسَالَى وَكَسَلَى » ، فشبهوا « أسيراً » - وجمعه مرة « أسارى » ، وأخرى « أسرى » - بذلك .

* * *

وكان بعضهم يزعم أن معنى « الأسرى » مخالف معنى « الأسارى » ، ويزعم أن معنى « الأسرى » : استئثار القوم بغير أسر من المستأسر لهم ، وأن معنى « الأسارى » معنى مصير القوم المأسورين فى أيدي الأسرى بأسرهم وأخذهم قهراً وغلبةً .

قال أبو جعفر : وذلك ما لا وجه له يفهم فى لغة أحد من العرب . ولكن ذلك على ما وصفتُ من جمع « الأسير » مرة على « فعلى » لما بينت من العلة ، ومرة على « فعلى » ، لما ذكرت : من تشبيههم جمعه بجمع « سكران وكسلان » وما أشبه ذلك .

* * *

وأولى بالصواب فى ذلك قراءةُ من قرأ « وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أُسْرَى » ، لأن « فعلى » فى جمع « فعيل » غيرُ مستفيض فى كلام العرب ، فإذا كان ذلك غير مستفيض فى كلامهم ، وكان مستفيضاً فاشياً فيهم جمعُ ما كان من الصفات - التى بمعنى

الآلام والزمانة - وواحدُه على تقدير « فَعِيل » ، على « فَعِل » ، كالذى وصفنا قبل ، وكانَ أحدَ ذلك « الأسير » ، كان الواجب أن يُلحق بنظائره وأشكاله ، فيجمع جمعها دون غيرها ممن خالفها .

وأما من قرأ « تُفَادُوهم » ، فإنه أراد : إنكم تفدُونهم من أسْرهم ، ويفدِي منكم - الذين أسروهم ففادوكم بهم - أسْرًا كم منهم .

وأما من قرأ ذلك « تَفْدُوهم » ، فإنه أراد : إنكم يا معشرَ اليهود ، إن أناكم الذين أخرجتموهم منكم من ديارهم أسرى فدَيْتُمُوهم فاستفدْتُمُوهم .

وهذه القراءةُ أعجب إلى من الأولى - أعنى : « أسرى تُفَادُوهم » - ^(١) لأن الذى على اليهود فى دينهم فداء أسراهم بكل حال ، فدَى الآسرون أسراهم منهم أم لم يفدوهم .

وأما قوله : « وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ » ، فإن فى قوله : « وَهُوَ » وجهين من التأويل . أحدهما : أن يكون كناية عن الإخراج الذى تقدم ذكره . كأنه قال : وتُخرجون فريقاً منكم من ديارهم ، وإخراجهم محرم عليكم . ثم كرر « الإخراج » الذى بعد « وَهُوَ محرم عليكم » ، تكريراً على « هو » ، لماً حال بين « الإخراج » و « هو » كلام . والتأويل الثانى ، أن يكون عماداً ، لماً كانت « الواو » التى مع « هو » تقتضى

اسماً يليها دون الفعل . ^(٢) فلما قدّم الفعلَ قبل الاسم - الذى تقتضيه « الواو » ٣١٨١ أن يليها - أوليت « هو » ، لأنه اسم ، كما تقول : « أَتَيْتُكَ وَهُوَ قائم أبوك » بمعنى : « وأبوك قائم » ، إذ كانت « الواو » تقتضى اسماً ، فصمدت بـ « هو » ، إذ سبق الفعلُ الاسمَ ، ليصلحُ الكلام . ^(٣) كما قال الشاعر :

(١) فى المطبوعة : « أسرى تفدوهم » ، وهو غير الصواب ، فيما اختاره أبو جعفر من القراءة .
(٢) العماد ، هو ما اصطلاح عليه البصريون بقولهم : « ضمير الفصل » ، ويسى أيضاً : « دعامة » و « صفة » . وأراد بقوله : « الفعل » هنا : المشتق الذى يعمل فيما بعده عمل الفعل . وسيتبين مراده فى العبارات الآتية .

(٣) قد استوفى هذا كله الفراء فى معانى القرآن ١ : ٥٠ - ٥٢ .

فَأَبْلِغْ أبا يَمْنَى إِذَا مَا لَقَيْتَهُ عَلَى الْعِيسِ فِي آبَاطِهَا عَرَقٌ يَبْسُ^(١)
 بِأَنَّ السَّلَامَى الَّذِي بِضَرِيَّةٍ أَمِيرَ الْحَمَى ، قَدْ بَاعَ حَقِّي بَنِي عَبْسٍ^(٢)
 بِنُوبٍ وَدِينَارٍ وَشَاةٍ وَدِرْهَمٍ ، فَهَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ بِمَا هُنَا رَأْسُ^(٣)
 فَأُولَيْتَ « هل » « هو » ، لطلبها الاسمَ العِمَادَ .^(٤)

• • •

(١) سيأتي الشطر الثاني من البيت الأخير في ١١ : ٣٤ ، ١٧ : ٧٣ ولم أجد الشعر في غير معاني القرآن للقراء ١ : ٥٢ ، ولم أعرف قائله . والعيس : إبل بيض يخالطها شقرة يسيرة ، وهي من كرائم الإبل . ويبس : يابس . قد يبس العرق في آباطها من طول الرحلة .
 (٢) السلاى : يعنى رجلا كان - فيما أرجح - مصدقاً وعاملاً على الزكاة ، وأميراً على حمى ضرية ، ولست أعرف نسبته ، أهى إلى قبيلة أم إلى بلد . وحمى ضرية : في نجد ، على طريق البصرة إلى مكة ، وهي إلى مكة أقرب ، وهي أرض طيبة مذكورة في شعرهم . وفي البيت إقواء .
 (٣) سيأتي الشطر الثاني بعد قليل : ٣٧٤ قوله : « بثوب » ، متعلق بقوله آنفاً « باع » . يقول : أخذ هذه الرشى التي عددها من بني عيس ، فأسلم إليهم حق . وقوله : « فهل هو مرفوع بما ههنا رأس » يقوله لأبي يحيى الذي ذكره ، ويقول : فهل نجد ناصراً ينصرنا ويأخذ لنا حقنا ، فترفع رؤوسنا بعد ما نزل بنا من الضيم . وهذه كلمة يقولونها في مثل ذلك . قال الراعى (طبقات فحول الشعراء : ٤٤٢) :

فَإِنْ رَفَعْتَ بِهِمْ رَأْسًا نَعَشْتَهُمْ وَإِنْ لَقُوا مِثْلَهَا فِي قَائِلٍ فَسَدُوا

وقال أعرابي :

فَقَى مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ ، لَيْسَ يَخْلُ بِخَيْرٍ ، وَلَا مُهْدٍ مَلَامًا لِبَاخِلٍ
 وَلَا نَاطِقٍ عَوْرَاءٍ تُؤْذِي جَلِيسَهُ وَلَا رَافِعٍ رَأْسًا بَعَوْرَاءٍ قَائِلٍ

وجاءت هذه الكلمة في (باب فضل من علم وعلم) من حديث أبي موسى الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (البخارى ١ : ٢٣) : « فذاك مثل من فقه في دين الله ونفقه ما بمعنى الله به ، فلم يعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » .
 (٤) في المطبوعة : « فأوليت هل لطلبها » ، وزيادة « هو » لابد منها .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَاَجْزَاءُ مِمَّنْ يَعْمَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « فاجزاء من يفعل ذلك منكم » : فليس لمن قتل منكم قتيلًا = فكفر بقتله إياه ، بنقض عهد الله الذى حكم به عليه فى التوراة - وأخرج منكم فريقاً من ديارهم مظاهراً عليهم أعداءهم من أهل الشرك ظلماً وعدواناً وخلافاً لما أمره الله به فى كتابه الذى أنزله إلى موسى = جزاء - يعنى « بالجزاء » : الثواب ، وهو العوض مما فعل من ذلك والأجر عليه - (١) إلا خِزْيٌ فى الحياة الدنيا . « والخِزْيُ » : الذُّلُّ والصغار ، يقال منه : « خِزَى الرجل يَخِزِي خِزْيًا » ، « فى الحياة الدنيا » ، يعنى : فى عاجل الدنيا قبل الآخرة .

ثم اختلف فى الخِزْي الذى أخزاهم الله بما سلف من معصيتهم إياه . فقال بعضهم : ذلك هو حُكْم الله الذى أنزله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : من أخذ القاتل بمن قتل ، والقَوْدَ به قصاصاً ، والانتقام للمظلوم من الظالم .

وقال آخرون : بل ذلك ، هو أخذ الجزية منهم ما أقاموا على دينهم ، ذلّةً لهم وصغاراً .

وقال آخرون : بل ذلك الخِزْي الذى جُوزُوا به فى الدنيا : إخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم النصير من ديارهم لأوّل الحشر ، وقتل مقاتلة قريظة وسبي ذراريهم ، فكان ذلك خِزْيًا فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم .

• • •

(١) انظر ما سلف ٢ : ٢٧ - ٢٨ من هذا الجزء

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ

الْعَذَابِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ » :
ويوم تقوم الساعة يُرَدُّ من يفعل ذلك منكم - بعد الخِزْي الذى يَحِلُّ به فى الدنيا
جزاء على معصية الله - إلى أَشَدِّ الْعَذَابِ الذى أَعَدَّ الله لأعدائه .

* * *

وقد قال بعضهم : معنى ذلك : ويوم القيامة يُرَدُّونَ إلى أَشَدِّ من عذاب
الدنيا . (١)

ولا معنى لقول قائل ذلك . (٢) ذلك بأن الله جل ثناؤه إنَّها أخبر أنَّهم يُرَدُّونَ
إلى أَشَدِّ معانى العذاب ، ولذلك أدخل فيه « الألف واللام » ، لأنه عني به جنس
العذاب كله ، دون نوع منه .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٨٥)

قال أبو جعفر : اختلف القراء فى قراءة ذلك . فقرأه بعضهم : « وما الله
بغافل عما يعملون » بـ « الياء » ، على وجه الإخبار عنهم . فكأنهم نَحَوْا بقراءتهم
معنى : « فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خِزْيٌ فى الحياة الدنيا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ
يُرَدُّونَ إلى أَشَدِّ الْعَذَابِ وما الله بغافل عما يعملون » ، يعنى : عما يعملهُ الذين
أخبرَ الله عنهم أنه ليس لهم جزاء على فعلهم إلا الخِزْي فى الحياة الدنيا ، ومرجعهم
فى الآخرة إلى أَشَدِّ الْعَذَابِ .

* * *

وقرأه آخرون : « وما الله بغافل عما تعملون » بـ « التاء » على وجه المخاطبة .

(١) فى المطبوعة : « إلى أَشَدِّ الْعَذَابِ من عذاب الدنيا » ، والصواب حذف « العذاب » .

(٢) فى المطبوعة : « ولا معنى لقول قائل ذلك بأن . . . » والصواب زيادة « ذلك » .

قال : فكأنهم نحواً بقراءتهم : « أَتُؤْمِنُونَ ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » .
وما الله بغافل ، يَا معشر اليهود ، عما تعملون أنتم .

وأعجب القراءتين إلى قراءة من قرأ : « الياء » ، إتباعاً لقوله : « فاجزاء من يفعل ذلك منكم » ، ولقوله : « ويوم القيامة يردون » . لأن قوله : « وما الله بغافل عما يعلمون » إلى ذلك ، أقرب منه إلى قوله : « أَتُؤْمِنُونَ ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » ، فإتباعه ٣١٩/١ الأقرب إليه ، أولى من إلحاقه بالأبعد منه . والوجه الآخر غير بعيدٍ من الصواب .

وتأويل قوله : « وما الله بغافل عما يعلمون » ، ^(١) وما الله بساهٍ عن أعمالهم الخبيثة ، بل هو مُحْصٍ لها ، وحافظها عليهم حتى يجازيهم بها في الآخرة ، ويجزيهم في الدنيا ، فيذليهم ويفضحهم . ^(٢)

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُّ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ ^(٨٦)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه أولئك الذين أخبر عنهم أنهم يؤمنون ببعض الكتاب ، فيفادون أسرارهم من اليهود ، ويكفرون ببعض ، فيقتلون من حرم الله عليهم قتله من أهل ملتهم ، ويخرجون من داره من حرم الله عليهم إخراجهم من داره ، نقضاً لعهد الله وميثاقه في التوراة لإيهم . فأخبر جل ثناؤه أن هؤلاء [هم] الذين اشتروا رياسة الحياة الدنيا على الضعفاء وأهل الجهل والغباء من أهل ملتهم ، ^(٣) وابتاعوا المآكل الحسيسة الرديئة فيها بالإيمان ، الذى كان يكون لهم به في الآخرة — لو كانوا أتوا به مكان الكفر — الخلود في الجنان . وإنما وصقهم الله جل ثناؤه

(١) في المطبوعة : « وتأويل قوله : وما الله بساهٍ » ، لم يذكر الآية ، والصواب إثباتها .

(٢) مضى تفسير معنى « الغفلة » فيما سلف من هذا الجزء ٢ : ٢٤٤

(٣) ما بين القوسين زيادة ، لا يستقيم الكلام بطرحها .

بأنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، لأنهم رضوا بالدنيا بكفرهم بالله فيها ، عوضاً من نعيم الآخرة الذى أعده الله للمؤمنين . فجعل حظوظهم من نعيم الآخرة بكفرهم بالله ، ثمناً لما ابتاعوه به من خسيس الدنيا ، ^(١) كما : —

١٤٨٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة » ، استحبوا قليل الدنيا على كثير الآخرة . ^(٢)

قال أبو جعفر : ثم أخبر الله جل ثناؤه أنهم إذ باعوا حظوظهم من نعيم الآخرة — بتركهم طاعته ، وإثارتهم الكفر به والخسيس من الدنيا عليه — لاحظ لهم في نعيم الآخرة ، وأن الذى لهم في الآخرة العذاب ، غير مخفف عنهم فيها العذاب . لأن الذى يخفف عنه فيها من العذاب ، هو الذى له حظ في نعيمها ، ولا حظ لهؤلاء ، لا لشرائهم — بالذى كان في الدنيا — دنياهم بأخرتهم . ^(٣)

وأما قوله : « ولا هم يُنصرون » فإنه أخبر عنهم أنه لا ينصُرهم في الآخرة أحد ، فيدفع عنهم بُنصرته عذاب الله — لا بقوته ولا بشفاعته ولا غيرها .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « آتينا موسى الكتاب » : أنزلناه إليه . وقد بينا أن معنى « الإيتاء » الإعطاء ، فيما مضى قبل . ^(٤)

(١) انظر ما مضى ١ : ٣١٢ : — ٣١٥ في معنى « الاشتراء » .

(٢) الأثر : ١٤٨٢ — كان في المطبوعة : « حدثنا يزيد . . . » بإسقاط : « حدثنا بشر قال » ، وهذا إسناده إلى قتادة ، كثير الدوران ، وأقربه فيما مضى رقم : ١٤٧٥ .

(٣) في المطبوعة : « لا لشرائهم الذى كان في الدنيا ودنياهم بأخرتهم » ، وهو كلام سقيم ، ولعل الصواب ما أثبت .

(٤) انظر ما سلف ١ : ٥٧٤ .

و « الكتاب » الذى آتاه الله موسى عليه السلام ، هو التوراة .

وأما قوله : « وَقَفَّيْنَا » ، فإنه يعنى : وأرَدَفْنَا ، وأتبعنا بعضهم خلف بعض ، كما يقفو الرجل الرجل : إذا سار فى أثره من ورائه . وأصله من « القفا » ، يقال منه : « قَفَوْتُ فلاناً » : إذا صرْتَ خلفَ قفاه ، كما يقال : « دَبَرْتَهُ » : إذا صرْتَ فى دُبُرِهِ .

ويعنى بقوله : « من بعده » ، من بعد موسى .

ويعنى بـ « الرسل » : الأنبياء ، وهم جمع « رسول » . يقال : هو « رَسُولٌ وهم رُسُلٌ » ، كما يقال : « هو صبورٌ وهم قوم صُبْرٌ » ، وهو رجل شكورٌ وهم قوم شُكْرٌ .

ولأنما يعنى جل ثناؤه بقوله : « وَقَفَّيْنَا من بعده بالرسول » ، أى أتبعنا بعضهم بعضاً على منهاج واحدٍ وشرِعة واحدة . لأن كلَّ من بعثه الله نبياً بعدَ موسى صلى الله عليه وسلم إلى زمان عيسى بن مريم ، فلأنما بعثه بأمر بنى إسرائيل بإقامة التوراة ، والعمل بما فيها ، والدعاء إلى ما فيها . فلذلك قيل : « وَقَفَّيْنَا من بعده الرسل » ، يعنى على منهاجه وشرِيعته ، والعمل بما كان يعمل به .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ » ، أعطينا عيسى بن مريم .

ويعنى بـ « البيّنات » التى آتاه الله لإياها : ما أظهر على يديه من الحجج والدلالة على نبوته : من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه ، ونحو ذلك من الآيات ، التى أبانت منزلته من الله ، ودلت على صدقه وصحة نبوته ، كما : —

١٤٨٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني محمد بن إسحق قال ، حدثنا محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن

عباس : « وَأَتَيْنَا عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ » : أى الآيات التى وَضَعَ عَلَى يَدَيْهِ : من إحياء الموتى ، وخلقه من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طائراً بلاذن الله ، وإبراء الأسقام ، والخبر بكثير من الغيوب مما يدّخرون فى بيوتهم ، وما ردّ عليهم من التوراة ، مع الإنجيل الذى أحدث الله إليه .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾

قال أبو جعفر : أما معنى قوله : « وَأَيَّدْنَاهُ » ، فإنه قوّيناه فاعنّاه ، كما : — ١٤٨٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك : « وَأَيَّدْنَاهُ » ، يقول : نصرناه . يقال منه : « أَيَّدَكَ اللهُ » ، أى قوّاك ، « وهو رجُلٌ ذو أيدٍ ، وذو أدٍ » ، يراد : ذو قوة . ومنه قول العجاج :
« مِنْ أَنْ تَبَدَّلْتُ بِآدَى آدَا »^(١)

يعنى : بشبابى قوة المشيب ، ومنه قول الآخر :^(٢)

إِنْ الْقِدَاحَ إِذَا اجْتَمَعْنَ فَرَامَهَا بِالْكَسْرِ ذُو جِلْدٍ وَبَطْشٍ أُيِّدٍ^(٣)

(١) زيادة ديوانه : ٧٦ ، واللسان (أود) (أيد) وبجاز القرآن : ٤٦ ، وأمالى الزجاجى : ٣٩ فى

شعر ، ورواه :

فَإِنْ تَبَدَّلْتُ بِآدَى آدَا لَمْ يَكُ يَنْتَادُ فَاَمْسَى أَنَاذَا
فَقَدْ أَرَانِي أُصِلُ الْقَعَادَا

والقعاد : القواعد من النساء ، جمع على جمع المذكر ، كما قال القطامى :

أُبْصَارُهُنَّ إِلَى الشَّبَانِ مَائِلَةٌ وَقَدْ أَرَاهُنَّ عَنِّي غَيْرَ صَدَادٍ

يعنى : غير صواد .

(٢) ينسب البيت — من أبيات — لعبد الملك بن مروان ، والصواب أنه لعبد الله بن عبد الأعلى

ابن أبي عمرة الشيبانى . مولى بنى شيبان (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٢ / وسمط اللآلى : ٩٦٣ ترجمته) .

(٣) البيت من أبيات جيهاد رواها أبو العباس المبرد فى التنازى والمرأى ورقة : ١٠٥ ، ١٠٦ ،

والمسعودى فى مروج الذهب ٣ : ١٠٤ ، ولباب الآداب : ٣١ ، وجاء بيت الشاهد فى تاريخ الإسلام

يعنى : بالأيد : القوى .

* * *

ثم اختلف في تأويل قوله : « بروح القدس » . فقال بعضهم : « روح القدس » الذى أخبر الله تعالى ذكره أنه أيد عيسى به ، هو جبريل عليه السلام . ذكر من قال ذلك :

١٤٨٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « وأيدناه بروح القدس » ، قال : هو جبريل .

١٤٨٦ — حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « وأيدناه بروح القدس » ، قال : هو جبريل عليه السلام .

١٤٨٧ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله : « وأيدناه بروح القدس » ، قال : روح القدس ، جبريل .

١٤٨٨ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وأيدناه بروح القدس » ، قال : أيد عيسى بجبريل ، وهو روح القدس .

١٤٨٩ — وقال ابن حميد ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثني عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبي الحُسَيْن المكي ، عن شهر بن حوشب الأشعرى : أن نفراً من اليهود سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أخبرنا عن الروح . قال : أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلمون أنه جبريل ؟ وهو [الذى]

للذهبي ٣ : ٢٨٠ ، وتاريخ ابن كثير ٩ : ٦٧ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي : ١٤٧ ، واختلفت رواية البيت الشاهد . وقد أوصى عبد الملك بن مروان بنيه وصية جليلة ، ثم قال لهم احفظوا عن هذه الأبيات — يعنى شعر عبد الله بن عبد الأعلى — أمرهم أن يحتملوا ولا يتفرقوا فتذهب ريحهم . وبعد البيت :

عَزَّ وَتَكَبَّرَ ، وَإِنْ هِيَ بَدَّدَتْ فَالَوْ هُنَّ وَالتَّكْسِيرُ وَالتَّكْسِيرُ

يَأْتِنِي؟ قَالُوا : نَعَمْ. ^(١)

* * *

وقال آخرون : « الروح » الذى أَيْدَ الله به عيسى ، هو الإنجيل * ذكر من قال ذلك :

١٤٩٠ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ » ، قال : أَيْدَ الله عيسى بالإنجيل رُوحاً ، كما جعل القرآن رُوحاً ، كلاهما رُوحُ الله ، كما قال الله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ﴾ [سورة الشورى : ٥٢]

* * *

وقال آخرون : هو الاسم الذى كان عيسى يُبجى به الموتى * ذكر من قال ذلك :

١٤٩١ - حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر بن عمار ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ » ، قال : هو الاسم الذى كان يُبجى عيسى به الموتى .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات فى ذلك بالصواب قولُ من قال : « الروح » - فى هذا الموضع - جبريل . لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه أَيْدَ عيسى به ، كما أخبر فى قوله : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ

٣٢١/١

(١) الحديث : ١٤٨٩ - وقع فى المطبوعة « حدثنا سلمة ، عن إسحق » . وهو خطأ ، صوابه « عن ابن إسحق » . عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى الحسين المكي : ثقة فقيه ، من شيوخ الليث ومالك . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٩٧/٢/٢ . شهر بن حوشب الأشمرى : تابعى ثقة ، ومن تكلم فيه فلا حجة له . وقد فصلنا القول فى توثيقه ، فى شرح المستد ٥٠٠٧ . وهو مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى . ٦٥٩/٢/٢ - ٢٦٠ ، وابن سعد ١٥٨/٢/٧ ، وابن أبى حاتم ٣٨٢/١/٢ - ٣٨٣ . ولكن هذا الحديث مرسل ، فإن شهراً تابعى كما قلنا . ومعناه - فى تفسير « الروح » بأنه جبريل - ثابت فى أحاديث صحاح متكثرة . ذكر منها ابن كثير ١ : ٢٢٧ حديث ابن مسعود ، فى صحيح ابن حبان ، مرفوعاً : « إن روح القدس نفث فى روعى : أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » . وقد ذكرنا فى شرحنا رسالة الشافعى . رقم : ٣٠٦ كثيراً من هذا المعنى . وهذا الحديث جزء من حديث مطول ، سيأتى هذا الإسناد رقم : ١٦٠٦

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿ [سورة المائدة : ١١٠] ، فلو كان الروح الذي أئده الله به هو الإنجيل ، لكان قوله : « إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ » ، و « إِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ » ، تكرير قول لا معنى له . وذلك أنه على تأويل قول من قال : معنى « إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ » ، إنما هو : إِذْ أَيْدَتُكَ بِالْإِنْجِيلِ - وإذْ علمتك الإنجيل . وهو لا يكون به مُؤَيِّدًا إِلَّا وَهُوَ مُعَلِّمُهُ ، فذلك تكرير كلام واحد ، من غير زيادة معنى في أحدهما على الآخر . وذلك تخلفٌ من الكلام ، ^(١) والله تعالى ذكره يتعالى عن أن يخاطب عباده بما لا يفيدُهم به فائدة . وإذْ كان ذلك كذلك ، فبيِّن فسادُ قول من زعم أن « الروح » في هذا الموضع ، الإنجيلُ ، وإن كان جميع كتب الله التي أوحاها إلى رُسُلِهِ رُوحًا منه ، لأنها تحيا بها القلوب الميتة ، وتنتعش بها النفوس المولَّية ، وتهتدي بها الأحلام الضالة .

* * *

وإنما سَمِيَ الله تعالى جبريل « رُوحًا » وأضافه إلى « القدس » ، لأنه كان بتكوين الله له رُوحًا من عنده ، من غير ولادة والد ولدَه ، فسماه بذلك « رُوحًا » ، وأضافه إلى « القدس » - و « القدس » ، هو الطهر - كما سَمِيَ عيسى بن مريم « رُوحًا » لله ، من أجل تكوينه له رُوحًا من عنده من غير ولادة والد ولدَه .

* * *

وقد بيَّنا فيما مضى من كتابنا هذا ، أن معنى « التقديس » : التطهير ، و « القدس » : الطهر ، من ذلك . وقد اختلف أهل التأويل في معناه في هذا الموضع نحو اختلافهم في الموضع الذي ذكرناه . ^(٢)

١٤٩٢ - حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : القدس ، البركة .

١٤٩٣ - حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه قال : القدس ، وهو الرب تعالى ذكره .

(١) الخلف : الرديء الفاسد من القول . يقال في المثل : « سكت ألقاً ونطق خلفاً » ، للرجل يطيل الصمت ، فإذا تكلم تكلم بالخطأ والخلل .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٤٧٥ - ٤٧٦ .

١٤٩٤ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وأيدناه بروح القدس » ، قال : الله ، القدس . وأيد عيسى بروحه ، قال : نعتُ الله ، القدس . وقرأ قول الله جل ثناؤه : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ﴾ [سورة الحشر : ٢٣] ، قال : القدس والقدُّوس ، واحدٌ .

١٤٩٥ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، [عن هلال] بن أسامة ، عن عطاء بن يسار قال ، قال كعب : الله ، القدس .^(١)

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ أَتُكْبَرْتُمْ فَفَرِّقُوا بَيْنَ كَذِبِهِمْ وَفَرِّقُوا تَقْتُلُونَ ﴾ (٨٧)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم » ، اليهود من بنى إسرائيل .

١٤٩٦ - حدثني بذلك محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .

* * *

قال أبو جعفر : يقول الله جل ثناؤه لهم : يا معشر يهود بنى إسرائيل ، لقد آتينا موسى التوراة ، وتابعنا من بعده بالرسول إليكم ، وآتينا عيسى بن مريم (١) الخبر : ١٤٩٥ - هو كلمة من كلام كعب الأحبار . أما الإسناد إليه ففيه إشكال . ولعله خطأ من الناسخين . فليس في الرواة - فيما علمنا - من يسمى « سعيد بن أبي هلال بن أسامة » ! كما كان في المطبوعة . وإنما صوابه ما رجحنا إثباته ، بزياد [عن هلال] .

فسمي بن أبي هلال الذي المدي المصري : ثقة من أتباع التابعين ، يروى عنه عمرو بن الحارث (الذي سبق ترجمته في ١٣٨٧) . وسعيد مترجم في التهذيب ، وفي الكبير للبخارى ١/٢/٤٧٥ ، وابن أبي حاتم ٧١/١/٢ . وهلال بن أسامة : هو « هلال بن علي بن أسامة المدي » ، وبعضهم نسبته إلى جده ، فقال : ابن أسامة » ، كما في التهذيب ، وهو ثقة . مترجم أيضاً في الكبير للبخارى ٢/٤/٢٠٤ - ٢٠٥ ، وابن أبي حاتم ٧٦/٢/٤ . وقد فصلنا القول في ترجمته ، في شرح المسند : ٧٣٤٦ .

اليئنات والحجج ، إذ بعثناه إليكم ، وقوينا بروح القدس ، وأنتم كلما جاءكم رسول من رُسلِ بغير الذي تهواه نفوسكم استكبرتم عليهم - تجبراً وبغياً - استكباراً إمامكم إبليس ، فكذبتم بعضاً منهم وقتلتم بعضاً . فهذا فعلكم أبداً برُسلِ .

وقوله : « أفكلمنا » ، وإن كان خرج مخرج التقرير في الخطاب ، فهو بمعنى الخبر .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾

٣٢٢/١ قال أبو جعفر : اختلفت القراءة في قراءة ذلك . فقرأه بعضهم : « وقالوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ » مخففة اللام ساكنة . وهى قراءة عامة الأمصار في جميع الأقطار . وقرأه بعضهم : « وقالوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ » مثقلة اللام مضمومة .

فأما الذين قرأوها بسكون اللام وتخفيفها ، فإنهم تأولوها ، أنهم قالوا : قلوبنا في أكنة وأغطية وُغُلْف . و« الغُلْف » - على قراءة هؤلاء - جمع « أغلِف » ، وهو الذى فى غلاف وغطاء ، كما يقال للرجل الذى لم يُخْتَن « أغلِف » ، والمرأة « غلفاء » . وكما يقال للسيف إذا كان فى غلافه : « سيف أغلِف » ، وقوس « غلفاء » وجمعها « غُلْف » . وكذلك جمع ما كان من النعوت ذكره على « أفعِل » وأثاء على « فعلاء » ، يجمع على « فَعْلَل » مضمومة الأول ساكنة الثانى ، مثل : « أحمر وُحمر ، وأصفر وُصُفر » ، فيكون ذلك جماعاً للتأنيث والتذكير . ولا يجوز تثقيل عين « فَعْلَل » منه ، إلا فى ضرورة شعر ، كما قال طرفة بن العبد : (١)

أَيُّهَا الْفَتَيَانُ فِي مَجْلِسِنَا جَرَّدُوا مِنهَا وَرَادَا وَشَقَّرَا (٢)

(١) ديوانه (أشعار السنته الجاهليين) : ٣٣١ ، من قصيدة نقيصة .

(٢) جردوا : قدموا للنارة . وتجرد الفرس : تقدم الحلبة فخرج منها . وتجرد فى الأمر : جده فيه . وراد جمع ورد (بفتح فسكون) وهو من الخيل ، بين الكيت والأشقر . والأشقر : الأحمر حمرة صافية ، يحمر منها السبيب والمعرفة والناسية . والعرب تقول : أكرم الخيل وذوات الخير منها شقرها .

يريد: 'شُقراً' ، إلا أن الشعر اضطره إلى تحريك ثانية فحركه . ومنه الخبر

الذى : -

١٤٩٧ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا الحكم بن بشير بن سلمان قال ، حدثنا عمرو بن قيس الملائي ، عن عمرو بن مرة الجملی ، عن أبي البختری ، عن حذيفة قال : القلوب أربعة - ثم ذكرها - فقال فيما ذكر : وقلب أغلف معصوب عليه ، فذلك قلب الكافر . (١)

* * *

* ذكر من قال ذلك - يعنى : أنها فى أغطية - :

١٤٩٨ - حدثنا ابن حميد : قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحق

(١) الخبر : ١٤٩٧ - هذا موقوف على حذيفة ، وإسناده جيد ، إلا أنه منقطع ، كما ستبين ،

إن شاء الله .

الحكم بن بشير بن سلمان النهدي الكوفي : ثقة ، مترجم في التهذيب ، ووقع هناك خطأ مطبعي في اسمي أبيه وجده . وله ترجمة عند البخاري في الكبير ٣٤٠/١/٢ ، وابن أبي حاتم ١١٤/٢/١ .

« عمرو بن قيس الملائي » : مضت ترجمته : ٨٨٦ . و « عمرو بن مرة الجملی » و « أبو البختری » واسمه « سعيد بن فيروز » مضيا في : ١٧٥ .

وانقطاع الإسناد ، هو بين أبي البختری ، المتوفى سنة ٨٣ ، وبين حذيفة بن اليمان ، المتوفى أوائل سنة ٣٦ بعد مقتل عثمان بأربعين يوماً . ونص في التهذيب على أن أبا البختری لم يدرك حذيفة .

وهذا الخبر ذكره الطبري مختصراً - كما ترى - وجاء به السيوطي كاملاً ١ : ٨٧ ، ونسبه لابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص ، وابن جرير ، فذكر نحوه ، موقوفاً على حذيفة .

وقد ورد معناه مرفوعاً : فروى أحمد في المسند : ١١١٤٦ (ج ٣ ص ١٧ حلي) ، عن أبي النضر ، عن أبي معاوية ، وهو شيبان بن عبد الرحمن النحوي ، عن ليث ، وهو ابن أبي سليم ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختری ، عن أبي سعيد الخدري . وهذا إسناد صحيح . ويظهر منه أن أبا البختری كان عنده هذا الحديث ، عن أبي سعيد مرفوعاً متصلاً ، وعن حذيفة بن اليمان موقوفاً منقطعاً . ومثل هذا كثير ، ولا نجمل إحدى الروايتين علة للأخرى .

وحديث أبي سعيد هذا : ذكره السيوطي ١ : ٨٧ ، ونسبه لأحمد « بسند جيد » . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١ : ٦٣ ، وقال : « رواه أحمد ، والطبراني في الصغير ، وفي إسناده ليث بن أبي سليم » . كأنه يريد إعلاله بضعف ليث . وليث بن أبي سليم : ليس بضعيف بجرة ، ولكن في حفظه شيء ، وحديثه عندنا صحيح ، إلا ما ظهر خطؤه فيه ، كما بينا في شرح المسند : ١١٩٩ ، وقد ترجمه البخاري في الكبير ٢٤٦/١/٤ ، فلم يذكر فيه حرجاً .

قال ، حدثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس : « وقالوا قلوبنا غلف » ، أى فى أكنة .

١٤٩٩ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « قلوبنا غلف » ، أى فى غطاء .
١٥٠٠ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وقالوا قلوبنا غلف » ، فهى القلوب المطبوع عليها .

١٥٠١ - حدثني عباس بن محمد قال ، حدثنا حجاج قال ، قال ابن جريج : أخبرني عبد الله بن كثير ، عن مجاهد قوله : « وقالوا قلوبنا غلف » ، عليها غشاوة .
١٥٠٢ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل قال ، أخبرني عبد الله بن كثير ، عن مجاهد : « وقالوا قلوبنا غلف » ، عليها غشاوة .
١٥٠٣ - حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا شريك ، عن الأعمش قوله : « قلوبنا غلف » ، قال : هى فى غلف .
١٥٠٤ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وقالوا قلوبنا غلف » ، أى لا تفقه .

١٥٠٥ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « وقالوا قلوبنا غلف » قال : هو كقوله : ﴿ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾ [سورة فصلت : ٥]

١٥٠٦ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة فى قوله : « قلوبنا غلف » قال : عليها طابع ، قال : هو كقوله : « قلوبنا فى أكنة » .

١٥٠٧ - حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « قلوبنا غلف » ، أى لا تفقه .

١٥٠٨ — حدثني موسى قال « حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وقالوا قلوبنا غُلْفٌ » ، قال : يقولون : عليها غلافٌ ، وهو الغطاء .

١٥٠٩ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « قلوبنا غُلْفٌ » ، قال يقول : قلبي في غلاف فلا يَخْلُصُ إليه مما تقول شيء ، ^(١) **وقرأ ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴾ [سورة فصلت : ٦] .**

٣٢٣/١

قال أبو جعفر : وأما الذين قرأوها « غُلْفٌ » بتحريك اللام وضمها ، فإنهم تأولوها أنهم قالوا : قلوبنا غُلْفٌ للعلم ، بمعنى أنها أوعية .

قال : و « الغلف » على تأويل هؤلاء جمع « غلاف » . كما يجمع « الكتاب كُتُبٌ ، والحجاب حُجُبٌ ، والشهاب شُهَبٌ » . فعنى الكلام على تأويل قراءة من قرأ « غُلْفٌ » بتحريك اللام وضمها ، وقالت اليهود : قلوبنا غُلْفٌ للعلم وأوعية له ولغيره * ذكر من قال ذلك :

١٥١٠ — حدثني عبيد بن أسباط بن محمد قال ، حدثنا أبي ، عن فضيل ابن مرزوق ، عن عطية : « وقالوا قلوبنا غُلْفٌ » ، قال : أوعية للذكر .

١٥١١ — حدثني محمد بن عمارة الأسدي قال ، حدثنا عبيد الله بن موسى قال ، أخبرنا فضيل ، عن عطية في قوله : قلوبنا غُلْفٌ » ، قال : أوعية للعلم . ^(٢)

١٥١٢ — حدثنا أحمد بن إسماعيل الأهوازي قال : حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا فضيل ، عن عطية مثله .

١٥١٣ — حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : « وقالوا قلوبنا غُلْفٌ » ، قال : مملوءة علماً ، لا تحتاج إلى محمد صلى الله عليه وسلم ولا غيره .

والقراءة التي لا يجوز غيرها في قوله : « قلوبنا غُلْفٌ » ، هي قراءة من قرأ « غُلْفٌ »

(١) في المطبعة : « شيء » ساقطة ، واستدركتها من ابن كثير ١ : ٢٢٩ .

(٢) الخبر : ١٥١١ — محمد بن عمارة الأسدي ، شيخ الطبري : لم أجد له ترجمة ولا ذكراً ، إلا في رواية الطبري عنه في التاريخ أيضاً مراراً .

بتسكين اللام — بمعنى أنها في أغشية وأغطية ، لاجتماع الحجة من القراءة وأهل التأويل على صحتها ، وشذوذ من شذذ عنهم بما خالفه ، من قراءة ذلك بضم «اللام» .
وقد دللنا على أن ما جاءت به الحجة متفقة عليه ، حجة على من بلغه . وما جاء به المنفرد ، فغير جائر الاعتراض به على ما جاءت به الجماعة التي تقوم بها الحجة نقلاً وقولاً وعملاً ، في غير هذا الموضع ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا المكان .^(١)

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : «بل لعنهم الله» ، بل أقصاهم الله وأبعدهم وطردهم وأخزأهم وأهلكهم بكفرهم ، وجحودهم آيات الله وبيئاته ، وما ابتعث به رسله ، وتكذيبهم أنبياءه . فأخبر تعالى ذكره أنه أبعدهم منه ومن رحمته بما كانوا يفعلون من ذلك .

* * *

وأصل «اللعن» الطرد والإبعاد والإقصاء يقال : «لعن الله فلاناً يلعنه لعناً» ، وهو ملعون . ثم يُصرف «مفعول» : فيقال : هو «لَعِين» . ومنه قول الشماخ بن ضرار :
ذَعَرْتُ بِهِ الْقَطَا وَنَفَيْتُ عَنْهُ مَكَانَ الذَّنْبِ كَالرَّجُلِ اللَّعِينِ^(٢)

قال أبو جعفر : في قول الله تعالى ذكره «بل لعنهم الله بكفرهم» تكذيب منه للقائلين من اليهود : «قلوبنا غلف» . لأن قوله : «بل» دلالة على جحده جل

(١) انظر ما سلف في هذا الجزء ٢ : ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٦٥ ، ٢٩٥

(٢) ديوانه : ٩٢ ، ومجاز القرآن ٤٦١ ، وسيأتي في ٢ : ٣٣ (بولاق) ، وروايته هناك وفي

ديوانه ، «مقام الذنب» والفسير في «به» إلى «ماء» في قوله قبله :

وَمَاءٌ قَدْ وَرَدَتْ لَوَصَلَ أُرْوَى عَلَيْهِ الطَّيْرُ كَالْوَرَقِ اللَّجِينِ

وأراد في البيت : مقام الذنب الطريد اللعين كالرجل . والرجل اللعين المطرود لا يزال منتبذاً عن الناس ، شبه الذنب به ، يعني في ذله وشدة مخافته وذعره .

ذكره وإنكاره ما ادعوا من ذلك ، إذ كانت « بل » لا تدخل في الكلام إلا نقضاً لمجحد . فإذا كان ذلك كذلك ، فبيّن أن معنى الآية : وقالت اليهود : « قلوبنا أكنة مما تدعونا إليه يا محمد . فقال الله تعالى ذكره : ما ذلك كما زعموا ، ولكن الله أقصى اليهود وأبعدهم من رحمته ، وطردهم عنها ، وأخزاهم يمجحودهم له ولرسله ، فقليلاً ما يؤمنون .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَعَلِيلًا مَّا يُوْمِنُونَ ﴾ (٨٨)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « فَعَلِيلًا مَّا يُوْمِنُونَ » . فقال بعضهم ، معناه قليل منهم من يؤمن ، أى لا يؤمن منهم إلا قليل * ذكر من قال ذلك :

١٥١٤ — حدثنا بشر من معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون » ، فلعمرى لمن رجع من أهل الشرك أكثر ممن رجع من أهل الكتاب ، إنما آمن من أهل الكتاب رهط يسير .

١٥١٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « فقليلاً ما يؤمنون » ، قال : لا يؤمن منهم إلا قليل * .

٣٢٤/١

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فلا يؤمنون إلا بقليل مما في أيديهم * ذكر من قال ذلك :

١٥١٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة « فقليلاً ما يؤمنون » ، قال : لا يؤمن منهم إلا قليل . قال معمر : وقال غيره : لا يؤمنون إلا بقليل مما في أيديهم .

• • •

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات في قوله : « فقليلاً مَّا يُوْمِنُونَ » بالصواب ،

ما نحن مُتقنوه إن شاء الله . وهو أن الله جيل ثنائوه أخبر أنه لَعَن الذين وَصَف صفتهم في هذه الآية ، ثم أخبر عنهم أنهم قَلِيلو الإيمان بما أنزل الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . ولذلك نصب قوله : « قَلِيلًا » ، لأنه نعت للمصدر المتروك ذكره . ومعناه : بل لعنهم الله بكفرهم ، فإيماناً قليلاً ما يؤمنون . فقد تبين إذاً بما بيّنا فساد القول الذي رُوي عن قتادة في ذلك . لأن معنى ذلك ، لو كان على ما روى من أنه يعنى به : فلا يؤمن منهم إلا قليل ، أو قليل منهم من يؤمن ، لكان « القليل » مرفوعاً لا منصوباً . لأنه إذا كان ذلك تأويله ، كان « القليل » حيثنذ مرفعاً « ما » . فإذا نصب « القليل » - و « ما » في معنى « مَنْ » أو « الذي » - [فقد] بقيت « ما » لا مرفاع لها .^(١) وذلك غير جائز في لغة أحد من العرب .

فأما أهل العربية فإنهم اختلفوا في معنى « ما » التي في قوله : « قَلِيلًا ما يؤمنون » . فقال بعضهم : هي زائدة لا معنى لها ، وإنما تأويل الكلام : قَلِيلًا يُؤْمِنُونَ ، كما قال جل ذكره ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾ [سورة آل عمران : ١٥٩] وما أشبه ذلك ، فزعم أن « ما » في ذلك زائدة ، وأن معنى الكلام : فبرحمة من الله لِنْتَ لهم ، وأنشد في ذلك - محتجاً لقوله ذلك - بيت مهلهل :

لَوْ بِأَبَائِنِ سَجَاءٍ يَخْطُبُهَا خُضِبَ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمٍ^(٢)

وزعم أنه يعنى : خُضِبَ أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمٍ ، وأن « ما » زائدة .

وأنكر آخرون ما قاله قائل هذا القول في « ما » ، في الآية وفي البيت الذي

(١) في المطبوعة : « وإن نصب القليل » ، وكأن الأجود ما أثبت . والزيادة بين التوسين واجبة .
(٢) الكامل ٢ : ٦٨ ، ومعجم ما استعجم : ٩٦ ، وشرح شواهد المعنى : ٢٤٧ وغيرها ، قال أبو العباس : « أبان جبل : وهما أبانان : أبان الأسود ، وأبان الأبيض ، قال مهلهل ، وكان نزل في آخر حربهم - حرب البسوس - في جنب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك ، وهو مذبح ، وجنب حى من أحيائهم وضريح ، وخطبت ابنته ومهرت أدماً فزوجها وقال قبله :

أَنْكَحَهَا قَدَّمَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ وَكَانَ الْحَبَاءُ مِنْ أَدَمٍ

أنشده ، وقالوا : إنما ذلك من المتكلم على ابتداء الكلام بالخبر عن عموم جميع الأشياء ، إذ كانت « ما » كلمة تجمع كل الأشياء ، ثم تخصص وتعم ما عمته بما تذكره بعدها .

* * *

وهذا القول عندنا أولى بالصواب . لأن زيادة ما لا يفيد من الكلام معنى في الكلام ، غير جائز لإضافته إلى الله جل ثناؤه .

* * *

ولعل قائلًا أن يقول : هل كان للذين أخبر الله عنهم أنهم قليلًا ما يؤمنون - من الإيمان قليل أو كثير ، فيقال فيهم : « قليلًا ما يؤمنون » ؟

قيل : إن معنى « الإيمان » هو التصديق . وقد كانت اليهود التي أخبر الله عنها هذا الخبر تصدق بوحداية الله ، وبالبعث والثواب والعقاب ، وتكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ونبوته ، وكل ذلك كان فرضاً عليهم الإيمان به ، لأنه في كتبهم ، ومما جاءهم به موسى ، فصدقوا ببعض - وذلك هو القليل من إيمانهم - وكذبوا ببعض ، فذلك هو الكثير الذي أخبر الله عنهم أنهم يكفرون به .

* * *

وقد قال بعضهم : إنهم كانوا غير مؤمنين بشيء ، وإنما قيل : « قليلًا ما يؤمنون » ، وهم بالجميع كافرون ، كما تقول العرب : « قلما رأيتُ مثلَ هذا قط » . وقد روى عنها سماعاً منها : « مررت ببلاد قلما تُنبت إلا الكراث والبصل » يعني : ما تُنبت غير الكراث والبصل ، وما أشبه ذلك من الكلام الذي يُنطق به بوصف الشيء بـ « القلة » ، والمعنى فيه نفي جميعه .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « ولما جاءهم كتاب من عند الله ٢٢٥/١ »

(١) انظر ما سلف ١ : ٥٥٤ ، تعليق : ١ ، وانظر معاني القرآن للفراء ١ : ٥٩ - ٦٠

«مصدق لما معهم» ، ولما جاء اليهود من بني إسرائيل الذين وصف جل ثناؤه صفتهم — «كتاب من عند الله» = يعني به «الكتاب» القرآن الذى أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم = «مصدق لما معهم» ، يعني مصدق للذى معهم من الكتب التى أنزلها الله من قبل القرآن ، كما : —

١٥١٧ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : «ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم» ، وهو القرآن الذى أنزل على محمد ، مصدق لما معهم من التوراة والإنجيل .

١٥١٨ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : «ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم» ، وهو القرآن الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، مصدق لما معهم من التوراة والإنجيل .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : «وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا» ، أى : وكان هؤلاء اليهود — الذين لما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، من الكتب التى أنزلها الله قبل الفرقان ، كفروا به — يستفتحون بمحمد صلى الله عليه وسلم = ومعنى «الاستفتاح» ، الاستنصار ^(١) يستنصرون الله به على مشركى العرب من قبل مبعثه ، أى من قبل أن يبعث ، كما : —

١٥١٩ — حدثنى ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق ، عن

(١) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ٢٥٤

عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى ، عن أشياخ منهم قالوا : فينا والله وفيهم -
يعنى فى الأنصار ، وفى اليهود = الذين كانوا جيرانهم - نزلت هذه القصة = يعنى :
« ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا » = قالوا : كنا قد علوناهم دهرأ فى الجاهلية - ^(١) ونحن أهل
الشرك ، وهم أهل الكتاب - ^(٢) فكانوا يقولون : إن نبياً الآن مبعثه قد أظلم زمانه ،
يقتلكم قتل عاد وإرم . ^(٣) فلما بعث الله تعالى ذكره رسوله من قريش واتبعناه ،
كفروا به . يقول الله : « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » . ^(٤)

١٥٢٠ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحق قال ،
حدثني محمد بن أبي محمد مولى آل زيد ثابت ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة
مولى ابن عباس ، عن ابن عباس : « أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج
برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه . فلما بعثه الله من العرب كفروا به ،
وجحدوا ما كانوا يقولون فيه . فقال لهم مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وبشر بن البراء بن معرور
أخو بني سلمة : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا
بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهلُ شرك ، وتخبروننا أنه مبعوث ، وتصفونه لنا
بصفته ! فقال سلام بن مسكم أخو بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو
بالذى كنا نذكر لكم ! فأنزل الله جل ثناؤه فى ذلك من قولهم : « ولما جاءهم

(١) فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٠ « علوناهم ظهراً » .

(٢) فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٠ « ونحن أهل شرك ، وهم أهل كتاب » .

(٣) فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٠ « نفتلكم معه . . . » ، وكذلك هو فى ابن كثير ١ : ٢٣٠ ،

وكانه الصواب .

(٤) الخبر : ١٥١٩ - هذا له حكم الحديث المرفوع ، لأنه حكاية عن وقائع فى عهد النبوة ،
كانت سبباً لنزول الآية ، تشير الآية إليها . الراجع أن يكون موصولاً . لأن عاصم بن عمر بن قتادة
الأنصارى الظفرى المدنى : تابعى ثقة ، وهو يحكى عن « أشياخ منهم » ، فهم آل من الأنصار . وعن هذا
رجحنا اتصاله . وقد نقل السيوطى ١ : ٨٧ هذا الخبر ، ونسبه لابن إسحق ، وابن جرير ، وابن المنذر ،
وأبى نعيم ، والبيهقى ، كلاهما فى الدلائل .

كتابٌ من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبلُ يُستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين» (١).

١٥٢١ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا ابن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت قال ، حدثني سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس مثله .

١٥٢٢ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وكانوا من قبلُ يُستفتحون على الذين كفروا » ، يقول : يستنصرون بخروج محمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب - يعني بذلك أهل الكتاب - فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ورأوه من غيرهم ، كفروا به وحسدوه .

١٥٢٣ - حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثني عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن علي الأزدي في قول الله : « وكانوا من قبلُ يُستفتحون على الذين كفروا » ، قال : اليهود ، كانوا يقولون : اللهم ابعث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس ، يُستفتحون - يستنصرون - به على الناس .

١٥٢٤ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن علي الأزدي - وهو البارق - في قول الله جل ثناؤه : « وكانوا من قبلُ يُستفتحون » ، فذكر مثله (٢).

١٥٢٥ - حدثنا بشر بن معاذ قال : حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وكانوا من قبلُ يُستفتحون على الذين كفروا » ، كانت اليهود

(١) الخبر : ١٥٢٠ - في سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٦ .

(٢) الآثار : ١٥٢٣ ، ١٥٢٤ - علي الأزدي البارق ، هو علي بن عبد الله أبو عبد الله بن أبي الوليد البارق ، روى عن ابن عمر ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وعبيد بن عمير ، وأرسل عن زيد بن حارثة . وعنه مجاهد بن جبر ، وهو من أقرانه . قال ابن عدى : ليس عنده كثير حديث ، وهو عندى لأبأس به (تهذيب التهذيب ٧ : ٣٥٨ ، ٣٥٩) .

تستفتح بمحمد صلى الله عليه وسلم على كفار العرب من قبل ، وقالوا : اللهم ابعث هذا النبي الذي نجدُه في التوراة يعذبهم ويقتلهم ! فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فرأوا أنه بُعث من غيرهم ، كفروا به حسداً للعرب ، وهم يعلمون أنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة : « فلما جاءهم ما عرّفوا كفروا به » .

١٥٢٦ - حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية قال : كانت اليهود تستنصر بمحمد صلى الله عليه وسلم على مُشركي العرب ، يقولون : اللهم ابعث هذا النبي الذي نجدُه مكتوباً عندنا حتى يعذب المشركين ويقتلهم ! فلما بعث الله محمداً ، ورأوا أنه من غيرهم ، كفروا به حسداً للعرب ، وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال الله : « فلما جاءهم ما عرّفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » .

١٥٢٧ - حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ولما جاءهم كتابٌ من عند الله مُصدقٌ لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرّفوا كفروا به » . قال : كانت العرب تَمُرُّ باليهود فيؤذونهم ، وكانوا يجدون محمداً صلى الله عليه وسلم في التوراة ، ويسألون الله أن يبعثه فيقاتلوا معه العرب . فلما جاءهم محمد كفروا به ، حين لم يكن من بني إسرائيل .

١٥٢٨ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء قوله : « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا » ، قال : كانوا يستفتحون على كفار العرب بخروج النبي صلى الله عليه وسلم ويرجون أن يكون منهم . فلما خرج ورأوه ليس منهم ، كفروا وقد عرفوا أنه الحق ، وأنه النبي . قال : « فلما جاءهم ما عرّفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » .

١٥٢٩ - قال حدثنا ابن جريج ، وقال مجاهد : يستفتحون بمحمد صلى الله

عليه وسلم تقول : إنه - يخرج . « فلما جاءهم ما عرفوا » - وكان من غيرهم - كفروا به ^(١) .

١٥٣٠ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال : حدثني حجاج قال : قال ابن جريج - وقال ابن عباس : كانوا يستفتحون على كفار العرب .

١٥٣١ - حدثني المثنى قال ، حدثنا الحماني قال ، حدثني شريك ، عن أبي الجحاف ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير قوله : « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » ، قال : هم اليهود ، عرفوا محمداً أنه نبيٌ وكفروا به .

١٥٣٢ - حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا » ، قال : كانوا يستظهرون ، يقولون : نحن نعين محمداً عليهم . وليسوا كذلك ، يكذبون . ٣٢٧/١

١٥٣٣ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سألت ابن زيد عن قول الله عز وجل : « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » . قال : كانت يهودٌ يستفتحون على كفار العرب ، يقولون : أما والله لو قد جاء النبي الذي بشر به موسى وعيسى ، أحمدٌ ، لكان لنا عليكم ! وكانوا يظنون أنه منهم ، والعربُ حولهم ، وكانوا يستفتحون عليهم به ، ويستنصرون به . فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وحسدوه ، وقرأ قول الله جل ثناؤه : ﴿ كَفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ [سورة البقرة : ١٠٩] . قال : قد تبين لهم أنه رسول ، فمن هنالك نفع الله الأوس والخزرج بما كانوا يسمعون منهم أن نبياً خارج .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : فأين جوابُ قوله : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مُصدِّقٌ لما معهم » ؟

قيل : قد اختلف أهل العربية في جوابه . فقال بعضهم : هو مما ترك جوابه ، استغناءً بمعرفة المخاطبين به بمعناه ، وبما قد ذكر من أمثاله في سائر القرآن . ^(٢)

(١) الأثر : ١٥٢٩ - هذا إسناد قد سقط صدره ، فأدرى ما هو . وهو مضطرب اللفظ أيضاً .

(٢) أنا في شك من هذه الجملة الأخيرة ، أن يكون فيها تحريف .

وقد تفعل العرب ذلك إذا طال الكلام ، فتأتى بأشياء لها أجوبة ، فتحذف أجوبتها ، لاستغناء سامعها — بمعرفتهم بمعناها — عن ذكر الأجوبة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتَى بَلَّ اللَّهُ الْأَمْرَ جَمِيعًا ﴾ [سورة الرعد: ٣١] ، فترك جوابه . والمعنى : ولو أن قرآنًا سوى هذا القرآن سُيِّرَتْ به الجبال ، لسيِّرَتْ بهذا القرآن — استغناءً بعلم السامعين بمعناه . قالوا : فكذلك قوله : « ولما جاءهم كتابٌ من عند الله مصدقٌ لما معهم » . وقال آخرون : جواب قوله : « ولما جاءهم كتابٌ من عند الله » في « الفاء » التي في قوله : « فلما جاءهم ما عرّفوا كفروا به » ، وجواب الجزاء يثن في « كفروا به » ، كقولك : « لما قمت ، فلما جئتنا أحسنت » ، بمعنى : لما جئتنا إذ قمت أحسنت^(١) .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَلَعَنَ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٨٩)

قال أبو جعفر : قد دللنا فيما مضى على معنى : « اللعنة » ، وعلى معنى « الكفر » ، بما فيه الكفاية .^(٢)

* * *

فمعنى الآية : فحِزِيَّ الله وإبعاده على الجاحدين ما قد عرّفوا من الحق عليهم الله ولأنبيائه ، المنكرين لما قد ثبت عندهم صحته من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم . ففي إخبار الله عز وجل عن اليهود — بما أخبر الله عنهم بقوله : « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » — البيان الواضح أنهم تعمدوا الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ، بعد قيام الحجة بنبوته عليهم ، وقطع الله عللهم بأنه رسوله إليهم .

* * *

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٥٩ .

(٢) انظر ما سلف (الكفر) ١ : ٢٥٥ ، ٣٨٢ ، ٥٥٢ ، وهذا الجزء (اللعنة) ٢ : ٣٢٨

القول في تأويل قوله تعالى ﴿بَشِّرْهُم بِأَنَّهُمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَّ﴾
يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

قال أبو جعفر ومعنى قوله جل ثناؤه : « بشِّرْ ما اشتروا به أنفسهم » : ساء ما اشتروا به أنفسهم .

وأصل «بَشِّرْ» «بَشَّرَ» من «البشِّر» ، سَكَّنَتْ هَمْزَهَا ، ثُمَّ نَقَلَتْ حَرَكَتَهَا إِلَى «الباء» ، كَمَا قِيلَ فِي «ظَلَّلْتُ» «ظَلَّلْتُ» ، وَكَمَا قِيلَ «لِلْكَبِيدِ» ، «كَبِيدٌ» — فَنَقَلَتْ حَرَكَةَ «الباء» إِلَى «الكاف» ، لَمَّا سَكَّنَتْ «الباء» .

وقد يحتمل أن تكون «بشِّر» ، وإن كان أصلها «بَشَّرَ» ، من لغة الذين ينقلون حركة العين من «فَعِلَ» إِلَى الْفَاءِ ، إِذَا كَانَتْ عَيْنُ الْفِعْلِ أَحَدَ حُرُوفِ الْحَلْقِ السَّتَةِ ، كَمَا قَالُوا مِنْ «لَعِبَ» «لَعَبَ» وَمِنْ «سِيمَ» «سِيمَ» ، وَذَلِكَ — فِيمَا يَقَالُ — لُغَةً فَاشِيَةً فِي تَمِيمٍ .
ثُمَّ جُعِلَتْ دَالَةٌ عَلَى الذَّمِّ وَالتَّوْبِيخِ ، وَوُصِلَتْ بِـ «مَا» .

واختلف أهل العربية في معنى «ما» التي مع «بشِّر» . فقال بعض نحوي البصرة : هي وحدها اسم ، و«أن يكفروا» تفسير له ،^(١) نحو : «نعم رجالاً زیدٌ» ، و«أن يُنزل الله» بدل من «أنزل الله» .

وقال بعض نحوي الكوفة : معنى ذلك : بشِّر الشيء اشتروا به أنفسهم أن يكفروا . فـ «ما» اسم «بشِّر» ، و«أن يكفروا» الاسم الثاني . وزعم أن : «أن يكفروا» إن شئت جعلت «أن» في موضع رفع ، وإن شئت في موضع خفض .^(٢) أمَّا الرفع : فبشِّر الشيء هذا أن يفعلوه . وأمَّا الخفض : فبشِّر

(١) «التفسير» هو ما اصطلاح البصريون على تسميته «التمييز» ، ويقال له التبيين أيضاً ، (مع الهوامع ١ : ٢٥٠) .

(٢) في المطبوعة : «وزعم أن أن ينزل من فضله إن شئت جعلت . . .» ، وهو سهو من النساخ ، وصوابه ما أثبتته من معاني القرآن للقراء ١ : ٥٦ .

الشيء اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا . قال : وقوله ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [سورة المائدة : ٨٠] كمثل ذلك . والعرب تجعل « ما » وحدها في هذا الباب ، بمنزلة الاسم التام ، كقوله : ﴿ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٧١] ، و « بشما أنت » ، واستشهد لقوله ذلك برجز بعض الرجاز :

لَا تَعْجَلَا فِي السَّيْرِ وَادُّوْهَا لَبِئْسَمَا بَطْءٌ وَلَا تَرْعَاهَا^(١)

قال أبو جعفر : والعرب تقول « لبشما تزويج ولا مهر » ، فيجعلون « ما » وحدها اسماً بغير صلة . وقائل هذه المقالة لا يميز أن يكون الذي يلي « بش » معرفة مُوقَّتة ، وخبره معرفة مُوقَّتة . وقد زعم أن « بشما » بمنزلة : بش الشيء اشتروا به أنفسهم . فقد صارت « ما » بصلتها اسماً مُوقَّتاً ، لأن « اشتروا » فعل ماضٍ من صلة « ما » ، في قول قائل هذه المقالة . وإذا وصلت بماض من الفعل ، كانت معرفة مُوقَّتة معلومة ، فيصير تأويل الكلام حينئذ : بش شراؤهم كفرهم . وذلك عنده غير جائز : فقد تبين فسادُ هذا القول .^(٢)

* * *

وكان آخر منهم يزعم أن « أن » في موضع خفض إن شئت ، ورفع إن شئت . فأما الخفض : فإن تردده على « الهاء » التي في « به » ، على التكرير على كلامين . كأنك قلت : اشتروا أنفسهم بالكفر . وأما الرفع : فإن يكون مكروراً على موضع « ما » التي تلي « بش » .^(٣) قال : ولا يجوز أن يكون رفعاً على قولك : « بش الرجل عبد الله »^(٤)

* * *

وقال بعضهم : « بشما » شيء واحد يرفع ما بعده .^(٥) كما حكى عن العرب :

(١) لم أعرف الرجاز ، والبيتان في اللسان (دلو) . دلوت الذاقة دلوأ : سقتها سوقاً رقيقاً رويداً . ورعى الماشية وأرعاه : أطلقها في الرعى .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٥٦ - ٥٧ ، كأنه قول الكسائي . والمعرفة الموقَّتة : وهي المعرفة

المحددة . وانظر شرح ذلك فيما سلف ١ : ١٨١ ، تعليق : ١ .

(٣) في المطبوعة : « مكرراً » ، والصواب من معاني القرآن للفراء ١ : ٥٦ .

(٤) هذه الفقرة هي نص كلام الفراء في معاني القرآن ١ : ٥٦ .

(٥) في المطبوعة : « يعرف ما بعده » ، والصواب ما أثبت .

« بشما تزويجٌ ولا مهرٌ » . فراجع « تزويج » « بشما » ، ^(١) كما يقال : « بشما زيد ، وبش ما عمرو » ، فيكون « بشما » رفعا ، بما عاد عليها من « الهاء » . كأنك قلت : بشس شيء الشيء اشتروا به أنفسهم ، وتكون « أن » مترجمة عن « بشما » . ^(٢)

* * *

وأولى هذه الأقوال بالصواب ، قول من جعل « بشما » مرفوعاً بالراجع من « الهاء » في قوله : « اشتروا به » ، كما رفعوا ذلك بـ « عبدالله » إذ قالوا : « بشما عبدُ الله » ، وجعل « أن يكفروا » مترجمة عن « بشما » . ^(٣) فيكون معنى الكلام حينئذ : بشس الشيء باع اليهود به أنفسهم ، كفروهم بما أنزل الله بغياً وحسداً أن ينزل الله من فضله . وتكون « أن » التي في قوله : « أن ينزل الله » ، في موضع نصب . لأنه يعنى به « أن يكفروا بما أنزل الله » : من أجل أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده . موضع « أن » جزءاً ^(٤) . وكان بعض أهل العربية من الكوفيين يزعم أن « أن » في موضع خفض بنية « الباء » . وإنما اخترنا فيها النصب لتمام الخبر قبلها ، ولا خافض معها يخفضها . والحرف الخافض لا يخفض مضمراً .

* * *

وأما قوله : « اشتروا به أنفسهم » ، فإنه يعنى به : باعوا أنفسهم . كما : —
١٥٣٤ — حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « بشما اشتروا به أنفسهم » ، يقول : باعوا أنفسهم « أن يكفروا بما أنزل الله بغياً » .

١٥٣٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسن قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد : « بشما اشتروا به أنفسهم » ، يهود ، شروا الحق

(١) في المطبعة : « فرفع » ، والصواب ما أثبت .

(٢) الترجمة : هو ما يسميه البصريون : « عطف البيان » و « البدل » ، فقوله « مترجماً عن بشما » ، أى عطف بيان .

(٣) الجزء : المفعول لأجله هنا ، وفي المطبعة : « جر » ، وهو خطأ ، وصوابه في معاني القرآن

للفراء ١ : ٥٨ .

بالباطل ، وكتّانَ مَا جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بأن يبيّنوه .^(١)

* * *

قال أبو جعفر والعرب تقول : « شَرَيْتَه » ، بمعنى بعته . و « اشترأ » ، في هذا الموضع ، « افعلوا » من « شَرَيْت » . وكلام العرب — فيما بلغنا — أن يقولوا : « شَرَيْت » بمعنى : بعث ، و « اشتريت » بمعنى : ابتعت . وقيل : إنما سُمي « الشاري » ، ٣٢٩/١ « شاريًا » ، لأنه باع نفسه وُدنياه بآخوته .^(٢) ومن ذلك قول يزيد بن مُفرغ الحميري :

وَشَرَيْتُ بُرْدًا ، لَيْتَنِي مِنْ قَبْلِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَةً^(٣)

ومنه قول المسيّب بن علس :

يُعْطَى بِهَا ثَمَنًا فَيَمْنَعُهَا وَيَقُولُ صَاحِبُهَا: أَلَا تَشْرِي؟^(٤)

(١) في المطبوعة: « بأن يبينوه » ، وهو خطأ ، والصواب من تفسير ابن كثير ١ : ٢٣١ . والمعنى : اشترأ الكتّان بالبيان .

(٢) « الشاري » واحد الشراء (بضم الشين) ، وهم الخوارج ، وقال قطري بن الفجاءة الخارجي في معنى ذلك ، ويذكر أم حكيم ، وذلك في يوم دولاب :

فَلَوْ شَهِدْتَنَا يَوْمَ ذَاكَ ، وَخَيْلَنَا تُبَيِّحُ مِنَ الْكُفَّارِ كُلَّ حَرِيمٍ
رَأَتْ فِتْنَةً بَاعُوا إِلَهَهُ نَفْسَهُمْ بِمِجَنَابٍ عَدَنٍ عِنْدَهُ وَنَعِيمٍ

وقال الخوارج : نحن الشراء ، لقول الله عز وجل : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله » أي يبيعهما ويبدلها في الجهاد ، وثمنها الجنة ، وقيل : سموا بذلك لقولهم : « إنا شرينا أنفسنا في طاعة الله حين فارقنا الأمة الجائرة » ، أي : بمنها بالجنة .

(٣) طبقات فحول الشعراء : ٥٥٥ من قصيدة له ، في هجاء عباد بن زياد ، حين باع عباد ما له في دين كان عليه ، وقضى الغرماء ، وكان فيما باع غلام لابن مفرغ ، يقال له « برد » ، وجارية يقال لها « أراكة » . وقوله : « كنت هامة » أي هالكا . يقال : فلان هامة اليوم أو غد ، أي قريب هلاكه ، فإذا هو « هامة » ، وذلك زعم أبطله الله بالإسلام كان في الجاهلية : أن عظم الميت أو روحه تصير هامة (وهو طير كالبيوة) فتطير . ورواية غيره : « من بعد برد » .

(٤) ديوانه : ٣٥٢ (من ملحق ديوان الأعشى — والمسيب خال الأعشى ، والأعشى راويته) ، ورواية الديوان « ويقول صاحبه » ، وهي الصواب . والبيت من أبيات آية في الجودة ، يصف الفواص الفقير ، قد ظفر بكرة لا شبيه لها ، فظن بها على البيع ، وقد أعطى فيها ما يقضى من الثمن ، فأبى ، وصاحبه يحضضه على بيعها ، ويعدّه :

وَتَرَى الصَّرَارِيَّ يَسْجُدُونَ لَهَا وَيَضُمُّهَا بِيَدَيْهِ لِلنَّحْرِ

والصَّرَارِي : الملاحون ، من أصحاب الفواصين .

يعنى به : بعث بُرْدًا . وربما استعمل « اشترى » بمعنى : بعث ، و « شريت » فى معنى : ابتعت . والكلام المستفيض فيهم هو ما وصفت .

وأما معنى قوله : « بغياً » ، فإنه يعنى به : تعدياً وحسداً ، كما : —

١٥٣٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد ، قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة « بغياً » ، قال : أى حسداً ، وهم اليهود .

١٥٣٧ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو ، قال ، حدثنا أسباط ، عن عن السدى : « بغياً » ، قال : بَغَوْا على محمد صلى الله عليه وسلم وحسدوه ، وقالوا : إنما كانت الرسل من بنى إسرائيل ، فما بال هذا من بنى إسماعيل ؟ فحسدوه أن يُنزِّل الله من فضله على من يشاء من عباده .

١٥٣٨ — حدثني الثني قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « بغياً » ، يعنى : حسداً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ، وهم اليهود ، كفروا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

١٥٣٩ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

قال أبو جعفر : فعنى الآية : بشئ الشئ باعوا به أنفسهم ، الكفر بالذى أنزل الله فى كتابه على موسى — من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، والأمر بتصديقه واتباعه — من أجل أن أنزل الله من فضله = وفضله : حكمته وآياته ونبوته = على من يشاء من عباده — يعنى به : على محمد صلى الله عليه وسلم — بغياً وحسداً لمحمد صلى الله عليه وسلم ، من أجل أنه كان من ولد إسماعيل ، ولم يكن من بنى إسرائيل .

فإن قال قائل : وكيف باعت اليهود أنفسهم بالكفر ، فقيل : « بشئ ما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله ؟ » وهل يُشترى بالكفر شئ ؟

قيل : إن معنى : « الشراء » و « البيع » عند العرب ، هو إزالة مالكٍ مِلْكِهِ

إلى غيره ، بَعُوضٌ يَعْتَاذُهُ مِنْهُ . ثُمَّ نَسْتَعْمَلُ الْعَرَبُ ذَلِكَ فِي كُلِّ مَعْتَاذٍ مِنْ عَمَلِهِ عِوَضًا ، شَرًّا أَوْ خَيْرًا . فَنَقُولُ : « نَعَمْ مَا بَاعَ بِهِ فَلَانُ نَفْسَهُ » وَ « بَشْسَ مَا بَاعَ بِهِ فَلَانُ نَفْسَهُ » ، بِمَعْنَى : نَعَمْ الْكَسْبُ أَكْسَبَهَا ، وَبَشْسُ الْكَسْبِ أَكْسَبَهَا — إِذَا أَوْرَثَهَا بِسَعْيِهِ عَلَيْهَا خَيْرًا أَوْ شَرًّا . فَكَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ جَلِ ثَنَاءُهُ : « بَشْسَ مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ » — لِمَا أَوْثَقُوا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَهْلَكَوْهَا ، خَاطَبَهُمُ اللَّهُ وَالْعَرَبُ بِالذِّى يَعْرِفُونَهُ فِي كَلَامِهِمْ ، فَقَالَ : « بَشْسَ مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ » ، يَعْنِي بِذَلِكَ : بَشْسَ مَا أَكْسَبُوا أَنْفُسَهُمْ بِسَعْيِهِمْ ، وَبَشْسَ الْعَوَضَ اعْتَاذُوا ، مِنْ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ فِي تَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا ، إِذْ كَانُوا قَدْ رَضُوا عِوَضًا مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ — لَوْ كَانُوا آمَنُوا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى أَنْبِيَائِهِ — بِالنَّارِ وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِذَلِكَ .

• • •

وهذه الآية — وما أخبر الله فيها عن حسد اليهود لمحمد صلى الله عليه وسلم وقومه من العرب ، من أجل أن الله جعل النبوة والحكمة فيهم دون اليهود من بني إسرائيل ، حتى دعاهم ذلك إلى الكفر به ، مع علمهم بصدقه ، وأنه لله نبي مبعوث ورسول مُرْسَلٌ — (١) نظيرة الآية الأخرى في سورة النساء ، وذلك قوله :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا . أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ قَيْرًا . أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا ۲۲۰/۱ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء : ٥١-٥٤]

• • •

(١) قوله « — نظيرة الآية . . . » خبر قوله في صدر هذه الفقرة : « وهذه الآية — »

القول في تأويل قوله ﴿أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾

قال أبو جعفر : قد ذكرنا تأويل ذلك وبيننا معناه ، ولكننا نذكر الرواية بتصحيح ما قلنا فيه : —

١٥٤٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ، عن أشياخ منهم ، قوله : « بغيراً أن يُنزل الله من فضله على مَنْ يَشَاءُ من عباده » ، أى أن الله تعالى يجعله في غيرهم . (١)

١٥٤١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : « هم اليهود . ولما بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم فرأوا أنه بُعث من غيرهم ، كفروا به — حسداً للعرب — وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة .

١٥٤٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية مثله .

١٥٤٣ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

١٥٤٤ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : قالوا : إنما كانت الرسل من بني إسرائيل ، فما بال هذا من بني إسماعيل ؟

١٥٤٥ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

عيسى ، عن ابن أبي نجیح ، عن عليّ الأزدي . قال : نزلت في اليهود . (٢)

• • •

(١) الأثر : ١٥٤٠ — سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٠ .

(٢) الأثر : ١٥٤٥ — انظر التعليق على رقم : ١٥٢٣ ، ١٥٢٤ .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿فَبَاؤُوا بْغَضِبِ عَلَىٰ غَضَبِ﴾

قال أبو جعفر: يعنى بقوله: « فباؤوا بغضب على غضب » ، ^(١) فرجعت اليهود من بنى إسرائيل - بعد الذى كانوا عليه من الاستنصار بمحمد صلى الله عليه وسلم والاستفتاح به ، وبعد الذى كانوا يُخبرون به الناس من قبل مبعثه أنه نبي مبعوث - مرتدّين على أعقابهم حين بعث الله نبيّاً مُرسلاً ، فباؤوا بغضب من الله = استحقّوه منه بكفرهم بمحمد حين بُعث ، وحُجودهم نبوته ، وإنكارهم إياه أن يكون هو الذى يجدون صفته فى كتابهم ، عناداً منهم له وبغياً وحسداً له وللعرب = على غضب سالف ، كان من الله عليهم قبل ذلك ، سابقٍ غضبه الثانى ، لكفرهم الذى كان قبل عيسى بن مريم ، أولعبادتهم العجل ، أو لغير ذلك من ذنوب كانت لهم سلفت ، يستحقون بها الغضب من الله ، كما : -

١٥٤٦ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة بن الفضل : قال ، حدثني ابن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد ، فيما روى عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس : « فباؤوا بغضب على غضب » ، فالغضب على الغضب ، غضبه عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة وهى معهم ، وغضب بكفرهم بهذا النبي الذى أحدث الله إليهم . ^(٢)

١٥٤٧ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن قالا ، حدثنا سفيان ، عن أبي بكير ، عن عكرمة : « فباؤوا بغضب على غضب » قال : كفر بعيسى ، وكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم . ^(٣)

١٥٤٨ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يحيى بن يمان قال ، حدثنا سفيان

(١) انظر تفسير . « باء » فيما سلف من هذا الجزء ٢ : ١٣٨

(٢) الأثر : ١٥٤٦ - سيره ابن هشام ٢ : ١٩٠ .

(٣) الأثر : ١٥٤٧ - فى الدر المنثور : « كفرهم » فى الموضعين ، وهما سواء .

عن أبي بكير ، عن عكرمة : « فباؤوا بغضبٍ على غضبٍ » ، قال : كفرهم بعبسى
ومحمد صلى الله عليه وسلم .

١٥٤٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا
الثورى ، عن أبي بكير ، عن عكرمة مثله .

١٥٥٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي
قال : الناس يوم القيامة على أربعة منازل : رجل كان مؤمناً بعبسى وآمن بمحمد
صلى الله عليهما ، فله أجران . ورجل كان كافراً بعبسى فأمن بمحمد صلى الله
عليه وسلم ، فله أجر . ورجل كان كافراً بعبسى ، فكفر بمحمد ، فباء بغضب
على غضب . ورجل كان كافراً بعبسى من مشركى العرب ، فأت بكفره قبل
محمد صلى الله عليه وسلم ، فباء بغضب . ٣٣١/٨

١٥٥١ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن
قتادة قوله : « فباؤوا بغضبٍ على غضبٍ » ، غضب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل
وبعبسى ، وغضب عليهم بكفرهم بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم .
١٥٥٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن
أبي نجيج ، عن مجاهد : « فباؤوا بغضبٍ » ، اليهود ، بما كان من تبدلهم التوراة
قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم ، « على غضبٍ » ، جحدوهم النبي صلى الله عليه
وسلم ، وكفرهم بما جاء به .

١٥٥٣ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ،
عن أبي العالقة : « فباؤوا بغضبٍ على غضبٍ » ، يقول : غضب الله عليهم بكفرهم
بالإنجيل وعبسى ، ثم غضبه عليهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن .
١٥٥٤ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى :
« فباؤوا بغضبٍ على غضبٍ » ، أما الغضب الأول فهو حين غضب الله عليهم فى
العجل ، وأما الغضب الثانى فغضب عليهم حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم .

١٥٥٥- حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج وعطاء وعبيد بن عمير قوله : « فباؤوا بغضب على غضب » ، قال : غضب الله عليهم فيما كانوا فيه من قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم - من تبديلهم وكفرهم - ، ثم غضب عليهم في محمد صلى الله عليه وسلم - إذ خرج ، فكفروا به .

° ° °

قال أبو جعفر : وقد بينا معنى « الغضب » من الله على من غضب عليه من خلقه - واختلاف المختلفين في صفته - فيما مضى من كتابنا هذا ، بما أغنى عن إعادته .^(١)

° ° °

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ ①

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وللكافرين عذابٌ مهين » ، وللجاحدين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم ، عذابٌ من الله ، إما في الآخرة ، وإما في الدنيا والآخرة ، « مهين » هو المذل صاحبُه ، المُخزى ، المُلبسُه هواناً وذلة .

فإن قال قائل : وأى عذاب هو غيرُ مهين صاحبُه ، فيكون للكافرين المهين منه ؟

قيل : إن المهين هو الذى قد بينا أنه المورث صاحبُه ذلة وهواناً ، الذى يخلد فيه صاحبُه ، لا ينتقل من هوانه إلى عز وكرامة أبداً . وهو الذى خصَّ الله به أهل الكفر به وبرسله . وأما الذى هو غير مهين صاحبُه ، فهو ما كان تمحيصاً لصاحبِه . وذلك هو كالسارق من أهل الإسلام ، يسرق ما يجب عليه به القطعُ فتقطعُ يده ، والزانى منهم يزنى فيقام عليه الحد ، وما أشبه ذلك من العذاب والتكال الذى جعله الله كفاراتٍ للذنوب التى عُذِّبَ بها أهلها ، وكأهل الكبار من أهل

(١) انظر ما سلف ١ : ١٨٨ - ١٨٩ ، وما مضى في هذا الجزء ٢ : ١٣٨ هذا وقد كان في المطبوعة بعد قوله : « عن إعادته » ما نصه : « والله تعالى أعلم » ، وليس لها مكان هنا ، وهى بلا شك زيادة بعض النساخ ، فلذلك تركتها .

الإسلام الذين يعدّون في الآخرة بمقادير أجرامهم التي ارتكبوها ، ليمحصوا من ذنوبهم ، ثم يدخلون الجنة. فإن كل ذلك ، وإن كان عذاباً ، فغير مهين من عذاب به . إذ كان تعذيب الله إياه به ليمحصه من آثامه ، ثم يورده معدن العز والكرامة ، ويخلّده في نعيم الجنان .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وإذا قيل لهم » ، « وإذا قيل لليهود من بنى إسرائيل — الذين كانوا بين ظهرائى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم — : « آمنوا » ، أى صدقوا ، « بما أنزل الله » ، يعنى بما أنزل الله من القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ، « قالوا : نؤمن » ، أى نصدق « بما أنزل علينا » ، يعنى : بالتوراة التى أنزلها الله على موسى .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ » ، « ويحسدون ، « بما وراءه » ، يعنى : بما وراء التوراة .

• • •

قال أبو جعفر : وتأويل « وَرَاءَهُ » فى هذا الموضع : « سوى » . كما يقال للرجل ٣٣٢/١

الرجل المتكلم بالحسن : « ما وراء هذا الكلام شئ » يراد به : ليس عند المتكلم به شئ سوى ذلك الكلام . فكذلك معنى قوله : « وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ » ، أى

بما سوى التوراة ، وبما بعده من كتب الله التي أنزلها إلى رسله ، ^(١) كما : —

١٥٥٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :

« ويكفرون بما وراءه » ، يقول : بما بعده .

١٥٥٧ — حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن

الربيع ، عن أبي العالية : « ويكفرون بما وراءه » ، أي بما بعده — يعني : بما بعد التوراة .

١٥٥٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن

أبيه ، عن الربيع : « ويكفرون بما وراءه » ، يقول : بما بعده .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا » ، أي :

ما وراء الكتاب — الذي أنزل عليهم من الكتب التي أنزلها الله إلى أنبيائه — الحق .

وإنما يعني بذلك تعالى ذكره القرآن الذي أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، كما : —

١٥٥٩ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن

السدي : « وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون

بما وراءه » ، وهو القرآن . يقول الله جل ثناؤه : « وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ » .

وإنما قال جل ثناؤه « مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ » ، لأن كتب الله يصدق بعضها بعضاً . ففي

الإنجيل والقرآن من الأمر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، والإيمان به وبما جاء

به ، مثل الذي من ذلك في توراة موسى عليه السلام . فلذلك قال جل ثناؤه لليهود —

إذ أخبرهم عما وراء كتابهم الذي أنزل على موسى صلوات الله عليه ، من الكتب

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٦٠ .

التي أنزلنا إلى أنبيائه - : إنه الحق مصدقاً للكتاب الذي معهم ، يعني : أنه له موافق فيما اليهود به مُكذَّبون .

قال : وذلك خبرٌ من الله أنهم من التكذيب بالتوراة ، على مثل الذي هم عليه من التكذيب بالإنجيل والفرقان ، عناداً لله ، وخلافاً لأمره ، وبغياً على رُسُلِهِ صلوات الله عليهم .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١١)

قال أبو جعفر : يعني جل ذكره بقوله : « قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ » ، قل يا محمد ، لليهود بنى إسرائيل - الذين إذا قلت : لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا : نؤمن بما أنزل علينا - : لم تقتلون = إن كنتم يامعشر اليهود مؤمنين بما أنزل الله عليكم = أنبياءه ، وقد حرم الله في الكتاب الذي أنزل عليكم قتلهم ، بل أمركم فيه باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم ؟ وذلك من الله جل ثناؤه تكذيباً لهم في قوله : « نؤمنُ بما أنزل علينا » ، وتعييرٌ لهم ، كما : -

١٥٦٠ - حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي

قال : قال الله تعالى ذكره - وهو يعيرهم - يعني اليهود : « فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » ؟

• • •

فإن قال قائل : وكيف قيل لهم : « فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ » ، فابتدأ الخبر على لفظ المستقبل ، ثم أخبر أنه قد مضى ؟

قيل : إن أهل العربية مختلفون في تأويل ذلك . فقال بعض البصريين : معنى

ذلك : فلم قَتَلْتُمْ أنبياء الله من قبل ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ ﴾ [سورة البقرة : ١٠٢] ، أى : ما تلت ، ^(١) وكما قال الشاعر : ^(٢)

وَلَقَدْ أَمَرْتُ عَلَى اللَّيْمِ يَسُبُّنِي فَمَضَيْتُ عَنْهُ ، وَقُلْتُ : لَا يَغْنَبُنِي ^(٣)

يريد بقوله : « ولقد أمرت » ولقد مررت . وأستدل على أن ذلك كذلك ،

بقوله : « فضيت عنه » ، ولم يقل : فأمضى عنه . وزعم أن « فعل » و « يفعل » ٣٣٣/١ قد تشرك في معنى واحد ، واستشهد على ذلك بقول الشاعر : ^(٤)

وَإِنِّي لَا تَيْكُمُ تَشْكُرُ مَا مَضَى مِنْ الْأَمْرِ ، وَاسْتِجَابَ مَا كَانَ فِي غَدٍ ^(٥)

يعنى بذلك : ما يكون في غد ، وبقول الخطيئة :

شَهِدَ الْحُطِيئَةُ يَوْمَ يَلْقَى رَبَّهُ أَنَّ الْوَلِيدَ أَحَقُّ بِالْعَذْرِ ^(٦)

(١) انظر معاني القرآن للفراء : ١ : ٦٠ - ٦١ .

(٢) هو رجل من بني سلول .

(٣) سيبويه : ١ : ٤١٦ ، الخزانة : ١ : ١٧٣ ، وشرح شواهد المغنى : ١٠٧ وغيرها كثير . وروايتهم جميعاً « ثم قلت » . وبعده بيت آخر :

غَضَبَانِ مُمْتَلِكًا عَلَى إِهَابِهِ إِنِّي وَرَبِّكَ سُخْطُهُ يُرْضِيْنِي

(٤) هو الطرماح بن حكيم الطامى .

(٥) ديوانه : ١٤٦ ، وسيأتى في ٤ : ٩٧ (بولاق) ، وحواصة البحترى : ١٠٩ ، واللسان (كبد) . وقد كان في هذا الموضع « بشكرى » ، وهو خطأ ، سيأتى من رواية الطبرى على الصواب . وروى اللسان : « واستنجاز ما كان » . وصواب الرواية : « فإني لأتيكم » فإن قبله :

مَنْ كَانَ لَا يَأْتِيكَ إِلَّا لِحَاجَةٍ يَرْوَحُ بِهَا فِيمَا يَرْوَحُ وَبَفَتْدَى
فَإِنِّي لَأَتِيكُمْ

(٦) ديوانه : ٨٥ ، ونسب قريش : ١٣٨ ، والاستيعاب : ٦٠٤ ، وأنساب الأشراف : ٥ : ٣٢ ، وسطح اللال . ٦٧٤ . قالها الخطيئة في الوليد بن عقبة بن أبى معيط ، وكان من رجالات قريش همة ونضاه . استعمله أبو بكر وعمر وعثمان ، فلما كان زمان عثمان ، رفعوا عليه أنه شرب الخمر ، فمزله عثمان وجلبده الحد ، وكان لهذا شأن كبير ، فقال الخطيئة يعذره ويمدحه ، ويذكر عزله :

يعنى : يشهد ، وكما قال الآخر :

فَمَا أَضْحَى وَلَا أُمْسَيْتُ إِلَّا أَرَانِي مِنْكُمْ فِي كَوْفَانٍ^(١)

فقال : « أضحى » ، ثم قال : « ولا أُمْسَيْتُ »

* * *

وقال بعض نحويي الكوفيين : إنما قيل « فليم » تقتلون أنبياء الله من قبل ، فخطابهم بالمستقبل من الفعل ومعناه الماضي ، كما يعنف الرجل الرجل على ما سلف منه من فعل فيقول له : ويحك ، لم تكذب ؟ ولم تبغض نفسك إلى الناس ؟ كما قال الشاعر :

شهد الحطيئة حين يلقى ربه أن الوليد أحق بالثدر
خلعوا عنائك إذ جريت ، ولو ترَكُوا عَنَّاكَ لم تزل تجرى
ورأوا شمانيل ماجد أنف يغطي على الميسور والعسر
فزعغت ، مكذوباً عليك ، ولم تُرَدِّدْ إلى عوزٍ ولا فقر

قال مصعب بن عبد الله الزبيري في نسب قريش : « فزادوا فيها من غير قول الحطيئة :

نادى وقد تمت صلاتهم أزيدكم ؟ ثَمَلًا ولا يدرى
ليزيدهم خمسًا ، ولو فعلوا مرت صلاتهم على العسر

وقد أكثر الناس فيما كان من خبر الوليد ، وما كان من شعر الحطيئة فيه . وهذا نص من أعلم قريش بأمر قريش ، على أن البيتين قد نحلهما الحطيئة ، متكذب على الوليد ، لما كان له من الشأن في أمر عثمان رضى الله عنه . ولقد جلد الوليد بن عقبة مكذوباً عليه كما قال الحطيئة ، فاعتزل الناس . وروى أبو العباس المبرد في التمازي والمراثي (ورقة : ١٩٦) قال : « قال الوليد بن عقبة عند الموت ، وهو بالبلخ من أرض الجزيرة : « اللهم إن كان أهل الكوفة صدقوا على ، فلا تلق روصي منك روحاً ولا ريحاناً ، وإن كانوا كذبوا على فلا تعرضهم بأمر ولا تعرض أميراً عنهم . انتقم لى منهم ، واجعله كفارة لما لا يعلمون من ذنوبي » . فليت أهل الشر كفوا ألسنتهم عن رجل من عقلام الرجال وأشرافهم .

(١) لم أعرف قائله ، وهو في اللسان (كوف) والصاحبي : ١٨٧ . والكوفان (بتشديد الواو) : الاختلاط والشدة والعناء . يقال : أنا منه في كوفان ، أى في عنت وشقاء ودوران واختلاط .

إِذَا مَا انْتَسَبْنَا ، لَمْ تَلِدْنِي لِثِيْمَةٍ وَلَمْ نَجِدْ مِنْ أَنْ تُقَرِّمِي بِهِ بُدًّا^(١)

فالجزء للمستقبل ، والولادة كلها قد مضت . وذلك أن المعنى معروف ، فجاز ذلك . قال : ومثله في الكلام : « إذا نظرت في سيرة عمر ، لم تجده يسيء » .^(٢) المعنى : لم تجده أساء . فلما كان أمر عمر لا يشك في مُضِيَّه ، لم يقع في الهم أنه مستقبل . فلذلك صلحت « من قبل » مع قوله : « فلم تقتلون أنبياء الله من قبل » . قال : وليس الذين خطبوا بالقتل هم القتلة ، إنما قتل الأنبياء أسلافهم الذين مضوا ، فتولّوهم على ذلك ورضوا به ، فنسب القتل إليهم .^(٣)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب فيه من القول عندنا ، أن الله خاطب الذين أدرکوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود بنى إسرائيل — بما خاطبهم في سورة البقرة وغيرها من سائر السور — بما سلف من إحسانه إلى أسلافهم ، وبما سلف من كفران أسلافهم نعمته ، وارتكابهم معاصيه ، واجترائهم عليه وعلى أنبيائه ، وأضاف ذلك إلى المخاطبين به ، نظير قول العرب بعضها لبعض : فعلنا بكم يوم كذا كذا وكذا ، وفعلتم بنا يوم كذا كذا وكذا — على نحو ما قد بيناه في غير موضع من كتابنا هذا — ،^(٤) يعنون بذلك : أن أسلافنا فعلوا ذلك بأسلافكم ، وأن أوائلنا فعلوا ذلك بأوائلكم . فكذلك ذلك في قوله : « فلم تقتلون أنبياء الله من قبل » ، إذ كان قد خرج على لفظ الخبر عن المخاطبين به ، خبراً من الله تعالى ذكره عن فعل

(١) سلف تخريجه في هذا الجزء ٢ : ١٦٥

(٢) في معاني القرآن للفراء : « لم يسيء » ، بحذف « تجده » .

(٣) في المطبوعة : « فتولّوهم على ذلك ورضوا » . فنسب . . . ، والصواب ما أثبتته من معاني القرآن

لفراء ١ : ٦٠ - ٦١ ، وهذا الذي نقله الطبري هو نص كلامه .

(٤) انظر ما سلف في هذا الجزء ٢ : ٣٠٢ تعليق ١ والمراجع

السالفين منهم - (١) على نحو الذى بينا - جاز أن يقال « من قبل » ، إذ كان معناه : قل : فلم يقتل أسلافكم أنبياء الله من قبل ؟ وكان معلوماً بأن قوله : « فلم تقتلون أنبياء الله من قبل » ، إنما هو خبر عن فعل سلفهم .

وتأويل قوله « من قبل » ، أى : من قبل اليوم .

وأما قوله : « إن كنتم مؤمنين » ، فإنه يعنى : إن كنتم مؤمنين بما نزل الله عليكم كما زعمتم . وإنما عني بذلك اليهود الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلموا - إن كانوا وكنتم ، كما تزعمون أيها اليهود ، مؤمنين . وإنما غيرهم جل ثناؤه بقتل أوائلهم أنبياءه ، عند قولهم حين قيل لهم : آمنوا بما أنزل الله . قالوا : نؤمن بما أنزل علينا . لأنهم كانوا لأوائلهم - الذين تولوا قتل أنبياء الله ، مع قيلهم : نؤمن بما أنزل علينا - متولين ، وبفعلهم راضين . فقال لهم : إن كنتم كما تزعمون مؤمنين بما أنزل عليكم ، فلم تتولون قتلة أنبياء الله ؟ أى : ترضون أفعالهم . (٢)

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (١١)

٣٣٤/١

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ولقد جاءكم موسى بالبينات » ، أى جاءكم بالبينات الدالة على صدقه وصحة نبوته ، (٣) كالعصا التى تحولت ثعباناً مبيناً ، ويده التى

(١) فى المطبوعة : « وإن كان قد خرج على لفظ الخبر ... » ، والصواب : « إذ ... » كما أثبتته .

(٢) فى المطبوعة : « أى وترضون ... » بزيادة واو لا خير فيها .

(٣) فى المطبوعة : « وحقية نبوته » ، وليست مما يقوله أبو جعفر ، وقد مضى آنفاً مثل هذا التبديل

من النسخ ، وكان فى المخطوطة العتيقة ، على مثل الذى أثبتته ، وانظر ما سلف ٢ : ٣١٨

أخرجها بيضاءً للناظرين . وقلن البحر ومصير أرضه له طريقاً يبساً ، والجحراد والقُمل والضفادع ، وسائر الآيات التي بيّنت صدقه وصحة نبوته .^(١)

وإنما سماها الله « بينات » ، لتبينها للناظرين إليها أنها معجزة لا يقدر على أن يأتي بها بشرٌ ، إلا بتسخير الله ذلك له . وإنما هي جمع « بيّنة » ، مثل : « طيبة وطيبات » .^(٢)

* * *

قال أبو جعفر : ومعنى الكلام : ولقد جاءكم — يا معشرَ يهود بني إسرائيل — موسى بالآيات البينات على أمره وصدقه وصحة نبوته .^(١)

* * *

وقوله : « ثم اتخذتم العجلَ من بعده وأنتم ظالمون » ، يقول جل ثناؤه لهم : ثم اتخذتم العجل من بعد موسى إلهاً . ف « الهاء » التي في قوله : « من بعده » ، من ذكر موسى . وإنما قال : من بعد موسى ، لأنهم اتخذوا العجل من بعد أن فارقهم موسى ماضياً إلى ربه لموعده — على ما قد بيّنا فيما مضى من كتابنا هذا .^(٢)

وقد يجوز أن تكون « الهاء » التي في « بعده » إلى ذكر الحجيء . فيكون تأويل الكلام حينئذ : ولقد جاءكم موسى بالبينات ، ثم اتخذتم العجل من بعد حجيء البينات وأنتم ظالمون . كما تقول : « جثني فكرهته » ، يعني : كرهت مجيئك .

* * *

وأما قوله : « وأنتم ظالمون » ، فإنه يعني بذلك : أنكم فعلتم ما فعلتم من عبادة العجل وليس ذلك لكم ، وعبدتم غير الذي كان ينبغي لكم أن تعبدوه . لأن العبادة لا تنبغي لغير الله . وهذا توبيخ من الله لليهود ، وتعيير منه لهم ، وإخبار منه لهم أنهم إذا كانوا فعلوا ما فعلوا — من اتخاذ العجل إلهاً وهو لا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً ، بعد الذي علموا أن ربهم هو الرب الذي يفعل من الأعاجيب وبدائع الأفعال

(١) انظر ما سلف في هذا الجزء ٢ : ٣١٨ ، ٣٥٤

(٢) انظر ما سلف في هذا الجزء ٢ : ٣١٨ ، ٣١٩

(٣) انظر ما سلف في هذا الجزء ٢ : ٦٠ - ٦٩

ما أجراه على يدي موسى صلوات الله عليه ، من الأمور التي لا يقدر عليها أحد من خلق الله ، ولم يقدر عليها فرعونُ وجُنُده مع بطشه وكثرة أتباعه ، وقرب عهدهم بما عاينوا من عجائب حكم الله - فهم إلى تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وجحود ما في كتبهم = التي زعموا أنَّهم بها مؤمنون = من صفته ونعته ، مع بُعد ما بينهم وبين عهد موسى من المدة - أسرع^(١) ، وإلى التكذيب بما جاءهم به موسى من ذلك أقرب .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « وَإِذْ أَخَذْنَا ميثاقكم » ، واذكروا إذ أخذنا نأ عهدكم ، بأنْ خُلِئوا ما آتيناكم من التوراة - التي أنزلها إليكم أنْ تعملوا بما فيها من أمرى ، وتنتهوا عما نهيتكم فيها - بجد منكم في ذلك ونشاط ، فأعطيتكم على العمل بذلك ميثاقكم ، إذ رفَعنا فوقكم الجبل^(٢) .

وأما قوله : « واسمعوا » ، فإن معناه : واسمعوا ما أمرتكم به وتقبلوه بالطاعة ، كقول الرجل للرجل يأمره بالأمر : « سمعتُ وأطعت » ، يعني بذلك : سمعت قولك ، وأطعت أمرك ، كما قال الراجز :

السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالنَّسْلِيمُ خَيْرٌ وَأَعْنِي لِبَنِي نَعِيمٍ^(٣)

(١) سياق هذه الجملة المفصلة : . . . وإخبار منه لم أنهم إذا كانوا فعلوا ما فعلوا . . . فهم إلى تكذيب محمد . . . أسرع » ، وكل ما بين ذلك فصول متتابعة كدأبه .

(٢) سلف شرحه لألفاظ هذه الآية : « ميثاق » ، « الطور » ، « الإيتاء » ، « قوة » ، فاطلبه

في المواضع الآتية ٢ : ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٠ والمراجع

(٣) قائله رجل من ضبة ، من بني ضرار يدعى جبير بن الضحاك ، ومن خبره أن عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي والى البصرة في سنة ٥٥ ، خطب على منبرها فحصبه جبير هذا ، فأمر به عبد الله بن عمرو فقطعت يده . فقال الرجز . ورفعوا الأمر إلى معاوية فعزله (تاريخ الطبري ٦ : ١٦٨) .

يعنى بقوله : « السمع » ، قبول ما يسمع ، و « الطاعة » لما يؤمر . فكذلك
معنى قوله : « واسمعوا » ، اقبلوا ما سمعتم واعملوا به .

قال أبو جعفر : فعنى الآية : وإذ أخذنا ميثاقكم أنْ تُخذوا ما آتيناكم
بقوة ، واعملوا بما سمعتم ، وأطيعوا الله ، ورفعنا فوقكم الطور من أجل ذلك .

وأما قوله : « قالوا سمعنا » ، فإن الكلام خرج مخرج الخبر عن الغائب بعد أن
كان الابتداء بالخطاب ، فإن ذلك كما وصفنا ، ^(١) من أنْ ابتدء الكلام ، إذا
كان حكايةً ، فالعرب تُخاطب فيه ثم تعود فيه إلى الخبر عن الغائب ، وتخبر ٢٣٥/١
عن الغائب ثم تخاطب ، كما بينا ذلك فما مضى قبل . ^(٢) فكذلك ذلك في هذه
الآية ، لأن قوله : « وإذ أخذنا ميثاقكم » ، بمعنى : قلنا لكم ، فأجبتمونا .

وأما قوله : « قالوا سمعنا » ، فإنه خبر من الله — عن اليهود الذين أخذ ميثاقهم
أن يعملوا بما في التوراة ، وأن يطيعوا الله فيما يسمعون منها — أنهم قالوا حين قيل
لهم ذلك : سمعنا قولك ، وعصينا أمرك .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْمِجْلَ

بِكُفْرِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك . فقال بعضهم : وأشربوا
في قلوبهم حبَّ العجل . ذكر من قال ذلك :

١٥٦١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، حدثنا معمر ،

عن قتادة : « وأشربوا في قلوبهم العجل » ، قال : أشربوا حُبَّه ، حتى خَلَصَ
ذلك إلى قلوبهم .

(١) في المطبعة : « بما وصفنا » ، ليست شيئاً .

(٢) انظر ما سلف ١ : ١٥٣ — ١٥٤ ، وهذا الجزء ٢ : ٢٩٣ ، ٢٩٤

١٥٦٢ - حدثني الثني قال، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « وأشربوا في قلوبهم العجل » ، قال : أشربوا حُبَّ العجل بكفرهم .

١٥٦٣ - حدثني الثني قال حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وأشربوا في قلوبهم العجل » ، قال : أشربوا حُبَّ العجل في قلوبهم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك أنهم سُقوا الماء الذي ذُرِّي فيه سُحالة العجل .^(١)
 • ذكر من قال ذلك :

١٥٦٤ - حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : لما رجع موسى إلى قومه ، أخذ العجل الذي وجدَهم عاكفين عليه فذبحه ، ثم حرقه بالمبرد ،^(٢) ثم ذَرَّاه في اليم ، فلم يبقَ بِبحر يومئذ يجرى إلّا وقع فيه شيء منه . ثم قال لهم موسى : اشربوا منه . فشرَبوا ، فمن كان يحبّه خَرَجَ على شاربهِ الذهب . فلذلك حين يقول الله عز وجل : « وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم » .^(٣)

١٥٦٥ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : لما سُحِلَ فَأُلْقِيَ في اليم ، استقبلوا جِرْيَةَ الماء ، فشرَبوا حتى ملأوا بطونهم ، فأورث ذلك مَنْ فَعَلَهُ منهمُ جُبْنًا .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين اللذين ذكرت بقول الله جل ثناؤه : « وأشربوا

(١) السحالة : ماسقط من الذهب والفضة ونحوهما إذا سحلا ، أى بردا بالمبرد .

(٢) حرقه : برده بالمبرد ، وانظر ما سلف من هذا الجزء ٢ : ٧٤

(٣) الأثر : ١٥٦٤ - سلف برقم : ٩٣٧ .

في قلوبهم العجل « تأويل من قال : وأشربوا في قلوبهم حُب العجل . لأن الماء لا يقال منه : أشرب فلان في قلبه ، وإنما يقال ذلك في حب الشيء ، فيقال منه : « أشرب قلب فلان حُب كذا » ، بمعنى : سقى ذلك حتى غلب عليه وخالط قلبه ، كما قال زهير :

فَصَحَوْتُ عَنْهَا بَعْدَ حُبِّ دَاخِلٍ وَالْحُبُّ يُشْرِبُهُ فَوَادُكَ دَاهٍ ^(١)

قال أبو جعفر : ولكنه ترك ذكر « الحب » اكتفاءً بفهم السامع لمعنى الكلام . إذ كان معلوماً أن العجل لا يشرب القلب ، وأن الذي يشرب القلب منه حُبُّه ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٣] ، ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [سورة يوسف : ٨٢] ، وكما قال الشاعر : ^(٢)

أَلَا إِنِّي سَقَيْتُ أَسْوَدَ حَالِكًا أَلَا يَجَلِي مِنَ الشَّرَابِ أَلَا يَجَلُ ^(٣)

(١) ديوانه : ٣٣٩ ، وهو هناك « تشربه » بضم التاء وسكون الشين وكسر الراء ، ونصب « فؤادك » ، وشرحه فيه دليل على ذلك ، فإنه قال : « تدخله » وقال : « تشربه » تلزمه ولكن استدلال الطبري ، كما ترى يدل على ضبطه مبنياً للمجهول ، ورفع « فؤادك » . وحب داخل ، وداء داخل : قد خالط الجوف فأدخل الفساد على العقل والبدن .
(٢) هو طرفة بن العبد .

(٣) ديوانه : ٣٤٣ (أشعار الستة الجاهلين) ، ونوادر أبي زيد : ٨٣ ، واللسان (سود) . واختلف فيها أراد بقوله : « أسود » . قيل : الماء ، وقيل : المنية والموت . قال أبو زيد في نوادره : « يقال ما سقاني فلان من سويد قطرة » (سويد : بالتصغير) هو الماء ، يدعى الأسود . واستدل بالبيت . والصواب في ذلك أن يقال كما قال الطبري ، ويعني به : سوه ما لقي من هم وشقاء حالك في حب صاحبتة الحنظلية ، التي ذكرها في شعره هذا فقال لما قبل البيت :

قُلْ لِحَيَالِ الْحَنْظَلِيَّةِ يَنْقَلِبُ إِلَيْهَا، فَإِنِّي وَاصِلٌ حَبْلٌ مَن وَصَلَ
أَلَا إِنَّمَا أُنَبِّئُكَ لِيَوْمٍ لَّقِيتُهُ بِمُحْرَثَمٍ قَاسٍ، كُلُّ مَا بَعْدَهُ جَلَلٌ
إِذَا جَاءَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ فَمَرَّ حَبًّا بِهِ حِينَ يَأْتِي - لَا كَذَابٌ وَلَا عِلَلٌ
أَلَا إِنِّي

يعنى بذلك : سَمًّا أُسُودَ ، فَاكْتَفَى بِذِكْرِ « أُسُود » عَنْ ذِكْرِ « السَّم » ، لمعرفة السامع معنى ما أراد بقوله : « سَقَيْتُ أُسُودًا » . ويروى :
 « أَلَا إِنِّي سَقَيْتُ أُسُودًا سَالِحًا ^(١) » .

وقد تقول العرب : « إِذَا سَرَكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى السَّخَاءِ فَانْظُرْ إِلَى حَرِيمٍ ، أَوْ إِلَى حَاتِمٍ » ، ^(٢) فَتَجْتَرِي بِذِكْرِ الْأَسْمِ مِنْ ذِكْرِ فَعْلِهِ ، إِذَا كَانَ مَعْرُوفًا بِشَجَاعَةٍ أَوْ سَخَاءٍ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

يَقُولُونَ : جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بِفَزْوَةٍ ! وَإِنَّ جِهَادًا طَيِّبًا وَقِتَالَهَا ^(٣)

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ ۚ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١٣) ٣٣٦/١

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : قل ، يا محمد لليهود بنى إسرائيل : بئس الشيء يأمركم به إيمانكم ؛ إِنْ كَانَ يَأْمُرُكُمْ بِقَتْلِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ،

ويروى : « أَلَا بِجَلٍّ مِنَ الْحَيَاةِ » ، وهى أجود . . . ورواية الديوان واللسان : (أَلَا إِنِّي شَرِيتُ) ،
 وإلى هنا أجود . وقوله : « بِجَلٍّ » ، أى حَسْبَى مَا سَقَيْتُ مِنْكَ مِنَ الْحَيَاةِ .

(١) السالغ من الحيات : الأسود الشديد السواد ، وهو أقتل ما يكون إذا سلخ جلده فى إبانهِ من كل عام .

(٢) حرم بن سنان ، صاحب زهير بن أبى سلمى ، وحاتم : هو الطامى الذى لا ينفخ له ذكر . وأكثر هذا فى معانى القرآن للفراء ١ : ٦١ - ٦٢ .

(٣) معانى القرآن للفراء ١ : ٦٢ ، ومجالس ثعلب ٦ : ٧٦ ، واللسان (غزاة) ، ونسبه لجميل ، ولا أظنه إلا أخطأ ، لذكر جميل فى البيت ، ولمشابهته لقول جميل :

يَقُولُونَ : جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بِفَزْوَةٍ ! وَأَيَّ جِهَادٍ غَيْرَ هَذَا أُرِيدُ ؟

ولكن البيت من شعر آخر ، لم أهدأ إليه بعد البحث ، ويريد الأول : وإن الجهاد جهاد طيب . وقتالها ، فحذف واجتزأ .

والتكذيب بكتبه ، وجحود ما جاء من عنده . ومعنى « إيمانهم » : تصديقهم الذى زعموا أنهم به مصدقون من كتاب الله ، إذ قيل لهم : آمنوا بما أنزل الله . فقالوا : نؤمن بما أنزل علينا . وقوله : « إن كنتم مُؤمنين » ، أى : إن كنتم مصدقين كما زعمتم بما أنزل الله عليكم ، ^(١) وإنما كذبهم الله بذلك — لأن التوراة تنهى عن ذلك كله ، وتأمر بخلافه . فأخبرهم أن تصديقهم بالتوراة ، إن كان يأمرهم بذلك ، فبئس الأمر تأمر به . وإنما ذلك نَفْسِي من الله تعالى ذكره عن التوراة ، أن تكون تأمر بشيء مما يكرهه الله من أفعالهم ، وأن يكون التصديقُ بها يدل على شيء من مخالفة أمر الله ؛ وإعلامٌ منه جل ثناؤه أن الذى يأمرهم بذلك أهواؤهم ، والذى يحملهم عليه البغى والعدوان .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ
الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴾ ^(١١)

قال أبو جعفر : وهذه الآية مما احتج الله بها لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على اليهود الذين كانوا بينَ ظَهْرَانِي مُهَاجِرِهِ ، وَفَضَحَ بها أجباهم وعلماءهم . وذلك أن الله جل ثناؤه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعُوهم إلى قضية عادلة بينه وبينهم ، فيما كان بينه وبينهم من الخلاف . كما أمره الله أن يدعوا الفريق الآخر من النصارى — إذ خالفوه فى عيسى صلوات الله عليه وجادلوا فيه — إلى فاصلة بينه وبينهم من المباهلة . ^(٢) وقال لفريق اليهود : إن كنتم محققين فتمنوا الموت ، فإن ذلك غير ضارِّكم ، إن كنتم محققين فيما تدعون من الإيمان وقرب المنزل

(١) انظر ما سلف فى معنى « الإيمان » ١ : ٢٣٥ ، ٢ : ١٤٣ وغيرهما .

(٢) وذلك ما جاء فى سورة آل عمران : ٦١ ، وانظر خبره فى التفسير والسير .

من الله . بل إن أعطيتم أمنيّتكم من الموت إذا تمنيتم ، فلنما تصيرون إلى الراحة من تعب الدنيا ونصبها وكدر عيشها ، والفوز بجوار الله في جناته ، إن كان الأمر كما تزعمون : من أن الدار الآخرة لكم خالصة دوننا . وإن لم تُعطوها علم الناس أنكم المبطلون ونحن المحقّقون في دعوانا ، وانكشف أمرنا وأمركم لهم . فامتنعت اليهود من إجابة النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك ، لعلمها أنها إن تمتّ الموت هلكت ، فذهبت دُنياها ، وصارت إلى خِزْي الأبد في آخرتها . كما امتنع فريق النصارى — الذين جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم في عيسى ، إذ دُعوا إلى المباهلة — المباهلة .

فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو أن اليهود تمنوا الموت لماوتوا ، ولرأوا مقاعدهم من النار . وكوخرج الذين يُباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لرجعوا لا يجلدون أهلاً ولا مالاً .

١٥٦٦ — حدثنا بذلك أبو كريب قال ، حدثنا زكريا بن عدى قال ، حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الكريم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . (١)

(١) الحديث : ١٥٦٦ — إسناده صحيح . أبو كريب : هو محمد بن العلاء . زكريا بن عدى ابن زريق التيمي الكوفي : ثقة جليل ورع ، قال ابن سعد : « كان رجلاً صالحاً صدوقاً » . وهو مترجم في التهذيب ، وفي الكبير للبخارى ١/٢ - ٣٨٧ - ٣٨٨ ، والصغير : ٢٣٢ ، وابن سعد ٦ : ٢٨٤ ، وابن أبي حاتم ١/٢ - ٦٠٠ ، ووقع هنا في المطبوعة « أبو زكريا » ! وزيادة « أبو » خطأ من ناسخ أو طابع ، عبيد الله بن عمرو : هو أبو وهب الجزري الرقي ، ثقة معروف أخرج له أصحاب الكتب الستة ، وترجمته في التهذيب ، وابن سعد ٧/٢ - ١٨٢ ، والصغير للبخارى : ٢٠٣ ، وابن أبي حاتم ٢/٢ - ٣٢٨ - ٣٢٩ . عبد الكريم : هو ابن مالك الجزري الحراني ، وهو ثقة ثبت صاحب ستة ، من شيوخ ابن جريج ومالك والثوري وأضرابهم . ترجمته في التهذيب ، والصغير للبخارى : ١٤٨ ، وابن أبي حاتم ١/٣ - ٥٨ - ٥٩ .

والحديث رواه أحمد في المسند : ٢٢٢٦ ، عن أحمد بن عبد الملك الحراني ، عن عبيد الله ، وهو ابن عمرو ، بهذا الإسناد ، ولكن لم يذكر لفظه ، أحاله على الرواية قبله : ٢٢٢٥ ، من طريق فرات بن سلمان الحضرمي ، عن عبد الكريم ، به ، بزيادة في أوله . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨ : ٢٢٨ ، عن الرواية المطولة ، وقال : « في الصحيح طرف من أوله » ، ثم قال : « رواه أحمد ، وأبو يعلى ، ورجال

١٥٦٧ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثام بن علي ، عن الأعمش ، عن ابن عباس في قوله : « فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » ، قال : لو تمنوا الموت لشرق أحدُهم بريقه ^(١) .

١٥٦٨ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن عبد الكريم الجزري ، عن عكرمة في قوله : « فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » ، قال ابن عباس : لو تمنى اليهود الموت لماتوا . ^(٢)

١٥٦٩ - حدثني موسى قال ، أخبرنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي ، عن ابن عباس مثله .

١٥٧٠ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد - قال أبو جعفر : فيما أروى : أنبأنا - عن سعيد ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : لو تمنوه يوم قال ذلك لهم ، ما بقي على ظهر ٣٣٧/١ الأرض يهودى إلا مات . ^(٣)

* * *

قال أبو جعفر : فأنكشف - لمن كان مشكلاً عليه أمرُ اليهود يومئذ - كذبُهم وبهتُهم وبغيتُهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وظهرت حجة رسول الله وحجة أصحابه عليهم ، ولم تزل والحمد لله ظاهرةً عليهم وعلى غيرهم من سائر أهل الملل .

أبي يعلى رجال الصحيح » . أقول : ورجال أحد في الإسناد : ٢٢٢٦ - رجال الصحيح أيضاً . وذكر السيوطي : ١ : ٨٩ بمضه ، ونسبه أيضاً إلى الشيخين ، والترمذي ، والنسائي ، وابن مردويه ، وأبي نعيم . (١) الخبر : ١٥٦٧ - هو موقوف على ابن عباس ، في معنى الحديث قبله . ولكن إسناده هذا منقطع . الأعمش : لم يدرك ابن عباس .

(٢) الخبر : ١٥٦٨ - هو بعض الحديث السابق : ١٥٦٦ ، وإسناده صحيح . وظاهره هنا أنه موقوف على ابن عباس ، ولكنه مرفوع بالروايات الأخر .

(٣) الأثر : ١٥٧٠ - في ابن هشام ٢ : ١٩١ .

وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم : « تمنوا الموت إن كنتم صادقين » ، لأنهم - فيما ذكر لنا - قالوا : ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [سورة المائدة : ١٨] ، وقالوا : ﴿ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ [سورة البقرة : ١١١] . فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم : إن كنتم صادقين فيما تزعمون ، فتمنوا الموت . فأبان الله كذبهم بامتناعهم من تمنى ذلك ، وأفلج حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو اليهود أن يتمنوا الموت ، وعلى أى وجه أمروا أن يتمنوه . فقال بعضهم : أمروا أن يتمنوه على وجه الدعاء على الفريق الكاذب منهما . ذكر من قال ذلك : ١٥٧١ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : « قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصةً دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » ، أى : ادعوا بالموت على أى الفريقين أكذب . (١)

* * *

وقال آخرون بما : -

١٥٧٢ - حدثني بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصةً من دون الناس » ، وذلك أنهم قالوا : ﴿ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ [سورة البقرة : ١١١] ، وقالوا ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [سورة المائدة : ١٨] فقيل لهم : « فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » .

١٥٧٣ - حدثني المنفى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن

(١) الأثر : ١٥٧١ - في سيرة ابن هشام ٢ : ١٩١ ، وفيها : « أكذب عند الله » ، وانظر

رقم : ١٥٧٨ .

الربيع ، عن أبي العالية قال : قالت اليهود : « لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى » ، وقالوا : « نحن أبناء الله وأحباؤه » فقال الله : « قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » ، فلم يفعلوا .

١٥٧٤ - حدثني المشي قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثني ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة » الآية ، وذلك بأنهم قالوا : « لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى » ، وقالوا : « نحن أبناء الله وأحباؤه » .^(١)

وأما تأويل قوله : « قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة » ، فإنه يقول : « قل يا محمد : إن كان نعيم الدار الآخرة ولذاتها لكم يا معشر اليهود عند الله . فاكثروا بذكر «الدار» ، من ذكر نعيمها ، لمعرفة المخاطبين بالآية معناها . وقد بينا معنى «الدار الآخرة» . فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .^(٢)

وأما تأويل قوله : « خالصة » ، فإنه يعني به : صافية . كما يقال : « خلص لي فلان » ، بمعنى صار لي وحدي وصفاً لي . يقال منه : « خلص لي هذا الشيء فهو يخلص خلوصاً وخالصة » ، « والخالصة » مصدر مثل « العافية » . ويقال للرجل : « هذا خلصاني » ، يعني : خالصني من دون أحمالي .

وقد روى عن ابن عباس أنه كان يتأول قوله : « خالصة » : خاصة . وذلك تأويل قريب من معنى التأويل الذي قلناه في ذلك .

١٥٧٥ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر ابن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « قل إن كانت لكم

(١) الأثر : ١٥٧٤ - في المطبوعة «... حدثنا إسحق قال حدثني أبو جعفر عن الربيع » وهذا إسناد فاسد ، وهو كثير الدوران في التفسير ، وأقرب ذلك رقم : ١٥٦٣ .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٢٤٥

٢٣٨/١ الدار الآخرة» ، قال : « قل » يا محمد لهم - يعنى اليهود - : « إن كانت لكم الدار الآخرة » - يعنى : الجنة ^(١) - « عند الله خالصة » ، يقول : خاصة لكم .

* * *

وأما قوله : « من دون الناس » ، فإن الذى يدل عليه ظاهرُ التنزيل أنهم قالوا : لنا الدارُ الآخرةُ عند الله خالصة من دون جميع الناس . ويبين أن ذلك كان قولهم - من غير استثناءٍ منهم من ذلك أحداً من بنى آدم - إخبارُ الله عنهم أنهم قالوا : « لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى » ، إلا أنه روى عن ابن عباس قول غير ذلك :

١٥٧٦ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر ابن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « من دون الناس » ، يقول : من دون محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين استهزأتم بهم ، وزعمتم أن الحق في أيديكم ، وأن الدار الآخرة لكم دونهم .

* * *

وأما قوله : « فتمنوا الموت » فإن تأويله : تشبهوه وأريدوه . وقد روى عن ابن عباس أنه قال في تأويله : فسلوا الموت . ولا يعرف « التمني » بمعنى « المسألة » في كلام العرب . ولكن أحسب أن ابن عباس وجهه معنى « الأمنية » - إذ كانت محبة النفس وشهوتها - إلى معنى الرغبة والمسألة ، إذ كانت المسألة ، هى رغبة السائل إلى الله فيما سأل .

١٥٧٧ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر ابن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « فتمنوا الموت » ، فسلوا الموت ، « إن كنتم صادقين »

* * *

(١) في المطبعة : « يعنى الخير » ، وهو تصحيف وتحريف ، صوابه ما أثبت .

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (١٥)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن اليهود وكراهتهم الموت ، وامتناعهم عن الإجابة إلى ما دُعوا إليه من تمنى الموت ، لعلمهم بأنهم إن فعلوا ذلك فالوعيد بهم نازل ، والموت بهم حال ؛ ولعرفتهم بمحمد صلى الله عليه وسلم أنه رسول من الله إليهم مرسل ، وهم به مكذبون ، وأنه لم يخبرهم خبراً إلا كان حقاً كما أخبر . فهم يحذرون أن يتمنوا الموت ، خوفاً أن يحل بهم عقاب الله بما كسبت أيديهم من الذنوب ، كالذى : —

١٥٧٨ — حدثني محمد بن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد — فيما يروى أبو جعفر — عن سعيد بن جبيرة أو عكرمة ، عن ابن عباس : « قل إن كانت لكم الدار الآخرة الآية ، أى : ادعوا بالموت على أى الفريقين أكذب . فأبوا ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ » ، أى : بعلمهم بما عندهم من العلم بك ، والكفر بذلك . (١)

١٥٧٩ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر ابن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا » ، يقول : يا محمد ، ولن يتمنوه أبداً ، لأنهم يعلمون أنهم كاذبون . ولو كانوا صادقين لتمنّوه ورغبوا في التعجيل إلى كرامتى ، فليس يتمنّونه أبداً بما قدمت أيديهم .

١٥٨٠ — حدثني القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

(١) الأثر : ١٥٧٨ — مضى في رقم : ١٥٧١ ، وهنا تمامه . وفي سيرة ابن هشام : ١ : ١٩١ « أكذب عند الله » . وفي المطبوعة : « وقالوا ذلك على رسول الله . . . » ، وهو خطأ ، صوابه ما في سيرة ابن هشام . وفي المطبوعة : « أى لعلمهم بما عندهم . . . » . والذي أثبتته هو نص ابن هشام .

ابن جريج قوله : « فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » ، وكانت اليهود أشدَّ فراراً من الموت ، ولم يكونوا ليتمنّوه أبداً .

وأما قوله : « بما قدّمت أيديهم » ، فإنه يعنى به : بما أسلفتهم أيديهم . وإنما ذلك ممثلاً ، على نحو ما تتمثل به العرب في كلامها . فتقول للرجل يُؤخذ بجريرة جرّها أو جنايةٍ جناها فيعاقبُ عليها : « نالك هذا بما جنت يداك » ، وبما كسبت يداك ، وبما قدّمت يداك » ، فتضيف ذلك إلى « اليد » . ولعلّ الجناية التي جناها فاستحق عليها العقوبة ، كانت باللسان أو بالفرج أو بغير ذلك من أعضاء جسده سيّوى اليد .

قال أبو جعفر : وإنما قيل ذلك بإضافته إلى « اليد » ، لأنَّ عظمَ جنایات الناس بأيديهم ، فجرى الكلام باستعمال إضافة الجنایات التي يمينها الناس إلى « أيديهم » ، حتى أضيف كل ما عوقب عليه الإنسان مما جناه بسائر أعضاء جسده ، إلى أنها عقوبة على ما جنته يده .

فلذلك قال جل ثناؤه للعرب : « ولن يتمنّوه أبداً بما قدّمت أيديهم » ، يعنى به : ولن يتمنى اليهود الموت بما قدموا أمامهم في حياتهم من كفرهم بالله ، في مخالفتهم أمره وطاعته في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله ، وهم يجلدونه مكتوباً عندهم في التوراة ، ويعلمون أنّه نبي مبعوث . فأضاف جل ثناؤه ما انطوت عليه قلوبهم ، وأضرته أنفسهم ، ونطقت به ألسنتهم — من حسد محمد صلى الله عليه وسلم ، والبغى عليه ، وتكذيبه وجحود رسالته — إلى أيديهم ، وأنه مما قدمته أيديهم ، لعلم العرب معنى ذلك في منطقها وكلامها . إذ كان جل ثناؤه إنما أنزل القرآن بلسانها وبلغتها . وروى عن ابن عباس في ذلك ما : —

١٥٨١ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر

ابن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « بما قدّمت أيديهم » ، يقول : بما أسلفت أيديهم .

١٥٨٢ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « بما قدّمت أيديهم » ، قال : إنهم عرفوا أن محمداً صلى الله عليه وسلم نبي ، فكتموه .

وأما قوله : « والله عليم بالظالمين » ، فإنه يعني جل ثناؤه : والله ذو علم بظلمة بني آدم - يهودها ونصاراها وسائر أهل الملل غيرها - وما يعملون . وظلم اليهود : كفرهم بالله في خلافهم أمره وطاعته في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، بعد أن كانوا يستفتحون به وبمبعثه ، وجحودهم نبوته وهم عالمون أنه نبي الله ورسوله إليهم . وقد دللنا على معنى « الظلم » فيما مضى بما أغنى عن إعادته .^(١)

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُمَرُّ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه « ولتجدنهم أحصرّ الناس على حياة » - اليهود - . يقول : يا محمد ، لتجدنّ أشدّ الناس حرصاً على الحياة في الدنيا ، وأشدّهم كراهة للموت ، اليهود . كما : -

١٥٨٣ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد - فيما يروى أبو جعفر - عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس : « ولتجدنهم أحصرّ الناس على حياة » ، يعني اليهود .

١٥٨٤ - حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، حدثنا الربيع ، عن أبي العالية : « ولتجدنهم أحصرّ الناس على حياة » ، يعني اليهود .^(٢)

١٥٨٥ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن

(١) انظر ما سلف ١ : ٥٢٣ - ٥٢٤ .

(٢) الأثر : ١٥٨٤ - في المطبعة : « حدثنا أبو جعفر عن أبي العالية » ، سقط منه « حدثنا

الربيع » ؛ وهو إسناد دائر ، وأقر به في رقم : ١٥٧٣ .

أبيه ، عن الربيع مثله .^(١)

١٥٨٦ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله
وإنما كراهم الموت . لعلمهم بما لهم في الآخرة من الخزي والحوآن الطويل .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا » . وأحرصَ من الذين أشركوا على الحياة ، كما يقال : « هو أشجع الناس ومن عنترة » بمعنى : هو أشجع من الناس ومن عنترة . فكذلك قوله : « وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا » . لأن معنى الكلام : ولتجدن — يا محمد — اليهود من بنى إسرائيل ، أحرصَ [من] الناس على حياة ومن الذين أشركوا .^(٢) فلما أضيف « أحرص » إلى « الناس » وفيه تأويل « من » ، أظهرت بعد حرف العطف ، ردًّا — على التأويل الذى ذكرنا .

وإنما وصف الله جل ثناؤه اليهود بأنهم أحرصُ الناس على الحياة ، لعلمهم بما قد أعدَّ لهم في الآخرة على كفرهم بما لا يقرُّ به أهل الشرك ،^(٣) فهم للموت أكرهُ من أهل الشرك الذين لا يؤمنون بالبعث ، لأنهم يؤمنون بالبعث ، ويعلمون ما لهم هنالك من العذاب . والمشركون لا يصدقون بالبعث ولا العقاب ،^(٤) فاليهود أحرص

(١) الأثر : ١٥٨٥ — في المطبوعة : « حدثني المنفى قال حدثنا ابن أبي جعفر » سقط منه « حدثنا إسحق » ، وهو إسناده دائر ، وأقر به رقم : ١٥٧٤ .

(٢) الزيادة بين القوسين ، لابد منها ، يدل عليها سياقه .

(٣) في المطبوعة : « بما لا يقر به » ، والصواب ما أثبتته .

(٤) في المطبوعة : « وإن المشركين لا يصدقون . . . » ، و « إن » لا مكان لها هنا .

منهم على الحياة وأكره للموت .

° ° °

وقيل : إن الذين أشركوا — الذين أخبر الله تعالى ذكره أن اليهود أحرصُ منهم في هذه الآية على الحياة — هم المجوس الذين لا يصدّقون بالبعث . ذكر من قال :
هم المجوس :

١٥٨٧ — حدثني المنثي قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية « ومن الذين أشركوا يودّ أحدهم لو يُعمرَ ألفَ سنة » ،
يعنى المجوس .

١٥٨٨ — حدثني المنثي قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « ومن الذين أشركوا يودّ أحدهم لو يُعمرَ ألفَ سنة » ، قال :
المجوس .

١٥٨٩ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد :
« ومن الذين أشركوا » ، قال : يهود ، أحرصُ من هؤلاء على الحياة .

° ° °

° ذكر من قال : هم الذين ينكرون البعث :

١٥٩٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنا ابن إسحق قال ،
حدثني محمد بن أبي محمد — فيما يروى أبو جعفر — عن سعيد بن جبير ، أو
عكرمة ، عن ابن عباس : « ولتجدنّهم أحرصَ الناس على حياة ومن الذين
أشركوا » ، وذلك أن المشرك لا يرجو بعثاً بعد الموت ، فهو يحب طولَ الحياة ،
وأن اليهودي قد عرف ماله في الآخرة من الخيزي ، بما ضيع مما عنده من العلم .^(١)

° ° °

القول في تأويل قوله تعالى ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾

قال أبو جعفر : هذا خبر من الله جل ثناؤه عن الذين أشركوا^(١) - الذين أخبر أن اليهود أحرسُ منهم على الحياة . يقول جل ثناؤه : يودُّ أحد هؤلاء الذين أشركوا - الآيسُ ، بفناء دنياه وانقضاء أيام حياته ،^(٢) أن يكون له بعد ذلك نشور أو محيا أو فرح أو سرور - لو يعمرُّ ألف سنة ، حتى يجعل بعضهم تحيةً بعض : « عشرة آلاف عام » ، حرصاً منهم على الحياة ، كما : -

١٥٩١ - حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال ، سمعت أبي علياً ، أخبرنا أبو حمزة ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله : « يودُّ أحدُهُم لو يعمرُّ ألفَ سنة » ، قال : هو قول الأعاجم : « سال زه نوروز مهران حر » .^(٣)

(١) في المطبوعة : « هذا خبر من الله جل ثناؤه بقوله عن الذين أشركوا » والصواب حذف « بقوله » ، والنسخة المطبوعة ومخطوطاتها مضطربة في هذا الموضع من الكتاب اضطراباً شديداً .

(٢) في المطبوعة : « يود أحد هؤلاء الذين أشركوا إلا ١٠٠٠ بفناء دنياه وانقضاء أيام حياته » ، بياض فيها وفي الأصول . واستظهرت قراءتها كما أثبت ، فإنه هو المعنى الذي يدور عليه تفسير أبي جعفر : أن هذا المشرك قد يتسَّ أن يكون له بعد فناء الدنيا وانقضاء الحياة نشور أو محيا أو فرح أو سرور ، فهو يود لو يعمر ألف سنة .

(٣) الأثر : ١٥٩١ - محمد بن علي بن الحسن بن شقيق ، وأبوهم : ثقتان ، ترجحنا لما في شرح المستدرك ٧٤٣٧ . أبو حمزة : هو السكري ، محمد بن ميمون ، ثقة إمام . وهذا الإسناد صحيح متصل . وانظر الإسناد الآتي .

في تفسير ابن كثير ١ : ٢٣٨ ، ونص الكلام الفارسي فيه : « هزار سال نوروز مهران » . وقد سألت أحد أصحابنا عن يعرف الفارسية فقال : إن هذا النص لا ينطبق على قواعد الفارسية ، وأنه يظن أن صوابها : « زه در مهران نوروز هزار سال » ومعنى « زه » : عشى ، و « در » : ظرف بمعنى « في » ، ومهرجان هو عيد لم . ونوروز : عيد آخر في أول السنة . و « هزار » : ألف ، و « سال » : سنة . فكان « حر » التي في آخر الكلام في نص الطبري هي : در « مصحفة . وباقى النصوص الفارسية صحيح ، ومعناه : عش ألف سنة .

وفي المستدرك للحاكم ٢ : ٢٦٤ « هزار سال سرور مهران بخور » ، وقال : مصححه : يعني « تتم ألف سنة كمثل عيد مهرجان . وهو عيد لم » ، وكان هذا هو الصواب .

١٥٩٢ - وحديث عن نعيم النحوى، عن عطاء بن السائب، عن سعيد ابن جبير: «يودّ أحدُهم لو يعمّر ألفَ سنة»، قال: هو قول أهل الشرك بعضهم لبعض إذا عطس: «زه هزار سال».

١٥٩٣ - حدثنا إبراهيم بن سعيد ويعقوب بن إبراهيم قالا: حدثنا إسماعيل ابن عليّة، عن ابن أبي نجيج، عن قتادة في قوله «يودّ أحدُهم لو يعمّر ألفَ سنة»، قال: حبّبت إليهم الخطيئة طولَ العمر.

١٥٩٤ - حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، حدثني علي بن معبد، عن ابن عليّة، عن ابن أبي نجيج في قوله: «يودّ أحدُهم»، فذكر مثله.

١٥٩٥ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: «ولتجدنهم أحرصَ الناسَ على حياة» حتى بلغ «لو يُعمّر ألفَ سنة»، يهودٌ، أحرصَ من هؤلاء على الحياة. وقد ودّ هؤلاء لو يعمّر أحدُهم ألفَ سنة.

١٥٩٦ - وحديث عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن سعيد، عن ابن عباس في قوله: «يودّ أحدُهم لو يعمّر ألفَ سنة»، قال: هو قول أحدُهم إذا عطس: «زه هزار سال»، يقول: عشرة آلاف سنة. (١)

* * *

(١) الخبر: ١٥٩٦ - ذكره الطبري هكذا مجهول الإسناد، بقوله: «حدثت عن أبي معاوية»، إلخ. والعلّة في ذلك - فيما أرى - أن الأعمش لم يسمعه من سعيد بن جبير، وإن كان أدركه وروى عنه. فقد روى الحاكم هذا الخبر، في المستدرک ٢: ٢٦٣ - ٢٦٤، من طريق إسحاق بن إبراهيم «حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس» - بنحوه. ثم قال الحاكم: «رواه قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس». ثم رواه بإسناده إلى محمد بن يوسف، حدثنا قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس... وهذا إسناد صحيح متصل، دل على انقطاع الإسناد: «الأعمش عن سعيد بن جبير».

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وما هو بمزحزحه من العذاب أن يُعمر » ، وما التعمير — وهو طول البقاء — بمزحزحه من عذاب الله .

وقوله « هو » عمادٌ ، لطلب « ما » الاسم أكثر من طلبها الفعل ، ^(١) كما قال الشاعر :

« فهل هو مرفوع بما ههنا رأس » ^(٢)

« وأن » التى فى « أن يعمر » ، رَفَعٌ ، بـ « مزحزحه » ، و « هو » الذى مع « ما »
٣٤١/١ تكرير ، عمادٌ للفعل ، لاستقباح العرب النكرة قبل المعرفة .

* * *

وقد قال بعضهم : إن « هو » الذى مع « ما » كناية ذكر العُمر . كأنه قال :
يودّ أحدهم لو يعمر ألف سنة ، وما ذلك العُمر بمزحزحه من العذاب . وجعل
« أن يعمر » مترجماً عن « هو » ، يريد ما هو بمزحزحه التعمير . ^(٣)

وقال بعضهم : قوله : « وما هو بمزحزحه من العذاب أن يُعمر » ، نظير
قولك : ما زيد بمزحزحه أن يعمر .

* * *

قال أبو جعفر : وأقرب هذه الأقوال عندنا إلى الصواب ما قلنا ، وهو أن
يكون « هو » عماداً ، نظير قولك : « ما هو قائم عمرو »

* * *

(١) انظر ما سلف في هذا الجزء ٢ : ٣١٢ في معنى « الاسم » و « الفعل » ، و « الهاء » ،

تعليق رقم : ٢ ، وانظر معاني الفراء ١ : ٥٠ - ٥٢

(٢) هذا شطر بيت مفسى من أبيات ثلاثة ، في هذا الجزء ٢ : ٣١٣

(٣) انظر ما سلف في هذا الجزء ٢ : ٣٤٠ معنى « الترجمة » .

وقد قال قوم من أهل التأويل إن « أن » التي في قوله : « إن يعمر » بمعنى : وإنْ عُمر . وذلك قولٌ لمعانى كلام العرب المعروف مخالفٌ ذكر من قال ذلك : ١٥٩٧ - حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « وما هو بمزحزحه من العذاب أنْ يُعمر » ، يقول : وإنْ عُمر .

١٥٩٨ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .
١٥٩٩ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « أنْ يُعمر » - ولو عُمر

وأما تأويل قوله : « بمزحزحه » ، فإنه بمبعدةٍ ومنحيه ، كما قال الخطيئة :

وَقَالُوا : تَزَحْزَحْ مَا بَيْنَا فِضْلُ حَاجَةٍ إِلَيْكَ ، وَمَا مِنَّا لَوْ هَيْكَ رَاقِعٌ^(١)
يعنى بقوله : « تزحزح » ، تباعد ، يقال منه : « زحزحه يزحزحه زحزحة وزحزحاً » ، « وهو عنك مُترشح » ، أى : متباعد .

فتأويل الآية - وما طولُ العمر بمبعدةٍ من عذاب الله ، ولا منحيه منه ، لأنه لا بد للعمر من الفناء ، ومصيره إلى الله ، كما : -

(١) البيت ليس للخطيئة ، وإنما هو لقيس بن الخدابة ، من قصيدة له فبيسة طويلة رواها أبو الفرج في أغانيه ١٣ : ٦ . يقول قبل البيت ، يذكر مجيئه إلى صاحبه أم مالك :

وَمَا رَاعَى إِلَّا الْمُنَادَى : أَلَا اظْمَنُوا
بَحْنْتُ كَأَنِّي مُسْتَضِيفٌ وَسَانِلٌ
وَالْأَرْوَاعِي غُدُوَّةً وَالْقَعَائِعُ
لَاخِبَرَهَا كُلٌّ الَّذِي أَنَا صَانِعُ
إِلَيْكَ ، وَلَا مِنَّا لِفَقْرِكَ رَاقِعُ
فَازِلْتُ تَحْتَ السَّيْرِ حَتَّى كَأَنِّي
مِنْ الْحَرِّ ذُو طَيْرَيْنِ فِي الْبَحْرِ كَارِعُ

١٦٠٠ - حدثنا ابن حديد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحق قال ،
حدثني محمد بن أبي محمد - فيما أروى - ^(١) عن سعيد بن جبير ، أو عن عكرمة ، عن ابن
عباس : « وما هو بمزحزحه من العذاب أن يُعمر » ، أي : ما هو بمنحيه من العذاب .
١٦٠١ - حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن
الربيع ، عن أبي العالية : « وما هو بمزحزحه من العذاب أن يُعمر » ، يقول :
وإنَّ عمر ، فما ذاك بمغيثه من العذاب ولا منجيهِ .

١٦٠٢ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ،
عن أبيه ، عن الربيع مثله .

١٦٠٣ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ،
حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « يودّ أحدُهم لو يُعمر ألف سنة وما
بُمزحزحه من العذاب » ، فهم الذين عادوا جبريل عليه السلام .

١٦٠٤ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد :
« يودّ أحدُهم لو يُعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يُعمر » ، ويهود
أحرصُ على الحياة من هؤلاء . وقد ودّ هؤلاء لو يُعمر أحدُهم ألف سنة ، وليس
ذلك بمزحزحه من العذاب ، لو عُمر كما عمر إبليس لم ينفعه ذلك ، إذ كان كافراً ،
ولم يزحزحه ذلك عن العذاب .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٦)

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « والله بصير بما يعملون » ، والله
ذو إِبصار بما يعملون ، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ، بل هو بجميعها مُحيط ،
ولما حافظ ذاكر ، حتى يُذيقهم بها العقاب جزاءها .

• • •

(١) في المطبوعة : « فيما أرى » ، خطأ ، والصواب ما أثبتت . وانظر الإستاند رقم : ١٥٩٠ .

وأصل « بصير » مبصر - من قول القائل : « أبصرت فأنا مبصر » ، ولكن
 « صرف إلى فعيل » ، كما صرف « مُسمع » إلى « سميع » ، و « عذاب مؤلم » إلى
 « أليم » ، و « مُبدع السموات » إلى « بديع » ، وما أشبه ذلك ^(١) .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ
 فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً على أن هذه الآية نزلت جواباً
 لليهود من بني إسرائيل ، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم ، وأن ميكائيل ولي لهم . ثم
 اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك . فقال بعضهم : إنما كان سبب ^{٣٤٢/١}
 قيلهم ذلك ، من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في
 أمر نبوته . ذكر من قال ذلك :

١٦٠٥ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير ^(٢) عن عبد الحميد
 ابن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس أنه قال : حضرت عصابة
 من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا القاسم ، حدثنا عن خيالات
 نسألك عنهن ، لا يعلمهن إلا نبي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلوا
 عما شئتم ، ولكن اجعلوا لي ذمة الله ، وما أخذ يعقوب على بنيهِ ، لئن أنا حدثتكم
 شيئاً فعرقتموه ، لتتابعنني على الإسلام . فقالوا : ذلك لك . فقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم : سلوني عما شئتم . فقالوا : أخبرنا عن أربع خيالات نسألك عنهن :
 أخبرنا ، أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ؟ وأخبرنا

(١) انظر ما سلف : ٢٨٣ ، وهذا الجزء : ٢ : ١٤٠

(٢) في المطبعة : « يونس عن بكير » ، وهو خطأ محض .

كيف ماءُ المرأة وماء الرجل ؟ وكيف يكون الذكر منه والأنثى ؟ وأخبرنا بهذا النبي الأُمِّي في النوم وَمَنْ وَلِيَّهِ مِنَ الملائكة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عليكم عهدُ الله لئن أنا أنبأتكم لتتابعنني ! فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق . فقال : نشدُكم بالذي أنزل التوراة على مُوسى ، هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضاً شديداً فطال سُقمه منه ، فنذر نذراً لئن عافاه الله من سُقمه ليحرّم من أحب الطعام والشراب إليه ، وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل — قال : أبو جعفر فيأ أروى — ^(١) وأحب الشراب إليه ألبانها ؟ فقالوا : اللهم نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشهد الله عليكم وأنشدُكم بالله الذي لا إله إلا هو ، الذي أنزل التوراة على مُوسى ، هل تعلمون أن ماء الرجل أبيضٌ غليظٌ ، وأن ماء المرأة أصفر رقيقٌ ، فأيهما علاّ كان له الولدُ والشّبه بإذن الله ، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولدُ ذكراً بإذن الله ، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن الله ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : اللهم اشهد ! قال : وأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن هذا النبي الأُمِّي تنامُ عَيْناه ولا ينامُ قلبه ؟ قالوا : اللهم نعم ! قال : اللهم اشهد ! قالوا : أنت الآن تحدّثنا مَنْ وَلِيَّكَ مِنَ الملائكة ، ^(٢) فعندها نتابعك أو نفارقك . قال : فإن وليّ جبريل ، ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليّهُ . قالوا : فعندها نفارقك ، لو كان وليّك سواه من الملائكة ، تابعناك وصدّقناك . قال : فما يمنعكم أن تصدّقوه ؟ قالوا : إنه عدونا ! فأنزل الله عز وجل : « من كان عدواً لجبريل فإنه نزّل على قلبك بإذن الله » إلى قوله « كأنهم لا يعلمون » ، فعندها باؤوا بغضب على غضب . ^(٣)

(١) في المطبوعة : « نيا أرى » — وانظر ما سلف قريباً : ٣٧٦

(٢) في تفسير ابن كثير ١ : ٢٣٩ « أنت الآن فحدّثنا . . . » ، وهي جيدة .

(٣) الأثر : ١٦٠٥ — إسناده صحيح . يونس بن بكير بن واصل الشيباني : ثقة ، من تكلم فيه فلا حجة له ، وأخرج له مسلم في صحيحه . وترجمته في التهذيب ، والكبير للبخارى ٤/١١١ ، وابن سعد ٦ : ٢٧٩ ، وابن أبي حاتم ٤/٢٣٦ . ووقع في المطبوعة هنا « يونس عن بكير » ! وهو خطأ واضح . عبد الحميد بن بهرام — بفتح الباء وسكون الهاء — الفزاري : ثقة ، وثقه أحمد وابن معين

١٦٠٦ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني محمد بن إسحق قال ، حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي الحسين - يعني المكي - ، عن شهر ابن حوشب الأشعري : أن نفرًا من اليهود جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد ، أخبرنا عن أربع نسألكَ عنهن ، فإن فعلت اتبعتناك وصدقناك وآمننا بك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقه ، لئن أنا أخبرتكم بذلك لتصدَّقُنَّي؟ قالوا : نعم . قال : فاسألوا عما بدا لكم . فقالوا : أخبرنا كيف يشبه الولدُ أمه ، وإنما النطفة من الرجل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنشدُكم بالله وبآيَّامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة ، ونطفة المرأة صفراء رقيقة ، فأيتُّهما عَكَت صاحبُها كان لها الشبه ؟ ^(١) قالوا : نعم . قالوا : فأخبرنا كيف نومك ؟ قال : أنشدكم بالله وبآيَّامه ٣٤٣/١ عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أن هذا النبي الأُمِّي تنام عيناه ولا ينَام قلبه ؟ ^(٢)

وغيرهما . وتكلم فيه بعضهم من أجل روايته عن شهر بن حوشب ، وهو روايته ، ولكن شهر ثقة أيضاً ، كما أشرنا في : ١٤٨٩ .

والحديث رواه أحمد في المسند ، مطبوعاً : ٢٥١٤ ، وابن سعد في الطبقات ١/١٠١ - ١١٦ ، كلاهما من هاشم بن هاشم بن القاسم ، عن عبد الحميد بن بهرام ، بهذا الإسناد . ثم رواه أحمد : ٢٥١٥ ، عن محمد بن بكار ، عن عبد الحميد بن بهرام ، به ، ولم يذكر لفظه ، لإحالة على ما قبله . ورواه أحمد أيضاً : ٢٤٧١ ، مختصراً ، عن حسين ، وهو ابن محمد المروزي ، عن عبد الحميد ابن بهرام .

ورواه أيضاً : ٢٤٨٣ ، من وجه آخر ، أطول قليلاً . وكذلك رواه أبو نعيم في الحلية ٤ : ٣٠٤ - ٣٠٥ من هذا الوجه .

وذكر الهيثمي الرواية : ٢٤٨٣ ، وأشار إلى ما في الرواية : ٢٥١٤ من الزيادة ، في مجمع الزوائد ٨ : ٢٤١ - ٢٤٢ ، وقال : « رواه أحمد والطبراني ، ورجالها ثقات » .

ونقل ابن كثير في التفسير ١ : ٢٣٨ - ٢٣٩ رواية الطبري التي هنا ، ثم أشار إلى رواية المسند : ٢٥١٤ . ثم نقل رواية المسند : ٢٤٨٣ في ١ : ٢٤٠ ، ونقل روايتي المسند أيضاً ٢ : ١٨٦ - ١٨٧ . (١) في المطبوعة : « فأيهما غلبت صاحبُها » ، والصواب من نص سيرة ابن هشام ٢ : ١٩١ -

١٩٢

(٢) نص ابن إسحق في رواية ابن هشام ٢ : ١٩٢ : « هل تعلمون أن نوم الذي تزعمون أني لستُ به ، تنام عيناهُ وقلْبُهُ يَقْظَانُ؟ فقالوا : اللهم نعم . قال : فكذلك

قالوا : اللهم نعم . قال : اللهم اشهد ! قالوا أخبرنا أى الطعام حرّم لإسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ؟ قال : هل تعلمون أنه كان أحبّ الطعام والشراب إليه ألبان الإبل ولحومها ، وأنه اشتكى شكوى فعاياه الله منها ، فحرّم أحب الطعام والشراب إليه شكراً لله ، فحرّم على نفسه لحوم الإبل وألبانها ؟ قالوا : اللهم نعم . قالوا : فأخبرنا عن الروح . قال : أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلمون أنه جبريل ، ^(١) وهو الذى يأتيني ؟ قالوا : نعم ، ولكنه لنا عدو ، وهو مَلَكٌ إنما يأتى بالشدة وسفك الدماء ، فلولا ذلك اتبعناك . فأنزل الله فيهم : « قل مَنْ كان عدواً لجبريل فإنه نزّله على قلبك » إلى قوله « كأنهم لا يعلمون » . ^(٢)

١٦٠٧ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، حدثني القاسم بن أبي بزة : أن يهوداً سألوا النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ صاحبه الذى ينزل عليه بالوحي ؟ فقال : جبريل . قالوا : فإنه لنا عدو ، ولا يأتى إلا بالحرب والشدة والقتال ! فنزل : « من كان عدواً لجبريل » الآية . قال ابن جريج : وقال مجاهد : قالت يهود : يا محمد ، ما ينزل جبريل إلا بشدة وحرب ! وقالوا : إنه لنا عدو ! ^(٣) فنزل : « من كان عدواً لجبريل » الآية . ^(٤)

* * *

وقال آخرون : بل كان سبب قيلهم ذلك ، من أجل مناظرة جرت بين

نوى ، تنام عيني وقلبي يقظان . قالوا : فأخبرنا عما حرّم إسرائيل على نفسه ؟

وبعد ذلك اختلاف أيضاً في رواية ابن جرير عن ابن إسحق .

(١) في سيرة ابن هشام : « هل تعلمونه » ، وهو أشبه بالصواب .

(٢) الأثر : ١٦٠٦ - هو حديث مرسل ، مضى جزء منه ، بهذا الإسناد : ١٤٨٩ . وأشار إليه ابن كثير ١ : ٢٣٩ - ٢٤٠ ، عقب حديث ابن عباس الذى قبله ، وصرح أيضاً بأنه رواه محمد بن إسحق مرسل .

وفي سيرة ابن هشام ٢ : ١٩١ - ١٩٢ ، وفيه اختلاف في بعض اللفظ . وقد ساق ابن كثير هذين الأثرين (١٦٠٥ ، ١٦٠٦) ، وخرجهما ، واستوفى الكلام في هذه القصة في تفسيره ١ : ٢٣٨ - ٢٤٥ .

(٣) في تفسير ابن كثير ١ : ٢٤٠ : « إلا بشدة وحرب وقتال فإنه لنا عدو » .

(٤) الأثر : ١٦٠٧ - وهذا منقطع ، وقد ذكره ابن كثير ١ : ٢٤٠ ، عن هذا الموضع .

و « القاسم بن أبي بزة » : سبق في : ٦٣١ ، وهو يروى عن التابعين .

عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبينهم ، فى أمر النبي صلى الله عليه وسلم . ذكر من قال ذلك :

١٦٠٨ - حدثني محمد بن المثنى قال ، حدثنا ربيع بن عُلَية ، عن داود ابن أبي هند ، عن الشعبي ، قال : نزل عُمر الرِّوْحاء ، فرأى رجالا يبتدرون أحجاراً يصلُّون إليها ، فقال : ما هؤلاء ؟ قالوا : يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلَّى ههنا . فكره ذلك وقال : أينما ؟ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أدركته الصلاةُ بوادٍ ، فصلى ، ثم ارتحل فتركه ! ^(١) ثم أنشأ يحدِّثهم فقال : كنت أشهدُ اليهود يومَ ميِّدَ رأسهم فأعجبُ من التوراة كيف تصدَّق الفرقان ، ومن الفرقان كيف يصدَّق التوراة ! فبينما أنا عندهم ذات يوم قالوا : يا ابنَ الخطاب ، ما من أصحابك أحدٌ أحبُّ إلينا منك . قلت : ولم ذلك ؟ قالوا : إنك تغشانا وتأتينا . قال قلت : إني آتيكم فأعجبُ من الفرقان كيف يصدَّق التوراة ، ومن التوراة كيف تصدَّق الفرقان ! قال : ومَرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا ابنَ الخطاب ، ذاك صاحبكم فالحقُّ به . قال : فقلت لهم عند ذلك : أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو ، وما استرعاكم من حَقِّه واستودعكم من كتابه ، أتعلمون أنه رسول الله ؟ قال : فسكتوا ، قال : فقال عالمهم وكبيرهم : إنه قد عظمَ عليكم فأجيبوه . ^(٢) قالوا : أنت عالمنا وسيدنا ، فأجبه أنت . قال : أمّا إذ نشدتنا به ، فلما نعلم أنه رسول الله . قال : قلت ويحكم ! إذاً هلكنم ! ^(٣) قالوا : إنا لم نهلك . قال : قلت : كيف ذاك ، وأنتم تعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لا تتبعونه ولا تصدقونه ؟

(١) فى المطبوعة : « وقال : إنما رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركته الصلاة » ، وهى عبارة ركيكة . وأثبت ما جاء فى تفسير ابن كثير عن الطبرى ١ : ٢٤٠ . وقوله « أيما » استفهام وتعجب ، وأكثر ما تكتب : « أيم » (بفتح فسكون ففتح) ، وبحذف الألف . تقول : أيم تقول ؟ أى : أى شئ تقول ؟ وانظر اللسان (أيم) . يتمتع عمر من فعلهم .

(٢) فى تفسير ابن كثير ١ : ٢٤٢ : « قد غلظ عليكم » .

(٣) فى المطبوعة : « أى هلكنم » ، والصواب فى تفسير ابن كثير .

قالوا : إن لنا عدوًّا من الملائكة وسلماً من الملائكة ، وإنه مُقرِّن به عدونا من الملائكة .^(١) قال : قلت : ومن عدوكم ؟ ومن سلِّمكم ؟ قالوا : عدونا جبريل ، وسلِّمنا ميكائيل . قال : قلت : وفيم عاديتم جبريل ؟ وفيم سالمتم ميكائيل ؟ قالوا : إن جبريل مَلَكُ الفِظَاطَةِ والغِلْظَةِ والإعْصَارِ والتشديد والعذاب ونحو هذا ، وإن ميكائيل مَلَكُ الرَّأْفَةِ والرحمة والتخفيف ونحو هذا . قال : قلت : وما منزلتهما من ربهما ؟ قالوا : أحدهما عن يمينه ، والآخر عن يساره . قال : قلت : فوالله الذي لا إله إلا هو ، إنهما والذي بينهما لعدوٌّ لمن عاداهما ، وسلِّم لمن سالمهما ، ما ينبغي لجبريل أن يُسلم عدوَّ ميكائيل ، ولا لميكائيل أن يسلم عدوَّ جبريل ! قال : ثم قمتُ فاتبعت النبي صلى الله عليه وسلم ، فلحقته وهو خارج من مخرفة لبنى فلان ،^(٢) فقال لي : يا ابن الخطاب ، ألا أقرئك آياتَ نَزَلْنَ ؟ فقرأ علىّ : « قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لجبريلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ » حتى قرأ الآيات . قال : قلت : بأبي وأمي أنت يا رسول الله ،^(٣) والذي بعثك بالحق لقد جئتُ وأنا أُريدُ أن أخبرك الخبر ، فأسمع اللطيف الخبير قد سبقني إليك بالخبر !^(٤)

(١) السلم : المسالم . تقول : أنا سلم لمن سلمني . رجل سلم ، وقوم سلم ، وامرأة سلم .

(٢) في المطبوعة : « خرفة » ، وفي تفسير ابن كثير « خوخة » والصواب « مخرفة » كما أثبتها . والمخرفة : البستان ، أو سكة بين صفتين من نخل . خريف النخل والتمر : اجتناؤه ، واجتناؤه التمر هو « الخرفة » (بضم فسكون) .

(٣) في المطبوعة : « بأبي وأمي يا رسول الله » بإسقاط « أنت » ، وأثبت ما في تفسير ابن كثير .

(٤) الحديث : ١٦٠٨ - وهذا مرسل أيضاً . ذكره ابن كثير ١ : ٢٤١ - ٢٤٣ ، عن هذا الموضع ، ثم عن تفسير ابن أبي حاتم ، من رواية مجالد عن عامر - وهو الشعبي - وسأقن نحوها أيضاً من رواية مجالد رقم : ١٦١٤ . ثم قال ابن كثير : « وهذان الإسنادان يدلان على أن الشعبي حدث به عن عمر . ولكن فيه انقطاع بينه وبين عمر ، فإنه لم يدرك زمانه » . وقال السيوطي في الدر المنثور ١ : ٩٠ « صحيح الإسناد ولكن الشعبي لم يدرك عمر »

ربمى ، بكسر الراء والعين المهملة ، بينهما باء موحدة ساكنة ، وآخره ياء تحتية مشددة : هو « ربمى بن إبراهيم بن مقسم الأسدي » عرف « بابن عليّة » ، كأخيه « لإسماعيل بن عليّة » . وربمى : ثقة مأمون ، من شيوخ أحمد وأبي خيثمة وغيرهما . وقال عبد الرحمن بن مهدي : « كنا نمد ربمى بن عليّة من بقايا شيوخنا » . وفي المسند : ٧٤٤٤ أن أحمد بن حنبل قال : « كان يفضل على أخيه » . وهو

١٦٠٩ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن داود ، عن الشعبي قال ، قال عمر : كنت رجلاً أغشى اليهود في يوم مِدْرَاسهم ، ثم ذكر نحو حديث ربي . (١)

١٦١٠ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن عمر بن الخطاب انطلق ذات يوم إلى اليهود ، فلما أبصروه رحبوا به . فقال لهم عمر : أمّا والله ما جئتُ لحبِّكم ولا للرغبة فيكم ، ولكن جئتُ لأسمع منكم . فسألهم وسألوه ، فقالوا : من صاحبُ صاحبكم ؟ فقال لهم : جبريلُ . فقالوا : ذاك عدونا من أهل السماء ، يُطلع محمداً على سرِّنا ، وإذا جاء جاء بالحرب والسنة^(٢) ، ولكن صاحبُ صاحبنا ميكائيل ، وكان إذا جاء جاء بالخِصْبِ وبالسَّلم . فقال لهم عمر : أفتعرفون جبريل وتذكرون محمداً ؟ فقارَقهم عمر عند ذلك ، وتوجه نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحدثه حديثهم ، فوجده قد أنزل عليه هذه الآية : « قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجَبْرِيلِ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ » .

١٦١١ - حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن قتادة قال : بلغنا أن عمر بن الخطاب أقبل على اليهود يوماً ، فذكر نحوه .

١٦١٢ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجَبْرِيلِ » ، قال : قالت اليهود :

مترجم في التهذيب ، والكبير ٢٩٩/١/٢ ، وابن أبي حاتم ٥٠٩/٢/١ - ٥١٠ .
داود بن أبي هند : ثقة ، جيد الإسناد ، رفع ، من حفاظ البصريين . ترجمته في التهذيب ، والكبير ٢١١/١/٢ - ٢١٢ ، والصغير : ١٦٠ ، وابن أبي حاتم ٤١١/٢/١ - ٤١٢ .
الشعي : هو عامر بن شراحيل الحمداني ، إمام جليل الشأن ، من كبار التابعين . ولكنه لم يدرك عمر ، كما قال ابن كثير . فإنه ولد سنة ١٩ ، أو سنة ٢٠ .

(١) الأثر : ١٦٠٩ - في المطبوعة : « حدثني يعقوب قال حدثنا إبراهيم قال حدثنا ابن علية »
والصواب ما أثبتته ، يعقوب بن إبراهيم الدورقي ، وقد سلف مراراً بهذا الإسناد ، وروايته عن ابن علية .
(٢) السنة : الجذب والقحط .

إن جبريل هو عدونا، لأنه يتزل بالشدة والحرب والسنة، وإن ميكائيل يتزل بالرخاء والعافية والخصب، فجبريل عدونا . فقال الله جل ثناؤه : « من كان عدواً لجبريل » .

١٦١٣ - حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصداقاً لما بين يديه » ، قال : كان لعمر بن الخطاب أرض بأعلى المدينة ، فكان يأتيها ، وكان ممره على طريق مِدراس اليهود ، وكان كلما دخل عليهم سمع منهم . وإنه دخل عليهم ذات يوم فقالوا : يا عمر ، ما في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحدٌ أحب إلينا منك ، إنهم يَمرون بنا فيؤذوننا ، وتمر بنا فلا تؤذينا ، وإنا لنطمع فيك . فقال لهم عمر : أيُّ يمين فيكم أعظم ؟ قالوا : الرحمن الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء . فقال لهم عمر : فأنشدكم بالرحمن الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء ، أتجدون محمداً صلى الله عليه وسلم عندكم ؟ فأسكتوا . (١)

فقال : تكلموا ، ما شأنكم ؟ فوالله ما سألتكم وأنا شاكٌ في شيء من ديني . فنظر بعضهم إلى بعض ، فقام رجل منهم فقال : أخبروا الرجل ، لتخبرنه أولاً خبرته . قالوا : نعم ، إنا نجدُه مكتوباً عندنا ، ولكن صاحبه من الملائكة الذي يأتيه بالوحي هو جبريل ، وجبريل عدونا ، وهو صاحب كل عذاب أو قتال أو خسف ، ولو أنه كان وليه ميكائيل ، إذاً لآمنّا به ، فإن ميكائيل صاحب كل رحمة وكل غيث . فقال لهم عمر : فأنشدكم بالرحمن الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء ، أين مكان جبريل من الله ؟ قالوا : جبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره . قال عمر : فأشهدكم أن الذي هو عدوٌّ للذي عن يمينه ، عدوٌّ للذي هو عن يساره ؛ والذي هو عدوٌّ للذي هو عن يساره ، عدوٌّ للذي هو عن يمينه ؛ وأنه من كان عدوًّاهما ، فإنه عدوٌّ لله . ثم رجع عمر ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم ،

(١) سكت الرجل : صمت . وأسكت الرجل (غير متعد) : انقطع كلامه فلم يتكلم ، وأطرق من فكرة انتابته وقطعته .

فوجد جبريل قد سبقه بالوحي ، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقرأه عليه . فقال
عمر : والذي بعثك بالحق ، لقد جئتكم وما أريد إلا أن أخبركم !^(١)

١٦١٤ - حدثني الثني قال ، حدثنا إسحق بن الحجاج الرازي قال ، حدثنا
عبد الرحمن بن مغراء أبو زهير ، عن مجالد ، عن الشعبي قال : انطلق
عمر إلى يهود فقال : إني أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى ، هل تجدون
محمداً في كتابكم ؟ قالوا نعم . قال : فما يمنعكم أن تتبعوه ؟ قالوا : إن الله لم يبعث
رسولاً إلا كان له كِفْلٌ من الملائكة ، وإن جبريل هو الذي يتكفل لمحمد ، وهو
عدونا من الملائكة ، وميكائيل سَلِمْنَا ، فلو كان هو الذي يأتيه اتبعناه . قال :
فلإني أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى ، ما منزلتهما من رب العالمين ؟ قالوا
جبريل عن يمينه ، وميكائيل عن جانبه الآخر . فقال : إني أشهدُ ما يقولان إلا
بإذن الله ،^(٢) وما كان لميكائيل أن يُعادي سَلِمَ جبريل ، وما كان جبريل ليسلم
عدوَّ ميكائيل . [فبينما هو عندهم] ، إذ مر نبي الله صلى الله عليه وسلم ،^(٣) فقالوا :
هذا صاحبك يا ابن الخطاب . فقام إليه ، فأثابه وقد أنزل عليه : « من كان عدواً
لجبريل فإنه نزل على قلبك بإذن الله » إلى قوله « فإن الله عدوٌّ للكافرين » .^(٤)

(١) الأثر : ١٦١٣ - في الدر المنثور ١ : ٩٠ - ٩١ مع اختلاف يسير في اللفظ ،
واختصار في روايته .

(٢) في تفسير ابن كثير ١ : ٢٤٣ : « ما ينزلان إلا بإذن الله » ، وكأنه هو الصواب .

(٣) ما بين القوسين زيادة لا بد منها ، زدتها من تفسير ابن كثير ١ : ٢٤٢ ، من رواية ابن
أبي حاتم في تفسيره .

(٤) الحديث : ١٦١٤ - وهذا إسناد مرسل أيضاً ، ووقع فيه في المطبعة خطأ في موضعين .
أثبتنا الصواب ليقين به . وكان في المطبعة « حدثنا عبد الرحمن بن مغراء قال ثنا زهير عن مجاهد عن
الشعبي » . فلا يوجد في شيوخ ابن مغراء ، ولا في الرواة عن « مجاهد » أو « مجالد » من يسمى « زهيراً » .
و « مجاهد عن الشعبي » خطأ أيضاً ، وكلاهما من كبار التابعين ، من طبقة واحدة ، ومجاهد أقدم قليلاً .
وعبد الرحمن بن مغراء لا يدرك أن يروى عن مجاهد ، ولا عن الشعبي .

مجالد : هو ابن سعيد الهذلي ، وهو ثقة ، ضعفه بعض الأئمة وروى عنه من الأئمة : شعبة
والسفيان وابن المبارك ، ورجعنا تصحيح حديث القدماء عنه ، في شرح المسند ٣٧٨١ ، لأن أعدل
كلمة فيه قول عبد الرحمن بن مهدي « حديث مجالد عند الأحداث - يحيى بن سعيد وأبي أسامة . ليس

١٦١٥ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ابن عبد الرحمن ، عن ابن أبي ليلى في قوله : « من كان عدواً لجبريل » . قال : قالت اليهود للمسلمين : لو أن ميكائيل كان الذى ينزل عليكم لتبعناكم ، فإنه ينزل بالزحمة والغيث ، وإن جبريل ينزل بالعذاب والنقمة ، وهو لنا عدو . قال : فترلت هذه الآية : « من كان عدواً لجبريل » . (١)

١٦١٦ - حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبد الملك ، عن عطاء بنحو ذلك .

* * *

قال أبو جعفر : وأما تأويل الآية - أعني قوله : « قُلْ من كان عدواً لجبريل فإنه نَزَّلَهُ على قلبك بإذن الله » - فهو : أن الله يقول لنبيه : قل يا محمد - لمعاشر اليهود من بنى إسرائيل ، الذين زعموا أن جبريل لهم عدو ، من أجل أنه صاحب سَطَوَاتٍ وعَذَابٍ وعُقُوبَاتٍ ، لا صاحب وحيٍّ وتنزيلٍ ورحمة ، فأبوا اتباعك ، وجحدوا نبوتك ، وأنكروا ما جئتهم به من آياتي وبيناتٍ حُكْمِي ، من أجل أن جبريل وليُّك وصاحب وحيِّ ليلك ، وزعموا أنه عدوٌّ لهم - : من يكن من الناس

بشيء ، ولكن حديث شعبة وحامد بن زيد وهشيم وهؤلاء القدماء ، « . قال ابن أبي حاتم : « يعنى أنه تغير حفظه في آخر عمره » . وذكر ابن سعد في ترجمته ٦ : ٢٤٣ جرح يحيى القطان إياه ، ثم قال : « وقد روى عنه يحيى بن سعيد القطان مع هذا ، وروى عنه سفيان الثوري ، وشعبة ، وغيرهم » . وترجمته في التهذيب ، والكبير للبخارى ٩/٢/٤ ، والصغير : ١٦٨ ، ١٦٩ ، وابن أبي حاتم ١/٤/٣٦١ - ٣٦٢ .

إسحاق بن الحجاج الرازى : هو الطاحوني المقرئ ، ترجمناه له فيما مضى : ٢٣٠ . وعبد الرحمن بن مفراء بن عياض الدوسي ، أبو زهير : ثقة ، تكلم بمضهم في روايته عن الأعمش ، وهو مترجم في التهذيب وابن أبي حاتم ٢/٢/٢٩٠ - ٢٩١ .

وهذا الحديث نقله ابن كثير ١ : ٢٤٢ - ٢٤٣ ، من تفسير ابن أبي حاتم . « حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن مجالد ، عن عامر . . . » - وهو الشعبي ، فذكر نحوه . ثم بين ابن كثير أنه منقطع ، كما أشرنا آنفاً .

والراجع عندي أن عبد الرحمن بن مفراء من روى عن مجالد بعد تدينه .

(١) الأثر : ١٦١٥ - في تفسير ابن كثير ١ : ٢٤٣ مع اختلاف يسير في لفظه .

لجبريل عدوًّا ، ومنكرًا أن يكون صاحبَ وحى الله إلى أنبيائه ، وصاحب رحمته ،
فلأنى لهُ ولىٌّ وخليلٌ ، ومقرٌّ بأنه صاحب وحى إلى أنبيائه ورسله ، وأنه هو الذى
ينزل وحىَ الله على قلبى من عند ربى ، بإذن ربى له بذلك ، يربط به على قلبى ،
ويشُدُّ فؤادى ، كما : —

١٦١٧ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر
ابن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس فى قوله : « قل من
كان عدوًّا لجبريل » ، قال : وذلك أن اليهود قالت — حين سألتُ محمدًا صلى الله
عليه وسلم عن أشياء كثيرة فأخبرهم بها على ما هى عندهم — : « إلا جبريل » ، فإن
جبريل كان عند اليهود صاحب عذاب وسطوة ، ولم يكن عندهم صاحب وحى
— يعنى : تنزيل من الله على رسله — ولا صاحب رحمة ، فأخبرهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيما سألوهُ عنه : أن جبريل صاحب وحى الله ، وصاحب نعمته ،
وصاحب رحمته ، فقالوا : ليس بصاحب وحى ولا رحمة ، هو لنا عدوٌّ ! فأنزل الله
عز وجل لإكذاباً لهم : « قل » يا محمد : « من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزله على قلبك » ،
يقول : فإن جبريل نزله — يقول : نزل القرآن — بأمر الله يشد به فؤادك ، ويربط ٣٤٦/١
به على قلبك — يعنى : بوحينا الذى نزل به جبريل عليك من عند الله — وكذلك
يفعل بالمرسلين والأنبياء من قبلك .

١٦١٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن
قتادة قوله : « قل من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله » ، يقول :
أنزل الكتاب على قلبك بإذن الله .

١٦١٩ — وحدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن
الربيع : « فإنه نزله على قلبك » ، يقول : نزل الكتاب على قلبك جبريل .

• • •

قال أبو جعفر : وإنما قال جل ثناؤه : « فإنه نزله على قلبك » — وهو يعنى

بذلك قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد أمرَ محمدًا في أول الآية أن يُخبر اليهود بذلك عن نفسه — ولم يقل : فإنه نزلَه على قلبي = ولو قيل : « على قلبي » كان صواباً من القول = لأن من شأن العرب إذا أمرت رجلاً أن يُحكى ما قيل له عن نفسه ، أن تخرج فعلَ المأمور مرةً مضافاً إلى كناية نفس المخبر عن نفسه ، إذ كانَ المخبرَ عن نفسه ، ومرةً مضافاً إلى اسمه ، كهيئة كناية اسم المخاطب ، لأنه به مخاطب . فتقول في نظير ذلك : « قل للقوم إن الخير عندي كثير » — فتخرج كناية اسم المخبر عن نفسه ، لأنه المأمور أن يخبر بذلك عن نفسه — : و « قل للقوم إن الخير عندك كثير » — فتخرج كناية اسمه كهيئة كناية اسم المخاطب ، لأنه وإن كان مأموراً بقيل ذلك ، فهو مخاطب مأمور بحكاية ما قيل له . وكذلك « لا تقل للقوم إنني قائم » و « لا تقل لهم إنك قائم » ، و « الباء » من « إني » اسم المأمور بقول ذلك ، على ما وصفنا . ومن ذلك قول الله عز وجل : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَيُغْلَبُونَ ﴾ و ﴿ تُغْلَبُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٢] ، بالياء والتاء .^(١)

* * *

وأما « جبريل » فإن للعرب فيه لغات : فأما أهل الحجاز فإنهم يقولون : « جبريل ، وميكال » بغير همز ، بكسر الجيم والراء من « جبريل » وبالتخفيف . وعلى القراءة بذلك عامة قراءة أهل المدينة والبصرة . أما تميمٌ وقيسٌ وبعضُ نجد فيقولون : « جبرئيل وميكائيل » على مثال « جبرئيل وميكائيل » ، بفتح الجيم والراء ، وبهمزٍ ، وزيادة ياء بعد الهمزة . وعلى القراءة بذلك عامة قراءة أهل الكوفة ، كما قال جرير بن عطية :

عَبَدُوا الصَّلِيبَ وَكَذَّبُوا مُحَمَّدًا وَجِبْرِيلَ وَكَذَّبُوا مِيكَالاً^(٢)

(١) انظر معاني القرآن للفراء : ١ : ٦٣ .

(٢) ديوانه : ٤٥٠ ، ونقائض جرير والأخطل : ٨٧ ، من قصيدته الدامغة في هجاء الأخطل ،

والضمير إلى تغلب ، رط الأخطل ، وقبلة :

فَبَحَّ الْإِلَهُ وَجُوهَ تَغْلِبَ ، كُلَّمَا شَبَحَ الْحَجِيجُ وَكَبَّرُوا إِهْلَالَ

وقد ذكر عن الحسن البصري وعبد الله بن كثير أنهما كانا يقرآن : « جَبْرِيل » بفتح الجيم وترك الهمز .

قال أبو جعفر : وهى قراءة غير جائزة القراءة بها ، لأن « فَعْلِيل » فى كلام العرب غير موجود . (١) وقد اختار ذلك بعضهم ، وزعم أنه اسم أعجمى ، كما يقال : « سَمُوِيل » ، وأنشد فى ذلك : (٢)

بِحَيْثُ لَوْ وَزِنْتَ لَخَمٌ بِأَجْمَعِهَا مَا وَزَّانَتْ رِيشَةً مِنْ رِيشِ سَمُوِيلَا (٣)
وأما بنو أسد فلإنها تقول : « جَبْرِين » بالنون . وقد حكى عن بعض العرب أنها تزيد فى « جَبْرِيل » ألفاً فتقول : « جَبْرَائِيل وَمِيكَائِيل » .

وقد حكى عن يحيى ابن يعمر أنه كان يقرأ : « جَبْرِئِيلَ » بفتح الجيم ، والهمز ، وترك المد ، وتشديد اللام .

فأما « جَبْر » و « مِيك » ، فإنهما الاسمان اللذان أحدهما بمعنى : « عبد » ، والآخر بمعنى : « عبيد »

• • •

(١) فى المطبوعة : « فَعِيل » ، وهو خطأ .

(٢) هو الربيع بن زياد العبسى ، أحد الكلمة من بنى فاطمة بنت الخرشب الأنمارية .

(٣) الأغاني ١٤ : ٩٢ ، ١٦ : ٢٢ ، واللسان (سجل) ، من أبيات أرسلها الربيع إلى النعمان ابن المنذر فى خبر طويل ، حين قال لبيد فى رجزه :

« مَهْلًا ، أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، لَا تَأْكُلْ مَعَهُ »

وزعم أنه أبرص الخبيثة ، وذكر من فعله قبيحاً كريهاً ، فرحل الربيع عن النعمان ، وكان له نديماً ، وأرسل إليه أبياته :

لَنْ رَحَلْتُ جَمَالِي لَا إِلَى سَعَةٍ مَا مِثْلُهَا سَعَةٌ عَرْضًا وَلَا طُولًا
بِحَيْثُ لَوْ وَزِنْتَ لَخَمٌ بِأَجْمَعِهَا لَمْ يَعْدِلُوا رِيشَةً مِنْ رِيشِ سَمُوِيلَا
تَرْغَى الرِّوَاثِمُ أَخْرَارَ الْبُقُولِ بِهَا لَا مِثْلَ رَغِيكُمُ مِلْحًا وَغُسُوِيلَا
فَانْتَبَتْ بِأَرْضِكَ بَعْدِي ، وَأَخْلُ مَتَكُنَّا مَعَ النَّطَاسِيِّ طَوْرًا وَابْنِ تَوْفِيلَا

ونظم : هم رط آل المنذر ملوك الحيرة .

وأما « إيل » فهو الله تعالى ذكره ، كما : -

١٦٢٠ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح الحماني ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير قال ، قال ابن عباس : « جبريل » و « ميكائيل » ، كقولك : عبد الله .

١٦٢١ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين ٣٤٧/١ ابن واقد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : « جبريل » عبد الله ؛ و « ميكائيل » ، عبيد الله . وكل اسم « إيل » ، فهو : الله .

١٦٢٢ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إسماعيل ابن رجاء ، عن عمير مولى ابن عباس : أن « إسرائيل ، وميكائيل وجبريل ، وإسرافيل » كقولك : عبد الله .

١٦٢٣ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن المنهال ابن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث قال : « إيل » ، الله ، بالعبرانية .

١٦٢٤ - حدثنا الحسين بن يزيد الضحاك قال ، حدثنا إسحق بن منصور قال ، حدثنا قيس ، عن عاصم ، عن عكرمة ، قال : « جبريل » اسمه : عبد الله ؛ و « ميكائيل » اسمه : عبيد الله . « إيل » : الله .

١٦٢٥ - حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي قال ، حدثنا أبو أحمد الزبير قال ، حدثنا سفيان ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن علي بن حسين قال : اسم « جبريل » عبد الله ، واسم « ميكائيل » عبيد الله ، واسم « إسرافيل » : عبد الرحمن . وكلُّ معبَّد « إيل » ، فهو : عبد الله .^(١)

١٦٢٦ - حدثنا المنفي قال ، حدثنا قبيصة بن عقبة قال ، حدثنا سفيان ، عن

(١) الخبر : ١٦٢٥ - الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي : ضعيف ، قال أبو زرعة : « لا يصدق » . وهو مترجم في لسان الميزان ، وابن أبي حاتم ٦١/٢/١ - ٦٢ ، والأنساب ، في الورقة : ٤٠١ . و « العنقزي » : بفتح العين المهملة والقاف بينهما نون ساكنة وبالزاي . ووقع في المطبوعة « العنقري » ، وهو تصحيف . وكذلك سبأ في رقم : ١٦٥٥ ، بالتصحيف ، وصحناه هناك .

محمد المدني - قال المثني : قال قبيصة : أراه محمد بن إسحق - عن محمد بن عمرو ابن عطاء ، عن علي بن حسين قال : ما تعدّون « جبريل » في أسمائكم ؟ قال : « جبريل » عبد الله ، و « ميكائيل » عبيد الله . وكل اسم فيه « إيل » ، فهو معبدٌ لله .

١٦٢٧ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن عمرو بن عطاء ، عن علي بن حسين قال : قال لي : هل تدري ما اسم « جبريل » من أسمائكم ؟ قال : قلت : لا . قال : عبد الله . قال : فهل تدري ما اسم « ميكائيل » من أسمائكم ؟ قلت : لا .^(١) قال : عبيد الله . وقد سمي لي « إسرائيل » باسم نحو ذلك فنسيته ، إلا أنه قد قال لي : أرايتَ ، كل اسم يرجع إلى « إيل » فهو معبدٌ له .

١٦٢٨ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن خفيف ، عن عكرمة في قوله : « جبريل » قال : « جبر » عبد ، « إيل » الله ، و « ميكا » قال : عبد . « إيل » : الله .^(٢)

قال أبو جعفر : فهذا تأويل من قرأ « جَبْرَئِيلَ » بالفتح ، والهمز ، والمد . وهو - إن شاء الله - معنى من قرأ بالكسر ، وترك الهمز .

وأما تأويل من قرأ ذلك بالهمز ، وترك المد ، وتشديد اللام ، فإنه قصد بقوله ذلك كذلك ، إلى إضافة « جبر » و « ميكا » إلى اسم الله الذي يُسمّى به بلسان العرب دون السرياني والعبراني . وذلك أن « الإل » بلسان العرب : الله ، كما قال : ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ [سورة التوبة : ١٠] . فقال جماعة من أهل العلم : « الإل » هو : الله . ومنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه - لوفد بني حنيفة ، حين سألهم عما كان مسيلمة يقول ، فأخبروه - فقال لهم : وَيَحْكُمُ

(١) في المطبعة : « قال : لا » ، والصواب ما أثبت .

(٢) لعله « وميكا » . قال : « عبيد » بالتصغير ، كما سلف آنفاً .

« أَيْنَ ذُهِبَ بِكُمْ؟ وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ مَا خَرَجَ مِنْ إِلٍّ وَلَا بَرٍّ ». يعنى « من إله » :
من الله . وقد : —

١٦٢٩ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن عليه ، عن سليمان التيمي ، عن أبي مجلز في قوله : « لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا » وَلَا ذِمَّةً » قال : قول جبريل « و » ميكائيل « و » إسرافيل .

كأنه يقول : حين يضيف « جبر » و « ميكا » و « إسرا » إلى « إيل » يقول : عبد الله .^(١) « لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا » ، كأنه يقول : لَا يَرْقُبُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ » ، القرآن . وَنَصَّبَ « مُصَدِّقًا » عَلَى الْقَطْعِ مِنْ « الْهَاءِ » الَّتِي فِي قَوْلِهِ : « نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ » .^(٢) فَعَنَى الْكَلَامَ : فَإِنَّ جَبْرِيلَ نَزَّلَ الْقُرْآنَ عَلَى قَلْبِكَ ، يَا مُحَمَّدُ ، مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْ الْقُرْآنِ . يعنى بذلك : مُصَدِّقًا لِّمَا سَلَفَ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ أَمَامَهُ ، وَنَزَلَتْ عَلَى رُسُلِهِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَتَصْدِيقُهُ لِبَيِّنَاتِهَا ، مُوَافَقَةُ مَعَانِيهِ مَعَانِيهَا فِي الْأُمُورِ بِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَهِيَ تَصَدِّقُهُ ،^(٣) كَمَا : —

١٦٣٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر ابن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ

(١) لعل الصواب أن يقول : « إسراف » ، مكان « إسرا » ، أو تكون الأولى « إسرائيل » مكان « إسرافيل » .

(٢) القطع : الحال هنا . وانظر ما سلف ١ : ٢٣٠ - ٢٣٢ ، ٣٣٠ ، ٥٦١ .

(٣) في المطبوعة : « وهى تصديقه » والصواب ما أثبت ، يريد : وهى توافقه . كما فسر قبل .

يديه» ، يقول لما قبله من الكتب التي أنزلها الله ، والآيات ، والرسل الذين بعثهم الله بالآيات ، نحو موسى ونوح وهود وشعيب وصالح ، وأشباههم من الرسل صلى الله عليهم .

١٦٣١ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « مصدقاً لما بين يديه » ، من التوراة والإنجيل .
 ١٦٣٢ - حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٩٧)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وَهُدًى » ودليل وبرهان . وإنما سمّاه الله جل ثناؤه « هُدًى » ، لاهتداء المؤمن به . و « اهتداؤه به » اتخاذه إيساه هادياً يتبعه ، وقائداً ينقاد لأمره ونبيه وحلاله وحرامه . و « الهادى » من كل شىء : ما تقدم أمامه . ومن ذلك قيل لأوائل الخيل : « هوادياها » ، وهوما تقدم أمامها . وكذلك قيل للعنق : « الهادى » ، لتقدمها أمام سائر الجسد . (١)

* * *

وأما « البُشْرَى » فلأنها البشارة . أخبر الله عباده المؤمنين جل ثناؤه ، أن القرآن لهم بُشْرَى منه ، لأنه أعلمهم بما أعد لهم من الكرامة عنده في جناته ، وما هم إليه صائرون في معادهم من ثوابه ، وذلك هو « البُشْرَى » التي بشر الله بها المؤمنين في كتابه . لأن « البشارة » في كلام العرب ، هى : إعلامُ الرجل بما لم يَكُنْ به عالماً بما يَسُرُّه من الخبر ، قبل أن يسمعه من غيره ، أو يعلمه من قبل غيره . (٢)

وقد روى في ذلك عن قتادة قول قريب المعنى مما قلناه :

(١) انظر ما سلف ١ : ١٦٦ - ١٧٠ ، ٢٣٠ ، ٢٤٩ ثم ٥٤٩ - ٥٥١ .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٣٨٣ .

١٦٣٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « هدى وبُشرى للمؤمنين » ، لأن المؤمن إذا سمع القرآن حفظه ووعاه ، وانتفع به واطمأن إليه ، وصدق بموعود الله الذى واعد فيه ، وكان على يقين من ذلك .

• • •

القول فى تأويل قوله جل ذكره ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٩٨)

قال أبو جعفر : وهذا خبرٌ من الله جل ثناؤه من كانَ عدوًّا لله ، من عاداه وعادى جميع ملائكته ورُسُلِهِ ، ^(١) وإعلامٌ منه أن من عادى جبريلَ فقد عاداه وعادى ميكائيلَ ، وعادى جميع ملائكته ورُسُلِهِ . لأن الذين ساءم الله فى هذه الآية هم أولياءُ الله وأهلُ طاعته ، ومن عادى الله وليًّا فقد عادى الله وبارزه بالمحاربة ، ومن عادى الله فقد عادى جميع أهل طاعته وولايته . لأن العدوَّ لله عدوٌّ لأوليائه ، والعدوُّ لأولياءِ الله عدوٌّ له . فكذلك قال لليهود — الذين قالوا : إن جبريلَ عدونا من الملائكة ، وميكائيلَ وليُّنا منهم — : « من كانَ عدوًّا لله وملائكته ورُسُلِهِ وجبريلَ وميكالَ فإنَّ الله عدوٌّ للكافرين » ، من أجل أن عدوَّ جبريلَ عدوٌّ كلِّ ولىِّ الله . فأخبرهم جل ثناؤه أن من كانَ عدوًّا لجبريلَ ، فهو لكل من ذكره — من ملائكته ورُسُلِهِ وميكالَ — عدوٌّ ، وكذلك عدوٌّ لبعضِ رُسُلِ الله ، عدوٌّ لله ولكل ولىٍّ . وقد : —

١٦٣٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا عبيد الله — يعنى العتكى — ، عن رجل من قريش قال : سأل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودَ

(١) هكذا فى المطبوعة : « من كانَ عدوًّا لله » ، وهو لا يستقيم ، وكان الصواب « أن من كانَ عدوًّا لله ، عاداه وعادى جميع ملائكته ورُسُلِهِ » بإسقاط « من » من « من عاداه » .

فقال : أسألكم بكتابكم الذى تقرأون ، هل تجدون به قد بَشَّرَ بى عيسى بن مريم أن يأتىكم رسولٌ اسمه أحد ؟ فقالوا : اللهم وَجَدْنَاكَ فى كتابنا ، ولكننا كَرِهْنَاكَ لأنك تستحلُّ الأموال وتُهَرِّيقُ الدِّمَاءَ . فَأَنْزَلَ اللهُ : « من كان عدوًّا لله وملائكته » الآية . (١)

١٦٣٥ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلي قال : إن يهودياً لقي عُمرَ فقال له : إن جبريلَ الذى يذكره صاحبك ، هو عدوُّ لنا . فقال له عمر : من ٣٤٩/١ كان عدوًّا لله وملائكته ورُسُلِهِ وجبريل وميكال فإن الله عدوٌّ للكافرين . قال : فنزلت على لسان مُحمَّد .

وهذا الخبر يدلّ على أن الله أنزل هذه الآية توبيخاً لليهود فى كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وإخباراً منه لهم أن من كان عدوًّا لحمد فالله له عدوٌّ ، وأن عدوَّ محمدٍ من الناس كلهم ، لمن الكافرين بالله ، الجاحدين آياته .

فإن قال قائل : أو ليس جبريل وميكائيل من الملائكة ؟

قيل : بلى .

فإن قال : فما معنى تكرير ذكرهما بأسمائهما ، وقد مضى ذكرهما فى الآية فى جملة أسماء الملائكة ؟

قيل : معنى إفراد ذكرهما بأسمائهما ، أن اليهود لما قالت : « جبريل عدوُّنا ، وميكائيل وليُّنا » — وزعمت أنها كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم ، من أجل أن

(١) الحديث : ١٦٣٤ — عبید الله المتكى : هو عبید الله بن عبد الله ، أبو المنیب المتكى ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين وغيره . وذكره البخارى فى كتاب الضعفاء ، ص : ٢٢ ، وقال : « عنده مناكير » . وقال ابن أبى حاتم ٣٢٢/٢/٢ ، فى ترجمته : « سمعت أبى يقول : هو صالح الحديث . وأذكر على البخارى لإدخاله فى كتاب الضعفاء . وقال : « يحول » . ولكن هذا الحديث منقطع ضعيف الإسناد ، لأن أبى المنیب إنما يروى عن التابعين .

والخبر رواه الحاكم فى المستدرک ٢ : ٢٦٥ ، من طريق إسحق بن إبراهيم ، عن جرير ، به . وصححه الذهبى فى مختصره . ونقله ابن كثير ١ : ٢٤٨ — ٢٤٩ ، عن الطبرى ، ثم أشار إلى رواية الحاكم .

جبريل صاحب محمد صلى الله عليه وسلم — أعلمهم الله أن من كان لجبريل عدوًّا ، فإنَّ الله له عدوٌّ ، وأنه من الكافرين . فنصَّ عليه باسمه وعلى ميكائيل باسمه ، لئلا يقول منهم قائل : إنما قال الله : من كان عدوًّا لله وملائكته ورسله ، ولسنا لله ولا لملائكته ورسله أعداء . لأن الملائكة اسم عام محتمل خاصًّا ، وجبريل وميكائيل غير داخلين فيه . وكذلك قوله : « ورسله » ، فلتست يا محمد داخلًا فيهم . فنص الله تعالى على أسماء من زعموا أنهم أعداؤه بأعيانهم ، ليقطع بذلك تلبيسهم على أهل الضعف منهم ، ويحسم تمويههم أمورهم على المنافقين .

وأما إظهار اسم الله في قوله : « فإنَّ الله عدوٌّ للكافرين » ، وتكريره فيه — وقد ابتدأ أول الخبر بذكره فقال : « من كان عدوًّا لله وملائكته » — فليلا يلبس لو ظهر ذلك بكناية ، ف قيل : « فإنه عدوٌّ للكافرين » ، على سامعه ، من المعنى بـ « الهاء » التي في « فإنه » : أ الله ، أم رسل الله جل ثناؤه ، أم جبريل ، أم ميكائيل ؟ إذ لو جاء ذلك بكناية على ما وصفت ، فإنه يلبس معنى ذلك على من لم يُوقَف على المعنى بذلك ، لاحتمال الكلام ما وصفت . وقد كان بعض أهل العربية يوجه ذلك إلى نحو قول الشاعر :^(١)

لَيْتَ الْغُرَابَ غَدَاةً يَنْمَبُ دَائِمًا كَانَ الْغُرَابُ مُقَطَّعَ الْأَوْدَاجِ^(٢)

وأنه إظهار الاسم الذي حفظه الكناية عنه . والأمر في ذلك بخلاف ما قال . وذلك أن « الغراب » الثاني لو كان مُكَنَّى عنه ، لما التبس على أحد يعقل كلام العرب أنه كناية اسم « الغراب » الأول ، إذ كان لا شيء قبله يحتمل الكلام أن يوجه إليه

(١) هو جرير .

(٢) ديوانه ٨٩ ، وأمال ابن الشجرى ١ : ٢٤٣ ، وغيرها . ورواية ديوانه « ينمب بالنوى » ،

وهو الجيد ، فإن قبله :

إِنَّ الْغُرَابَ ، بِمَا كَرِهْتَ ، لَمَوْلَعُ بِنَوَى الْأَحْيَةِ دَائِمُ التَّشْحَاجِ

والأوداج جمع وديج : وهو عرق من عروق تكثف الملقوم .

غيرُ كناية اسم « الغراب » الأول — وأن قبل قوله : « فإنَّ الله عدوٌّ للكافرين » أسماءٌ ، لو جاء اسم الله تعالى ذكره مكنياً عنه ، ^(١) لم يعلم من المقصودُ إليه بكناية الاسم ، إلا بتوقيف من حجة . فلذلك اختلف أمرهما .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ يَتَّبِعِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ » ، أى أنزلنا إليك يا محمد علاماتٍ واضحاتٍ دالّاتٍ على بُبُوتِكَ : وتلك الآيات هي ما حواه كتابُ الله الذى أنزله إلى محمد صلى الله عليه وسلم من خفايا علوم اليهود ومكنون سرائر أخبارهم وأخبار أوائلهم من بنى إسرائيل ، والنبا عما تضمنته كتبهم التى لم يكن يعلمها إلا أخبارهم وعلمائهم — وما حرفه أوائلهم وأواخرهم وبدلوه ، من أحكامهم التى كانت فى التوراة . فأطلعها الله فى كتابه الذى أنزله على نبيه ٣٥٠/١ محمد صلى الله عليه وسلم . ^(٢) فكان ، فى ذلك من أمره ، الآياتُ البينات لمن أنصف نفسه ، ولم يدعه إلى إهلاكها الحسدُ والبغى . إذ كان فى فطرة كل ذى فطرة صحيحة ، تصديقٌ من أتى بمثل الذى أتى به محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات التى وصفتُ ، من غير تعلُّم تعلّمه من بشر ، ولا أخذ شئ منه عن آدمي . وبنحو الذى قلنا فى ذلك روى الخبر عن ابن عباس .

١٦٣٦ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر ابن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحّاك ، عن ابن عباس : « ولقد أنزلنا إليك

(١) فى المطبوعة : « وإن قيل قوله فإنَّ الله عدوٌّ للكافرين » اسماً لو جاء . . . والصواب ما أثبت . وقد رجم مصححو المطبوعة رجماً لا خير فيه فى تصحيح كلام الطبرى .

(٢) فى المطبوعة : « فأطلع الله فى كتابه . . . » وهو كلام لا يستقيم ، والصواب ما أثبت . يعنى فأظهر الله هذه الخفايا ، وتلك الأخبار ، وما حرفه من الأحكام فى تورائهم .

آيات بيّنات» يقول : فأنت تتلوهم عليهم ، وتخبرهم به غُدوةً وعِشيةً وبين ذلك ، وأنت عندهم أي لم تقرأ كتاباً ، وأنت تخبرهم بما في أيديهم على وجهه . يقول الله : ففي ذلك لهم عبرة وبيان ، وعليهم حجة لو كانوا يعملون .

١٦٣٧ - حدثنا ابن حيد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنا ابن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، وعن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال ابن صُوريا الفِطِيُّونِي لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ^(١) يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه ، وما أنزل الله عليك من آية بيّنة فتتبعك بها ! ^(٢) فأنزل الله عز وجل : « ولقد أنزلنا إليك آيات بيّنات وما يكفرُ بها إلا الفاسقون » ^(٣) !

١٦٣٨ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثني سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال ابن صُوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر مثله ^(٣) .

• • •

(١) في المطبوعة « الفطيني » بالقياف ، وهو خطأ ، وهو من بني ثعلبة بن الفطيرين (بكسر الفاء وسكون الطاء ، ضم الياء) . قال السجّل : « الفطيرين : كلمة عبرانية تطلق على كل من ولي أمر اليهود وملوكهم » . ورواية ابن جرير : « ابن صوريا » ، والذي في سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٦ « ابن صلوبا الفطيرين » . وقد ذكر ابن هشام فيما روى من سيرة ابن إسحق ١ : ١٦٠ - ١٦١ « الأعداء من يهود » ، فقد في بني ثعلبة بن الفطيرين : « عبد الله بن صوريا الأعور » ، ولم يكن في زمانه أحد أعلم بالتوراة منه ، وابن صلوبا ، وغيره . وكان خبرهم ، أسلم » ، ولم أستطع أن أرجح أهو : ابن صوريا ، أو - ابن صلوبا - الذي كان من أمره ما كان . ولعلهما روايتان مختلفتان عن ابن إسحق . وانظر أيضاً الأثر : ١٦٣٨ .

(٢) في ابن هشام : « من آية فتتبعك لها ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله : « ولقد أنزلنا إليك ... »

(٣) الأثران : ١٦٣٧ - ١٦٣٨ - في سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٦ .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وما يكفر بها إلا الفاسقون » ، وما يمجدها . وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على أن معنى « الكفر » الجحود ، بما أغنى عن إعادته هنا : ^(١) وكذلك بينا معنى « الفسق » ، وأنه الخروج عن الشيء إلى غيره . ^(٢)

فتأويل الآية : ولقد أنزلنا إليك ، فيما أوحينا إليك من الكتاب ، علامات واضحة تبين لعلماء بنى إسرائيل وأخبارهم - الجاحدين نبوتك ، والمكذبين رسالتك - أنك لى رسول إلههم ، ونبي مبعوث ، وما يمجده تلك الآيات = الدلائل على صدقك ونبوتك ، التى أنزلتها إليك فى كتابى فيكذب بها منهم = إلا الخارج منهم من دينه ، التارك منهم فرائضى عليه فى الكتاب الذى يدين بتصديقه . فأما المتمسك منهم بدينه ، والمتبع منهم حكم كتابه ، فإنه بالذى أنزلت إليك من آياتي مصدق وهم الذين كانوا آمنوا بالله وصدقوا رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم من يهود بنى إسرائيل .

• • •

القول في تأويل قوله جل ذكره ﴿أَوْ كَلِمًا عَهْدًا وَعَهْدًا نَبَذَهُ

فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ^(١٠٠)

قال أبو جعفر : اختلف أهل العربية فى حكم « الواو » التى فى قوله : « أَوْ كَلِمًا عَاهَدُوا عَهْدًا » . فقال بعض نحويى البصريين : هى « واو » تجعل مع حروف الاستفهام ، وهى مثل « الفاء » فى قوله : ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [سورة البقرة ٨٧] ، قال : وهما زائدتان فى هذا الوجه ،

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٥٥ ، ٣٨٢ ، ٥٥٢ ، وهذا الجزء ٢ : ١٤٠ ، ٣٣٧

(٢) انظر ما سلف ١ : ٤٠٩ - ٤١٠ ، وهذا الجزء ٢ : ١١٨

وهي مثل «الفاء» التي في قوله «فأفلا لتصنعن كذا وكذا»^(١) ، وكقولك للرجل : «أفلا تقوم؟» . وإن شئت جعلت «الفاء» «الواو» هاهنا حرف عطف .
وقال بعض نحوي الكوفيين : هي حرف عطف أدخل عليها حرف الاستفهام .

والصواب في ذلك عندى من القول أنها «واو» عطف ، أدخلت عليها «ألف» الاستفهام ، كأنه قال جل ثناؤه : وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ، خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ، قالوا : سمعنا وعصينا ، وكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم . ثم أدخل «ألف» الاستفهام على «وكلما» فقال : قالوا سمعنا وعصينا ، أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم .
وقد بينا فيما مضى أنه غير جائز أن يكون في كتاب الله حرف لا معنى له ،^(٢) فأغنى ذلك عن إعادة البيان على فساد قول من زعم أن «الواو» و«الفاء» من قوله : «أو كلما» و«أف كلما» زائدتان لا معنى لهما .

وأما «العهد» ، فإنه الميثاق الذي أعطته بنو إسرائيل ربهم ليعملوا بما في التوراة مرة بعد أخرى ، ثم نقض بعضهم ذلك مرة بعد أخرى . فوبخهم جل ذكره بما كان منهم من ذلك ، وعيّر به أبناءهم ، إذ سلكوا منهاجهم في بعض ما كان جل ذكره أخذ عليهم بالإيمان به من أمر محمد صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق ، فكفروا وجحدوا ما في التوراة من نعمته وصفته ، فقال تعالى ذكره : أو كلما عاهد اليهود من بنى إسرائيل ربهم عهداً ، وأوثقوه ميثاقاً ، نبذه فريق منهم ، فتركه ونقضه ؟ كما : —

١٦٣٩ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا ابن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثني سعيد بن جبير ، أو حكيم ، عن ابن عباس قال : قال مالك بن الصيف — حين بعث

(١) لم أعلم ماذا أراد الطبري بهذا .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٤٣٩ - ٤٤١ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر ما أخذ عليهم من الميثاق ، وما عهد الله إليهم فيه — : والله ما عهد إلينا في محمد صلى الله عليه وسلم ، وما أخذ له علينا ميثاقاً ! فأنزل الله جل ثناؤه : « أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريقٌ منهم بل أكثرهم لا يؤمنون » .^(١)

١٦٤٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله .

قال أبو جعفر وأما « النَّبَذَ » فإن أصله — في كلام العرب — الطَّرَح ، ولذلك قيل للملقوط : « المنبُذ » ،^(٢) لأنه مطروح مرئى به . ومنه سمي النبذ « نبذاً » ، لأنه زبيب أو تمرٌ يُطرح في وعاء ، ثم يعالج بالماء . وأصله « مفعول » صرف إلى « فعيل » ، أعني أن « النبذ » أصله « منبُذ » ثم صرف إلى « فعيل » فقيل : « نبذ » ، كما قيل : « كف خضيب ، ولحية دَهِين » — يعني : مخضوبة ومدهونة .^(٣) يقال منه : « نبذته أنبذهُ نبذاً » ، كما قال أبو الأسود الدنلي :

نَظَرْتَ إِلَى عُتُونِهِ ، فَنَبَذْتَهُ كَنَبَذِكَ نَعْمَلاً أَخْلَقْتَ مِنْ نَعَالِكَ^(٤)

فعني قوله جل ذكره : « نبذه فريقٌ منهم » ، طرحه فريق منهم ، فتركه ورفضه ونقضه ، كما : —

(١) الأثر : ١٦٣٩ — في سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٦ ، مع اختلاف يسير في اللفظ . وقد ذكر ابن هشام في ٢ : ١٦١ « مالك بن الصيف » وقال : « ويقال : ابن صيف » .

(٢) في تفسير ابن كثير ١ : ٢٤٧ : « وسمي اللقيط . . . » ، واللقيط أجود من الملقوط .

(٣) انظر ما سلف ١ : ١١٢ .

(٤) ديرانه : ٢١ (في نفائس المخطوطات : ٢) ، وسيأتي في ٢٠ : ٤٩ — ٥٠ (برلاق) ، ومجاز القرآن : ٤٨ ، من أبيات كتب بها إلى صديقه الحصين بن الحر ، وهو وال على ميسان ، وكان كتب إليه في أمر يهه ، فشغل عنه ؛ وقيل البيت :

وَحَبَّرَنِي مَنْ كُنْتُ أُرْسَلُ أَمَّا أَخَذْتَ كِتَابِي مُعْرِضاً بِشِمَالِكَ
(٢٦) ، ج .

١٦٤١ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « نبذه فريق منهم » يقول : نقضه فريق منهم .

١٦٤٢ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني أحجاج ، عن ابن جريج قوله : « نبذه فريق منهم » ، قال : لم يكن في الأرض عهدٌ يُعاهدون عليه إلا نقضوه ، ويعاهدون اليوم وينقضون غداً . قال : وفي قراءة عبد الله : « نقضه فريق منهم » .

° ° °

و « الهاء » التي في قوله : « نبذه » ، من ذكر العهد . فعناه أو كلما عاهدوا عهداً نبذ ذلك العهد فريق منهم .

° ° °

و « الفريق » : الجماعة ، لا واحد له من لفظه ، بمنزلة « الجيش » و « الرهط » الذي لا واحد له من لفظه . (١)

° ° °

و « الهاء والميم » اللتان في قوله : « فريق منهم » ، من ذكر اليهود من بني إسرائيل .

° ° °

وأما قوله : « بل أكثرهم لا يؤمنون » فإنه يعني جل ثناؤه : بل أكثر هؤلاء — الذين كلما عاهدوا الله عهداً واثقوه موثقاً ، نقضه فريق منهم — لا يؤمنون .

° ° °

ولذلك وجّهان من التأويل : أحدهما : أن يكون الكلام دلالةً على الزيادة والتكثير في عدد المكذّبين الناقضين عهد الله ، على عدد الفريق . فيكون الكلام حينئذ معناه : أو كلما عاهدت اليهود من بني إسرائيل ربّها عهداً نقض فريق منهم ذلك العهد ؟ لا — ما ينقض ذلك فريق منهم ، ولكن الذي ينقض ذلك فيكفر بالله ، أكثرهم ، لا القليل منهم . فهذا أحد وجهيه .

والوجه الآخر : أن يكون معناه : أو كلما عاهدت اليهود ربّها عهداً ، نبذ ذلك

العهد فريقٌ منهم ؟ لا — ما ينبذ ذلك العهد فريق منهم فينقضه = على الإيمان منهم بأن ذلك غير جائز لهم = ولكن أكثرهم لا يصدقون بالله ورُسْله ، ولا وعده ووعيده . وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا معنى « الإيمان » ، وأنه التصديق .^(١)

• • •

القول في تأويل قوله جل ذكره ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا السَّكِّتَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٠١)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ولما جاءهم » ، أحبار اليهود وعلماءها من بنى إسرائيل — « رسول » ، يعنى بالرسول : محمداً صلى الله عليه وسلم كما : — ١٦٤٣ — حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى في قوله : « ولما جاءهم رسول » ، قال : لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم .

• • •

وأما قوله : « مصدق لما معهم » ، فإنه يعنى به أن محمداً صلى الله عليه وسلم يُصدقُ التوراة والتوراة تصدقه ، في أنه لله نبيٌّ مبعوث إلى خلقه .

• • •

وأما تأويل قوله : « ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم » ، فإنه للذى هو مع اليهود ، وهو التوراة . فأخبر الله جل ثناؤه أن اليهود لما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بتصديق ما في أيديهم من التوراة ، أن محمداً صلى الله عليه وسلم نبي لله ، « نبذ فريق » ، يعنى بذلك : أنهم جحدوه ورفضوه بعد أن كانوا به مقرّين ، حسداً منهم له وبغياً عليه . وقوله : « من الذين أوتوا الكتاب » . وهم علماء اليهود الذين أعطاهم الله العلم بالتوراة وما فيها . ويعنى بقوله : « كتاب الله » ، التوراة .

(١) انظر ما سلف : ٢٣٤ — ٢٣٥ ، ٢٧١ ، ٥٦٠ ، وهذا الجزء : ٢ ، ١٤٣ ، ٢٤٨

وقوله : « وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ » ، ^(١) جعلوه وراء ظهورهم . وهذا مثل ، يقال لكل رافضٍ أمراً كان منه على بآل : « قد جعل فلان هذا الأمر منه بظَهْرٍ ، وجعله وراء ظهره » ، يعنى به : أعرض عنه وصَدَّ وانصرف ، كما : —

١٦٤٤ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولما جاءهم رسول من عند الله مصدقٌ لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ » ، قال : لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة فخاصموه بها ، فاتفقت التوراة والقرآن ، فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف ، وسحر هاروت وماروت . ^(٢) فذلك قول الله : « كأنهم لا يعلمون » .

• • •

ومعنى قوله : « كأنهم لا يعلمون » ، كأن هؤلاء الذين نبذوا كتاب الله من علماء اليهود — فنقضوا عهد الله بتركهم العمل بما واثقوا الله على أنفسهم العمل بما فيه — لا يعلمون ما في التوراة من الأمر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه . وهذا من الله جل ثناؤه إخبارٌ عنهم أنهم جحدوا الحق على علم منهم به ومعرفته ، وأنهم عاندوا أمر الله فخالفوا على علم منهم بوجوبه عليهم ، كما : —

١٦٤٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب » ، يقول : نقض فريقٌ من الذين أوتوا الكتاب « كتاب الله وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ » ، كأنهم لا يعلمون : أى أن القوم كانوا يعلمون ، ولكنهم أفسدوا علمهم ، وجحدوا وكفروا وكتموا .

• • •

(١) في المطبوعة : « وقوله نبذوه وراء ظهورهم » ، فحذفت « نبذوه » ، لأن الطبرى ساق الآية بتمامها ، وهذا لفظ مقحم فيها .

(٢) في تفسير ابن كثير ١ : ٢٤٧ زيادة ، بعد قوله : « وماروت » ، فلم يرافق القرآن ، فذلك قول الله « . وآصف : كان كاتب سليمان . وكان يعلم الاسم الأعظم ، وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان . ويدفنه تحت كرميه ، فلما مات سليمان أخرجه الشياطين ، فكتبوا بين كل سطرين سمراً وكفراً (ابن كثير ١ : ٢٤٨) .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمٍ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله « واتبعوا ما تتلو الشياطين » ، الفريق من أحبار اليهود وعلمائها ، الذين وصفهم جل ثناؤه بأنهم نبذوا كتابه الذى أنزله على موسى ، ٢٥٢/١ وراء ظهورهم ، تجاهلاً منهم وكفراً بما هم به عالمون ، كأنهم لا يعلمون . فأخبر عنهم أنهم رفضوا كتابه الذى يعلمون أنه منزل من عنده على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ونقضوا عهده الذى أخذه عليهم فى العمل بما فيه ، وآثروا السحر الذى تلتته الشياطين فى ملك سليمان بن داود فاتبعوه ، وذلك هو الخسار والضلال المبين .

واختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بقوله : « واتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمٍ » . فقال بعضهم : عنى الله بذلك اليهود الذين كانوا بين ظهرائى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة ، فوجدوا التوراة للقرآن موافقةً ، تأمر من تباع محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه ، بمثل الذى يأمر به القرآن . فخاصموا بالكتب التى كان الناس اكتتبوها من الكهنة على عهد سليمان . ذكر من قال ذلك :

١٦٤٦ - حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان » - على عهد سليمان - قال : كانت الشياطين تصعد إلى السماء ، فتقعد منها مقاعد للسمع ، فيستمعون من كلام الملائكة فيما يكون فى الأرض من موت أو غيب أو أمر ، ^(١) فيأتون الكهنة فيخبرونهم ، فتحديث الكهنة الناس ، فيجدونه كما قالوا . حتى إذا أمنتهم الكهنة كذبوا لهم فأدخلوا فيه غيره ، فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة . فاكتتب

(١) فى تفسير ابن كثير ١ : ٢٤٩ : « ما يكون فى الأرض ... أو غيب »

الناس ذلك الحديث في الكتب ، وفشا في بني إسرائيل أن الجن تعلم الغيب . فبعث سليمان في الناس فجمع تلك الكتب ، فجعلها في صندوق ، ثم دفنها تحت كرسيه . ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي إلا احترق ، وقال : لا أسمع أحداً يذكر أن الشياطين تعلم الغيب إلا ضربت عنقه ! فلما مات سليمان وذهبت العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان ، وخلف بعد ذلك خلف ، تمثل الشيطان في صورة إنسان ، ثم أتى نفرًا من بني إسرائيل فقال : هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبدًا؟^(١) قالوا : نعم . قال : فاحفروا تحت الكرسي . وذهب معهم فأراهم المكان ، وقام ناحية .^(٢) فقالوا له : فادن ! قال : لا ، ولكنني ها هنا في أيديكم ، فإن لم تجدوه فاقتلوني ! فحفروا فوجدوا تلك الكتب . فلما أخرجوها قال الشيطان : إن سليمان إنما كان يضبط الإنس والشياطين والطير بهذا السحر . ثم طار فذهب . وفشا في الناس أن سليمان كان ساحرًا ، واتخذت بنو إسرائيل تلك الكتب ، فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم خاصموه بها ، فذلك حين يقول : « وَمَا كَفَرُ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ » .^(٣)

١٦٤٧ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ،

عن الربيع في قوله : « واتبعوا ما تتلوا الشياطين على مُلك سليمان » ، قالوا : إن اليهود سألوا محمدًا صلى الله عليه وسلم زمانًا عن أمور من التوراة ، لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله عليه ما سألوا عنه ، فيخصمهم .^(٤) فلما رأوا ذلك قالوا : هذا أعلم بما أنزل إلينا منّا ! وأنهم سألوه عن السحر وخاصموه به ، فأنزل الله جل وعز : « واتبعوا ما تتلوا الشياطين على مُلك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ » . وإن الشياطين تمهدوا إلى كتاب فكتبوا فيه السحر

(١) لا تأكلونه : أي لا تنفدونه أبدًا . يقال : أكل فلان عمره : إذا أفناه .

(٢) في المطبعة : « فقام » ، والصواب ما أثبتته من تفسير ابن كثير .

(٣) الأثر : ١٦٤٦ — في تفسير ابن كثير ١ : ٢٤٩ .

(٤) خاصني فخصسته أخصمه : غلبته بالحقبة في خصومي .

والكهانة وما شاء الله من ذلك، فدفنوه تحت مجلس سليمان^(١) وكان سليمان لا يعلم الغيب . فلما فارق سليمان الدنيا استخرجوا ذلك السحر وخذعوا به الناس ، وقالوا : هذا علم^٢ كان سليمان يكتبه ويحسد الناس عليه ! فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث ، فرجعوا من عنده وقد حزنوا ، وأدحض الله حجبتهم^(٣) .

١٦٤٨ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : «واتبعوا ما تلتوا الشياطين على ملك سليمان» ، قال : لما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقاً لما معهم ، «نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب» الآية ، قال : اتبعوا السحر ، وهم أهل الكتاب . فقرأ حتى بلغ «ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر» .

° ° °

وقال آخرون : بل عني الله بذلك اليهود الذين كانوا على عهد سليمان . ذكر من قال ذلك :

١٦٤٩ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج : تلت الشياطين السحر على اليهود على ملك سليمان ، فاتبعته اليهود على ملكه ، يعني : اتبعوا السحر على ملك سليمان .

١٦٥٠ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحق قال : عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان بن داود عليه السلام ، فكتبوا أصناف السحر : «من كان يحب أن يبلغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا» . حتى إذا صنعوا أصناف السحر^(٣) جعلوه في كتاب ثم ختموا عليه بخاتم على نقش خاتم سليمان ، وكتبوا في عنوانه : « هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم » ، ثم دفنوه تحت كرسيه . فاستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيل حين أحدثوا ما أحدثوا ، فلما عثروا عليه قالوا : ما كان سليمان

(١) في تفسير ابن كثير : «تحت كرسي مجلس سليمان» .

(٢) الأثر : ١٦٤٧ - في تفسير ابن كثير ١ : ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٣) في تفسير ابن كثير : «صنعوا أصناف السحر» . هي أجود .

ابن داود إلا بهذا ! فأفشوا السحر في الناس وتعلموه وعلموه ، فليس في أحد أكثر منه في يهود . فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما نزل عليه من الله ، سليمان بن داود وعده فيمن عده من المرسلين ، قال من كان بالمدينة من يهود : ألا تعجبون لمحمد ! ^(١) يزعم أن سليمان بن داود كان نبياً ! والله ما كان إلا ساحراً ! فأنزل الله في ذلك من قولهم على محمد صلى الله عليه وسلم : « واتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا . » ^(٢)

قال : كان حين ذهب مُلْكُ سُلَيْمَانَ ، ارتدَّ فِثَامٌ من الجن والإنس واتبعوا الشهوات ، ^(٣) فلما رَجَعَ اللهُ إلى سُلَيْمَانَ ملكه ، قام الناس على الدين كما كانوا . وأن سليمان ظهر على كتبهم فدفعها تحت كرسيه ، وتوفى سليمان حينئذ ذلك ، ^(٤) فظهرت الجن والإنس على الكتب بعد وفاة سليمان ، وقالوا : هذا كتاب من الله نزل على سليمان أخفاه منا ! فأخذوا به فجعلوه به ديناً . فأنزل الله : « ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، واتبعوا ما تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ ، وهي المعازف واللعب ، وكل شيء يصد عن ذكر الله

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في تأويل قوله : « واتبعوا ما تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ » ، أن ذلك توبيخ من الله لأخبار اليهود الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجحدوا نبوته ، وهم يعلمون أنه الله رسول مرسل ، وتأنيب منه لهم في رفضهم تنزيله ، وهجرهم العمل به ، وهو في أيديهم يعلمونه ويعرفون

(١) في المطبوعة : « لمحمد صلى الله عليه وسلم » ، والذي أثبت مقتضى سياق كلامهم .

(٢) إلى هنا انتهى ما نقله ابن كثير في تفسيره عن أبي جعفر ١ : ٢٥٠ ، أما سائر الخبر ، فإنه رواه في ١ : ٢٤٧ ، وصدره بقوله : « وقال الموفى في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى : « واتبعوا ما تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ » الآية - وكان حين ذهب ملك سليمان . . . » ، وساق الخبر بنصه هذا . فلست أدري أي نسخ الطبري سقط ، أم هذه جزء من رواية الطبري عن ابن إسحق من حديث ابن عباس .

(٣) الفِثَام : الجماعة من الناس ، لا واحد له من لفظه .

(٤) حَقَّقَهُ الشَّيْءُ (بكسر فسكون) : أوله وابتدأه وقرب العهد به . وهو منصوب على الظرفية .

أنه كتابُ الله ، واتباعهم واتباعِ أولادهم وأسلافهم ما تلتته الشياطين في عهد سليمان . وقد بينا وجهَ جَوَازِ إضافة أفعال أسلافهم إليهم فيما مضى ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .^(١)

* * *

ولنما اخترنا هذا التأويل ، لأن المتَّبعةَ ما تلتته الشياطين ، في عهد سليمان وبعده إلى أن بعث الله نبيه بالحق ، وأمر السحر لم يزل في اليهود . ولا دلالة في الآية أن الله تعالى أراد بقوله : « واتبعوا » بعضاً منهم دون بعض . إذ كان جائزاً ٣٥٥/١ فصيحاً في كلام العرب إضافة ما وصفتنا — من اتباع أسلاف المخبر عنهم بقوله : « واتبعوا ما تتلوا الشياطين » — إلى أخلافهم بعدهم ، ولم يكن بخصوص ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أثرٌ منقول ، ولا حجة تدلُّ عليه . فكان الواجب من القول في ذلك أن يقال : كل متبع ما تلتته الشياطين على عهد سليمان من اليهود ، داخلٌ في معنى الآية ، على النحو الذي قلنا .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ ﴾

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « ما تتلو الشياطين » ، الذي تتلو . فتأويل الكلام إذآ : اتبعوا الذي تتلو الشياطين .

* * *

واختلف في تأويل قوله : « تتلو » . فقال بعضهم : يعني بقوله : « تتلو » ، تُحدث وتروى ، وتتكلم به وتخبر . نحو « تلاوة » الرجل للقرآن ، وهي قراءته . ووجه قائلو هذا القول تأويلهم ذلك ، إلى أن الشياطين هي التي علّمت الناس السحر وروته لهم . ذكر من قال ذلك :

١٦٥١ — حدثني المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن عمرو ، عن مجاهد في قول الله : « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان » ، قال : كانت الشياطين تسمع الوحي ، فما سمعوا من كلمة زادوا فيها

مُتَيْنَ مِثْلَهَا . فَأَرْسَلَ سَلْيَانَ إِلَى مَا كَتَبُوا مِنْ ذَلِكَ فَجَمَعَهُ . فَلَمَّا تَوَفَّى سَلْيَانَ وَجَدْتَهُ الشَّيَاطِينَ ، فَعَلِمْتَهُ النَّاسَ ، وَهُوَ السَّحَرُ .^(١)

١٦٥٢ — حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ قَالَ ، حَدَّثَنَا يَزِيدٌ قَالَ ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : « وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينَ عَلَى مُلْكِ سَلْيَانَ » مِنَ الْكُهَّانَةِ وَالسَّحَرِ . وَذَكَرَ لَنَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، أَنَّ الشَّيَاطِينَ ابْتَدَعَتْ كِتَابًا فِيهِ سَحَرٌ وَأَمْرٌ عَظِيمٌ ، ثُمَّ أَفْشَوْهُ فِي النَّاسِ وَعَلَّمُوهُمْ لِسَانَهُ .

١٦٥٣ — حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ قَالَ ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ قَالَ ، حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ قَالَ ، قَالَ عَطَاءٌ : قَوْلُهُ : « وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينَ » ، قَالَ : نَرَاهُ : مَا تُحَدِّثُ .
١٦٥٤ — حَدَّثَنِي سَلَمٌ بْنُ جُنَادَةَ السُّوَّائِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ الْمُنْهَالِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : انْطَلَقَتِ الشَّيَاطِينَ فِي الْأَيَّامِ الَّتِي ابْتُلِيَ فِيهَا سَلْيَانٌ ، فَكَتَبَتْ فِيهَا كِتَابًا فِيهَا سَحَرٌ وَكُفْرٌ ، ثُمَّ دَفَنُوهَا تَحْتَ كُرْسِيِّ سَلْيَانَ ، ثُمَّ أَخْرَجُوهَا فَقَرَأُوهَا عَلَى النَّاسِ .^(٢)

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى قَوْلِهِ : « مَا تَتْلُو » ، مَا تَتَّبِعُهُ وَتُرْوِيهِ وَتَعْمَلُ بِهِ . ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ :

١٦٥٥ — حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَمْرِو الْعَنْقَرِيُّ ، قَالَ ، حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ أَسْبَاطٍ ، عَنْ السَّدِيِّ ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : « تَتْلُو » ، قَالَ : تَتَّبِعُ .^(٣)
١٦٥٦ — حَدَّثَنِي نَصْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَزْدِيُّ قَالَ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ أَبِي رَزِينٍ ، مِثْلَهُ .^(٤)

* * *

(١) الأثر : ١٦٥١ — في تفسير ابن كثير ١ : ٢٥٠ .
(٢) الأثر : ١٦٥٤ — كان في المطبوعة : « سالم بن جنادة » ، وهو خطأ ، وانظر التعليق على الأثر رقم : ٤٨ في الجزء الأول . وهو جزء من خبر سيأتي برقم : ١٦٦٠ .
(٣) الأثر : ١٦٥٥ — في المطبوعة « العبقرى » ، وهو خطأ ، وانظر التعليق على الأثر رقم : ١٦٢٥ .
(٤) الأثر : ١٦٥٦ — في المطبوعة « نصر بن عبد الرحمن الأودي » ، وهو خطأ وانظر التعليق على الأثر : ٤٢٣ في الجزء الأول .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله عز وجل أخبر عن الذين أخبر عنهم أنهم اتبعوا ما تتلو الشياطين على عهد سليمان ، باتباعهم ما تلتته الشياطين .

ولقول القائل : « هو يتلو كذا » في كلام العرب معنيان . أحدهما : الاتباع ، كما يقال : « تَلَوْتُ فلاناً » إذا مشيت خلفه وتبعت أثره ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ هُنَالِكَ تَتْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ﴾ [سورة يونس : ٣٠] ، ^(١) يعني بذلك تتبع . والآخر : القراءة والدراسة ، كما تقول : « فلان يتلو القرآن » ، بمعنى : أنه يقرؤه ويدرسه ، كما قال حسان بن ثابت :

نَجِيٌّ يَرَى مَا لَا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ وَيَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ ^(٢)

ولم يخبرنا الله جل ثناؤه — بأى معنى « التلاوة » كانت تلاوة الشياطين الذين تلو ما تلوه من السحر على عهد سليمان — بخبر يقطع العذر . وقد يجوز أن تكون الشياطين تلت ذلك دراسة ورواية وعملاً ، فتكون كانت متبعتة بالعمل ، ودارسته ٣٥٦/١ بالرواية . فاتبعت اليهود منهاجها في ذلك ، وعملت به ، وروته ^(٣) .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « على ملك سليمان » ، في ملك سليمان . وذلك أن العرب تضع « في » موضع « على » ، و « على » في موضع « في » . ^(٤) من ذلك

(١) « هنالك تتلو » إحدى القراءتين ، والأخرى « هنالك تلو » ، وهي التي في مصاحفنا اليوم . وقال أبو جعفر في تفسيره ١١ : ٧٩ « إنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل منهما أئمة من القراء » .
(٢) ديوانه : ٨٨ ، من أبيات قالها حسان في خبر أم معبد ، حين خرج رسول الله مهاجراً إلى المدينة . ورواية الديوان : « في كل مسجد » ، ورواية الطبري أمثل .

(٣) كان ينبغي أن يكون في هذا المكان تفسير قوله « ما تتلو » الذي سيأتي في : ٤١٨

(٤) انظر ما سلف ١ : ٢٩٩ .

قوله الله جل ثناؤه : ﴿وَلَا صَلَّبْنَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [سورة طه : ٧١] يعني به : على جذوع النخل ، وكما قالوا : « فعلت كذا في عهد كذا ، وعلى عهد كذا » ، بمعنى واحد .^(١) وبما قلنا من ذلك كان ابن جريج وابن إسحق ، يقولان في تأويله :

١٦٥٧ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج : « على مُلك سليمان » ، يقول : في ملك سليمان .
١٦٥٨ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال ابن إسحق في قوله : « على مُلك سليمان » ، أى : في ملك سليمان .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل : وما هذا الكلام ، من قوله : « واتبعوا ما تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ » ،^(٢) ولا خبر معنا قبلُ عن أحد أنه أضاف الكفر إلى سليمان ، بل إنما ذكر اتباع من اتبع من اليهود ما تلت الشياطين ؟ فما وجه نفي الكفر عن سليمان ، بعقب الخبر عن اتباع من اتبعت الشياطين في العمل بالسحر وروايته من اليهود ؟

قيل : وجهُ ذلك ، أن الذين أضاف الله جل ثناؤه إليهم اتباع ما تلت الشياطين على عهد سليمان من السحر والكفر من اليهود ، نسبوا ما أضافه الله تعالى ذكره إلى

(١) في المطبوعة : « وكما قال : فعلت كذا . . . » ، ولا يستقيم إلا على تمرىض .

(٢) قوله : « وما هذا الكلام » الإشارة فيه إلى الآية التي يؤولها : « وما كفر سليمان » يقولون : ما مكان هذا الكلام - من هذا الكلام وهو قوله : « واتبعوا ما تتلو الشياطين » .

الشياطين من ذلك ، إلى سليمان بن داود . وزعموا أن ذلك كان من علمه وروايته ، وأنه إنما كان يستعبد من يستعبد من الإنس والجن والشياطين وسائر خلق الله بالسحر . فحسّنوا بذلك — من ركوبهم ما حرم الله عليهم من السحر — أنفسهم ، ^(١) عند من كان جاهلاً بأمر الله ونهيه ، وعند من كان لا علم له بما أنزل الله في ذلك من التوراة . وتبرأ بإضافة ذلك إلى سليمان — من سليمان ، وهو نبي الله صلى الله عليه وسلم — منهم بشر ، ^(٢) وأنكروا أن يكون كان الله رسلاً ، وقالوا : بل كان ساحراً ! فبرأ الله سليمان بن داود من السحر والكفر عند من كان منهم ينسب إليه السحر والكفر = لأسباب ادّعوها عليه قد ذكرنا بعضها ، وسنذكر باقي ما حضرنا ذكره منها = ، وأكذب الآخرين الذين كانوا يعملون بالسحر متزيّنين عند أهل الجهل في عملهم ذلك ، بأن سليمان كان يعمل . فنفى الله عن سليمان عليه السلام أن يكون كان ساحراً أو كافراً ، وأعلمهم أنهم إنما اتبعوا — في عملهم بالسحر — ما تلتته الشياطين في عهد سليمان ، دون ما كان سليمان يأمرهم من طاعة الله ، واتباع ما أمرهم به في كتابه الذي أنزله على موسى صلوات الله عليه .

• • •
ذكر الدلائل على صحة ما قلناه من الأخبار والآثار :

• • •
١٦٥٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب القمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير قال : كان سليمان يتتبع ما في أيدي الشياطين من السحر ، فيأخذه فيدفنه تحت كرسيه في بيت خزانته . فلم تقلد الشياطين أن يصلوا إليه ، فدنت إلى الإنس فقالوا لهم : أتريدون العلم الذي كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك ؟ قالوا : نعم . قالوا : فإنه في بيت خزانته وتحت كرسيه . فاستثارت الإنس فاستخرجوه فعملوا به . فقال أهل الحجاز : كان سليمان

(١) في المطبوعة « لأنفسهم » ، والصواب إسقاط هذه انلام ، كما يدل عليه السياق .

(٢) سياق العبارة : « وتبرأ . . . من سليمان . . . منهم بشر » . ولعل « بشر » هذه « نفر » ،

أي جماعة . يقول : تبرأت جماعة أخرى من سليمان ، إذ نسب إلى السحر ، وكفروه .

يعمل بهذا ، وهذا سحر ! فأنزل الله جل ثناؤه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم براءة سليمان . فقال : « واتبعوا ما تتلو الشياطين على مُلك سليمان » الآية ، فأنزل الله براءة سليمان على لسان نبيه عليهما السلام . (١)

١٦٦٠ - حدثني أبو السائب السوائي قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان الذي أصاب سليمان ابن داود ، في سبب أناس من أهل امرأة يقال لها جَرادة ، وكانت من أكرم نسائه عليه . قال : فكان هوى سليمان أن يكون الحق لأهل الجرادة فيقضى لهم ، فعُوقب حين لم يكن هواه فيهم واحداً . قال : وكان سليمان بن داود إذا أراد أن يدخل الخلاء ، أو يأتي شيئاً من نسائه ، أعطى الجرادة خاتمه . فلما أراد الله أن يبتلي سليمان بالذي ابتلاه به ، أعطى الجرادة ذات يوم خاتمه ، فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها : هاتي خاتمي ! فأخذه فلبسه . فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والإنس . قال : فجاءها سليمان فقال : هاتي خاتمي ! فقالت : كذبت ، لست بسليمان ! قال : فعرفه سليمان أنه بلاء ابتلى به . قال : فأنطلقت الشياطين فكتب في تلك الأيام كتباً فيها سحر وكفر ، ثم دفنوها تحت كرسي سليمان ، ثم أخرجوها فقرأوها على الناس وقالوا : إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب ! قال : فبرئ الناس من سليمان وأكفروه ، حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ، فأنزل جل ثناؤه : « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان » - يعني الذي كتب الشياطين من السحر والكفر - « وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا » ، فأنزل الله جل وعز عُذْرَهُ . (٢)

١٦٦١ - حدثني محمد بن عبد الأعلى الصنعاني قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ، سمعت عمران بن حدير ، عن أبي مجلز قال : أخذ سليمان من كل

(١) الأثر : ١٦٥٩ - في تفسير ابن كثير ١ : ٢٥٠ .

(٢) الأثر : ١٦٦٠ - انظر الأثر السالف : ١٦٥٤ والتعليق عليه .

دابة عهداً ، فإذا أصيبَ رجلٌ فسأل بذلك العهد ، مُخلّئ عنه . فرأى الناس السَّجْعَ والسحر ، وقالوا : هذا كان يعمل به سليمان ! فقال الله جل ثناؤه : « وما كفرَ سليمان ولكنّ الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر » . (١)

١٦٦٢ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن عمران بن الحارث قال : بينا نحن عند ابن عباس ، إذ جاءه رجل فقال له ابن عباس : من أين جئت ؟ قال : من العراق . قال : من أيّ ؟ قال : من الكوفة . قال : فما الخبر ؟ قال : تركتهم يتحدثون أنّ عليّاً خارجٌ إليهم ! ففرع فقال : ما تقول ؟ لا أبالك ! لو شعرنا ما نكحنا نساءه ، ولا قسمنا ميراثه ! أما إني أحدّثكم ، من ذلك : إنه كانت الشياطين يستترّ قون السمع من السماء ، فيأتى أحدهم بكلمة حق قد سمعها ، فإذا حدّث منه صدّق ، (٢) كذب معها سبعين كذبة . قال : فتشرّبها قلوبُ الناس . فأطلع الله عليها سليمان ، فدفعها تحت كرسیه ، فلما توفي سليمان ابن داود قام شيطانٌ بالطريق فقال : ألا أدلكم على كنزٍ الممنوع الذي لا كنز مثله ؟ تحت الكرسي ! فأخرجوه ، فقالوا : هذا سحر ! فتناخفها الأمم - حتى بقاياهم - ما يتحدث به أهلُ العراق - . (٣) فأَنزل الله عُذر سليمان : « واتبعوا ما تتلو الشياطين على مُلك سليمان وما كفر سليمان ولكنّ الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر » . (٤)

١٦٦٣ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : « ذكر لنا ، والله أعلم ، أن الشياطين ابتدعت كتاباً فيه سحرٌ وأمر عظيم ، ثم أفسوه في الناس وعَلِّمُوهم إياه . » (٥) فلما سمع بذلك سليمان نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم (١) الأثر : ١٦٦١ - في تفسير ابن كثير ١ : ٢٥١ ، وفيه « فزاد الناس » ... مكان « فرأى » والصواب ما في الطبري .

(٢) في تفسير ابن كثير : « فإذا جرت منه وصدق » ، ولعلها تصحيف .

(٣) في تفسير ابن كثير : « حتى بقاياها » .

(٤) الأثر : ١٦٦٢ - في تفسير ابن كثير ١ : ٢٤٨ - ٢٤٩ ، مع اختلاف في بعض

اللفظ غير الذي أثبتته .

(٥) في المطبوعة : « وأعلموهم إياه » ، وقد مضى في رقم : ١٦٥٢ ، « وعلموهم » ، وكذلك

أثبتها هنا .

الله عليه وسلم ، تتبع تلك الكتب فأتى بها فدفنها تحت كرسيه ، ^(١) كراهية أن يتعلمها الناس . فلما قبض الله نبيه سليمان ، عمدت الشياطين فاستخرجوها من مكانها الذي كانت فيه ، فعلموها الناس ، فأخبروهم أن هذا علم كان يكتمه سليمان ويستأثر به . فعذر الله نبيه سليمان وبرآه من ذلك ، فقال جل ثناؤه : « وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا » .

١٦٦٤ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : كتبت الشياطين كتباً فيها سحر وشرك ، ثم دفنت تلك الكتب تحت كرسى سليمان . فلما مات سليمان استخرج الناس تلك الكتب ، فقالوا : هذا علم كتمناه سليمان ! فقال الله جل وعز : « واتبعوا ما تلتو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر » .

١٦٦٥ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « واتبعوا ما تلتو الشياطين على ملك سليمان » ، قال : كانت الشياطين تستمع الوحي من السماء ، فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مثلها ، وإن سليمان أخذ ما كتبوا من ذلك فدفنه تحت كرسيه ، فلما توفى وجدته الشياطين فعلمته الناس . ^(٢)

١٦٦٦ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبي بكر ، عن شهر بن حوشب قال : لما سلب سليمان ملكه ، كانت الشياطين تكتب السحر في غيبة سليمان . فكتبت : « من أراد أن يأتي كذا وكذا ، فليستقبل الشمس وليقل كذا وكذا ، ومن أراد أن يفعل كذا وكذا ، فليستدبر الشمس وليقل كذا وكذا » . فكتبته وجعلت عنوانه : « هذا ما كتب آصف بن برخيا للملك سليمان » .

(١) في المطبوعة : « ففتح تلك الكتب » بزيادة الفاء ، ولا موضع لها .

(٢) الأثر : ١٦٦٥ - كان في المطبوعة : « حدثنا القاسم قال حدثنا حجاج » أسقط منه « قال حدثنا الحسين » ، وهو إسناد دائر في الطبري ، أقرب إلينا رقم : ١٦٥٧ ، وسيأتى في الذي يل .

ابن داود من ذخائر كنوز العلم ، ثم دفتته تحت كرسیه . فلما مات سليمان ، قام إبليس خطيباً فقال : يا أيها الناس ، إن سليمان لم يكن نبياً ، وإنما كان ساحراً ، فالتمسوا سحره في متاعه وبيوته . ثم دلّهم على المكان الذي دُفن فيه . فقالوا : والله لقد كان سليمان ساحراً ! هذا سحره ! بهذا تعبدنا ، وبهذا قهرنا ! فقال المؤمنون : بل كان نبياً مؤمناً ! فلما بعث الله النبي محمداً صلى الله عليه وسلم ، جعل يذكر الأنبياء ، حتى ذكر داود وسليمان ، فقالت اليهود : انظروا إلى محمد ! يخلط الحق بالباطل ! يذكر سليمان مع الأنبياء ، وإنما كان ساحراً يركب الريح ! فأنزل الله عُذر سليمان : « واتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ » الآية .^(١)

١٦٦٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحق : « وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر . وذلك أن رسول الله عليه وسلم — فيما بلغني — لما ذكر سليمان بن داود في المرسلين ، قال بعض أحبار اليهود : ألا تعجبون من محمد ! يزعم أن ابن داود كان نبياً ! والله ما كان إلا ساحراً ! فأنزل الله في ذلك من قولهم : « وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا » ، — أي : باتباعهم السحر وعملهم به — « وما أنزل على الملكتين ببابل هاروت وماروت » .^(٢)

• • •

قال أبو جعفر : فإذا كان الأمر في ذلك على وصفنا = وتأويل قوله : « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا » ما ذكرنا = فبيِّن أن في الكلام متروكاً ،^(٣) ترك ذكره اكتفاءً بما ذكر منه ، وأن معنى الكلام : واتبعوا ما تتلو الشياطين من السحر على ملك سليمان ، فتضيفه إلى سليمان ، وما كفر سليمان ، فيعمل بالسحر ، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس

(١) الأثر : ١٦٦٦ — في تفسير ابن كثير ١ : ٢٥١ .

(٢) الأثر : ١٦٦٧ — سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٢ — ١٩٣ .

(٣) في المطبوعة : « فتبين » وما أثبت أشبه بعبارة الطبري .

السحر . وقد كان قتادة يتأول قوله : « وما كفر سليمان ولكن الشياطينَ كفروا » على ما قلنا .

١٦٦٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وما كفر سليمان ولكن الشياطينَ كفروا » ، يقول : ما كان عن مشورته ولا عن رضا منه ، ولكنه شيء افتعلته الشياطينُ دونه .

* * *

وقد دللنا فيما مضى على اختلافِ المختلفين في معنى « تتلو » ، ^(١) وتوجيه من وجه ذلك إلى أن « تتلو » بمعنى « تلت » ، إذ كان الذى قبله خبراً ماضياً ، وهو قوله : « واتبعوا » ، وتوجيه الذين وجهوا ذلك إلى خلاف ذلك . وبيننا فيه وفي نظيره الصواب من القول ، ^(٢) فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .

* * *

وأما معنى قوله : « ما تتلو » ، فإنه بمعنى : الذى تتلو ، وهو السحر . ^(٣)
١٦٦٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : و « اتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان » ، أى السحر . ^(٤)

* * *

قال أبو جعفر : ولعلَّ قائلًا أن يقول : أو ما كان السحر إلا أيام سليمان ؟

قيل له : بلى ، قد كان ذلك قبل ذلك ، وقد أخبر الله عن سمرة فرعون ما أخبر عنهم ، وقد كانوا قبل سليمان ، وأخبر عن قوم نوح أنهم قالوا لنوح إنه ساحر .

[فلان] قال : فكيف أخبر عن اليهود أنهم اتبعوا ما تلتسه الشياطين على عهد سليمان ؟

(١) انظر ما سلف قريباً : ٤١١

(٢) قوله : « وتوجيه من وجه ذلك أن : تتلو — بمعنى : تلت » لم يأت هنا في تفسير الآية ،

بل جاء في تفسير آية مضت من سورة البقرة : ٩١ ، ص ٣٥٠ — ٣٥٢

(٣) هذه الفقرة ، والأخرى التي قبلها ، والأثر الآخر رقم : ١٦٦٩ ، كان أول أن تكون في

آخر تفسير قوله : « ما تتلو الشياطين » فيما مضى : ٤١١

(٤) الأثر : ١٦٦٩ — سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٢ .

قيل : لأنهم أضافوا ذلك إلى سليمان ، على ما قد قلّمنا البيان عنه . فأراد الله تعالى ذكره تبرئه سليمان مما تحلوه وأضافوا إليه ، مما كانوا وجدوه ، إما في خزائنه ، وإما تحت كرسیه ، على ما جاءت به الآثار التي قد ذكرناها من ذلك . فحصر الخبر عما كانت اليهود اتبعته ، فيما تلت الشياطين أيام سليمان دون غيره لذلك السبب ، وإن كانت الشياطين قد كانت تالية للسحر والكفر قبل ذلك .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل العلم في تأويل « ما » التي في قوله : « وما أنزل على الملكين » . فقال بعضهم : معناه الجحد ، وهي بمعنى « لم » . ذكر من قال ذلك : ١٦٧٠ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت » ، فإنه يقول : لم ينزل الله السحر .

١٦٧١ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثني حكّام ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ابن أنس : « وما أنزل على الملكين » ، قال : ما أنزل الله عليهما السحر .

* * *

فتأويل الآية - على هذا المعنى الذي ذكرناه عن ابن عباس والربيع ، من توجيههما معنى قوله : « وما أنزل على الملكين » إلى : ولم ينزل على الملكين - واتبعوا الذي تتلو الشياطين على ملك سليمان من السحر ، وما كفر سليمان ، ولا أنزل الله السحر على الملكين = ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر = « ببابل ، هاروت وماروت » . فيكون حيثنذ قوله : « ببابل هاروت وماروت » ، من المؤخر الذي معناه التقديم .

* * *

فلن قال قائل : وكيف - وجه تقديم ذلك ؟

قيل : وجه تقديمه أن يقال : واتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ [من السحر] ، وَمَا أُنْزِلَ [الله السحر] عَلَى الْمَلَكِينَ ، وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ بِبَابِلَ ، هَارُوتَ وَمَارُوتَ - فيكون معنيًا بـ «الملكين» : جبريل وميكائيل ، لأنَّ سَحْرَةَ الْيَهُودَ ، فيما ذُكِرَ ، كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود ، فأكذبها الله بذلك ، وأخبر نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحرقط ، وبرأ سليمان مما نحلوه من السحر ، وأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين ، وأنها تُعَلِّمُ النَّاسَ [ذلك] ببابل ، وأن الذين يعلمانهم ذلك رجلان : (١) اسم أحدهما هاروت ، واسم الآخر ماروت . فيكون «هاروت وماروت» ، على هذا التأويل ، ترجمةً على «الناس» ورداً عليهم. (٢)

* * *

وقال آخرون : بل تأويل «ما» التي في قوله : «وما أنزل على الملكين» - «الذي» . ذكر من قال ذلك :

١٦٧٢ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، قال معمر ، قال قتادة والزهرى ، عن عبدالله : «وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت» ، كانوا ملكين من الملائكة ، فأهبطا ليحكما بين الناس . وذلك أن الملائكة سَخِرُوا ٣٦٠/١ من أحكام بنى آدم . قال : فحَاكَمَتِ إِلَيْهِمَا امْرَأَةٌ ، فحَاكَمَا لَهَا ، (٣) ثم ذهبَا يَصْعَدَانِ ، فحِيلَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ ذَلِكَ ، وَخُيِّرَا بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ ، فَاخْتَارَا عَذَابَ الدُّنْيَا . قال معمر ، قال قتادة : فكانا يعلمان الناس السحر ، فَأُخِيذَ عَلَيْهِمَا أَنْ لَا يَعْلَمَا أَحَدًا حَتَّى يَقُولَا : «إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ» .

(١) في المطبوعة وابن كثير : «وأن الذين يعلمونهم» ، وما أثبت هو الصواب .
(٢) «الترجمة» عند الكوفيين هي «البدل» ، وانظر ما سلف ٢ : ٣٤٠ وانظر ما سيأتى : ٤٢٣ .
والزيادات التي بين الأقواس في هذه الفقرة ، من تفسير ابن كثير ١ : ٢٥٢ ، وقد نقل كلام الطبري بنصه .

(٣) حاف له يحيف حيفاً : مال معه فجار وظلم غيره . وحاف عليه : ظلمه وجار عليه .

١٦٧٣ - حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو ، قال حدثنا أسباط ، عن السدي ، أما قوله : « وَمَا أَنْزَلْ عَلَى الْمَلَكِينَ بِيَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ » ، فهذا سحر آخر خاصموه به أيضاً . يقول : خاصموه بما أنزل على الملكين ، وأن كلام الملائكة فيما بينهم ، إذا علمته الإنس فصنع وعمل به ، كان سحراً .^(١)

١٦٧٤ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أَنْزَلْ عَلَى الْمَلَكِينَ بِيَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ » . فالسحر سحران : سحر تعلمه الشياطين ، وسحر يعلمه هاروت وماروت .

١٦٧٥ - حدثني المثني قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وَمَا أَنْزَلْ عَلَى الْمَلَكِينَ بِيَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ » ، قال : التفريق بين المرء وزوجه .

١٦٧٦ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين » ، فقرأ حتى بلغ « فَلَا تَكْفُرْ » ، قال : الشياطين والملكان ، يعلمون الناس السحر .

• • •

قال أبو جعفر : فمعنى الآية - على تأويل هذا القول الذي ذكرناه عن ذكرنا عنه - : « واتبعت اليهود الذي تلت الشياطين في ملك سليمان ، والذي أنزل على الملكين بيايل هاروت وماروت . وهما ملكان من ملائكة الله ، سندكر ما روى من الأخبار في شأنهما إن شاء الله تعالى . »

• • •

قال أبو جعفر^(٢) : إن قال لنا قائل : وهل يجوز أن ينزل الله السحر ، أم

(١) الأثر : ١٦٧٣ - هو من تنمة الأثر السالف : ١٦٤٦ ، ويرجع الضمير في قوله : « وخاصموه به أيضاً » - إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم اليهود ، كما تتبين ذلك من مراجعة الأثر هناك .

(٢) كان في المطبوعة هنا : « وقالوا : إن قال لنا قائل . . . » . والضمير في « قالوا » ، لا يعود إلى المذكورين قبل . وكان الناسخ تعاضله أن يكون الرد الآتي من كلام أبي جعفر ، فحذف ما جرى عليه في تفسيره من قوله : « قال أبو جعفر » ، وأقم « وقالوا » مكانها ، ثم زاد فحشا هذه الفقرات الآتية بكلمته « وقالوا » ، كما سنبينه في مواضعه من التعليق . وهذا أسلوب لم يطرقة أبو جعفر قط في تفسيره كله .

هل يجوز للملاحكة أن تعلمه الناس؟

قلنا له : إن الله عز وجل قد أنزل الخير والشر كله ، وبين جميع ذلك لعباده ، فأوحاه إلى رسله ، وأمرهم بتعليم خلقه وتعريفهم ما يحل لهم مما يحرم عليهم . وذلك كالزنا والسرقه وسائر المعاصي التي عرفتهموها ، ونهاهم عن ركوبها . فالسحر أحد تلك المعاصي التي أخبرهم بها ، ونهاهم عن العمل بها .

(١) وليس في العلم بالسحر إثم ، كما لا إثم في العلم بصنعة الخمر ونحت الأصنام والطناير والملاعب . وإنما الإثم في عمله وتسويته . (٢) وكذلك لا إثم في العلم بالسحر ، وإنما الإثم في العمل به ، وأن يضمر به من لا يحل ضره به .

(٣) فليس في إنزال الله إياه على الملكين ، ولا في تعليم الملكين من علماه من الناس ، إثم ، إذ كان تعليمهما من علماه ذلك ، بإذن الله لهما بتعليمه ، بعد أن يخبراه بأنهما فتنه ، وينهاه عن السحر والعمل به والكفر . وإنما الإثم على من يتعلمه منهما ويعمل به ، إذ كان الله تعالى ذكره قد نهاه عن تعلمه والعمل به . (٤) ولو كان الله أباح لبني آدم أن يتعلموا ذلك ، لم يكن ممن تعلمه حرجاً ، كما لم يكونا حرجين لعلهما

والذي استبشع بعض النساخ - فيما نرجح - سيأتي بعد قليل في ص ٤٢٣-٤٢٦ بأوضح مما قاله هنا . وقد عد ابن كثير قول أبي جعفر مسلماً غريباً ، فقال في تفسيره ١ : ٢٥٣ ، وذكر ما ذكره أبو جعفر من قول من قال « ما » بمعنى « لم » فقال : « ثم شرع ابن جرير في رد هذا القول ، وأن « ما » بمعنى « الذي » ، وأطال القول في ذلك ، وادعى أن هاروت وماروت ملكان أنزلهما الله إلى الأرض ، وأذن لهما في تعليم السحر ، اختباراً لعباده وامتحاناً ، بعد أن بين لعباده أن ذلك ما ينهى عنه على السنة الرسل ، وادعى أن هاروت وماروت مطيعان في تعليم ذلك ، لأنهما امتثلا ما أمرا به . وهذا الذي سلكه غريب جداً . ولست أستنكر ما قاله أبو جعفر ، كما استنكره ابن كثير ، ولو أنت أنصفت وتبعت كلام أبي جعفر ، لرأيت فيه حجة بيّنة ساطعة على صواب مذهبه الذي ذهب إليه ، ورأيت دقة ولفظاً في تناول المعاني ، وتدبير الألفاظ ، لا تكاد تجددهما في غير هذا التفسير الجليل القدر .

- (١) كان في المطبوعة هنا : « (قالوا) ليس في العلم . . . » . انظر ما سلف .
- (٢) كان في المطبوعة هنا : « (قالوا) وكذلك لا إثم . . . » . انظر ما سلف .
- (٣) كان في المطبوعة هنا : « (قالوا) فليس في إنزال الله . . . » . انظر ما سلف .
- (٤) كان في المطبوعة هنا : « (قالوا) ولو كان الله أباح . . . » . انظر ما سلف .

به . (١) إذ كان علمهما بذلك عن تنزيل الله إليهما . (٢)

* * *

وقال آخرون : معنى : « ما » معنى « الذى » ، وهى عطف على « ما » الأولى . غير أن الأولى فى معنى السحر ، والآخرة فى معنى التفريق بين المرء وزوجه . فتأويل الآية على هذا القول : واتَّبَعُوا السحر الذى تتلو الشياطين فى ملك سليمان ، والتفريق الذى بين المرء وزوجه ، الذى أنزل على الملكين بيابل هاروت وماروت . ذكر من قال ذلك :

١٦٧٧ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيج ، عن مجاهد : « وما أنزل على الملكين بيابل هاروت وماروت » ، وهما يعلمان ما يفرقون به بين المرء وزوجه . وذلك قول الله جل ثناؤه : « وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا » . وكان يقول : أما السحر ، فإنما يعلمه الشياطين ، وأما الذى يعلم الملكان ، فالتفريق بين المرء وزوجه ، كما قال الله تعالى .

* * *

وقال آخرون جائز أن تكون « ما » بمعنى « الذى » ، وجائز أن تكون « ما » بمعنى « لم » . ذكر من قال ذلك :

١٦٧٨ - حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنى الليث بن سعد ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد - وسأله رجل عن قول الله : « يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين بيابل هاروت وماروت » فقال الرجل : يعلمان الناس ما أنزل عليهما ، أم يعلمان الناس ما لم ينزل عليهما ؟ قال القاسم : ما أبالي أيتما كانت .

١٦٧٩ - حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، حدثنا أنس بن عياض ، عن

(١) استعمل أبو جعفر : هو « حرج » - عل وزن : هو « فرح » - بمعنى : آثم . وأهل اللغة ينكرون ذلك . لا يقال للآثم إلا « الخارج » عل النسب . لأن « الحرج » بمعنى الإثم ، لا فعل له . ولعل الناسخ أعطى فكتب « حرجاً ... وحرجين » مكان « حارجاً ... وحارجين » ، بمعنى : آثم ، وآثمين ، ولكن تركتها هنا عل حالها مخافة أن تكون من كلام أبى جعفر خطأ اجتهد ، أو صواباً علمه هو لم يبلغنا . (٢) سياق بيان قوله هذا كله بأوفى من هذا وآثم فى ص : ٤٢٣ - ٤٢٦

بعض أصحابه ، أن القاسم بن محمد سُئل عن قول الله تعالى ذكره : « وما أنزل على الملكين » ، فقيل له : « أنزل أو لم يُنزل ؟ فقال : لا أبالي أى ذلك كان ، إلا أنى آمنتُ به . (١) »

• • •

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندى ، قولُ من وجَّه « ما » التى فى قوله : « وما أنزل على الملكين » إلى معنى « الذى » ، دون معنى « ما » التى هى بمعنى الحمد .

ولما اخترت ذلك ، من أجل أن « ما » ، إن وجَّهَتْ إلى معنى الحمد ، تنفى عن « الملكين » أن يكونا مُنْزَلًا إليهما ، (٢) ولم يخل الاسمان اللذان بعدهما — أعنى « هاروت وماروت » — من أن يكونا بدلًا منهما وترجمةً عنهما (٣) أو بدلًا من « الناس » فى قوله : « يعلمون الناس السحر » ، وترجمة عنهما . (٤)

فإن جعلنا بدلًا من « الملكين » وترجمةً عنهما ، بطل معنى قوله : « وما يُعلِّمان من أحد حتى يَقولا لِمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ » . لأنهما إذا لم يكونا عالمين بما يُفَرِّقُ به بين المرء وزوجه ، فما الذى يَتَعَلَّمُ منهما من يفرق بين المرء وزوجه ؟ (٥)

(١) الخبر : ١٦٧٩ — يونس بن عبد الأعلى الصدقي المصري : إمام معروف ، يروى عنه الطبرى كثيراً ، وروى عنه أبو حاتم وأبو زرعة . وقال ابن أبي حاتم ٤ / ٢ / ٢٤٣ : « كتبت عنه ، وأقيمت عليه سبعة أشهر » . وقال : « سمعت أبي يوثق يونس بن عبد الأعلى ، ويرفع من شأنه » . وله سنة ١٧٠ ، ومات سنة ٢٦٤ .

وأما شيخه هنا فهو : « أنس بن عياض بن ضمرة » : وهو ثقة ، خرج له أصحاب الكتب الستة . وهو متبرم في التهذيب ، والكبير للبخارى ١ / ٢ / ٣٤ ، وابن أبي حاتم ١ / ١ / ٢٨٩ .

وكتب فى المطبوعة « بشر » بدل « أنس » . وهو تحريف واضح . صوابه فى ابن كثير ١ : ٢٥٣ ، نقلاً عن هذا الموضع من الطبرى . ولم نجد فى الرواة من يسمى « بشر بن عياض » أبداً .

(٢) فى المطبوعة : « فتنى . . . » بزيادة فاء لا خير فيها .

(٣) انظر معنى « الترجمة » ألفاً : ٤٢٠ تعليق : ٢

(٤) فى المطبوعة : « يعلمان الناس السحر » ، وهو خطأ . وانظر ما سلف : ٤٢٠

(٥) فى المطبوعة : « ما يفرق » ، والصواب ما أثبت .

وبعد ، فإن « ما » التي في قوله : « وَمَا أَنْزَلْ عَلَى الْمَلَكِينَ » ، إن كانت في معنى الحجد عطقاً على قوله : « وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ » ، فإن الله جل ثناؤه نبي بقوله : « وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ » ، عن سليمان أن يكون السحر من عمله أو من علمه أو تعليمه . فإن كان الذي نبي عن الملكين من ذلك ، نظير الذي نبي عن سليمان منه — وهاروت وماروت هما الملكان — فمن المتعلم منه إذا ما يفرق به بين المرء وزوجه؟ وعمّن الخبر الذي أخبر عنه بقوله : « وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ » ؟ إن خطأ هذا القول لواضحٌ بين .

وإن كان قوله : « هَارُوتَ وَمَارُوتَ » ترجمة عن « الناس » الذين في قوله : « وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ » ، فقد وجب أن تكون الشياطين هي التي تعلم هاروت وماروت السحر ، وتكون السحرة إنما تعلمت السحر من « هَارُوتَ وَمَارُوتَ » عن تعليم الشياطين إياهما . فإن يكن ذلك كذلك ، فلن يخلو « هَارُوتَ وَمَارُوتَ » — عند قائل هذه المقالة — من أحد أمرين :

إمّا أن يكونا ملكين ، فإن كانا عند ملكين ، فقد أوجب لهما من الكفر بالله والمعصية له — بنسبته إياهما إلى أنهما يتعلمان من الشياطين السحر ويعلمانه الناس ، وإصرارهما على ذلك ومقامهما عليه — أعظم مما ذكر عنهما أنهما أتياه من المعصية التي استحقا عليها العقاب . وفي خبر الله عز وجل عنهما — أنهما لا يعلمان أحداً ما يتعلم منهما حتى يقولوا : « إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ » — ما يغني عن الإكثار في الدلالة على خطأ هذا القول .

أو أن يكونا رجلين من بني آدم . فإن يكن ذلك كذلك ، فقد كان يجب أن يكونا بهلاكهما قد ارتفع السحر والعلم به والعمل — من بني آدم .^(١) لأنه إذا كان علم ذلك من قبلكهما يؤخذ منهما يتعلم ، فالواجب أن يكون بهلاكهما وعدم وجودهما ، عدم السبيل إلى الوصول إلى المعنى الذي كان لا يوصل إليه إلا بهما .

(١) يقول في سياقه : قد ارتفع من بني آدم — السحر ، والعلم به والعمل .

٣٦٢/١ وفي وجود السحر في كل زمان ووقت ، أَيْنُ الدلالة على فساد هذا القول . وقد يزعمُ قائلُ ذلكُ أنهما رجلاَن من بني آدم ، لم يُعَدَمَا من الأرض منذ خلقت ، ولا يُعَدَمَان بعدَ مَا وُجِدَ السحر في الناس ، فيدّعي ما لا يَحْتَقِ بِطوله (١)

فإذْ فَسَدَتْ هذه الوجوه التي دَلَلْنَا على فسادها ، فَيَسِّنُ أَنْ مَعْنَى « مَا » الَّتِي فِي قَوْلِهِ : « وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ » بِمَعْنَى « الَّذِي » ، وَأَنْ « هَارُوتَ وَمَارُوتَ » ، مُرْجَمٌ بِهِمَا عَنِ الْمَلَكِينَ ، وَلِذَلِكَ فَتَحَتْ أَوَاخِرَ أَسْمَائِهِمَا ، لِأَنَّهُمَا فِي مَوْضِعٍ خَفِضَ عَلَى الرَّدِّ عَلَى « الْمَلَكِينَ » . وَلَكِنَّهُمَا لَمَّا كَانَا لَا يُجِرَّانَ ، فَتَحَتْ أَوَاخِرَ أَسْمَائِهِمَا .

• • •

فَإِنَّ التَّبَسَّسَ عَلَى ذِي غَبَاءٍ مَا قُلْنَا فَقَالَ : وَكَيْفَ يَجُوزُ لِلْمَلَائِكَةِ اللَّهُ أَنْ تُتَعَلَّمَ النَّاسَ التَّفْرِيقَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ؟ أَمْ كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُضَافَ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِنْزَالُ ذَلِكَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ؟

قِيلَ لَهُ : إِنْ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ عَرَفَ عِبَادَهُ جَمِيعَ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَجَمِيعَ مَا نَهَاَهُمْ عَنْهُ ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ وَنَهَاَهُمْ بَعْدَ الْعِلْمِ مِنْهُمْ بِمَا يُؤْمَرُونَ بِهِ وَيُنْهَوْنَ عَنْهُ . وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، لَمَا كَانَ لِلْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مَعْنَى مَفْهُومٌ . فَالْسَّحَرُ مِمَّا قَدْ نَهَى عِبَادَهُ مِنْ بَنِي آدَمَ عَنْهُ ، فَغَيْرُ مُنْكَرٍ أَنْ يَكُونَ جَلَّ ثَنَاهُ عَلَّمَهُ الْمَلَكِينَ الَّذِينَ سَمَاهَا فِي تَنْزِيلِهِ ، وَجَعَلَهُمَا فِتْنَةً لِعِبَادِهِ مِنْ بَنِي آدَمَ — كَمَا أُخْبِرَ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا يَقُولَانِ لِمَنْ يَتَعَلَّمُ ذَلِكَ مِنْهُمَا : « إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ » — لِيُخْتَبَرَ بِهِمَا عِبَادُهُ الَّذِينَ نَهَاَهُمْ عَنِ التَّفْرِيقِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ، وَعَنِ السَّحَرِ ، فَيُمَحِّصَ الْمُؤْمِنَ بِتَرْكِهِ التَّعَلُّمَ مِنْهُمَا ، وَيُخَيَّرَ الْكَافِرَ بِتَعَلُّمِهِ السَّحَرَ وَالْكَفَرَ مِنْهُمَا . وَيَكُونُ الْمَلَكَانِ — فِي تَعْلِيمِهِمَا مِنْ عَلَّمَا ذَلِكَ — لِلَّهِ مُطِيعِينَ ، إِذْ كَانَا = عَنْ إِذْنِ اللَّهِ لَمَّا بَتَعْلِيمِ ذَلِكَ مَنْ عَلَّمَاهُ = يَعْلَمَانِ . وَقَدْ عُبدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَهُمْ ضَائِعًا ،

(١) يطل الشيء يطل بطلا و بطولا و بطلاناً . وهذا باطل بين البطول والبطلان .

إذ لم يكن ذلك بأمرهم إياهم به ، بل عُبد بعضهم والمعبود عنه ناه .^(١) فكذلك الملكان ، غير ضائرهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما ، بعد نهيهما إياه عنه ، وعظمتها له بقولهما : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » ، إذ كانا قد أدّيا ما أميرا به بقليلهما ذلك ، كما : —
١٦٨٠ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن عوف ، عن الحسن في قوله : « وما أنزل على الملّكين بيابل هاروتَ وماروتَ » إلى قوله : « فلا تكفر » ، أخذ عليهما ذلك .

* * *

ذكر بعض الأخبار التي في بيان الملّكين ، ومن قال إن هاروت وماروت هما الملّكان اللذان ذكر الله جل ثناؤه في قوله : « بيابل » :

* * *

١٦٨١ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا معاذ بن هشام . قال ، حدثني أبي ، عن قتادة قال ، حدثنا أبو شعبة العدوي في جنازة يونس بن جبير أبي غلاب ، عن ابن عباس قال : إن الله أفرج السماء ملائكته ينظرون إلى أعمال بني آدم ، فلما أبصروهم يعملون الخطايا قالوا : يارب ، هؤلاء بنو آدم الذي خلقته بيدك ، وأسجدت له ملائكتك ، وعلمته أسماء كل شيء يعملون بالخطايا ! قال : أما إنكم لو كنتم مكانهم لعلتم مثل أعمالهم . قالوا : سبحانك ما كان ينبغي لنا ! قال : فأمروا أن يختاروا من يهبط إلى الأرض ، قال : فاختراروا هاروت وماروت . فأهبطا إلى الأرض ، وأحلّ لهما ما فيها من شيء ، غير أن لا يشركا بالله شيئا ، ولا يسرقا ، ولا يزنيا ، ولا يشربا الخمر ، ولا يقتلا النفس التي حرّم الله إلا بالحق . قال : فما استمرّا حتى عرض لهما امرأة قد قُسم لها نصف الحسن ، يقال لها « يذخت » فلما أبصراها أرادا بها زنا ، فقالت : لا ، إلا أن تشركا بالله ، وتشربا الخمر ، وتقتلا النفس ، وتسجدا لهذا الصنم ! فقالا : ما كنا لنشرك بالله شيئا ! فقال أحدهما

(١) هذه حجة رجل يبصر دقيق المعاني ، ولا يغفل عن مواضع السقوط في كلام من يتكلم وهو لا يضبط ما يقتضيه كلامه . وقد استخف به ابن كثير ، لأنه لم يضبط ما ضبطه هذا الإمام المتسكن من عقله وفهمه .

للآخر : ارجع إليها . فقالت : لا ، إلا أن تشرّبا الحمر . فشرّبا حتى ثملا ، ودخل عليهما سائل فقتلاه ، فلما وقعا فيها وقعا فيه من الشر ، أفرج الله السماء للملائكة ، فقالوا : سبحانك ! كنت أعلم ! قال : فأوحى الله إلى سليمان بن داود أن يُخَيِّرَها بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاخترّا عذاب الدنيا ، فكبّلا من أكعبهما إلى أعناقهما بمثل أعناق البُخْت ، وجعلا بيابل.^(١)

١٦٨٢ - حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المهال قال ، حدثنا حماد ، عن علي بن زيد ، عن أبي عثمان النهدي ، عن ابن مسعود وابن عباس أنهما قالا : لما كثر بنو آدم وعصوا ، دعت الملائكة عليهم والأرض والسماء والجبال : ربنا ألا تهلكهم ! فأوحى الله إلى الملائكة : إني لو أنزلت الشهوة والشيطان من قلوبكم وتزكّم لفعلتم أيضاً !^(٢) قال : فحدثوا أنفسهم أن لو ابتلوا اعتصموا ، فأوحى الله إليهم : أن اختاروا ملكين من أفضلكم . فاختاروا هاروت وماروت ، فأهبطا إلى الأرض ، وأنزلت الزهرة إليهما في صورة امرأة من أهل فارس ، وكان أهل فارس يسمونها « بيدخت » . قال : فوقعا بالخطيئة ، فكانت الملائكة يستغفرون للذين آمنوا :^(٣) ربنا وسعت كل شيء رحمةً وعلماً فاغفر للذين تابوا . فلما وقعا بالخطيئة ، استغفروا لمن في الأرض ، ألا إن الله هو الغفور الرحيم . فخيرّا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاخترّا عذاب الدنيا .^(٤)

(١) الخبر : ١٦٨١ - أبو شعبة العلوي ، هذا الذي يروى هنا عن ابن عباس : لم أعرف من هو ؟ ولا وجدت له ذكراً في شيء من المراجع . والراجح عندي أن اسمه محرف عن شيء لا أعرفه .
(٢) في تفسير ابن كثير ١ : ٢٥٦ ، والدر المنثور ١ : ٩٩ : « ربنا ، لا تمهلهم » ، وكأنها هي الصواب ، وإن كانت الأولى صحيحة المعنى .

(٣) هذه العبارة صحيحة المعنى ، ولكنها جاءت في تفسير ابن كثير : « إني أزلت الشهوة والشيطان من قلوبكم ، وأنزلت الشهوة والشيطان في قلوبهم ، ولو نزلتم لفعلتم أيضاً » . وجاءت في الدر المنثور : « إني أزلت الشهوة والشيطان من قلوبكم ، ولو نزلتم لفعلتم أيضاً » . مختصراً .

(٤) في المطبوعة : « وكانت الملائكة بالواو ، والصواب من ابن كثير والدر المنثور .

(٥) الخبر : ١٦٨٢ - الحجاج بن المهال الأنماطي : ثقة فاضل ، أخرج له الجماعة . شيخه « حماد » : الراجح عندنا أنه « حماد بن سلمة » ، وإن كان في التهذيب أنه يروى عن « الحاديين » ، يعني حماد بن زيد وحماد بن سلمة . ولكن اقتصر البخاري في ترجمته في الكبير ٣٧٦/٢/١ على ذكر

١٦٨٣ - حدثني المثني قال ، حدثني الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن خالد الحذاء ، عن عمير بن سعيد قال ، سمعت علياً يقول : كانت الزهراء امرأة جميلة من أهل فارس ، وأنها خاصمت إلى الملكين هاروت وماروت ، فرواداها عن نفسها ، فأبت إلا أن يعلمهاها الكلام الذي إذا تكلم به يُعرج به إلى السماء . فعلمهاها ، فتكلمت به ، فمُرجت إلى السماء ، فمُسخت كوكباً. (١)

١٦٨٤ - حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثني قالا ، حدثنا مؤمل بن إسماعيل - وحدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق - جميعاً ، عن الثوري ، عن موسى بن عقبة ، عن سالم ، عن ابن عمر ، عن كعب قال : ذكرت الملائكة أعمال بني آدم وما يأتون من الذنوب ، فقليل لهم : اختاروا منكم اثنين - وقال الحسن بن يحيى في حديثه : اختاروا ملكين - فاختاروا هاروت وماروت ، فقليل لهما : إني أرسل إلى بني آدم رُسلاً ، وليس بيني وبينكم رسول ، انزلا : لا تُشركا بي شيئاً ، ولا تزنيا ، ولا تشربا الخمر . قال كعب : فوالله ما أمسيا من يومهما الذي أهبطا فيه إلى الأرض حتى استكلا جميع ما نُهيّا عنه - وقال الحسن ابن يحيى في حديثه : فما استكلا يومهما الذي أنزلا فيه حتى عملا ما حرّم الله عليهما. (٢)

« حماد بن سلمة » ، وكذلك صنع ابن أبي حاتم ١٦٧/٢/١ . فصنيمها يدل على أنه عرف بالرواية عنه أكثر - ووقع في المطبوعة هنا « حجاج » بدل « حماد » . والتصحيح من ابن كثير ١ : ٢٥٦ ، إذ نقل هذا الخبر عن الطبري .

(١) الخبر : ١٦٨٣ - خالد الحذاء : هو « خالد بن مهران » ، ثقة كثير الحديث . مترجم في التهذيب ، والكبير البخاري ١٥٩/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ٣٥٢/٢/١ - ٣٥٣ .
عمير بن سعيد النخعي : تابعي ثقة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣٧٦/١/٣ . ووقع في المطبوعة هنا « عمرو » بدل « عمير » . وهو خطأ ، صوابه في ابن كثير ١ : ٢٥٥ عن رواية الطبري هذه .
والخبر رواه الحاكم في المستدرک ٢ : ٢٦٥ - ٢٦٦ ، مطولاً ، من طريق إسماعيل بن أبي خالد ، « عن عمير بن سعيد النخعي ، قال : سمعت علياً . . . » ، فذكره بطوله .

(٢) الخبر : ١٦٨٤ - رواه البخاري بإسنادين : من طريق مؤمل بن إسماعيل ، ومن طريق عبد الرزاق ، كلاهما عن الثوري . موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي : هو صاحب المغازي ، كان ثقة ثيباً .

١٦٨٥ - حدثني المثنى قال ، حدثنا معلّى بن أسد قال ، حدثنا عبد العزيز ابن المختار ، عن موسى بن عقبة قال ، حدثني سالم ، أنه سمع عبد الله يحدث ، عن كعب الأحبار أنه حدث : أن الملائكة أنكروا أعمال بني آدم وما يأتون في الأرض من المعاصي ، فقال الله لهم : إنكم لو كنتم مكانهم أتيتم ما يأتون من الذنوب ، فاختاروا منكم ملكين . فاختاروا هاروت وماروت ، فقال الله لهما : إني أرسل رسلي إلى الناس ، وليس بيني وبينكما رسول ، انزلوا إلى الأرض ، ولا تُشركا بي شيئاً ، ولا تزنيا . فقال كعب : والذي نفس كعب بيده ، ما استكملا يومهما الذي نزل فيه حتى أتيا ما حرم الله عليهما . (١)

وكان مالك يقول : « عليكم بغازي موسى بن عقبة ، فإنه ثقة » . وهو مترجم في الكبير البخاري ٢٩٢/١/٤ وابن أبي حاتم ١٥٤/١/٤ - ١٥٥ .

والذي أثبتنا هو الصواب ، وكان في المطبوعة « محمد بن عقبة » ، بدل « موسى » . و « محمد ابن عقبة » : هو أخو موسى بن عقبة . وهو ثقة أيضاً ، مترجم في التهذيب ، والكبير ١٩٨/١/١ - ١٩٩ ، وابن أبي حاتم ٣٥/١/٤ .

وكان من المحتمل أن يكون ما في المطبوعة صحيحاً ، لأن سفيان الثوري يروى عن محمد بن عقبة ، كما يروى عن أخيه موسى . لولا الدلائل والقرائن ، التي جزمنا معها بخطأ ذلك : فأولاً : إن محمد بن عقبة لم يذكر في ترجمته بالرواية عن سالم بن عبد الله بن عمر . وثانياً : أن ابن كثير نقل هذا الخبر عن تفسير عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن موسى بن عقبة ١ : ٢٥٥ ، ثم ذكر أن الطبري رواه من طريق عبد الرزاق . وثالثاً : الخبر ثابت في تفسير عبد الرزاق ، في نسخة مصورة عندي ، عن مخطوطة دار الكتب المصرية ، المكتوبة سنة ٧٢٤ . وفيها « عن موسى بن عقبة » .

فاتفق على هذا الكتابان : الكتاب الذي نقل عنه الطبري ، والكتاب الذي نقل عن الطبري . ورابعاً : أن ابن كثير قال أيضاً : « رواه ابن أبي حاتم ، عن أحمد بن حنبل ، عن مؤمل ، عن سفيان الثوري ، به » .

والطبري هنا رواه - كما ذكرنا - عن مؤمل بن إسماعيل ، عن الثوري . فاتفقت روايته مع رواية ابن أبي حاتم . وليس بعد هذا ثبت ويقين .

(١) الخبر : ١٦٨٥ - هو تكرار الخبر قبله ، من رواية عبد العزيز بن المختار ، عن موسى ابن عقبة .

وعبد العزيز بن المختار الدباغ : ثقة ، روى له الجماعة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣٩٣/٢/٢ - ٣٩٤ .

١٦٨٦ - حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي : أنه كان من أمر هاروت وماروت أنهما طعنا على أهل الأرض في أحكامهم ، فقبل لهما : إني أعطيت ابن آدم عشراً من الشهوات ، فيها يعصوني . قال هاروت وماروت : ربنا ، لو أعطيتنا تلك الشهوات ثم نزلنا لحكمنا بالعدل . فقال لهما : انزلا ، فقد أعطيتكما تلك الشهوات العشر ، فاحكما بين الناس . فنزلا بيابل دُنْباوَنَد ، فكانا يحكما ، حتى إذا أمسيا عَرَجَا فإذا أصبحا هَبَطَا . فلم يزالا كذلك حتى أتهما امرأةٌ تخاصم زوجها ، فأعجبهما حُسْنُها - واسمها بالعربية ، ٣٦٤/١ « الزُّهْرَة » ، وبالنبطية « بِيَذَحَتْ » ، واسمها بالفارسية « أناهيد » - فقال أحدهما لصاحبه : إنها لتعجبني ! فقال الآخر : قد أردت أن أذكرك فاستحييت منك ! فقال : الآخر : هل لك أن أذكرها لنفسها ؟ قال : نعم ، ولكن كيف لنا بعذاب الله ؟ قال الآخر : إنا نرجو رحمة الله ! فلما جاءت تخاصم زوجها ذكراً إليها نفسها ، فقالت : لا ، حتى تقضيا لي على زوجي . فقضيا لها على زوجها . ثم واعدتهما خربة من الحَرَبِ يأتيانها فيها ، فأتياها لذلك . فلما أراد الذي يواقعها ، قالت : ما أنا بالذي أفعل حتى تخبراني بأيّ كلام تصعدان إلى السماء ، وبأيّ كلام تنزلان منها ؟ فأخبراهما ، فتكلمت فصعدت ، فأنساها الله ما تنزل به ، فبقيت مكانها ، ^(١) وجعلها الله كوكباً - فكان عبد الله بن عمر كلما رآها لعنها وقال : هذه التي فتنت هاروت وماروت ! - فلما كان الليلُ أراد أن يصعداً فلم يستطيعا ، ففرقا المَلَكُ ، ^(٢) فخيراً بين عذاب الدنيا والآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا من عذاب الآخرة ، فعلقا بيابل ، فجعلتا يكلمان الناس كلامهما ، وهو السحر .

١٦٨٧ - حدثني المني بن إبراهيم قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : لما وقع الناس من بعد آدم فيما وقعوا فيه من

(١) في ابن كثير ١ : ٢٥٩ : « فثبت مكانها » .

(٢) في ابن كثير ١ : ٢٥٩ : « المَلَكَةُ » ، وهما سواء .

المعاصي والكفر بالله ، قالت الملائكة في السماء : أي ربّ ، هذا العالم إنما خلقتهم لعبادتك وطاعتك ، وقد ركبوا الكفر وقتلوا النفس الحرام وأكلوا المال الحرام والسرقة والزنا وشربوا الخمر ! فجعلوا يدعون عليهم ولا يعذرهم ، فقيل لهم : إنهم في غيب .^(١) فلم يعذروهم ، فقيل لهم : اختاروا منكم ملكين آمرهما بأمرى وأنهاهما عن معصيتي . فاخترتا هاروت وماروت ، فأهبطا إلى الأرض ، وجعل بهما شهوات بني آدم ،^(٢) وأمرا أن يعبد الله ولا يشركا به شيئا ، ونهيا عن قتل النفس الحرام ، وأكل المال الحرام ، والسرقة ، والزنا ، وشرب الخمر . فلبتا على ذلك في الأرض زمانا يحكمآن بين الناس بالحق - وذلك في زمان لإدريس . وفي ذلك الزمان امرأة حسنها في سائر الناس كحُسن الزهرة في سائر الكواكب ، وأنها أتت عليهما^(٣) ، فخضعا لها بالقول ، وأراداها على نفسها ، وأنها أبت إلا أن يكونا على أمرها ودينها ، وأنهما سألاها عن دينها التي هي عليه ، فأخرجت لهما صنما وقالت : هذا أعبد . فقالا : لا حاجة لنا في عبادة هذا ! فذهبا فغبرا ما شاء الله ،^(٤) ثم أتيا عليها فخضعا لها بالقول وأراداها على نفسها ، فقالت : لا ، إلا أن تكونا على ما أنا عليه . فقالا : لا حاجة لنا في عبادة هذا ! فلما رأتهما أتبيا أن يعبد الصنم ، قالت لهما : اختارا إحدى الحليال الثلاث : إما أن تعبد الصنم ، أو تقتلا النفس ، أو تشربا الخمر . فقالا : كل هذا لا ينبغي ، وأهون الثلاثة شرب الخمر . فسقتهما الخمر ، حتى إذا أخذتا الخمر فيهما وقعا بهما . فر بهما إنسان ، وهما في ذلك ، فخشيا أن يُفشي عليهما فقتلاه . فلما أن ذهب عنهما السكر ، عرفا ما وقعا فيه من الخطيئة ، وأرادا أن يصعدا إلى السماء ، فلم يستطيعا ،

(١) ما أدري ما يعني بقوله : « إنهم في غيب » ، إلا أن يكون أراد الغيب : وهو ما غيبك من الأرض ، لبعده وانقطاعه ، وهبوطه عما حوله . كأنه يقول : إنهم في مكان غيبهم عما تشهدون أنتم - أيها الملائكة - من آيات ربكم . وانظر ص : ٤٣٣

(٢) في تفسير ابن كثير ١ : ٢٥٧ : « فجعل لهما . . . »

(٣) في تفسير ابن كثير : « أتيا عليها » .

(٤) في المطبوعة : « فغبرا ما شاء الله » ، وفي ابن كثير : « فغبرا » . وغير : مكث وبقى .

فحيل بينهما وبين ذلك . وكشف الغطاء بينهما وبين أهل السماء ، فنظرت الملائكة إلى ما وقعا فيه من الذنب ، فعجبوا كل العجب ، وعلموا أن من كان في غيب فهو أقل خشية^(١) ، فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الأرض - وأنها لما وقعا فيها وقعا فيه من الخطيئة قيل لهما : اختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة ! فقالا : أما عذاب الدنيا فإنه ينقطع ، وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع له . فاختارا عذاب الدنيا ، فجعلنا بابل ، فهما يعذبان .^(٢)

١٦٨٨ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا فرج بن فضالة ، عن معاوية بن صالح ، عن نافع قال : سافرت مع ابن عمر ، فلما كان من آخر ٣٦٥/١ الليل قال : يا نافع انظر ، طلعت الحمراء ؟ قلت : لا - مرتين أو ثلاثاً -^(٣) ثم قلت : قد طلعت ! قال : لا مَرْحَباً ولا أهلاً ! قلت : سبحان الله ، نجمٌ مسخرٌ سامعٌ مطيعٌ ! قال : ما قلت لك إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال :^(٤) وقال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الملائكة قالت : يا رب ، كيف صبرك على بنى آدم في الخطايا والذنوب ؟ قال : إنني ابتليتهم وعافيتكم . قالوا : لو كنا مكانهم ما عصيناك ! قال : فاختاروا ملكين منكم . قال : فلم يألوا أن يختاروا ، فاختاروا هاروت وماروت^(٥)

(١) انظر ص : ٤٣٢ تعليق : ١

(٢) الأثر : ١٦٨٧ - في تفسير ابن كثير ١ : ٢٥٧ - ٢٥٨ عن أبي حاتم قال : « أخبرنا عصام بن رواد ، أخبرنا آدم ، أخبرنا أبو جعفر ، حدثنا الربيع بن أنس ، عن قيس بن عباد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما » ، وهو غير إسناده ابن جرير ، وكلاهما من طريق أبي جعفر عن الربيع بن أنس ، ولكن ابن جرير لم يرفعه إلى ابن عباس . ونصهما واحد إلا بعض خلاف يسير في بعض اللفظ . (٣) في المطبوعة : « قالها مرتين أو ثلاثاً » ، والصواب من ابن كثير في تفسيره ١ : ٢٥٥ ، والدر المنثور ١ : ٩٧ .

(٤) في ابن كثير : « أو قال - قال لي رسول الله . . . »

(٥) الحديث : ١٦٨٨ - هذا إسناده ضعيف . الحسين : هو ابن داود ، ولقبه « سنيذ » ، وقد ترجمنا له في : ١٤٤ ، ونزيد هنا أنه ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد ٨ : ٤٢ - ٤٤ ، وقوى أمره . وهو كما قال .

الفرج بن فضالة التنوخي القضاعي : ضعيف ، قال البخاري : « منكر الحديث » ، وهو مترجم

١٦٨٩ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد : **وَأَمَّا شَأْنُ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ عَجِبَتْ مِنْ ظَلَمِ بَنِي آدَمَ ، وَقَدْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ وَالْكِتَابُ وَالْيَنَانُ . فَقَالَ لَهُمْ رَبُّهُمْ : اخْتَارُوا مِنْكُمْ مَلَكَيْنِ أَنْزَلَهُمَا يَحْكُمَانِ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ بَنِي آدَمَ . فَاخْتَارُوا هَارُوتَ وَمَارُوتَ . فَقَالَ لَهُمَا حِينَ أَنْزَلَهُمَا : عَجِبْتُمَا مِنْ بَنِي آدَمَ وَمِنْ ظَلَمِهِمْ وَمَعْصِيَتِهِمْ ، وَإِنَّمَا تَأْتِيهِمُ الرُّسُلُ وَالْكِتَابُ مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ ،^(١) وَأَنْتُمَا لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمَا رَسُولٌ ، فَافْعَلَا كَذَا وَكَذَا ، وَدَعَا كَذَا وَكَذَا . فَأَمَرَهُمَا بِأَمْرٍ وَنَهَاهُمَا .^(٢) ثُمَّ نَزَلَ عَلَى ذَلِكَ ، لَيْسَ أَحَدٌ لَّهُ أَطْوَعُ مِنْهُمَا . فَحَكَمَا**

في التهذيب ، والكبير ١٣٤/١/٤ ، والصغير : ١٩٢ ، ١٩٩ ، والضملاء البخاري : ٢٩ ، والنسائي : ٢٥ ، وابن أبي حاتم ٨٥/٢/٣ - ٨٦ .

وهذا الحديث هنا مختصر . وقد رواه الخطيب في ترجمة سنيده ، مطولا ، من طريق عبد الكريم بن الميثم ، عن سنيده ، بهذا الإسناد .

وهذه الأخبار ، في قصة هاروت وماروت ، وقصة الزهرة ، وأنها كانت امرأة فسخت كوكبا - أخبار أهل العلم بالحديث . وقد جاء هذا المعنى في حديث مرفوع ، رواه أحمد في المستدرك : ٦١٧٨ ، من طريق موسى بن جبير ، عن نافع ، عن ابن عمر . وقد فصلت القول في تعليقه في شرح المستدرك ، وفقلت قول ابن كثير في التفسير ١ : ٢٥٥ « وأقرب ما يكون في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار ، لا عن النبي صلى الله عليه وسلم » . واستدل بروايتي الطبري السالفتين : ١٦٨٤ ، ١٦٨٥ ، عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأحبار .

وقد أشار ابن كثير أيضاً في التاريخ ١ : ٣٧ - ٣٨ ، قال : « فهذا أظنه من وضع الإسرائيليين ، وإن كان قد أخرجه كعب الأحبار ، وتلقاه عنه طائفة من السلف ، فذكروه على سبيل الحكاية والتحدث عن بني إسرائيل » . وقال أيضاً ، بعد الإشارة إلى أسانيد آخر : « وإذا أحسننا الظن قلنا : هذا من أخبار بني إسرائيل ، كما تقدم من رواية ابن عمر عن كعب الأحبار . ويكون من خرافاتهم التي لا يعمل عليها » .

وقال في التفسير أيضاً ١ : ٢٦٠ ، بعد ذكر كثير من الروايات التي في الطبري وغيره : « وقد روى في قصة هاروت وماروت ، عن جماعة من التابعين ، كجهايد ، والسدي والحسن البصري ، وقتادة ، وأبي العالية ، والزهرى ، والربيع بن أنس ، ومقاتل بن حيان ، وغيرهم ، بقصصها خلق من المفسرين ، من المتقدمين والمتأخرين . وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل ، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصطفى المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى . وظاهر سياق القرآن إجمال القصة ، من غير بسط ولا إطناب فيها . فنحن نؤمن بما ورد في القرآن ، على ما أراد الله تعالى . والله أعلم بحقيقة الحال » .

وهذا هو الحق ، وفيه القول الفصل . والحمد لله .

(١) في ابن كثير ١ : ٢٥٩ : « أعجبتم من بني آدم . . . وإنكم ليس بيني وبينكم رسول »

(٢) في ابن كثير : « فأمرهما بأمر ونهاهما » .

فعدلا . فكان يحكمان النهار بين بنى آدم ، فإذا أمسَا عَرَجَا وكانا مع الملائكة ، ويتزلان حين يصبحان فيحكمان فيعدلان ، حتى أنزلت عليهما الزهرة — فى أحسن صورة امرأة — تخاصم ، فقضيا عليها . فلما قامت ، وجد كل واحد منهما فى نفسه ، فقال أحدهما لصاحبه : وجدتَ مثل ما وجدتُ ؟ قال : نعم . فبعثا إليها : أن اثبتنا نَقْصْرَ لك . فلما رجعت ، قالاهما — وقضيا لها — : اثبتنا ! فأتتهما ،^(١) فكشفا لها عن عورتها ، وإنما كانت شهوتهما فى أنفسهما ، ولم يكونا كبنى آدم فى شهوة النساء ولذتها . فلما بلغا ذلك واستحلاه وافتتتا ، طارت الزهرة فرجعت حيث كانت . فلما أمسيا عَرَجَا فرُدَّا ولم يؤذن لهما ،^(٢) ولم تحملهما أجحتهما ، فاستغاثا برجل من بنى آدم ، فأتياه فقالا : ادعُ لنا ربك ! فقال : كيف يشفع أهل الأرض لأهل السماء ؟ قالوا : سمعنا ربك يذكرك بخير فى السماء ! فوعدهما يوماً ، وغدا يدعوهما ، فدعا لهما فاستجيب له ، فخيرًا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة . فنظر أحدهما لصاحبه فقالا : نعلم أن أنواعَ عذاب الله فى الآخرة كذا وكذا فى الخلد ، ومع الدنيا سبع مرات مثلها .^(٣) فأَمِرا أن ينزلا ببابل ، فشمَّ عذابهما . وزعم أنهما معلقان فى الحديد مطويّتان ، يصفقّان بأجنحتهما^(٤)

قال أبو جعفر : وحكى عن بعض القراء أنه كان يقرأ : « وما أنزل على المَلَكَيْنِ » ، يعنى به رجلين من بنى آدم . وقد دللنا على خطأ القراءة بذلك من جهة الاستدلال ،^(٥) فأما من جهة النقل ، فإجماع الحجة — على خطأ القراءة بها — من

(١) فى ابن كثير : « قالوا وقضيا لها فأتتهما » ، وليس بصواب .

(٢) فى ابن كثير : « فجزوا ولم يؤذن لهما » ، وهما سواء .

(٣) فى ابن كثير : « فقال : ألا تعلم أن أفواج عذاب الله . . . وفى الدنيا تسع مرات مثلها » . وفى الدر المنثور : « فقالا : نعم أن أفواج عذاب الله . . . نعم ، ومع الدنيا سبع مرات . . . » وقوله « ومع الدنيا . . . » أى إذا قيس بمذاب الدنيا ، كان سبعة أمثال عذابها .

(٤) الأثر : ١٦٨٩ — فى تفسير ابن كثير ١ : ٢٥٩ — ٢٦٠ ، وفى الدر المنثور ١ : ١٠٢

(٥) انظر ما سلف من : ٤٢٥ — ٤٢٦

الصحابه والتابعين وقرّاء الأمصار . وكفى بذلك شاهداً على خطئها .

• • •

وأما قوله « بيا بيل » ، فإنه اسم قرية أو موضع من مواضع الأرض . وقد اختلف أهل التأويل فيها . فقال بعضهم : إنها « بابل دُنْباوْتند » :

١٦٩٠ - حدثني بذلك موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ،

عن السدي (١)

• • •

وقال بعضهم : بل ذلك « بابل العراق » . ذكر من قال ذلك :

١٦٩١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة - في قصة ذكرتها عن امرأة قدمت المدينة ، فذكرت أنها صارت في العراق بيا بيل ، فأتت بها هاروت وماروت ، فتعلّمت منهما السحر (٢)

• • •

قال أبو جعفر : واختلف في معنى « السحر » . فقال بعضهم : هو خُدَع

ومخاريق ومعانٍ يفعلها الساحر ، حتى يُنْخِل إلى المسحور الشيء أنه بخلاف ما هو به ، نظير الذي يرى السَّراب من بعيد فيُخِيل إليه أنه ماء ، ويرى الشيء من بعيد فيُسَبِّته بخلاف ما هو على حقيقته . وكراكب السفينة السائرة سيراً حثيثاً ، يُنْخِل إليه أن ما عاين من الأشجار والجبال سائرٌ معه . قالوا : فكذلك المسحور ذلك صفة : يحسب بعد الذي وصل إليه من سحر الساحر ، أن الذي يراه أو يفعله بخلاف الذي هو به على حقيقته ، كالذي : -

(١) الأثر : ١٦٩٠ - هو الأثر السابق ١٦٨٦ .

(٢) الأثر : ١٦٩١ الحسين ، هو سنيد ، كما مضى مراراً .

حجاج : هو ابن محمد المصيصي الأعور ، وهو ثقة رفيع الشأن ، من شيوخ أحمد وابن معين . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٢/١ ٣٧٦ ، وابن أبي حاتم ١/٢ ١٦٦ ، وتاريخ بغداد ٨ : ٢٣٦ - ٢٣٩ .

وهذا الخبر قطعة من خبر مطول ، سيأتي : ١٦٩٥ ، من طريق ابن أبي الزناد أيضاً .

١٦٩٢ - حدثني أحمد بن الوليد وسفيان بن وكيع ، قالا ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سُحِر ، كان يُحَيِّلُ إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله . (١)

١٦٩٣ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهوديٌّ من يهود بني زُرَيْق يقال له ليبد بن الأعصم ، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحَيِّلُ إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله . (٢)

(١) الحديث : ١٦٩٢ - أحمد بن الوليد ، شيخ الطبري : لم أعرف من هو ؟ وسفيان بن وكيع بن الجراح : ضعيف ، قال البخاري في التاريخ الصغير ، ص : ٢٤٦ « يتكلمون فيه لأشياء ، لقنوه » . وقال النسائي في الضعفاء ، ص : ١٦ « ليس بشيء » . بل اتهمه أبو زرعة بالكذب . ودفع عنه أبو حاتم هذه السبة ، وإنما جاءه ذلك من وراقه ، أفند عليه حديثه . وهو مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢٣١/١/٢ - ٢٣٢ ، والمحرر وسين لابن حبان (مخطوط مصور) ، رقم : ٤٧٠ . وليس ضعفه بسبب لضعف هذا الحديث فقد جاء بأسانيد صحاح ، سنن في إليها في الحديث التالي .

يحيى بن سعيد : هو القطان الإمام الحافظ .

(٢) الحديث : ١٦٩٣ - هو تكرار للحديث السابق بإسناد آخر ، رواه سفيان بن وكيع ، عن ابن نمير .

ابن نمير : هو عبد الله بن نمير الهمداني : ثقة صاحب سنة ، روى عنه الأئمة ، أحمد ، وابن المديني . مترجم في التهذيب ، وابن سعد ٦ : ٢٧٤ - ٢٧٥ . وابن أبي حاتم ١٨٦/٢/٢ .

وهذا الحديث - بطريقه - مختصر من حديث مطول : أما من رواية ابن نمير ، فقد رواه أحمد في المستدرك ٦ : ٥٧ (حلقي) عن ابن نمير . ورواه مسلم في صحيحه ٢ : ١٨٠ ، عن أبي كريب . ورواه ابن ماجه : ٣٥٤٥ ، عن أبي بكر بن شيبة - كلاهما عن ابن نمير ، به مطولا .

وقد رواه كثير من الثقات الأثبات عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة :

فرواه أحمد في المستدرك ٦ : ٦٣ ، من طريق معمر . ورواه أحمد أيضاً ٦ : ٦٣ ، من طريق أبي أسامة حماد بن أسامة ، وكذلك رواه البخاري ١٠ : ٢٠١ ، ومسلم ٢ : ١٨٠ - كلاهما من طريق أبي أسامة . ورواه أحمد أيضاً ٦ : ٩٦ ، وابن سعد ٤/٢/٢ - كلاهما من طريق وهيب . ورواه البخاري ١٠ : ١٩٢ - ١٩٧ ، من طريق عيسى بن يونس . و ١٠ : ١٩٩ - ٢٠١ ، من طريق ابن عيينة . و ١٠ : ٤٠٠ ، من طريق سفيان ، وهو ابن عيينة . و ١١ : ١٦٣ ، من طريق أنس ابن عياض أبي خزيمة . ورواه أيضاً ٦ : ٢٣٩ ، مطلقاً من رواية الليث بن سعد ، - كل هؤلاء رَوَوْه عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . وقال البخاري ١٠ : ١٩٧ ، عقب رواية عيسى بن يونس : « تابعه أبو أسامة ، وأبو خزيمة ، وابن أبي الزناد - عن هشام » . وفي رواية ابن عيينة ١٠ : ١٩٩ أنه سمعه قبل ذلك من ابن جريج « يقول : حدثني آل عروة عن عروة » . وأنه - أي ابن عيينة - سأل هشاماً عنه ، فحدثه به عن أبيه عن عائشة .

١٦٩٤ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال ، كان عُروة بن الزبير وسعيد بن المسيب يحدّثان : أن يهود بني زُرَيْق عَقَدُوا عَقْدَ سِخْرِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ففعلوها في بئر حزم ، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينكر بصره . ودلّه الله على ما صنعوا ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر حزم التي فيها العُقد فانتزعها . فكان

وذكر ابن كثير بعض طرقه ، في تفسير سورة الفلق ٩ : ٣٥٣ - ٣٥٤ . وإنما فصلنا القول في طريقه هنا ، لأن الطبري لم يذكره هناك في موضعه .

وقد ثبت مثل هذه القصة من حديث زيد بن أرقم :

فرواه أحمد في المسند ٤ : ٣٦٧ (حطبي) ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن يزيد بن حيان ، عن يزيد بن أرقم ، به . وهذا إسناد صحيح . يزيد بن حيان أبو حيان التميمي : تابعي ثقة ، مترجم في التهذيب ، والكبير البخاري ٢/٤ - ٣٢٤ - ٣٢٥ ، وابن أبي حاتم ٢/٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ .

ورواه أيضاً ابن سعد ٢/٢ - ٦ ، عن موسى بن مسعود ، عن سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن ثمامة المحلى ، عن زيد بن أرقم . وهذا إسناد صحيح أيضاً . موسى بن مسعود الهدي : سبق توثيقه : ٢٨٠ . و « ثمامة بن عقبة المحلى » : ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير البخاري ١/٢ - ١٧٦ ، والجرح ١/١ - ٤٦٥ - ٤٦٦ . و « المحلى » : بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكر اللام المشددة بعدها ميم ، نسبة إلى « محلم بن تميم » .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦ : ٢٨١ ، بروايتين ، وقال : « رواه النسائي باختصار » ، ثم قال : « رواه الطبراني بأسانيد ، ورجال أصلها رجال الصحيح » .

وذكره الحافظ في الفتح ١٠ : ١٩٤ أنه « صححه الحاكم وعبد بن حيد » .

وقصة السحر هذه عرض لها كثير من أهل عصرنا بالإنكار ؛ وهم في إنكارهم مقلدون ، ويزعمون أنهم بمقلهم يتلون . وقد سبقهم إلى ذلك غيرهم ، ورد عليهم العلماء :

فقال الحافظ في الفتح ١٠ : ١٩٢ « قال المازري : أنكر بعض المجتة هذا الحديث ، وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها ! قالوا : وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل . وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعه من الشرائع ؛ إذ يحتمل على هذا أنه يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثم ! وأنه يوحى إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء ! ! قال المازري : وهذا كله مردود . لأن الدليل قد قام على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن الله تعالى ، وعلى حصته في التبليغ ، والمعجزات شاهدات بتصديقه . فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل . وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ، ولا كانت الرسالة من أجلها - فهو في ذلك حُرصة لما يمترض البشر ، كالأمراض . فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له ، مع حصته عن مثل ذلك من أمور الدين » . ثم أفاض الحافظ في هذا البحث التحقيق ، بقوة المروقة ، في جمع اقروايات وتفسيرها ، بما لا يدع شكاً عند من ينصف . وحقق انقاضي عيافى فصلاً جيداً في هذا البحث ، في كتاب الشفاء . انظره في شرح العلامة على

القراري ٢ : ١٩٠ - ١٩٣ من طبعة بولاق سنة ١٢٥٧ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سحرتني يهود بنى زريق .^(١)

* * *

وأنكر قائلو هذه المقالة أن يكون الساحر يقدر بسحره على قلب شيء عن حقيقة ، واستسخر شيء من خلق الله - إلا نظير الذي يقدر عليه من ذلك سائر بنى آدم - أو إنشاء شيء من الأجسام سوى المخاريق والجدع المتخيلة لأبصار الناظرين بخلاف حقائقها التي وصفنا . وقالوا : لو كان في وسع السحرة إنشاء الأجسام وقلب حقائق الأعيان عما هي به من الهيئات ، لم يكن بين الحق والباطل فصل ،^(٢) ولجاز أن تكون جميع المحسوسات مما سحرت السحرة فقلبت أعيانها . قالوا : وفي وصف الله جل وعز سمرة فرعون بقوله : ﴿ فَأِذَا حَبَالُهُمْ وَعَصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ [سورة طه : ٦٦] ، وفي خبر عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذ سحر يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله ، أوضح الدلالة على بطول دعوى المدعين = : أن الساحر ينشئ أعيان الأشياء بسحره ، ويستسخر ما يتعذر استسخاره على غيره من بنى آدم ، كالموات والجماد والحيوان = وصحة ما قلنا .^(٣)

* * *

وقال آخرون : قد يقدر الساحر بسحره أن يحول الإنسان حماراً ، وأن يسحر الإنسان والحمار ، وينشئ أعياناً وأجساماً ، واعتلوا في ذلك بما : -

١٦٩٥ - حدثنا به الربيع بن سليمان قال ، حدثنا ابن وهب قال ، أخبرنا

ابن أبي الزناد قال ، حدثني هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة زوج

(١) الحديث : ١٦٩٤ - هذا في معنى الحديثين قبله . ولكن هذا مرسل . وقد روى ابن سعد ٥/٢/٢ ، نحوه مختصراً ، عن الزهري ، « عن ابن المسيب وعروة بن الزبير ، قالوا : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سحرتني يهود بنى زريق » . وقد أشار الحافظ في الفتح ١٠ : ١٩٣ إلى أن مرسل سعيد بن المسيب رواه عبد الرزاق ، وذكر من بعض ألفاظه ما يدل على أنه أطول مما هنا . وقوله : « بشر حزم » ، لا يعرف . والذي في الروايات جميعاً : « بشر ذروان »

(٢) في المطبوعة : « فصل » ، وهو خطأ .

(٣) سياق العبارة : « أوضح الدلالة على بطول دعوى المدعين . . . وصحة ما قلنا » معطوفاً .

النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت : قدمت على امرأة من أهل دومة الجندل ، جاءت تبغى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته حَدَاثَةً ذلك ، ^(١) تسأله عن شيء دَخَلَتْ فيه من أمر السحر ولم تعمل به . قالت عائشة لعروة : يا ابن أختي ، فرأيتها تبكى حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشفئها ! ^(٢) كانت تبكى حتى إنى لأرحمها ! وتقول : إنى لأخاف أن أكون قد هلكت ! كان لى زوج فغاب عني ، فدخلت على عجوز فشكوت ذلك إليها ، فقالت : إن فعلت ٣٦٧/١ ما أمرك به ، فأجعله يأتيك ! فلما كان الليل جاءتنى بكليين أسودين ، فركبت أحدهما وركبت الآخر ، فلم يكن كشيء حتى وقفنا بيايل ، ^(٣) فإذا برجلين معلّقين بأرجلهما ، فقالا : ما جاء بك ؟ فقلت : أتعلّم السحر ! فقالا : إنما نحن فتنَةٌ ، فلا تكفرى وارْجعى . فأبيت وقلت : لا . قالا : فَاذهبي إلى ذلك التنّور فبول فيه . ^(٤) فذهبت ففزعت فلم أفعل ، فرجعت إليهما ، فقالا : أفعلت ؟ قلت : نعم . فقالا : فهل رأيت شيئاً ؟ قلت : لم أر شيئاً ! فقالا لى : لم تفعل ، ارجعى إلى بلادك ولا تكفرى فأربيتُ وأبيتُ ، ^(٥) فقالا : اذهبي إلى ذلك التنّور فبول فيه . فذهبت فاقشعررت ، ثم رجعت إليهما فقلت : قد فعلت . فقالا : فما رأيت ؟

(١) يقال : « كان ذلك في حدثان كذا وكذا » (بكسر فسكون) ، و « في حدثاته » : أى على قرب عهد به .

(٢) يشفيها : أى ينجيها بما يبلغ بها سكينه القلب فتبرأ من حيرتها . ومنه : « شفاء الى السؤال » . والجهل والحيرة مرض يسقم القلوب والنفوس .

(٣) في ابن كثير ١ : ٢٦٠ : « فلم يكن شيء » ، والصواب ما هنا وفي الدر المنثور ١ : ١٠١ وقولها : « فلم يكن كشيء » عبارة جيدة ، بمعنى : لم يكن ما مضى كشيء بعد ، بل أقل من القليل . والعرب تقول : تأخرت منك شيئاً ، أى قليلاً . ومنه قول عمر بن أبي ربيعة .

وَقَالَتْ لَهْنٌ : أَرْبَعْنَ شَيْئًا ، لَعَنِي وَإِنْ لَأَمَتِي فِيمَا ارْتَأَيْتُ مُلِمٌ

أى قفن قليلاً . ويقولون في مثل ذلك أيضاً : « لم يكن إلا كذا ولا » ، كل ذلك بمعنى السرعة الخاطفة .

(٤) في المطبوعة : « فقالا ، اذهبي . . . » ، وأثبت ما في الدر المنثور وابن كثير ، فهي أجود .

(٥) في المطبوعة : « فأبيت » بخذف « فأربيت » . وأرب بالمكان لزمه ولم يبرحه . والزيادة من

ابن كثير في المومنين .

قلت : لم أر شيئاً . فقالا : كذبت لم تفعل ، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري ، فإنك على رأس أمرك ! ^(١) فأريت وأيت ، فقالا : اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه . فذهبت إليه فبليت فيه ، فأريت فارساً مُتَقَنّاً بجديد خرج مني حتى ذهب في السماء ، وغاب عني حتى ما أراه . فجنتهما فقلت : قد فعلت ! فقالا : ما رأيت ؟ فقلت : فارساً مُتَقَنّاً خرج مني فذهب في السماء حتى ما أراه . ^(٢) فقالا : صدقت ، ذلك إيمانك خرج منك ، اذهبي . فقلت للمرأة : والله ما أعلم شيئاً ! وما قال لي شيئاً ! فقالت : بلى ، لن تريدي شيئاً إلا كان ! خذي هذا القمح فابذري . فبذرت ، وقلت : أطلعي ! فأطلعت ، وقلت : أحقلى ! فأحقلت ، ثم قلت : أفركي ! فأفركت ، ثم قلت : أبيسي ! فأبيست ، ثم قلت : أطحني ! فأطحنت ، ثم قلت : أخيزي ، فأخيزت . ^(٣) فلما رأيت أني لا أريد شيئاً إلا كان ، سُقط في يدي وندمتُ والله يا أم المؤمنين ! والله ما فعلتُ شيئاً قط ولا أفعله أبداً ! ^(٤)

* * *

(١) يقال : أنت على رأس أمرك ، وعلى رأس أمرك : أي في أوله وعلى شرف منه . وزعم الجوهري أن قولهم : « على رأس أمرك » من كلام العامة ، وهذا الخبر ينقض ما قال .
(٢) في تفسير ابن كثير والدر المنثور : « فأريت فارساً » ، وما هنا صواب جيد .
(٣) في هذه الفقرة كلمات لم تشبها كتب اللغة ، سأذكرها في مدرج شرحها . « أطلعي فأطلعت » أي أخرجي شطاك ، من قولهم : أطلع الزرع ، إذا بدا أول نباته من الأرض . « أحقلى فأحقلت » أي أخرجي حقك . وأحقل : الزرع إذا استجمع خروج نباته . أحقل الزرع : تشعب ورقه من قبل أن تفلط سقه . « أفركي فأفركت » ، أي كرفي فريكا . وهو حب السنبل إذا اشتد وصلح أن يفرك . أفرك السنبل : صار فريكا ، وهو حين يصلح أن يفرك فيؤكل . و « أبيس فأبيست » أي كرفي حباً يابساً ، أبيس البقل : يبس وجف . « أطحني فأطحنت » . أي كرفي طحيناً . ولم يرد في كتب اللغة : « أطحن » ، ولكنها أتت هذا الحرف ما مضى من أخواته ، وهي عربية سليمة ماضية على سنن اللغة في هذا الموضع . « أخيزي فأخيزت » ، أي كرفي عيزاً يؤكل ، وهذه أيضاً لم ترد في كتب اللغة ، ولكنها عريقة كأخنها السالفة . وقد قال ابن كثير أن إسناد هذا الحديث جيد إلى عائشة ، وأن الحاكم صححه ، فإن كان ذلك كما قال ، فلا شك في عربة هذه الألفاظ من طريق الرواية أيضاً .

(٤) الخبر : ١٦٩٥ - حقت قطعة منه ، بإسناد آخر إلى ابن أبي الزناد : ١٦٩١ . وهذا الخبر نقله ابن كثير ١ : ٢٦٠ - ٢٦١ ، بطوله ، عن الطبري . وقدم له بكلمة ، قال : « وقد ورد في ذلك أثر غريب ، وسياق صحيح في ذلك . أحببنا أن ننبه عليه » . ثم قال بعد نقله :

قال أهل هذه المقالة بما وصفنا ، واعتلوا بما ذكرنا ، وقالوا : لولا أن الساحر يقدرُ على فعل ما ادَّعى أنه يقدر على فعله ، ما قدر أن يُفرق بين المرء وزوجه . قالوا : وقد أخبر الله تعالى ذكره عنهم أنهم يتعلمون من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه . وذلك لو كان على غير الحقيقة ، وكان على وجه التخيل والحسبان ، لم يكن تفريقاً على صحة ، وقد أخبر الله تعالى ذكره عنهم أنهم يفرقون على صحة .

• • •

وقال آخرون : بل « السحر » أخذٌ بالعين .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾

قال أبو جعفر : وتأويل ذلك : وما يعلم الملكان أحداً من الناس الذي أنزل عليهما من التفريق بين المرء وزوجه ، حتى يقولاه : إنما نحن بلاءٌ وفتنة لبني آدم ، فلا تكفر بربك . كما : —

١٦٩٦ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن

« فهذا إسناد جيد إلى عائشة رضى الله عنها » . وذكر أنه رواه ابن أبي حاتم عن الربيع بن سليمان ، بأطول منه .

وذكره السيوطي ١ : ١٠١ ، ونسبه أيضاً للحاكم ومصححه . والبيهقي في سننه . وهي قصة عجيبة ، لا ندرى أصدقت تلك المرأة فيما أخبرت به عائشة ؟ أما عائشة فقد صدقت في أن المرأة أخبرتها . والإسناد إلى عائشة جيد ، بل صحيح .

الربيع بن سليمان : هو المرادي المصري المؤذن ، صاحب الشافعي وراوية كتبه ، وهو ثقة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١ / ٢ / ٤٦٤ . ابن أبي الزناد : هو « عبد الرحمن بن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان » ، وهو ثقة ، تكلم فيه بعض الأئمة ، في روايته عن أبيه ، وفي رواية البغداديين عنه . والحق أنه ثقة ، وخاصة في حديث هشام بن عروة . فقد قال ابن معين — فيما رواه أبو داود عنه عند الخطيب وغيره — « أثبت الناس في هشام بن عروة : عبد الرحمن بن أبي الزناد » . وقد وثقه الترمذي ومصحح عدة من أحاديثه ، بل قال في السنن ٣ : ٥٩ ، في حديث له مصححه ، وفيه حرف لم يروه غيره ، فقال : « وإنما ذكره عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وهو ثقة حافظ » .

السدى قال : إذا أتاها - يعنى هاروت وماروت - إنسان يريد السحر ، وعظاه وقال له : لا تكفر ، إنما نحن فتنة ! فإن أبى ، قال له : ائت هذا الرماد فبُسل عليه . فإذا بال عليه خرج ، منه نور يسطع حتى يدخل السماء - وذلك الإيمان - وأقبل شىء أسود كهيئة الدخان حتى يدخل فى مسامعه وكل شىء منه ، ^(١) فذلك غضب الله . فإذا أخبرهما بذلك علماء السحر . فذلك قول الله : « وما يُعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر » الآية .

١٦٩٧ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة والحسن : « حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر » ، قال : أخذ عليهما الميثاق أن لا يعلما أحداً حتى يقولوا : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » . ^(٢)

١٦٩٨ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، قال قتادة : كانا يعلمان الناس السحر ، فأخذ عليهما أن لا يعلما أحداً حتى يقولوا : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » .

١٦٩٩ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر قال ، قال غير قتادة : أخذ عليهما أن لا يعلما أحداً حتى يتقدما ٣٦٨/١ إليه فيقولوا : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » .

١٧٠٠ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن عوف ، عن الحسن قال : أخذ عليهما أن يقولوا ذلك .

١٧٠١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : أخذ الميثاق عليهما أن لا يعلما أحداً حتى يقولوا : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » . لا يجترئ على السحر إلا كافر .

• • •

(١) فى المطبوعة : « وقيل شىء أسود ... » كلام بلا معنى . والتصحيح من ابن كثير ١ : ٢٦٢

(٢) فى المطبوعة : « أخذ عليهما أن لا يعلما » والزيادة من ابن كثير ١ : ٢٦٢

وأما « الفتنة » في هذا الموضع ، فإن معناها : الاختبار والابتلاء ، من ذلك قول الشاعر :^(١)

وَقَدْ قَتَنَ النَّاسُ فِي دِينِهِمْ وَخَلَّى أَيْنُ عَفَّانَ شَرًّا طَوِيلًا^(٢)

ومنه قوله : « فتنت الذَّهَبَ في النار » ، إذا امتحنها لتعرف لجودتهما من ردّ أعتها ، « أفتنها فتنة وفتونا » ، كما : —

١٧٠٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إنما نحنُ فتنةٌ » ، أى بلاء .

• • •

(١) نسبة الطبرى في تاريخه ١ : ١٥١ - ١٥٢ للحات بن يزيد المجاشى عم الفرزدق . ونسبه البلاذرى في أنساب الأشراف ٥ : ١٠٤ إلى : حل بن الغدير بن المفسر الفنى ، وإلى : إهاب بن همام بن حصصة بن ناجية بن عقاب المجاشى ، وإلى : ابن النيرة النهشل ، وهو كثير بن عبد الله بن مالك النهشل ، وهو مخفرم ، وإليه أيضاً في معجم الشعراء : ٣٤٩ ، وفي الكامل للبرد ٢ : ٣٤ ، وقال أبو الحسن الأفش : « ابن النيرة الفسى » ، وهو خطأ محض ، إنما هو النهشل .

(٢) أول هذه القصيدة :

نَأْتَاكَ أَتَمَّةُ نَائِيَا طَوِيلًا وَخَمَلَكَ الْحُبُّ عِيَا قَبِيلًا

ثم قال :

لَعَمْرُ أَيْبِكِ فَلَا تَجْزَعِي لَقَدْ ذَهَبَ الْعَبْرُ إِلَّا قَلِيلًا
لَقَدْ قَتَنَ النَّاسُ فِي دِينِهِمْ وَخَلَّى أَيْنُ عَفَّانَ شَرًّا طَوِيلًا
أَعَادِلَ كُلِّ امْرِئٍ هَالِكٌ فَيَسِيرُ إِلَى اللَّهِ سِتْرًا جَبِيلًا
فَإِنَّ الزَّمَانَ لَهُ لَقَدَّةٌ وَلَا بُدَّ لَقَدَّتِهِ أَنْ تَزُولَا

وروى الطبرى صدر البيت الذى استشهد به هنا في تاريخه :

لَقَدْ سَقَى النَّاسُ فِي دِينِهِمْ •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾

قال أبو جعفر: وقوله جل ثناؤه: «فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا»، خبرٌ مبتدأٌ عن المتعلمين من الملكين ما أنزل عليهما، وليس بجواب لقوله: «وما يعلمان من أحديهما»، بل هو خبرٌ مُستأنفٌ، ولذلك رُفِعَ قَيل : «فَيَتَعَلَّمُونَ». فعنى الكلام إذا: وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه، فيأبُونَ قَبُولَ ذلك منهما، فَيَتَعَلَّمُونَ منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ^(١).

وقد قيل إنَّ قوله: «فَيَتَعَلَّمُونَ»، خبرٌ عن اليهود معطوفٌ على قوله: «ولكن الشياطين كفروا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ» وما أنزل على الملكين ببابل هاروتَ وماروتَ، «فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ما يفرقون به بين المرء وزوجه». وجعلوا ذلك من المؤخر الذى معناه التقديم.

° ° °

والذى قلنا أشبه بتأويل الآية. لأن إلحاق ذلك بالذى يليه من الكلام، ما كان للتأويل وجه صحيح، ^(٢) أولى من إلحاقه بما قد حيل بينه وبينه من معترض الكلام.

° ° °

و «الهاء» و «الميم» و «الألف» من قوله: «منهما»، من ذكر الملكين. ومعنى ذلك: فَيَتَعَلَّمُ النَّاسُ مِنَ الْمَلَكَيْنِ الذى يفرقون به بين المرء وزوجه.

° ° °

و «ما» التى مع «يفرقون» بمعنى «الذى». وقيل: معنى ذلك: السحر الذى يفرقون به. وقيل: هو معنى غير السحر. وقد ذكرنا اختلافهم فى ذلك فيما مضى قبل ^(٣).

(١) يعنى الطبرى أن فى الكلام حذف اجتزأ بفهم سامعه عن ذكره، وهو قوله: «فيأبون قبول ذلك منها».

(٢) قوله: «ما كان للتأويل...» هى ما يقولونه فى العربية الراككة «ما دام للتأويل...»

(٣) انظر ما سلف: ٤٢٣ - ٤٢٤

وأما « المرء » ، فإنه بمعنى : رجل من أسماء بني آدم ، والأُنثى منه « المرأة » . يوحد ويشنّى ولا تُجمع ثلاثته على صورته ، ^(١) يقال منه : « هذا امرؤ صالح ، وهذا امرآن صالحان » . ولا يقال : هؤلاء امرؤ وصدق ، ولكن يقال : « هؤلاء رجالٌ صدق وقومٌ صدق » . وكذلك المرأة توحد وتثنى ولا تُجمع على صورتها . يقال : « هذه امرأة ، وهاتان امرأتان » . ولا يقال : هؤلاء امرأت ، ولكن : « هؤلاء نسوة » .

وأما « الزوج » ، فإنَّ أهل الحجاز يقولون لامرأة الرجل : « هي زوجته » بمتلة الزوج الذكر ، ومن ذلك قول الله تعالى ذكره ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٧] ، وتميمٌ وكثيرٌ من قبسٍ وأهل نجد يقولون : « هي زوجته » . ^(٢) كما قال الشاعر : ^(٣)

وإِنَّ الَّذِي يَمْشِي يُحَرِّشُ زَوْجَتِي كَمَا شِئَ إِلَى أَسَدٍ الشَّرِّ يَسْتَبِيلُهَا ^(٤)

فإن قال قائل : وكيف يفرق الساحر بين المرء وزوجه ؟

قيل قد دللنا فيما مضى على أنَّ معنى « السحر » : تخييل الشيء إلى المرء بخلاف ما هو به في عينه وحقيقته ، بما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه . ^(٥) فإذا كان

(١) في المطبوعة : « ولا يجمع ثلاثيه » خطأ محض .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٥١٤ ، ففيه زيادة عما هنا .

(٣) هو الفرزدق .

(٤) ديوانه : ٦٠٥ ، والأغاني ٩ : ٣٢٦ ، و ١٩ : ٨ (سامي) ، في قصته مع النوار ، ويقول هذا الشعر لبني أم النسير (طبقات فحول الشعراء : ٢٨١ ، والأغاني) ، وكانت خرجت مع رجل يقال له زهير بن ثعلبة ومع بني أم النسير ، فقال هذا الشعر ، وبه البيت :

وَمِنْ دُونِ أَبْوَالِ الْأُسُودِ بَسَالَةٌ وَصَوْلَةٌ أَيْدٍ يَمْنَعُ الضَّمِيمَ طُولُهَا
ورواية الديوان وغيره :

وإِنَّ امْرَأَةً يَسْعَى يُحَبِّبُ زَوْجَتِي .

وقوله : « يحبب » ، أي يفسدها على . ويحرض : يحرض ويغري بيني وبينها . و « يستبيلها » : أي يطلب أن تبول في يده .

(٥) انظر ما سلف : ٤٣٥ وما بعدها .

ذلك صحيحاً بالذي استشهدنا عليه ،^(١) فتفريقه بين المرء وزوجه : تخيله بسحره إلى كل واحد منهما شخصاً الآخر على خلاف ما هو به في حقيقته ، من حسن وجمال ، حتى يقبّحه عنده ، فينصرف بوجهه ويعرض عنه ، حتى يُحدث الزوج^{٣٦٩/١} لامرأته فراقاً . فيكون الساحر مفرقاً بينهما بإحداثه السبب الذي كان منه 'فرقة' ما بينهما . وقد ذكرنا ، في غير موضع من كتابنا هذا ، على أن العرب تضيف الشيء إلى مسببه من أجل تسببه ، وإن لم يكن بأشهر ما حدث عن السبب - بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .^(٢) فكذلك تفريق الساحر بسحره بين المرء وزوجه . وينحو الذي قلنا في ذلك قاله عدد من أهل التأويل . ذكر من قال ذلك :

١٧٠٣ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه » ، وتفريقهما : أن يؤخذ كل واحد منهما عن صاحبه ،^(٣) ويُبغض كل واحد منها إلى صاحبه .

• • •

وأما الذين أبوا أن يكون الملكان يعلمان التفريق بين المرء وزوجه ، فإنهم وجهوا تأويل قوله : « فيتعلمون منها » إلى : فيتعلمون مكان ما علماهم ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، كقول القائل : « ليت لنا كذا من كذا » ، أي مكان كذا ، كما قال الشاعر :

جَمَعَتْ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَطَبَا وَعُلْبَةً وَصَرًّا لِأَخْلَافِ الْمَرْزَمَةِ الْبُزْلِ^(٤)

(١) في المطبوعة : « فإن كان ذلك صحيحاً » ، والأجود ما أثبت .

(٢) انظر ما سلف ١ : ١٩٦ .

(٣) أخذه تأخيذاً . والتأخيذ : حبس السواحر أزواج النساء عن غيرهن من النساء ، ويقال لهذه الحيلة : الأعط (بضم فسكون) .

(٤) لم أحرف قائلها ، ولم أجدها إلا في أسال الشريف المرتضى ١ : ٤٢١ ، وكأنه نقلها عن الطبري ، لأنها جانا في تفسير هذه الآية ، على هذا المعنى . والوطب : سقاء اللبن خاصة . والعلبة : جلة تؤخذ من جنب البعير ، فتسوى مستديرة ، ثم تملأ رملًا سهلاً ، ثم تقسم أطرافها بخلال حتى تجف وتيبس ، ثم يقطع رأسها وقد قامت قائمة بلفافها تشبه قصبة ملورة ، فكانها نحتت نحتاً ، ويعلقها

وَمِنْ كُلِّ أَخْلَاقِ الْكِرَامِ نَمِيَّةٌ ، وَسَعِيًّا عَلَى الْجَارِ الْمَجَاوِرِ بِالنَّجْلِ^(١)

يريد بقوله : « جمعت من الخيرات » ، مكانَ خيراتِ الدنيا هذه الأخلاقِ الرديئة والأفعالِ الدنيئة ، ومنه قول الآخر :

صَلَدَتْ صَفَاتُكَ أَنْ تَلِينَ حُيُودَهَا وَوَرِثَتْ مِنْ سَلَفِ الْكِرَامِ عُقُوقًا^(٢)

يعنى : ورثت مكان سلف الكرام ، عُقُوقًا من والدك .

• • •

الراعى ويشرب بها ، وله فيها رفق وخفة لأنها لا تنكسر إذا حركها البعير أو طاحت إلى الأرض . والصبر : شد ضرع النوق الحلوبات إذا أرسلوها للمرعى سائحة ، ويسمون ذلك الرباط : صراراً . والأخلاف جمع خلف (بكسر فسكون) ، وهو ضرع الناقة . والبزل جمع بازل ، يقال بعير بازل وناقة بازل : وهى الناقة أو البعير إذا استكمل الثامنة وطمع فى التاسعة ، وبزل ذابه ، أى انشق عن اللحم . وهو أقصى سنه وتمام قرته . وفى المطبوعة هنا « المذممة » ، وفى أمالى الشريف : « المزمة » ، وفى نسخة أخرى منها « المزهة » ، وقد علق أحد أصحاب الحواشى على الأمالى فقال : « المزمة : التى علق عليها الزمام » . واخترت أن تكون « المزمة » ، فهى أشبه بهذا الشعر . يقال ناقة مزمنة : وهى التى عليها سمة التزئيم ، وهو أن يقطع طرف أذنه ويترك له زئمة مشرفة . وإنما يفعل ذلك بالكرام من الإبل . وهذا هجاء يقلل له : إنما أنت راع خسيس ، ترعى على السادة الكرام كرام إبلهم ، ولا تجمع من خيرات ما يتمتع به سادتك ، إلا وطباً وعلبة وعلاجاً لإبلهم التى ترعاها عليهم .

(١) الجار : الذى قرب منزله من منزلك ، ووصفه بقوله : « المجاور » للدلالة على شدة قربه ، وهو الجار الجنب ، فهو أشد حرمة لنزوله فى جواره ومنعته ، وركونه إلى أمان عهده . والنجل : تمزيق عرضه بالغيبة والمعاينة والسب بظهر الغيب . وفى الحديث : « من نجل الناس نجلوه » أى سبهم وقطع أعراسهم بالشتم كما يقطع بالمنجل ، جازوه بمثل فعله .

(٢) لم أعرف قائله . صلدت : صلبت وقست . والصفاء : الحجر الصلد الأملس الضخم الذى لا ينبت شيئاً . والحديد جمع حديد : وهو التتوه فى الجبل أو القرن أو غيرها . وهذا مثل : يقول له أنت غليظ جاف لا يصلحك شيء ، ولا خير فيك ، كالصفاء الملساء ذات التتوه ، لا يصلحها شيء ولا تأنى بخير . والسلف : سلف الإنسان : من تقدمه من آبائه وذوى قرابته من هم فوقه فى السن والفضل . يقول : ورثت من والدك مكان ما أثر الأسلاف الكرام ، عرقاً ، فأنت تمققهم ، كما عقواهم آباؤهم . فأنتم خلف يلعن سلفاً لثيها حقاً ، يلعن أسلافه . فأنتم معرقرقن فى العقوق ، وهو شر أخلاق الناس .

القول في تأويل قوله عز وجل ﴿وَمَأْتُهُم بِضَارَتَيْنِ بَهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وما أتتهم بضارتين به من أحدٍ إلا بإذن الله » ، وما المتعلمون من الملكين هاروت وماروت ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، بضارتين — بالذى تعلموه منهما ، من المعنى الذى يفرقون به بين المرء وزوجه — من أحد من الناس إلا من قد قضى الله عليه أن ذلك يضره . فأما من دفع الله عنه ضره ، وحفظه من مكروه السحر والنفث والرقى ، فإن ذلك غير ضاره ، ولا نائله أذاه .

• • •

والإذن « فى كلام العرب أوجه . منها : الأمر على غير وجه الإلزام . وغير جائز أن يكون منه قوله : « وما أتتهم بضارتين به من أحدٍ إلا بإذن الله » ، لأن الله جل ثناؤه قد حرم التفريق بين المرء وحليلته بغير سحر — فكيف به على وجه السحر ؟ — على لسان الأمة . (١)

ومنها : التخلية بين المأذون له ، والمخلّى بينه وبينه .

ومنها العلم بالشئ ، يقال منه : « قد أذنت بهذا الأمر » إذا علمت به « أذن به إذناً » ، ومنه قول الخطيبه :

أَلَا يَا هِنْدُ ، إِنْ جَدَّدْتَ وَضَلًا ، وَإِلَّا فَأَذْنِي بِأَنْصِرَامٍ (٢)

يعنى : فأعلمينى . ومنه قوله جل ثناؤه : ﴿فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [سورة

البقرة : ٢٧٩] ، وهذا هو معنى الآية ، كأنه قال جل ثناؤه : وما أتتهم بضارتين ،

(١) كأنه يريد : حرم التفريق على لسان الأمة : أن تنطق به وتأمر بفعله .

(٢) لم أجد البيت فى ديوان الخطيبه المطبوع . وقوله « فأذنى » ، يدل على أن الفعل متعد : « أذنه بالشئ » يأذنه إذناً « أعلمه به » ، مثل « أذنه به » . ولم يرد ذلك فى شئ من كتب اللغة ، والبيت شاهد عليه ، وشرح الطبرى بعد دال أيضاً على مراده .

بالذى تعلموا من الملكين ، من أحد إلا يعلم الله . يعنى : بالذى سبق له فى علم الله أنه يضره ، كما : —

١٧٠٤ — حدثنى المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا سُويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك، عن سفيان فى قوله : « وما هم بضارّين به من أحد إلا بإذن الله » ، قال : بقضاء الله .

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾

قال أبو جعفر: يعنى بقوله جل ثناؤه: (١) و « يتعلمون » ، الناس الذين يتعلمون من الملكين ما أنزل عليهما من المعنى الذى يفرقون به بين المرء وزوجه ، يتعلمون منهما السحر الذى يضرهم فى دينهم ، ولا ينفعهم فى معادهم . فآما فى العاجل فى الدنيا ، فإنهم قد كانوا يكسبون به ويصيبون به معاشاً .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾

قال أبو جعفر: يعنى بقوله جل ثناؤه: « وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ » ، الفريق الذى لما جاءهم رسولٌ من عند الله مصدقٌ لما معهم ، تبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، واتبعوا ما تتلوا الشياطين على مُلك سليمان ، فقال جل ثناؤه: لقد علم النابغون — من يهود بنى

(١) فى المطبوعة : « يعنى بذلك جل ثناؤه . ويتعلمون أى الناس الذين يتعلمون . . . » وهو كلام غير مستقيم ، كأنه تصرف من بعض النساخ .

لإسرائيل - كتابي وراء ظهورهم تجاهلاً منهم = التاركون العمل بما فيه من اتباعك يا محمد واتباع ما جئت به ، بعد أنزالي إليك كتابي مصداقاً لما معهم ، وبعد لإرسالك إليهم بالإقرار بما معهم وما في أيديهم ، المؤثرون عليه اتباع السحر الذي تلتته الشياطين على عهد سليمان ، والذي أنزل على الملكين بيابل هاروت وماروت = لمن اشترى السحر بكتابي الذي أنزلته على رسولي فأثره عليه ، ماله في الآخرة من خلاق . كما : -

١٧٠٥ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق » ، يقول : قد علم ذلك أهل الكتاب في عهد الله إليهم : أن الساحر لا خلاق له عند الله يوم القيامة .

١٧٠٦ - حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق » ، يعني اليهود . يقول : لقد علمت اليهود أن من تعلمه أو اختاره ، ما له في الآخرة من خلاق .

١٧٠٧ - حدثني الثني قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد : « ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق » ، لمن اشترى ما يفرق به بين المرء وزوجه .

١٧٠٨ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق » ، قال : قد علمت يهود أن في كتاب الله في التوراة : أن من اشترى السحر وترك دين الله ، ما له في الآخرة من خلاق . فالنار مثواه ومأواه .

• • •

قال أبو جعفر : أما قوله : « لمن اشتراه » ، فإن « من » في موضع رفع ، وليس

قوله : « ولقد علموا » بعامل فيها . لأن قوله : « ولقد علموا » ، ^(١) بمعنى اليمين ، فلذلك كانت في موضع رفع . لأن الكلام بمعنى : والله لمن اشترى السحر ماله في الآخرة من خلاق . وليكنون قوله : « قد علموا » بمعنى اليمين ، حَقَّقْتُ : « لام اليمين » ، فقيل : « لَمَنْ اشتراه » ، كما يُقال : « أقسم لَمَنْ قام خير من قعد » . وكما يقال : « قد علمت ، لعمرؤ خير من أهلك » .

وأما « مَنْ » فهو حرف جزاء . وإنما قيل : « اشتراه » ولم يُقل : « يشتره » ، لدخول « لام القسم » على « مَنْ » . ومن شأن العرب — إذا أحدثت على حرف الجزاء لام القسم — أن لا ينطقوا في الفعل معه إلا « بِ » فَعَلَّ « دون « فَعَلَ » ، إلا قليلاً ، كراهية أن يُحدثوا على الجزاء حادثاً وهو مجزوم ، كما قال الله جل ثناؤه : ﴿ لَنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ﴾ [سورة الحشر : ١٢] ، وقد يجوز إظهار فعله بعده على « يفعل » مجزوماً ، ^(٢) كما قال الشاعر :

لَنْ تَكُ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيْكُمْ يُيُوتُكُمْ لَيَعْلَمَ رَبِّي أَنْ بَنِيَّ وَاسِعٌ ^(٣)

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « ما كَلَهُ في الآخرة من خلاق » . فقال بعضهم : « الخلاق » في هذا الموضع : النصيب . ذكر من قال ذلك : ١٧٠٩ — حدثني المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد : « ماله في الآخرة من خلاق » ، يقول : من نصيب .

(١) في المطبوعة : « لأن قوله : علموا ، بمعنى اليمين » ، وآثرت إثبات « ولقد » ، لأن الجملة كلها بمعنى اليمين .

(٢) هذا كله في معاني الفراء ١ : ٦٥ - ٦٩ ، مع تصرف في اللفظ .

(٣) رواه الفراء في معاني الفراء ١ : ٦٦ غير منسوب ، ولكن صاحب الخزانة ٤ : ٢٢٠ نسبه لكُميت بن معروف ، ولكن لم أجده منسوباً إليه في كتاب آخر ، وأخشى أن يكون صاحب الخزانة قد وهم . هذا ، والبيت وما قبله جميعاً في معاني الفراء ١ : ٦٥ - ٦٦ .

١٧١٠ - حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، ٣٧١/١ ، عن السدي : « ما له في الآخرة من خلاق » ، من نصيب .

١٧١١ - حدثني المثنى قال ، حدثني إسحق قال ، حدثنا وكيع ، قال سفيان : سمعنا في : « وما له في الآخرة من خلاق » ، أنه ما له في الآخرة من نصيب .

* * *

وقال بعضهم : « الخلاق » ههنا الحجة . ذكر من قال ذلك :

١٧١٢ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « وما له في الآخرة من خلاق » ، قال : ليس له في الآخرة حجة .

* * *

وقال آخرون : « الخلاق » : الدين . ذكر من قال ذلك :

١٧١٣ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، قال الحسن : « ما له في الآخرة من خلاق » ، قال : ليس له دين .

* * *

وقال آخرون : « الخلاق » ههنا القيوم . ذكر من قال ذلك :

١٧١٤ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : « ما له في الآخرة من خلاق » ، قال قيوم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : : معنى « الخلاق » في هذا الموضع : النصيب . وذلك أن ذلك معناه في كلام العرب .

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم :

١٧١٥ - «لَيُؤَيِّدَنَّ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِأَقْوَامٍ لَا خَلْقَ لَهُمْ» .^(١)

يعنى لا نصيب لهم ولا حظ في الإسلام والدين . ومنه قول أمية ابن أبى الصلت :

يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ فِيهَا لِأَخْلَاقٍ لَهُمْ إِلَّا سَرَائِيلُ مِنْ قِطْرِ وَأَغْلَالٍ^(٢)

يعنى بذلك : لا نصيب لهم ولا حظ ، إلا السرايل والأغلال .

• • •

فكذلك قوله : «ما له في الآخرة من خلاق» : ماله في الدار الآخرة حظ من الجنة ، من أجل أنه لم يكن له إيمان ولا دين ولا عمل صالح يجازى به في الجنة ويثاب عليه ، فيكون له حظ ونصيب من الجنة . وإنما قال جل ثناؤه : «ما له في الآخرة من خلاق» ، فوصفه بأنه لا نصيب له في الآخرة ، وهو يعنى به : لا نصيب له من جزاء وثواب وجنة دون نصيبه من النار ، إذ كان قد دلّ ذمّه جل ثناؤه أفعالهم - التي نفي من أجلها أن يكون لهم في الآخرة نصيب - على مُرادِهِ من الخبر ، وأنه إنما يعنى بذلك أنه لا نصيب لهم فيها من الخيرات ، وأما من الشرور فإن لهم فيها نصيباً .

• • •

(١) الحديث : ١٧١٥ - هكذا حلق الطبري هذا الحديث ، بدون إسناد . وقد رواه أحد في المستدرك : ٤٥ : (حلي) ، من حديث أبي بكر ، يلفظ : «إن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم» . وذكره الميشتي في مجمع الزوائد ٥ : ٣٠٢ ، ثم قال : «رواه أحمد والطبراني ، ورجالها ثقات» . وذكره أيضاً بعده ، من حديث أنس ، وقال : «رواه البزار والطبراني في الأوسط ، وأحد أسانيد البزار ثقات الرجال» . (كذا بالأصل) . وذكره السيوطي في الجامع الصغير : ١٨٣٨ ، ونسبه للنسائي وابن حبان من حديث أنس ، ولأحمد والطبراني من حديث أبي بكر . وقيل شارحه المنذري أن الحافظ العراقي قال : «إسناده جيد» . وحديث أنس رواه أيضاً أبو نعيم في الحلية ٦ : ٢٦٢ . ورواه قبل ذلك ٣ : ١٣ ، من حديث الحسن مرسل . ثم أشار إلى حديث أنس .

(٢) ديوانه : ٤٧ بيت مفرد . وقوله «فيها» ، أعطه يعنى النار . والقطر : النحاس اللائب .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٠٢)

قال أبو جعفر: قد دللنا فيما مضى قبل على أن معنى « شروا » : « باعوا » . (١)
فمعنى الكلام إذاً : وليئس ما باع به نفسه من تعلم السحر ، لو كان يعلم سوء عاقبته ، كما :

١٧١٦ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي :
« وليئس ما شروا به أنفسهم » ، يقول : بش ما باعوا به أنفسهم .

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : وكيف قال جل ثناؤه « وليئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » ؟ وقد قال قبل : « ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق » ، فكيف يكونون عالمين بأن من تعلم السحر فلا خلاق لهم ، وهم يجهلون أنهم بش ما شروا بالسحر أنفسهم ؟

قيل : إن معنى ذلك على غير الوجه الذي توهمته ، من أنهم موصوفون بالجهل بما هم موصوفون بالعلم به . ولكن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم . وإنما معنى الكلام : وما هم ضارون به من أحد إلا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، وليئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ، ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق . فقله : « لبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعملون » ، ذم من الله تعالى ذكره فعل المتعلمين من المسلمين التفريق بين المرء وزوجه ، وخبر من جل ثناؤه عنهم أنهم بش ما شروا به أنفسهم ، يرضاهم بالسحر عوضاً عن دينهم الذي به نجاه أنفسهم من الهلكة ، جهلاً منهم بسوء عاقبة فعلهم ، وخسارة صفقة بيعهم . إذ كان قد يتعلم ذلك منهما من لا يعرف الله ، ولا يعرف حلاله وحرامه ، ٣٧٢/١

وأمره ونبيه . ثم عاد إلى الفريق — الذين أخبر الله عنهم أنهم تبذوا كتابه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، واتَّبَعُوا ما تَتْلُو الشياطين على ملك سليمان وما أنزل على الملكين — فأخبر عنهم أنهم قد علموا أن من اشترى السحر ، ما له في الآخرة من خلاق ؛ ووصفهم بأنهم يركبون معاصي الله على علم منهم بها ، ويكفرون بالله ورسله ، ويؤثرون اتباع الشياطين والعمل بما أحدثته من السحر ، على العمل بكتابه وحيه وتنزيله ، عناداً منهم ، وبغياً على رسله ، وتعدياً منهم لحدوده ، على معرفة منهم بما لِمَنَّ فعل ذلك عند الله من العقاب والعذاب . فذلك تأويل قوله .

* * *

وقد زعم بعض الزاعمين أن قوله : « ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق » ، يعني به الشياطين ، وأن قوله : « لو كانوا يعلمون » ، يعني به الناس . وذلك قول لجميع أهل التأويل مخالف . وذلك أنهم مجمعون على أن قوله : « ولقد علموا لمن اشتراه » ، معنى به اليهود دون الشياطين : ثم هو — مع ذلك — خلاف ما دلَّ عليه التنزيل . لأن الآيات قبل قوله : « ولقد علموا لمن اشتراه » وبعد قوله : « لو كانوا يعلمون » ، جاءت من الله بدم اليهود وتوبيخهم على ضلالهم ، وذمهم على نبذهم وحي الله وآيات كتابه وراء ظهورهم ، مع علمهم بخطأ فعلهم . فقوله : « ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق » ، أحد تلك الأخبار عنهم .

* * *

وقال بعضهم : إن الذين وصف الله جل ثناؤه بقوله : « وليتس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » ، فتنى عنهم العلم ، هم الذين وصفهم الله بقوله : « ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق » . وإنما تنى عنهم جل ثناؤه العلم بقوله : « لو كانوا يعلمون » — بعد وصفه إياهم بأنهم قد علموا بقوله : « ولقد علموا » — من أجل أنهم لم يعملوا بما علموا . وإنما العالم العاميل بعلمه ، وأما إذا خالف عمله علمه ، فهو في معاني الجهال . قال : وقد يقال للفاعل للفعل بخلاف ما ينبغي أن يفعل ، وإن كان بفعله عالماً : « لو علمت لأقصررت » ، كما قال كعب بن زهير المزني ، وهو

يصف ذنباً وغراباً تبعاه لئلا من طعامه وزاده :

إِذْ حَضَرَانِي قُلْتُ : لَوْ تَعَلَّمَا بِهِ ! أَلَمْ تَعَلَّمَا أَنِّي مِنَ الرَّادِّ مُرْئِلٌ ؟^(١)

فأخبر أنه قال لهما : « لو تعلمانه » ، فنفي عنهما العلم ، ثم استخبرهما فقال :

« أَلَمْ تَعَلَّمَا ؟ » . قالوا : فكذلك قوله : « ولقد علموا لمن اشتراه » و « لو كانوا يعلمون »

وهذا تأويل وإن كان له مخرجٌ وَوَجْهٌُ ، فإنه خلافُ الظاهر المفهوم بنفس الخطاب ، أعني بقوله : « ولقد علموا » وقوله : « لو كانوا يعلمون » ، وإنما هو استخراج . وتأويل القرآن على المفهوم الظاهر من الخطاب = دون الخفي الباطن منه ، حتى تأتي دلالة — من الوجه الذي يجب التسليم له — بمعنى خلاف دليله الظاهر المتعارف في أهل اللسان الذين بلسانهم نزل القرآن = أولى.^(٢)

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ

مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٠٣)

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « ولو أنهم آمنوا واتقوا » ، لو أن

الذين يَتَعَلَّمُونَ من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، « آمنوا » فصدقوا الله ورسوله وما جاءهم به من عند ربهم ، « واتقوا » ربهم فخافوه فخافوا عقابه فأطاعوه بأداء فرائضه وتجنبوا معاصيه — لكان جزاءُ الله إياهم ، وثوابُهُ لهم على إيمانهم به وتقواهم إياه ، خيراً لهم من السحر وما اكتسبوا به ، « لو كانوا يعلمون » أن ثواب الله إياهم على ذلك

(١) ديوانه : ٥١ ، وأمال الشريف المرتضى ١ : ٤٢٤ ، وكأنه كان ينقل كلام الطبري في تفسير هذه الآية ، مع التصرف . والمرمل : الذي نقد زاده . أرمِل الرجل فهو مرمِل ، كأنه لصق بالرمِل لا أنقص .

(٢) يقول : « وتأويل القرآن على المفهوم الظاهر من الخطاب . . . أول » وفصل فأطال .

خيرٌ لهم من السحر وما اكتسبوا به . وإنما نفي بقوله : « لو كونوا يعلمون » العلم عنهم : أن يكونوا عالمين بمبلغ ثواب الله ، وقدر جزائه على طاعته .

* * *

٢٧٢/١

و « المثوبة » في كلام العرب ، مصدر من قول القائل : « أثبتُّكَ إثابةً وثواباً ومثوبةً » . فأصل ذلك من : « ثاب إليكَ الشيء » بمعنى : رجع . ثم يقال : « أثبتته إليك » : أي ، رجعته إليك ورددته . فكان معنى : « إثابة الرجل الرجلَ على الهدية وغيرها » : إرجاعه إليه منها بدلاً ، ^(١) وردّه عليه منها عوضاً . ثم جعل كل معوّض غيره من عمله أو هديته أو يدٍ له سلفت منه إليه : مُثيباً له . ومنه « ثواب » الله عز وجل عباده على أعمالهم ، بمعنى : إعطائه إياهم العيوض والجزاء عليه ، حتى يرجع إليهم بدلٌ من عملهم الذي عملوا له

* * *

وقد زعم بعض نحوي البصرة أن قوله : « ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خيرٌ » ، مما اكتفى - بدلالة الكلام على معناه - عن ذكر جوابه . وأن معناه : ولو أنهم آمنوا واتقوا لأثيبوا ، ولكنه استغنى - بدلالة الخبر عن المثوبة - عن قوله : لأثيبوا .

* * *

وكان بعض نحوي أهل البصرة ينكر ذلك ، ويرى أن جواب قوله : « ولو أنهم آمنوا واتقوا » ، « لمثوبة » ، وأن « لو » إنما أجيبت « بالمثوبة » ، وإن كانت أخير عنها بالماضي من الفعل ، لتقارب معناها من معنى « لئن » في أنهما جزاء ، فإثبات جوابان للإيمان . فأدخل جواب كل واحدة منهما على صاحبها - فأجيب « لو » بجواب « لئن » ، و « لئن » بجواب « لو » ، لذلك ، وإن اختلفت أجوبتهما ، فكانت « لو » من حكمها وحظها أن تجاب بالماضي من الفعل ، وكانت « لئن » من حكمها وحظها أن تجاب بالمستقبل من الفعل - لما وصفنا من تقاربهما . فكان يتأول معنى قوله : « ولو أنهم آمنوا واتقوا » : ولئن آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير .

(١) في المطبوعة : « إرجاعه إليها » سهو من ناسخ .

وبما قلنا في تأويل « المثوبة » قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك :

١٧١٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ،

عن قتادة في قوله : « لمثوبة من عند الله » ، يقول : ثواب من عند الله .

١٧١٨ — حدثني يونس قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن

السدي : « ولو أنهم آتوا واتقوا لمثوبة من عند الله » ، أما « المثوبة » ، فهو الثواب .

١٧١٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن

أبيه ، عن الربيع : « ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير » ، يقول :
لثواب من عند الله .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « لا تقولوا راعنا » .

فقال بعضهم : تأويله : لا تقولوا خلافاً . ذكر من قال ذلك :

١٧٢٠ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن

ابن جريج ، عن عطاء في قوله : « لا تقولوا راعنا » ، قال : لا تقولوا خلافاً .

١٧٢١ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،

عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد : « لا تقولوا راعنا » ، لا تقولوا خلافاً .

١٧٢٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

ابن أبي نجيع ، عن مجاهد مثله .

١٧٢٣ — حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال ،

حدثنا سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد مثله .

١٧٢٤ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن

مجاهد مثله .

* * *

وقال آخرون : تأويله : أرْعِنَا سَمْعَكَ . أى : اسمع منا ونسمع منك * ذكر من قال ذلك :

١٧٢٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قوله : « راعنا » ، أى : أرْعِنَا سَمْعَكَ .

١٧٢٦ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن أبي نجيع ، عن مجاهد في قول الله جل وعز : « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعينا » ، لا تقولوا : اسمع منا ونسمع منك .

١٧٢٧ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا غبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « راعنا » ، قال : كان الرجل من المشركين يقول : أرْعِنِي سَمْعَكَ .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله نهي الله المؤمنين أن يقولوا : « راعنا » . فقال بعضهم : هي كلمة كانت اليهود تقولها على وجه الاستهزاء والمسبة ، فنهى الله تعالى ذكره المؤمنين أن يقولوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم * ذكر من قال ذلك :

١٧٢٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا » ، قول كانت اليهود استهزاء ، فزجر الله المؤمنين أن يقولوا كقولهم .

١٧٢٩ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، عن فضيل ابن مرزوق ، عن عطية : « لا تقولوا راعنا » ، قال : كان أناس من اليهود يقولون : أرْعِنَا سَمْعَكَ ! حتى قالها أناس من المسلمين : فكره الله لهم ما قالت اليهود فقال : « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا » ، كما قالت اليهود والنصارى .

١٧٣٠ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « لا تقولوا راعنا وقولوا انظُرْنَا » ، قال : كانوا يقولون : راعنا سمعك ! فكان اليهودُ يأتون فيقولون مثل ذلك مستهزئين ، فقال الله : « لا تقولوا راعنا وقولوا انظُرْنَا »

١٧٣١ - حدثت عن المنجاب قال : حدثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : « لا تقولوا راعنا » ، قال : كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم : راعنا سمعك ! وإنما « راعنا » ، كقولك ، : عَاطِنَا .

١٧٣٢ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظُرْنَا » قال : « راعينا » القولُ الذي قاله القوم ، قالوا : ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ﴾ [سورة النساء : ٤٦] ، قال : « قال : هذا الراعن » - والراعنُ : الخطاء - قال : فقال للمؤمنين : لا تقولوا : خطاء ، كما قال القوم ، وقولوا : انظُرْنَا واسمعوا . قال : كانوا ينظرون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويكلمونه ، ويسمع منهم ، ويسألونه ويحييهم .^(١)

وقال آخرون : بل هي كلمة كانت الأنصار في الجاهلية تقوها ، فنهاهم الله في الإسلام أن يقولوها لنبيه صلى الله عليه وسلم . ذكر من قال ذلك :

١٧٣٣ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثني هشيم قال ، أخبرنا عبد الرزاق ، عن عطاء في قوله : « لا تقولوا راعنا » ، قال : كانت لغةً في الأنصار في الجاهلية ، فنزلت هذه الآية : « لا تقولوا راعنا ولكن قولوا انظُرْنَا » إلى آخر الآية .

(١) قوله « الراعن : الخطاء » لم أجده في غيره بعد . والذي في كتب التفسير واللغة . وربما كانت « الخطأ » . وقد قالوا : « راعنا : الهجر من القول » . وقالوا اشتقوه من الرعونة : وهي الحق والجمل والاسترخاء .

١٧٣٤ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن عطاء قال : « لا تقولوا راعنا » ، قال : كانت لغة في الأنصار .
 ١٧٣٥ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن عبد الملك ، عن عطاء مثله .

١٧٣٦ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : « لا تقولوا راعنا » ، قال : إن مشركي العرب كانوا إذا حدث بعضهم بعضاً يقول أحدهم لصاحبه : أرعني سمعك ! فنها عن ذلك .

١٧٣٧ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج : « راعنا » ، قولُ السّاخر . فهاهم أن يسخروا من قول محمد صلى الله عليه وسلم .

• • •

وقال بعضهم : بل كان ذلك كلامَ يهودى من اليهود بعينه ، يقال له : رفاعه ابن زيد . كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم به على وجه السب له ، وكان المسلمون أخذوا ذلك عنه ، فهي الله المؤمنين عن قبيله للنبي صلى الله عليه وسلم . ذكر من قال ذلك :

١٧٣٨ - حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعينا وقولوا انتظرنّا » ، كان رجل من اليهود - من قبيلة من اليهود يقال لهم بنو قينقاع - كان يدعى رفاعه بن زيد بن السائب - قال أبو جعفر : هذا خطأ ، إنما هو : ابن التابوت ، ليس ابن السائب - كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا لقيه فكلمه قال : (١) أرعني سمعك ، واسمع غير مُسمع = فكان المسلمون يحسبون أن الأنبياء كانت تفخّم بهذا ، فكان

(١) في المطبوعة : « فقال » ، والفاء لا مكان لها .

ناس منهم يقولون: « اسمع غير مُسمِع »، كفولك: اسمع غير صَاغر = وهى التى فى النساء ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَآتَمَمَّ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالسِّنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ﴾ [سورة النساء : ٤٦] ، يقول : إنما يريد بقوله طعنًا فى الدين . ثم تقدم إلى المؤمنين فقال :
« لا تقولوا راعنا » . (١)

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى نهى الله جل ثناؤه والمؤمنين أن يقولوا لنبه : « راعنا » أن يقال : لمتها كلمة كرهها الله لهم أن يقولوها لنبه صلى الله عليه وسلم ، نظير الذى ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
١٧٣٩ - « لا تقولوا للعنب الكرم ، ولكن قولوا : الحبلة » . (٢)
١٧٤٠ - و « لا تقولوا : عبدي ، ولكن قولوا : فتى » . (٣)

وما أشبه ذلك ، من الكلمتين اللتين تكونان مستعملتين بمعنى واحد فى كلام العرب ، فتأتى الكراهة أو النهى باستعمال إحدهما ، واختيار الأخرى عليها فى المحاطبات .

فلان قال لنا قاتل : فلما قد علمنا معنى نهى النبي صلى الله عليه وسلم فى « العنب » أن يقال له « كرم » ، وفى « العبد » أن يقال له « عبد » ، فما المعنى الذى فى قوله : « راعنا » حيثئذ ، الذى من أجله كان النهى من الله جل ثناؤه للمؤمنين

(١) تقدم إليه : أمره .

(٢) الحديث : ١٧٣٩ - ذكره الطبري معلقاً دون إسناد . وقد رواه أحمد فى المسند : ٧٥٠٩ ، من حديث أبى هريرة ، مرفوعاً : « ولا تسموا العنب الكرم » . ورواه الشيخان وغيرهما ، كما بينا هناك . ورواه أيضاً قبل ذلك إشارة موجزاً : ٧٢٥٦ .

وروى مسلم ٢ : ١٩٧ ، من حديث علقمة بن وائل ، عن أبيه ، مرفوعاً : « لا تقولوا الكرم ، ولكن قولوا : الحبلة ، يعنى العنب » .

(٣) الحديث : ١٧٤٠ - وهذا معلق أيضاً . وهو جزء من حديث طويل . رواه البخارى ومسلم وغيرهما ، من حديث أبى هريرة ، مرفوعاً : « . . . ولا يقل أحدكم عبدي ، أمي ، وليقل : فتى ، فتى ، غلامى » . انظر البخارى ٥ : ١٢٨ - ١٣١ (فتح) ، ومسلم ٢ : ١٩٧

عَنْ أَنْ يَقُولُوا ، حَتَّى أَمْرُهُمْ أَنْ يُؤْثِرُوا قَوْلَهُ : « انْظُرْنَا » ؟

قيل : الذى فيه من ذلك ، نظيرُ الذى فى قول القائل : « الكرم » للعنب ، و « العبد » للمملوك . وذلك أن قول القائل : « عبدى » لجميع عباد الله ، فكره النبي صلى الله عليه وسلم أن يضاف بعض عباد الله — بمعنى العبودية — إلى غير الله ، وأمر أن يضاف ذلك إلى غيره ، بغير المعنى الذى يضاف إلى الله عز وجل ، فيقال : « قَتَاى » . وكذلك وجه نهيه فى « العنب » أن يقال : « كرم » ، خوفاً من توهم وصفه بالكرم ، وإن كانت مُسَكَّنَةً ، فإن العرب قد تسكن بعض الحركات إذا تابعت على نوع واحد . فكره أن يتصف بذلك العنب . فكذلك نهى الله عز وجل المؤمنين أن يقولوا : « راعنا » ، لما كان قول القائل : « راعنا » محتملاً أن يكون بمعنى احفظنا ونحفظك ، وارقبنا ونرقبك . من قول العرب بعضهم لبعض : « رعاك الله » : بمعنى حفظك الله وكلاك — ومحتملاً أن يكون بمعنى : أرعنا سمعك ، من قولهم : « أرعيت سمعى إرعاءً — أو — راعيته سمعى رعاءً أو مُراعاةً » بمعنى : فرغته لسماع كلامه ، كما قال الأعشى ميمون بن قيس :

يُرْعَى إِلَى قَوْلِ سَادَاتِ الرِّجَالِ إِذَا أَبْدَوْا لَهُ الْحَزْمَ ، أَوْ مَا شَاءَ أُبْتَدَعَا^(١)

يعنى بقوله : « يُرْعَى » ، يصفى بسمعه إليه مفرغته لذلك .

وكان الله جل ثناؤه قد أمر المؤمنين بتوقير نبيه صلى الله عليه وسلم وتعظيمه ، حتى نهاهم جل ذكره فيما نهاهم عنه عَنْ رَفْعِ أَصْوَاتِهِمْ فَوْقَ صَوْتِهِ ، وَأَنْ يَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ ، وَخَوْفَهُمْ عَلَى ذَلِكَ حُبُوطَ أَعْمَالِهِمْ .^(٢) فتقدم

(١) ديوانه : ٨٦ ، وسيأتى فى هذا الجزء ٢ : ٥٤٠ . وقد سلف تخريج أبيات من هذه القصيدة فى ١ : ١٠٦ ، ٢ : ٩٤ ، ومضى فى هذبة بن عل كما سلف . يقول قبله :

يَا هَوْذَ ، يَا خَيْرَ مَنْ يَمْشَى عَلَى قَدَمٍ بِحَزِّ الْمَوَاهِبِ لِلْوُرَادِ وَالشَّرْعَا

وابتدع : أحدث ما شاء .

(٢) اقرأ قول الله تعالى فى صدر « سورة الحجرات » .

إليهم بالزجر لهم عن أن يقولوا له من القول ما فيه جفاء ، وأمرهم أن يتخيروا لخطابه من الألفاظ أحسنها ، ومن المعاني أرقها . فكان من ذلك قولهم : « راعنا » لما فيه من احتمال معنى : ارعنا نرعاك ، إذ كانت المفاعلة لا تكون إلا من اثنين ، كما يقول القائل : « عاطنا ، وحادثنا ، وجالسنا » ، بمعنى : افعل بنا نفعل بك — (١) ومعنى : أرعنا سمعك ، حتى نفهمك وتفهم عنا . فبنى الله تعالى ذكره أصحاب محمد أن يقولوا ذلك كذلك ، وأن يرددوا مسألته بانتظارهم وإمهاهم ، ليعقلوا عنه ، ٣٧٦/١ بتبجيل منهم له وتعظيم ، وأن لا يسألوه ما سألوه من ذلك على وجه الجفاء والتجهّم منهم له ، ولا بالفظاظة والغلظة ، تشبهاً منهم باليهود في خطابهم نبي الله صلى الله عليه وسلم ، بقولهم له : « اسْمَعْ غَيْرُ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا » .

يدل على صحة ما قلنا في ذلك قوله : « مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ » ، (٢) فدلّ بذلك أن الذي عاتبهم عليه ، مما يسرّ اليهود والمشرّكين .

فأما التأويل الذي حُكي عن مجاهد في قوله : « راعنا » أنه بمعنى : خيلاً ، فما لا يُعقل في كلام العرب . لأن « راعيت » في كلام العرب إنما هو على أحد وجهين : أحدهما بمعنى « فاعلت » ، من « الرّعية » وهي الرّقبة والكلاءة . والآخر بمعنى إفراغ السمع ، بمعنى : « أراعيت سمعي » . وأما « راعيت » بمعنى خالفت ، فلا وجه له مفهوم في كلام العرب . إلا أن يكون قرأ ذلك بالتنوين ، ثم وجهه إلى معنى الرعونة والجهل والخطأ ، على النحو الذي قال في ذلك عبد الرحمن بن زيد ، فيكون لذلك — وإن كان مخالفاً لقراءة القراء — معنى مفهوم حينئذ .

وأما القول الآخر الذي حُكي عن عطية ومن حُكي ذلك عنه : أن قوله : « راعنا »

(١) قوله : « ومعنى » معطوف على قوله آتياً : « لما فيه من احتمال معنى : ارعنا نرعاك . . . »

(٢) وهي الآية التي تلى الآية التي يفسرها .

كانت كلمة لليهود بمعنى السبِّ والسخرية ، فاستعملها المؤمنون أخذاً منهم ذلك عنهم ، فإن ذلك غيرُ جائز في صفة المؤمنين : أن يأخذوا من كلام أهل الشرك كلاماً لا يعرفون معناه ، ثم يستعملونه بينهم وفي خطاب نبيهم صلى الله عليه وسلم . ولكنه جائز أن يكون ذلك مما روى عن قتادة ، أنها كانت كلمة صحيحة مفهومة من كلام العرب ، وافقت كلمة من كلام اليهود بغير اللسان العربي ، هي عند اليهود سبٌّ ، وهي عند العرب : أرغى سمعك وفرغه لتفهم عني . فعلم الله جل ثناؤه معنى اليهود في قيلهم ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأن معناها منهم خلافُ معناها في كلام العرب ، فهي الله عز وجل المؤمنين عن قيلها للنبي صلى الله عليه وسلم ، لئلا يجترئ من كان معناه في ذلك غير معنى المؤمنين فيه ، أن يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم به . وهذا تأويل لم يأت الخبر بأنه كذلك ، من الوجه الذي تقوم به الحجة . وإذا كان ذلك كذلك ، فالذي هو أولى بتأويل الآية ما وصفنا ، إذ كان ذلك هو الظاهر المفهوم بالآية دون غيره .

• • •

وقد حكى عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه : « لا تقولوا راعنا » بالتنوين ، بمعنى : لا تقولوا قولاً « راعناً » ، من « الرعونة » هي الحمق والجهل . وهذه قراءة لقراءة المسلمين مخالفة ، فغير جائز لأحد القراءة بها لشذوذها وخروجها من قراءة المتقدمين والمتأخرين ، وخلافها ما جاءت به الحجة من المسلمين .

ومن نون « راعنا » نونه بقوله : « لا تقولوا » ، لأنه حيثئذ عامل فيه . ومن لم ينونه فإنه ترك تنوينه لأنه أمرٌ محكيٌّ . لأن القوم كأنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم : « راعنا » ، بمعنى مسألته : إما أن يرعيبهم سمعه ، وإما أن يرعاهم ويرقبهم — على ما قد بينت فيما قد مضى — فقبل لهم : لا تقولوا في مسألتكم إياه « راعنا » . فتكون الدلالة على معنى الأمر في « راعنا » حيثئذ سقوط الباء التي كانت

تكون في « يراعيه » ويدلّ عليها — أعنى على « الباء » الساقطة — كسرة « العين » من « راعينا » .

• • •

وقد ذكر أن قراءة ابن مسعود : « لا تقولوا راعونا » ، بمعنى حكاية أمرٍ صالحٍ لجماعةٍ بمراعاتهم . فإن كان ذلك من قراءته صحيحاً ، وجّه أن يكون القوم كأنهم نهوا عن استعمال ذلك بينهم في خطاب بعضهم بعضاً ، كان خطابهم للنبي صلى الله عليه وسلم أو لغيره . ولا نعلم ذلك صحيحاً من الوجه الذي تصحّ منه الأخبار .

• • •

٣٧٧/١

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَقُولُوا أَنْظِرْنَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وقولوا انظُرنا » ، وقولوا أيها المؤمنون لنبيكم صلى الله عليه وسلم : انظُرنا وارقبنا ، نفهم وتبين ما تقول لنا ، وتعلّمنا ، كما : ١٧٤١ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وقولوا انظُرنا » ، فهّمنا ، بيّن لنا يا محمد . ١٧٤٢ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وقولوا انظُرنا » ، فهّمنا ، بيّن لنا يا محمد . ١٧٤٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .

• • •

يقال منه « نظرت الرجل أنظره نظيرةً » بمعنى انتظرته ورقيبته ، ومنه قول الحطيئة :

وَقَدْ نَظَرْتُكُمْ أَغْشَاءَ صَادِرَةٍ لِلْخَمْسِ، طَالَ بِهَا حَوْزِي وَتَنَسَّيْ^(١)

ومنه قول الله عز وجل : ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [سورة الحديد : ١٣] ، يعنى به : انتظرونا .

وقد قرئ : « أَنْظِرْنَا » و « أَنْظِرُونَا » بقطع « الألف » في الموضعين جميعاً^(٢) فمن قرأ ذلك كذلك أراد : أخرنا ، كما قال الله جل ثناؤه : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [سورة ص : ٧٩] ، أى أخرنى . ولا وجه لقراءة ذلك كذلك في هذا الموضع . لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أمروا بالدنو من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والاستماع منه ، والاطاف الخطاب له ، وخفض الجناح — لا بالتأخر عنه ، ولا بمسأله تأخيرهم عنه . فالصواب — إذ كان ذلك كذلك —^(٣) من القراءة ، قراءة من وصل الألف من قوله : « انظُرْنَا » ولم يقطعها بمعنى : انتظرونا .

وقد قيل إن معنى « أَنْظِرْنَا » بقطع « الألف » بمعنى : أمهلنا . حكى عن بعض

(١) ديوانه : ٥٣ ، واللسان (نظر) (حوز) (نس) (عش) . من قصيدة يهجو بها الزبرقان ابن بدر ، ويمدح بغيض بن عامر من شماس . والأغشاء جمع عشى (بكسر فسكون) : وهو ما تتمشاه الإبل . وانصادرة : الإبل التى تصدر عن الماء . والخمس : من أظلام الإبل ، وهو أن تظل في المرحى يوم ورودها ثلاثة أيام ، ثم ترد في الرابع . والحوز : السوق اللين ، حاز الإبل : ساقها سوقاً رويداً . والتتناس والنس ، مصدر قولك : نس الإبل ينسها : ساقها سوقاً شديداً لورود الماء . ويروى « إيناء صادرة » . والإيناء مصدر أكثت الشيء : إذا أخرته . يقول الزبرقان ، حين نزل بداره ، ثم تحول عنها إلى دار بغيض (انظر خبرهما في طبقات فحول الشعراء : ٩٦ - ٩٨) : انتظرت خيركم انتظار الإبل الخماس لعشائها . وذلك أن الإبل إذا صدرت تمشت طويلاً ، وفي بطونها ماء كثير ، فهي تحتاج إلى بقل كثير . يصف طول انتظاره حين لا صبر له على طول الانتظار . وقد شكاه الزبرقان إلى عمر هذه القصيدة ، ولقبوله فيها :

دَعِ الْكَارِمَ لَا تَزَحَلْ لِبَغِيَّتِهَا وَقَعْدٌ ، فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

(٢) زدت قول الله تعالى : « انظرونا » ، من أجل اختلاف الحرفين .

(٣) في المطبوعة : « إن كان ذلك . . . » ، ليست بشيء .

العرب سماعاً : « أنظرني أكلمك » . وذكر سامع ذلك من بعضهم أنه استثبته في معناه ، فأخبره أنه أراد : أمهلني . فإن يكن ذلك صحيحاً عنهم « فانظرنا » و « أنظرنا » — بقطع « الألف » وصلها — متقارباً المعنى . غير أن الأمر وإن كان كذلك ، فإن القراءة التي لأستجيز غيرها ، قراءة من قرأ : « وقولوا انظرنا » ، يوصل « الألف » بمعنى : انتظرنا ، لإجماع الحجة على تصويبها ، ورفضهم غيرها من القراءات .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَاسْمِعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ

أَلِيمٌ ۝١٠٤﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « واسمعوا » ، واسمعوا ما يقال لكم ويُنطق عليكم من كتاب ربكم ، وعوّه وافهموه ، كما : —
١٧٤٤ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « واسمعوا » ، اسمعوا ما يقال لكم .

• • •

فعنى الآية إذا : يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا لنبيكم : راعنا سمعك وفرغنا لنا نفهمك وتفهم عنا ما نقول . ولكن قولوا : انتظرنا وترقبنا حتى نفهم عنك ما تعلمنا وتبينه لنا . واسمعوا منه ما يقول لكم ، فعوّه وأحفظوه وافهموه . ثم أخبرهم جل ثناؤه أن لمن جحد منهم ومن غيرهم آياته ، وخالف أمره ونهيه ، وكذب رسوله ، العذاب الموعّد في الآخرة ، فقال : وللكافرين بي وبرسولي عذاب أليم . يعني بقوله : « الأليم » ، الموعّد . وقد ذكرنا الدلالة على ذلك فيما مضى قبل ، وما فيه من الآثار . (١)

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾

قال أبو جعفر: يعنى بقوله « ما يود » ، ما يحب ، أى : ليس يحب كثير من
أهل الكتاب . يقال منه : « ود فلان كذا يودّه ودّاً وودّاً ومودّة » .

• • •

وأما « المشركين » ، ^(١) فلأنهم في موضع خفض بالعطف على « أهل الكتاب » .
ومعنى الكلام : ما يحب الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن
ينزل عليكم من خير من ربكم .

• • •

وأما « أن » في قوله : « أن يُنزل » فنصب بقوله : « يود » . وقد دللنا على وجه
دخول « من » في قوله : « من خير » وما أشبه ذلك من الكلام الذى يكون في أوله
جحد ، فيما مضى ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع . ^(٢)

• • •

فتأويل الكلام : ما يحب الكافرون من أهل الكتاب ولا المشركين بالله من
عبدة الأوثان ، أن ينزل عليكم من الخير الذى كان عند الله فترّله عليكم . ^(٣)
فتمنّى المشركون وكفرة أهل الكتاب أن لا ينزل الله عليكم الفرقان ، وما أوحاه
إلى محمد صلى الله عليه وسلم من حكمه وآياته ، وإنما أحبت اليهود وأتباعهم من
المشركين ذلك ، حسداً وبغياً منهم على المؤمنين .

وفى هذه الآية دلالة بينة على أن الله تبارك وتعالى نهى المؤمنين عن الركون
إلى أعدائهم من أهل الكتاب والمشركين ، والاستماع من قولهم ، وقبول شيء مما
يأتونهم به على وجه النصيحة لهم منهم ، بإطلاعه جل ثناؤه إياهم على ما يستبطنه لهم أهل
الكتاب والمشركون من الضغن والحسد ، وإن أظهروا بالستهم خلاف ما هم مُستبطنون .

• • •

(١) في المطبوعة : « وأما المشركون » ، والصواب ما أثبت .

(٢) انظر ما سلف في هذا الجزء ٢ : ١٢٦ ، ١٢٧ ، وكان ينبغى أن يذكره في تفسير الآية :
١٠٥ أو يحيل كما أحال هنا .

(٣) كان في المطبوعة : « الذى كان عند الله ينزله عليهم » ، ولا يستقيم الكلام إلا كما أثبتنا .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (١٠٥)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « واللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ » :
واللَّهُ يَخْتَصُّ مَنْ يَشَاءُ بنبوته ورسالته ، فيرسله إلى من يشاء من خلقه ، فيفضل
بالإيمان على من أحبَّ فيهديه له . و « اختصاصه » إياهم بها ، إفرادهم بها دون غيرهم
من خلقه . وإنما جعل الله رسالته إلى من أرسل إليه من خلقه ، وهدايته من هدى
من عباده ، رحمةً منه له ، ليصيرَه بها إلى رضاه ومحبه وفوزه بها بالجنة ، واستحقاقه
بها ثناءه . وكل ذلك رحمة من الله له .

وأما قوله : « واللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » . فإنه خبرٌ من الله جل ثناؤه عن أن
كل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم ، فإنه من عنده ابتداءً وتفضلاً منه عليهم ،
من غير استحقاق منهم ذلك عليه .

وفي قوله : « واللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » ، تعريضٌ
من الله تعالى ذكره بأهل الكتاب : أن الذي آتى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين به من الهداية ، تفضلٌ منه ، ^(١) وأن نعمه لا تدرك بالأمانى ، ولكنها
مواهبٌ منه يختص بها من يشاء من خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿مَا تَنَسَخَ مِنْ آيَةٍ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « مَا تَنَسَخَ مِنْ آيَةٍ » : ما ننقل من
حكم آية ، إلى غيره فنبدله ونغيره . ^(٢) وذلك أن يحول الحلال حراماً ، والحرام

(١) في المطبوعة : « تفضلاً منه » ، وهو خطأ ، بل هذا خبر « أن » .

(٢) كان في المطبوعة : « مانسخ من آية إلى غيره فنبدله » ، والزيادة من تفسير ابن كثير ١ : ٢٧٣ .

حلالاً ، والمباح محظوراً ، والمحظور مباحاً . ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهي ،
والحظر والإطلاق ، والمنع والإباحة . فأما الأخبار ، فلا يكون فيها ناسخ ولا
منسوخ .

• • •

وأصل « النسخ » من « نسخ الكتاب » ، وهو نقله من نسخة إلى أخرى غيرها .
فكذلك معنى « نسخ » الحكم إلى غيره ، إنما هو تحويله ونقل عبارته عنه إلى غيرها . (١)
فلذا كان ذلك معنى نسخ الآية ، فسواء — إذا نسخ حكمها فغير وبدل فرضها ،
ونقل فرض العباد عن اللازم كان لهم بها — أأقبر خطئها فترك ، أو يحي أثرها
فعفى ونسى ، (٢) إذ هي حيثئذ في كلتا حالتها منسوخة ، والحكم الحادث ، المبدل به
الحكم الأول ، والمنقول إليه فرض العباد ، هو الناسخ . يقال منه : « نسخ الله آية
كذا وكذا ينسخها نسخاً » و « النسخة » الاسم . وبمثل الذى قلنا في ذلك كان
الحسن البصرى يقول :

١٧٤٥ — حدثنا سوار بن عبد الله العنبرى قال ، حدثنا خالد بن الحارث
قال ، حدثنا عوف ، عن الحسن أنه قال في قوله : « ما ننسخ من آية أو ننسها
نأت بخير منها » ، قال : إن نبيكم صلى الله عليه وسلم أقرى قرأنا ، ثم نسيه فلم يكن
شيئاً ، (٣) ومن القرآن ما قد نسخ وأنتم تقرأونه .

• • •

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في قوله : « ما ننسخ » . فقال بعضهم بما : —

(١) في المطبوعة : « عنه إل غيره » ، وفي تفسير ابن كثير : « ونقل عبارة إلى غيرها » .
والصواب ما أثبت .

(٢) في المطبوعة : « أوفر خطئها فترك ، أو يحي أثرها فعفى أو نسي » ، وهي جملة حشيت نصحيحاً
وغلطاً . وورد الطبري أن النسخ ، وهو تغير الحكم ، قد يكون مع إقرار الخط كما هو ، والإتيان بحكم آخر
في عبارة أخرى — أو رفع الخط ، ونسيان الناس ما حفظوه عند التنزيل . وقوله « من » ، من قولهم : عفا
الأثر يعفو : درس وذهب . وعفا يعفيه (بالتشديد) : طمس وأذهب .

هذا والجملة التالية : « إذ هي في كلتا حالتها منسوخة » ، وحديث الحسن الآتى ، يدل على صواب
ما أثبت في قراءة نص الطبري .

(٣) في المطبوعة : « قال أقرى قرأنا » ، سقط منه ما أثبت ، وسيأتى على الصواب في الأثر برقم :

١٧٥٤ ، ومنه زدت هذه الزيادة .

١٧٤٦ — حدثني به موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا
أسباط ، عن السدي : « ما ننسخ من آية » ، أما نسخها ، فقبضها .

* * *

وقال آخرون بما : —

١٧٤٧ — حدثني به المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني
معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ما ننسخ
من آية » ، يقول : ما نبدل من آية .

* * *

وقال آخرون بما : —

١٧٤٨ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ،
عن ابن أبي نجيع ، عن أصحاب عبد الله بن مسعود أنهم قالوا : « ما ننسخ من
آية » ، ثبت خطها ، ونبدل حكمها .

١٧٤٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن
ابن أبي نجيع ، عن مجاهد : « ما ننسخ من آية » ، ثبت خطها ، ونبدل حكمها .
حدثت به عن أصحاب ابن مسعود .

١٧٥٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثني بكر بن شاذب ،
عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد ، عن أصحاب ابن مسعود : « ما ننسخ من آية »
ثبت خطها ، [ونبدل حكمها] .^(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾

قال أبو جعفر : اخطفنا القرأة في قوله ذلك . فقرأها أهل المدينة والكوفة :
« أَوْ نُنسِهَا » . ولقراءة من قرأ ذلك وجهان من التأويل .

(١) الأثر : ١٧٥٠ — الزيادة بين القومين من تفسير ابن كثير ١ : ٢٧٣ ثم ٢٧٤ .

أحدهما ، أن يكون تأويله : ما ننسخ يا محمد من آية فنغيّر حكمها أو ننسها . وقد ذكر أنها في مصحف عبد الله : « ما ننسك من آية أو ننسخها نجىء بمثلها » ، فذلك تأويل : « النسيان » . وبهذا التأويل قال جماعة من أهل التأويل . ذكر من قال ذلك :

١٧٥١ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » ، كان ينسخ الآية بالآية بعدها ، ويقرأ نبي الله صلى الله عليه وسلم الآية أو أكثر من ذلك ، ثم تُنسى وترفع .

١٧٥٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « ما ننسخ من آية أو ننسها » ، قال : كان الله تعالى ذكره يُنسى نبيه صلى الله عليه وسلم ما شاء ، وينسخ ما شاء .

١٧٥٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد قال : كان عبيد بن عمير يقول : « ننسها » ، نرفعها من عندكم .

١٧٥٤ — حدثنا سوار بن عبد الله قال ، حدثنا خالد بن الحارث قال ، حدثنا عوف ، عن الحسن أنه قال : في قوله : « أو ننسها » ، قال : إن نبيكم صلى الله عليه وسلم أقرئ قرأنا ثم نسيه . (١)

• • •

وكذلك كان سعد بن أبي وقاص يتأول الآية ، إلا أنه كان يقرؤها : « أو ننسها » بمعنى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأنه عفى : أو ننسها أنت يا محمد . ذكر الأخبار بذلك :

١٧٥٥ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا يعلی

(١) الأثر : ١٧٥٤ — انظر الأثر السالف : ١٧٤٥ والتعليق عليه .

ابن عطاء ، عن القاسم [بن ربيعة] قال ، سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : « ما ننسخ من آية أو ننسها » ، قلت له : فلان سعيد بن المسيب يقرؤها : « أو تنسها » ، ^(١) قال : فقال سعد : إن القرآن لم ينزل على المسيب ولا على آل المسيب ! قال الله : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾ [سورة الأعراف : ٦] ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ ^(٢) [سورة الكهف : ٢٤]

١٧٥٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا هشيم قال ، حدثنا يعلى بن عطاء قال ، حدثنا القاسم بن ربيعة بن قانف الثقفي قال ، سمعت ابن أبي وقاص يذكر نحوه . ^(٣)

١٧٥٧ — حدثنا محمد بن المنثري وآدم العسقلاني قالا جميعاً ، عن شعبة ، عن يعلى بن عطاء قال ، سمعت القاسم بن ربيعة الثقفي يقول : « قلت لسعد بن أبي وقاص : إني سمعت ابن المسيب يقرأ : « ما ننسخ من آية أو ننسها » فقال سعد : إن الله لم ينزل القرآن على المسيب ولا على ابنه ! إنما هي : « ما ننسخ من آية أو ننسها » يا محمد . ثم قرأ : « سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى » و « اذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ » ^(٤)

١٧٥٨ — حدثني المنثري قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن

(١) في المطبوعة : « أو ننسها » . والصواب ما أثبت ، وفي ابن كثير ١ : ٢٧٥ « أو ننسها » ، ولكن أبا حيان نص في البحر المحيط ١ : ٢٣٤ على أن قراءة سعيد « أو ننسها » بنير همزة بضم التاء ، وأما ابن خالويه فقد نص في شياذ القراءات ٩ : قال : « أو ننسها » كذلك ، إلا أنه لم يسم فاعله . سعيد بن المسيب . فأثبت هذا ، لأنها هي رسم ما في نص الطبري . وانظر الآثار الآتية : ١٧٥٦ ، ١٧٥٧ ، والمستدرک للحاكم ٢ : ٢٤٢ .

(٢) الأثر : ١٧٥٥ — الزيادة بين القوسين من تفسير ابن كثير ١ : ٢٧٥ . والقاسم بن ربيعة ، هو القاسم بن عبد الله بن ربيعة بن قانف الثقفي ، وربما نسب إلى جده . وهو ابن ابن أخى ليل بنت قانف الصحابية . روى عن سعد بن أبي وقاص في قوله : « ما ننسخ من آية » ، وعنه يعلى بن عطاء العامري . ذكره ابن حبان في الثقات . قال ابن حجر : قرأت بخط الذهبي : ما حدث عنه سوى يعلى (تهذيب التهذيب ٨ : ٢٢٠) . وانظر رقم : ١٧٥٦ ، ١٧٥٧ .

(٣) الأثر : ١٧٥٦ — في المطبوعة : « بن قانف » وهو « قانف » بقاف ثم نون ثم فاء . هكذا نص عليه في الإصابة في ترجمة : « ليل بنت قانف » .

(٤) الأثر ١٧٥٧ — انظر الأثرين السابقين . وقال الحاكم في المستدرک ٢ : ٢٤٢ : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » .

أبيه، عن الربيع في قوله : « ما ننسخ من آية أو ننسها »، يقول : « ننسها » نرفعها .
وكان الله تبارك وتعالى أنزل أموراً من القرآن ثم رَفَعَهَا .

* * *

والوجه الآخر منهما، أن يكون بمعنى « الترك » من قول الله جل ثناؤه : ﴿ تَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٦٧] ، يعني به : تركوا الله فتركهم . فيكون تأويل الآية حيثئذ على هذا التأويل : ما ننسخ من آية فنغيّر حكمها ونبدّل فرضها ، نأت بغير من التي نسختها أو مثلها . وعلى هذا التأويل تأوله جماعة من أهل التأويل . ذكر ٣٨٠/١
من قال ذلك :

١٧٥٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ،
عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : « أو ننسها » ، يقول : أو نتركها
لا نبدّلها . (١)

١٧٦٠ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي
قوله : « أو ننسها » ، نتركها لا ننسخها .

١٧٦١ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا جوير ، عن
الضحاك في قوله : « ما ننسخ من آية أو ننسها » ، قال : الناسخ والمنسوخ .

* * *

قال أبو جعفر : وكان عبد الرحمن بن زيد يقول في ذلك ما : —

١٧٦٢ — حدثني به يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ،
قال ابن زيد في قوله : « ننسها » ، نمنحها .

* * *

وقرأ ذلك آخرون : « أو ننسأها » بفتح النون وهزة بعد السين ، بمعنى : نؤخرها ،
من قولك : « نسأت هذا الأمر : مؤّه نسأ ونسأ » ، إذا أخرته . وهو من قولهم : « بعته

(١) الأثر : ١٧٥٩ — في تفسير ابن كثير : « أو ننسأها » . والصواب ما في الطبري ، بفتح
النون .

بِنَسَاءٍ ،، يعنى بتأخير ، ومن ذلك قول طرقة بن العبد :

لَعَمْرُكَ إِنَّ لَوْتَ مَا أَنْسَأَ الْقَيَّ لَكَ الطَّوْلَ الْمُرْحَى وَثِنْيَاهُ بِالْيَدِ^(١)
يعنى بقوله : « أنسأ » ، أخر .

ومن قرأ ذلك جماعة من الصحابة والتابعين ، وقرأه جماعة من قراء الكوفيين والبصريين ، وتأوله كذلك جماعة من أهل التأويل . ذكر من قال ذلك :

١٧٦٣ - حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبد الملك ، عن عطاء في قوله : « ما ننسخ من آية أو ننسأها » ، قال : نُؤخرها .
١٧٦٤ - حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى قال ، سمعت ابن أبي نجيح يقول في قول الله : « أو ننسأها » ، قال : نُرجئها .

١٧٦٥ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أو ننسأها » ، ترجئها ونؤخرها .

١٧٦٦ - حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا فضيل ، عن عطية : « أو ننسأها » ، قال : نؤخرها فلا ننسخها .

١٧٦٧ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : أخبرني عبد الله بن كثير ، عن عبيد الأزدي ، عن عبيد ابن عمير : « أو ننسأها » ، إرجاؤها وتأخيرها .

هكذا حدثنا القاسم ، عن عبد الله بن كثير ، « عن عبيد الأزدي » ، وإنما هو عن « على الأزدي » .

١٧٦٨ - حدثني أحمد بن يوسف قال ، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن على الأزدي ، عن عبيد

(١) ديوانه : ٢١٨ (من أشعار السة الجاهليين) من معلقته المشهورة . وروايتهم : « ما أخطأ القَيَّ » . والطول : جبل يطول الدابة لترعى وهي مشبودة فيه . وثنياء : طرفاه . أى إنه لا يقلت من جبال المنية ، وإن أخر في أجله . وما أصدق ما قال ! ولكننا نسئ !

ابن عمير أنه قرأها : « نَسَاها » . (١)

قال أبو جعفر : فتأويل من قرأ ذلك كذلك : ما تبدل من آية أنزلناها إليك يا محمد ، فنبتل حكمها وثبت خطها ، أو نؤخرها فزجتها ونقرها فلا نغيرها ولا نبتل حكمها ، نأت بغير منها أو مثلها .

وقد قرأ بعضهم ذلك : « ما ننسخ من آية أو ننسها » . وتأويل هذه القراءة نظير تأويل قراءة من قرأ : « أو ننسها » ، إلا أن معنى « أو ننسها » ، أنت يا محمد .

وقد قرأ بعضهم : « ما ننسخ من آية » ، بضم النون وكسر السين ، بمعنى : ما ننسخك يا محمد نحن من آية — من « أنسخك » فأننا أنسخك . وذلك خطأ من القراءة عندنا ، لخروجه عما جاءت به الحجة من القراءة بالنقل المستفيض . وكذلك قراءة من قرأ « ننسها » أو « ننسها » ، لشذوذها وخروجها عن القراءة التي جاءت بها الحجة من قراءة الأمة .

وأولى القراءات في قوله : « أو ننسها » بالصواب ، من قرأ « أو ننسها » بمعنى : تركها . لأن الله جل ثناؤه أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه مهما بدّل حكماً أو غيره ، أو لم يبدله ولم يغيره ، فهو آتية بغير منه أو بمثله . فالذى هو أولى بالآية ، إذ كان ذلك معناها ، أن يكون — إذ قدم الخبر

(١) الخبران : ١٧٦٧ ، ١٧٦٨ — أبان الطبري في الإسناد الأول أن شيخه القاسم قال في الإسناد : « عبد الله بن كثير ، عن عبيد الأزد » ، وبين أن صوابه « عن علي الأزد » . ثم ساق الإسناد الثاني على الصواب . وهو كما قال .

عبد الله بن كثير الداري المكي : هو القاري ، أحد القراء السبعة . وهو ثقة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١٤٤/٢/٢ .

علي الأزد : هو علي بن عبد الله الأزدى الباري ، وهو تابعي ثقة ، مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١٩٣/١/٣ .

عبيد بن عمير — بالتصغير فيهما — هو الليث الجندعي المكي ، ثقة من كبار التابعين ، بل ذكره بعضهم في الصحابة ، وأُنفى عليه الناس خيراً في مجلس ابن عمر ، في المسند : ٥٣٥٩ . مترجم في التهذيب ، والإصابة ٥ : ٧٩ ، وابن سعد ٥ : ٣٤١ — ٣٤٢ ، وابن أبي حاتم ٤٠٩/٢/٢ .

عما هو صانع إذا هو غيّر وبدل حكم آية - أن يُعقّب ذلك بالخبر عما هو صانع إذ هو لم يبدل ذلك ولم يغيّر. فالخبر الذي يجب أن يكون عقيب قوله: « ما ننسخ من آية . قوله : أو نترك نسخها ، إذ كان ذلك المعروف الجارى في كلام الناس . مع أن ذلك إذا قُرئ كذلك بالمعنى الذى وصفته ، فهو يشتمل على معنى « الإنشاء » الذى هو بمعنى الترك ، ^(١) ومعنى « النساء » الذى هو بمعنى التأخير . إذ كان كل متروك فمؤخّر على حالٍ ما هو متروك .

وقد أنكر قوم قراءة من قرأ : « أو تنسها » ، إذا غنى به النسيان ، وقالوا : غير جائز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم نسى من القرآن شيئاً مما لم يُنسخ ، إلا أن يكون نسى منه شيئاً ، ثم ذكره . قالوا : وبعد ، فإنه لو نسى منه شيئاً لم يكن الذين قرأوه وحفظوه من أصحابه ، يجازر على جميعهم أن ينسوه . قالوا : وفي قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ [سورة الإسراء : ٨٦] ، ما ينبىء عن أن الله تعالى ذكره لم ينس نبيّه شيئاً مما آتاه من العلم .

قال أبو جعفر : وهذا قولٌ يشهد على بُطوله وفساده ، الأخبار المتظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بنحو الذى قلنا :

١٧٦٩ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال ، حدثنا أنس بن مالك : أن أولئك السبعين من الأنصار الذين قُتلوا ببئر معونة ، قرأنا بهم وفيهم كتاباً : « بلغوا عنا قومنا أننا لقينا ربنا قرَضى عنا وأرضانا » - ثم إن ذلك رُفِع . ^(٢)

(١) قد رد أهل اللغة أن يكون الإنشاء بمعنى الترك ، وقالوا : إنما يقال نسيت : إذا تركت ، لا يقال : أنسيت ، تركت . وانظر ما جاء في ذلك في اللسان (نسي) ، وسائر كتب التفسير .

(٢) الحديث : ١٧٦٩ - يزيد بن زريع - بضم الزاي - العيشي : ثقة حافظ حجة ، روى عنه شعبة والثوري وغيرهما من الكبار . مترجم في التهذيب ، والكبير ٣٣٥ / ٢ / ٤ ، وابن سعد ٤٤ / ٢ / ٧ وابن أبي حاتم ٢٦٣ / ٢ / ٤ - ٢٦٥ . سعيد : هو ابن أبي عروبة .

وهذا الحديث مختصر من حديث أنس ، في قصة القراء الذين قتلوا في بئر معونة . ورواه الأئمة عن أنس ، من أوجه مختلفة .

١٧٧٠ - والذي ذكرنا عن أبي موسى الأشعري أنهم كانوا يقرأون : « لو أن لابن آدم واديين من مال لا يفتنى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » . ثم رفع . (١)

وما أشبه ذلك من الأخبار التي يطول بإحصائها الكتاب .

وغير مستحيل في فطرة ذى عقل صحيح ، ولا بحجة خبر ، أن « ينسى الله نبيه صلى الله عليه وسلم بعض ما قد كان أنزله إليه . فإذا كان ذلك غير مستحيل من أحد هذين الوجهين ، فغير جائز لقائل أن يقول : ذلك غير جائز .

وأما قوله : « ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك » ، فإنه جل ثناؤه لم يخبر أنه لا يذهب بشيء منه ، وإنما أخبر أنه لو شاء للذهب بجميعه ، فلم يذهب به والحمد لله ، بل إنما ذهب بما لا حاجة بهم إليه منه . وذلك أن ما نسخ منه فلا حاجة بالعباد إليه . وقد قال الله تعالى ذكره : ﴿ سَنُقَرِّئك فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ [سورة الأهل : ٦ - ٧] ، فأخبر أنه ينسى نبيه منه ما شاء . فالذي ذهب منه ، الذي استثناه الله .

فأما نحن ، فلإنما اخترنا ما اخترنا من التأويل طلب اتساق الكلام على نظام في المعنى ، لا إنكار أن يكون الله تعالى ذكره قد كان أنسى نبيه بعض ما نسخ من وحيه إليه وتزيله . (٢)

* * *

فن ذلك : أنه رواه البخاري ٧ : ٢٩٧ (فتح الباري) ، من عبد الأعلى بن حماد ، عن يزيد بن زريع ، بهذا الإسناد . وفي آخره : « قال أنس : فقرأنا فيهم قرأنا ، ثم إن ذلك رفع : بلغوا عنا قومنا ، أنا قد لقينا ربنا ، فرضى عنا وأرضانا » .

وروى مسلم ١ : ١٨٧-١٨٨ ، من رواية مالك ، عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس . وانظر تفصيل ذلك في تاريخ ابن كثير ٤ : ٧١-٧٤ .

(١) الحديث : ١٧٧٠ - ذكره الطبري تعليقا . وهو جزء من حديث طويل ، رواه مسلم ١ : ٢٨٦ ، من حديث أبي موسى الأشعري . وذكره السيوطي في الدر المنثور ١ : ١٠٥ ، ونسبه أيضاً لابن مردويه ، وأبي نعيم في الحلية ، والبيهقي في الدلائل .

وقد أفاض السيوطي في الإتيان ٢ : ٢٩ - ٣٢ (طبعة المطبعة الموسوية بمصر سنة ١٢٨٧) - في هذا البحث ، ونقل روايات كثيرة فيه .

(٢) في المطبوعة : « قد كان آتى نبيه بعض ما نسخ » ، والصواب ما أثبت .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مُّثْلَهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « نَأْتِ بِخَيْرٍ مُّثْلَهَا أَوْ مِثْلِهَا » .

فقال بعضهم بما : —

١٧٧١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني

معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « نَأْتِ بِخَيْرٍ مُّثْلَهَا أَوْ مِثْلِهَا » ، يقول : خير لكم في المنفعة ، وأرفق بكم .

وقال آخرون بما : —

١٧٧٢ — حدثني به الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ٣٨٢/١

معمر ، عن قتادة في قوله : « نَأْتِ بِخَيْرٍ مُّثْلَهَا أَوْ مِثْلِهَا » ، يقول : آية فيها تخفيف ، فيها رحمة ، ^(١) فيها أمر ، فيها نهي .

وقال آخرون : نَأْتِ بِخَيْرٍ من التي نسخناها ، أو بخير من التي تركناها فلم

ننسخها . ذكر من قال ذلك :

١٧٧٣ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو ، قال ، حدثنا أسباط ، عن

السدي : « نَأْتِ بِخَيْرٍ مُّثْلَهَا » ، يقول : نَأْتِ بِخَيْرٍ من التي نسخناها ، أو مثلها ، أو مثل التي تركناها .

« فالهاء والألف » اللتان في قوله : « مُّثْلَهَا » ، عائدتان — على هذه المقالة — على

« الآيَةِ » في قوله : « ما ننسخ من آية » . و « الهاء والألف » اللتان في قوله : « أَوْ مِثْلِهَا » ،

عائدتان على « الهاء والألف » اللتين في قوله : « أَوْ نُنْسخها » .

وقال آخرون بما : —

١٧٧٤ — حدثني به المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

(١) في تفسير ابن كثير : ١ : ٢٧٥ « فيها رخصة » مكان : « فيها رحمة » .

ابن أبي نجيج ، عن مجاهد قال : كان عبيد بن عمير يقول : « تُنْسِيهَا » : نرفعها من عندكم ، نأت بمثلها أو خير منها . (١)

١٧٧٥ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ،

عن أبيه ، عن الربيع : « أو تُنْسِيهَا » ، نرفعها ، نأت بخير منها أو بمثلها . (٢)

١٧٧٦ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا بكر بن شاذب ،

عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد ، عن أصحاب ابن مسعود مثله .

• • •

والصواب من القول في معنى ذلك عندنا : ما تبدل من حكم آية فتغيره ، أو نترك تبديله فنقره بحاله ، نأت بخير منها لكم - من حكم الآية التي نسخنا فغيرنا حكمها - إما في العاجل ، لخفته عليكم ، من أجل أنه وضع فرض كان عليكم ، فأسقط ثقله عنكم ، وذلك كالذي كان على المؤمنين من فرض قيام الليل ، ثم نسخ ذلك فوضع عنهم ، فكان ذلك خيراً لهم في عاجلهم ، لسقوط عبء ذلك وثقل حمله عنهم = وإما في الآجل ، لعظم ثوابه ، من أجل مشقة حمله وثقل عبئه على الأبدان . كالذي كان عليهم من صيام أيام معدودات في السنة ، فنسخ وفرض عليهم مكانه صوم شهر كامل في كل حَوْل . فكان فرضُ صوم شهر كامل كل سنة ، أثقلَ على الأبدان من صيام أيام معدودات . غير أن ذلك وإن كان كذلك ، فالثواب عليه أجزل ، والأجر عليه أكثر ، لفضل مشقته على مكلفيه من صوم أيام معدودات . فذلك وإن كان على الأبدان أشق ، فهو خير من الأول في الآجل لفضل ثوابه وعظم أجره ، الذي لم يكن مثله نصوم الأيام المعدودات . فذلك معنى قوله : « نأت بخير منها » . لأنه إما بخير منها في العاجل لخفته على من كلفه ، أو في الآجل لعظم ثوابه وكثرة أجره .

أو يكون مثلها في المشقة على البدن واستواء الأجر والثواب عليه ، نظير نسخ الله تعالى ذكره فرض الصلاة شَطْرَ بيت المقدس ، إلى فرضها شَطْرَ المسجد الحرام .

(١) الأثر : ١٧٧٤ - مضي شطره برقم : ١٧٥٣ .

(٢) الأثر : ١٧٧٥ - مضي شطره برقم : ١٧٥٨ .

فالتوجه شطر بيت المقدس ، وإن خالف التوجه شطر المسجد ، فكُلِّفَ التوجه — شطرَ أيَّهما توجه شطره — واحدة . لأن الذى على المتوجه شطر البيت المقدس من مؤونة توجهه شطره ، نظيرُ الذى على بدنه من مؤونة توجهه شطر الكعبة ، سواء . فذلك هو معنى « المثل » الذى قال جل ثناؤه : « أو مثلها »

وإنما عني جل ثناؤه بقوله : « ما ننسخ من آية أو ننسها » : ما ننسخ من حكم آية أو ننسها . غير أن المخاطبين بالآية لما كان مفهوماً عندهم معناها ، اكتفى بدلالة ذكر « الآية » من ذكر « حكمها » . وذلك نظير سائر ما ذكرنا من نظائره فيما مضى من كتابنا هذا ، كقوله : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْمِجْلَ ﴾ [سورة البقرة : ٩٣] ، بمعنى حب العجل ، ونحو ذلك .^(١)

فتأويل الآية إذاً : ما نغير من حكم آية فنبدله ، أو نتركه فلا نبدله ، نأت بخير لكم — أيها المؤمنون — حكماً منها ، أو مثل حكمها في الخفة والثقل والأجر والثواب .

فلأن قال قائل : فلما قد علمنا أن العجل لا يُشرب في القلوب ، وأنه لا يلتبس ٣٨٣/١ على من سمع قوله : « وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ » ، أن معناه : وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ حُبَّ الْعِجْلِ ، فما الذى يدل على أن قوله : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها » — لذلك نظير ؟

قيل : الذى دل على أن ذلك كذلك قوله : « نأت بخير منها أو مثلها » ، وغير جائز أن يكون من القرآن شيء خير من شيء ، لأن جميعه كلام الله ، ولا يجوز في صفات الله تعالى ذكره أن يُقال : بعضها أفضل من بعض ، وبعضها خير من بعض^(٢)

• • •

(١) انظر ما سلف من هذا الجزء ٢ : ٣٥٧ - ٣٦٠

(٢) من شاء أن يرى كيف كان أبو جعفر رضى الله عنه يبصر معنى كل حرف ، متحريراً للحق والصواب حريصاً على دلالة كل كلمة ، فليقرأ أمثال هذا القول فيما مضى وفيما يستقبل .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴾ (١٠٦)

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: « أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »، أَلَمْ تَعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَىٰ تَعْوِضِكَ مِمَّا نَسَخْتُ مِنْ أَحْكَامِي، وَغَيْرَتِهِ مِنْ فَرَائِضِي الَّتِي كُنْتَ افْتَرَضْتُهَا عَلَيْكَ، مَا أَشَاءُ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ وَلِعِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ مَعَكَ، وَأَنْفَعُ لَكَ وَلَهُمْ، إِمَّا عَاجِلًا فِي الدُّنْيَا، وَإِمَّا آجِلًا فِي الْآخِرَةِ — أَوْ بِأَنْ أَبْدُلَ لَكَ وَلَهُمْ مَكَانَهُ مِثْلَهُ فِي النِّفْعِ لَهُمْ = عَاجِلًا فِي الدُّنْيَا وَآجِلًا فِي الْآخِرَةِ = وَشِبْهَهُ فِي الْخَفَةِ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ ؟ فَاعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ وَعَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

ومعنى قوله: « قَدِيرٌ » فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: قَوِيٌّ. يُقَالُ مِنْهُ: « قَدَّرْتُ عَلَىٰ كَذَا وَكَذَا »، إِذَا قَوَّيْتُ عَلَيْهِ، « أَقْدِرُ عَلَيْهِ وَأَقْدُرُ عَلَيْهِ قُدْرَةً وَقَدِيرَانًا وَمَقْدِرَةً »، وَبَنُو مُرَّةٍ مِنْ غَطْطَانٍ يَقُولُ: « قَدَّرْتُ عَلَيْهِ » بِكسر الدال. (١)

فَأَمَّا مِنْ « التَّقْدِيرِ » مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: « قَدَّرْتُ الشَّيْءَ »، فَإِنَّهُ يُقَالُ مِنْهُ « قَدَّرْتُهُ أَقْدَرَهُ قَدْرًا وَقَدَرًا » .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١٠٧)

قال أبو جعفر: إِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: أَوَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى قِيلَ لَهُ ذَلِكَ ؟

قيل : بلى ! فقد كان بعضهم يقول : إنما ذلك من الله جل ثناؤه خبر عن أن محمداً قد علم ذلك ، ولكنه قد أخرج الكلام مُخرج التقرير ، كما تفعل مثله العرب في خطاب بعضها بعضاً ، فيقول أحدهم لصاحبه : « ألم أكرمك ؟ ألم أتفضل عليك ؟ » بمعنى إخباره أنه قد أكرمه وتفضل عليه ، يريد : أليس قد أكرمتك ؟ أليس قد تفضلت عليك ؟ بمعنى : قد علمت ذلك .

قال أبو جعفر : وهذا لا وجه له عندنا . وذلك أن قوله جل ثناؤه : « ألم تعلم » ، إنما معناه : أما علمت . وهو حرف جحد أدخل عليه حرف استفهام ، وحروف الاستفهام إنما تدخل في الكلام إما بمعنى الاستثبات ، وإما بمعنى النفي ، فأما بمعنى الإثبات ، فذلك غير معروف في كلام العرب ، ولا سيما إذا دخلت على حروف الجحد . ولكن ذلك عندى ، وإن كان ظهر ظهور الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلأنما هو معنى به أصحابه الذين قال لهم الله جل ثناؤه : « لا تقولوا راعينا وقولوا انظرنا واسمعوا » . والذي يدل على أن ذلك كذلك ، قوله جل ثناؤه : « وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير » ، فعاد بالخطاب في آخر الآية إلى جميعهم ، وقد ابتدأ أولها بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض » . لأن المراد بذلك الذين وصفت أمرهم من أصحابه . وذلك من كلام العرب مستفيض بينهم فصيح : أن يُخرج المتكلم كلامه على وجه الخطاب منه لبعض الناس وهو قاصد به غيره ، وعلى وجه الخطاب لواحد وهو يقصد به جماعة غيره ، أو جماعة والمخاطب به أحدهم - وعلى وجه الخطاب للجماعة ، والمقصود به أحدهم . من ذلك قول الله جل ثناؤه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ ثم قال ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب : ١ - ٢] ، فرجع إلى خطاب الجماعة ، وقد ابتدأ الكلام بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم . ونظير ذلك قول الكيث بن زيد في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إِلَى السَّرَاجِ الْمُنِيرِ أَحْمَدَ ، لَا يَغْدِلُنِي رَغْبَةٌ وَلَا رَهَبٌ ^(١)
عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ ، وَلَوْ رَفَعَ النَّاسُ إِلَى الْعُيُونِ وَارْتَقَبُوا ^(٢)
وَقِيلَ : أَفَرَطْتُ أَمْ قَصَدْتُ ، وَلَوْ عَنَّفَنِي الْقَائِلُونَ أَوْ ثَلَّبُوا ^(٣)
لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسَانُ ، وَلَوْ أَكْثَرَ فِيكَ الضَّجَاجُ وَاللَّجَبُ ^(٤)
أَنْتَ الْمُصَنِّفُ الْمُخَضُّ الْمُهَذَّبُ فِي الذُّسْبَةِ ، إِنْ نَصَّ قَوْمَكَ النَّسَبُ ^(٥)

فأخرج كلامه على وجه الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو قاصد بذلك أهل بيته ، فكفى عن وصفهم ومدحهم ، بذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن بني أمية ، بالقائلين المعتفين . لأنه معلوم أنه لا أحد يُوصف بتعنيف مادح النبي صلى الله عليه وسلم وتفضيله ، ولا يكثّر الضجّاج واللجب في إطناب القيل بفضله . ^(٦)

(١) الهاشميات : ٣٤ ، والحيوان الجاحظ ٥ : ١٧٠ - ١٧١ .

(٢) « عنه إلى غيره » متعلق بقوله : لا يغدلي . . . ، في البيت قبله .

(٣) « أفراط : أي جاوزت الحد . و « قصدت » من القصد : وهو العدل بين الإفراط والتقصير .

والثلب : العيب والذم .

(٤) قوله « فيك » أي بسببك ومن أجلك . والضجّاج مصدر : ضاجه يضاجه (بتشديد الجيم) مضاجعة وضجاجاً : وهو المشاغبة مع الصباح والضجيج . واللجب : ارتفاع الأصوات واختلاطها طلباً للغلبة .

(٥) هذب الشيء : نقاه وخلّصه وطهره من كل ما يعيبه . وقوله « المهذب في النسبة » ، أي المهذب النسبة ، وأدخل « في » للتوكيد ، بمعنى الزيادة . ونص الشيء : رضه وأظهره وأبانه . يعني أبان فضلهم على غيرهم .

(٦) من شاء أن يعرف فضل ما بين عقلي من عقول أهل الذكاء والفقطة ، فلينظر إلى ما بين قول أبي جعفر في حسن تأنيه ، وبين قول الجاحظ في استطالته بذكائه حيث يقول في كتابه الحيوان ٥ : ١٦٩ - ١٧١ .

« ومن المديح الخطأ ، الذي لم أر قط أصعب منه قول الكيث بن زيد ، وهو يمدح النبي صلى الله عليه وسلم : فلو كان مديحه لبني أمية بلّاز أن يعيهم بذلك بعض بني هاشم ، أو لو مدح به بعض بني هاشم ، بلّاز أن يمتدح عليه بعض بني أمية ، أو لو مدح أباً بلّال الخواص بلّاز أن يمدح العامة ، أو لو مدح عمرو بن عبيد بلّاز أن يمدح الخالف ، أو لو مدح المهلب ، بلّاز أن يمدح أصحاب الأحنف ، فأما مديح النبي صلى الله عليه وسلم . فمن هذا الذي يسوه ذلك ؟ » ثم أُنشد الأبيات السالفة ، وقال : « ولو كان لم يقل فيه عليه السلام إلا مثل قوله :

وكما قال جميل بن معمر :

أَلَا إِنَّ جِيرَانِي الْعَشِيَّةَ رَائِحُ دَعْتُهُمْ دَوَاعٍ مِنْ هَوَى وَمَنَادِحُ^(١)

فقال : « ألا إن جيرانى العشية » ، فابتدأ الخبر عن جماعة جيرانه ، ثم قال : « رائح » ، لأن قصده - فى ابتدائه ما ابتدأ به من كلامه - الخبر عن واحد منهم دون جماعتهم ، وكما قال جميل أيضاً فى كلمته الأخرى :

خَلِيلِي فِيمَا عِشْمًا ، هَلْ رَأَيْتَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي؟^(٢)

وهو يريد قاتلته ، لأنه إنما يصف امرأة ، فكفى باسم الرجل عنها ، وهو يعنياها . فكذلك قوله : « ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير » . ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض » ، وإن كان ظاهر الكلام على وجه الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه مقصود به قصد أصحابه . وذلك ببيان بدلالة قوله : « وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير » . أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى

وَبُورِكَ قَبْرُ أَنْتَ فِيهِ وَبُورِكَتْ بِهِ وَلَهُ أَهْلٌ يَذْكَ يَثْرِبُ
لَقَدْ غَيَّبُوا بَرًّا وَحَزَمًا وَنَائِلًا عَشِيَّةً وَارَاكَ الصَّفِيحُ الْمُنْصَبُ

فلو كان لم يمدحه عليه السلام إلا بهذه الأشار التى لا تصلح فى عامة العرب ، لما كان ذلك بالحمود ، فكيف مع الذى حكينا قبل هذا ؟ .

والجاحظ تأخذ قلمه أحياناً مثل الحكمة ، لا تهدأ من ثوراتها عليه حتى يشتت منها ببعض القول ، وببعض الاستطالة ، وبفطر العقل ! ومع ذلك ، فإن النقاد يتبعون الجاحظ ثقة بفضلهم وعقله ، فربما هجروا من القول ما هو أولى ، فنته بما يقول .

(١) لم أجد البيت فيما طبع من شعر جميل ، ولا فيما جمعه منه . والمناوح : البلاد الواسعة البعيدة . كأنها جمع مندوحة ، حذف ياءه . وقال تميم بن أبي بن مقبل :

وَأِنِّي إِذَا مَلَّتْ رِكَابِي مُنَاخَهَا رَكِبْتُ ، وَلَمْ تَعْجَزْ عَلَى الْمَنَادِحِ

وربما حسن أن يقال إنه جمع لا واحد له من لفظه ، كعاسن مشابه ، والواحد من ذلك قدح وجمعه أنداح : وهو ما اتسع من الأرض .

(٢) الأمال ٢ : ٧٤ ، والأغانى ١ : ١١٧ ، ٧ : ١٤٠ ، وهى قصيدة من جيد شعر جميل .

من قبلُ ، الآيات الثلاث بعدها — على أن ذلك كذلك . (١)

أما قوله : « له مُلْكُ السموات والأرض » ولم يقل : ملك السموات ، فإنه
عنى بذلك « ملك » السلطان والمملكة دون « المِلِك » . والعرب إذا أرادت الخبر عن
« المملكة » التى هى مملكة سلطان ، قالت : « ملك الله الخلق مُلْكاً » . وإذا أرادت الخبر
عن « المِلِك » قالت : « مَلِكٌ فلان هذا الشيء فهو يملكه مِلْكاً ومَلَكَةً ومَلِكاً » .

فتأويل الآية إذاً : ألم تعلم يا محمد أن لى مُلْك السموات والأرض وسلطانهما
دون غيرى ، أحكمُ فيهما وفيما فيهما ما أشاء ، وأمرُ فيهما وفيما فيهما بما أشاء ،
وأنهى عما أشاء ، وأنسخ وأبدل وأغير من أحكامى التى أحكمُ بها فى عبادى ما أشاء
إذا أشاء ، وأقبرُ منهما ما أشاء ؟

وهذا الخبر وإن كان من الله عز وجل خطاباً لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
على وجه الخبر عن عظمته ، فإنه منه جل ثناؤه تكذيبٌ لليهود الذين أنكروا نسخ
أحكام التوراة ، وجحدوا نبوة عيسى ، وأنكروا محمداً صلى الله عليه وسلم ،
لحيثهما بما جاء به من عند الله بتغيير ما غير الله من حكم التوراة . فأخبرهم الله
أن له مُلْك السموات والأرض وسلطانهما ، فإن الخلق أهل مملكته وطاعته ، عليهم
السَّمْع له والطاعة لأمره ونهيه ، وأن له أمرهم بما شاء ، ونهيهم عما شاء ، ونسخ ما
شاء ، وإقرار ما شاء ، وإنشاء ما شاء من أحكامه وأمره ونهيه . ثم قال لنبيه صلى الله عليه
وسلم وللمؤمنين معه : اتقوا لأمرى ، وانتهوا إلى طاعتي فيما أنسخ ، وفيما أترك فلا أنسخ ،
من أحكامى وحلودى وفرائضى ، ولا يهولكنكم خلاف مخالف لكم فى أمرى ونهى
٢٨٥/١ وانمحنى ومنسوخى ، فإنه لا قيسم بأمركم سوى ، ولا ناصر لكم غيرى ، وأنا المنفرد
بولايتكم ، والدفاع عنكم ، والمتوحدُ بنصرتكم بغزى وسلطانى وقوتى على من
ناوأكم وحادكم ، ونصب حرب العلوة بينه وبينكم ، حتى أعلى حجتكم ،

وَجِئْنَا عَلَيْهِمْ لَكُمْ .

و « الولى » معناه « فعيل » من قول القائل : « وَلِيْتُ أَمْرَ فلان » ، إذا صرْتَ قِيَمًا بِهِ ، « فَأَنَا إِلَيْهِ » فهو وَلِيُّهُ « وَقِيَمَهُ . ومن ذلك قيل : « فلان وَلِيَّ عهد المسلمين » ، يعنى به : القائم بما عهد إليه من أمر المسلمين .

وأما « النصير » فإنه « فعيل » من قولك : « نَصَرْتُكَ أَنْصُرُكَ » ، فَأَنَا ناصرك ونصيرك » ، وهو المؤيد والمقوى .

وأما معنى قوله : « من دون الله » ، فإنه سِوَى الله ، وبعد الله ، ومنه قول أمية بن أبى الصلت :

يَا نَفْسُ مَا لَكَ دُونََ اللَّهِ مِنْ وَاقِي وَمَا عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مِنْ بَاقِي ^(١)

يريد : ما لك سِوَى الله وَبَعْدَ الله مِنْ يَقِيكَ المكاره .

فعنى الكلام إذاً : وليس لكم ، أيها المؤمنون ، بعدَ الله من قِيَمٍ بأمركم ، ولا نصير فيؤيدكم ويقويكم ، فيعينكم على أعدائكم .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله أنزلت هذه الآية . فقال بعضهم بما : —

١٧٧٧ — حدثنا به أبو كريب قال ، حدثنى يونس بن بكير — وحدثنا

(١) ديوانه : ٤٣ . ومثله قول ابن أحر :

إِنْ نَحْنُ إِلَّا أَنْاسُ أَهْلُ سَاعَةٍ وَمَا لَهُمْ دُونَهَا حَرْثٌ وَلَا غَرَرٌ

يريد : ليس لنا مال سوى السائمة ، فليس لنا زرع ولا غيل .

ابن حميد قال ، حدثنا سلمة بن الفضل^(١) قالوا ، حدثنا ابن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثني سعيد بن جبير ، أو عكرمة عن ابن عباس : قال رافع بن خُزَيْمَة وهو بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتنا بكتاب تنزلُه علينا من السماء نقرؤه ، وفجر لنا أنهاراً ، نتبعك ونصدقك ! فأنزل الله في ذلك من قولهما : ^(٢) « أم تُريدون أن تسألوا رسولكم كما سُئل موسى من قبل » ، الآية . ^(٣)

* * *

وقال آخرون بما : -

١٧٧٨ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أم تُريدون أن تسألوا رسولكم كما سُئل موسى من قبل » ، وكان موسى يُسأل ، فقل له : « أرنا الله جهرَةً » .

١٧٧٩ - حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « أم تُريدون أن تسألوا رسولكم كما سُئل موسى من قبل » ، أن يريهم الله جهرَةً . فسألت العربُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يأتِيَهُم بالله فيروُهُ جهرَةً .

* * *

وقال آخرون بما : -

١٧٨٠ - حدثني به محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « أم تُريدون أن تسألوا رسولكم كما سُئل موسى من قبل » ، أن يريهم الله جهرَةً . فسألت قريشَ محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يجعل الله لهم الصَّفا ذهباً ، قال : نعم ! وهو لكم كائنة بني إسرائيل إن كفرتم ! فأبَوْا ورجعوا .

١٧٨١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

(١) في المطبوعة : « قال حدثنا إسحق » ، والصواب ما أثبت .

(٢) في المطبوعة : « من قولهم » ، والصواب ما أثبت من سيرة ابن هشام .

(٣) الأثر ١٧٧٧ - في سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٧ .

ابن جريج ، عن مجاهد قال : سألت قريش محمداً أن يجعل لهم الصفا ذهباً ، فقال : نعم ! وهو لكم كالمائدة لبنى إسرائيل إن كفرتم ! فأبوا ورجعوا ، فأنزل الله : « أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل » ، أن يرهبهم الله جَهْرَةً . ١٧٨٢ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد مثله .

• • •

وقال آخرون بما : -

١٧٨٣ - حدثني به المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية قال : قال رَجُلٌ : يا رسول الله ، لو كانت كفاراتنا كفارات بني إسرائيل ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم لا نبغيها ! ما أعطاكم الله خيراً مما أعطى بني إسرائيل ، كانت بنو إسرائيل إذا فعل أحدهم الخطيئة وجدّها مكتوبة على بابهِ وكفّارتها ، فإن كفّرها كانت له خِزياً في الدنيا ، ٣٨٦/١ وإن لم يكفرها كانت له خِزياً في الآخرة ، وقد أعطاكم الله خيراً مما أعطى بني إسرائيل ، قال : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [سورة النساء : ١١٠] . قال : وقال : الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، كفارات لما بينهن .

وقال : مَنْ هَمَّْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَتْ لَهُ حَسَنَةً ، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها ، ولا يهلك على الله إلا هالكٌ .

فأنزل الله : « أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل لكم موسى من قبل » . (١)

• • •

(١) الحديث : ١٧٨٣ - هنا حديث مرسل ، من مراسيل أبي العالية . وقد نقله ابن كثير ٢٧٩ : ١ ، عن الطبري . ونقله السيوطي ١ : ١٠٧ ، ونسبه للطبري وابن أبي حاتم . وأبو العالية الرازي : ثقة من كبار التابعين ، كما قلنا في : ١٨٤ . ونزيد هنا أنه مترجم في التهذيب والكبير ٢٩٨/١/٢ ، والصغير ١٠٩ ، وابن سعد ٨١/١/٧ - ٨٥ ، وابن أبي حاتم ١٠/٢/١ والإصابة ٢ : ٢٢١ . ولكن الاحتجاج بحديثه - كغيره من التابعين فن بعدهم - هو في الإسناد المتصل ، أما المرسل والمنقطع ، فلا حجة فيهما .

واختلف أهل العربية في معنى « أم » التي في قوله : « أم تريدون » . فقال بعض البصريين : هي بمعنى الاستفهام . وتأويل الكلام : أتريدون أن تسألوا رسولكم ؟

وقال آخرون منهم : هي بمعنى استفهام مُستقبل مُنقطع من الكلام ، كأنك تميل بها إلى أوله ، كقول العرب : « إنها لإبلٌ ياقوم أم شاء » و « لقد كان كذا وكذا أمٌ حَدَسُ نفسى ؟ » قال : وليس قوله : « أم تريدون » على الشك ، ولكنه قاله ليقبَّح له صنيعهم . واستشهد لقوله ذلك بيت الأخطل :

كَذَبْتُكَ عَيْنُكَ ، أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرَّبَابِ خَيْالاً^(١)

وقال بعض نحوي الكوفيين : إن شئت جعلت قوله : « أم تريدون » استفهاماً على كلام قد سبقه ، كما قال جل ثناؤه ﴿ أَلَمْ تَنْزِلْ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . أم يَقُولُونَ أَفْتَرَاهُ ﴿ [سورة السجدة : ١ - ٢] ، فجاءت « أم » وليس قبلها استفهام ، فكان ذلك عنده دليلاً على أنه استفهام مُبتدأ على كلام سبقه . وقال قائل هذه المقالة : « أم » في المعنى تكون رداً على الاستفهام على جهتين : إحداهما أن تفرَّق معنى « أى » ،^(٢) والأخرى : أن يستفهم بها فتكون على جهة النسق ، والذي يُنوى بها الابتداء ، إلا أنه ابتداء متصل بكلام .^(٣) فلو ابتدأت كلاماً ليس قبله كلام ثم استفهمت ، لم يكن إلاّ بـ « الألف » أو بـ « هل » .^(٤)

(١) ديوانه : ٤١ ، وفقائص جرير والأخطل : ٧٠ . واسط : قرية غربي الفرات مقابل الرقة من أعمال الجزيرة ، وهي من منازل بني تغلب ، وهي غير واسط التي بناها الحجاج بين البصرة والكوفة . الفلاس : ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بتباشير الصباح ، فهي سواد مختلط ببياض وحمرة .

(٢) في المطبوعة : « تعرف معنى أى » ، وفي لسان العرب (أم ١٤ : ٣٠٠) : « أن تفرّق معنى أم » وكتلأها خطأ صرف . والصواب في معاني القرآن للفراء : ٧١ . وذلك أن قوله : « أزيد عندك أم عمرو » ، معناه : أيهما عندك . وبين أن « أم » تفرّق الاستفهام ، وأن « أى » تجمع متفرّق الاستفهام . وقد قال الطبري فيما سلف في هذا الجزء ٢ : ١٩٨ : « إن أصل « أى » و « ما » جمع متفرّق الاستفهام » .

(٣) في المطبوعة : « وتكون على جهة النسق » ، والذي يُنوى به الابتداء ، والصواب من معاني القرآن للفراء .

(٤) هذا نص كلام الفراء في معاني القرآن ١ : ٧١ .

قال : وإن شئت قلت في قوله : « أم تريدون » ، قبله استفهامٌ فردٌّ عليه .
وهو في قوله : « أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .^(١)

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي ، على ما جاءت به الآثار التي ذكرناها عن أهل التأويل : أنه استفهامٌ مبتدأٌ ، بمعنى : أتريدون أيُّها القوم أن تسألوا رسولكم ؟ وإنما جاز ، أن يستفهم القوم : « أم » ، وإن كانت « أم » أحد شروطها أن تكون نسقاً في الاستفهام لتقدّم ما تقدمها من الكلام ، لأنها تكون استفهاماً مبتدأً إذا تقدمها سابقٌ من الكلام . ولم يُسمع من العرب استفهام بها ولم يتقدمها كلام . ونظيره قوله جل ثناؤه : ﴿ أَلَمْ تَنْزِلْ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ [سورة السجدة : ١ - ٢] .

وقد تكون « أم » بمعنى « بل » ، إذا سبقها استفهام لا يصلح فيه « أي » ، فيقولون : « هل لك فيكنا حقٌ ، أم أنت رجل معروف بالظلم ؟ »^(٢) وقال الشاعر :
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي ! أَسْلَى تَقَوَّلْتُ ، أَمْ النَّوْمُ ، أَمْ كُلُّهُ إِلَى حَبِيبٍ^(٣) ؟
يعنى : بل كلُّهُ إلى حَبِيبٍ .

وقد كان بعضهم يقول — منكرًا قول من زعم أن « أم » في قوله : « أم تريدون »

(١) وهذا أيضاً بمض نص الفراء في معاني القرآن .

(٢) هذا أيضاً ذكره الفراء . ثم قال بعده : « يريدون : بل أنت رجل معروف بالظلم » .

(٣) لم أعرف قائله . وسيأتي في تفسيره ٢٠ : ٦ (بولاق) على الصواب ، وفي معاني القرآن للفراء ١ : ٧٢ ، واللسان (أم) ، والنصاحي : ٩٨ . وفي المطبوعة هنا : « تقولت . . . أم القوم » ، وهو خطأ محض . وقوله : « تقولت » ، أي تصورت في صورة امرأة أحسبها وأراها . من تقول القول : وهي أن تتلون وتتخيل في صور شيء . يعنى أنها بعيدة لا شك في بعدها ، ولكنه يخال أنه يراها أمامه ماثلة قائمة . وقال الأعطل :

وَتَقَوَّلَتْ لَكَ بِالْبَاطِحِ بَعْدَ مَا قَطَعْتَ بِأَبْرِقِ خُلَّةٍ وَوَصَالَا
وَتَقَوَّلَتْ لَتَرَوْعَنَا جِئِيَّةً وَالنَّائِيَاتُ يُرِينَكَ الْأَهْوَالَا

ثم يقول : « أم النوم » أي : أم هو حلم . بل كلاهما حبيب إل ، يعنى أي ذلك كان ، فهو حبيب إل .

استفهامٌ مستقبَلٌ منقطع من الكلام ، يميل بها إلى أوّله - : إنّ الأول خبر ،
والثاني استفهام ، والاستفهام لا يكون في الخبر ، والخبر لا يكون في الاستفهام ،
ولكن أدركه الشك - بزعمه - بعد مضي الخبر ، فاستفهم .

قال أبو جعفر : فإذا كان معنى « أم » ما وصفنا ، فتأويل الكلام : أتريدون
أيها القوم أن تسألوا رسولكم من الأشياء نظير ما سأل قوم موسى من قبلكم ،
فكفروا - إن منيعتموه - في مسألتكم ما لا يجوز في حكمة الله إعطاؤكموه ، أو
أن تهلكوا إن كان مما يجوز في حكمته عطاؤكموه ،^(١) فأعطاكموه ، ثم كفرتم من
٣٨٧/١ من بعد ذلك ، كما هلك من كان قبلكم من الأمم التي سألت أنبياءها ما لم يكن
لها مسألتها إياهم ، فلما أعطيت كفرت ، فعوجلت بالعقوبات لكفرها ، بعد
إعطاء الله إياها سُؤْلها .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وَمَنْ يَتَبَدَّلِ » ، ومن يستبدل
« الكفر » ،^(٢) ويعنى به « الكفر » الجحود بالله وبآياته ،^(٣) « بالإيمان » ، يعنى بالتصديق
بالله وبآياته والإقرار به .^(٤)

وقد قيل : يعنى به « الكفر » في هذا الموضع : الشدة ، وبـ « الإيمان » الرخاء .
ولا أعرف الشدة في معانى « الكفر » ، ولا الرخاء في معنى « الإيمان » ، إلا أن يكون
قائل ذلك أراد بتأويله « الكفر » بمعنى الشدة في هذا الموضع ، وتأويله « الإيمان »
في معنى الرخاء - : ما أعدّ الله للكفار في الآخرة من الشدائد ، وما أعدّ الله لأهل

(١) في المطبوعة : « أو أهلكوا » خطأ .

(٢) انظر ما سلف في هذا الجزء ٢ : ١٣٠ .

(٣) انظر ما سلف ١ : ٢٥٥ ، ٣٨٢ ، ٥٥٢ وغيرها بعدها .

(٤) انظر ما سلف ١ : ٢٣٤ - ٢٣٥ ، ٢٧١ ، ٥٦٠ وغيرها بعدها .

الإيمان فيها من النعيم ، فيكون ذلك وجهاً ، وإن كان بعيداً من المفهوم بظاهر الخطاب . ذكر من قال ذلك :

١٧٨٤ - حدثني الثني قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن أبي العالية : « ومن يتبدّل الكفرَ بالإيمان » ، يقول : يتبدل الشدة بالرخاء .

١٧٨٥ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسن قال ، حدثني حجاج ، عن ابن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية بمثله .

وفي قوله : « ومن يتبدّل الكفرَ بالإيمان فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ » ، دليل واضح على ما قلنا : (١) من أن هذه الآيات من قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعينا » ، خطابٌ من الله جل ثناؤه المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، (٢) وعتابٌ منه لهم على أمر سلف منهم ، مما سرّ به اليهود ، وكرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ، فكرهه الله لهم ، فعاتبهم على ذلك ، وأعلمهم أن اليهود أهل غشٍّ لهم وحسدٍ وبغى ، وأنهم يتمنّون لهم المكارة ، ويغفونهم الغوائل ، ونهاهم أن يتصحبهم ، وأخبرهم أن من ارتدّ منهم عن دينه فاستبدل بإيمانه كفرًا ، فقد أخطأ قصْدَ السَّبِيلِ .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (١٠٨)

قال أبو جعفر : أما قوله : « فقد ضل » ، فإنه يعني به : ذهب وحاد . وأصل الضلال عن الشيء ، الذهاب عنه والحيد ، (٣) ثم يستعمل في الشيء المالك ،

(١) انظر ما سلف قريباً : ٤٦٢-٤٦٦-٤٨٤-٤٨٨ ، وانظر ما سيأت قريباً : ٤٩٨ ، ٤٩٩

(٢) في المطبعة : « المؤمنين به من أصحاب رسول الله . . . » ، وزيادة « به » خطأ .

(٣) انظر ما سلف ١ : ١٩٥ .

والشيء الذى لا يؤتبه له ، كقولهم للرجل الحامل الذى لا ذِكر له ولا نَبَاهة :
 « ضَلُّ بْنُ ضَلٍّ » و « قُلُّ بْنُ قُلٍّ » ، وكقول الأخطل ، فى الشيء الهالك :
 كُنْتُ الْقَذَى فِي مَوْجٍ أَكْدَرَ مُزِيدٍ قَذَفَ الْآتِي بِهِ فَضَلَّ ضَلَالًا^(١)
 يعنى : هلك فذهب

* * *

والذى عنى الله تعالى ذكره بقوله : « فقد ضلَّ سواء السبيل » ، فقد ذهب
 عن سواء السبيل وحاد عنه .

* * *

وأما تأويل قوله « سواء السبيل » ، فإنه يعنى بـ « سواء » ، القصد والمتهج .
 وأصل « سواء » الوسط . ذكر عن عيسى بن عمر النحوى أنه قال : ما زلت
 أكتبُ حتى انقطع سوائى » ، يعنى : وسطى . وقال حسان بن ثابت :

يَا وَنِجَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَنَسْلِهِ بَعْدَ الْمَغِيبِ فِي سَوَاءِ الْمُلْحَدِ^(٢)

(١) ديوانه : ٥٠ ، وفقا ئض جرير والأخطل : ٨٣ وسيأتى فى تفسير الطبرى ٣ : ٢١ / ٢١٩ : ٦١
 (بولاق) . وقوله : « كنت » ، يعنى جريراً ، وهو جواب « إذا » ، فقبل البيت :

وَإِذَا سَمَّا لِلْمَجْدِ فَرَعَا وَائِلٍ وَأُسْتَجْمَعَ الْوَادِي عَلَيْكَ فَسَالَا

« فرعا وائل » يعنى بكراً وتغلب رعل الأخطل . والقذى : ما يكون فوق الماء من تبن وورق وأعواد .
 وفى المطبوعة هنا : « أكبر » مكان « أكدر » ، وهو تصحيف ، وأتى على صوابه فى الموضعين الآخرين
 من التفسير . وقوله « أكدر » يعنى بجرأ متلاحماً ، فكدر بعد صفاء . ومزيد : بحر هائج مانج يقذف
 بالزبد . والآتى : السيل الذى يأتى من مكان بعيد . وقوله : « قذف الآتى به » ، صفة للقذى . يقول :
 كنت عندئذ كالقذى رعى به السيل فى بحر مزيد لا يهدأ موجه ، فهلك هلاكاً . ورواية الديوان : « فى لجج
 أكدر » .

(٢) ديوانه : ٩٨ ، وسيأتى فى تفسير الطبرى ١٠ : ٢٠ (بولاق) ، وهكذا جاءت الرواية
 هنا « نسله » ، وأظنها خطأ من ناسخ ، أو خطأ فى رواية . ورواية الديوان وما سيأتى فى الطبرى ،
 وغيرها « ورهطه » . وهو من رثاء حسان رسول الله بأبى هو وأمى صلى الله عليه وسلم . وعنى بقوله : « ورهطه »
 المهاجرين رضى الله عنهم . والمغيب مصدر غيبه فى الأرض : واره . و « المالحد » بضم الميم وفتح الحاء
 بينهما لام ساكنة : هو اللحد ، والقبر .

يعنى بالسَّوَاء : الوسط والعرب تقول : « هو فى سَوَاء السَّيْل » ، يعنى فى مستوى السَّيْل ، و « سواء الأرض » : مستواها ، عندهم .

وأما « السَّيْل » ، فلأنها الطريقُ المسبُول ، مُصْرَف من « مَسْبُولٌ » إلى « سَبِيل » .^(١)

فتأويل الكلام إذاً : ومن يستبدل بالإيمان بالله وبرسوله الكفرَ ، فيرتدَّ عن دينه ، فقد حاد عن مَنهج الطريق ووسطه الواضح المسبُول .^(١)

وهذا القول ظاهره الخبرُ عن زوال المستبدلِ بالإيمان الكفرَ عن الطريق ، والمعنى به الخبرُ عنه أنه ترك دين الله الذى ارتضاه لعباده ، وجعله لهم طريقاً يسلكونه إلى رضاه ، وسبيلاً يركبونها إلى محبته والفوز بمجناته . فجعل جل ثناؤه الطريق — الذى إذا ركبَ محجته السائرُ فيه ، ولزم وسطه اغتيازُ فيه ، نجا وبلغ حاجته ، وأدرك طلبته — لدينه الذى دعا إليه عباده ، مثلاً ، لإدراكهم بلزومه واتباعه ، طلباتهم فى آخرتهم ،^(٢) كالذى يُدرك اللازم محجة السبيل = بلزومه إياها = طلبته من النجاة منها ، والوصول إلى الموضع الذى أمَّه وقصده . وجعل مثل الحائد عن دينه ، الجائر عن اتباع ما دَّعاه إليه من عبادته —^(٣) فى إخطائه ما رجأ أن يدركه بعمله فى آخرته وينال به فى معاده ،^(٤) وذهابه عما أمَّل من ثواب عمله ، وبعده به من ربه — مثل الحائد عن منهج الطريق وقصد السبيل ، الذى لا يزدادُ وُغولاً فى الوجه الذى سلكه ،^(٥) إلاَّ ازداد من موضع حاجته بعداً ،

(١) لم أجد لقوله : « مسبول » فعلاً ، وكأنه أراد أن يؤوب به إلى الأصل ، فإن « فعيلاً » لا بد له من فعل ثلاثى هو « سبل » وإن لم يستعملوه ، وهو مصروف عن « مفعول » . فقال الطبرى : « مسبول » . ويهون ذلك أنهم قالوا : « السالبة » وهو « فاعلة » من فعل ثلاثى . ولكنهم لم يستعملوه ، ومعناه : « السالكة الطريق من الناس » . وقالوا سبيلة أى مساوكة ، فهذه أيضاً « فاعلة » بمعنى « مفعولة » . فعنى بقوله « المسبول » فى الموضعين : المسلوك .

(٢) فى المطبوعة : « لإدراكهم بلزومه واتباعه إدراكهم طلباتهم . . . » وقوله : « إدراكهم زائدة من فاسخ .

(٣) فى المطبوعة : « والحائد عن اتباع ما دَّعاه . . . » ، وأظن الضراب ما أثبت .

(٤) فى المطبوعة : « فى حياته ما رجأ أن يدركه . . . » ، وهى مصحفة ولا شك ، وأثبت ما أداى

إليه اجتباى فى قرامته . لأنهم يقول أخطأ الطريق ، وأخطأ ما ابتغى ، إلى أشباه ذلك .

(٥) الوفعل ، مصدر « غفل يغفل وغولا ، وأوغل » ، إذا ذهب فأبهم المذهب .

وعن المكان الذى أمه وأراده تأيياً .

وهذه السبيلُ التى أخبر الله عنها ، أن من يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضلَّ سواءَها ، هى « الصراط المستقيم » ، الذى أمرنا بمسأله الهداية له بقوله : « اهتدوا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم » .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا ﴾

قال أبو جعفر : وقد صرَّح هذا القول من قول الله جل ثناؤه ، بأن خطابه بجميع هذه الآيات من قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعينا » — وإن صرف فى نفسه الكلام إلى خطاب النبي صلى الله عليه وسلم — إنما هو خطابٌ منه للمؤمنين من أصحابه ، ^(١) وعتابٌ منه لهم ، ونهى عن انتصاح اليهود ونظرائهم من أهل الشرك وقبول آرائهم فى شىء من أمور دينهم — ودليل على أنهم كانوا استعملوا أو من استعمل منهم فى خطابه ومسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم الجفاء ، وما لم يكن له استعماله معه ، ^(٢) تأسيساً باليهود فى ذلك أو ببعضهم . فقال لهم ربهم ناهياً لهم عن استعمال ذلك : ^(٣) لا تقولوا لنبيكم صلى الله عليه وسلم كما تقول له اليهود : « راعنا » ، تأسيساً منكم بهم ، ولكن قولوا : « انظرونا واسمعوا » ، فإن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم كفرٌ بى ، وجحودٌ لحقنى الواجب لى عليكم فى تعظيمه وتوقيره ، ولن كفر بى عذاب أليم ؛ فإن اليهود والمشركين ما يودُّون أن يتزلَّ عليكم

(١) فى المطبوعة : « للمؤمنين وأصحابه » ، وكان الصواب ما أثبت .

(٢) سياق العبارة : أو من استعمل . . . الجفاء ، واستعمل ما لم يكن له استعماله معه ، تأسيساً باليهود .

(٣) فى المطبوعة : « قال لهم ربهم » ، والصواب زيادة الفاء .

من خير من ربكم ، ولكن كثيراً منهم ودُّوا أنهم يرُدُّونكم من بعد إيمانكم كفاراً ، حسداً من عند أنفسهم لكم ولنبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ، من بعد ما تبين لهم الحق في أمر محمد ، وأنه نبي إليهم وإلى خلق كافة .

وقد قيل إن الله جل ثناؤه عني بقوله : « ود كثير من أهل الكتاب » ، كعب ابن الأشرف .

١٧٨٦ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهري في قوله : « ود كثير من أهل الكتاب » ، هو كعب بن الأشرف .
١٧٨٧ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان المعمرى ، عن معمر ، عن الزهري وقتادة : « ود كثير من أهل الكتاب » ، قال كعب بن الأشرف .^(١)

وقال بعضهم بما -

١٧٨٨ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحق -
وحدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد بن إسحق -
قال : حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثني سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان حِيتى بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود العرب حسداً ، إذ خصَّهم الله برسوله صلى الله عليه ٣٨٩/١ وسلم . وكانا جاهدين في ردّ الناس عن الإسلام بما استطاعا ، فأنزل الله فيهما : « ود كثير من أهل الكتاب لو يردُّونكم » الآية .^(٢)

قال أبو جعفر : وليس لقول القائل عني بقوله : « ود كثير من أهل الكتاب »

(١) الأثر : ١٧٨٧ - في المطبوعة : « أبو سفيان المصري » . وهو محمد بن حميد البصري المعمرى البصري نزيل بغداد ، قيل له المعمرى لأنه رحل إلى معمر بن راشد الأزدى . وهو ثقة صدوق ، وذكره ابن حبان في الثقات . وذكره العقيلي في الضعفاء ، وقال : « في حديثه نظر » مات سنة ١٨٢ (تهذيب التهذيب ٩ : ١٣٢)

(٢) الأثر : ١٧٨٨ - في سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٧ .

كعب بن الأشرف ، معنى مفهوم . لأن كعب بن الأشرف واحد ، وقد أخبر الله جل ثناؤه أن كثيراً منهم يودّون لو يردّون المؤمنين كفاراً بعد إيمانهم ، والواحد لا يقال له « كثير » ، بمعنى الكثرة في العدد ، إلا أن يكون قائل ذلك أراد بوجه الكثرة التي وصف الله بها من وصفه بها في هذه الآية ، الكثرة في العزّ ورفع المنزلة في قومه وعشيرته ، كما يقال : « فلان في الناس كثير » ، يراد به كثرة المنزلة والقدر . فإن كان أراد ذلك فقد أخطأ ، لأن الله جل ثناؤه قد وصفهم بصفة الجماعة فقال : « لو يردّونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً » ، فذلك دليل على أنه عنى الكثرة في العدد = أو يكون ظنّ أنه من الكلام الذي يخرج يخرج الخبر عن الجماعة ، والمقصود بالخبر عنه الواحد ، نظير ما قلنا آنفاً في بيت جميل ، ^(١) فيكون ذلك أيضاً خطأ . وذلك أن الكلام إذا كان بذلك المعنى ، فلا بد من دلالة فيه تدل على أن ذلك معناه ، ولا دلالة تدل في قوله : « ودّ كثير من أهل الكتاب » أن المراد به واحد دون جماعة كثيرة ، فيجوز صرف تأويل الآية إلى ذلك ، وإحالة دليل ظاهره إلى غير الغالب في الاستعمال .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : ويعنى بقوله جل ثناؤه : « حسداً من عند أنفسهم » ، أن كثيراً من أهل الكتاب يودّون للمؤمنين ما أخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم يودونه لهم ، من الردّة عن إيمانهم إلى الكفر ، حسداً منهم وبغياً عليهم .

• • •

و « الحسد » إذا منصوبٌ على غير التعت « للكفار » ، ولكن على وجه المصدر الذي يأتي خارجاً من معنى الكلام الذي يُخالف لفظه لفظ المصدر ، كقول القائل لغيره : « تمنيت لك ما تمنيت من سوء حسداً مني لك » ، فيكون « الحسد » مصدرًا

(١) انظر ما سلف قريباً : ٨٧ قوله : « ألا إن جيران العشي رائع » .

من معنى قوله : « تمنيت من سوء » . لأن في قوله : تمنيت لك ذلك ، معنى : حسدتك على ذلك . فعلى هذا نُصِبَ « الحسد » ، لأن في قوله : « ودَّ كثيرٌ من أهل الكتاب لو يردُّونكم من بعد إيمانكم كفاراً » ، معنى : حسدكم أهل الكتاب على ما أعطاكم الله من التوفيق ، ووهب لكم من الرشاد لدينه والإيمان برسوله ، وخصكم به من أن جعل رسوله إليكم رجلاً منكم رؤوفاً بكم رحيماً ، ولم يجعله منهم فتكونوا لهم تبعاً . فكان قوله : « حسداً » ، مصدراً من ذلك المعنى .

وأما قوله : « من عند أنفسهم » ، فإنه يعنى بذلك : من قبيل أنفسهم ، كما يقول القائل : « لى عندك كذا وكذا » ، بمعنى : لى قبيلك ، وكما :

١٧٨٩ - حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قوله : « مِنْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ » ، قال : من قبل أنفسهم ^(١)

ولما أخبر الله جل ثناؤه عنهم المؤمنين أنهم ودُّوا ذلك للمؤمنين ، من عند أنفسهم ، لإعلاماً منه لهم بأنهم لم يؤمروا بذلك فى كتابهم ، وأنهم يأتون ما يأتون من ذلك على علم منهم بنهى الله إياهم عنه .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : بقوله : « من بعد ما تبين لهم » الحق ، أى من بعد ما تبين لهؤلاء الكثير من أهل الكتاب - الذين يودُّون أنهم يردُّونكم كفاراً من بعد إيمانكم - الحق فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به من عند ربه ، والملة التى دعا إليها فأضاه لهم : أن ذلك الحق الذى لا يمترون فيه ، كما : -

(١) الأثر : ١٧٨٩ - كان هذا الإسناد مبتوراً ، فأتمته استظهاراً من الإسناد الدائر فى التفسير فى مئات المواضع السالفة ، أقربها رقم : ١٦٤٧ وسيأتى أيضاً رقم : ١٧٩٢ ، وكان الأثر نفسه مبتوراً فأتمته من تفسير ابن كثير ١ : ٢٨٠ ، والدر المنثور ١ : ١٠٧ .

١٧٩٠ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « من بعد ما تبين لهم الحق » ، من بعد ما تبين لهم أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والإسلام دين الله . ٣٩٠/١

١٧٩١ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « من بعد ما تبين لهم الحق » ، يقول : تبين لهم أن محمداً رسول الله ، يجلونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل .

١٧٩٢ - حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله - وزاد فيه : فكفروا به حسداً وبغياً ، إذ كان من غيرهم .

١٧٩٣ - حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « من بعد ما تبين لهم الحق » ، قال : الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم ، فتيين لهم أنه هو الرسول .

١٧٩٤ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « من بعد ما تبين لهم الحق » ، قال : قد تبين لهم أنه رسول الله .

* * *

قال أبو جعفر : فدلّ بقوله ذلك : أن كفر الذين قصّ قصّتهم في هذه الآية بالله وبرسوله ، عنادٌ ، وعلى علم منهم ومعرفة بأنهم على الله مفترون ، كما : -

١٧٩٥ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر ابن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « من بعد ما تبين لهم الحق » ، يقول الله تعالى ذكره : من بعد ما أضاء لهم الحق ، لم يجهلوا منه شيئاً ، ولكن الحسد حملهم على الجحد . فغيرهم الله ولا مهم وبّخهم أشدّ للملامة .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « فاعفوا » ، فتجاوزوا عما كان منهم من إساءة وخطأ في رأى أشاروا به عليكم في دينكم ، لإرادة صدكم عنه ، ومحاولة ارتدادكم بعد إيمانكم — وعما سلف منهم من قبلهم لنييتكم صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالسِّتَةِ وَطَقْنَا فِي الدِّينِ ﴾ [سورة النساء : ٤٦] ، واصفحوا عما كان منهم من جهل في ذلك — حتى يأتى الله بأمره ، فيحدث لكم من أمره فيكم ما يشاء ، ويقضى فيهم ما يريد . ففضى فيهم تعالى ذكره وأتى بأمره ، فقال لنييه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [سورة التوبة : ٢٩] . فنسخ الله جل ثناؤه العفو عنهم والصفح ، بفرض قتالهم على المؤمنين ، حتى تصير كلمتهم وكلمة المؤمنين واحدة ، أو يؤدوا الجزية عن يدٍ صغاراً ، كما : —

١٧٩٦ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » ، ونسخ ذلك قوله : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٥]

١٧٩٧ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ » ، فَأَتَى اللَّهُ بِأَمْرِهِ فَقَالَ : « قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ » حَتَّى بَلَغَ « وَهُمْ صَاغِرُونَ » أَيْ : صَغَاراً

ونقمة لهم. فَنَسَخْتَ هَذِهِ الْآيَةَ مَا كَانَ قَبْلَهَا: «فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ».

١٧٩٨ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ،

عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « فاعفوا واصفحوا حتى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ » ، قال :

اعفوا عن أهل الكتاب حتى يُحدث الله أمراً . فأحدث الله بعد فقال : « قَاتِلُوا

الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » إلى « وَهُمْ صَاغِرُونَ » .

١٧٩٩ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ،

عن قتادة في قوله : « فاعفوا واصفحوا حتى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ » قال : نسخها :

« اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ »

١٨٠٠ - حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن

السدي ٣٩١/١ : « فاعفوا واصفحوا حتى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ » قال : هذا منسوخ ، نسخه :

« قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ » إلى قوله « وَهُمْ صَاغِرُونَ » .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٠٩)

قال أبو جعفر : قد دللنا فيما مضى على معنى « القدير » ، وأنه القوى . (١)

فمعنى الآية ههنا : إن الله - على كل ما يشاء بالذين وصفت لكم أمرهم من أهل الكتاب وغيرهم - قديرٌ ، إن شاء انتقم منهم بعنادهم ربهم ، (٢) وإن شاء هداهم لما هداكم الله له من الإيمان ، لا يتعذر عليه شيء أرادته ، ولا يتعذر عليه أمرٌ شاء قضاءه ، لأن له الخلق والأمر .

• • •

(١) انظر ما سلف قريباً : ٤٨٤ وفي ١ : ٣٦١ .

(٢) في المطبوعة : « إن شاء الانتقام منهم » ، والسياق يقتضي ما أثبت .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : قد دللنا فيما مضى على معنى « إقامة الصلاة » ، وأنها أداؤها
بحدودها وفروضها ، وعلى تأويل « الصلاة » وما أصلها ، وعلى معنى « إيتاء الزكاة » ،
وأنه إعطاؤها بطيب نفس على ما فرضت ووجبت ، وعلى معنى « الزكاة »
واختلاف المختلفين فيها ، والشواهد الدالة على صحة القول الذى اخترنا فى ذلك ، بما
أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . (١)

وأما قوله : « وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ » ، فإنه يعنى
جل ثناؤه بذلك : ومهما تعملوا من عمل صالح فى أيام حياتكم ، فتقدموه قبل وفاتكم
« ذخراً لأنفسكم فى معادكم » ، تجدوا ثوابه عند ربكم يوم القيامة ، فيجازيكم به .
و« الخير » هو العمل الذى يرضاه الله . وإنما قال : « تجدوه » ، والمعنى : تجدوا
ثوابه ، كما : -

١٨٠١ - حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن
أبيه ، عن الربيع قوله : « تجدوه » ، يعنى : تجدوا ثوابه عند الله .
قال أبو جعفر : لاستغناء سامعى ذلك بدليل ظاهرٍ على معنى المراد منه ،
كما قال عمر بن بلحأ : (٢)

وَسَبَّحَتِ الْمَدِينَةُ ، لَا تَلْنَهَا رَأَتْ قَمَرًا يَسُوقُهُمْ نَهَارًا (٣)

ولأنما أراد : وسبَّح أهل المدينة .

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٤١ - ٢٤٢ ، ثم ١ : ٥٧٣ - ٥٧٤ .

(٢) فى المطبوعة : « عمرو بن بلحأ » ، وهو خطأ .

(٣) سلف هذا البيت وتخريجه فى ١ : ٢٧٩ .

ولأنما أمرهم جل ثناؤه في هذا الموضع بما أمرهم به ، من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وتقديم الخيرات لأنفسهم ، ليظهروا بذلك من الخطأ الذي سلف منهم في استنصاحهم اليهود ، وركون من كان ركن منهم إليهم ، وحقاء من كان جفا منهم في خطابه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « راعينا » ، إذ كانت إقامة الصلوات كفارة للذنوب ، وإيتاء الزكاة تطهيراً للنفوس والأبدان من أدناس الآثام ، وفي تقديم الخيرات إدراك الفوز برضوان الله .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ إِنْ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١١٠)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه للذين خاطبهم بهذه الآيات من المؤمنين ، أنهم مَهْمَا فعلوا من خيرٍ وشرٍّ سرّاً وعلانيةً ، فهو به بصير لا يخفى عليه منه شيء ، فيجزئهم بالإحسان خيراً ، وبالإساءة مثلاً . (١)

• • •

وهذا الكلام ، وإن كان خرج مخرج الخبر ، فإن فيه وعداً ووعداً وأمرًا وزجراً . وذلك أنه أعلم القوم أنه بصيرٌ بجميع أعمالهم ، ليجدوا في طاعته ، إذ كان ذلك مذخوراً لهم عنده حتى يُثيبهم عليه ، كما قال : « وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجلوه عند الله » ؛ وليحذروا معصيته ، إذ كان مطلعاً على راكبها ، بعد تقدّمه إليه فيها بالوعيد عليها ، وما أوعدَ عليه ربنا جل ثناؤه فمضى عنه ، وما وعدَ عليه فأمور به .

أما قوله : « بَصِيرٌ » ، فإنه « مُبْصِرٌ » صُرِفَ إلى « بصير » ، كما صرف « مُبْدِعٌ » إلى « بَدِيعٌ » و « مُؤَلِّمٌ » إلى « أَلِيمٌ » . (٢)

• • •

(١) في المطبوعة : « جزاءه » والصواب من تفسير ابن كثير ١ : ٢٨١ .

(٢) أنظر ما سلف ١ : ٢٨٣ ، وهذا الجزء ٢ : ٣٧٧ ، ١٤٠ .

القول في تأويل قوله تعالى جلّ ذكره ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ
الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ ٢/١

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « وقالوا » ، وقالت اليهود والنصارى
« لن يدخل الجنة » .

• • •

فإن قال قائل : وكيف جمع اليهود والنصارى في هذا الخبر ، مع اختلاف
مقالة الفريقين ؛ واليهود تدفع النصارى عن أن يكون لها في ثواب الله نصيب ،
والنصارى تدفع اليهود عن مثل ذلك ؟

قيل : إن معنى ذلك بخلاف الذي ذهبت إليه . وإنما عني به : وقالت اليهود :
لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلا
النصارى . ولكن معنى الكلام لما كان مفهوماً عند المخاطبين به معناه ، « جمع
الفريقان في الخبر عنهما ، فقيل : « قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً
أو نصارى » الآية — أى قالت اليهود : لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً ،
وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً .

• • •

وأما قوله : « مَنْ كَانَ هُودًا » ، فإن في « الهود » قولين : أحدهما أن يكون
جمع « هائد » كما جاء « عوط » جمع « عائط » و « عوذ » جمع « عائد » و « حول »
جمع « حائل » ، فيكون جمعاً للمذكر والمؤنث بلفظ واحد . و « الهائد » . التائب
الراجع إلى الحق .^(١)

والآخر : أن يكون مصدرًا عن الجميع ، كما يقال : « رجل صوم » ، وقوم

(١) انظر ما سلف في هذا الجزء ٢ : ١٤٣

صَوْمٌ ، و « رجل فطر وقوم فِطْرٌ ، ونسوة فِطْرٌ » . (١)

وقد قيل : إنَّ قوله : « إلا من كان هوداً » ، إنما هو قوله ، إلا من كان يهوداً ، ولكنه حذف الياء الزائدة ، ورجع إلى الفعل من اليهودية . وقيل : إنه في قراءة أبي : « إلا من كان يهودياً أو نصرانياً » . (٢)

* * *

وقد بينا فيما مضى معنى « النصارى » ، ولم سميت بذلك ، وُجعت كذلك ، بما أغنى عن إعادته . (٣)

* * *

وأما قوله : « تلك أمانيتهم » ، فإنه خبر من الله تعالى ذكره عن قول الذين قالوا : « لن يدُخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى » ، أنه أمانى منهم يتمنونها على الله بغير حق ولا حجة ولا برهان ، ولا يقين علم بصحة ما يدعون ، ولكن بادعاء الأباطيل وأمانى النفوس الكاذبة ، كما : —

١٨٠٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « تلك أمانيتهم » ، أمانى يتمنونها على الله كاذبة .

١٨٠٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر : ، عن أبيه ، عن الربيع : « تلك أمانيتهم » ، قال : أمانى : تمنوا على الله بغير الحق .

* * *

(١) أخشى أن يكون أبو جعفر قد زل زلة العجلان . فإنه ذكر آنفاً (٢ : : ١٤٣) مصدر الفعل : « هاد » وهو « هودا » بفتح فسكون ، وعلى ذلك لإجماع أهل اللغة ، ولم يأت منه مصدر مضموم الهاء ، حتى يشبه بقولهم « صوم » ، وفطر » ، فهما مصدران . ولا يستقيم كلام أبي جعفر حتى يكون مصدر « هاد يهود هوداً » بضم الهاء ، ولم يقله هو ولا قاله غيره . فسقط هذا الوجه ، حتى تقيمه حجة من رواية صادقة .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٧٣ .

(٣) انظر ما سلف في هذا الجزء ٢ : ١٤٣-١٤٥

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴾ (١١١)

قال أبو جعفر : وهذا أمر من الله جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم بدُعاء
الذين قالوا : « لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى » - إلى أمرٍ عدلٍ
بين جميع الفرق : مسلميها ، ويهودها ، ونصاراها ، وهو إقامة الحججة على دَعواهم التي
ادّعوا : من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً أو نصارى . يقول الله لنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، قل للزاعمين أن الجنة لا يدخلها إلا من كان
هوداً أو نصارى ، دُون غيرهم من سائر البشر : « هاتوا بُرْهانكم » على ما تزعمون
من ذلك ، فنسلم لكم دَعواكم إن كنتم في دَعواكم - من أن الجنة لا يدخلها
إلا من كان هوداً أو نصارى - محقّين .

و « البرهان » ، هو البيان والحجة والبيّنة ، كما : -

١٨٠٤ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا
سعيد ، عن قتادة : « هاتوا برهانكم » ، هاتوا بَيِّتكم .

١٨٠٥ - حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي :
« هاتوا برهانكم » ، هاتوا حُجَّتكم .

١٨٠٦ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن
ابن جريج ، عن مجاهد : « قل هاتوا بُرْهانكم » ، قال : حُجَّتكم . (١)

١٨٠٧ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ،
عن أبيه ، عن الربيع : « قل هاتوا برهانكم » ، أي حُجَّتكم .

قال أبو جعفر وهذا الكلام ، وإن كان ظَهره ظاهر دُعاء القائلين : « لن يدخل الجنة ٣٩٣/١

(١) الأثر : ١٨٠٦ - كان في المطبوعة « حدثنا الحسن » ، وهو خطأ ، إسناد دائر ، والحسين
هو الحسين بن داود المصيصي ، ولقبه « سنيذ » عرف به .

إلا من كان هُوداً أو نصارى» - إلى إحضار حجة على دعواهم ما ادّعوا من ذلك، فإنه بمعنى تكذيب من الله لهم في دعواهم وقيلهم ، لأنهم لم يكونوا قادرين على إحضار برهان على دعواهم تلك أبداً . وقد أبان قوله : « بلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ » ، عن أبي الذي ذكرنا من الكلام ، ^(١) بمعنى التكذيب لليهود والنصارى في دعواهم وما ذكر الله عنهم .

وأما تأويل قوله : « قل هاتوا بُرْهَانَكُمْ » : فإنه : أحضروا وآتوا به .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « بلى مَنْ أَسْلَمَ » ، أنه ليس كما قال الزاعمون : « لن يدخل الجنة إلا مَنْ كان هُوداً أو نصارى » ، ولكن من أَسْلَمَ وجهه لله وهو محسن ، فهو الذى يدخلها وينعم فيها ، كما : -

١٨٠٩ - حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : أخبرهم أن من يدخل الجنة هو من أَسْلَمَ وجهه لله ، الآية .

وقد بينا معنى « بلى » فيما مضى قبل . ^(٢)

وأما قوله : « من أَسْلَمَ وجهه لله » ، فإنه يعنى : « إسلام الوجه » : التذلل لطاعته ، والإذعان لأمره . وأصل « الإسلام » الاستسلام ، لأنه من « استسلمت لأمره » ، وهو الخضوع لأمره . وإنما سمي « المسلم » مسلماً ، بخضوع جوارحه لطاعة ربه ، كما : -

١٨١٠ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « بلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله » ، يقول : أخلص لله .

(١) في المطبوعة : « هل أن الذى ذكرنا » ، وهو تحريف .

(٢) انظر ما سلف في هذا الخرز ٢ ٢٨٠ ، ٢٨١

وكما قال زيد بن عمرو بن نفيل :

وَأُسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أُسْلَمْتُ لَهُ الْمَزْنُ تَحْمِلُ عَذَابًا زُلَالًا^(١)

يعنى بذلك : استسلمت لطاعة من استسلم لطاعته المزن وانقادت له .

وخص الله جل ثناؤه بالخبر عن أخير عنه بقوله : « بلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ، بِإِسْلَامٍ » وجهه له دون سائر جوارحه ، لأن أكرم أعضاء ابن آدم وجوارحه وجهه ، وهو أعظمها عليه حرمةً وحَقًّا . فإذا خضع لشيء وجهه الذى هو أكرم أجزاء جسده عليه ، فغيره من أجزاء جسده أحرى أن يكون أخضع له . ولذلك تذكّر العرب فى منطقها الخبر عن الشيء فتضيفه إلى « وجهه » ، وهى تعنى بذلك نفس الشيء وعَيْنُهُ ، كقول الأعشى :

أَوَّلُ الْحُكْمِ عَلَى وَجْهِهِ ، لَيْسَ قَضَائِي بِالْهَوَى الْجَائِرِ^(٢)

يعنى بقوله : « على وجهه » ، على ما هو به من صحته وصوابه ، وكما قال

ذو الرمة :

فَطَاوَعْتُ هَمِّي ، وَأَنْجَلِي وَجْهَهُ بَازِلٍ مِنْ الْأَمْرِ ، لَمْ يَتْرُكْ خِلَاجًا بَرُّوْهَا^(٣)

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٤٦ وغيره .

(٢) ديوانه : ١٠٦ من قصيدته المشهورة . فى منافرة علقمة بن علاثة ، وعامر بن الطفيل ، فهجا الأعشى علقمة لأمر كان بينهما . وفضل عليه عامراً . (انظر الأغاني ١٥ : ٥٠ - ٥٦) . ولؤلؤ الحكم : قدره ودبره وردّه إلى صوابه وأصاه . والجائر : المائل عن سبيل الحق . جار : ظلم ومال . وقبل البيت :

عَلِمَ ، لَا تَسْفَهُ ، وَلَا تَجْمَنَ عِرْضَكَ لِلْوَارِدِ وَالصَّادِرِ

وبعد :

قَدْ قُلْتُ قَوْلًا قَفَضَى بَيْنَكُمْ وَأَعْتَرَفَ الْمَنُفُورُ لِلنَّافِرِ

(٣) ديوانه : ٥٦٠ يمدح عبيد الله بن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي ، فى آخر القصيدة ،

فقال بعد البيت :

فَقَالَتْ : عُيَيْدَ اللَّهِ مِنْ آلِ مَعْمَرٍ إِلَيْهِ أَرْحَلَ الْأَقَاضُ يَرْشُدُ رَحِيلُهَا

يريد : وانجلي البازلُ من الأمرِ فتيبَينَ — وما أشبه ذلك ، إذْ كانُ حُسن كلِّ شيءٍ وقبحه في وجهه ، وكان في وصفها من الشيء وجهه بما تصفه به ، ^(١) إبانةً عن عين الشيء ونفسه . فكذاك معنى قوله جل ثناؤه : « بلى من أسلم وجهه لله » ، إنما يعنى : بلى من أسلم لله بدنه ، فخضع له بالطاعة جسده ، وهو محسن في إسلامه له جسده ، فله أجره عند ربه . فاكثني بذكر « الوجه » من ذكر « جسده » ، لدلالة الكلام على المعنى الذى أريد به بذكر « الوجه » .

• • •

وأما قوله : « وهو محسن » ، فإنه يعنى به : في حال إحسانه . وتأويل الكلام : بلى من أخلص طاعته لله وعبادته له ، محسناً في فعله ذلك .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١١٢)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « فله أجره عند ربه » ، فاللمسلم وجهه لله محسناً ، جزاؤه وثوابه على إسلامه وطاعته ربه ، عند الله في معاده . ٣٩٤/١

• • •

ويعنى بقوله : « ولا خوف عليهم » — على المسلمين وجوههم لله وهم محسنون ،

وقوله : « طاعت همى » ، ما هم به في نفسه . يقول : طاعت ما همت به نفسى . وقوله : « بازل من الأمر » يعنى خطة يركبها . هذا مثل . يقال : بزل قاب البعير يزولا ، أى طلع وانشق وظهر . ومنه قيل : بزل الأمر والرأى : قطعه . وخطة يزلا : تفصل بين الحق والباطل . فبقوله « بازل من الأمر » صفة لما أخسره من قوله « خطة » ، وأتى بها حل التذكير ، كما أتوا بها حل التذكير في قولهم : « ناقة بازل » . والخلاج : الشك وتردد والتنازع . يقول : طاعت ما جال في نفسى ، فأنجل من خطة ظاهرة انشقت وظهرت ، فلم تدع للنفس مذهباً في الشك والتردد ، إذ قالت : أقصد عبيد الله بن عمر بن عبيد الله بن معمر .

(١) التفسير في قوله ، « وصفها » إلى العرب ، فيما سلف .

المخلصين له الدين في الآخرة — من عقابه وعذاب جحيمه ، وَمَا قَدِمُوا عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ .

• • •

ويعنى بقوله : « وَلَا هُمْ يُحْزَنُونَ » ، وَلَا هُمْ يُحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَّفُوا وَرَاءَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا أَنْ يُنْعَمُوا مَا قَدِمُوا عَلَيْهِ مِنْ نَعِيمٍ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ .

• • •

وإنما قال جل ثناؤه : « وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » ، وقد قال قبل : « فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ » ، لَأَنَّ « مَنْ » ، الَّتِي فِي قَوْلِهِ : « بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ » فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ وَمَعْنَى جَمِيعٍ ، فَالتَّوْحِيدُ فِي قَوْلِهِ : « فَلَهُ أَجْرُهُ » لِلْفِظْ ، وَالْجَمْعُ فِي قَوْلِهِ : « وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ » لِلْمَعْنَى .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾

قال أبو جعفر : ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل الكتابين ، تنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض . ذكر من قال ذلك :

١٨١١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة — وحدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، جميعاً — حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثني سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتتهم أخبار يهود ، فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رافع بن خريملة : ج٢ (٢٢)

ما أنتم على شيء ! وكفر بعيسى بن مريم وبالإنجيل. فقال رجل من أهل نجران من النصارى : ما أنتم على شيء ! وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة ، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهما : « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء » وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » إلى قوله « فيما كانوا فيه يختلفون » . (١)

١٨١٢ - حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء » وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » ، قال : هؤلاء أهل الكتاب الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

• • •

قال أبو جعفر : وأما تأويل الآية فإنه : قالت اليهود : ليست النصارى في دينها على صواب ! وقالت النصارى : ليست اليهود في دينها على صواب ! وإنما أخبر الله عنهم بقبلهم ذلك للمؤمنين ، إعلاماً منه لهم بتضييع كل فريق منهم حكم الكتاب الذي يظهر الإقرار بصحته ، وأنه من عند الله ، وجودهم مع ذلك ما أنزل الله فيه من فروضه . لأن الإنجيل الذي تدين بصحته وحقيقته النصارى ، يحقق ما في التوراة من نبوة موسى عليه السلام ، وما فرض الله على بني إسرائيل فيها من الفرائض ، وأن التوراة التي تدين بصحتها وحقيقتها اليهود ، تحقق نبوة عيسى عليه السلام ، وما جاء به من عند الله من الأحكام والفرائض .

ثم قال كل فريق منهم للفريق الآخر ما أخبر الله عنهم في قوله : « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء » ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » ، مع تلاوة كل واحد من الفريقين كتابه الذي يشهد على كذبه في قيله ذلك . فأخبر جل ثناؤه أن كل فريق منهم قال ما قال من ذلك ، على علم منهم أنهم فيما قالوه مبطلون ، وأتوا ما أتوا من كفرهم بما كفروا به ، على معرفة منهم بأنهم فيه ملحدون .

* * *

فلان قال لنا قائل : أو كانت اليهود والنصارى بعد أن بعث الله رسوله على شيء ، فيكون الفريق القائل منهم ذلك للفريق الآخر ، مبطلاً في قوله ما قال من ذلك ؟

قيل : قد روينا الخبر الذي ذكرناه عن ابن عباس قبل ، من أن إنكار كل ٣٩٥/١ فريق منهم ، إنما كان إنكاراً لنبوة النبي الذي ينتحل التصديق به وبما جاء به الفريق الآخر ، لا دفعاً منهم أن يكون الفريق الآخر - في الحال التي بعث الله فيها نبينا صلى الله عليه وسلم - على شيء من دينه ، بسبب جحوده نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وكيف يجوز أن يكون معنى ذلك إنكار كل فريق منهم أن يكون الفريق الآخر على شيء بعد بعثه نبينا صلى الله عليه وسلم ، وكلا الفريقين كان جاحداً نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، في الحال التي أنزل الله فيها هذه الآية ؟ ولكن معنى ذلك : وقالت اليهود : ليست النصارى على شيء من دينها منذ دانت دينها ! وقالت النصارى : ليست اليهود على شيء منذ دانت دينها ! وذلك هو معنى الخبر الذي رويناه عن ابن عباس آنفاً ، فكذب الله الفريقين في قبلهما ما قالوا ، كما : -

١٨١٣ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء » ، قال : بلى ! قد كانت أوائل النصارى على شيء ، ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا ، وقالت النصارى : « ليست اليهود على شيء » ، ولكن القوم ابتدعوا وتفرقوا .

١٨١٤ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء » وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » ، قال ، قال مجاهد : قد كانت أوائل اليهود والنصارى على شيء .

* * *

وأما قوله : « وهم يتلون الكتاب » ، فإنه يعني به كتاب الله التوراة والإنجيل ،

وهما شاهدان على فريقى اليهود والنصارى بالكفر ، وخلافهم أمر الله الذى أمرهم به فيه ، كما : —

١٨١٥ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير — وحدثنا ابن حيد قال ، حدثنا سلمة بن الفضل — قالوا جميعاً ، حدثنا ابن إسحق قال ، حدثنى محمد ابن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثنى سعد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : « وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ » ، أى كلُّهم يتلو فى كتابه تصديق ما كفر به ، أى يكفر اليهود بعبسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم من الميثاق على لسان موسى بالتصديق بعبسى عليه السلام ، وفى الإنجيل مما جاء به عيسى تصديق موسى وما جاء به من التوراة من عند الله ، وكلُّهم يكفر بما فى يد صاحبه . (١)

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى الذين عصى الله بقوله : « كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » . فقال بعضهم بما : —

١٨١٦ — حدثنى به المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ » ، قال : وقالت النصارى مثل قول اليهود قبلهم .

١٨١٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ » ، قال : قالت النصارى مثل قول اليهود قبلهم .

• • •

وقال آخرون بما : —

١٨١٨ — حدثنا به القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج : قلت لعطاء : من هؤلاء الذين لا يعلمون ؟ قال : أم كانت قبل اليهود والنصارى ، وقبل التوراة والإنجيل .

وقال بعضهم : غنى بذلك مُشركى العرب ، لأنهم لم يكونوا أهل كتاب ، فتسبوا إلى الجهل ، ونفى عنهم من أجل ذلك العلم . ذكر من قال ذلك :
١٨١٩ — حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم » ، فهم العرب ، قالوا : ليس محمد صلى الله عليه وسلم على شيء .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يُقال : إن الله تبارك ٣٩٦/١ وتعالى أخبر عن قوم — وصفهم بالجهل ، ونفى عنهم العلم بما كانت اليهود والنصارى به عالمين — أنهم قالوا بجهلهم نظير ما قال اليهود والنصارى بعضها لبعض ، مما أخبر عنهم أنهم قالوه في قوله : « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء » وقالت النصارى ليست اليهود على شيء . وجاءت أن يكونوا هم المشركين من العرب ، وجاءت أن يكونوا أمة كانت قبل اليهود والنصارى ، ولا أمة أول أن يقال هي التي عُينت بذلك من أخرى ، إذ لم يكن في الآية دلالة على أي من أي ، ولا خبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتتُ حجته من جهة نقل الواحد العدل ، ولا من جهة النقل المستفيض .

ولأنما قصد الله جل ثناؤه بقوله : « كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم » ، إعلام المؤمنين أن اليهود والنصارى قد أتوا — من قبيل الباطل ، وافتراء الكذب على الله ، وجحود نبوة الأنبياء والرسل ، وهم أهل كتاب يعلمون أنهم فيما يقولون مُبطلون ، ويحجودهم ما يحجودون من ملتهم خارجون ، وعلى الله مفترون — مثل الذي قاله أهل الجهل بالله وكتبه ورسله ، الذين لم يبعث الله لهم رسولا ولا أوحى إليهم كتاباً .

وهذه الآية تنهى عن أن من أتى شيئاً من معاصي الله على علم منه بنهى الله عنها، فصيبته في دينه أعظم من مصيبة من أتى ذلك جاهلاً به . لأن الله تعالى ذكره عظم توبيخ اليهود والنصارى بما وبخهم به — في قيلهم ما أخبر عنهم بقوله : « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » — من أجل أنهم أهل كتاب ، قالوا ما قالوا من ذلك على علم منهم أنهم مُبطلون .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (١١٣)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فالله يقضى ويفصل بين هؤلاء المختلفين ، = القائل بعضهم لبعض : لستم على شيء من دينكم — يوم قيام الخلق لربهم من قبورهم — فيتين الحق منهم من المبطل ، بإثابته الحق ما وعد أهل طاعته على أعماله الصالحة ، وعجازه المبطل منهم بما أوعده أهل الكفر به على كفرهم به = فيما كانوا فيه يختلفون من أديانهم ومللهم في دار الدنيا .

• • •

وأما « القيامة » فهي مصدر من قول القائل : « قمت قياماً وقياماً » ، كما يقال : « عدت فلاناً عيادة » و « صنت هذا الأمر صيانة » .

• • •

ولما عني « بالقيامة » قيام الخلق من قبورهم لربهم . فعني « يوم القيامة » : يوم قيام الخلائق من قبورهم لمحشرهم .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾

قال أبو جعفر : قد دللنا فيما مضى قبل^١ ، على أن تأويل « الظلم » ، وضع الشيء في غير موضعه . (١) وتأويل قوله : « ومن أظلم » ، وأى أمرئ أشد تعدياً وجراً على الله وخلافاً لأمره ، من أمرئ منع مساجد الله أن يُعبد الله فيها ؟

* * *

و « المساجد » جمع « مسجد » : وهو كل موضع يُعبد الله فيه . وقد بينا معنى « السجود » فيما مضى . (٢) فعنى « المسجد » : الموضع الذى يُسجد لله فيه ، كما يقال للموضع الذى يُجلس فيه : « المجلس » ، وللموضع الذى ينزل فيه « منزل » ثم يجمع : « منازل ومجالس » ، نظيرَ مسجد ومساجد . وقد حكى سماعاً من بعض العرب « مساجد » ، في واحد المساجد ، وذلك كالخطأ من قائله .

* * *

وأما قوله : « أن يُذكر فيها اسمه » ، فلأن فيه وجهين من التأويل . أحدهما : أن يكون معناه : ومن أظلم ممن منع مساجد الله من أن يذكر فيها اسمه ، فتكون « أن » حيتثذ نصباً ، من قول بعض أهل العربية بفَقْدِ الحافض ، وتعلقُ الفعل بها . والوجه الآخر : أن يكون معناه : ومن أظلم مِمَّنْ منع أن يذكر اسمُ الله في مساجده ، فتكون « أن » حيتثذ في موضع نصب ، تكريراً على موضع المساجد ورداً عليه . (٣)

* * *

وأما قوله : « وسعى في خرابها » فلأن معناه : ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن

(١) انظر ما سلف ١ : ٥٢٣ - ٥٢٤ ، وهذا الجزء ٢ : ١٠١ - ١٠٢ ، ٣٩٩٠

(٢) انظر ما سلف في هذا الجزء ٢ : ١٠٤ - ١٠٥

(٣) قوله : « تكريراً » ، أى بدل اشتغال .

يذكر فيها اسمه ، ومن سعى في خراب مساجد الله . « سعى » إذا ، عطف على « منع » .

• • •

فإن قال قائل : ومن الذى عني بقوله : « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها » ؟ وأى المساجد هي ؟

قيل : إن أهل التأويل في ذلك مختلفون ، فقال بعضهم : الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه هم النصارى ، والمسجد بيت المقدس . ذكر من قال ذلك : ١٨٢٠ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه » ، إنهم النصارى .

١٨٢١ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها » ، النصارى ، كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى ، ويمنعون الناس أن يصلوا فيه .

١٨٢٢ - حدثني الثني قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

• • •
وقال آخرون : وهو بُخْتَنَصْرُ وَجُنْدُهُ ومن أعانهم من النصارى ، والمسجد مسجد بيت المقدس . ذكر من قال ذلك :

١٨٢٣ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه » ، الآية ، أولئك أعداء الله النصارى ، حلهم بغض اليهود على أن أعانوا بُخْتَنَصْرَ الْبَابِلِيِّ الهويسي على تخريب بيت المقدس .

١٨٢٤ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

معمر ، عن قتادة في قوله : « وَمَنْ أَظْلَمُ مَنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسُئِلَ فِي خَرَابِهَا » ، قال : هو بختنصر وأصحابه ، خرب بيت المقدس ، وأعانه على ذلك النصارى .

١٨٢٥ - حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وَمَنْ أَظْلَمُ مَنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسُئِلَ فِي خَرَابِهَا » ، قال : الروم ، كانوا ظاهرًا وبختنصر على خراب بيت المقدس حتى خربه ، وأمر به أن تُطرح فيه الجيف ، وإنما أعانه الروم على خرابه ، من أجل أن بنى إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا .

وقال آخرون : بل عني الله عز وجل بهذه الآية ، مشركى قريش ، إذ منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام . ذكر من قال ذلك :

١٨٢٦ - حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، حدثنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وَمَنْ أَظْلَمُ مَنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسُئِلَ فِي خَرَابِهَا » ، قال : هؤلاء المشركون ، حين حالوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وبين أن يدخل مكة ، حتى نحر هديه بلدى طوى وهادهم ، وقال لهم : ما كان أحد يُرد عن هذا البيت ، وقد كان الرجل يلقي قاتل أبيه أو أخيه فيه فما يصدّه ! وقالوا : لا يدخل علينا من قتل آبائنا يوم بدر وفينا باقى ! وفي قوله : « وَسُئِلَ فِي خَرَابِهَا » قال : إذ قطعوا من يعمرها بذكره ، (١) ويأتيها للحج والعمرة .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات التي ذكرتها بتأويل الآية ، قول من قال : عني الله عز وجل بقوله : « وَمَنْ أَظْلَمُ مَنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ » ، النصارى . وذلك أنهم هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس ، وأعانوا بختنصر

(١) في المطبوعة : « قالوا إذا قطعوا » ، والصواب من تفسير ابن كثير ١ : ٢٨٥ فهذا جزء من من الأثر ، والقائل هو : ابن زيد .

على ذلك ، وَمَنَعُوا مُؤْمِنِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ بَعْدَ مُنْصَرَفٍ بِمُخْتَصَرٍ عَنْهُمْ
٣٩٨/١ إلى بلاده .

والدليل على صحة ما قلنا في ذلك ، قيامُ الحجة بأنَّ لا قولَ في معنى هذه الآية إلاَّ أحدُ الأقوال الثلاثة التي ذكرناها ، وأن لا مسجدَ عنى الله عز وجلَ بقوله : « وَسَعَى فِي خَرَابِهَا » إلاَّ أحدُ المسجدين : لِمَا مَسَجِدَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ ، وَلِمَا مَسَجِدَ الْحَرَامِ . وإذ كان ذلك كذلك = وكان معلوماً أن مشركي قريش لم يسعوا قطُّ في تخريب المسجد الحرام ، وإن كانوا قد مَنَعُوا في بعض الأوقات رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الصلاة فيه = صحَّ وثبت أن الذين وصفهم الله عز وجل بالسعي في خراب مساجده ، غيرُ الذين وصفهم الله بعمارتهَا . إذ كان مشركو قريش بَنَوْا المسجد الحرامَ في الجاهلية ، وبعمارته كان افتخارهم ، وإن كان بعضُ أفعالهم فيه ، كان منهم على غير الوجه الذي يرضاه الله منهم .

وأخرى ، أن الآية التي قبل قوله : « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ » ، مضت بالخبر عن اليهود والنصارى وذمَّ أفعالهم ، والتي بعدها نبَّهت بدمِ النصارى والخبر عن افتراءهم على ربهم ، ولم يجز لقريش ولا لمشركي العرب ذكرٌ ، ولا للمسجد الحرام قبلها ، فيوجَّه الخبرُ — بقول الله عز وجل : « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ » — للإيم وإلى المسجد الحرام .

وإذ كان ذلك كذلك ، فالذي هو أولى بالآية أن يوجَّه تأويلها إليه ، وهو ما كان نظيرَ قصَّةِ الآية قبلها والآية بعدها ، إذ كان خبرُها خبرَهما نظيراً وشكلاً ، إلاَّ أن تقومُ حُجَّةٌ يجب التسليم لها بخلاف ذلك ، وإن اتفقت قصصها فاشتبهت .^(١)
فلان ظنَّ ظانَّ أن ما قلنا في ذلك ليس كذلك — إذ كان المسلمون لم يلزمهم

(١) أراد ابن كثير أن يرد ما ذهب إليه الطبري في تفسير الآية ، في تفسيره ١ : ٢٨٥ - ٢٨٧ وقال : « اختار ابن جرير القول الأول ، واحتج - بأن قريشاً لم تسع في خراب الكعبة ، وأما الروم فسعت في تخريب بيت المقدس ، قال ابن كثير : والذي يظهر والله أعلم ، القول الثاني ، كما قاله ابن زيد . . . » ثم قال : « وأما اعتاده على أن قريشاً لم تسع في خراب الكعبة ، فأى خراب أعظم ما فعلوا ؟ أخرجوا منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، واستحرقوا عليها بأصنامهم وأندادهم وشركهم . . . »

قطُّ فرضُ الصلاة في المسجد [المقدس، فنموا من الصلاة فيه فياجئون] توجيه قوله^(١) : « وَمَنْ أَظْلَمُ مَنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ » ، إلى أنه معنى به مسجد بيت المقدس — فقد أخطأ فيما ظن من ذلك . وذلك أن الله جل ذكره إنما ذكر ظلم من منع مَنْ كان فرضه الصلاة في بيت المقدس من مؤمنى بنى إسرائيل ، ثم استدل بآيات من كتاب الله وقال : « ليس المراد بهما ، زخرفتها وإقامة صورتها ، فقط ، إنما عمارتها بذكر الله وإقامة شرعه فيها » إلى آخر ما قاله .

وهذا الاعتراض من ابن كثير على أبي جعفر رحمهما الله ، ليس يقوم في وجه حجة الطبري على صواب ما ذهب إليه في تأويل الآية . والطبري لم يغفل عن مثل اعتراض ابن كثير ، ولكن ابن كثير غفل عن سيق تأويل الطبري . وصحيح أن ما كان من أمر أهل الشرك في الجاهلية في البيت الحرام يدخل في عموم معنى قوله : « وسعى في خرابها » ، ولكن سياق الآيات السابقة ، ثم أتى تليها ، توجب — كما ذهب إليه الطبري — أن يكون معنياً بها من كانت الآيات نازلة في خبره وقصته .

والآيات السالفة جميعاً خبر عن بنى إسرائيل الذين كانوا على عهد موسى ، وتأنيب لبنى إسرائيل الذين كانوا بين ظهرفي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ما كان منهم لأهل الإيمان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عتاب بعض أهل الإيمان على ما جرى على ألسنتهم من ألفاظ اليهود في خطاب نبيهم صلى الله عليه وسلم ، ثم تحذير لهم من أهل الكتاب جميعاً ، يهودهم ونصرانيهم ، وذكر لافتراء الفريقين بمضهم على بعض ، وادعاء كل فريق أنه هو الفريق الناجي يوم القيامة . ثم أفرد بعد ذلك أخبار النصرى ، كما أفرد من قبل أخبار بنى إسرائيل ، فعدده سوء فعاهم في منعهم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، ثم كذبهم على ربهم أنه اتخذ ولداً ، ثم قتل بمضهم : « لولا يكلسنا الله أو تأتينا آية » ، وأن ذلك شبيه بقول اليهود : « أربا الله جهرة » ، ثم أخبر أنه أرسل رسوله محمداً بشيراً ونذيراً ، وأمره أن يعرض عن أهل الجحيم من هؤلاء وهؤلاء ، ثم أعلنه أن اليهود والنصرى جميعاً . لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم وطرقتهم ، في الافتراء على رب العالمين .

فالسباق كما ترى ، بمعزل عن المشركين من العرب ، ولكن ابن كثير وغيره من أئمتنا رضوان الله عليهم ، تختلط عليهم المعاني حين تتقارب ، ولكن أبا جعفر صابر على كتاب ربه ، مطيق الحيلة ، لا يجعله شيء عن شيء ما استطاع . فهو يخلص معاني كتاب ربه تخليصاً لم أجده قط لأحد بعده ، من قرأ كتابه . وأكثرهم يتعرض عليه ، ولو صبر على دقة هذا الإمام . لكان ذلك أولى به ، وأشبه بخلق أهل العلم ، وهم له أهل ، غفر الله لنا ولم .

(١) الذى بين القوسين ، هكذا جاء في النسخ المطبوعة والمخطوطة السقيمة . ولم أجده نقلاً عن أبي جعفر يهين إلى تصويب هذا الخط . فاجتهدت أن استظهر سياق كلامه . فأقرب ما انتهيت إليه أن يكون فيه سقطاً وتحريفاً ، وأن يكون سياقه كما يلي :

[إذ كان المسلمون هم المخاطبون بالآيات التى سبقت هذه الآية ، وكان المسلمون لم يلزمهم قطُّ فرض الصلاة في مسجد بيت المقدس ، فنموا من الصلاة فيه ، وكان النصرى واليهود لم يمنعوهم قط من الصلاة فيه ، فيجوز توجيه قوله — : « ومن »

ولما هم قَصَدَ بالخبر عنهم بالظلم والسعى في تحراب المسجد . وإن كان قد دلَّ بعموم قوله : « وَمَنْ أَظْلَمُ مَنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ » ، أن كل مانع مُصْلِيًّا في مسجدٍ لله ، ^(١) — فرضاً كانت صلواته فيه أو تطوعاً — وكل ساع في إخراجه ، فهو من المعتدين الظالمين .

• • •

القول في تأويل قوله جل ذكره ﴿ أَوْ لَيْتَكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله عز وجل عَمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يَذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ، أنه قد حرَّم عليهم دخول المساجد التي سعوا في تخريبها ، ومنعوا عباد الله المؤمنين من ذكر الله عز وجل فيها ، ما داموا على مُنَاصَبَةِ الحرب ، إلا على خوف ووجل من العقوبة على دخولها ، كالذي : —

١٨٢٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ما كان لهم أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ » ، وهم اليوم كذلك ، لا يَوجَدُ نصرانيٌّ في بيت المقدس إلا نُهَكَ ضرباً ، وأُبلغ إليه في العقوبة .

١٨٢٨ — حدثنا الحسن قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال الله عز وجل : « ما كان لهم أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ » ، وهم النصارى ، فلا يدخلون المسجد إلا مُسَارِقَةً ، إن قُدِرَ عليهم عوقبوا .

١٨٢٩ — حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو ، قال حدثنا أسباط ، عن السدي : « أولئك ما كان لهم أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ » ، فليس في الأرض روميٌّ يدخلها

أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ — إلى أنه معنى بِهِ مُسَجِدُ

بيت المقدس [. هذا اجتهدى في قراءة هذا النص المختلط ، والله أعلم .

(١) في المطبوعة : « في مسجد الله » ، والصواب ما أثبت .

اليوم إلا هو خائف أن تضرب عنقه ، أو قد أخيف بأداء الجزية ، فهو يؤدّيها .
١٨٣٠ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله :

« أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين » ، قال : نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يتحج بعد العام مُشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان . قال : فجعل المشركون يقولون : اللهم إنا منعنا أن ننزل !

ولنما قيل : « أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين » ، فأخرج على وجه الخبر عن الجميع ، وهو خبر عن « من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه » ، لأن « من » في معنى الجميع ، وإن كان لفظه واحداً .^(١)

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١١٤)

قال أبو جعفر : أما قوله عز وجل : « لهم » ، فإنه يعني : الذين أخبر عنهم أنهم منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه . أما قوله : « لهم في الدنيا خيزي » ، فإنه يعني : « الخزي » : العار والشر والذلة^(٢) ، إمّا القتل والسب ، وإمّا الذلة والصغار بأداء الجزية ، كما :
١٨٣١ - حدثنا الحسن قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « لهم في الدنيا خيزي » ، قال : يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون .

١٨٣٢ - حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قوله : « لهم في الدنيا خيزي » ، أما خيزيهم في الدنيا ، فإنهم إذا قام المهدي ففتحت القسطنطينية قتلهم . فذلك الخزي . وأما العذاب العظيم ، فإنه عذاب جهنم الذي لا يخفف عن أهله ، ولا يقضى عليهم فيها فيموتوا . وتأويل الآية : لهم في الدنيا الذلة والهوان والقتل والسب - على منعهم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعيهم

(١) انظر ما سلف في هذا الجزء ٢ : ٥١٣

(٢) انظر ما سلف في هذا الجزء ٢ : ٣١٤

في خرابها ، ولم = على معصيتهم وكفرهم بربهم وسعيهم في الأرض فساداً = عذابُ جهنم ، وهو العذاب العظيم .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَمُتَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ولله المشرق والمغرب » ، لله ملكهما وتديرهما ، كما يقال : « لفلان هذه الدار » . يعنى بها : أنها له ، ملكاً . فذلك قوله : « ولله المشرق والمغرب » ، يعنى أنهما له ، ملكاً وخلقاً .

• • •

و « المشرق » هو موضع شروق الشمس ، وهو موضع طلوعها ، كما يقال لموضع طلوعها منه : « مَطْلَع » ، بكسر اللام ، وكما بينا في معنى « المساجد » آنفاً .^(١)

• • •

فإن قال قائل : أو ما كان لله إلا مشرق واحد ومغرب واحد ، حتى قيل : « ولله المشرق والمغرب » ؟

قيل : إن معنى ذلك غير الذى ذهبت إليه . وإنما معنى ذلك : ولله المشرق الذى تشرق منه الشمس كل يوم ، والمغرب الذى تغرب فيه كل يوم . فتأويله ، إذ كان ذلك معناه : ولله ما بين قطرى المشرق وما بين قطرى المغرب ، إذ كان شروق الشمس كل يوم من موضع منه لا تعود لشرقها منه إلى الحول الذى بعده ، وكذلك غروبها كل يوم .

فإن قال : أوليس وإن كان تأويل ذلك ما ذكرت ، فله كل ما دونه ؟^(٢) الخلقُ خلقه !

(١) انظر ما ساف قريباً : ٥١٩

(٢) قوله : « فله كل ما دونه » ، أى كل ما سواه من شيء .

قيل : بلى !

فإن قال : فكيف خص المشارق والمغارب بالخبر عنها أنها له في هذا الموضع ،

دون سائر الأشياء غيرها ؟

قيل : قد اختلف أهل التأويل في السبب الذى من أجله خص الله ذكر ذلك بما خصه به في هذا الموضع . ونحن مُبينو الذى هو أولى بتأويل الآية ، بعد ذكرنا أقوالهم في ذلك . فقال بعضهم : خص الله جل ثناؤه ذلك بالخبر ، من أجل أن اليهود كانت توجه في صلاتها وجوها قبيل بيت المقدس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك مدة ، ثم حوّلوا إلى الكعبة . فاستنكرت اليهود ذلك من فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟ فقال الله تبارك وتعالى لهم : المشارق والمغارب كلها لي ، أضرف وجوه عبادي كيف أشاء منها ، فحيثما تولّوا فثم وجه الله . ذكر من قال ذلك :

١٨٣٣ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية بن

صالح ، عن علي ، عن ابن عباس قال : كان أول ما نُسخ من القرآن ، القبلة .

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة ، وكان أكثر أهلها ٤٠٠/١

اليهود ، أمره الله عز وجل أن يستقبل بيت المقدس . ففرحت اليهود . فاستقبلها

رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهراً ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يُحِبُّ قِبْلَةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَكَانَ يَدْعُو وَيَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ

وَتَعَالَى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ فَوَلَّوْا وَجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾

[سورة البقرة : ١٤٤] ، فارتاب من ذلك اليهود وقالوا : ﴿ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي

كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾ ، وقال :

﴿ أَيْنَمَا تُولُّوا فَمِنْ وَجْهِ اللَّهِ ﴾ ^(١) [سورة البقرة : ١٤٢]

(١) الحديث : ١٨٣٣ - عل : هو ابن أبي طلحة الهاشمي : ثقة ، تكلموا فيه . والراجح أن

كلامهم فيه من أجل تشييعه . ولكن لم يسع من ابن عباس ، فروى ابن أبي حاتم في المراسيل ، ص : ٥٢ ،

١٨٣٤ - حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي نحوه .

• • •

وقال آخرون : بل أنزل الله هذه الآية قبل أن يفرض على نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين به ، التوجهَ شطرَ المسجد الحرام ، وإنما أنزلها عليه مُعَلِّماً نبيّه عليه الصلاة والسلام بذلك وأصحابه أن لهم التوجهَ بوجوههم للصلاة حيث شاؤوا من نواحي المشرق والمغرب ، لأنهم لا يوجهون وجوههم وجهاً من ذلك وناحيةً ، إلا كان جل ثناؤه في ذلك الوجه وتلك الناحية ، لأن له المشرق والمغرب ، وأنه لا يخلو منه مكان ، ^(١) كما قال جل وعزّ : ﴿ وَلَا أَذْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ﴾ [سورة المائدة : ٧] ، قالوا : ثم نُسَخ ذلك بالفرض الذي

من دسّم ، قال : « إن عل بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس التفسير » . وروى عن أبيه أبي حاتم مثل ذلك . وفي التهذيب أنه ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : « روى عن ابن عباس ، ولم يره » . فهذا إسناده ضعيف ، لانقطاعه .

ولكن معناه ثابت عن ابن عباس ، من وجه صحيح .

فرواه أبو عبيد القاسم بن سلام ، في كتاب النسخ والمنسوخ - فيما نقل ابن كثير ١ : ٢٨٨ - « أخبرنا حجاج بن محمد ، أخبرنا ابن جريج ، وعثمان بن عطاء ، عن عطاء ، عن ابن عباس . . . » فذكر نحوه . وهذا إسناده صحيح ، من جهة رواية ابن جريج عن عطاء ، وهو ابن أبي رباح . وأما « عثمان بن عطاء » ، فإنه « الخراساني » . وهو ضعيف . وحجاج بن محمد : سمعه منهما ، من ثقة ومن ضعيف ، فلا بأس .

ورواه الحاكم ٢ : ٢٦٧ - ٢٦٨ ، من طريق ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه هذه السبابة » . ووافقه الذهبي . وهو كما قالوا . وذكره السيوطي ١ : ١٠٨ ، ونسبه لأبي عبيد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم وصحبه ، والبيهقي في سننه .

(١) قال ابن كثير في تفسيره ١ : ٢٨٩ تعليقاً على كلمة أبي جعفر رحمه الله : « في قوله : وأنه تعالى لا يخلو منه مكان - إن أراد علمه تعالى ، فصحيح . فإن علمه تعالى محيط بجميع المعلومات ، وأما ذاته تعالى فلا تكون محصورة في شيء من خلقه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً » . قلت : الذي قاله ابن كثير هو عقيدة أبي جعفر رحمه الله ، وقد بين ذلك في تفسير سورة المائدة من تفسيره ٢٨ : ١٠ ، فلا يخفى لتشكك ابن كثير في كلام إمام ضابط من أئمة أهل الحق ، وعبارته صحيحة اللفظ ، ولكن أهل الأهواء جعلوا الناس يفهمون من مربية الفصحاء معنى غير المعنى الذي تدل عليه .

فرض عليهم ، في التوجه شطر المسجد الحرام . ذكر من قال ذلك :

١٨٣٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : قوله جل وعز : « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله » ، ثم نسخ ذلك بعد ذلك ، فقال الله : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [سورة البقرة : ١٤٩ ، ١٥٠]

١٨٣٦ — حدثنا الحسن قال ^(١) ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « فأينما تولوا فثم وجه الله » ، قال : هي القبلة ، ثم نسخها القبلة إلى المسجد الحرام .

١٨٣٧ — حدثني المنفي قال ، حدثنا الحجاج بن المهال قال ، حدثنا همام قال ، حدثنا يحيى قال ، سمعت قتادة في قول الله : « فأينما تولوا فثم وجه الله » ، قال : كانوا يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة ، وبعد ما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ، ثم وجهه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام . فنسخها الله في آية أخرى : ﴿ فَلَنَوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ إلى ﴿ وَحِينَئِذٍ كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [سورة البقرة : ١٤٤] ، قال : فنسخت هذه الآية ما كان قبلها من أمر القبلة .

١٨٣٨ — حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سمعته — يعني زيد — يقول : قال عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : « فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم » ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هؤلاء قوم يهود يستقبلون بيتاً من بيوت الله ، لو آنا استقبلناه ! فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم ستة عشر شهراً ، فبلغه أن يهود تقول : والله ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم ! ففكره ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، ورفع وجهه إلى السماء ، فقال الله عز وجل :

(١) في المطبوعة : « حدثت عن الحسن » ، والصواب ما أثبت ، وهو إسناد دالر في تفسيره

أقر به رقم : ١٧٣١ .

﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبُ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ الآية [سورة البقرة : ١٤٤].

وقال آخرون : نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ نأ من الله عز وجل له أن يصلي التطوع حيث توجه وجهه من شرق أو غرب ، في مسيره في سفره ، وفي حال المسايقة ، وفي شدة الخوف والتقاء الزحوف في الفرائض . وأعلمه أنه حيث وجهه وجهه فهو هنالك ، بقوله : « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله » . ذكر من قال ذلك :

١٨٣٩ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا عبد الملك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عمر : أنه كان يصلي حيث توجهت به راحلته ، ويذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك ، ويتأول هذه الآية : « أينما تولوا فثم وجه الله » . (١)

١٨٤٠ — حدثني أبو السائب قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عمر أنه قال : إنما نزلت هذه الآية « أينما تولوا فثم وجه الله » : أن تصلي حيثما توجهت بك راحلتك في السفر تطوعاً ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رجع من مكة يصلي على راحلته تطوعاً . يؤمى برأسه نحو المدينة (٢) .

(١) الحديث : ١٨٣٩ — ابن إدريس : هو عبد الله بن إدريس الأودي ، سبق توثيقه : ٤٣٨ . عبد الملك : هو ابن أبي سليمان ، كما سيأتي في الإسناد التالي لهذا ، وقد سبق توثيقه : ١٤٥٥ . والحديث رواه أحد في المسند : ٥٠٠١ ، عن عبد الله بن إدريس ، بهذا الإسناد . وسيأتي تمام تخريجه في الذي بعده .

(٢) الحديث : ١٨٤٠ — ابن فضيل : هو محمد بن فضيل بن غزوان الضبي ، وهو ثقة ، من شيوخ أحمد وإسحق وغيرهما . بل روى عنه الثوري ، وهو أكبر منه . مترجم في التهذيب ، والكنيز ٢٠٧/١ - ٢٠٨ ، وابن أبي حاتم ٥٧/١ - ٥٨ . والحديث رواه أحد أيضاً : ٤٧١٤ ، عن يحيى القطان ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، بنحوه . ورواه مسلم ١ : ١٩٥ ، من طريق يحيى ، وآخرين . وكذلك رواه البيهقي في السنن الكبرى ٢ : ٤ ، بأسانيد من طريق عبد الملك .

وقد رجحنا في شرح المسند الرواية السابقة ، بأن هذه الآية لم تنزل في ذلك ، بل هي في معنى أم ، وإنما تصلح شاهداً ودليلاً ، كما يتبين ذلك من فقه تفسيرها في سياقها .

وقال آخرون بل نزلت هذه الآية في قوم نُحِيت عنهم القبلة فلم يعرفوا شطرها ، فصلُّوا على أنحاءٍ مختلفةٍ ، فقال الله عز وجل لهم : لي المشارق والمغرب فأنسى وليتم وجوهكم فهناك وجهي ،^(١) وهو قبلتكم - معلَّمهم بذلك أن صلاتهم ماضية ، ذكر من قال ذلك :

١٨٤١ - حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا أبو الربيع السمان ، عن عاصم بن عبيد الله ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أبيه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة سوداء مظلمة ، فترلنا منزلاً . فجعل الرجل يأخذ الأحجار فيعملُ مسجداً يصلِّي فيه . فلماً أصبحنا إذا نحن قد صلينا على غير القبلة . فقلنا : يا رسول الله ، لقد صلينا لَيْلَتنا هذه لغير القبلة ! فأنزل الله عز وجل : « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمَّ وجهُ الله إن الله واسعٌ عليم » .^(٢)

(١) في المطبوعة : « فإن وليتم وجوهكم » . والصواب ما أثبت .

(٢) الحديث : ١٨٤١ - أحمد ، شيخ الطبري : هو أحمد بن إسحق بن عيسى الأهوازي ، كما سبق نسبه كاملاً في : ١٥٩ ، وهو صدوق ، من شيوخ أبي داود ، مترجم في التهذيب ، وأبو أحمد : هو الزبير . واسمه : محمد بن عبد الله بن الزبير بن عمر بن درهم ، وهو ثقة حافظ ، من شيوخ الإمام أحمد . مترجم في التهذيب . والكبير ١٣٣/١/١ - ١٣٤ ، وابن سعد ٦ : ٢٨١ ، وابن أبي حاتم ٢٩٧/٢/٣ .

أبو الربيع السمان : هو أشعث بن سعيد ، سبق في : ٢٤ أنه ضعيف جداً .

عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب : هو ضعيف ، وقد بينا ضعفه في شرح المسند :

٥٢٢٩ .

عبد الله بن عامر بن ربيعة : ثقة من كبار التابعين . وأبوه مصابي معروف ، من المهاجرين الأولين ، هاجر المهجرتين ، وشهد بدرأ والمشاهد كلها .

والحديث ذكره ابن كثير ١ : ٢٨٩ - ٢٩٠ ، عن هذا الموضع . ووقع فيه خطأ في اسم شيخ الطبري ، كتب « محمد بن إسحق » ، بدل « أحمد » . وهو خطأ ناسخ أو طابع . ثم أشار ابن كثير إلى روايته الآتية : ١٨٤٣ . ثم ذكر أنه رواه أيضاً الترمذي ، وابن ماجه ، وابن أبي حاتم . ثم نقل كلام الترمذي ، قال : « هذا حديث ليس إسناده بذلك ، لا نعرفه إلا من حديث أشعث السمان ، وأشعث بن سعيد أبو الربيع السمان : يصفى في الحديث » . قال ابن كثير : « قلت : وشيخه عاصم أيضاً ضعيف . قال البخاري : منكر الحديث . وقال ابن معين : ضعيف لا يحتج به . وقال ابن حبان : متروك » . وقد ذهب في شرحي للترمذي ، رقم : ٣٤٥ ، إلى تحسين إسناده . ولكني أستدرك الآن ، وأرى أنه حديث ضعيف .

ونقله السيوطي ١ : ١٠٩ ، مع تخريجه وبيان ضعفه .

١٨٤٢ - حدثني المثنى قال ، حدثني الحجاج قال ، حدثنا حماد قال ، قلت للنَّحَعِي : إني كنت استيقظت - أو قال : أيقظت ، شك الطبري -^(١) فكان في السماء سحبٌ ، فصليت لغير القبلة . قال : مضت صلاتك ، يقول الله عز وجل : « فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ » .

١٨٤٣ - حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن أشعث السمان ، عن عاصم بن عبيد الله ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أبيه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة في سفرٍ ، فلم ندر أين القبلة ، فصلينا ، فصلّى كل واحد منا على حياله ،^(٢) ثم أصبحنا فذكرنا للنبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل : « فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ » .^(٣)

* * *

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية في سبب النَّجَاشِيِّ ، لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تنازعوا في أمره ، من أجل أنه مات قبل أن يُصلّى إلى القبلة ، فقال الله عز وجل : المشارق والمغارب كلها لي ، فمن وجّه وجهه نحو شيء منها يريدني به ويبتغي به طاعتي ، وجدني هنالك . يعني بذلك أن النجاشي وإن لم يكن صلّى إلى القبلة ، فإنه قد كان يوجّه إلى بعض وجوه المشارق والمغارب وجهه ، يبتغي بذلك رضا الله عز وجل في صلاته . ذكر من قال ذلك :

١٨٤٤ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا هشام بن معاذ قال ، حدثني أبي ، عن قتادة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن أخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه . قالوا : نصلى على رجل ليس بمسلم ! قال فترلت ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ ﴾ [سورة

(١) لم يرد في كتب اللغة : « أيقظت » لازماً ، وأغشى أن يكون الطبري يصححها ، وأشباهها في العربية كثير .

(٢) في لسان العرب « فصل كل منا حياله » ، أي تلقاه وجهه ، وزيادة « على » لا تضر المعنى .

(٣) الحديث : ١٨٤٣ - هو مكرر الحديث : ١٨٤١ .

آل عمران : ١٩٩] ، قال : قتادة ، فقالوا : إنه كان لا يصلى إلى القبلة ! فأنزل الله عز وجل : « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله » . (١)

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك : أن الله تعالى ذكره إنما خص الخبر عن المشرق والمغرب في هذه الآية بأنهما له ملكاً - وإن كان لا شيء إلا وهو له ملك - إعلالاً منه عبادة المؤمنين أن له ملكهما وملك ما بينهما من الخلق ، وأن على جميعهم = إذ كان له ملكهم = طاعته فيما أمرهم ونهاهم ، وفيما فرض عليهم من الفرائض ، والتوجه نحو الوجه الذى وجهوا إليه ، إذ كان من حكم الممالك طاعة مالِكهم . فأخرج الخبر عن « المشرق والمغرب » والمراد به : مَنْ بينهما من الخلق ، على النحو الذى قد بيّنت ، من الاكتفاء بالخبر عن سبب الشيء ، من ذكره والخبر عنه ، كما قيل : « وأشربوا في قلوبهم العجل » ، وما أشبه ذلك . (٢)

ومعنى الآية إذاً : ولله ملك الخلق الذى بين المشرق والمغرب ، يتبعدهم بما شاء ، ويحكم فيهم ما يريد ، عليهم طاعته ، فولّوا وجوهكم - أيها المؤمنون - نحو وجهى ، فإنكم أينما تولّوا وجوهكم فهناك وجهى .

فأما القول في هذه الآية ناسخة أم منسوخة ، أم لا هى ناسخة ولا منسوخة ؟ فالصواب فيه من القول أن يقال : إنها جاءت مجيئ العموم ، والمراد الخاص . وذلك أن قوله : ٤٠٢/١ « فأينما تولّوا فثم وجه الله » ، تحتل : أينما تولّوا - فى حال سيركم فى أسفاركم فى صلاتكم التطوع ، وفى حال مسابفتكم عدوكم فى تطوعكم ومكتوبتكم - فثم وجه الله ، كما قال ابن عمر والنخعي ، ومن قال ذلك عن ذكرنا عنه آناً .

(١) الحديث : ١٨٤٤ - هو حديث ضعيف ، لأنه مرسل . وقد نقله السيوطى : ١ : ١٠٩ ، ونسبه لابن جرير : وابن المنذر . ونقله ابن كثير : ١ : ٢٩١ ، عن هذا الموضع . ثم قال : « هذا غريب » . وأقول : وسياقته تدل على ضعفه ونكارتة .

(٢) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ٣٥٧-٤٨٣ ، ٣٦٠

= ومحمّتل : « فأينما تولوا - من أرض الله فتكونوا بها - فثمّ قبلةُ الله التي توجّهون ووجوهكم إليها ، لأن الكعبة ممكن لكم التوجّه إليها منها ، كما قال : -
 ١٨٤٥ - أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن أبي سنان ، عن الضحاك ، والنضر بن عربي ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « فأينما تولوا فثمّ وجه الله » ، قال : قبلةُ الله ، فأينما كنتم من شرق أو غرب فاستقبلوها .

١٨٤٦ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال أخبرني إبراهيم ، عن ابن أبي بكر ، عن مجاهد قال : حيثما كنتم فلكنم قبلةً تستقبلونها . قال : الكعبة .

= ومحمّتل : فأينما تولوا وجوهكم في دُعائكم فهناك وجهي ، أستجيب لكم دعاءكم ، كما : -

١٨٤٧ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال : مجاهد : لما نزلت ﴿ اذْعُونِي اَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [سورة غافر : ٦٠] ، قالوا : إلى أين ؟ فنزلت : « فأينما تولوا فثمّ وجهُ الله » .

فإذ كان قوله عز وجل : « فأينما تولوا فثمّ وجه الله » ، محتملاً ما ذكرنا من الأوجه ، لم يكن لأحد أن يزعم أنها ناسخةٌ أو منسوخةٌ ، إلا بحجة يجب التسليم لها .
 لأن الناسخ لا يكون إلا بمنسوخ ، ولم تقم حجة يجب التسليم لها بأن قوله : « فأينما تولوا فثمّ وجه الله » معنىً به : فأينما توجّهوا وجوهكم في صلاتكم فثمّ قبلتكم ؛ ولا أنها نزلت بعد صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه نحو بيت المقدس ، أمراً من الله عز وجل لهم بها أن يتوجهوا نحو الكعبة ، فيجوز أن يقال : هي ناسخةُ الصلاة نحو بيت المقدس ، إذ كان من أهل العلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأئمة التابعين من ينكر أن تكون نزلت في ذلك المعنى ، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بأنها نزلت فيه ، وكان الاختلاف في أمرها موجوداً على ما وصفت .

= ولا هي - إذ لم تكن ناسخة^١ لما وصفنا - قامت حجتها بأنها منسوخة ، إذ كانت محتملة^٢ ما وصفنا : بأن تكون جاءت بعموم ، ومعناها : في حال دون حال - ^(١) إن كان عُنى بها التوجه في الصلاة - وفي كل حال ، إن كان عُنى بها الدعاء وغير ذلك من المعاني التي ذكرنا .

وقد دللنا في كتابنا ﴿ كتاب البيان عن أصول الأحكام ﴾ على أن لا ناسخ من أى القرآن وأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما نقي حكماً ثابتاً ، وألزم العباد فرضه ، غير محتمل بظاهره وباطنه غير ذلك . ^(٢) فأما إذا ما احتمل غير ذلك - من أن يكون بمعنى الاستثناء ، أو الخصوص والعموم ، أو المجمل ، أو المفسر - فننسخ والناسخ والمنسوخ بمعزل . بما أغنى عن تكريره في هذا الموضع ، ولا منسوخ إلا المنقّى الذي قد كان ثبت حكمه وفرضه .

ولم يصحّ واحد من هذين المعنيين لقوله : « فأينما تولوا فثمّ وجه الله » ، بحجة يجب التسليم لها ، فيقال فيه : هو ناسخ أو منسوخ .

• • •

وأما قوله : « فأينما » ، فإن معناه : حينما .

• • •

وأما قوله : « تَوَكَّلُوا » ، فإن الذى هو أولى بتأويله أن يكون : تولون نحوه وإليه ، كما يقول القائل : « وَلَيْتَهُ وَجْهِي وَلَيْتَهُ إِلَهِي » ، ^(٣) بمعنى قابله وواجهته . وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية ، لإجماع الحجة على أن ذلك تأويله ، وشذوذ من تأوله بمعنى : تولون عنه فتستدبرونه ، فالذى تتوجهون إليه وجه الله ، بمعنى قبله الله .

• • •

وأما قوله : « فثمّ » ، فإنه بمعنى : هنالك .

• • •

(١) في المطبوعة : « أو معناها في حال دون حال » ، وهو فاسد . ويراده أن الآية جاء عامة ، وتحتمل أحد معنيين : إما في حال دون حال - وإما في كل حال ، كما فصل بعد .

(٢) في المطبوعة : « لظاهره » ، وانظر ما سلف في معنى « الظاهر والباطن » ١٥ : ٢ والمراجع

(٣) في المطبوعة : « وليت وجهي » ، والصواب ما أثبت .

واختلف في تأويل قوله : « فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ » .^(١) فقال بعضهم : تأويل ذلك :
 ثم قبله الله ، يعنى بذلك وَجْهَهُ الذى وَجَّهَهُم إليه . ذكر من قال ذلك :
 ١٨٤٨ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن النضر بن عري ،
 عن مجاهد : « فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ » ، قال : قبله الله .
 ١٨٤٩ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن
 ابن جريج قال ، أخبرني إبراهيم ، عن مجاهد قال : حينما كنتم فلکم قبله
 تستقبلونها .

وقال آخرون : معنى قول الله عز وجل : « فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ » ، ثم الله تبارك وتعالى .

وقال آخرون : معنى قوله : « فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ » ، ثم تدركون بالتوجه إليه رضا
 الله الذى له الوجه الكريم .

وقال آخرون : عني : « الوجه » ذا الوجه . وقال قائلو هذه المقالة : وجه الله
 صفة له .

فإن قال قائل : وما هذه الآية من التي قبلها ؟

قيل : هي لها مواصلة . وإنما معنى ذلك : ومن أظلم من النصارى الذين
 منعوا عباد الله مساجده أن يذكر فيها اسمه ، وسعوا في خرابها ، والله المشرق
 والمغرب ، فأبينا توجهوا وجوهكم فاذكروه ، فإن وجهه هنالك ، يسمعكم فضله
 وأرضه وبلاده ، ويعلم ما تعملون ، ولا يمنعكم تخريب من خرب مسجداً بيت
 المقدس ، ومنعهم من آمنوا من ذكر الله فيه - أن تذكروا الله حيث كنتم من
 أرض الله ، تبتغون به وجهه .

(١) في المطبوعة : « ثم ، فقال بعضهم » ، والصواب إثبات « وجه الله » .

القول في تأويل قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ وَسِعُ عِلْمُهُ﴾ (١١٥)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « واسع » ، يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال والجود والتدبير .

وأما قوله : « عليم » فإنه يعنى : أنه عليم بأفعالهم ، لا يغيب عنه منها شئ ولا يعزب عن علمه ، بل هو بجميعها عليم .
* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وقالوا اتخذ الله ولداً » ، الذين آمنوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه . و « قالوا » : معطوف على قوله : « وسعى في خرابها »

وتأويل الآية : ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ، وقالوا اتخذ الله ولداً ، وهم النصارى الذين زعموا أن عيسى ابن الله ، فقال الله جل ثناؤه — مكذباً قيلهم ما قالوا من ذلك ، ومستنفياً مما تحلوه وأضافوا إليه بكذبهم وفريتهم ^(١) — : « سبحانه » ، يعنى بها : تنزيهاً ، وتبرئاً من أن يكون له ولد ، وعلواً وارتفاعاً عن ذلك . وقد دللنا فيما مضى على معنى قول القائل : « سبحانه الله » ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ^(٢) .

ثم أخبر جل ثناؤه أن له ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً . ومعنى ذلك :

(١) في المطبوعة : « ومنغياً ما نحلوه » . وانتهى من الشئ : تبرأ منه . ونحلته الشئ : نسبته إليه . والفريّة : الكذب المختلق .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٤٧٤ ، ٤٩٥ .

وكيف يكون المسيحُ لله ولدًا ، وهو لا يخلو : إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْأَمَاكِنِ ،
إِمَّا فِي السَّمَوَاتِ ، وَإِمَّا فِي الْأَرْضِ ، وَلِلَّهِ مَلِكٌ مَا فِيهَا . وَلَوْ كَانَ الْمَسِيحُ ابْنًا كَمَا
زَعَمْتُمْ ، لَمْ يَكُنْ كَسَائِرِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ خَلْقِهِ وَعِيِيدِهِ ، فِي ظُهُورِ
آيَاتِ الصَّنْعَةِ فِيهِ .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾ (١١٦)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك . فقال بعضهم : معنى
ذلك : « مطيعون » ذكر من قال ذلك :

١٨٥٠ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ،
عن قتادة في قوله : « كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ » ، مطيعون .

١٨٥١ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ،
عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ » ، قال :
« مطيعون » قال : طاعة الكافر في « مجبود ظله » .

١٨٥٢ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن
ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بمثل - إلا أنه زاد : بسجود ظله وهو كارهٌ .

١٨٥٣ - حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن
السدي : « كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ » ، يقول : كل له مطيعون يوم القيامة .

١٨٥٤ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثني يحيى بن سعيد ، عن
ذكرة ، عن عكرمة : « كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ » ، قال : الطاعة .

١٨٥٥ - حدثت عن المنجاب بن الحارث قال ، حدثنا بشر بن عمار ،
عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « قَانِتُونَ » ، مطيعون .

• • •

وقال آخرون : معنى ذلك : كل له مقرُّون بالعبودية . ذكر من قال ذلك :

١٨٥٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين

ابن واقد ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة : « كل له قانتون » ، كل مقرُّ له بالعبودية .

* * *

وقال آخرون بما : —

١٨٥٧ — حدثني به المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ،

عن أبيه ، عن الربيع قوله : « كل له قانتون » ، قال : كل له قائمٌ يوم القيامة .

* * *

وإِـ « القنوت » فى كلام العرب معانٍ . أحدها : الطاعة ، والآخر : القيام ،

والثالث : الكف عن الكلام والإمساك عنه .

* * *

وأولى معانى « القنوت » فى قوله : « كلُّ له قانتون » ، الطاعة والإقرارُ لله عز وجل

بالعبودية ، بشهادة أجسامهم ، بما فيها من آثار الصنعة والدلالة على وحدانية الله

عز وجل ، وأن الله تعالى ذكره بارئها وخالقها . وذلك أن الله جل ثناؤه أكذب

الذين زعموا أن الله ولدًا بقوله : « بل له ما فى السموات والأرض » مِلِكًا وخلقًا .

ثم أخبر عن جميع ما فى السموات والأرض أنها مُقَرَّرة بدلاتها على ربِّها وخالقها ،

وأن الله تعالى بارئها وصانعها . وإن جحد ذلك بعضهم ، فالسنتهم مُدْعِنَةٌ له

بالطاعة ، بشهادتها له بآثار الصنعة التى فيها بذلك ، وأن المسيح أحدُهم ، فأنتى ٤٠٤/١

يكون لله ولدًا وهذه صفته ؟

* * *

وقد زعم بعض من قصرت معرفته عن توجيه الكلام وجنَّهته ، أن قوله : « كلُّ

له قانتون » ، خاصةٌ لأهل الطاعة وليست بعامَّة . وغير جائز ادعاءُ خصوص فى آيةٍ

عامَّةٍ ظاهرُها ، إلا بحجة يجب التسليم لها ، لما قد بيَّنا فى كتابنا ﴿ كتاب البيان

عن أصول الأحكام ﴾ .

* * *

وهذا خبر من الله جل وعزَّ عن أن المسيح — الذى زعمت النصارى أنه ابن الله —

مكذبٌ بهم هو والسموات والأرض وما فيها، إماً باللسان، وإماً بالدلالة . وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر عن جميعهم ، بطاعتهم لإياه ، وإقرارهم له بالعبودية ، عقيب قوله : « وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا » ، فدلَّ ذلك على صحة ما قلنا .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » ، مُبْدِئُهَا .

وإنما هو « مُفْعِلٌ » صرف إلى « فَعِيلٍ » كما صرف « المُولَمُ » إلى « أَلِيمٍ » و « المَسْمَعُ » إلى « سَمِيعٍ » . ^(١) ومعنى « المُبْدِعُ » : المنشئ والمحدث ما لم يسبقه إلى إنشاء مثله وإحداثه أحدٌ . ولذلك سمي المبتدع في الدين « مبتدعاً » ، لإحداثه فيه ما لم يسبقه إليه غيره . وكذلك كل محدث فعلاً أو قولاً لم يتقدمه فيه متقدم ، فإن العرب تسميه « مبتدعاً » ، ومن ذلك قول الأعشى أعشى بنى ثعلبة ، ^(٢) في مدح هوذة بن علي الحنفي :

يُرْنِي إِلَى قَوْلِ سَادَاتِ الرِّجَالِ إِذَا أَبْدَوْا لَهُ الْحَزْمَ ، أَوْ مَا شَاءَ أُبْتَدِعَا ^(٣)

أى يحدث ما شاء ، ومنه قول رؤبة بن العجاج :

فَأَيُّهَا النَّاشِئُ الْقَذَافَ الْأَتِيمَا إِنْ كُنْتَ اللَّهُ التَّقَى الْأَطْوَعَا

فَلَيْسَ وَجْهُ الْحَقِّ أَنْ تَبْدَعَا ^(٤)

يعنى : أن تحدث في الدين ما لم يكن فيه .

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٥١ ، وهذا الجزء ٢ : ١٤٠ ، ٣٧٧ ، ٥٠٦ .

(٢) في المطبوعة : « الأعشى بن ثعلبة » ، وهو خطأ محض .

(٣) سلف تخريجه في هذا الجزء ٢ : ٤٦٤ .

(٤) ديوانه : ٨٧ ، واللسان (بدع) من رجز طويل يفخر فيه برهله بنى تميم . ورواية الديوان

« القذاف الأتيما » ، وليس لها معنى يدرك ، ورواية الطبري لها مخرج في العربية . « الناشئ » من قولم : غشى الشيء : أى قصده وباشره أو نزل به . والقذاف : سرعة السير والإبعاد فيه ، أو كأنه أراد الناحية

* * *

فعنى الكلام : سبحانه الله أننى يكون له ولد وهو مالك ما فى السموات والأرض ،
تشهد له جميعاً بدالاتها عليه بالوحدانية ، وتقرُّ له بالطاعة ، وهو بارئها وخالقها
وموجدتها من غير أصل ولا مثال احتذاها عليه ؟

* * *

وهذا إعلام من الله جل ثناؤه عباده أن ما يشهد له بذلك : المسيح ،
الذى أضافوا إلى الله جل ثناؤه بُنُوته ؛ وإخبارٌ منه لهم أن الذى ابتدع السموات
والأرض من غير أصل وعلى غير مثال ، هو الذى ابتدع المسيح من غير والد بقدرته .^(١)
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل * ذكر من قال ذلك :

١٨٥٨ - حدثنا الثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ،
عن أبيه ، عن الربيع : « بديعُ السموات والأرض » ، يقول : ابتدع خلقها ،
ولم يشركه فى خلقها أحد

١٨٥٩ - حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن
السدى : « بديع السموات والأرض » ، يقول : ابتدعها ، فخلقها ، ولم يُخلَقْ قبلها
شيءٌ فيتمثل به .^(٢)

* * *

البعيدة ، وإن لم أجده فى كتب العربية . والأتيح : لم أجده فى شيء ، ولعله أخذه من قولهم : تتابع القوم
فى الأرض : إذا تباعدوا فيها على عمى وشدة . يقول : يا أيها الذاهب فى المسالك البعيدة عن سنن الطريق -
يعنى به : من ابتدع من الأمور ما لا عهد للناس به ، فسلك فى ابتداعه المسالك الغريبة .

(١) نقل ابن كثير فى تفسيره ١ : ٢٩٤ ، عبارة الطبرى ثم قال : « وهذا من ابن جرير رحمه
الله كلام جيد ، وعبارة صحيحة » ، فاستحسن ابن كثير ما خف محله ، ولكن ما ثقل عليه آنفاً (انظر
ص : ٥٢٢ تعليق : ١) كان مثاراً لاعتراضه ، مع أنه أعل وأجود وأدق وألطف ، وأصح عبارة ،
وأعمق غوراً . وهذا عجب من العجب فيما ناله ابن جرير من قلة معرفة الناس بسلامة فهمه ، ولطف إدراكه .
(٢) الأثر : ١٨٥٩ - كان فى المطبعة : « ولم يخلق مثلها شيئاً فتتمثل به » ، وهو كلام
فاسد . والصواب فى الدر المنثور ١ : ١١٠ .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١١٧)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا » ، وإذا أحكم أمراً وحشمه . (١)

• • •

وأصل كل « قضاء أمر » : الإحكام ، والفراغُ منه . (٢) ومن ذلك قيل للحاكم بين الناس : « القاضي » بينهم ، لفصله القضاء بين الخصوم ، وقطعه الحكم بينهم ، وفراغه منه به . (٣) ومنه قيل للميت : « قد قضى » ، يراد به : قد فرغ من الدنيا وفصل منها . ومنه قيل : « ما ينقضى عجبى من فلان » ، يراد : ما ينقطع . ومنه قيل : « تقضى النهار » ، إذا انصرم ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [سورة الإسراء : ٢٣] ، أى : فصل الحكم فيه بين عباده ، بأمره إيتاهم بذلك ، وكذلك قوله : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾ [سورة الإسراء : ٤١] ، أى أعلمناهم بذلك وأخبرناهم به ، ففرغنا إليهم منه . ومنه قول أبي ذؤيب :

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ ، قَضَاهُمَا دَاوُدُ أَوْصَعَ السَّوَابِغِ نُبْعُ (٤)

(١) حتم الأمر : قضاء قضاء لازماً .

(٢) كان في المطبوعة : « قضاء الإحكام » ، والصواب ما أثبت .

(٣) في المطبوعة « فراغه » وزيادة « منه » واجبة .

(٤) ديوانه : ١٩ ، والمفضليات : ٨٨١ وتأويل مشكل القرآن : ٣٤٢ ، وسيأتي في تفسير

الطبرى ١١ : ٦٥ ، ٢٢ : ٤٧ (بولاق) ، من قصيدته التي فاقت كل شعر ، يرى أولاده حين ماتوا بالطاعون . والتفسير في قوله : « وعليهما » إلى بطلين وصفهما في شعره قبل ، كل قد أعد عدته :

فَتَنَادَا فَمَتَوَاقَفَتْ خَيْلَاهُمَا وَكَلَامُهُمَا بَطَلُ اللَّقَاءِ مُخَدَّعُ
مُتَحَامِيَيْنِ الْمَجْدِ ، كُلُّ وَائِقٍ يَبْلَاغُهُ ، وَالْيَوْمُ يَوْمٌ أَشْنَعُ

ويروى :

* وَتَعَاوَرَا مَسْرُودَتَيْنِ قَضَاهُمَا ^(١) .

ويعنى بقوله : « قضاهما » ، أحكمهما . ومنه قول الآخر فى مدح عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ^(٢)

قَضَيْتَ أُمُورًا مُّمٍّ غَادَرْتَ بَعْدَهَا بَوَائِقَ فِي أَكْثَامِهَا لَمْ تَفْتَقِ ^(٣)
ويروى : « بوائج » . ^(٤)

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ

« مسرودتان » ، يعنى درعين ، من السرد ، وهو الخرز أو النسيج ، قد نسجت حلقتهما نسجاً محكماً . وداد : هو نبى الله صلى الله عليه وسلم . وتبع : اسم لكل ملك من ملوك حمير (انظر ما سلف ٢ : ٢٣٧) . قال ابن الأنبارى : « سمع بأن الحديد نخر لداود عليه السلام ، وسمع بالدروع التبعية ، فظن أن تبعاً عملها . وكان تبع أعظم من أن يصنع شيئاً بيده ، وإنما صنعت فى عهده وفى ملكه » . والصنع : الحاذق بعمله ، والمرأة : صناع . ويروى : « وعليهما ماذيتين » ، يعنى درعين . والماذية : الدرع الخالصة الحديد ، اللينة السهلة .

(١) « تعاورا » ، يعنى - كما قالوا : تعاورا بالطنن ، مسرودتين . من قرطم : تعاورنا فلاناً بالضرب : إذا ضربته أنت ثم صاحبك . ورأى أنها رواية مرفوضة ، لا تساق الشعر فإنه يقول بعده :

وَكَلَاهُمَا فِي كَفِّهِ بَرَزَتِيَّةٌ فِيهَا سِنَانٌ ، كَالْمَنَارَةِ أَضْلَعُ
وَكَلَاهُمَا مُتَوَشَّحٌ ذَارُونَنِي عَضْبًا ، إِذَا مَسَّ الصَّرِيَّةَ يَقْطَعُ
فَتَحَالَسَا نَفْسَيْهِمَا بِنَوَافِذِ كَنُوفِذِ الْمُبْطِ آتِي لَا تُرْفَعُ

فهو يصف ، ثم يخبر أنهما قد تضاربا ضرباً مهلكاً ، ولا معنى لتقديم الطنن ثم العود إلى صفة السلاح ، إلا على بعد واستكراه .

(٢) هو جزء بن ضرار ، آخر الشماخ بن ضرار . وقد اختلف فى نسبها . نسبت للشماخ ، ولغيره ، حتى نسبوها إلى الجن (انظر طبقات فحول الشعراء : ١١١ ، وحاسة إلى تمام ٣ : ٦٥ ، وابن سعد ٣ : ٢٤١ ، والأغانى ٩ : ١٥٩ ، ونهج البلاغة ٣ : ١٤٧ ، والبيان والتبيين ٣ : ٣٦٤ ، وتأويل مشكل القرآن : ٣٤٣ ، وغيرها كثير) . هذا والصواب أن يقول : « فى رثاء عمر بن الخطاب » .

(٣) البوائق جمع بائقة : وهى الداهية المنكرة التى فتحت ثغرة لا تسد . والأكام جمع كم (بضم الكاف وكسرها) . وهو غلاف الثمرة قبل أن ينشق عنه . وقوله : « لم تفتق » ، أصلها : تفتقت ، حذف إحدى التامين . وتفتق الكم عن زهرته : انشق وانفطر . ورحم الله عمر من إمام جمع أمور الناس حياته ، حتى إذا قضى انتشرت أموره !

(٤) بوائج جمع بانجة : وهى الداهية التى تفتت افتتاقاً منكراً فتمت الناس ، وتتابع عليهم شروها . من قرطم : باج البرق وأنباج وتبوج : إذا لمع وتكشف وعم السحاب ، وانتشر ضروؤه .

* * *

وأما قوله : « فلإنما يقول له كن فيكون » ، فإنه يعنى بذلك : وإذا أحكم أمراً فحتمه ، فلإنما يقول لذلك الأمر : « كن » ، فيكون ذلك الأمر على ما أمره الله أن يكون ، وأراد .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : وما معنى قوله : « وإذا قضى أمراً فلإنما يقول له كن فيكون » ؟ وفي أى حال يقول للأمر الذى يقضيه : « كن » ؟ أى فى حال عدمه — وتلك حال لا يجوز فيها أمره ، ^(١) إذ كان محالاً أن يأمر إلا المأمور ، فلإذا لم يكن المأمور استحال الأمر ، وكما محال الأمر من غير أمر ، فكذلك محال الأمر من أمر إلا للمأمور — ^(٢) أم يقول له ذلك فى حال وجوده ؟ = وتلك حال لا يجوز أمره فيها بالحدوث ، لأنه حادث موجود . ولا يقال للموجود : « كن موجوداً » ، إلا بغير معنى الأمر بحدوث عينه ؟

قيل : قد تنازع المتأولون فى معنى ذلك . ونحن نخبرون بما قالوا فيه ، والعلل التى اعتل بها كل فريق منهم لقوله فى ذلك : ^(٣)

* * *

قال بعضهم : ذلك خبر من الله جل ثناؤه عن أمره المحتوم — على وجه القضاء لمن قضى عليه قضاء من خلقه الموجودين — أنه إذا أمره بأمر نفذ فيه

(١) فى المطبوعة : « وتلك حال لا يجوز أمره » ، بإسقاط « فيها » ، وهى واجبة ، واستظهرتها من السياق ومن الشطر الآتى من السؤال .

(٢) فى المطبوعة : « كما محال الأمر » ، بإسقاط الواو ، وهى واجب إثباتها . ويعنى بقوله : « المأمور » ، أى الموجود المأمور .

(٣) أحب أن أنه قارىء هذا التفسير ، أن يلقى باله إلى سياق الطبرى أقوال القائلين ، وكيف يخلص هو المعانى بعضها من بعض ، وكيف يصيب الحجة بمقل ولطف إدراك ، ومحة بيان عن معانى الكلام ، ومن تأويل آيات كتاب ربنا سبحانه وتعالى ثم لينظر بعد ذلك أقوال المفسرين ، وكيف تجنبوا الإيغال فيما توغل هو فيه ، ثقة بمون الله له ، ثم اتباعاً لأهدى السبل فى طلب المقاصد .

قضاؤه ، ومضى فيه أمره . نظيرُ أمره مَنْ أمر من بني إسرائيل بأن يكونوا قيردة خاسئين ، وهم موجودون في حال أمره لآياهم بذلك ، وحتم قضاؤه عليهم بما قضى فيهم . وكالذي تحسف به وبداره الأرض ، وما أشبه ذلك من أمره وقضائه - فيمن كان موجوداً من خلقه ، في حال أمره المحتوم عليه .

فوجه قائلو هذا القول قوله : « وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون » ،

إلى الخصوص دون العموم

* * *

وقال آخرون : بل الآية عامٌ ظاهرها ، فليس لأحد أن يُحيلها إلى باطن بغير حجة يجب التسليم لها .^(١) وقال : إن الله عالم بكل ما هو كائن قبل كونه . فلما كان ذلك كذلك ، كانت الأشياء التي لم تكن - وهي كائنة ، لعلمه بها قبل كونها - نظائر التي هي موجودة ، فجاز أن يقول لها : « كوني » ، ويأمرها بالخروج من حال العدم إلى حال الوجود ، لتصور جميعها له ، ولعلمه بها في حال العدم .

* * *

وقال آخرون : بل الآية ، وإن كان ظاهرها ظاهر عموم ، فتأويلها الخصوص . لأن الأمر غير جائز إلا للأمور ، على ما وصفت قبل . قالوا : وإذا كان ذلك كذلك ، فالآية تأويلها : وإذا قضى أمراً : من إحياء ميت ، أو إماتة حي ، ونحو ذلك ، فلما يقول الحي : « كن ميتاً ، أو لميت : كن حياً » ، وما أشبه ذلك من الأمر .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك من الله عز وجل خبرٌ عن جميع ما ينشئه ويكوّنه ، أنه إذا قضاه وخلقه وأنشأه ، كان ووجد - ولا قول هنالك عند قائل هذه المقالة ، إلا وجود المخلوق وحدث المقضى - . وقالوا : إنما قول الله عز وجل : « وإذا

(١) انظر معنى : « الظاهر ، والباطن » فيما سلف : ٢ : ١٥ والمراجع .

قضى أمراً فإتما يقول له كن فيكون ، نظير قول القائل : « قال فلان برأسه » ،
و « قال بيده » ، إذا حرك رأسه ، أو أوما بيده ، ولم يقل شيئاً ، وكما قال أبو النجم :

وَقَالَتِ الْإِنْسَانُ لِلْبَطْنِ الْحَقُّ قَدِمًا ، فَأَصَتْ كَالْفَنِيكِ الْمُخْنِقِ^(١)

ولا قول هنالك ، وإنما عني أن الظهر قد لحق بالبطن ، وكما قال عمرو
ابن حمزة الدؤسي :^(٢)

فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ النَّسْرِ طَارَتْ فِرَاحُهُ إِذَا رَامَ تَغْلِيَارًا يُقَالُ لَهُ : قَمَرٌ^(٣)

ولا قول هناك ، وإنما معناه : إذا رام طياراً وقع ، وكما قال الآخر :

أُمْتَلَأَ الْحَوْضُ وَقَالَ : قَطْنِي ! سَلًا رُوَيْدًا ، قَدْ مَلَأْتُ بَطْنِي^(٤) !

• • •

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب في قوله : « وإذا قضى أمراً فإنما يقول

(١) لم أجده الرجز كاملاً ، والبيتان في اللسان (حنق) . يصف فاقة أنفاسها السير . والأنساع
جمع نسع (بكسر فسكون) ، وهو سير يضفر عريضاً تشد به الرجال . ولحق البطن يلحق لحوقاً : ضم .
أى قالت سيور التصدير لبطن الناقة : كن ضامراً . يعنى بذلك ما أضناها من السير . وقدماً : أى منذ
القدم ، قال بشامة بن الغدير .

لَا تَغْلِبُونَا ، وَلَا تَنْسُوا قَرَابَتَنَا إِطُوا إِلَيْنَا ، قَدِمًا تَغْلِفُ الرَّحِمُ

ويعنى أبو النجم : أن الضمور قد طال بها ، فإن الأنساع قالت ذلك منذ زمن بعيد . وآمن : صار
ورجع . والفنيق الجمل الفحل المودع للفحلة ، لا يركب ولا يهان لكرامته عليهم ، فهو ضخم شديد
التركيب . والمحنق : الضامر القليل اللحم . والإحناق : لزوق البطن بالصلب .

(٢) يقال له أيضاً : كعب بن حمة ، وهو أحد المعمرين ، زعموا عاش أربعمئة سنة غير
عشر سنين . وهو أحد حكام العرب ، ويقال إنه هو « ذو الحلم » الذي قرحت له العصا ، ففرب به المثل .
(٣) كتاب المعمرين : ٢٢ ، وحامدة البحرى : ٢٠٥ ، ومعجم الشعراء : ٢٠٩ ، وهى أبيات .

(٤) أمالي ابن الشجرى : ١ ، ٣١٣ ، ٢ : ١٤٠ ، واللسان (قطط) . وفي المطبوعة : « سيل » ،
والصواب في اللسان وأمالي ابن الشجرى ، والرواية المشهورة « مهلا رويداً » . وقطى : حبس وكفانى ،
وللتحاة كلام كثير في « قطى » . وقوله « سلا » : كأنه من قرطم : انسل السيل : وذلك أول ما يتبدى
حين يسيل ، قبل أن يشتد . كأنه يقول : صباً رويداً .

له كن^١ فيكون^٢ أن يقال : هو عام^٣ في كل ما قضاه الله وبرآه . لأن ظاهر ذلك ظاهرٌ عموم ، وغير جائزة إحالة الظاهر إلى الباطن من التأويل ، بغير برهان ، لما قد بينا في كتابنا ﴿ كتاب البيان عن أصول الأحكام ﴾ . وإذا كان ذلك كذلك ، فأمر الله جل وعز لشيء إذا أراد تكوينه موجوداً بقوله : « كن » في حال إرادته إياه مكوّناً ، لا يتقدم وجود الذي أراد إجماده وتكوينه ، ^(١) إرادته إياه ولا أمره بالكون والوجود — ولا يتأخر عنه . ^(٢) فغير جائز أن يكون الشيء مأموراً بالوجود مُراداً كذلك ، إلا وهو موجود ، ولا أن يكون موجوداً ، إلا وهو مأمور بالوجود مراداً كذلك .

ونظير قوله : « وإذا قضى أمراً فلأنما يقول له كن^١ فيكون^٢ » قوله : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [سورة الروم : ٢٥] ، فإن خروج القوم من قبورهم ، لا يتقدم دُعاء الله ولا يتأخر عنه .

• • •

ويسأل من زعم أن قوله : « وإذا قضى أمراً فلأنما يقول له كن^١ فيكون^٢ » ، خاص^٣ في التأويل ، اعتلالاً بأن أمر غير الموجود غير جائز — ^(٣) عن دعوة أهل القبور ، قبل خروجهم من قبورهم ، أم بعده ، أم هي في خاص من الخلق ؟ فلن يقول في ذلك قولاً إلا ألزم في الآخر مثله .

ويسأل الذين زعموا أن معنى قوله جل ثناؤه : « فلأنما يقول له كن فيكون » ، نظير قول القائل : « قال فلان برأسه أو بيده » ، إذا حرّكه وأومأ ، ونظير قول الشاعر : ^(٤)

(١) في المطبعة : « وجوده » الذي أراد إجماده « وزيادة الماء في وجوده » لا مكان لها .

(٢) يقول : إن وجود الشيء ، لا يتقدم لإرادة الله وأمره ، ولا يتأخر عنهما .

(٣) يقول : « يسأل من زعم . . . عن دعوة أهل القبور » .

(٤) هو المثقب العبدى .

تَقُولُ إِذَا دَرَأْتَ لَهَا وَضِيئِي : أَهَذَا دِيْنُهُ أَبَدًا وَدِيْنِي ^(١) !

وما أشبه ذلك - : فإنهم لا صوابَ اللغة أصابوا ، ولا كتابَ الله وما دكت على صحته الأدلة اتبعوا - فيقال لقائل ذلك : إن الله تعالى ذكره أخبر عن نفسه أنه إذا قضى أمراً قال له : « كن » ، أفتنكرون أن يكون قائلًا ذلك ؟ فإن أنكروه كذبوا بالقرآن وخرجوا من الملة .

وإن قالوا : بل نقرُّ به ، ولكننا نزعم أن ذلك نظيرُ قول القائل : « قال الحائط فمال » ، ولا قول هنالك ، وإنما ذلك خبرٌ عن ميل الحائط .

قيل لهم : أفتجيزون للمخبر عن الحائط بالميل أن يقول : إنما قول الحائط إذا أراد أن يميل ، أن يقول هكذا فيميل ؟

فإن أجازوا ذلك خرجوا من معروف كلام العرب ، وخالفوا منطقها وما يعرف في لسانها .

وإن قالوا : ذلك غير جائز .

قيل لهم : إن الله تعالى ذكره أخبرهم عن نفسه أن قوله للشيء إذا أراد أن يقول له : « كن فيكون » . فأعلم عباده قوله الذي يكون به الشيء ، ووصفه ووكدّه . وذلك عندكم غير جائز في العبارة عما لا كلام له ولا بيان في مثل قول القائل : « قال الحائط فمال » ، فكيف لم يعلموا بذلك فرّق ما بين معنى قول الله : « وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون » ، وقول القائل : « قال الحائط فمال » ؟

(١) الفضليات : ٥٨٦ ، والكمال : ١ : ١٩٣ وطبقات فحول الشعراء : ٢٣١ ، وسيأتي في تفسيره ٤ : ١١٢ (بولاق) من قصيدة جيدة ، يقول قبله في ناقته :

إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بَلِيلٍ نَأْوَهُ آهَةَ الرُّجُلِ الْحَزِينِ

ودراً الوضين لناقته : بسطه على الأرض ، ثم أبركها عليه ليشد عليها رحلها . والوضين : حزام حريض من جلده منسوج يشد به رحل البعير . والدّاب : العادة .

ولبيان عن فساد هذه المقالة موضع غير هذا ، نأتى فيه على القول بما فيه الكفاية
إن شاء الله .

• • •

وإذ كان الأمر فى قوله جل ثناؤه : « وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَمَاذَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ » ، هو ما وصفنا ، من أن حال أمره الشيء بالوجود حال وجود المأمور بالوجود ، فبيّن بذلك أن الذى هو أولى بقوله « فَيَكُونُ » ^(١) ، الرفع على العطف على قوله ^(٢) : « يَقُولُ » . لأن « القول » و « الكون » حالهما واحد . وهو نظير قول القائل : « تاب فلان فاهتدى » و « اهتدى فلان فتاب » ، لأنه لا يكون تاباً إلا وهو مهتدٍ ، ولا مهتدياً إلا وهو تائب . فكذلك لا يكون أن يكون الله أمراً شيئاً بالوجود إلا وهو موجود ، ولا موجوداً إلا وهو أمره بالوجود .

ولذلك استجاز من استجاز نصب « فَيَكُونُ » مَنْ قَرَأَ ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة النحل : ٤٠] ، بالمعنى الذى وصفنا ، على معنى : أن نقول فَيَكُونُ .

وأما رفع من رفع ذلك ، ^(٣) فإنه رأى أن الخبر قد تمّ عند قوله : « إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ » . إذ كان معلوماً أن الله إذا حتم قضاءه على شيء ، كان المحتوم عليه موجوداً . ثم ابتدأ بقوله : « فَيَكُونُ » ، كما قال جل ثناؤه ﴿ لَنَبَيِّنَنَّ لَكُمْ وَنُفِّرَنَّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ﴾ [سورة الحج : ٥] ، وكما قال ابن أحرر :

يُصَالِحُ عَاقِرًا أَعْيَتْ عَلَيْهِ لِيُلْقِيَهَا فَيَنْتَجِبُهَا حُورًا ^(٤)

(١) فى المطبوعة : « فَيَكُونُ » ، والصواب ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « فَيَكُونُ على العطف » سقط من النسخ قوله : « الرفع » .

(٣) وهذه هى قراءة مصحفنا اليوم .

(٤) المعانى الكبير : ٨٤٦ ، ١١٣٤ ، وسيبويه ١ : ٤٣١ ، من أبيات يذكر صديقاً

كان له ، يقول :

أَرَأَنَا لَا يَزَالُ لَنَا حَمِيمٌ كَدَاءِ الْبَطْنِ سِلَاحًا أَوْ صُفَارًا

يريد : فلماذا هو يَتَجَبَّهْ حُورًا .

• • •

فعني الآية إذا : وقالوا اتخذ الله ولداً ، سبحانه أن يكون له ولد ، بل هو مالك السموات والأرض وما فيهما ، كل ذلك مقرر له بالعبودية بدلالته على وحدانيته . وأننى يكون له ولد ! وهو الذى ابتدع السموات والأرض من غير أصل ، كالذى ابتدع المسيح من غير والد بمقدرته وسلطانه ، الذى لا يتعذر عليه به شيء أرادته ، بل إنما يقول له إذا قضاه فأراد تكوينه : « كن » ، فيكون موجوداً كما أرادته وشاءه . فكذا كان ابتداعه المسيح وإنشأؤه ، إذ أراد خلقه من غير والد .

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فىمن غنى الله بقوله : « وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله » . فقال بعضهم : غنى بذلك النصارى . ذكر من قال ذلك :

١٨٦٠ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

يُكَلِّمُ عَاقِرًا أَعْيَتْ عَلَيْهِ لِيُلقِحَهَا ، فَيَتَجَبَّهْ حُورًا
وَيَزْعُمُ أَنَّهُ نَازٍ عَلَيْنَا بِشِرَّتِهِ فَتَارِكُنَا تَبَارًا

جعل هذا الصديق كداء البطن لا يدرى من أين يهيج ولا كيف يتأق له . وهو يعالج من الشر ما لا يقدر عليه ، فكأنه يطلب الولد من عاقر . جعل ذلك مثلاً . والحوار : ولد البقرة . والشرة : حدة الشر ، والشيبار : الهلاك .

عيسى ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد في قول الله جل وعز : « وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية » ، قال : النصارى تقولُهُ .

١٨٦١ - حدثني المنثي قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد مثله - وزاد فيه : « وقال الذين لا يعلمون » ، النصارى .

* * *

وقال آخرون : بل غنى الله بذلك اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم . ذكر من قال ذلك :

١٨٦٢ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير - وحدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة بن الفضل - قالوا جميعاً ، حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد قال ، حدثني سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رافع بن خريّملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن كنت رسولاً من عند الله كما تقول ، فقل لله عز وجل فليكلّمنا حتى نسمع كلامه ! فأنزل الله عز وجل في ذلك من قوله : « وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية » الآية كلها . (١)

* * *

وقال آخرون : بل غنى بذلك مشركى العرب . ذكر من قال ذلك :

١٨٦٣ - حدثنا بشر بن معاذ : قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية » ، وهم كفار العرب .

١٨٦٤ - حدثني المنثي قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله » ، قال : هم كفار العرب .

١٨٦٥ - حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن

البلدى : « وقال الذين لا يعلمون كولا يكلمنا الله » ، أما « الذين لا يعلمون » ، فهم العرب .

• • •

وأولى هذه الأقوال بالصحة والصواب قولُ القائل : إن الله تعالى عني بقوله : « وقال الذين لا يعلمون » النصارى . دون غيرهم . لأن ذلك في سياق خبر الله عنهم ، وعن افتراءهم عليه ، وادّعاءهم له ولدًا ، فقال جل ثناؤه مخبراً عنهم فيما أخبر عنهم من ضلالهم : أنهم مع افتراءهم على الله الكذب بقولهم : « اتخذ الله ولدًا » ، تمنّوا على الله الأباطيل ، فقالوا جهلاً منهم بالله . وبمترتهم عنده ، وهم بالله مشركون : « لولا يكلمنا الله » كما يكلم رسله وأنبياءه ، أو تأتينا آية كما أتتهم ؟ ولا ينبغي لله أن يكلم إلا أوليائه ، ولا يؤتى آية معجزة على دعوى مدّعٍ إلا لمن كان محققاً في دعواه وداعياً إلى الله وتوحيده ، فأما من كان كاذباً في دعواه وداعياً إلى الفرية عليه ، وادعاء البنين والبنات له ، فغير جائز أن يكلمه الله جل ثناؤه ، أو يؤتیه آية معجزة تكون مؤيدة كذبه وفريته عليه .

وأما الزاعم أن الله عني بقوله ^(١) : « وقال الذين لا يعلمون » ، العرب ، فإنه قائلٌ قولاً لا خبرٌ بصحته ، ولا برهان على حقيقته في ظاهر الكتاب . والقول إذا صار إلى ذلك ، كان واضحاً خطؤه ، لأنه ادّعى ما لا برهان على صحته . وادعاء مثل ذلك لن يتعنر على أحد .

• • •

وأما معنى قوله : « لولا يكلمنا الله » فإنه بمعنى : هلاً يكلمنا الله ، كما قال الأشهب بن رُمَيْلة ^(٢)

(١) في المطبوعة : « وقال الزاعم . . . » والصواب ما أثبت ، كما استدركه مصحح المطبوعة .

(٢) ليس للأشهب ، بل هو لحرير ، وقد تابعه ابن الشجري في أماليه ٢ : ٢١٠ ، كأنه نقله عنه كما دته .

تَمُدُّونَ عُقْرَ النَّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَنِي ضَوَّطَرَى، لَوْلَا الْكَيْيُ الْمُقْتَنَّا! (١)

بمعنى : فهلاً تعلمون الكي المقنع ! كما :

١٨٦٦ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

معمر ، عن قتادة في قوله : « لولا يكلّمنا الله » ، قال : فهلاً يكلّمنا الله !

• • •

قال أبو جعفر : فأما « الآية » ، فقد ثبت فيها قبل معنى « الآية » ، أنها العلامة . (٢)

ولأنما أخبر الله عنهم أنهم قالوا : هلا تأتينا آية على ما نريد ونسأل (٣) ، كما

(١) ديوان جرير : ٣٣٨ ، النقاظ : ٨٣٣ ، وسيأتي في التفسير ٧ : ١١٩ (بولاق) غير منسوب ، وبجاء القرآن : ٥٢ ، وأمال ابن السجري : ١ : ٢٧٩ ، ٢/٣٣٤ ، ٢١٠ : ١ ، والخزانة : ١ : ٤٦١ . وراية الديوان والنقاظ : « أفضل سميك » . والبيت من قصيدة طويلة في مناقضة جرير والفرزدق . وقوله : « عقر النيب » . عقر الناقة أو الفرس : ضرب قوائمها فقطعها ، وكانوا إذا أرادوا نحر البعير عقروه ، ثم نحروه ، وإنما يفعلون به ذلك كيلا يشرد عند النحر . وكان العرب يتكاثرون بالمعاقرة . وهى أن يعقر هذا ناقة ، فيعقر الآخر ، يتباريان في الجود والسخاء ، ويلحان في ذلك حتى يغلب أحدهما صاحبه . والنيب جمع ناب : وهى الناقة المستنة ، أسموها بذلك لطول نابها . ويشير جرير بذلك إلى ما كان يفخر به الفرزدق من معاقرة أبيه غالب بن صمصمة ، يحيم بن وثيل الرياحى يمكن يقال له « صوار » ، فعقر يحيم خساً ثم بدا له ، وعقر غالب مته ، أو مثنين . وهذا أمر من أمور الجاهلية ، قال ابن عباس : « لا تأكلوا من تماقر الأعراب » ، فإني لا آمن أن يكون مما أهل لغير الله به » ، وقال على رضى الله عنه : « يا أيها الناس ، لا تحل لكم ، فإنها أهل بها لغير الله » . (انظر خبر المعاقرة في النقاظ : ٦٢٥ - ٦٢٦) .

وقوله : « بنى ضوطرى » ، ، يعنى : يا بنى الحق . هكذا قيل ، وأخشى أن لا يكون كذلك ، فإن : « ضوطرى » نيز لرجل من بنى مجاشع بن دارم - لم يعينوه - فقال جرير للفرزدق :

إِنَّ ابْنَ شُعْرَةَ ، وَالْقَرِينَ ، وَضَوَّطَرَى بِئْسَ الْقَوَارِسُ لَيْلَةً الْحَدَثَانِ

فهذا دليل على أنه شخص بعينه ، أرجو أن أحققه في غير هذا المكان . وقد أراد ذمه بأسلافه على كل . والكسى : الشجاع الذى لا يرهب ، فلا يحيد عن قرنه ، كان عليه سلاح أو لم يكن . وقوله : « تعلمون » ، أى تحسبون وتجلسون ، فعلى الفعل « عد » إلى مفعولين ، تضميناً لمعنى « جمل وحسب » ، كما قال ذو الرمة :

أَشْمُ أَغْرَ أَزْهَرُ هَيْرِزَى يَمُدُّ الْقَاصِدِينَ لَهُ عِيَالاً

(٢) انظر ما سلف ١ : ١٠٦ .

(٣) في المطبوعة : « مما نريده ونسأل » ، والصواب ما أثبت .

تت الأنبياء والرسل ! فقال عز وجل : « كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم » .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبِهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فيمن عني الله بقوله : « كذلك قال » من قبلهم مثل قولهم . فقال بعضهم في ذلك بما : -

١٨٦٧ - حدثني به محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم » ، هم اليهود .

١٨٦٨ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « قال الذين من قبلهم » ، اليهود .

• • •

وقال آخرون : هم اليهود والنصارى ، لأن « الذين لا يعلمون » ، هم العرب . (١)
• ذكر من قال ذلك :

١٨٦٩ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة قال : « الذين من قبلهم » ، يعني اليهود والنصارى وغيرهم .

١٨٧٠ - حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن

السدي قال : قالوا : - يعني العرب - كما قالت اليهود والنصارى من قبلهم .

١٨٧١ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ،

(١) في المطبعة : « هم اليهود » ، والصواب ما أثبت ، كما استظهره مصحح المطبعة ، ودليل ذلك أنه سيرى بعد عن قتادة ، وقد مضى في رقم ١٧٦٢ بإسناده هذا عن قتادة : أن « الذين لا يعلمون » ، هم كفار العرب ، والآخر التالي تنمة هذا الآخر السالف

عن أبيه ، عن الربيع : « كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم » ، يعنى اليهود والنصارى .

• • •

قال أبو جعفر : قد دللنا على أن الذين عنى الله تعالى ذكره بقوله : « وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله » ، هم النصارى ، والذين قالوا مثل قولهم هم اليهود ^(١) : سألت موسى صلى الله عليه وسلم أن يرهم ربهم جهرة ، ^(٢) وأن يسمعهم كلام ربهم — كما قد بينا فيما مضى من كتابنا هذا — ^(٣) وسألوا من الآيات ما ليس لهم مسألته تحكماً منهم على ربهم . وكذلك تمت النصارى على ربها تحكماً منها عليه ، أن يسمعهم كلامه ، ويرهم ما أرادوا من الآيات . فأخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم قالوا من القول فى ذلك ، مثل الذى قالته اليهود ، وتمنت على ربها مثل أمانيتها ، وأن قولهم الذى قالوه من ذلك ، إنما يشابه قول اليهود ، من أجل تشابه قلوبهم فى الضلالة والكفر بالله . فهم وإن اختلفت مذاهبهم فى كذبهم على الله وافترائهم عليه ، فقلوبهم متشابهة فى الكفر بربهم والفرية عليه ، وتحكمهم على أنبياء الله ورسله عليهم السلام . وبنحو ما قلنا فى ذلك قال مجاهد :

١٨٧٢ — حدثني المنفى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « تشابه قلوبهم » ، قلوب النصارى واليهود .

• • •

وقال غيره : ^(٤) معنى ذلك : تشابه قلوب كفار العرب واليهود والنصارى وغيرهم . ذكر من قال ذلك :

١٨٧٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن (١) فى المطبوعة : « والذين قالت » . والتفسير فى قوله « والذين قالوا » إلى النصارى يعود . وانظر دليله فيما سلف قريباً : ٥٥٠ .

(٢) فى المطبوعة : « وسألت موسى » ، وحذف الواو أولى . وكان أحب أن تكون « سألوها » مكان « سألت » .

(٣) انظر ما سلف فى تفسير الآية : ٥٥ ، والأثر : ٩٥٩ .

(٤) فى المطبوعة : « وقال غيره » ، والصواب ما أثبت ، فإنه روى قبل مجاهد وحده .

قتادة : « تشابهت قلوبهم » ، يعنى العرب واليهود والنصارى وغيرهم .

١٨٧٤ - حدثني المنثى ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « تشابهت قلوبهم » ، يعنى العرب واليهود والنصارى وغيرهم .

* * *

قال أبو جعفر : وغير جائز في قوله ، « تشابهت » الثقيل . لأن « التاء » التى فى أولها زائدة ، أدخلت فى قوله : « تفاعل » ، وإن ثقلت صارت تاءين . ولا يجوز إدخال تاءين زائدتين علامة لمعنى واحد . وإنما يجوز ذلك فى الاستقبال ، لاختلاف معنى دخولهما ، لأن إحداها تدخل علماً للاستقبال ، والأخرى منهما التى فى « تفاعل » ، ثم تدغم إحداها فى الأخرى فتثقل ، فيقال : تشابه بعد اليوم قلوبنا^(١) .

* * *

فعنى الآية : وقالت النصارى ، الجاهلُ بالله وبِعظمته : هلاً يكلمنا الله ربنا . كما سَلم أنبياءه ورسله ، أو تجيشنا علامةً من الله نعرف بها صدق ما نحن عليه على ما نسأل ونريد؟ قال الله جل ثناؤه : فكما قال هؤلاء الجاهل من النصارى وتمنّوا على ربهم ، قال مَنْ قبلهم من اليهود ، فسألوا ربهم أن يريهم الله نفسه جهرة ، ويؤتيهم آيةً ، واحتكموا عليه وعلى رُسله ، وتمنّوا الأمانى . فاشتبهت قلوبُ اليهود والنصارى فى تمردهم على الله ، وقلة معرفتهم بعظمته ، وجرأتهم على أنبيائه ورسله ، كما اشتبهت أقوالهم التى قالوها .

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٧٥ ، وصيغة الطبرى هنا تصحح الخطأ الذى هناك .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قَدْ يَبَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (١١٨)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « قَدْ يَبَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ » ، قد بيَّنا العلامات التي من أجلها غضب الله على اليهود ، وجعل منهم القردة والخنازير ، وأعد لهم العذاب المهيّن في معادهم ، والتي من أجلها أخزى الله النصارى في الدنيا ، وأعد لهم الخزي والعذاب الأليم في الآخرة ، والتي من أجلها جعل سكان الجنان ، الذين أسلموا وجوههم لله وهم مُحسنون - في هذه السورة وغيرها . فأُعلِموا الأسباب التي من أجلها استحقَّ كل فريق منهم من الله ما فعل به من ذلك ، وخصَّ الله بذلك القوم الذين يُوقنون ، لأنهم أهل الثبوت في الأمور ، والطالبون معرفة حقائق الأشياء على يقين وصحة . فأخبر الله جل ثناؤه أنه بيَّن لمن كانت هذه الصفةُ صفتَه ما بيَّن من ذلك ، ليزول شكّه ويعلم حقيقة الأمر ، إذ كان ذلك خبراً من الله جل ثناؤه ، وخبرُ الله الخبيرُ الذي لا يُعذر سامعه بالشك فيه . وقد يحتمل غيره من الأخبار ما يحتمل من الأسباب العارضة فيه من السهو والغلط والكذب ، وذلك منيُّ عن خبرِ الله عز وجل .

٤٠٩/١

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا

وَنَذِيرًا ﴾

قال أبو جعفر : ومعنى قوله جل ثناؤه : « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا » : إنا أرسلناك يا محمد بالإسلام الذي لا أقبل من أحد غيره من الأديان ، وهو الحق ، مبشراً من اتبعك فأطاعك ، وقبيل منك ما دعوته إليه من الحق - بالنصر في الدنيا ، والظفر بالثواب في الآخرة ، والنعيم المقيم فيها - ومنذراً من عصاك فخالفك ، وردّ

عليك ما دعوته إليه من الحق — بالخزي في الدنيا ، والذل فيها ، والعذاب المهين في الآخرة .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ (١١٩)

قال أبو جعفر : قرأت عامة القراءة : « وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ » ، بضم « التاء » من « تسئل » ورفع « اللام » منها ، على الخبر . بمعنى : يا محمد إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ، فبلغت ما أرسلت به ، وإنما عليك البلاغ والإنذار ، ولست مسئولاً عن كفر بما أتيت به من الحق ، وكان من أهل الجحيم .

وقرأ ذلك بعض أهل المدينة : « وَلَا تَسْأَلُ » جزواً . بمعنى النهي ، مفتوح « التاء » من « تَسْأَلُ » وجرم « اللام » منها . ومعنى ذلك على قراءة هؤلاء : إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً لتبلغ ما أرسلت به ، لا لتسأل عن أصحاب الجحيم ، فلا تسأل عن حالهم . وتأول الذين قرأوا هذه القراءة ما : —

١٨٧٥ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليت شعري ما فعل أبواي ؟ فترلت : « وَلَا تَسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ » .

١٨٧٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليت شعري ما فعل أبواي ؟ ليت شعري ما فعل أبواي ؟ فترلت : « إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسأل عن أصحاب الجحيم » ، فما ذكرهما حتى توفاه الله (١) .

(١) الحديثان : ١٨٧٥ ، ١٨٧٦ — هما حديثان مرسلان . فإن محمد بن كعب بن سليم القرظي : تابعي . والمرسل لا تقوم به حجة ، ثم هما إستاندان ضعيفان أيضاً ، بضعف راويهما :

١٨٧٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرني داود بن أبي عاصم : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم : ليت شعري أين أبواي ؟ فترلت : « إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسأل » عن أصحاب الجحيم ^(١)

قال أبو جعفر : والصواب عندى من القراءة فى ذلك قراءة من قرأ بالرفع ، على الخبر . لأن الله جل ثناؤه قصّ قصص أقوام من اليهود والنصارى ، وذكر ضلالتهم وكفرهم بالله وجرائمهم على أنبيائه ، ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : « إنا أرسلناك » يا محمد « بالحق بشيراً » من آمن بك واتبعك ، ممن قصصت عليك أنباءه ومن لم أقصص عليك أنباءه « ونذيراً » من كفر بك وخالفك . فبلغ رسالتى ، فليس عليك من أعمال من كفر بك — بعد إيلagak إياه رسالتى — تبعية ، ولا أنت مسئول عما فعل بعد ذلك . ولم يجر — لمسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه عن أصحاب الجحيم — ذكر ، فيكون لقوله : « ولا تسأل » عن

موسى بن عبيدة بن نسيط الريفى : ضعيف جداً ، مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢٩١/١/٤ ، والصغير ١٧٢ — ١٧٣ ، وابن أبي حاتم ١٥١/١/٤ — ١٥٢ ، فقال البخارى : « منكر الحديث ، قاله أحد بن حنبل . وقال على بن المدنى ، عن القطان : كنا نتقيه تلك الأيام » . وروى ابن أبي حاتم عن الجوزانى ، قال : « سمعت أحد بن حنبل يقول : لا تحل الرواية عندى عن موسى بن عبيدة ، قلنا : يا أبا عبد الله ، لا يحل ؟ قال : عندى ، قلت : فإن سفيان وشعبة قد روى عنه ؟ قال : لو بان لشعبة ما بان لغيره ما روى عنه » . وقال ابن معين : « لا يحتج بحديثه » . وقال أبو حاتم : « منكر الحديث » . وأبو « عبيدة » ، بالتصغير ، ووقع فى المطبوعة فى الإسنادين « عبدة » . وهو خطأ .

(١) الحديث : ١٨٧٧ — وهذا مرسل أيضاً ، لا تقوم به حجة .
داود بن أبي عاصم بن عروة بن مسعود الثقفى : تابعى ثقة ، ويروى عن بعض التابعين أيضاً .
مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢١٠/١/٢ — ٢١١ . والجرح ٤٢١/٢/١ . ووقع فى المطبوعة « داود عن أبي عاصم » . وهو تحريف ، صححه من ابن كثير ٢٩٧ : ١ .
ونقل ابن كثير ٢٩٦ : ١ عن القرطبى أنه قال : « وقد ذكرنا فى التذكرة أن الله أحيا أبويه حتى آمنابه ، وأجبنا عن قوله : إن أبى وأباك فى النار » . ثم علق عليه ابن كثير ، فقال : « الحديث المروى فى حياة أبويه عليه السلام — ليس فى شيء من الكتب الستة ولا غيرها ، وإسناده ضعيف » .
وأنا أرى أن الإفاضة فى مثل هذا غير مجدية ، وما أمرنا أن نتكلف القول فيه .

أصحاب الجحيم ، وجه يوجه إليه . وإنما الكلام موجّه معناه إلى ما دلّ عليه ظاهره المفهوم ، حتى تأتي دلالة بينة تقوم بها الحجة ، على أن المراد به غير ما دلّ عليه ظاهره ، فيكون حينئذ مسلماً للحجة الثابتة بذلك . ولا تخبر تقوم به الحجة على أن النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن أن يسأل - في هذه الآية - عن أصحاب الجحيم ، ولا دلالة تدلّ على أن ذلك كذلك في ظاهر التزيل . والواجب أن يكون تأويل ذلك الخبر على ما مضى ذكره قبل هذه الآية ، وعمّن ذكر بعدها من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الكفر ، دون النهي عن المسألة عنهم .^(١)

فإن ظنّ ظان أن الخبر الذي روى عن محمد بن كعب صحيح ، فإن في استحالة الشك من الرسول عليه السلام - في أن أهل الشرك من أهل الجحيم ، وأن أبويه كانا منهم - ما يدفع صحّة ما قاله محمد بن كعب ، إن كان الخبر عنه صحيحاً . مع أن في ابتداء الخبر بعد قوله : « إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً » : « الواو » - بقوله : « ولا تسئل عن أصحاب الجحيم » ، وتركه وصلّ ذلك بأوله : « الفاء » ، وأن يكون « إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً فلا تسأل عن أصحاب الجحيم » -^(٢) أوضح الدلالة على أن الخبر بقوله : « ولا تسئل » ،^(٣) أولى من النهي ، والرفع به أولى من الجزم . وقد ذكرّا أنها في قراءة أبيّ : « وما تسأل » ، وفي قراءة ابن مسعود : « ولن تسأل » ، وكلتا هاتين القراءتين تشهد بالرفع والخبر فيه ، دون النهي^(٤) .

(١) حجة قوية لا ترد ، وبصر بسياق معاني القرآن وتتابهها . ولكن كثيراً من الناس يففلون عن مواطن الحق في موضع بعينه ، لاختلاط الأمر عليهم لمشابهة لموطن آخر في موضع غيره ، كما سترى في التعليق التالي رقم : ٤ .

(٢) كان في المطبوعة : « بالواو يقول : فلا تسئل عن أصحاب الجحيم ... بشيراً ونذيراً ولا تسئل عن أصحاب الجحيم » ، وهو خطأ ، كما استدركه مصحح المطبوعة في تعليقه .

(٣) في المطبوعة : « أوضح الدلائل » بالجمع ، والإفراد هو الصواب ، وكأنه سبق قلم من ناسخ .

(٤) قال ابن كثير في تفسيره ١ : ٢٩٧ « وقد رد ابن جرير هذا القول المروى عن محمد بن ابن كعب وغيره ، في ذلك لاستحالة الشك من الرسول صلى الله عليه وسلم في أمر أبويه ، واختار القراءة الأولى . وهذا الذي سلكه ههنا فيه نظر ، لاحتمال أن هذا كان في حال استغفاره لأبويه ، قبل أن يعلم

وقد كان بعض نحويي البصرة يوجه قوله : « ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم » إلى الحال ، كأنه كان يرى أن معناه : إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً غير مسئول عن أصحاب الجحيم . وذلك إذا ضمّ « التاء » ، وقرأه على معنى الخبر ، وكان يجيز على ذلك قراءته : « ولا تُسألُ » بفتح « التاء » وضمّ « اللام » على وجه الخبر ، بمعنى : إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً غير سائل عن أصحاب الجحيم . وقد بينا الصواب عندنا في ذلك .

وهذان القولان اللذان ذكرتهما عن البصري في ذلك ، يدفعهما ما روى عن ابن

أمرها ، فلما علم ذلك تبرأ منها ، وأخبر عنها أنها من أهل النار ، كما ثبت هذا في الصحيح . ولهذا أشباه كثيرة ونظائر ، ولا يلزم ما ذكره ابن جرير والله أعلم .

ينسى ابن كثير غفر الله له ، ما أعاد الطبري وأبدأ من ذكر سياق الآيات المتتابعة ، والسياق كما قال هو في ذكر اليهود والنصارى وقصصهم ، وتشابه قلوبهم في الكفر بالله ، وقلة معرفتهم بمظمة ربهم ، وجراتهم على رسل الله وأنبياؤه ، وكل ذلك موجب عذاب الجحيم ، فما الذي أدخل كفار العرب في هذا السياق ؟ نعم لأنهم يدخلون في معنى أنهم من أصحاب الجحيم ، كما يدخل فيه كل مشرك من العرب وغيرهم . وقد بينا آنفاً ص : ٥٢١ تعليق : ١ أن هذه الآيات السالفة والتي تليها ، دالة أوضح الدلالة على أن قصتها كلها في اليهود والنصارى ، ولا شأن لمشركي العرب بها . وإن دخل هؤلاء المشركون في معنى أنهم من أصحاب الجحيم ، وإذن فسياق الآيات يوجب أن تكون في اليهود والنصارى ، فتخصيص شطر من آية بأنه نزل في أمر بعض مشركي الجاهلية . تحكم بلا خبر ولا بيعة . (وانظر ص : ٥٦٥)

ثم إن ابن كثير غفل عن معنى الطبري ، فإن الطبري أراد أن يدل على شيئين : أن خبر محمد بن كعب لا يصح ، وأنه إن صح عنه من وجه ، فإن نزول الآية لم يكن لهذا الذي روى عنه . وبينان ذلك : أن الخبر لا يصح ، لأنه جاء على صيغة التشكك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في أمر بعض أهل الجاهلية : ما فعل به ، في جنة أو نار ! وهذا بما يتنزه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفرق كبير بين أن يستغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبويه الذين كانا من أهل الجاهلية ، وعلى مثل أمرها من الشرك ، وبين أن يتشكك في أمرها فيقول : « ليت شعري ما فعل أبواي ؟ » . ولما يصح كلام ابن كثير ، إذا كان بين هذا التشكك ، وبين الاستغفار رابط يوجب أن يكون أحدهما ملازماً للآخر ، أو بسبب منه .

ثم يرد الخبر أيضاً ، لأن سياق الآيات يدل ظاهراً على أنها في اليهود والنصارى نزلت ، فلا يمكن تخصيص شطر من آية من هذه الآيات المتتابعة ، على خبر لا يصح ، لعل موهنة له . فلست أدرى لم أقسم ابن كثير الاستغفار والتبرؤ في هذا الموضع ، مع وضوح حجة الطبري في الفقرة السالفة . من جهة السياق ، وفي هذه الفقرة من جهة الربية ؟

إن بعض المشكلات التي يدور عليها جدال الناس ، ربما أغفلت مثل ابن كثير عن مواطن الدقة والصواب والتحرى ، وهم يفسرون كتاب الله الذي لا يخالف بعضه بعضاً ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . اللهم إنا نسألك العصمة من الزلل ، ونستهديك في البيان عن معاني كتابك .

مسعود وأبي من القراءة، ^(١) لأن إدخالهما ما أدخلنا من «ما» و«لن»، يدل على انقطاع الكلام عن أوله، وابتداء قوله: «ولا تسأل». وإذا كان ابتداء لم يكن حالاً.

• • •

وأما «أصحاب الجحيم»، فـ «الجحيم»، هي النار بعينها إذا شئت وقودها، ومنه قول أمية بن أبي الصلت :

إِذَا شُبِّتَ جَهَنَّمُ مُنَّمْ دَارَتْ وَأَعْرَضَ عَنْ قَوَائِسِهَا الْجَحِيمُ ^(٢)

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَى﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » ، وليست اليهود ، يا محمد ، ولا النصارى براضية عنك أبداً ، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم ، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق ، فإن الذى تدعوهم إليه من ذلك هو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدين القيم ، ولا سبيل لك إلى لإرضائهم باتباع ملتهم ، لأن اليهودية ضد النصرانية ، والنصرانية ضد اليهودية ، ولا تجتمع النصرانية واليهودية

(١) في المطبوعة : « يرفهما ما روى . . . » والصواب ما أثبت .

(٢) ديوانه : ٥٣ ، وروايته : « ثم فارت » ، وكأنها هي الصواب ، وأغشى أن يكون البيت محرفاً . لم أعرف معنى « قوائسها » هنا ، وأظنه « قدامسها » جمع قلموس ، وهي الحجارة الفخمة الصلبة ، كقوله تعالى : « وقودها الناس والحجارة » ، وأعرض الشيء اتسع وعرض ، وقوله « من » أى بسبب قذف هذه الحجارة فيها . هذا أقرب ما اهتديت إليه من معناه ، ويرجح ذلك البيت الذى يليه ، وفيه جواب « إذا » :

نَحْمَشُ بِصَنْدَلِ صَمْرٍ صِلَابٍ كَانَ الضَّاحِيَاتِ لَهَا قَصِيمُ

وكانه يعنى بالضحاحيات : النخيل . وصمراًمية مشكل على كل حال .

في شخص واحد ، في حال واحدة . واليهود والنصارى لا تجتمع على الرضا بك ، إلا أن تكون يهودياً نصرانياً ، وذلك مما لا يكون منك أبداً ، لأنك شخص واحد ، ولن يجتمع فيك دينان متضادان في حال واحدة . وإذا لم يكن إلى اجتماعهما فيك في وقت واحد سبيل ، لم يكن لك إلى إرضاء الفريقين سبيل . وإذا لم يكن لك إلى ذلك سبيل ، فالزَمْ هُدَى الله الذي لجميع الخلق إلى الألفة عليه سبيل .

وَأَمَّا « الملة » فإنها الدين ، وجمعها المِلَل .

ثم قال جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد — لهؤلاء النصارى واليهود الذين قالوا : « لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى » — : « إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى » . يعنى : إن بيان الله هو البيان المقنع ، والقضاء الفاصل بيننا ، فاهلموا إلى كتاب الله وبيانه — الذى بين فيه لعباده ما اختلفوا فيه ، وهو التوراة التى تقرأون جميعاً بأنها من عند الله — ينضح لكم فيها الحق منّا من المبطل ، وأينما أهل الجنة وأينما أهل النار ، وأينما على الصواب وأينما على الخطأ .

وإنما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم إلى هدى الله وبيانه ، لأن فيه تكذيب اليهود والنصارى فيما قالوا : من أن الجنة لن يدخلها إلا من كان هوداً أو نصارى ، وبيان أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن المكذب به من أهل النار دون المصدق به .

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بِمَدِّ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١٢٠)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ولئن أتيت أهواءهم بمدِّ الذى جاءك من العلم ما لك من الله من وليٍّ ولا نصيرٍ » ، يا محمد ، هوى هؤلاء اليهود والنصارى — فيما يرضيهم عنك — من تهوؤٍ وتنصيرٍ ، فصرت من ذلك

إلى إرضائهم ، ووافقت فيه محبتهم — من بعد الذى جاءك من العلم بضلاتهم وكفرهم بربهم ، ومن بعد الذى اقتضت عليك من تبئهم فى هذه السورة — مالك من الله من ولى = يعنى بذلك : ليس لك يا محمد من ولى يلى أمرك ، وقيم يقوم به = ولا نصير ، ينصرك من الله فيدفعُ عنك ما ينزل بك من عقوبته ، ويمنعك من ذلك ، إن أحلّ بك ذلك ربك . وقد بينا معنى « الولى » و « النصير » فيما مضى قبل . (١)

وقد قيل : إن الله تعالى ذكره أنزل هذه الآية على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن اليهود والنصارى دعتهم إلى أديانها ، وقال كل حزب منهم : إن الهدى هو ما نحن عليه ، دون ما عليه غيرنا من سائر الملل . فوعظه الله أن يفعل ذلك ، وعلمه الحجة الفاصلة بينهم فيما ادعى كل فريق منهم .

* * *

٤١١/١ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى الذين آتاهم الله جل ثناؤه بقوله : « الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ » . فقال : بعضهم : هم المؤمنون برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، من أصحابه . ذكر من قال ذلك :

١٨٧٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ،

عن قتادة قوله : « الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ » ، هؤلاء أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم ، آمنوا بكتاب الله وصدقوا به .

* * *

وقال آخرون : بل عنى الله بذلك علماء بنى إسرائيل ، الذين آمنوا بالله وصدقوا رُسله ، فأقروا بحكم التوراة . فعملوا بما أمر الله فيها من اتباع محمد صلى

الله عليه وسلم ، والإيمان به ، والتصديق بما جاء به من عند الله . ذكر من قال ذلك :

١٨٧٩ - حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون » ، قال : من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم من يهود ، فأولئك هم الخاسرون .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول أولى بالصواب من القول الذي قاله قتادة . لأن الآيات قبلها مضت بأخبار أهل الكتابين ، وتبديل من بدل منهم كتاب الله ، وتأولهم إياه على غير تأويله ، وادّعائهم على الله الأباطيل ، ولم يجر لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الآية التي قبلها ذكر ، فيكون قوله : « الذين آتيناهم الكتاب » ، موجّهاً إلى الخبر عنهم ، ولا لهم بعدها ذكر في الآية التي تتلوها ، فيكون موجّهاً ذلك إلى أنه خبرٌ مُبتدأٌ عن قصص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعد انقضاء قصص غيرهم ، ولا جاء بأن ذلك خبرٌ عنهم أثرٌ يجب التسليم له .^(١)

فإذ كان ذلك كذلك ، فالذي هو أولى بمعنى الآية ، أن يكون موجّهاً إلى أنه خبر عن قصّة الله جل ثناؤه [قصصهم] في الآية قبلها والآية بعدها ،^(٢) وهم أهل الكتابين التوراة والإنجيل . وإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : الذين آتيناهم الكتاب الذي قد عرفته يا محمد - وهو التوراة - فقرأوه واتبعوا ما فيه ، فصدّقوا وآمنوا بك وبما جئت به من عندي ، أولئك يتلونه حق تلاوته .

* * *

(١) رحم الله أبا جعفر ، فهو لا يدع الاحتجاج الصحيح عند كل آية ، ولكن بعض هل التفسير يتجاوزون ويتساهلون ، فليتهم نهجوا نهجه في الضبط والحفظ والاستدلال .
(٢) ما بين القوسين زيادة لا يهملها .

وإنما أدخلت « الألف واللام » في « الكتاب » ، لأنه معرفة . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عرفوا أى الكتب عسى به .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل قوله عز وجل : « يتلونهُ حق تلاوته » . فقال بعضهم : معنى ذلك : يتبعونه حق اتباعه . ذكر من قال ذلك :

١٨٨٠ — حدثني محمد بن المثني قال ، حدثني ابن أبي عدي وعبد الأعلى —

وحدثنا عمرو بن علي قال ، حدثنا ابن أبي عدي — جميعاً ، عن داود ، عن عكرمة عن ابن عباس : « يتلونهُ حق تلاوته » ، يتبعونه حق اتباعه .

١٨٨١ — حدثني المثني قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن

عكرمة ، بمثله .

١٨٨٢ — حدثنا عمرو بن علي قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا

داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، بمثله .

١٨٨٣ — حدثني الحسين بن عمرو العنقزي قال ، حدثني أبي ، عن أسباط ،

عن السدي ، عن أبي مالك ، عن ابن عباس في قول الله عز وجل : « يتلونهُ

حق تلاوته » ، قال : يحلون حلاله ويحرمون حرامه ، ولا يحرقونه .^(١)

١٨٨٤ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن

السدي قال ، قال أبو مالك : إن ابن عباس قال في : « يتلونهُ حق تلاوته » ،

فذكر مثله — إلا أنه قال : ولا يحرقونه عن مواضعه .

١٨٨٥ — حدثنا عمرو بن علي قال ، حدثنا المؤمل قال ، حدثنا سفيان قال ،

(١) الأثر : ١٨٨٣ — في المطبوعة : « الحسن بن عمرو الميقرى » ، واقتصر التعليق على الأثر

بهم : ١٦٢٥ وكذلك معنى في الأثر : ١٦٥٥ « الحسن » ، وهو خطأ ، نصحه .

حدثنا يزيد ، عن مرة ، عن عبد الله في قول الله عز وجل : « يتلونّه حقّ تلاوته » : قال : يتبعونه حقّ اتباعه .

١٨٨٦ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية . قال ، قال عبد الله بن مسعود : « والذي نفسى بيده ، إن حقّ تلاوته : أن يُحَلَّ حلاله ويحرّم حرامه ، ويقرأ كما أنزله الله ، ولا يحرف الكلم عن مواضعه ، ولا يتأوّل منه شيئاً على غير تأويله .

١٨٨٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، ومنصور بن المعتمر ، عن ابن مسعود في قوله : « يتلونّه حقّ تلاوته » ، أن يحلّ حلاله ويحرّم حرامه ، ولا يحرفه عن مواضعه .

١٨٨٨ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا [أبو أحمد] الزبيري قال ، حدثنا عباد بن العوام ، عن ذكره ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « يتلونّه حقّ تلاوته » ، يتبعونه حقّ اتباعه .

١٨٨٩ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عباد ١٢/١ ، ابن العوام ، عن الحجاج ، عن عطاء بمثله .

١٨٩٠ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن أبي رزين في قوله : « يتلونّه حقّ تلاوته » ، قال : يتبعونه حقّ اتباعه .

١٨٩١ — حدثنا عمرو بن علي قال ، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان —

وحدثني المثنى قال ، حدثني أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان — وحدثني نصر بن عبد الرحمن الأزدى قال ، حدثنا يحيى بن إبراهيم ، عن سفيان — قالوا جميعاً ، عن منصور ، عن أبي رزين مثله .

١٨٩٢ — حدثنا ابن حيد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن مجاهد : « يتلونّه حقّ تلاوته » ، قال : عملاً به ^(١) .

(١) الأثر : ١٨٩٢ — في المطبعة : « أبو حيد » ، والصواب ما أثبت ، وهو محمد بن حيد ، وهو كثير ذكره في سلف

١٨٩٣ - حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم ، قال أخبرنا عبد الملك ، عن قيس بن سعد : « يتلونه حق تلاوته » ، قال : يتبعونه حق اتباعه ، ألم تر إلى قوله : ﴿ وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَاهَا ﴾ [سورة الشمس : ٢] ، يعني الشمس إذا تبعها القمر .

١٨٩٤ - حدثني المثني قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء وقيس بن سعد ، عن مجاهد في قوله : « يتلونه حق تلاوته » ، قال : يعملون به حق عمله .

١٨٩٥ - حدثني المثني قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن قيس بن سعد ، عن مجاهد ، قال : يتبعونه حق اتباعه .

١٨٩٦ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٩٧ - حدثني المثني قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « يتلونه حق تلاوته » ، يعملون به حق عمله .

١٨٩٨ - حدثنا عمرو بن علي قال ، حدثنا مؤمل بن إسماعيل قال ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن مجاهد في قوله : « يتلونه حق تلاوته » ، قال : يتبعونه حق اتباعه .

١٨٩٩ - حدثني عمرو قال ، حدثنا أبو قتبية قال ، حدثنا الحسن بن أبي جعفر ، عن أيوب ، عن أبي الخليل ، عن مجاهد : « يتلونه حق تلاوته » قال : يتبعونه حق اتباعه .^(١)

(١) الخبر : ١٨٩٩ - أبو قتبية : هو سلم بن قتبية الشعمري - يفتح الشين المعجمة - الخراساني ، وهو ثقة مأمون ، أخرج له البخاري وأصحاب السنن . مترجم في التهذيب ، والكبير ١٦٠/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ٢٦٦/١/٢ .

الحسن بن أبي جعفر الجفري : حسن الحديث ، تكلما فيه ، ورجعنا تحسين أحاديثه مفصلا في شرح المسند : ٥٨١٨ . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢٨٦/٢/١ ، وابن أبي حاتم ٢٩/٢/١ . و « الجفري » : بضم الجيم وسكون الفاء ، نسبة إلى « جفرة خاله » بالبصرة . كما في الأنساب واللباب والمشتبه . أيوب : هو السخيتاني ، وفي المطبوعة « عن أبي أيوب » . وهو خطأ . استقيننا تصويبه من التراجم . أبو الخليل : هو صالح بن أبي مريم الضبي ، وهو ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢٩٠/٢/٢ . وابن أبي حاتم ٤١٥/١/٢ - ٤١٦ .

١٩٠٠ - حدثنا عمرو قال ، حدثنا يحيى القطان ، عن عبد الملك ، عطاء

قوله : « يتلونه حقّ تلاوته » ، قال : يتبعونه حقّ اتباعه ، يعملون به حقّ عمله .

١٩٠١ - حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثني أبي ، عن المبارك ، عن

الحسن : « يتلونه حقّ تلاوته » ، قال : يعملون بمُحكمه ، ويؤمنون بمتشابهه ، ويكيلون ما أشكل عليهم إلى عالمه .^(١)

١٩٠٢ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا

سعيد ، عن قتادة : « يتلونه حقّ تلاوته » ، قال : أحلوا حلاله وحرّموا حرامه ، وعملوا بما فيه . ذُكر لنا أنّ ابن مسعود كان يقول : إنّ حقّ تلاوته : أن يُحِلَّ حلاله ويحرم حرامه ، وأن يقرأه كما أنزله الله عز وجل ، ولا يحرفه عن مواضعه .

١٩٠٣ - حدثنا عمرو قال ، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا الحكم بن عطية ،

سمعت قتادة يقول : « يتلونه حقّ تلاوته » ، قال : يتبعونه حقّ اتباعه . قال : اتّباعه : يحلون حلاله ويحرمون حرامه ، ويقرأونه كما أنزل .

١٩٠٤ - حدثنا المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن

داود ، عن عكرمة في قوله : « يتلونه حقّ تلاوته » ، قال : يتبعونه حقّ اتباعه ، أمّا سمعت الله عز وجل : ﴿ وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَاهَا ﴾ [سورة الشمس : ٢] ، قال : إذا تبعها .

* * *

وقال آخرون : « يتلونه حقّ تلاوته » ، يقرأونه حقّ قراءته .^(٢)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في تأويل ذلك أنه بمعنى : يتبعونه حقّ

اتباعه ، من قول القائل : « ما زلت أتلو أثره » ، إذا اتّبع أثره ،^(٣) لإجماع الحجة من أهل التأويل على أنّ ذلك تأويله .

(١) الخبر : ١٩٠١ - مبارك : هو ابن فضالة . وهو من أخص الناس بالحسن البصري . كما قلنا في : ٦١١ .

(٢) انظر ما سلف في هذا الجزء ٢ : ٤١١

(٣) انظر ما سلف في هذا الجزء ٢ : ٤١١

وإذْ كَانَ ذَلِكَ تَأْوِيلَهُ ، فَعْنَى الْكَلَامِ : الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ، يَا مُحَمَّدُ مِنْ أَهْلِ التَّوْرَةِ الَّذِينَ آمَنُوا بِكَ وَبِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِي ، يَتَّبِعُونَ كِتَابِي الَّذِي أَنْزَلْتُهُ عَلَى رَسُولِي مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَقْرَأُونَ بِمَا فِيهِ مِنْ نَعْتِكَ وَصِفَتِكَ ، وَأَنْتَ رَسُولِي ، فَرَضْتُ عَلَيْهِمْ طَاعَتِي فِي الْإِيمَانِ بِكَ وَالتَّصَدِّيقِ بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي ، وَيَعْمَلُونَ بِمَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ ، وَيَجْتَنِبُونَ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ فِيهِ ، وَلَا يَحْرِفُونَهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَلَا يَبْدِلُونَهُ وَلَا يَغَيِّرُونَهُ - كَمَا أَنْزَلْتُهُ عَلَيْهِمْ - بِتَأْوِيلٍ وَلَا غَيْرِهِ .

أَمَّا قَوْلُهُ : « حَقَّ تِلَاوَتُهُ » ، فَبِالْغَلَّةِ فِي صِفَةِ اتِّبَاعِهِمُ الْكِتَابَ وَلِزُومِهِمُ الْعَمَلَ بِهِ ، كَمَا يَقَالُ : « إِنَّ فَلَانًا لَعَالَمٌ حَقٌّ عَالَمٌ » ، وَكَمَا يَقَالُ : « إِنَّ فَلَانًا لِفَاضِلٌ كُلِّ فَاضِلٍ »^(١)

وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فِي إِضَافَةِ « حَقَّ » إِلَى الْمَعْرِفَةِ . فَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّي الْكُوفَةِ غَيْرِ جَائِزَةٍ لِإِضَافَتِهِ إِلَى مَعْرِفَةٍ ، لِأَنَّهُ بِمَعْنَى « أَيْ » ، وَبِمَعْنَى قَوْلِكَ : « أَفْضَلُ رَجُلٍ فَلَانٌ » ، وَأَفْعَلٌ لَا يُضَافُ إِلَى وَاحِدٍ مَعْرِفَةٍ ، لِأَنَّهُ مَبْعُضٌ ، وَلَا يَكُونُ الْوَاحِدُ الْمُبْعُضُ مَعْرِفَةً . فَأَحَالُوا أَنْ يَقَالُ : « مَرَرْتُ بِالرَّجُلِ حَقَّ الرَّجُلِ » « وَمَرَرْتُ بِالرَّجُلِ جِدَّ الرَّجُلِ » ، كَمَا أَحَالُوا : « مَرَرْتُ بِالرَّجُلِ أَيْ الرَّجُلِ » . وَأَجَازُوا ذَلِكَ فِي « كُلِّ الرَّجُلِ » وَ« عَيْنِ الرَّجُلِ » وَ« نَفْسِ الرَّجُلِ »^(٢) . وَقَالُوا : إِنَّمَا أَجْزَأْنَا ذَلِكَ ، لِأَنَّ هَذِهِ الْحُرُوفَ كَانَتْ فِي الْأَصْلِ تَوْكِيدًا ، فَلَمَّا صِرْنَ مُدْوَحًا ، تَرَكْنَ مُدْوَحًا عَلَى أَصُولِهِنَّ فِي الْمَعْرِفَةِ .

وَزَعَمُوا أَنْ قَوْلَهُ : « يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ » إِنَّمَا جَازَتْ إِضَافَتُهُ إِلَى التَّلَاوَةِ ، وَهِيَ مُضَافَةٌ إِلَى مَعْرِفَةٍ ، لِأَنَّ الْعَرَبَ تَعْتَدُ : « الْهَاءَ » - إِذَا عَادَتْ إِلَى نَكْرَةٍ - بِالنَّكْرَةِ ، فَيَقُولُونَ : « مَرَرْتُ بِرَجُلٍ وَاحِدٍ أُمِّهِ » ، وَنَسِيحٍ وَحْدِهِ ، وَسَيِّدٍ قَوْمِهِ ، قَالُوا فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ « حَقَّ تِلَاوَتِهِ » ، إِنَّمَا جَازَتْ إِضَافَةُ « حَقَّ » إِلَى « التَّلَاوَةِ » وَهِيَ مُضَافَةٌ إِلَى

(١) انظر سيبويه ١ : ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٢) في المطبوعة « غير الرجل » .

« الهاء » لاعتداد العرب بـ « الهاء » التي في نظائرها في عداد النكرات . قالوا ولو كان ذلك « حق التلاوة » ، لوجب أن يكون جائزاً ، « مررت بالرجل حق الرجل » .
فعل هذا القول تأويلُ الكلام : الذين آتيناهم الكتاب يتلونه «حق» تلاوة .
وقال بعض نحوي البصرة : جائزة إضافة « حق » إلى النكرات مع النكرات ، ومع المعارف إلى المعارف ، وإنما ذلك نظيرُ قول القائل : « مررت بالرجل غلام الرجل » و « برجل غلام رجل »

فتأويل الآية على قول هؤلاء : الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته ^(١)

وأولى ذلك بالصواب عندنا القولُ الأول ، لأن معنى قوله : « حق تلاوته » أي تلاوة ، بمعنى مدح التلاوة التي تلوها وتفضيلها . و « أي » غير جائزة إضافتها إلى واحد معرفة عند جميعهم . وكذلك « حق » غير جائزة إضافتها إلى واحد معرفة . وإنما أضيف في « حق تلاوته » إلى ما فيه « الهاء » ، لما وصفت من العلة التي تقدم بيانها .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « أولئك » ، هؤلاء الذين أخبر عنهم أنهم يتلون ما آتاهم من الكتاب حق تلاوته ، وأما قوله : « يؤمنون به » ، فإنه يعني : يصدقون به . و « الهاء » التي في قوله : « به » عائدة على « الهاء » التي في « تلاوته » ، وهما جميعاً من ذكر الكتاب الذي قال الله : « الذين آتيناهم الكتاب » . فأخبر الله جل ثناؤه أن المؤمنين بالتوراة ، هو المتبعُ ما فيها من حلالها وحرامها ، والعاملُ بما فيها من فرائض الله التي فرضها فيها على أهلها ، وأن أهلها الذين هم أهلها من كان ذلك صفته ، دون من كان محرّفاً لها ، مبدلاً تأويلها ، مغيراً

(١) الصواب أن يفهم : « حق تلاوة الكتاب » ، ولعل الناسخ أعطاه .

سُنَّهَا ، تَارِكًا مَا فَرَضَ اللَّهُ فِيهَا عَلَيْهِ .

وَلِإِنَّمَا وَصَّفَ جَلِ ثَنَائُهُ مِنْ وَصَفَ بِمَا وَصَّفَ بِهِ مِنْ مَتَّبِعِي التَّوْرَةِ ، وَأُثْنِيَ عَلَيْهِمْ بِمَا أُثْنِيَ بِهِ عَلَيْهِمْ ، لِأَنَّ فِي اتِّبَاعِهَا اتِّبَاعَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَصَدِيقَهُ ، لِأَنَّ التَّوْرَةَ تَأْمُرُ أَهْلَهَا بِذَلِكَ ، وَتُخَبِّرُهُمْ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ بِنُبُوَّتِهِ ، وَفَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ بَنِي آدَمَ ، وَأَنَّ فِي التَّكْذِيبِ بِمُحَمَّدٍ التَّكْذِيبَ لَهَا . فَأُخْبِرَ جَلِ ثَنَائُهُ أَنَّ مَتَّبِعِي التَّوْرَةِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُمْ الْعَامِلُونَ بِمَا فِيهَا ، كَمَا : —

١٩٠٥ — حَدَّثَنِي يُونُسُ قَالَ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ :

« أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ » ، قَالَ : مَنْ آمَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبِالتَّوْرَةِ ، وَإِنَّ الْكَافِرَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْكَافِرُ بِهَا الْخَاسِرُ ، كَمَا قَالَ جَلِ ثَنَائُهُ : « وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ » . ^(١)

• • •

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١٢١)

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : يَعْنِي جَلِ ثَنَائُهُ بِقَوْلِهِ : « وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ » ، وَمَنْ يَكْفُرُ بِالْكِتَابِ الَّذِي أُخْبِرَ أَنَّهُ يَتْلُوهُ — مَنْ آتَاهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ — حَقَّ تَلَاوُثِهِ . وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ جَلِ ثَنَائُهُ : « يَكْفُرُ » ، يَجْحَدُ مَا فِيهِ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ وَنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَصَدِيقِهِ ، وَيُبدِّلُهُ فَيَحْرِفُ تَأْوِيلَهُ ، أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا عِلْمَهُمْ وَعَمَلَهُمْ ، فَبَخَسُوا أَنْفُسَهُمْ حَظُوظَهَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَاسْتَبَدَّلُوا بِهَا سَخَطَ اللَّهِ وَغَضَبَهُ . وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ ، بِمَا : —

١٩٠٦ — حَدَّثَنِي يُونُسُ بِهِ قَالَ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ :

(١) انظر ما سلف في معنى « الخاسر » ١ : ٤١٧ ثم هذا الجزء ٢ : ١٦٦ .

« ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون » ، قال : من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم من يهود ، « فأولئك هم الخاسرون »

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (١٢٢)

قال أبو جعفر : وهذه الآية عظة من الله تعالى ذكره لليهود الذين كانوا بين ظهرائي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتذكير منه لهم ما سلف من أياديه إليهم في صنعه بأوائلهم ، استعطافاً منه لهم على دينه وتصديق رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا بني إسرائيل اذكروا أيادي لدَيْكُمْ ، وصنائعي عنْدَكُمْ ، واستنقاذي إياكم من أيدي عدوكم فرعون وقومه ، وإنزالي عليكم المن والسلوى في تيهكم ، وتمكينكم في البلاد بعد أن كنتم مذللين مهورين ، واختصاصي الرسل منكم ، وتفضيلي إياكم على عالم من كنتم بين ظهرائيه ، أيام أنتم في طاعتي - (١) باتباع رسولي إليكم ، وتصديقه وتصديق ما جاءكم به من عندي ، ودعوا التماذي في الضلال والغنى .

وقد ذكرنا فيما مضى النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل ، والمعاني التي ذكرهم جل ثناؤه من آلائه عندهم ، والعالم الذي فضلوا عليه - فيما مضى قبل بالروايات والشواهد ، فكرهنا تطويل الكتاب بإعادته ، إذ كان المعنى في ذلك في هذا الموضع وهنالك واحداً . (٢)

• • •

(١) إن لم يكن قد سقط هنا قوله : « وأعظم باتباع رسول . . . » ، فإن قوله « باتباع رسول » متعلق بقوله في صدر الخطاب : « اذكروا أيادي لديكم . . . »

(٢) انظر ما سلف في هذا الجزء ٢ : ٢٣ - ٢٦

القول في تأويل قوله ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (١٢٣)

قال أبو جعفر : وهذه الآية ترهيبٌ من الله جل ثناؤه للذين سلفت عظته إياهم بما وعظهم به في الآية قبلها . يقول الله لهم : واتقوا - يا معشر بني إسرائيل ، المبدلين كتابي وتزيلي ، المحرفين تأويله عن وجهه ، المكذبين برسولي محمد صلى الله عليه وسلم - عذاب يوم لا تقضى فيه نفس عن نفس شيئا ، ولا تغني عنها غناء . أن تهلكوا على ما أنتم عليه من كفركم بي ، وتكذيبكم رسولي ، فتموتوا عليه ، فإنه يوم لا يقبل من نفس فيما لزمها فدية ، ولا يشفع فيها وحب عليها من حق لها شافع ، ولا هم ينصروها ناصر من الله إذا انتقم منها بمعصيتها إياه . (١)

• • •

وقد مضى البيان عن كل معاني هذه الآية في نظيرتها قبل ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع . (٢)

ثم الجزء الثاني من تفسير الطبري

وبليه الجزء الثالث وأوله

القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَإِذْ أَبْلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ﴾

(١) في المطبوعة : « ولا هم ينصروهم » ، وهو خطأ ، صوابه ما أثبت .

(٢) انظر ما سلف في هذا الجزء ٢ : ٢٦ - ٣٦ .

الفهـَارِسُّ

فهرس الآيات التي استدلل بها في غير موضعها من التفسير

الصفحة	السورة/الآية	الصفحة	السورة/الآية
	آيات سورة النساء		آيات سورة البقرة
٥٠٣، ٤٦٣، ٤٦١	٤٦	٢٤٦	٤٤
٣٤٣	٥٤-٥١	٩٨	٦٠
٤٩١	١١٠	٢٩٣	٦٣
١٧٣	١٥٣	١٥٧، ١٥٦	٨٥-٨٣
٢٦٣	١٥٧	٣٩٩	٨٧
	• • •	٤٨٣، ٧٤	٩٣
	آيات سورة المائدة	٣٥١	١٠٢
٣٦٤	١٨	٣٣٦	١٠٩
١٣٣	٢١	٣٦٤	١١١
١٣٤	٢٤-٢١	٥٢٧	١٤٢
١٤٥	٢٢	٥٣٠، ٥٢٩، ٥٢٧	١٤٤
١٧٣	٢٤	٥٢٩	١٥٠، ١٤٩
١٣٨	٢٩	٩١	٢١٠
١٧٢	٧٨	٣٣٩، ١٢٧	٢٧١
٣٣٩	٨٠	٤٤٩	٢٧٩
٣٢٢، ٣٢١	١١٠		• • •
	• • •		آيات سورة آل عمران
	آية سورة الأنعام	٣٨٨	١٢
٣٥	٧٠	٢٨٠	٢٤
	• • •	٢٥٣	٧٢
	آيات سورة الأعراف	١٥٥	٨٥
٢٢٤	٣٨	٢٤	١١٠
٢٥٤	٨٩	٣٣٠	١٥٩
٢٤١، ٨٤	١٤٣	٢٠	١٨٥
٨٨	١٥٦-١٥٥	٥٣٢	١٩٩
ج ٢ (٣٧)			

الصفحة	السورة/الآية آية سورة هود	الصفحة	السورة/الآية آيات سورة الأعراف
١٧٠	١١٦	١٤٣	١٥٦
	• • •	١٧٠، ١٦٨	١٦٣
	آيات سورة يوسف	٣٥٩، ١٧١	
١٠٩	٢٣	١٧٠، ١٠٨	١٦٤
٣٠٣	٢٩	١٧٢	
١٠٩	٧٩	١٧٢	١٦٦
٣٥٩، ٦١	٨٢	٤٩	١٦٨
	• • •	١٥٩	١٧١
	آية سورة الرعد	٨٣	١٨٣
٣٣٧	٣١		• • •
	• • •		آيات سورة الأنفال
	آيات سورة إبراهيم	٥٩	٧
٢٦٥	١١	٧١	٤١
٥٩	٢٢	١٦٧	٦٠
	• • •		• • •
	آيات سورة الحجر		آيات سورة التوبة
١٨٣	٥٨، ٥٧	٥٠٣	٥
	• • •	٣٩١	١٠
	آيات سورة النحل	١٣٧، ١٣٦	٢٩
٥٤٩	٤٠	٥٠٣	
٢٤١	٤٨	٩	٦٧
	• • •	١٦٣، ١٦٢	٧٥
	آيات سورة الإسراء	١٦٢	٧٦
٥٤٢	٢٣		• • •
٥٤٢	٤١		آيات سورة يونس
٤٧٩	٨٦	٤١١	٣٠
		١٤٩	٤٣، ٤٢
		٥٢	٩٠

الصفحة	السورة/الآية آية سورة الفرقان
٥٨	٤٥
	• • •
	آيات سورة الشعراء
٥٥	٥٤، ٥٣
٥٣	٥٦-٥٤
١٣٥	٥٩-٥٧
٥٥	٦٠
٥١	٦٢، ٦١
٢٣٢، ٥٣	٦٣
٥٦	٦٤
	• • •
	آيات سورة النمل
٢٢٨	٢٧
٢٨٦	٩٠
	• • •
	آية سورة القصص
٤٤	٤
	• • •
	آيات سورة العنكبوت
٢٩٥	٨
٢٠	٥٧
	• • •
	آية سورة الروم
٥٤٧	٢٥
	• • •
	آيات سورة السجدة
٤٩٣، ٤٩٢	٣-١

الصفحة	السورة/الآية آيات سورة الكهف
٤٧٥	٢٤
٢٨٤	٢٩
١٩	٥٣
٢٤٢	٧٧
	• • •
	آيات سورة طه
٢١٩	٢٠
٤٣٩	٦٦
٤١٢	٧١
٥٧، ٥٢	٧٧
٦٨	٨٦-٨٤
٧٤	٨٧-٨٦
٦٨، ٦٦	٩١-٨٨
٦٧	٩١-٨٩
٧٤	٩٧-٩٤
٦٤	٩٦
١٤	١٣٠
	• • •
	آيات سورة الأنبياء
٤٩، ٢٠	٣٥
٣٢	٤٧
	• • •
	آية سورة الحج
٥٤٩	٥
	• • •
	آية سورة النور
٢٢٤	٨

الصفحة	السورة/ الآية آية سورة الجاثية	الصفحة	السورة/ الآية آيات سورة الأحزاب
٢٥	١٦	٤٨٥	٢٤١
• • •		٤٤٦	٣٧
آيات سورة الذاريات		١٦	٤٥
١٨٣	٣٢، ٣١	• • •	
• • •		آية سورة سبأ	
آيات سورة القمر		٢٣٥	٢٤
٢١٠	٢٠	• • •	
٢٠	٢٧	آيات سورة الصافات	
• • •		٣٦	٢٦-٢٤
آية سورة الحديد		٢٣٧، ٢٣٥	١٤٧
٤٦٨	١٣	• • •	
• • •		آية سورة ص	
آية سورة المجادلة		٤٦٨	٧٩
٥٢٨	٧	• • •	
• • •		آية سورة غافر	
آيات سورة الحشر		٥٣٤	٦٠
٤٥٢	١٢	آية سورة فصلت	
٣٢٣	٢٣	٣٢٧، ٣٢٦	٥
• • •		• • •	
آية سورة الصف		آية سورة الشورى	
١٤٥	١٤	٣٢١	٥٢
• • •		• • •	
آية سورة الجمعة		آيات سورة الدخان	
٢٥٩	٢	٥٧	٢٤
• • •		١٣٥	٢٨-٢٥
آيات سورة الحاقة		٢٤	٣٢
٢١٠	٧	٧٨	٣٣
١٩	٢٠		

الصفحة	السورة/الآية آيات سورة الأعلى	الصفحة	السورة/الآية آية سورة نوح
٤٧٥	٦	١٦٠	١
٤٨٠	٧، ٦	• • •	
	• • •		آيات سورة الإنسان
	آية سورة الشمس	١٣٣	١٦، ١٥
٥٦٩، ٥٦٨	٢	٢٣٦	٢٤
	• • •	• • •	
	آيات سورة الليل		آية سورة النبأ
٢٦٣	٢٠، ١٩	١٧٤	٩

فهرس اللغة

هذا الفهرس مرتب على ترتيب معاجم اللغة ، على
أصل الاشتقاق، وعلى آخر الأصل باباً ، وأوله فصلاً .

(برأ)	بازئكم ، البرية : ٧٨ - ٧٩	(توب)	التوبة ، التواب ، توبوا : ٧٢ ، ٧٨ ، ٧٩
(بوا)	باء ، بيوة : ٣٤٥ ، ١٣٨	(ثوب)	أثاب ، إثابة ، مثوبة : ٤٥٩ ، ٤٥٨
(خسا)	خسا ، خاسي : ١٧٤ ، ١٧٥	(حجب)	حجاب وحجب : ٣٢٧
(خطأ)	خطيئة ، خطايا ، خطيء الرجل : ١١٠ ، ٢٨٤ - ٢٨٦	(حزب)	حزب ، تحزب : ٢٤٤
(درا)	درا ، درء ، دارأ ، ادأرا : ٢٢٢ - ٢٢٨	(خضب)	خضيب : ٤٠١
(سوا)	سيثة : ٢٨١ ، ٢٨٢	(ذعلب)	ذعلبة : ٨٥
(صبا)	صبا ، الصابي : ١٤٥ - ١٤٧	(شرب)	مشرب ، أشرب - حب كذا : ١٢١ ، ٣٥٧ - ٣٦٠
(قنا)	قشاء : ١٢٧	(شهب)	شهاب ، شهب : ٣٢٧
(مرا)	المراء ، المرأة : ٤٤٦	(صحب)	أصحاب : ٢٨٦ ، ٢٨٧
(نبا)	نبي ، أنبياء : ١٤٠ - ١٤٢	(ضرب)	ضرب : ١٣٦
(نسا)	نسا نسا ، ننسها : ٤٧٦ - ٤٧٨	(طيب)	طيبات : ١٠١ ، ٣٥٥
(هزا)	هزي ، هزوا : ٨٢ . . .	(عنب)	عنب : ٤٦٣
(بوب)	الباب : ١٠٣ - ١٠٤	(غضب)	غضب : ١٣٨ ، ٣٤٥ - ٣٤٧
		(قرب)	قرب ، قرابة ، ، قربى : ٢٩٢
		(كتب)	الكتاب : ٩ ، ١٠ ، ٧٠

٢٥١ - ٢٥٤ ، ٣٣٢	٧١ ، ٢٦٠ ، ٣١٨ ،
٣٣٦ ، ٣٣٤	٤٠٣ ، ٣٣٢ ، ٣٣١
وقاح : ٨٥ (وقح)	كتاب وكتُب : ٣٢٧
***	(كسب) كسب ، يكسب :
نسخ ينسخ نسخاً ،	٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٠
نسخة ، النسخ : ٤٧١	(لعب) لِعَبَّ ، لعب : ٣٣٨
٤٨٢ - ٣٧٣ ، ٤٧٨ ،	***
٥٣٣ - ٥٣٥ ،	(سبت) السبت : ١٦٧ - ١٧٣ ،
صارخ : ١٨ (صرخ)	١٧٤
***	سبات ، مسبوت : ١٧٤
أَيْدِه ، آدْ ، أَيْدْ ، أَيْدْ :	(قنت) قنوت ، قانت : ٥٣٨ ،
٣٢٠ ، ٣١٩	٥٣٩
حدّة : ١٠٥ (حدد)	(مرت) ماروت : ٤١٩ - ٤٣٦
حَسَدَ : ٥٠٠ ، ٥٠١ (حسد)	(هرت) هاروت : ٤١٩ - ٤٣٦
خالد : ٢٨٦ ، ٢٨٧ (خلد)	(هيت) هاتوا : ٥١٠
ردّة : ١٠٥ (ردد)	***
رَغَدَ : ١٠٣ (رغد)	(أثث) أَثَثَ : ١٣٠
أَرَادَ ، يَرِيدُ : ٢٤٢ (رود)	(بعث) بعثه ، البعث ، يوم
أَسْجَدَ ، السجود ، سُجِدَ ،	البعث : ٨٤ ، ٨٥
مسجد : ١٠٤ - ١٠٥	(عيث) عاث يعيث : ١٢٤
١١٣ ، ١٤٤ ، ٢٤٢ ، ٥٢٦	***
شهد ، يشهد : ٣٠١ (شهد)	(خرج) أخرج ، الإخراج : ٢٢٨
٣٠٣ -	(زوج) زوج ، زوجة : ٤٤٦
طَوَّدَ : ٥٣ ، ٥٦ (طود)	***
عَبَدَ : ٤٦٣ (عبد)	(جرح) جريح ، جرحى : ٣١١
معدودة : ٢٧٤ - ٢٧٨ (عدد)	(زحج) زحزح ، ترزح :
عِنْدَ : ٥٠١ (عند)	٣٧٤ - ٣٧٦
عهد : ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٤٠٠ (عهد)	(سبح) سبحان : ٥٣٧
عاد عيادة : ٥١٨ (عود)	(فتح) فتح ، فتحا ، استفتح :

١٩٣ - ١٩٢		قِعْدَة : ١٣٦	(قعد)
٢٤٢ ناقة تاجرة :	(تجر)	كَيْد ، كَيْد : ٣٣٨	(كبد)
١٥ مشمور :	(ثمر)	كاد ، يكاد : ٢١٩ ، ٢١٨	(كيد)
٢١٣ آثار إثارة :	(ثور)	مَيْدَة : ١٥٥	(مدد)
جهر الركية ، جاهر ،	(جهر)	هاد يهود ، يهود ، هائد	(هود)
٨١ - ٨٠ جهرة :		هود : ١٤٣ ، ٥٠٧	
٣٢٤ أحمر حُمْر :	(حمر)	ودّ يودّ مودة : ٤٧٥	(ودد)
٥٧٢ ، ١٦٦ الخسار ، خاسر :	(خسر)	واعد ، مواعدة ، وعد ،	(وعد)
٥٥٥ الخير :	(خير)	وعيد : ٥٨ - ٦٠	
١٦٢ ذكر ، يذكر :	(ذكر)	عدة : ٢١٦	
٢٦٥ زنبور ، زناير :	(زنبر)	• • •	
٤١٨ - ٤١٢ السحر :	(سحر)	اتخذ : ٢٧٩ ، ٢٧٨	(أخذ)
٤٤٦ ، ٤٤٢ - ٤٤٧		معاذ الله : ١٠٩	(عوذ)
		عائد ، عوذ : ٥٠٧	
سرّ يسره : ١٨٤ ،	(سرر)	نبذ ، نبذ : ٤٠٣ - ٤٠١	(نبذ)
٢٠٢ ، ١٨٦		• • •	
٢٥٦ أسرّ يسرّ :		أجرّ : ١٤٨ ، ٥١٢	(أجر)
سكران ، سكارى ،	(سكر)	اليوم الآخر ، الدار	(آخر)
٣١١ سكرى :		الآخرة : ١٤٨ ، ٣٦٥	
٣٢٤ أشقر شُقّر :	(شقر)	أسير ، أسارى ، أسرى	(أسر)
٣١٨ شكور شُكّر :	(شكر)	٣١٢ ، ٣١١ ، ٢٩٢	
الصبر ، شهر الصبر ،	(صبر)	البر : ٧ - ٩	(برر)
صبره فهو مصبور :		بشر ، بشرى ، بشارة :	(بشر)
١٢٤ ، ١١		٣٩٤ ، ٣٩٣	
٣١٨ صبور ، صَبْر :		بشير : ٥٥٧	
١٣٦ صِفْرَة :	(صفر)	بصير : ١٤٠ ، ٣٧٦ ،	(بصر)
١٩٨ صفراء ، الصفرة :	(صفر)	٣٧٧ ، ٥٠٦	
٢٠١ -		بقر ، باقر : ٢٠٩ ، ٢١٠	(بقر)
٣٢٤ أصفر ، صُفّر :		بكر : ١٨٤ ، ١٨٦ ،	(بكر)

- (طور) الطور : ١٥٧ - ١٥٩
 طوري : ١٢٠
 (ظهر) تظاهر : ٣٠٧ ، ٣٠٤ ، ٣٠٨ ،
 وراء ظهورهم ، جعله
 بظهر : ٤٠٤
 (عمر) عمر ، التعمير : ٣٧٤ ،
 ٣٧٥
 (غفر) مغاير : ١٣٠
 (غفر) غفر ، الغفر ، مغفر ،
 غفرة الثوب : ١٠٩ ،
 ١١٠
 مغاير : ١٣٠
 (فجر) تفجر ، انفجر ، الفجر :
 ٣٢٨
 (فطر) رجل فطر : ٥٠٨
 (قدر) قدر ، مقدرة ، قدر
 تقديرا : ٤٨٤
 قدير : ٥٠٤ ، ٤٨٤
 (قرر) قرقور ، قراقير : ٢٦٥
 (قصر) قيصر : ٣٨
 (كبر) كبيرة : ١٥
 (كثر) فلان في الناس كثير :
 ٥٠٠
 (كسر) كسير ، كسرى : ٣١١
 كسرى : ٣٨
 (كفر) الكفر : ١٤٠ ، ٣٣٧ ،
 ٣٤٧ ، ٣٩٩ ، ٤٩٤ ،
 ٥٧٢
 (مصر) مصر : ١٣٢ - ١٣٦
- (نذر) نذير : ٥٥٧
 (نصر) نصر ينصر ، تناصر :
 ٣٥ - ٣٦
 نصير : ٤٨٩ ، ٥٦٤
 نصران ، نصاري ،
 أنصار : ١٤٣ - ١٤٥
 ٥٠٨ ،
 (نظر) ينظر : ٥٨
 نظر نظرة ، أنظر :
 ٤٦٧ - ٤٦٩
 * * *
 (رجز) الرجز ، الرُّجْز : ١١٦
 ١١٨ -
 * * *
 (أنس) أناس ، إنسان أناسي :
 ١١٩
 (بأس) بشس ، بشما : ٣٣٨ -
 ٣٤٠ ، ٣٦٠ ، ٤٥٥
 (علس) علس : ١٣٧
 (قدس) روح القدس : ٣٢٠ -
 ٣٢٣
 التقديس : ٣٢٢
 (مسس) مسس ، يمَس : ٢٧٤
 (موسى) موسى : ٦٠
 (نفس) نفْس الشيء : ٢٧٢ ،
 ٥٧٠
 * * *
 (جيش) الجيش : ٤٠٢
 * * *

- (حرص) أحرص الناس : ٣٦٩
(خلص) خالص ، خالصة ،
خُلصان : ٣٦٥
* * *
- (فرض) فارض : ١٨٤ ، ١٨٦
١٩٠ - ١٩٢
(مرض) مريض ، مرضى : ٣١١
* * *
- (حطط) حطة : ١٠٥ - ١٠٨ ،
١١٢ - ١١٥
(حوط) أحاط إحاطة : ٢٨٤
(رھط) رھط : ٤٠٢
(سبط) سبط أسباب : ١٢١
(عيط) عائط ، عوط : ٥٠٧
(هبط) الهبوط : ١٣٢ ، ٢٣٩
* * *
- (وعظ) وعظ ، موعظة : ١٨٠ ،
١٨١ ،
* * *
- (بدع) أبدع ، مبدع ، ابتدع ،
تبدّع : ٥٤٠
بدیع : ٥٤٠
(بيع) البيع : ٣٤٣ ، ٣٤٢
(تبع) اتّابع : ٢٢٤
تُبِع : ٣٨
(خشع) خاشع ، خشوع :
١٦ - ١٧ ، ٢٤٢
(رجع) راجع : ٢٢ ، ٢٣
(ركع) راکع : ١٠٥
- (سمع) سمعاً وطاعة : ١٠٩ ،
٣٥٦ ، ٣٥٧
سمیع : ١٤٠ ، ٣٧٧ ،
٥٤٠
(شفع) شفّع ، شفاعة ، شفیع ،
شفع : ٣١ ، ٣٢
(طلع) مطلع : ٥٢٦
(طمع) طمع يطمع : ٢٤٤
(فقع) فقع فقوعاً ، فاقع :
١٨٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٢
(وسع) واسع : ٥٣٧
* * *
- (حرف) حرف ، انحرف : ٢٤٨
(خلف) خلفها : ١٧٧ - ١٨٠
(رجف) الرجفة : ٨٧
(سدف) السدفّة : ١٨
(غلف) أغلف ، غلفاء ، غُلّف
غلاف غُلّف : ٣٢٤ -
٣٢٨
(نطف) ناطف : ٩٥
* * *
- (حقق) حقّ تلاوته : ٥٧٠ ،
٥٧١
(خلق) خلاق : ٤٥٢ - ٤٥٤
(شرق) مشرق : ٥٢٦
(شقق) تشقق : ٢٣٨ ، ٢٣٩
(صعق) صعق : ٨٣ ، ٨٩
صاعقة : ٨٣
(فرق) فرق البحر : ٥٠

رسول ، رُسِل : ٣١٨	(رسل)	فريق : ٢٤٤ ، ٤٠٢	
سبيل ، مسبول : ٤٩٧ ، ٤٩٨	(سبيل)	الفرقان : ٧١ ، ٧٠	
ضِلّ يَضِلّ : ٤٩٥ ، ٤٩٦	(ضلل)	فسق يفسق : ١١٨ ، ١١٩	(فسق)
ضِلّ بن ضِلّ : ٤٩٦		فاسق : ٣٩٩	
ظَلّ ، ظِلْتُ : ٣٣٨	(ظلل)	ميثاق : ١٥٦ ، ١٥٧	(وثق)
عَدَلْ ، عَدِلْ : ٣٥ ، ٣٤	(عدل)	٢٨٨ ، ٣٥٦	
عقل ، يعقل : ١٠ ، ٢٣٣	(عقل)	* * *	
غفلة ، غافل : ٢٤٣ ، ٣١٦ ، ٢٤٤	(غفل)	ادّارك : ٢٢٤	(درك)
فضل : ١٦٤ ، ٤٧١	(فضل)	سفك الدم : ٣٠٠	(سفك)
أفكل : ٥٤	(فكل)	ملك ، ملائكة : ٧٨	(لأك)
قل ، قلة ، قليل ، قلما :	(قلل)	على مُملك : ٤٠٥ - ٤٠٩	(ملك)
٣٢٩ - ٣٣١		المُلك ، الملك : ٤٨٨	
قلّ بن قلّ : ٤٩٦		* * *	
قال برأسه ويده : ٥٤٦	(قول)	الإلّ : ٣٩١ ، ٣٩٢	(ألل)
٥٤٨ -		أهّل : ٣٧	(أهل)
مَلّة ، ملل : ٥٦٣	(ملل)	آل : ٣٧	(أول)
نَخَلْ : ٢١٠	(نخل)	بابل : ٤٣٦	(بيل)
نكل ، نكال : ١٧٦ ، ١٧٧	(نكل)	بُخِلْ بَخِلْ : ٢٩٤	(بخل)
هرقل : ٣٨	(هرقل)	بدّل : ١١٢	(بدل)
ويل : ٢٦٧ - ٢٧٢ ، ٢٧٣	(ويل)	استبدال : ١٣٠	
* * *		تبدّل : ٤٩٤	
أليم : ١٤٠ ، ٣٧٧ ، ٥٤٠ ، ٤٦٩	(ألم)	بصل : ١٢٧	(بصل)
أى ، أميون : ٢٥٧ - ٢٥٩	(أمم)	بقل : ١٢٧	(بقل)
ثَمّ : ٥٣٥	(ثمم)	جبريل : ٣٨٨ - ٣٩٢	(جبريل)
جحيم : ٥٦٢	(جحم)	الجاهل : ١٨٣	(جهل)
		الحيلة : ٤٦٣	(حبل)
		حائل ، حوّل : ٥٠٧	(حول)
		ذل ذلة : ١٣٦	(ذلل)
		ذلول : ١٨٤ ، ٢١٢ ، ٢١٣	

(رحم)	الرحمة : ١٦٦	(أمن)	الإيمان ، آمن ، يؤمن :
	رحيم : ٧٩		٨٠ ، ٨١ ، ١٤٣ ، ١٤٨
(سأم)	سَنِم ، سَنِم : ٣٣٨		٢٤٩ ، ٢٨٧ ، ٣٤٨
(سلم)	مسلمة : ١٨٤ ، ٢١٣		٣٦١ ، ٤٥٧ ، ٤٩٤
	٢١٥ -		٥٧١
	أسلم ، مسلم : ٥١٠ ، ٥١١	(برهن)	برهان : ٥٠٩
		(بين)	البيئات : ٣١٨ ، ٣١٩
(سوم)	سام يسوم : ٤٠		٣٥٤ ، ٣٥٥
(صوم)	رجل صَوْم : ٥٠٨ ، ٥٠٧		بينات : ٣٩٧
(ظلم)	ظلم ، الظلم ، ظالم :	(ثمن)	ثمن : ٢٧٠
	٦٩ ، ٧٢ ، ١٠٢ ، ١١٦	(حسن)	الإحسان : ٢٩٠ - ٢٩٢
	٣٥٥ ، ٣٦٩		حُسْن ، حَسَن : ٢٩٤
			٢٩٨
(علم)	علم : ١٦٦ ، ١٦٧ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧	(دهن)	دهين : ٤٠١
	عليم : ٥٣٧	(دون)	دون : ٤٨٩
	العالمون : ٢٣ - ٢٦	(رعن)	الرَّعْنُ : ٨٥
(غمم)	غمام ، مغصوم : ٩٠ ، ٩١		رَاعَن : ٤٦١ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦
(فوم)	فوم : ١٢٧ - ١٣٠	(سكن)	مسكنة ، مسكين :
(قلم)	قدم : ٥٠٥		١٣٧ ، ٢٩٣
	قدمت أيديهم : ٣٦٨	(سمن)	السمانى : ٩٦
(قوم)	أقام ، إقامة : ٢٩٧ ، ٥٠٥	(صون)	صان صيانة : ٥١٨
	يوم القيامة : ٣١٥ ، ٥١٨	(ظنن)	ظن يظنّ ، الظن :
(كتم)	كتم يكتُم : ٢٢٩		١٧ - ٢٠ ، ٢٦٥ - ٢٦٧
(كرم)	الكرم : ٤٦٣	(عون)	عوان ، عُون : ١٨٤
(نعم)	نِعَم : ٢٣٨		١٨٦ ، ١٩٣ - ١٩٦
(يتم)	يتم ، يتامى : ٢٩٢		عانة ، عُون : ١٩٤
	• • •	(عين)	عين الشيء : ٢٧٢ ، ٥٧٠
(أذن)	أذن آذن ، إذن : ٤٤٩ ، ٤٥٠	(قتن)	فتنة ، قتن الذهب :
			٤٤٢ - ٤٤٤

٤٨ - ٤١		فرعون : ٣٨ (فرعن)
٥٢٥ ، ٣١٤ : خزى (خزى)		كان : ١٧٤ (كون)
٢٤٣ ، ٢٣٩ : خشية (خشى)		لعن ، اللعن ، اللعين :
٢٥٠ : خلا ، خلاء : ٢٥٠ (خلا)		٣٣٧ ، ٣٢٨
١٤١ : دعى ، أَدْعِيَاء : ١٤١ (دعا)		المن : ٩١ - ٩٤ ، ٩٨ (من)
أَدْنَى ، دَنَى ، دانى : (دنا)		مُهِين : ٣٤٧ (هون)
١٣٠ - ١٣٢		وسن سنة : ٢١٦ (وسن)
راعنا ، أرعى ، إرعاء ، رعى ، راعى ، رِعْيَة : (رعا)		* * *
٤٥٩ - ٤٦٧		التيه : ٩٩ (تیه)
٥٧ ، ٥٥ : رَهِو (رها)		تشابه : ٥٥٦ ، ٥٥٥ ، ٢١١ (شبه)
الزكاة : ٢٩٧ ، ٢٩٨ (زكا)		وجه : ٥٣٦ ، ٥١٢ ، ٥١١ (وجه)
٥٠٥		* * *
استسقاء : ٤٧ ، ١١٩ (سقى)		آتى ، إيتاء : ١٦٠ ، (أتى)
السلوى : ٩٦ - ٩٨ ، ١٠٠ (سلا)		٢٩٧ ، ٣١٧ ، ٥٠٥
سواء : ٤٩٦ ، ٤٩٧ (سوى)		آية ، آيات : ٥٥٣ ، ٣٩٧ (أيا)
اشتري : ٣١٦ ، ٣١٧ (شرى)		أى : ٥٧٠ ، ٥٧١
٣٤١ - ٤٥٢		البرى : ٧٩ (برى)
شرى يشرى : ٣٤١ ، (برىة)		٧٩
٤٥٥ ، ٣٤٢		البغى : ٣٤٢ (بغى)
الشراء : ٣٤٢ ، ٣٤٣ (بقى)		استبقاء : ٤٧
الشارى والشرة : ٤٣١ (بلا)		بلاه ، أبلاه ، بلاء :
ال صلاة : ١١ - ١٥ ، (صلا)		٤٨ ، ٤٩
٥٠٥ ، ٢٩٧		تلا يتلو تلاوة : ٤٠٩ - (تلا)
عتا : ٢٣٣ (عتا)		٤١١ ، ٤١٨ ، ٥٦٦
عتا يعثو عثاً : ١٢٣ - ١٢٤ (عثا)		٥٧١ -
عدا ، عدوان ، اعتدى (عدا)		أثافي : ١٣٠ (ثفا)
اعتداء : ١٤٢ ، ١٦٧ ، (جزى)		جزى ، يجزى ، أجزى ،
٣٠٧		الجزاء : ٢٦ - ٣١ ، ٣١٤
		استحيى ، استحياء : (حي)

٤٧٣ ، ٦٦ ، ٩	عسا : ٢٣٣ (عسا)
نسبها : ٤٧٣ - ٤٨٠	عفا يعفو : ٥٠٣ (عفا)
هدى (هدى) هدى ، الهادى ، الهوادى	عافية : ٣٦٥
٣٩٣ :	علا يعلو : ٤٤ (علا)
ودى يدى دية : ٢١٦ (ودى)	فتى : ٤٦٣ (فتا)
وراء : ٣٤٩ ، ٣٤٨ (ورى)	القرية : ١٠٣ ، ١٠٢ (قرى)
٤٠٤	قسا ، قسوة : ٢٣٣ (قسا)
وشى ، وشى ، واش ، (وشى)	٢٣٥
وشاة ، وشى : ١٨٤ ،	قضى ، قضاء ، تقضى : (قضى)
٢١٦ ، ٢١٥ ، ١٨٦	٥٤٣ ، ٥٤٢
وصى ، أوصياء : ١٤٠ (وصى)	قنى يقنى : ٣١٨ (قنا)
المتقى ، اتقى : ١٨١ ، (وقى)	تقلت : ٢٩٤ (قلا)
٤٥٧	قوة : ١٦٠ ، ١٦١ ، (قوى)
ولتى ، تولتى : ١٦٢ - ١٦٣ ، (ولى)	٣٥٧ ، ٣٥٦
٢٩٨	لاقى ، ملاقى : ٢٠ (لقى)
ولتى يولتى : ٥٣٥	أمانى ، تمنى ، التمنى : (منى)
ولى ، أولياء : ١٤٠ ،	٢٦٠ - ٢٦٥ ، ٣٦٦
٤٨٩ ، ٥٦٤	نبوة : ١٤١ ، ١٤٢ (نبا)
بين يديها : ١٧٧ - ١٨٠ (يدى)	نبي : ١٤١ ، ١٤٢
بأيديهم : ٢٧٢	نجوة : ١٤١ (نجا)
قدمت أيديهم : ٣٦٨	نسى ، ينسى ، نسيان ، (نسى)

أعلام المترجمين في التعليق

[الأرقام في هذا الفهرست هي أرقام الآثار ، لا الصفحات]

- إبراهيم بن بشار الرمادي : ٨٩٢
 إبراهيم بن عبد السلام بن صالح
 التنسري : ١٣٨٦
 إبراهيم بن عبد الله بن محمد (أبو شيبه
 ابن أبي بكر بن أبي شيبه) :
 ١٠٣٧
 إبراهيم بن المهاجر بن جابر البجلي :
 ١٢٩١
 أحمد بن إسحق بن عيسى الأهوازي :
 ١٨٤١
 أحمد بن محمد بن أبي بكر (أبو عثمان
 المقدسي) : ٨٧٦
 أحمد بن الوليد ؟ ؟ : ١٦٩٢
 أبو أحمد الزبيري (محمد بن عبد الله
 ابن الزبير)
 ابن إدريس (عبد الله بن إدريس
 الأودي)
 إسحق بن الحجاج الرازي الطاحوني :
 ١٦١٤
 إسحق بن راهويه : ٨٦٣ ، ٩٩٥
 إسحق بن محمد بن أبي فروة (الفروي) :
 ٨٧٦
 أبو إسحق الشيباني (سليمان بن أبي
 سليمان)
 إسرائيل بن يونس بن أبي إسحق
 السبيعي : ١٢٩١
 إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي
 (إسماعيل بن علي) : ١٦٠٨
 إسماعيل بن عبد الكريم بن معقل
 الصنعاني : ٩٩٥
 إسماعيل بن علي (إسماعيل بن
 إبراهيم)
 إسماعيل بن مسعود الجحدري (أبو
 مسعود) : ١٢١٨
 إسماعيل بن موسى الفزاري : ٨٤٩
 أشعث بن سعيد (أبو الربيع السمان) :
 ١٨٤١
 الأصمغ بن زيد بن علي الجهني :
 ٨٩١
 أنس بن عياض بن ضمرة : ١٦٧٩
 أيوب السختياني : ١٨٩٩
 . . .
 أبو البختری (سعيد بن فيروز)
 بشر بن أبان الخطاب (صوابه :
 مشرف بن أبان) : ١٣٨٣
 بشر بن عياض (أنس بن عياض)
 أبو بكر الباهلي (محمد بن عمرو)
 أبو بكر بن عياش : ١٢٤٦

حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري :
٨٧٣

حماد بن زيد : ٨٥٦ ، ١٦٨٢

حماد بن سلمة : ١٣٨٦ ، ١٦٨٢
أبو حزة (محمد بن ميمون السكري)
حميد بن عبد الرحمن بن حميد الرؤاسي :
٨٨٦

• • •

أبو خالد الدالاني (يزيد بن عبد الرحمن)
خالد بن مهران : ١٦٨٣
خلف بن الوليد العتكي (أبو الوليد) :
٨٥٠

أبو الخليل (صالح بن أبي مريم الضبيعي)
خثيم (أبو الربيع بن خثيم) : ١٤٣٠

• • •

داود بن أبي عاصم بن عروة الثقفي :
١٨٧٧

داود بن أبي هند : ١٦٠٨
أبو داود الحفري (عمر بن سعد
ابن عبيد)

الدالاني (يزيد بن عبد الرحمن)
دراج بن سمعان (أبو السمح) :
١٣٨٧

أبو الدرداء : ٨٤٦

• • •

ذواد بن علبة الحارثي : ٨٥٠

• • •

هز بن حكيم بن معاوية القشيري :
٨٧٣

• • •

تميم بن المنتصر بن تميم الواسطي :
٨٩١

• • •

جابر بن يزيد الجعفي : ٨٥٨

ابن جريح : ٨٤٩
الجفري (الحسن بن أبي جعفر)
جوير بن سعيد : ١٢٢١

• • •

الحارث بن مسلم : ٨٧٩
حجاج بن محمد المصيصي الأعور :
١٦٩١

الحجاج بن المنهال الأنماطي : ١٦٨٢
حجاج بن نصير القساطيطي : ٨٨٠
حذيفة بن اليمان : ١٤٩٧

الحسن بن أبي جعفر الحفري : ١٨٩٩
الحسين بن داود المصيصي (سنيد) :
١٦٨٨ ، ٨٥٤

الحسين بن رفاق الهمداني : ٨٤٩

الحسين بن زياد : ٨٤٩
الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي
١٦٢٥ ، ١٨٨٣

الحفري (عمر بن سعد بن عبيد) :

حفص بن غياث : ١٠٣٧

الحكم بن بشير بن سلمان النهدي :
١٤٩٧

أبو سعيد (عبد الكريم بن مالك
الجزري)

سعيد بن أبي عروبة : ١٧٦٩
سعيد بن فيروز (أبو البخترى) :
١٤٩٧

سعيد بن أبي هلال الليثي : ١٤٩٥
سعيد بن أبي هلال بن أسامة :
١٤٩٥

سفيان الثوري : ٨٥٨ ، ١٣٨٢
أبو سفيان المعمرى (محمد بن حميد
الشكري)

سفيان بن وكيع بن الجراح : ١٦٩٢
سلم بن قادم : ٨٧٩
سلم بن قتيبة الشعيري (أبو قتيبة) :
١٨٩٩

سلمان الفارسي : ١١١٢
سليمان بن أبي سليمان (أبو إسحق
الشياني) : ١٠٣٧
سليمان بن عمرو العتواري (أبو الهيثم) :
١٣٨٧

أبو السمع (دراج بن سمعان)
سنيد (الحسين بن داود)
أبو سهل (كثير بن زياد) : ١٢٢١

• • •

الشعبي (عامر بن شراحيل)
شهر بن حوشب : ١٤٨٩
الشياني (سليمان بن أبي سليمان)
أبو شيبة بن أبي بكر بن أبي شيبة

ربيع بن إبراهيم بن مقسم الأسدي
(ابن علي) : ١٦٠٨

الربيع بن خثيم الثوري : ١٤٣٠
الربيع بن سليمان المرادي : ١٦٩٥
أبو الربيع السمان (أشعث بن سعيد)
أبو رجاء (محمد بن سيف) : ١٢١٩
وشدين بن كريب : ١٠٧٥
رياح بن عبيدة البصري : ١٠٣٧
رياح بن عبيدة السلمي الكوفي :
١٠٣٧

• • •

أبو زائدة (زكريا بن يحيى)
ابن أبي زائدة (يحيى بن زكريا)
ابن زريع (يزيد بن زريع)
زكريا بن علي بن زريق التيمي :
١٥٦٦
زكريا بن يحيى بن أبي زائدة (أبو
زائدة) : ١٢١٩
ابن أبي الزناد (عبد الرحمن بن عبد الله
ابن ذكوان)

زهير ابن أبي أمية : ١٢٩١
أبو زهير (عبد الرحمن بن مغراء)
زياد بن فياض الخزاعي : ١٣٨٢ ،
١٣٨٤

زيد ابن أبي الزرقاء : ١٣٨٤

• • •

السائب بن أبي السائب (قيس بن
السائب) : ١٢٩١

(إبراهيم بن عبد الله بن محمد)

• • •

صالح القشيري ٩٩ (انظر : إبراهيم
ابن عبد السلام) : ١٣٨٦

صالح بن كيسان المدني : ١٠٢٠

صالح بن أبي مريم الضبي (أبو
الخليل) : ١٨٩٩

صالح مولى التوأمة (صالح بن نبهان)
صالح بن نبهان (مولى التوأمة) :
١٠٢٠

• • •

الضحاك بن مخلد (أبو عاصم النبيل) :
٨٥٨

• • •

أبو عاصم النبيل (الضحاك بن مخلد)
عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر
ابن الخطاب : ١٨٤١

عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري :
١٥١٩

أبو العالية الرياحي : ١٧٨٣

عامر بن شراحيل الهمداني (الشعبي) :
١٦٠٨

عباس بن جعفر بن الزبرقان (عباس
بن أبي طالب) : ٨٨٠

عباس بن أبي طالب (عباس بن
جعفر بن الزبرقان)

العباس بن الوليد بن عزيز الآملي :
٨٩١

عبد الحميد بن بهرام الفزاري : ١٦٠٥

عبد الحميد بن جعفر : ١٣٨٦

عبد الرحمن بن جوشن الغطفاني : ٨٥٢

عبد الرحمن بن حميد الرؤاسي : ٨٨٦

عبد الرحمن بن أبي الزناد (عبد الرحمن
ابن عبد الله)

عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان
(ابن أبي الزناد) : ١٦٩٥

عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم
المصري : ١٠٧٦

عبد الرحمن بن محمد المحاربي : ٨٧٥

عبد الرحمن بن مقراء (أبو زهير) :
١٦١٤

عبد السلام بن حرب الملائي : ١١٨٤

عبد الصمد بن معقل بن منبه : ٩٩٥

عبد العزيز (أخو حذيفة) (ابن
أخى حذيفة) (عبد العزيز بن
اليمان)

عبد العزيز بن الخطاب الكوفي :
١٢٧٥

عبد العزيز بن المختار الدباج : ١٦٨٥

عبد العزيز بن منصور اليحصبي : ١٠٧٦

عبد العزيز بن اليمان (عبد العزيز
ابن أخى حذيفة) : ٨٥٠

عبد الكريم بن مالك الجزري (أبو
سعيد) : ٨٩٢ ، ١٥٦٦

عبد الكريم بن الهيثم بن زياد القطان :
٨٩٢

عبد الله بن إدريس الأودي (ابن

على بن جرير ٩٩ : ١٣٨٦
 على بن حكيم الأودي : ٨٨٦
 على بن الحسن بن شقيق : ١٥٩١
 على بن سعيد بن مسروق الكندي :
 ١١٨٤
 على بن سهل الرملي : ١٣٨٤
 على بن أبي طلحة : ١٨٣٣
 على بن عبد الله بن أبي الوليد (على
 الأزدي البارق) : ١٥٢٣ ،
 ١٥٢٤ ، ١٧٦٧ ، ١٧٦٨
 ابن علي (ربيع بن إبراهيم بن مقسم
 الأسدي) (إسماعيل بن علي)
 عمار بن معاوية الدهني : ٩٠٩
 عمر بن حفص بن غياث : ١٠٣٧
 عمر بن سعد بن عبيد (أبو داود
 الحفري) : ٨٦٣
 عمرو بن الأسود العنسي (أبو عياض) :
 ١٣٨٢
 عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري
 : ١٣٨٧
 عمرو بن قيس الملائي : ٨٨٦ ،
 ١٤٩٧
 عمرو بن مرة الجملي : ١٤٩٧
 عمير بن سعيد النخعي : ١٦٨٣
 العوام بن مراحم : ٨٨٠
 أبو عياض (عمرو بن الأسود العنسي)
 عينة بن عبد الرحمن بن جوشن : ٨٥٢

. . .

إدريس : ١٨٣٩
 عبد الله بن زيد الجرمي (أبو قلابة) :
 ٨٤٦
 عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري
 : ٨٧٧
 عبد الله بن سعيد بن أبي هند : ٨٧٧
 عبد الله بن عامر بن ربيعة : ١٨٤١
 عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي الحسين
 المكي : ١٤٨٩
 عبد الله بن كثير الداري : ١٧٦٧ ،
 ١٧٦٨
 عبد الله بن نمير الهمداني (ابن نمير) :
 ١٦٩٣
 عبد الملك بن أبي سليمان العزري :
 ١٤٥٥ ، ١٨٣٩
 عبيد بن عمير الليثي : ١٧٦٧ ، ١٧٦٨
 عبيد الله بن عبد الله (أبو المنيب
 العتكي) : ١٦٣٤
 عبيد الله العتكي (عبيد الله بن
 عبد الله العتكي)
 عبيد الله بن عمرو الجزري (أبو وهب)
 : ١٥٦٦
 عبيدة السلماني : ١١٧٢
 أبو عثمان المقدسي (أحمد بن محمد بن
 أبي بكر)
 العزري (عبد الملك بن أبي سليمان)
 عكرمة بن عمار العجلي : ٨٤٩
 علي الأزدي (علي بن عبد الله الأزدي
 البارق) : ١٧٦٧ ، ١٧٦٨

الفرج بن فضالة التنوخي : ١٦٨٨
الفرّوي (إسحق بن محمد بن أبي فروة)
ابن فضيل (محمد بن فضيل بن
غزوان)

• • •

القاسم بن أبي أيوب الأسدي : ٨٩١
القاسم بن أبي بزة : ١٦٠٧
القاسم بن ربيعة (القاسم بن عبد الله
ابن ربيعة)
القاسم بن عبد الله بن ربيعة بن
قائف : ١٧٥٥

أبو قتيبة (مسلم بن قتيبة الشعيري)
قثم بن العباس بن عبد المطلب :
٨٥٢

أبو قدامة (محمد بن عبيد) (محمد
ابن عبد الله الدؤلي)
أبو قلابة (عبد الله بن زيد الجرمي)
قيس بن السائب (السائب بن أبي
السائب) : ١٢٩١

• • •

كثير بن زياد (أبو سهل) : ١٢٢١
كريب بن أبي مسلم : ١٠٧٥
أبو كريب (محمد بن العلاء)
كنانة بن نعيم العلوي : ١٣٨٦

• • •

ليث بن أبي سليم : ١٤٩٧
ليلى بنت قائف : ١٧٥٥

• • •

مبارك بن فضالة : ١٩٠١
مجالد بن سعيد الحمداني : ١٦١٤
المحاربي (عبد الرحمن بن محمد)
محمد بن بشار : ٨٥٨

محمد بن حميد الشكري (أبو سفيان
المعمري) : ١٧٨٧
محمد بن الزبرقان (أبو همام الأهوازي)
٨٧٧

محمد بن سيف (أبو رجاء) : ١٢١٩
محمد بن عبد الأعلى الصنعاني :
١٢٣٦

محمد بن عبد الله الدؤلي (محمد بن
عبيد) (أبو قدامة)
محمد بن عبد الله بن الزبير (أبو أحمد
الزبيري) : ١٨٤١

محمد بن عبد الله بن عبيد الهلالي :
١٢٧٥

محمد بن عبيد (محمد بن عبد الله
الدؤلي) (أبو قدامة) : ٨٥٠
محمد بن عقبة : ١٦٨٤

محمد بن العلاء (أبو كريب) :
١٢٩١ ، ١٥٦٦

محمد بن علي بن الحسن بن شقيق : ١٥٩١
محمد بن عمارة الأسدي : ١٤٩٧

محمد بن عمرو الباهلي (أبو بكر
الباهلي) : ٨٥٨

محمد بن فضيل بن غزوان الضبي
(ابن فضيل) : ١٨٤٠

نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم :
١٠٧٦

نجيح بن إبراهيم : ٨٨٦
نجيح بن إبراهيم بن محمد الكرمانى :
٨٨٦

نجيح بن عبد الرحمن السندى (أبو
معشر) : ١٢٧٥
نصر بن عبد الرحمن الأزدي : ٨٧٥
النصر بن محمد الجريشي اليماني :
٨٥٠

النضر بن عربي الباهلي : ١٣٠٧
ابن نمير (عبد الله بن نمير)
نوح بن قيس بن رباح الأزدي :
١٢١٨

* * *

هارون بن إدريس الأصم : ١٤٥٥
هاشم بن عيسى (أبو معاوية)
(هاشم بن أبي هريرة) : ٨٧٩
هاشم بن أبي هريرة (هاشم بن عيسى)
هشام بن يونس النهشلي : ١٢٢٠
هلال بن أسامة (هلال بن علي بن
أسامة)

هلال بن علي بن أسامة المدني (هلال
ابن أسامة) : ١٤٩٥
أبو همام الأهوازي (محمد بن الزبرقان)
أبو الهيثم (سليمان بن عمرو العتواري)

* * *

أبو الوليد العتكي (خلف بن الوليد)

محمد بن كعب القرظي : : ١٢٧٥ ،
١٨٧٥ ، ١٨٧٦

محمد بن ميمون السكري (أبو حمزة) :
١٥٩١

مخلد بن الحسين : ٨٤٦

مروان بن معاوية : ١٢٢٢
أبو مسعود الجحدري (إسماعيل بن
مسعود)

مسلم بن إبراهيم الأزدي الفراهيدي :
١٢١٩

مسلم الجري : ٨٤٦ ، ١٠٧٥
مشرف بن أبان الخطاب (بشر . . /
خطاً) : ١٣٨٣

مصعب بن المقدم الخثعمي : ١٢٩١
معاوية بن حيدة القشيري : ٨٧٣

أبو معاوية (هاشم بن عيسى)
أبو معشر (نجيح بن عبد الرحمن
السندى)

معمر بن راشد الأزدي : ١٧٨٧
المعمري (أبو سفيان) (محمد بن
حميد اليشكري)

مفراء : ١٢٢٢

المقدمي (أحمد بن محمد بن أبي بكر)
أبو المنيب (عبيد الله بن عبد الله
العتكي)

موسى بن عبيدة بن نشيط الربذي :
١٨٧٥ ، ١٨٧٦

موسى بن عقبة : ١٦٨٤

* * *

يزيد بن عبد الرحمن (أبو خالد
الداقني) : ٨٧٥

يزيد بن هارون : ٨٥٦

يونس بن بكير بن واصل الشيباني :
١٦٠٥

يونس بن عبد الأعلى الصدفي
المصري : ١٦٧٩

وهب بن منبه : ٩٩٥
أبو وهب (عبيد الله بن عمرو الجعفي)

* * *

يحيى بن زكريا (ابن أبي زائدة) : ٨٥٠

يحيى بن سعيد القطان : ١٦٩٢

يحيى بن أبي طالب : ٨٥٦

يزيد بن زريع العيشي : ١٧٦٩

المصطلحات

الاستنبات : ٤٨٥	الضمير (الإضمار، المضمر) : ١٠٧
الاسم : ٣١٢	الظاهر : ١٥ ، ٣١ ، ٥٠ ، ٦١ ، ٨٥ ، ١٠١ ، ١٠٧ ، ١٧٣ ، ٢٨٣ ، ٥٤٥ ، ٥٤٧ وغيرها
الإقرار : ٢٨٠ ، ٢٨١	الانتراع (الاستشهاد) : ٢٣٦
الإنعام : ٢٨١	الباطن : ١٥ ، ١٨٠ ، ٢٨٣ ، ٥٤٥ ، ٥٤٧
الترجمة (ترجم ، مترجم) : ٣٤٠ ، ٣٧٤ ، ٤٢٠ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦	العماد (ضمير الفصل) : ٣١٢ ، ٣٧٤ ، ٣١٣
التصدير (المصدر - المفعول المطلق) : ٥٠٠ ، ٢٩٢	الفاعل : ٣١٢
التقرير في الخطاب : ٤٨٥ ، ٣٢٤	فقد الخافض : ٥١٩
التكرير : ٢٣٨ ، ٣١٢ ، ٣٩٩ ، ٥١٩	القطع (الحال) : ٣٩٢
الجزاء (الشرط) : ٣٣٦ ، ٣٣٧	المصدر (التصدير) : ٢٩٢ ، ٥٠٠
الجزاء (المفعول لأجله) : ٣٤٠	المعرفة المؤقتة : ٣٣٩
الرد : ٣٣٩ ، ٣٧٠ ، ٤٢٠ ، ٥١٩ ، ٤٩٣ ، ٤٩٢ ، ٤٢٦	المكرور : ٣٣٩
	النسق : ٤٩٢ ، ٤٩٣
	الواقع (الوقوع ، فعل واقع) (متعدد) : ١٠٨ ، ١٩٨

الرد على الفرق

• رد على المعتزلة في إيجابهم خلود أهل الكبائر في النار : ٢٨٣

مباحث العربية والنحو وغيرهما

• «آل» لا ينطقونها إلا مع الأسماء المشهورة ، يقال : «آل النبي» ، ولا يقال «آل الرجل» ، ولا يقال «آل البصرة» : ٣٧

• «حق» إضافتها إلى المعرفة كقولك : «مررت بالرجل حق الرجل» واختلافهم في ذلك : ٥٧٠

• «عين» ، «نفس» إضافتهما إلى المعرفة نحو «عين الرجل» : ٥٧٠

• «عين» «نفس» «كل» ، «حق» ، هي في الأصل توكيد ، ثم تصير مدحاً : ٥٧٠

• «عين» و «نفس» إدخالهما في الكلام لنفي اللبس عن سامعه ، ولإيجاب حقيقة الفعل للمخبر عنه نحو قولك : «باعني فلان عينه كذا وكذا» : ٢٧٢، ٢٧٣

• «قال» استعمال القول في معان مختلفة ، ولا قول هناك : ٥٤٦ - ٥٤٨

• «قلما» للنفي مثل : «قلما رأيتُ مثل هذا قط» و «مررت ببلاد قلما تنبت إلا الكراث والبصل» : ٣٣١

• «مساجد» بمعنى «مسجد» حكى ، وهو كالخطأ من قائله : ٥١٩

• «وجه» العرب تذكر في منطقها الخبر عن الشيء فتضيفه إلى «وجهه» وهي تعني «نفس الشيء وعينه» ٥١١

• «وراء» بمعنى «سوى» : ٣٤٨

• • •

• «الباء» بمعنى : من أجل ، كقوله : «ذلك بأنهم كانوا يكفرون» : ١٣٩

- إدغام « التاء » في « الدال » لتقارب مخرجيهما : ٢٢٤
- مخرج « التاء » من طرف اللسان وأصول الشفتين
- ومخرج « الدال » من طرف اللسان وأطراف الشفتين : ٢٢٤
- إبدال « الفاء » ، « ثاء » والعكس ، لتقارب مخرجيهما : ١٣٠
- إسقاط « الفاء » من جواب « إذ » : ١٨٣
- لا يجوز إسقاط « الفاء » من قولك « قمتُ فعلتُ كذا » ، لأنها عطف ، لا استفهام يوقف عليه : ١٨٣
- « لام » اليمين نحو قوله : « ولقد علموا » : ٤٥٢
- « الواو » ، « الفاء » جعلهما مع الاستفهام ، نحو « أو كلمًا عاهدوا » « أفكلمًا جاءكم » : ٣٩٩ ، ٤٠٠
- « الهاء » في قوله : « حتى تلاوته » وفي نظائرها ، تعدها العرب في عداد النكرات ٥٧١
- « الهاء » وتعتد بها إذا عادت إلى نكرة بالنكرة ، كقولهم : مررت برجل واحد أمه ، ونسيج وحده : ٥٧٠
- • •
- « إلا » يخرج بها ما بعدها من معنى ما قبلها ومن صفتها ، وإن كان كل واحد منهما من غير شكل الآخر ومن نوعه ، وهو « الاستثناء المنقطع » : ٢٦٤
- « إلا » كل موضع حسن فيه مكانها « لكن » ، فهو استثناء منقطع ، لانقطاع معنى الثاني عن معنى الأول : ٢٦٤
- « أم » بمعنى الاستفهام / بمعنى استفهام مستقبل منقطع من الكلام ، كأنك تميل به إلى أوله ، كقولهم : « إنها لإبل أم شاء » : ٤٩٢
- « أم » إذا ابتدأت كلاماً ليس قبله كلام ثم استفهمت ، لم يكن إلا بالالف أو بهل : ٤٩٢

- « أم » أحد شروطها أن تكون نسقاً في الاستفهام لتقدم ما تقدمها من الكلام ،
لأنها تكون استفهاماً مبتدأ إذا تقدمها سابق من الكلام : ٤٩٣
- « أم » لم يسمع من العرب استفهام بها ، ولم يتقدمها كلام : ٤٩٣
- « أم » بمعنى « بل » ٤٩٣
- « أن » إذا صلح دخولها على فعل ، فحذفت ولم تدخل ، كان وجه الكلام
رفع الفعل ، مثل : « ألا أيهذا الزاجري أحضر الوعى » : ٢٨٩
- « أن » كل كلام بمعنى القول ينبغي أن تكون معه « أن » مثل : « إنا أرسلنا
نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك » : ١٦٠
- « أو » تأتي في الكلام لمعنى الشك - ولإتيانها لمعنى الإبهام - ولمعنى التخيير ،
وبمعنى « الواو » ، وبمعنى « بل » : ٢٣٥ - ٢٣٧
- « أو » يلتبس معناها ومعنى « الواو » لتقارب معنيهما في بعض الكلام ، ولكن
أصلها بمعنى : أحد اثنين ، وتوجيهها إلى أصلها أجود ، ما كان إليه
سبيل : ٢٣٧
- « أينما » بمعنى « حيثما » : ٥٣٥
- « أى » و « ما » أصلها جمع متفرق الاستفهام : ١٩٨ ، ٤٩٢
- « أى » لإضافتها إلى المعرفة ، ورفض من رفض ذلك عند جميعهم : ٥٧٠ ، ٥٧١
- « بل » معناها عطف ورجوع عن الجحد المحض : ٢٨١
- « بل » لا تدخل الكلام إلا نقضاً للجحد : ٣٢٩
- « بل » رجوع عن الجحد ، وإقرار في كل كلام أوله جحد : ٢٨٠ ، ٥١٠
- « بل » أصلها « بل » التي هي رجوع عن الجحد المحض ، زيدت فيها « الياء »
ليصلح الوقوف عليها : ٢٨١
- « بين » لا تصلح إلا أن تكون مع شيئين فصاعداً : ١٩٦ - ١٩٧

- «ثُمَّ» بمعنى : «هنالك» : ٥٣٥
- «دون» بمعنى «سوى» ، «وبعد» ، كقوله : «من دون الله» : ٤٨٩
- «ذلك» يشمل المعاني الكثيرة إذا أُشير به إليها : ١٣٩ ، ١٦٤ ، ١٩٧
- «على» بمعنى «فى» مثل : «على ملك سليمان» : فى عهد سليمان : ٤١١
- «فى» بمعنى «على» ، كقوله : «لأصلبنكم فى جذوع النخل» أى على جذوع النخل : ٤١٢
- «لئن» حكمها وحظها أن تجاب بالمستقبل من الفعل : ٤٥٨
- «لئن» ، «لا» تقارب معنيهما فى أنهما جزاءان : ٤٥٨
- «لئن» «لو» يجاب أحدهما بجواب الآخر لتدخل معنيهما : ٤٥٨
- «لعل» بمعنى «كى» : ٦٩ ، ٧٢ ، ٨٥
- «لو» حكمها وحظها أن تجاب بالماضى من الفعل : ٤٥٨
- «لولا» بمعنى «هلا» : ٥٥٢ ، ٥٥٣
- «ما» بمعنى : «لم» فى قوله : «وما أنزل على الملكين» : ٤٢٣
- «ما» زائدة فى الكلام كقوله : «فقليل ما يؤمنون» : ٣٣٠
- «ما» كلمة تجمع كل الأشياء، ثم تخص وتعم ما عمته بما تذكره بعدها : ٣٣١
- «ما» العرب تجعلها اسماً تاماً لا صلة لها فى نحو قولهم : «لبئسما تزويجٌ ولا مهر» ، وقوله تعالى : «فنعماً هى» : ٣٣٩
- «ما» تطلب الاسم أكثر من طلبها الفعل : ٣٧٤
- «ما» و «أى» أصلهما جمع متفرق الاستفهام : ١٩٨
- «مين» بمعنى التبويض : ١٢٦
- «مين» زائدة ملغاة، وإنكار من أنكر ذلك : ١٢٦ ، ١٢٧

• «مِنْ» دخولها في النفي ، كقولك : « ما رأيت من أحد » ١٢٦ ، ١٢٧ ،
٤٤٢ ، ٤٧٠

• «مِنْ» بمعنى : مكان ، أى معنى البدل : ٣١ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨

• حذف «مِنْ» في قوله : « أحرص الناس » أى أحرص من الناس : ٣٧٠

• «مَنْ» في الواحد والاثنين والجمع على صورة واحدة ، فيجىء فعله موحداً ،
وإن كان في معنى جمع ، ويجمع من الفعل لمعنا : ١٤٩ ، ١٥٠ ،
٥٢٥ ، ٥١٣

• « يا » حذفها لدلالة الكلام عليها : « يوسف أعرض عن هذا » : ٣٠٣

• • •

• المصادر التى على وزن «فِعْلَةٌ» : كالردّة والحدّة : ١٠٥ ، ١٣٦

• «فاعلة» مصادر على زنتها مثل : خالصة ، وعافية : ٣٦٥

• «فِعَالَةٌ» مصدر ، نحو قمت قيامة وعدت عيادة : ٥١٨

• «فَعِيلٌ» بمعنى «مفعول» ، مثل لعين بمعنى ملعون : ٣٢٨ ، ٤٠١

• «فَعِيلٌ» بمعنى «مفعول» ، مثل «سميع» و «بصير» ، و «نبي» : ١٤٠ ،
٣٧٧ ، ٥٠٦ ، ٥٤٠

• «فَعِيلَةٌ» بمعنى «مفعولة» : ٧٨ ، ٧٩

• «أفعل» وأثناء «فعلاء» من النعوت ، يجمع على «فعل» بسكون العين مثل
أحمر وحر ، ولا تثقل عينه إلا في ضرورة شعر : ٣٢٤

• «فَعِيلٌ» في ذوى العاهات يجمع على «فعل» مثل : مريض ومريض : ٣١١ ، ٣١٢

• «فِعَالٌ» وجمعه «فُعُلٌ» بضميتين مثل كتاب وكتب : ٣٢٧

• كل نعت على «فعلان» فجمعه على «فَعَالٌ» مثل «سكران» و «سكارى» :

- جمع «فعليل» على «فُعلاء» : ١٤١
- جمع «فعليل»، غير مهموز الآخر على «أفعلاء» مثل «نبي» و «أنبياء» : ١٤٠
- «فعلان» الذى له «فعل» قد يشارك جمع «فعليل»، مثل سكران وسكرى - شارك «مريض ومرضى» : ٣١١

• «مفعيل» اسم موضع، مثل مسجد ومشرق : ٥١٩ ، ٥٢٦

• «فعلليل» غير موجود فى كلام العرب : ٣٨٩

• • •

- جميعاً لاواحد له من لفظه، مثل فريق، جيش، رهط : ٢٤٤ ، ٤٠٢
- جموع لا واحد لها من لفظها مثل «أناس»، ونسوة : ١١٩ ، ٤٤٦
- المفرد الذى يأتى جمعه من غير لفظ مثل «مرء»، و «رجال أو قوم»، وامرأة «نساء، نسوة» : ٤٤٦

- من شأن العرب تذكير كل فعل أو صفة لجمع كانت وحدانه بالهاء، وجمعه بطرحه الهاء، وتأنينه أيضاً، مثل «نخل منقعر»، و«نخل خاوية» : ٢١٠
- العرب تفرق بين الجموع إذا اختلف معنى واحدتها، كقولهم فى جمع امرأة «عوان»، «عُون»، ثم يضمون الواو «عُون» ليفرقوا بينه وبين جمع «عانة» على «عون» : ١٩٤

• إلحاق جمع بجمع، لاشتراكه فى التقدير أو فى المعنى، مثل «نبي وأنبياء» كأنه مثل «ولى وأولياء» - وكل إلحاق «أسير وأسرى» بجمع ذوى العاهات مثل «مريض ومرضى» : ١٤٠ ، ٣١١

ولإلحاق «أسير وأسارى» بمثل «سكران وسكارى» : ٣١١

- حذف «الياء» من «مفاعيل» و «فعاليل» فى نحو «مفتاح» و «قراقر» : ٢٦٤ ، ٢٦٥

• • •

- قولهم : « أفالله لتصنعن كذا وكذا » : ٤٠٠
[جاء في الأصل « فاقه » ، وعلقت عليها بأن لم أعرف ما أراد بها ، ثم حرفتها بعد وعرفت صوابها ، وانظر سيبويه ١ : ١٤٥] .
- حروف الاستفهام إنما تدخل في الكلام إما بمعنى الاستثبات ، وإما بمعنى النفي .
فأما بمعنى « الإثبات » فذلك غير معروف في كلام العرب ، ولا سيما إذا دخلت
على حروف الجحد : ٤٨٥
- إعادة الضمير على ما لم يجر له في الكلام ذكر : ١٥
- الأضداد في اللغة كتسمية اليقين « ظناً » ، والشك « ظناً » : ١٧ ، ١٨
- بنو تميم ينقلون حركة العين من « فعل » إلى الفاء ، إذا كانت عين الفعل أحد
حروف الحلق الستة : ٣٣٨
- قوله في « لَعِبَ » ، « لِعِبَ » وما أشبهها لغة فاشية في بني تميم : ٣٣٨
- الاعتراض بين المبتدأ والخبر ، بالضمير والإشارة نحو قولهم : « أنا ذا أقوم » ،
و « أنا هذا أجلس » : ٣٠٤
- الإتيان بلفظ الجميع ، والمراد فعل من اثنين نحو قوله : « لا تسفكون دماءكم
ولا تخرجون أنفسكم من دياركم » : أي لا يسفك بعضكم دماء بعض ، ولا
يخرج بعضكم بعضاً من ديارهم : ٣٠٠
- من شأن العرب استعارة الكلمة ، ووضعها مكان نظيرها : ١٦٣
- الواحد المبعوض لا يكون معرفة : ٥٧٠
- الاستفهام لا يكون في الخبر : ٤٩٤
- الخبر لا يكون في الاستفهام : ٤٩٤
- من كلام العرب المستفيض بينهم : أن يخرج المتكلم كلامه على وجه الخطاب
لبعض الناس ، وهو قاصد به غيره — وعلى وجه الخطاب لواحد وهو يقصد به
جماعة غيره ، أو جماعة المخاطب به أحدهم — وعلى وجه الخطاب لجماعة ،

والمقصود به أحدهم . وتبدأ خطاب الواحد ، وترجع إلى خطاب الجماعة ، وتبدأ بالجماعة وتعود إلى الواحد : ٤٨٥ - ٤٨٧ ، ٥٠٠

• الكلمتان تكونان مستعملتين بمعنى واحد ، فتأتى الكراهة أو النهى باستعمال إحداهما واختيار الأخرى عليها : ٤٦٣

• العرب تكره أن تحدث على الجزاء حادثاً : ٢٥٤

• العلم والشك ، معنيان ينفي كل واحد منهما صاحبه ، لا يجوز اجتماعهما في حيز واحد : ٢٦٣

• وصف الشيء بصفة ، هى لصاحبه صفة : ٢٤٢ ، ٢٤٣

• من شأن العرب إذا أمرت رجلاً أن يحكى ما قيل له عن نفسه أن تخرج فعل الأمور مرة مضافاً إلى كناية نفس المخبر عن نفسه ، ومرة مضافاً إلى اسم كهينة كناية اسم المخاطب ، لأنه به مخاطب ، فتقول : « قل للقوم إن الخير عندى كثير » ، و « قل للقوم إن الخير عندك كثير » : ٣٨٨

• الخبر ، الذى يحسن أن يأتى فى موضعه أمر أو نهى : ٢٩٣

• العرب تبتدئ الكلام أحياناً على وجه الخبر عن الغائب فى موضع الحكاية لما أخبرت عنه ، ثم تعود إلى الخبر على وجه الخطاب . وتبتدئ أحياناً على وجه الخطاب ، ثم تعود إلى الإخبار على وجه الخبر عن الغائب ، لما فى الحكاية من المعنيين : ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٣٥٧

• استواء التقديم والتأخير فى الكلام ، نحو قولهم : « تاب فلان فاهتدى » أو « اهتدى فلان فتاب » : ٥٤٩

• المؤخر الذى معناه التقديم : ٨٥ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٤٥

• حذف المضاف ، اكتفاء بفهم السامع لمعنى الكلام كقوله : « وأسأل القرية » ، و « وأشربوا فى قلوبهم العجل » : ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٤٨٣ ، ٥٠٥ ،

- العرب تجتزئ بذكر الاسم من ذكر فعله ، إذا كان معروفاً بشجاعة أو سخاء وما أشبهه من الصفات : ٣٦٠

• • •

- « أفعل » - مثل « أفضل رجل فلان » - لا يضاف إلى معرفة ، لأنه مبعوض ، ولا يكون الواحد المبعوض معرفة : ٥٧٠

- « أفعل » ، و « فعلى » ، لا تكاد تتكلم بها العرب إلاّ بالألف واللام ، أو بالإضافة ، لا يقال : « جاعنى أجمل » ، بل « الأجل » : ٢٩٥

- « أفعل » و « فعلى » لا يكادان يوجدان صفة إلاّ للمعهود معروف : ٢٩٥

- إسقاط الحرف الأول من المثال ، وإبدال تاء فى آخره مكان الحرف الساقط مثل « وزنته زنة » : ٢١٦

- « فعل » و « يفعل » ، الماضى والمضارع ، يشتركان فى معنى واحد ، فيوضع مكانه ، كقوله : « ولقد أمر على اللثيم يسبنى » ، أى ولقد مرتت :

٣٥٢، ٣٥١

- من شأن العرب إذا أحدثت على حرف الجزاء لام القسم ، أن لا ينطقوا فى الفعل معه إلاّ بالماضى دون المضارع ، إلاّ قليلاً نحو : « ولقد علموا لمن اشتراه ... » :

٤٥٢ والقليل نحو قوله : « لئن تك قد ضاقت عليكم بيوتكم » : ٤٥٢

- إتيان المصلى من غير فعله مفعولاً مطلقاً : ٢٩٢ ، ٥٠٠ ، ٥٠١

- النصب بالأفعال المضمرّة : ٢٩١

- الاستثناء المتقطع ، سمي كذلك لانقطاع الكلام الذى يأتى بعد « إلا » عن معنى ما قبلها : ٢٦٤

- النعت بالمصلى ، مثل رجل صوم ، ورجل صوم : ٥٠٧

- ردّ المصغر إلى أصله عند التصغير ، كما قالوا فى « ماء » ، « مويه » ، وفى « آل » ، « أهيل » : ٣٧

- من شأن العرب إذا وضعوا المصادر مواضع الأفعال ، وحذفوا الأفعال أن ينصبوا المصادر ، كقولهم : سماعاً وطاعة : ١٠٩
- ترك الهمز في مشتق من فعل مهموز ، كقولهم : « البرية » ، وهى من « برأ » ، و « ملك » ، وهو من « لك » و « نبى » من « أنبأ » : ٧٨ ، ١٤٠
- ترك الهمز في « خطيئة » ، وجمعها على « خطايا » : ١١٠
- ذكر ما يقتضى فعلاً مستقبلاً ، والإخبار عنه بفعل ماضى ، نحو قوله :
« إذا ما انتسبنا لم تلدنى لثيمة » : ١٦٥
- استعمال المصدر في التشبيه كقولهم : « إنما أنت أكل وشرب » : ٢٩٤
- تأكيد ضمير المخاطبين ، كقوله « ثم أنتم هؤلاء » ، هؤلاء تنبيه وتوكيد لقوله :
« أنتم » : ٣٠٤
- تأكيد ضمير المتكلم كقوله : « إننى أنا ذلك » ، أى أنا هذا : ٣٠٤
- مخاطبة بالفعل المستقبل ومعناه الماضى : ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٤١٨
- الحرف الخافض لا يخفض مضمرأ : ٣٤٠
- العطف على الموضع ، كعطف منصوب على مجرور : ٢١ ، ٢٩٠ ، ٢٩١
- حذف النون ، أو التنوين من المضاف استثقلاً : ٢٠ ، ٢١
- من كلام العرب ترك الإضافة وإثبات النون فى اسم الفاعل إذا كان بمعنى « يفعل » أى بمعنى الذى ، وإثبات النون وترك الإضافة ٢٠ ، ٢١
- من كلام العرب ترك الإضافة وإثبات النون ، إذا كان اسم الفاعل بمعنى « يفعل ، وفاعل » ، أى بمعنى المستقبل الذى لم ينقض . وإسقاط النون والإضافة إذا كان بمعنى « فعل » ، أى بمعنى الماضى : ٢٠ ، ٢١
- قول الكوفيين فى إجازة ترك الإضافة وإثبات النون فى جميع ذلك . وإذا أثبت النون وترك الإضافة ، فى الآخر فهو بمعنى « يفعل » ، فالإضافة فيه للفظ ، وترك الإضافة للمعنى : ٢١

* * *

• كل شيء في القرآن «كاد» ، أو «كادوا» أو «لو» فإنه لا يكون :
٢١٩

• إذا كان للكلام وجه "مفهوم" على اتساقه على كلام واحد ، فلا وجه لصرفه إلى
كلامين : ٢٩١

• أخذ الميثاق : استخلاف : ٢٨٨

• إظهار الاسم الذي حقه الكناية في الكلام : ٣٩٦

• استقبح العرب النكرة قبل المعرفة : ٣٧٤

• خروج الكلام مخرج التقرير في الخطاب ، وهو بمعنى الخبر : ٣٢٤ ، ٤٨٥

• خروج الكلام مخرج الخبر ، وهو وعد أو وعيد أو أمر أو زجر : ٥٠٦

• كل كلام نطق به ، مفهوم به معنى ما أريد ، ففيه الكفاية من غيره : ١٦٠

• زيادة ما لا يفيد من الكلام معنى في الكلام ، غير جائز لإضافته إلى الله جل ثناؤه :
٤٠٠ ، ٣٣١

• ما ترك جوابه ، استغناء بمعرفة المخاطبين بمعناه : ٣٣٦

• العرب إذا طال الكلام تأتى بأشياء لها أجوبة ، فتحذف أجوبتها ، لاستغناء
سامعها عن ذكر الأجوبة ، لمعرفتهم بمعناها ، نحو : «ولو أن قرآنًا سيّرت به
الجيال» : ٣٣٧

• إتياع الكلام بالأقرب إليه ، أولى من إلحاقه بالأبعد منه : ٣١٦

• إلحاق الكلام بالذي يليه ، أولى من إلحاقه بما حيل بينه وبينه بكلام معترض : ٤٤٥

• إخراج الكلام مخرج العموم ، ويراد به الخصوص : ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٣ ، ٢٠٧ ،
٥٤٠ ، ٥٣٣

* * *

- غير جائز ادعاء خصوص في آية عامّ ظاهرها إلا بحجة يجب التسليم لها : ٢٠٧ ، ٥٣٩
- إضافة أفعال الأسلاف إلى الأبناء ، وخطاب الأبناء وإضافة الفعل إليهم وهو لأبائهم : ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ٢٤٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٥٣ ، ٤٠٩
- الاجترأ بالظاهر من الكلام ، الدالّ على المحذوف منه : ٢٦ — ٢٧ ، ٧٩ ، ١٠١ ، ١١٩ ، ٢٣٢ ، ٢٨٩ ، ٤١٧ ، ٤٥٨
- كنى بخروج القراءة على قراءة أهل الإسلام ، شاهداً على خطئها : ٢٦٥ ، ٢٩٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٩ ، ٤٧٨
- إجماع الحجة التي لا يجوز عليها الخطأ والكذب فيما نقله دليل كاف على فساد قول من عارضه : ١٣٦ ، ١٧٣ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٦٦ .
- لا يعترض على الحجة بقول من يجوز عليه فيما نقل السهو والخطأ والغفلة : ٢١٠ ، ٢١١ ، ٣٢٨
- غير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام ، إلى باطن لا دلالة على صحته : ١٥ ، ٦١ ، ١٨٠ ، ٥٤٥ ، ٥٦٠
- تأويل القرآن على المفهوم الظاهر من الخطاب ، أول من تأويله على خفي باطن ، حتى تأتي دلالة يجب التسليم لها بمعنى خلاف دليله الظاهر : ٤٥٧
- تأويل القرآن لا يدرك إلا ببيان من جعل الله إلهيه بيان القرآن ، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم : ٢٨٣
- الآية يأتي عاماً في صنف ظاهرها ، وهي خاص في ذلك الصنف باطنها : ٢٨٣
- غير جائز ادعاء خصوص في آية عامّ ظاهرها ، إلا بحجة يجب التسليم لها : ٥٣٩

فهرس التفسير

تصدير الجزء الثانى

- ٧ تفسير « أتأمرون الناس بالبرّ » ، آية البقرة : ٤٤
- ٧ كل طاعة لله فهى برّ .
- ١٠ مقالة اليهود أن الرسول مبعوث إلى غيرهم .
- ١١ معنى الاستعانة بالصلاة على طاعة الله وترك معاصيه .
- ١٢ حديث : « كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة » .
- ١٣ لفظة فارسية فى حديث « اشكنب درد » ، وتحقيق ذلك .
- ١٧ « الظن » بمعنى اليقين ، والأضداد فى اللغة .
- ٢٨ قضاء الحقوق يوم القيامة من الحسنات والسيئات ، والخبر عن ذلك .
- ٣٢ القصاص يوم القيامة ، والخبر عن ذلك .
- ٣٣ حديث : « شفاعتى لأهل الكباثر من أمتى » / وحديث : « ليس من نبى إلا وقد أعطى دعوة ، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى ، وإنها نائلة إن شاء الله منهم من لا يشرك بالله شيئاً » ، وتظاهر الأخبار بمعنييهما .
- ٤٢ الأخبار فى ذبح آل فرعون بنى إسرائيل ، وإختلاف المتأولين فى ذلك .
- ٥٠ فرق البحر لبنى إسرائيل ، وغرق فرعون ، والآثار فى ذلك .
- ٥٨ إختلاف القراء فى قراءة : « وإذ واعدنا »
- ٦٠ تفسير اسم « موسى » فى اللغة القبطية ، ثم ذكر نسبه .
- ٦٣ اتخاذ بنى إسرائيل العجل ، وسبب ذلك ، والأخبار عنه .
- ٧٢ قتل بنى إسرائيل أنفسهم ، وكيف كان ذلك ، والأخبار فيه .
- ٨٢ اتباع اليهود على عهد رسول الله ، سنن أسلافهم فى ارتدادهم عن دينهم .
- ٨٦ سبب قولهم لموسى : « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » ، والأخبار عن ذلك .

- ٩٧ الأخبار في سبب تظليل الغمام وإنزال المن والسلوى .
- ١٠٥ اختلاف المتأولين في معنى « حطة » .
- ١١٢ الأخبار في تبديل اليهود ما قيل لهم .
- ١١٦ الآثار الدالة على معنى « الرجز » .
- ١١٩ الآثار في ذكر استسقاء موسى لقومه .
- ١٣٢ اختلاف المتأولين في « مصر » وما عني بها .
- ١٣٦ اجتماع مصاحف المسلمين على إثبات الألف في « مصر »
- ١٤٥ اختلاف المتأولين في معنى « الصابئين »
- ١٥٠ خبر لإسلام سلمان الفارسي .
- ١٦٧ خبر اليهود في « السبت » ، والآثار الدالة على بيانه .
- ١٨٣ خبر الأمر بذبح البقرة .
- ٢٠٧ القول في العموم والخصوص ، وهو تفصيل جيد .
- ٢١٨ ذبح البقرة وما قيل فيه وما ورد من الآثار في بيانه .
- ٢٢٥ خبر التدارئ في القتل الذي قتلته يهود ، والآثار الجاثية فيه .
- ٢٤٥ خبر سماع بعض بنى إسرائيل كلام الله ، وما حرفوه منه ، والآثار في ذلك .
- ٢٤٩ الآثار في أخبار اليهود على زمان رسول الله ، وتكذيبهم ، وتخليقهم بأخلاق المنافقين .
- ٢٧٠ الآثار في يهود الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون : هذا من عند الله .
- ٢٧٤ معنى زعم اليهود أن النار لن تمسهم إلا أياماً معلودة .
- ٢٨٢ القول في أهل الكبائر ، وأنهم غير مخلدين في النار .
- ٢٨٧ بقاء الجنة والنار ، وخلود من فيهما .
- ٢٨٨ أخذ الميثاق : استحلاف .

- ٣٠٥ أخبار حروب يهود جزيرة العرب ، وقتلهم أنفسهم ، والأخبار في ذلك .
- ٣١٩ القول في بيان معنى : « روح القدس » .
- ٣٣٢ أخبار استفتاح اليهود على العرب .
- ٣٦١ الأخبار في أمر اليهود أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين .
- ٣٧٧ ما زعم اليهود من عداوتهم لجبريل .
- ٣٨٨ تفسير معنى « جبريل » ، وما جاء فيه من القراءات .
- ٤٠٥ أخبار الشياطين وما تلتته على ملك سليمان .
- ٤١٣ دعوى اليهود على سليمان أنه كان يعمل بالسحر .
- ٤٢١ كلام أبي جعفر في جواز تنزيل الله السحر ، وفيه بحث جيد .
- ٤٢٧ أخبار هاروت وماروت .
- ٤٣٦ معنى « السحر » .
- ٤٣٧ الآثار في سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- ٤٣٩ عود إلى الكلام في معنى « السحر » .
- ٤٤٣ لا يجترئ على السحر إلا كافر .
- ٤٤٦ عود إلى معنى « السحر » .
- ٤٥٩ الاختلاف في تفسير « راعنا » ، والآثار الدالة على ذلك .
- ٤٦٣ نبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استعمال بعض الألفاظ ، وتفسير ذلك
- ٤٧١ معنى النسخ .
- ٤٧٩ ذكر ما رفع من القرآن .
- ٤٨٢ عود إلى بيان معنى النسخ وكيف هو .
- ٤٨٣ غير جائز أن يكون من القرآن شيء خير من شيء ، لأن جميعه كلام الله ، ولا يجوز في صفات الله تعالى أن يقال : بعضها أفضل من بعض ، وبعضها خير من بعض .

- ٥١٣ الأخبار في تنازع اليهود والنصارى في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- ٥١٨ الدليل على من أتى شيئاً من معاصي الله على علم منه بنهى الله عنها ، فقصيته في دينه أعظم من مصيبة من أتى ذلك جاهلاً به .
- ٥٢٠ أى المساجد هى التى سعى في خرابها ، واختلاف المتأولين في ذلك
- ٥٢٢ الردّ على من خطأً الطبرى في أن المعنى بخراب المساجد هم النصارى .
- ٥٢٦ « لله المشرق والمغرب » ، وتحويل القبلة ، والاختلاف في معنى الآية .
- ٥٣٠ الآثار في الإذن بالتوجه في التطوع إلى شرق أو غرب .
- ٥٣٢ خبر النجاشي وصلاته .
- ٥٣٣ « لله المشرق والمغرب » ، القول في نسخها .
- ٥٣٤ بيان الناسخ والمنسوخ كيف يكون ، وما شرطه .
- ٥٤٤ بيان معنى الأمر في قوله : « كن فيكون » ، وهو بحث جيد .
- ٥٥٠ بيان المقصود بالذين وصفهم الله تعالى بأنهم « لا يعلمون » .
- ٥٥٨ الآثار في ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه .
- ٥٦٠ ردّ الطبرى لهذه الآثار ، لاستحالة الشك من رسول الله في أن أهل الشرك من أهل الجحيم .

* * *

٥٧٧ فهرس الآيات التى استدلت بها في غير موضعها من التفسير

٥٨٢ فهرس اللغة

٥٩١ فهرس أعلام المترجمين في التعليق

٥٩٩ فهرس المصطلحات

٥٩٩ فهرس الردّ على الفرق

٦٠٠ فهرس مباحث العربية والنحو وغيرها

٦١٢ فهرس التفسير